

فصل

المحكم والمتشابه

فهذا الطاغوت الأول، وهو قولهم: إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين. فإن قيل: فقد دل القرآن على أن فيه محكماً ومتشابهاً ومعلوم أن المتشابه هو الذي يشبه المراد به بغيره، وهو آيات الصفات فلو أفادت اليقين لم تكن متشابهة.

قيل: هذا السؤال مبني على ثلاث مقدمات:

أحدها: أن القرآن متضمن للمتشابه.

الثانية: أن المتشابه هو آيات الصفات.

الثالثة: أن المتشابه لا يمكن حصول العلم واليقين

بمعناه.

وسنفرد الكلام على هذا بفصل مستقل^(١) بعد كسر الطواغيت الأربعة التي نصبوها لهدم معاقل^(٢) الدين ونبين معنى / المحكم بمعناه، ونبين أن آيات الصفات محكمة، فإنها من آيين الكتاب إحصائياً وإن ما تضمنته من الأحكام أعظم مما تضمنه ما عداها بعون الله وتوفيقه.

[٨٥/١]

(١) لم أجد هذا الفصل الذي وعد به ابن القيم في الجزء الثاني من المختصر بعد ذكر

الطواغيت الأربعة فلعله في الجزء الثاني المفقود من الأصل.

(٢) ظ، م: (معاقد)، وقال الناسخ في م: لعلها (معاقل).

فصل (١)

في الطاغوت (٢) الثاني، وهو قولهم: إن تعارض العقل والنقل، وجب تقديم العقل؛ لأنه لا يمكن الجمع بينهما ولا إبطاها ولا تقديم النقل؛ لأن العقل أصل النقل، فلوقدمنا عليه النقل لبطل العقل، وهو أصل النقل فلزم بطلان النقل، فيلزم من تقديم النقل بطلان العقل والنقل، فتعين القسم الرابع وهو تقديم العقل. فهذا الطاغوت أخو ذلك القانون فهو مبني على ثلاث مقدمات:

الأولى: ثبوت التعارض بين العقل والنقل.

الثانية: انحصار التقسيم في الأقسام الأربعة التي ذكرت فيه.

الثالثة: بطلان الأقسام الثلاثة ليتعين ثبوت الرابع.

وقد أشفى شيخ الإسلام في هذا الباب بما لا مزيد عليه، وبين بطلان هذه الشبهة، وكسر هذا الطاغوت في

(١) م: (الفصل).

(٢) في هامش م: (مهم في هذا أن كتاب قد اشتمل على كسر الطواغيت الأربعة مع أن المذكور في هذا المجلد كسر طاغوتين اثنين منه أي بهذا المجلد نصف الكتاب وقال في ص ٢٥٤ ما نصه، «وجاء أفضل متأخريهم فنصب على حصون الوحي أربعة مجانيق، الأول أنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين، الثاني: أنها مجازات واستعارات لا حقيقة لها، الثالث أن العقل عارضها فيجب تقديمه عليها، الرابع أنها أخبار آحاد وهذه المسائل علمية فلا يجوز أن يحكم فيها بالإخبار» انتهى.

كتابه الكبير^(١) ونحن نشير إلى كلمات يسيرة هي قطرة من بحره، يتضمن كسره ودحضه، وذلك يظهر من وجوه:

الوجه الأول:

إن هذا التقسيم باطل من أصله، والتقسيم الصحيح أن يقال: إذا تعارض ديلان سمعيان أو عقليان^(٢) أو سمعي وعقلي، فإما أن يكونا^(٣) قطعيين، وإما أن يكونا ظنيين، وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً.

فأما القطعيان فلا^(٤) يمكن تعارضهما في الأقسام الثلاثة؛ لأن الدليل القطعي هو الذي يستلزم مدلوله قطعاً، فلو تعارضا لزم الجمع بين النقيضين^(٥) وهذا لا يشك فيه أحد من العقلاء.

وإن كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً، تعين تقديم القطعي، سواء كان عقلياً أو سمعياً.

وإن كانا جميعاً ظنيين صرنا إلى الترجيح، ووجب تقديم الراجح منهما سمعياً كان أو عقلياً.

فهذا تقسيم واضح متفق على مضمونه بين العقلاء.

(١) وهو درء تعارض العقل والنقل وقد حققه الدكتور محمد رشاد سالم في عشر مجلدات وجعل الحادي عشر للفهارس وقد طبع بمطابع جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية سنة ١٤٠١.

(٢) ظ، م: (سمعيين أو عقليين)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (يكون).

(٤) ظ، م: (ولا)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٥) انظر: ص ٢٩٥.

فأما إثبات التعارض بين الدليل العقلي والسمعي
والجزم بتقديم العقلي مطلقاً، فخطأ واضح معلوم الفساد
عند العقلاء.

الوجه الثاني:

إن قوله: إذا تعارض العقل والنقل، فإما أن يريد^(١) به
القطعيين فلا نسلم إمكان التعارض، وإما أن يريد به
الظنيين، فالتقديم للراجح مطلقاً، وإما أن يريد ما يكون
أحدهما قطعياً والآخر ظنياً^(٢)، فالقطعي^(٣) هو المقدم مطلقاً
فإذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه؛ لأنه قطعي
لا لأنه عقلي، فعلم أن تقديم العقلي مطلقاً خطأ، وأن جعل
جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ، وأن جعل سبب التأخير
والاطراح كونه نقلياً خطأ.

بيان أن تقديم
الدليل العقلي مطلقاً
خطأ

الوجه الثالث:

إننا لا نسلم انحصار القسمة فيما ذكره من الأقسام
الأربعة، إذ من الممكن أن يقال: تقدم العقلي تارة والسمعي
تارة فأيهما كان قطعياً قدم، فدعواه أنه لا بد من تقديم العقل
مطلقاً، أو السمع مطلقاً، أو اعتبار الدليلين معاً، أو إلغائهما
معاً، دعوى كاذبة بل ههنا قسم غير هذه الأقسام،
وهو الحق، وهو ما ذكرناه.

بيان أنا لا نسلم
انحصار القسمة في
الأربعة المذكورة

(١) ظ، م: (أريد)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (ظنينا).

(٣) ظ، م: (فاللفظي)، والصواب ما أثبتته.

الوجه الرابع :

بيان بطلان قولهم
العقل أصل النقل

قوله : إن قدمنا النقل لزم الطعن فحاصله ممنوع ، فإن
قوله : العقل أصل^(١) النقل ، إما أن يريد به أنه أصل في
ثبوته في نفس الأمر ، أو أصل في علمنا بصحته ، فالأول^(٢)
لا يقوله عاقل ، فإن ما هو ثابت في نفس الأمر ليس موقوفاً
على علمنا به ، فعدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في نفس
الأمر .

فما أخبر به الصادق المصدوق ، هو ثابت في نفسه ،
سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه ، وسواء صدقه الناس
أو لم يصدقوه ، كما أن رسول الله حق وإن كذبه من كذبه ،
كما أن وجود الرب تعالى وثبوت أسمائه وصفاته حق ، سواء
علمناه بعقولنا أو لم نعلمه .

فلا يتوقف ذلك على وجودنا^(٣) فضلاً عن علمونا
وعقولنا ، فالشرع المنزل من عند الله مستغن في نفسه عن
علمنا وعقلنا ، ولكن نحن محتاجون إليه ، وإلى أن نعلمه
بعقولنا ، فإذا علم العقل ذلك حصل له كمال لم يكن قبل
ذلك وإذا فقد^(٤) كان ناقصاً جاهلاً .

وأما إن أراد أن العقل أصل في معرفتنا بالسمع ودليل
على صحته ، وهذا هو مراده .

(١) ظ ، م : (أما) ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) ظ ، م : (فأول) ، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٣) ظ ، م : (وجوده) ، وما أثبتته من درء تعارض العقل والنقل ١/٨٨ .

(٤) ظ ، م : (قصده) ، ولعل الصواب ما أثبتته .

فيقال له: أتعني بالعقل هنا القوة والغريزة التي
فيها أم العلوم المستفادة بتلك الغريزة؟.

فالأول لم ترده، وتمتنع إرادته بأن تلك الغريزة ليست
علماً يمكن معارضته للنقل، وإن كانت شرطاً في كل علم
عقلي أو سمعي وما كان شرطاً في الشيء امتنع أن يكون
منافياً له.

وإن أردت العلم والمعرفة الحاصل بالعقل.

قيل لك: ليس كل ما يعرف بالعقل يكون أصلاً
للسمع ودليلاً على صحته، فإن المعارف العقلية أكثر من أن
تتحصر، والعلم بصحة السمع غايته أن يتوقف على ما به
يعلم صدق / الرسول من العقليات، وليس كل العلوم
العقلية يعلم بها صدق الرسول، بل ذلك يعلم بالآيات
والبراهين الدالة على صدقه.

[٨٦/١]

فعلم أن جميع المعقولات ليس أصلاً للنقل، لا بمعنى
توقف^(١) العلم بالسمع عليها، ولا بمعنى توقف ثبوته في
نفس الأمر عليها، لا سيما وأكثر متكلمي أهل الإثبات
كالأشعري^(٢) في أحد قوليهِ وأكثر أصحابه^(٣) يقولون: إن

(١) ظ، م: (لا لمعنى يتوقف)، وما أثبتته من درء تعارض العقل والنقل ٩٠/١.

(٢) سبق ذكر ترجمته، ص ٢٦٠.

(٣) قال الجويني في الإرشاد، ص ٣٢٤، ٣٢٥: والمرضي عندنا أن المعجزة تدل على
الصدق من حيث تنزل منزلة التصديق بالقول وغرضنا يتبين بفرض مثال: فتقول: إذا
تصدر ملك للناس وتصدر لتلج عليه رعيته واحتفل الناس واحتشدوا وقد أرهق الناس
شغل شاغل فلما أخذ كل مجلسه وترتب الناس على مراتبهم انتصب واحد من خواص =

العلم بصدق الرسول عند ظهور المعجزات الحادثة [التي] تجري [مجرى] تصديق [الرسول] بالقول [علم] ضروري، [فحينئذ] فما يتوقف عليه^(١) العلم بصدق الرسول من العلم العقلي سهل يسير، مع أن العلم بصدقه له طرق كثيرة متنوعة.

وحيث إن كان المعارض للسمع من المعقولات ما لا يتوقف العلم بصحة السمع عليه، لم يكن القدر فيه قدحاً في أصل السمع، وهذا بحمد الله بين واضح. وليس القدر في بعض العقليات قدحاً في جميعها، كما أنه ليس القدر في بعض السمعيات قدحاً في جميعها، فلا يلزم من صحة المعقولات التي يبني عليها معرفتنا بالسمع صحة غيرها من المعقولات، ولا من فساد هذه فساد تلك، فلا يلزم من تقديم السمع على ما يقال: إنه معقول في الجملة، القدر في أصله.

= الملك وقال: معاشر الأشهاد، قد حل بكم أمر عظيم وأظلكم خطب جسيم، وأنا رسول الملك إليكم، ومؤتمنه لديكم، ورقبته عليكم، ودعواي هذه بمرأى من الملك وسمع، فإن كنت أيها الملك صادقاً في دعواي فخالف عادتك وجانب سجيتك وانتصب في صدرك وهوك ثم اقعده، ففعل الملك ذلك على وفق ما ادعاه ومطابقة هواه فيستيقن الحاضرون على الضرورة تصديق الملك إياه وينزل الفعل الصادر منه منزلة القول المصرح بالتصديق».

(١) ظ، م: (إن العلم بصدق الرسول عنه عند ظهور المعجزات الحادثة تجري تصديقه بالقول فيما يتوقف)، وما أثبتته من تعديل بإضافة أو حذف فمن درء تعارض العقل والنقل ٩٠/١.

الوجه الخامس :

أن يقال: العقل إما أن يكون عالماً بصدق الرسول وثبوت ما أخبر به في نفس الأمر، وإما أن لا يكون عالماً بذلك، وإن لم يكن عالماً امتنع التعارض عنه. لأن المعقول إن كان معلوماً له لم يتعارض معلوم ومجهول، وإن لم يكن معلوماً لم يتعارض مجهولان، وإن كان عالماً بصدق الرسول، امتنع أن لا يعلم ثبوت ما أخبر به في نفس الأمر إذا علم أنه أخبر به، وهو عالم بصدقه لزم ضرورة أن يكون^(١) عالماً بثبوت مخبره، وإن كان كذلك استحال أن يقع عنده دليل يعارض ما أخبر به ويكون ذلك المعارض واجب التقديم. إذ مضمون ذلك أن يقال: لا تعتقد ثبوت ما علمت أنه أخبر به؛ لأن^(٢) هذا الاعتقاد ينافي ما علمت به أن المخبر صادق، وحقيقة ذلك لا تصدقه في هذا الخبر لأن تصديقه يستلزم عدم تصديقه فيقول: وعدم تصديقي له فيه هو عين اللازم المحذور.

فإذا قيل لي: لا تصدقه، لئلا يلزم عدم تصديقه، كان كما لو قيل: كذبه لئلا يلزم تكذيبه، فهكذا حال من أمر الناس أن لا يصدقوا الرسول فيما علموا أنه أخبر به بعد علمهم أنه رسول، لئلا يفضي تصديقهم إلى عدم تصديقه^(٣) يوضحه:

(١) ظ، م: (إن لم يكون)؛ م: (إن لم يكن)، والصواب حذف (لم). وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٣٤.

(٢) م: (بأن).

(٣) انظر: درء العقل والنقل ١/١٣٤، ١٣٥.

الوجه السادس :

وهو أن المنهي عنه من قبول هذا الخبر، وتصديقه فيه، هو عين المحذور، فيكون واقعاً في المنهي عنه سواء أطاع أو عصى، ويكون تاركاً للمأمور به سواء أطاع أو عصى، ويكون وقوعه في المخوف المحذور على تقدير الطاعة أعجل وأسبق منه على تقدير المعصية. والمنهي عنه على (١) هذا التقدير هو التصديق، والمأمور به هو التكذيب، وحينئذ فلا يجوز النهي عنه سواء كان محذوراً أو لم يكن، فإن (٢) لم يكن محذوراً لم يجوز أن ينهى عنه، وإن كان محذوراً فلا بد منه على التقديرين فلا فائدة في النهي عنه.

الوجه السابع :

إنه إذا قيل له : لا تصدقه في هذا كان أمراً له بما يناقض ما علم به صدقه، وكان أمراً له بما يوجب ألا يثق بشيء من خبره، فإنه متى جوز كذبه، أو غلظه في خبر، جوز ذلك في غيره، ولهذا آل الأمر بمن سلك هذه الطريق إلى أنهم لا يستفيدون من جهة الرسول شيئاً من الأمور الخبرية المتعلقة بصفات الله سبحانه وأفعاله، بل وبالיום الآخر عند بعضهم لإعتقادهم أن هذه الأخبار على ثلاثة أنواع :

نوع يجب رده وتكذيبه، ونوع يجب تأويله وإخراجه عن حقيقته، ونوع يقر.

أنواع خبر الرسول
عند المتكلمين

(١) ظ، م : (هل)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م : (فإنه).

وليس لهم في ذلك أصل يرجعون إليه بل هذا يقول:
ما أثبتته عقلك فأثبتته، وما نفاه عقلك فانفه، وهذا يقول:
ما أثبتته كشفك فأثبتته، وما لا فلا.

ووجود الرسول عندهم كعدمه، في المطالب الإلهية
ومعرفة الربوبية، بل على قولهم وأصولهم وجوده أضر من
عدمه؛ لأنهم لم يستفيدوا من جهته علماً بهذا الشأن واحتاجوا
إلى دفع ما جاء به، إما بتكذيب وإما بتأويل وإما بإعراض
وتفويض.

فإن قيل: لا يمكن أن يعلم أنه أخبر بما ينافي العقل،
فإنه منزّه عن ذلك وهو ممتنع عليه.

قيل: هذا إقرار باستحالة معارضة العقل للسمع
واستحالة المسألة، وعلم أن جميع أخباره لا يناقض العقل
فيها شيء.

فغدا^(١) النقل سالمًا من مناف

واسترحنا من الصداع جميعاً

فإن قيل: بل المعارضة ثابتة بين العقل وبين ما يفهم^(٢)
بظاهر اللفظ وليست ثابتة بين العقل وبين نفس ما أخبر به
الرسول، فالمعارضة ثابتة بين العقل وبين ما يظهر أنه دليل

(١) غدا بمعنى صار.

(٢) م: (ما يفهمه ظاهر اللفظ).

وليس بدليل، وأن يكون دليلاً ظنياً، لتطرق^(١) الظن إلى بعض مقدماته إسناداً أو متناً.

[٨٧/١]

قيل: وهذا^(٢) / يرفع صورة المسألة ويحيلها بالكلية وتصير صورتها هكذا: إذا تعارض الدليل العقلي وما ليس بدليل صحيح وجب تقديم العقلي.

وهذا كلام لا فائدة فيه، ولا حاصل له، وكل عاقل يعلم أن الدليل لا يترك لما ليس بدليل، ثم يقال: إذا فسرتم الدليل السمعي بما ليس بدليل في نفس الأمر بل اعتقاد دلالة جهل أو بما يظن أنه دليل وليس بدليل، فإن كان السمعي في نفس الأمر كذلك، لكونه خبيراً مكذوباً أو صحيحاً وليس فيه ما يدل على معارضة القول بوجه، وأثبتتم التعارض والتقديم بين هذين النوعين فساعدناكم عليه، وكنا بذلك منكم فإننا أشد نفياً للأحاديث المكذوبة على رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأشد إبطالاً لما تحمله من المعاني الباطلة وأولى بذلك منكم.

وإن كان الدليل السمعي صحيحاً في نفسه، ظاهر الدلالة بنفسه على المراد، لم يكن ما عارضه من العقليات إلا خيالات فاسدة ومقدمات كاذبة، إذا تأملها العاقل حق التأمل ومشى إلى آخرها وجدها مخالفة لصريح المعقول، وهذا ثابت في كل دليل عقلي خالف دليلاً سمعياً صحيحاً

(١) م: (في تطرق).

(٢) م: (هذا).

الدلالة، وحينئذ فإذا عارض هذا المسمى دليلاً عقلياً السَّمْعَ
وجب إطراره لفساده وبطلانه .

ولبيان العلم ببطلانه طريقان : كلي، وجزئي .

أما الكلي فنقطع بأن كل دليل عقلي خالف السمعي^(١)
الصريح الصحيح فهو باطل في نفسه مخالف للعقل
قبل أن ينظر في مقدماته .

أما الجزئي، فإنك إذا تأملت جميع ما يدعوك به
معارض السمع وجدته ينتهي إلى مقدمات باطلة بصريح
العقل لكن تلقاها مَعُودٌ عن مَعُودٍ^(٢) . فظنوها عقليات وهي
في التحقيق جهل مركب وحينئذ فالواجب تقديم الدليل
السمعي للعلم بصحته وما عارضه فإما معلوم البطلان
وإما غير معلوم الصحة وذلك أحسن أحواله .

الوجه الثامن :

إنه إذا اعتقد في الدليل السمعي أنه ليس بدليل في
نفس الأمر، بل اعتقاد دلالة على مخالف ما زعمتوه من
العقل جهل، أمكن اتباع الرسل المصدقين بما جاءوا به^(٣)
أن يعتقدوا في أدلتكم العقلية أنها ليست بأدلة في نفس
الأمر وأن اعتقاد دلالتها جهل ويرمون أدلتكم بما رميتم به

بيان بطلان قولهم إن
الدليل السمعي
ليس بدليل في نفس
الأمر

(١) م : (السمع) .

(٢) قال اللحياني : العوادة من عيادة المريض . والمعنى : تلقاها مَعُودٌ عن مَعُودٍ أي مريض
عن مريض . فالمقصود : الذي يعاد ويزار من عيادة المريض . لسان العرب ٣١٥٩/٤ .

(٣) ظ ، م : (جاء)، والصواب ما أثبتته .

الأدلة السمعية ثم الترجيح من جانبهم من وجوه متعددة وكانوا في هذا الرمي أحسن حالاً^(١) منكم وأعذر.

فإن معهم من البراهين الدالة على صحة ما أخبر به السمع إجمالاً وتفصيلاً من المعقول أصح مما معكم، ولا تذكرون معقولاً يعارض ما ورد به الوحي، إلا ومعهم معقول أصح منه يصدقه. ويؤيده:

الوجه التاسع:

أن يقال: لو قدر تعارض الشرع والعقل لوجب تقديم الشرع؛ لأن العقل قد صدق الشرع ومن ضرورة تصديقه له قبول خبره، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدق الشرع موقوف على كل ما يخبر به العقل، ومعلوم أن هذا المسلك إذا سلك أصح من مسلكهم، كما قال بعض أهل الإيمان: يكفيك من العقل أن يعرفك صدق الرسول، ومعاني كلامه، ثم يخلي بينك وبينه.

وقال آخر: العقل سلطان ولى الرسول، ثم عزل نفسه، ولأن العقل دل على أن الرسول يجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، ولأن العقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة ولا يدل على صدق قضايا نفسه دلالة عامة، ولأن العقل يغلط كما يغلط الحس، وأكثر من غلظه بكثير، فإذا كان حكم الحس من أقوى الأحكام، ويعرض فيه من الغلط ما يعرض، فما الظن بالعقل؟

(١) ظ، م: (حال).

الوجه العاشر :

بيان أن العقل مع
الوحي كالعالمي
المقلد مع المفتي

إن العقل مع الوحي كالعالمي المقلد مع المفتي العالم، بل ودون ذلك بمراتب كثيرة لا تحصى، فإن المقلد يمكنه أن يصير عالماً، ولا يمكن للعالم أن يصير نبياً رسولاً، فإذا عرف المقلد [عالماً فدل عليه مقلداً آخر، ثم اختلف المفتي والبدال فإن] (١) المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي دون المقلد الذي دله (٢) وعرفه بالمفتي.

فلو قال له الدال: الصواب معي دون المفتي؛ لأنني أنا الأصل في علمك بأنه مفت، فإذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرفت أنه مفت فلزم القدح في فرعه. فيقول له المستفتي: أنت لما شهدت بأنه مفت، ودللت على ذلك، شهدت بوجوب تقليده، دون تقليدك، كما شهد به دليلك، وموافقتي لك في هذا العلم المعين لا تستلزم موافقتك في كل مسألة، وخطأك فيما خالفت فيه المفتي الذي هو أعلم منك لا يستلزم خطأك في علمك بأنه (٣) مفت، وأنت إذا علمت أنه مفت باجتهاد واستدلال، ثم خالفته باجتهاد واستدلال كنت مخطئاً الاجتهاد

(١) ظ، م: (إذا عرف المقلد رجلاً بأنه أهل المقلد الذي دل غيره بأن)، والصواب ما أثبتته.

انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٣٨؛ وشرح الطحاوية، ص ١٢٩، بتحقيق الشيخ محمد ناصرالدين الألباني.

(٢) ظ، م: (دل).

(٣) م: (لأنه).

والاستدلال الذي خالفت به من يجب عليك تقليده واتباع قوله، وإن أصبت في الاجتهاد / والاستدلال الذي به علمت أنه مفت مجتهد يجب عليك تقليده، هذا مع علمه بأن المفتي يجوز عليه الخطأ، والعقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله ولا يجوز عليه الخطأ^(١).

الوجه الحادي عشر:

بيان أن الدال على صحة الشيء لا يجب أن يكون أصلاً له

إن الدليل الدال على صحة الشيء أو ثبوته أو عدالته أو قبول قوله، لا يجب أن يكون أصلاً له بحيث إذا قدم قول المشهود له، والمدلول عليه على قوله، يلزم إبطاله، وهذا لا يقوله من يدري ما يقول غاية ما يقال: إن العلم بالدليل أصل للعلم بالمدلول^(٢) فإذا حصل العلم بالمدلول لم يلزم من ذلك تقديم الدليل عليه في كل شيء، فإذا شهد الناس لرجل بأنه خبير بالطب أو التقويم أو العيافة دونهم، ثم تنازع الشهود والمشهود له في ذلك، وجب تقديم قول المشهود له فلو قال: نحن شهدنا لكم وزكيناكم، وبشهادتنا ثبتت أهليتكم فتقديم قولكم علينا والرجوع إليكم دوننا، يقدح في الأصل الذي ثبت به قولكم.

قالوا لهم: أنتم شهدتم بما علمتم أنا أهل لذلك دونكم، وأن أقوالنا فيه مقبولة دون أقوالكم، فلو قدمنا

(١) هذا النص في درء تعارض العقل والنقل ١/١٣٨، ١٣٩ ونقله شارح الطحاوي،

ص ٢١٩.

(٢) م: (بالدليل).

قولكم على أقوالنا فيما اختلفنا فيه، لكان ذلك قدحاً في
شهادتكم وعلمكم بأننا أعلم منكم، وحيثُذ فهذا:

وجه ثاني عشر:

مستقل بكسر هذا الطاغوت وهو أن تقديم العقل على
الشرع يتضمن القدح في العقل والشرع؛ لأن العقل قد شهد
للوحي^(١) بأنه أعلم منه وأنه لا نسبة له إليه، وأن نسبة
علومه ومعارضه إلى الوحي، أقل من خردلة بالإضافة إلى
جبل أو تلك [التي]^(٢) تعلق بالأصبع بالنسبة إلى البحر، فلو
قدم حكم العقل عليه لكان ذلك قدحاً في شهادته، وإذا
بطلت شهادته بطل قبول قوله، فتقديم العقل على الوحي،
يتضمن القدح فيه وفي الشرع وهذا ظاهر لا خفاء به
يوضحه:

بيان أن تقديم العقل
على الشرع يتضمن
القدح في العقل
والشرع

(الوجه) (٣) الثالث عشر:

وهو أن الشرع مأخوذ عن الله بواسطة الرسولين الملكي
والبشري بينه وبين عبادته مؤيداً بشهادة الآيات وظهور
البراهين على ما يوجهه العقل ويقتضيه تارة، ويستحسنه
تارة، ويجوزه تارة، ويكع^(٤) عن دركه تارة، ولا سبيل له إلى

بيان أن الشرع من
عند الله لا مجال
للعقل فيه

(١) م: (له الوحي).

(٢) (التي): ليست في ظ ولا م، وبها تستقيم العبارة.

(٣) (الوجه): سقط من م.

(٤) الكع: وزنه فعل، والكاع: الضعيف العاجز.

قال ابن المظفر: رجل كعكاع وهو الذي لا يمضي في عزم ولا حزم وهو الناكص على

عقبه. والمعنى: ويعجز العقل عن إدراكه تارة.

لسان العرب ٣٨٩٠/٥٠، ٣٨٩١ مادة (كع).

الإحاطة به، ولا بد له من التسليم والانقياد لحكمه والإذعان والقبول، وهناك يسقط «لم»، ويبطل «كيف»، ويزول «هلا»، ويذهب «لو»، «وليت» في الريح لأن هذه المواد عن الوحي محبوسة^(١)، واعتراض المعارض عليه مردود واقتراح المقترح ما يظن أنه أولى منه سفه وجهل، فالشريعة^(٢) مشتملة على أعلى أنواع الحكمة علماً وعملاً التي لو جمعت حكم جميع الأمم ونسبت إليها لم يكن لها إليها نسبة، وهي متضمنة لأعلى المطالب بأقرب الطرق وأتم البيان، فهي متكفلة^(٣) بتعريف الخليقة بها^(٤) وفاطرها المحسن إليها بأنواع الإحسان بأسمائه وصفاته وأفعاله وتعريف الطريق الموصل إلى رضاه وكرامته والداعي لديه، وتعريف حال السالكين بعد الوصول إليه، ويقابل هذه الثلاثة تعريفهم حال الداعي إلى الباطل، والطرق الموصلة إليه، وحال السالكين تلك الطرق وإلى أين تنتهي بهم، ولهذا تقبلها العقول الكاملة أحسن تقبل^(٥) وقابلتها^(٦) بالتسليم^(٧) والإذعان واستدارة حولها بحماية حوزتها والذب عن سلطانها.

فبين ناصر باللغة السائغة، وحام بالعقل الصريح،

(١) ظ، م: (محبوسة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (وجهله الشريعة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) م: (متكفلة).

(٤) م: (وبها).

(٥) ظ: (تقبيل).

(٦) ظ، م: (قابلها).

(٧) م: (للتسليم).

وذاب عنه بالبراهين، ومجاهد بالسيف والرمح والسنان، ومتفقه في الحلال والحرام، ومعين بتفسير القرآن، وحافظ لمتون السنة وأسانيدها، ومفتش عن أحوال^(١) رواتها، وناقد لصحتها من سقيمها، ومعلوها من سليمها، فهي الشريعة ابتداءؤها من الله، وانتهاءها إليه، فمنه بدأت وإليه تعود، ليس فيها حديث المنجم في تأثيرات الكواكب وحركات الأفلاك وهيأتها ومقادير^(٢) الأجرام، ولا حديث التربيع والتثليث والتسديس^(٣) والمقارنة^(٤)، ولا حديث صاحب الطبيعة الناظر في آثارها واشتباك الاستقصات^(٥) وامتزاجها وقواها، وما يتعلق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة

(١) ظ، م: (مقيس على أحوالها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) م: (مقاديرها).

(٣) ظ، م: (التدليس)، والصواب ما أثبت. انظر: مفاتيح العلوم، ص ١٣٤؛ والامتناع والمؤانسة ٧/٢.

(٤) هذه المصطلحات في أحوال القمر مع الشمس ففي الليلة الحادية والعشرين يصير القمر في تربيع الشمس ومعنى التربيع: أن يصير منه على ربع الفلك والتثليث: أن يصير منه على ثلث الفلك. والتسديس أن يصير منه على سدس الفلك.

والمقارنة: معنى القرآن: اجتماع زحل والمشتري خاصة إذا أطلقت فإذا عني قران كوكبين آخرين قيد بذكرهما، قلت: ولعل المراد هنا الشمس والقمر لدلالة السياق. وقد تكون الكلمة محرفة عن: المقابلة وهي أن يصير منه على نصف الفلك. مفاتيح العلوم للخوارزمي، ص ١٣٤؛ الإمتاع والمؤانسة ٧/٢.

(٥) الاستقصات: الاستقص والاسطقس، لفظ يوناني بمعنى الأصل والمقصود به إصطلاحاً العنصر، وهي العناصر الأربعة عندهم الماء والتراب والهواء والنار، وسميت بذلك لأنها أصول المركبات التي هي الحيوانات والنباتات والمعادن. دستور العلماء ٣٨٢/٢؛ المعجم الفلسفي ٧٨/١.

وما الفاعل منها وما المنفعل، وكم درجاتها وإلى أين تسري قواها، ولا فيها حديث المهندس الباحث عن مقادير الأشياء ونقطتها، وخطوطها، وسطوحها، وأجسامها، وأضلاعها، وزواياها، ومعاطفها، وما الكرة، وما الدائرة، وما الخط المستقيم والمنحني، ولا فيها هذيان المنطقيين، وتحذلقهم^(١) في النوع والجنس والفصل والخاصة، والعرض العام^(٢)،

(١) ظ: (وبحولقم) وقال الناسخ: معنى التحذلق فقال: أي المظهرين الحذق المدعين أكثر مما عندهم.

(٢) هذه هي الكليات الخمس وتعرف بأنها ألفاظ كلية يتضمن معناها العام حقائق جزئية خارجية وهي قسمان:

(أ) ذاتي، ويشمل:

- ١ - الجنس: وهو المقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ما هو؟
- ٢ - النوع: وهو المقول على كثيرين متفقين في الحقيقة في جواب ما هو؟
- ٣ - الفصل: وهو كلي يقال على الشيء في جواب أي شيء هو في ذاته؟

(ب) عرضي، ويشمل:

- ٤ - الخاصة: وهي كلية تقال على ما تحت حقيقة واحدة فقط قولاً عرضياً.
- ٥ - العرض العام: وهو كلي يقال على ما تحت حقائق مختلفة قولاً عرضياً.

مثال ذلك: الإنسان حيوان مفكر ضاحك يمشي على رجلين

فإنسان: جنس

حيوان: نوع

مفكر: فصل

وضاحك: خاصة

ويمشي على رجلين: عرض عام

التقريب لحد المنطق، ص ١٦ - ٣٦.

ضوابط المعرفة، ص ٣٥ - ٣٧.

مدخل إلى علم المنطق، ص ٧٠ - ٧٣.

والمقولات العشر^(١)،

(١) المقولات العشر هي (الجوهر والكم والكيف والأين والمتى، والوضع والملك والإضافة وأن يفعل وأن ينفعل).

فكليات المعاني التي يعبر عنها بالقول إيجاباً أو سلباً ترجع إلى هذه الأصول العشرة، ولذا سميت بالمقولات نظراً إلى أنها تقال أي - يعبر عنها بالقول.

وتنقسم الموجودات إلى جواهر وأعراض فالجواهر تدخل تحت المقولة الأولى «مقولة الجوهر» والأعراض تنقسم إلى المقولات التسع الباقية:

١ - مقولة الكم: وهي كل شيء يمكن قياسه أو عدده ويكون فيه السؤال بكم مثل خمسة أمتار وكيلو غرام.

٢ - مقولة الكيف: وهي الهيئة المستقرة الثابتة، ويكون السؤال - فيها بكيف فالكيف مثلاً في شكل المثلث هو الهيئة الحاصلة من كون أضلاعه ثلاثة.

٣ - مقولة الأين: هي ما كان جواباً للسؤال بأين؟ وتسمى مقولة المكان مثل أين محمد؟ فتقول في المسجد.

٤ - مقولة المتى: وهي ما كان جواباً للسؤال بمتى؟ وتسمى مقولة الزمان مثل متى جئت؟ فتقول البارحة.

٥ - مقولة الوضع: وهي هيئة الشيء وكيفية وجوده مثل واقف، جالس، راعع تقول محمد واقف.

٦ - مقولة الإضافة (العلاقة): وهي الطريقة التي يرتبط بها شيء مع غيره من الأشياء مثل: علي أكبر من محمد.

٧ - مقولة الملك (وهي من الامتلاك): وهي هيئة تعرض للجسم بسبب جسم آخر يحيط به أو بجزء منه مثل محمد منتعل أو مسلح.

٨ - مقولة الفعل (أن يفعل): ويراد به تأثير الجوهر في غيره مثل تحرقه النار.

٩ - مقولة الانفعال (أن ينفعل): ويراد به تأثر الشيء بغيره مثل محمد يضرب.
مثال ذلك الماء:

١ - ذات الماء من مقولة الجوهر.

٢ - كونه لتراً من مقولة الكم.

٣ - كونه سائلاً أو حاراً من مقولة الكيف.

٤ - كونه مخلوقاً من مقولة الإضافة.

والمختلطات والموجهات^(١) الصادرة عن رجل مشرك من يونان كان يعبد الأوثان ولا يعرف الرحمن، ولا يصدق بمعاد الأبدان، ولا أن الله يرسل رسولاً بكلامه إلى نوع الإنسان، فجعل هؤلاء المعارضين بين العقل والنقل عقل هذا الرجل عياراً على كتب^(٢) الله المنزلة، وما أرسل به / رسله^(٣) فما زكاه منطقته وآلته، وقانونه الذي وضعه بعقله قبلوه، وما لم يزكه تركوه ولو كانت هذه الأدلة التي أفسدت عقول هؤلاء وأتباعهم صحيحة لكان صاحب

[١٩/١]

= ٥ - كونه في الإناء من مقولة الأين .

٦ - كونه موجوداً في زمان كذا من مقولة المتى .

٧ - كون إنائه سويّاً غير مائل من مقولة الوضع .

٨ - كون إنائه مغطى بغطاء من مقولة الملك .

٩ - كونه الآن بالفعل يروي شاربه من مقوله أن يفعل .

١٠ - كون شاربه الآن يرتوي به فعلاً من مقولة أن يفعل .

منطق أرسطو، ص ٦ - ٣٨؛ ضوابط المعرفة، ص ٣٣٩ - ٣٤٥؛ مدخل إلى علم المنطق، ص ٣٠ - ٣٣ .

(١) المختلطات: لم أجد هذا المصطلح في كتب الفلسفة والمنطق التي اطلعت عليها ولعلها معرفة عن المتداخلات أو المغالطات أو المطلقات .

الموجهات: جمع موجهة وهي القضية التي تعبر عن الجهة أو الحالة التي تربط فيها الرابطة المحمول بالموضوع مثال:

محمد يجري (قضية مجردة) .

محمد يجري بسرعة (قضية موجهة) .

المنطق الصوري، ص ٢٣٢ تأليف علي سامي النشار؛ المنطق محمد رضا المظفر، ص ١٥٨؛ حاشية العطاء على شرح التهذيب، ص ١٦٤ .

(٢) ظ: (اكتب) .

(٣) م: (رسوله) .

الشريعة يقوم شريعته بها ويكملها، باستعمالها، وكان الله سبحانه يثيبه عليها، ويحض على التمسك بها ويتقدم إلى عباده بالتمسك بها ويعلمها وتعليمها ويفرض عليهم القيام بها.

فيا للعقول التي لم يخسف بها أين الدين من الفلسفة؟ وأين كلام رب العالمين إلى آراء اليونان والمجوس^(١) وعباد الأصنام والصابئين^(٢)، وأين المعقولات المؤيدة بنور النبوة إلى المعقولات المتلقاة عن أرسطو^(٣) وأفلاطون^(٤)^(٥) والفارابي^(٦) وابن سينا^(٧) وأتباع هؤلاء من لا يؤمن بالله ولا صفاته ولا أفعاله ولا ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟، وأين العلم المأخوذ عن الوحي النازل من عند رب العالمين من الشبه المأخوذة عن آراء المتهوكين والمتحيرين؟ فإن أدلوا بالعقل فلا عقل أكمل من عقول ورثة الأنبياء، وإن أدلوا برؤسائهم وأئمتهم، كفرعون^(٨) ونمرود^(٩)

(١) سبق التعريف بهم، ص ٣٤٩.

(٢) سبق التعريف بهم، ص ١٦٢.

(٣) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٣.

(٤) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٤.

(٥) ظ: (أفلاطن).

(٦) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٥.

(٧) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٦٤.

(٨) ظ: (كفروعون).

(٩) سبق. ص ٧٦٢.

وبطليموس^(١) وأرسطاطاليس^(٢) ومقلدتهم وأتباعهم فلم يزل أعداء الرسل يعارضونهم فهؤلاء وأمثالهم، يقدمون^(٣) عقولهم على ما جاءوا به، وبالله العجب كيف يعرض قول الرسول بقول الفيلسوف وعلى الفيلسوف أن يتبع الرسل، وليس على الرسل أن تتبع الفيلسوف، فالرسول مبعوث والفيلسوف مبعوث إليه، والوحي حاكم، والعقل محكوم عليه، ولو كان العقل يكتفي به لم يكن للوحي فائدة، ولا غنى على أن منازل الحق متفاوتة في العقل أعظم تفاوت، وأبصارهم مختلفة وليس العقل بأسره في واحد من الناس أو طائفة معينة حتى يكون تقديم عقولهم على^(٤) ما جاءت به الرسل بل لكل طائفة معقول مخالف معقول الأخرى فمن أظلم وأشد عداوة للرسول ممن جوز لكل طائفة من طوائف العقلاء أن يقدم عقولها على ما جاءت به الرسل، فإن قالوا:

(١) هو بطليموس كلوديوس بطليموس يوناني مصري نشأ في الاسكندرية في الربع الثاني من القرن الثاني الميلادي عالم من علماء الفلك والجغرافيا والرياضة من كتبه «المجسطي» وهو يبحث في الفلك والرياضة وهو عبارة عن ثلاث عشرة مقالة وقد ترجمه إلى العربية «يحيى بن خالد بن برمك» وشرحه الفضل بن أبي حاتم التبريزي واختصره أبو الريحان البيروني الخوارزمي.

قال ابن القفطي: «ولا يعرف كتاب ألف في علم من العلوم قديما وحديثا فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحدها كتاب «المجسطي» هذا في علم هيئة الفلك وحركات النجوم والثاني «كتاب أرسطوطاليس في علم صناعة المنطق» والثالث «كتاب سيبويه البصري في علم النحو العربي».

أخبار الحكماء، ص ٦٧ - ٦٩؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص ٣٨١.

(٢) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٣.

(٣) ظ، م: (ويقدمون)، ولعل الصواب حذف الواو.

(٤) ظ، م: (عاما).

إنما نقدم العقل الصريح الذي لم يختلف فيه اثنان^(١) على نصوص الأنبياء، فقد رموا الأنبياء بما هم أبعد الخلق منه وهو أنهم جاءوا بما يخالف العقل الصريح الذي لا يختلف فيه اثنان، وهذا وقد شهد الله - وكفى به شهيدا - وشهد بشهادته الملائكة وأولو العلم أن طريقة الرسل هي الطريقة البرهانية المتضمنة للحكمة كما قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٤]:

وقال:

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ^(٢) عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

[النساء: ١١٣].

فالطريقة البرهانية هي الواردة بالوحي الناطقة بالرشد^(٣) الداعية إلى الخير، الواعدة بحسن المآب^(٤) المينة لحقائق الأنبياء، المعرفة بصفات رب الأرض والسماء^(٥)، وأن التقليدية التخمينية الخرصية هي المأخوذة من المقدمتين والنتيجة والدعوى التي ليس مع أصحابها إلا الرجوع إلى رجل من يونان^(٦) كان يعبد الأوثان ويحجد الرحمن^(٧)،

(١) ظ: (إثبات).

(٢) (لفظ الجلالة): سقط من ظ، م.

(٣) ظ، م: (للرشد)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) م: (المآل).

(٥) م: (والسماوات).

(٦) ظ، م: (فإن كان)، ولعل الصواب حذف فإن.

(٧) ظ: (بالرحمن).

فوضع بعقله قانوناً يصحح به بزعمه علوم الخلائق وعقولهم فلم يستفد به عاقل تصحيح مسألة واحدة في شيء من علوم بني آدم، بل ما وزن به علم إلا أفسده، وما برع فيه أحد إلا انسلخ من حقائق الإيمان كانسلاخ القميص عن الإنسان فما استفيد بهذا العقل العائل إلا تعطيل الصانع عن صفات كماله، ونعوت جلاله وعن أفعاله، والكفر بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. ومن العجب أن هؤلاء الأوقاح جعلوا نصوص الأنبياء من باب الظنون وهي من الوحي، وجعلوا كلمات المنطقيين وقواعد الفلاسفة والجهمية من باب اليقين، ثم عارضوا بينهما وقدموا هذا على نصوص الأنبياء، فالشريعة ظهرت من الله على لسان أكمل الخلق عقلاً، وأعظمهم معرفة وأتمهم يقيناً وعقلياتكم ظهرت من جهة رجال فكروا وقدروا وظنوا وخرصوا وتعبوا، وما أغنوا ونصبوا وما أخذوا، وحاموا وما وردوا، ونسجوا فهلهلوا، ومشطوا ففلفلوا^(١).

سافروا في درك المطالب العالية على غير الطريق فما

(١) فلفلوا: الفلفل: نبت معروف وأصل الكلمة فارسية قال في اللسان وشعر مفلفل: إذا اشتدت جعودته.

وتفلفل شعر الأسود: اشتدت جعودته.

لسان العرب ٣٤٦٦/٥ - ٣٤٦٧، مادة (فلفل).

وقد وردت بعض عبارات هذا النص في كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان ٦/٢ في مقالة لأبي سليمان المنطقي (محمد بن بهرام) يصف فيها رسائل إخوان الصفا حيث قال: تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجدوا وحاموا وما وردوا وغنوا وما أطربوا ونسجوا فهلهلوا، ومشطوا ففلفلوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع...».

ربحوا إلا أذى^(١) السفر، وبعثوا في البلاد بغير دليل، فلم يقفوا للمطلوب على عين ولا أثر.

رضوا بالدعاوى وابتلوا بخيالهم

وخاضوا بحار الفكر، والقوم ما ابتلوا

فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم

وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا

لهم كل وقت حيرة بعد حيرة

وجهل على جهل فلا بورك الجهل

الوجه الرابع عشر:

إن الأمة اختلفت ضرورياً من الاختلاف في الأصول والفروع وتنازعوا فنوناً من التنازع في المشكل من الأحكام والحلال والحرام والتفسير والتأويل والأخبار، وتفرقت في آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافاً وفرقاً كالخوارج^(٢) والشيعة^(٣) والمرجئة^(٤) والمعتزلة فما فرقت طوائف من طوائف الأمة في اختلافها إلى منطق ولا فيلسوف ولا إلى عقل يخالف صريح النقل ولا قالت طائفة من هذه الطوائف عقولنا / مقدمة على ما جاء به الرسول، وإن أشقوا مذاهبهم بالتأويل بما جاء به، فلم تقدم طائفة منهم على ما أقدمت عليه هذه الفرقة وقالوا: العقل أولى بالإتباع مما جاء به

بيان أنه رغم ما وقع في الأمة من اختلاف فلم يقل أحد منهم بتقديم العقل على الشرع

[٩٠/١]

(١) ظ: (الأذى).

(٢) سبق التعريف بها، ص ٣٠٦.

(٣) سبق التعريف بها، ص ٢١٦.

(٤) سبق التعريف بها، ص ٢٣٢.

الرسول ولا قالت فرقة من هذه الفرق لأصحاب هذه العقولات: أعينونا بما عندكم وأشهدوا لنا وعلينا بما قبلكم ولا حققت مقالتها بشهادتهم ولا استعانت بطريقتهم ولا وجدت عندها علماً ومعرفة لم تجده في كتاب ربها وسنة نبيها وكما لم تجد أحداً من فرق هذه الأمة يفرع إلى أرباب هذه العقول في شيء من دينها فلذلك كانت أمة موسى وعيسى لم تعول على هؤلاء في شيء من أمر دينها بل ما زال أهل الملل يحدرون من هؤلاء أشد التحذير وينفرون منهم أشد التنفير علماً بأنهم سوس الملل^(١) وأعداء الرسل، وأنت إذا تأملت أصول الفرق الإسلامية كلها وجدتها متفقة على تقديم الوحي على العقل ولم يؤسسوا مقالاتهم على ما أسسها عليه هؤلاء من تقديم آرائهم وعقولهم على نصوص الوحي، فإن هذا أساس طريقة أعداء الرسل فهم متفقون على هذا الأصل، ومنهم أخذ، وعنهم تلقي كما حكى الله سبحانه عنهم في كتابه أنهم عارضوا شرعه ودينه بآرائهم وعقولهم ولكن الفرق بينهم وبين هؤلاء [أن]^(٢) أولئك جاهرُوا بتكذيب الرسل ومعاداتهم وهؤلاء أقروا برسالاتهم وانتسبوا في الظاهر إليهم ثم نقضوا ما أقروا به وقالوا: يجب تقديم عقولنا وآرائنا على ما جاءوا به، فهم أعظم ضرراً على الإسلام وأهله من أولئك! لأنهم انتسبوا إليه وأخذوا في هدم قواعده وقلع أساسه وهم يتوهمون ويوهمون أنهم ينصرونه.

(١) ظ، م: (الملك).

(٢) (أن): ليست في ط ولا م، وبها تستقيم العبارة.

الوجه الخامس عشر:

بيان أن الفرق بين هؤلاء وبين الرسل أعظم بكثير من الفرق بين أجهل الناس وبين هؤلاء

إن التفاوت الذي بين الرسل وبين أرباب هذه المعقولات أعظم بكثير من التفاوت الذي بين هؤلاء وبين أجهل الناس على الإطلاق، فإن هذا الجاهل يمكنه مع الطلب والتعليم أن يصير عالماً بما عند هؤلاء، ولا يمكن أشد هؤلاء حرصاً وذكاء وقوة وفراغاً أن يصير نبياً؛ فإن النبوة خاصة من الله يختص بها من يشاء من عباده، لا تنال بكسب ولا باجتهاد، فإذا علم الإنسان بعقله أن هذا الرسول وعلم أنه أخبر بشيء، ووجد في عقله ما ينافي خبره كان الواجب عليه أن يسلم لما أخبر به الصادق الذي هو أعلم منه. وينقاد له ويتهم عقله ويعلم أن عقله بالنسبة إليه أقل من عقل أجهل الخلق بالنسبة إليه هو، وأن التفاوت الذي بينها في العلم والمعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه أعظم بكثير كثير من التفاوت الذي بين [من] (١) لا خبرة له بصناعة الطب، ومن هو أعلم أهل زمانه بها فيالله العجب إذا كان عقله يوجب عليه أن ينقاد لطبيب يهودي فيما يخبر به من قوى الأدوية والأغذية والأشربة والأضمدة والمسهلات (٢) وصفاتها وكمياتها ودرجاتها مع (٣) ما عليه في ذلك من الكلفة والألم ومقاساة المكروهات لظنه أن هذا اليهودي أعلم بهذا الشأن منه، وأنه إذا صدقه كان في تصديقه حصول الشفاء والعافية

(١) (من): ليس في ظ، م وبه تستقيم العبارة.

(٢) ظ: (المستهلات).

(٣) ظ، م: (معها).

مع علمه بأنه يخطئ كثيراً وأن كثيراً من الناس لا يشفى بما يصفه الطبيب بل يكون استعماله لما يصفه سبباً من أسباب هلاكه، وأن أسباب الموت أغلاط الأطباء، فكم لهم من قتيل أسكنوه المقابر بغلظهم وخطئهم؟ وإن كان خطأ الطبيب إصابة المقادير، وكيف لا يسلك هذا المسلك مع الرسل «صلوات الله وسلامه عليهم» وهم الصادقون المصدقون^(١)؟ ولا يجوز أن يكون خبرهم على خلاف ما أخبروا به والذين عارضوا أقوالهم بعقولهم عندهم من الجهل والضلال المركب والبسيط ما لا يحصيه إلا من هو بكل شيء محيط.

الوجه السادس عشر:

أن يقال تقديم العقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف فوجب الثاني وامتنع الأول: بيانه أن يكون الشيء معلوماً بالعقل أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيدا قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر^(٢) بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال تعقله ما يجمله في وقت آخر والمسائل التي يقال: قد تعارض فيها العقل والشرع جميعاً قد اضطرب فيها أرباب العقل. ولم يتفقوا فيها على أمر واحد بل كل منهم يقول: إن العقل أثبت أو أوجب أو سوغ ما يقول الآخر أن العقل نفاه

بيان أن تقديم العقل
على النقل ممتنع
متناقض

(١) ظ: (المصدقون).

(٢) ظ، م: (ممكن)، وما أثبتته من درء تعارض العقل والنقل ١/١٤٤.

أو أحاله أو منع منه بل قد آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون إنه من العلوم الضرورية فيقول هذا: نحن نعلم بالضرورة العقلية ما يقول الآخر: إنه غير معلوم بالضرورة العقلية وأبلغ من هذا أن يدعي بعضهم أن هذا محال بضرورة^(١) العقل فيدعي الآخر أنه ممكن بضرورة العقل فأكثر العقلاء / يقولون: نحن نعلم بضرورة العقل امتناع رؤيا مرثي^(٢) من غير معاينة ومقابلة ويقول آخرون من المنتسبين إلى المعقولات: بل ذلك ممكن لا يحيله العقل.

[٩١/١]

ويقول أكثر العقلاء: نحن نعلم أن حدوث حادث بلا سبب حادث ممتنع. ويقول آخرون: بل ذلك ممكن.

ويقول أكثر العقلاء: إن كون العالم عالماً بلا علم وحيّاً بلا حياة، ومريداً بلا إرادة، وسميماً بصيراً بلا سمع ولا بصر محال بضرورة العقل وآخرون يقولون: بل هو ممكن غير مستحيل، بل هو الواجب في حق الله عز وجل.

ويقول جمهور العقلاء: أن يكون المعنى الواحد أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً ممتنع في ضرورة العقل.

وآخرون يقولون: هو ممكن واقع.

وجمهور العقلاء يقولون: إن إثبات موجودين قائمين بأنفسهما ليس أحدهما مابيناً للآخر ولا محايثاً له^(٣) ولا داخلاً

(١) ظ: (بالضرورة).

(٢) ظ: (روى مري).

(٣) ظ، م: (محايثاً)، ولعل الصواب ما أثبتته.

فيه ولا خارجاً عنه ولا متصلاً به، ولا منفصلاً عنه مكابرة لصريح العقل وآخرون يقولون: بل هو ممكن واجب في العقل.

وجمهور العقلاء يقولون: إن إثبات كون المرید مریداً بإرادة لا في محل ممتنع في ضرورة العقل وآخرون ينازعونهم في ذلك وجمهور العقلاء يقولون: إن الحروف والأصوات من المتكلم الواحد مقترنة بعضها ببعض في آن واحد محال بضرورة العقل.

وآخرون يقولون: بل هو ممكن بل واجب في حق القديم إلى أضعاف أضعاف ما ذكرنا فلو قيل بتقديم العقل على نصوص الوحي وهذا شأن العقل لزم المحال واجتماع النقيضين^(١) أو أحييل^(٢) الناس على شيء لا سبيل لهم إلى ثبوته ومعرفته.

وأما الوحي فهو قول الصادق وهو صفة لازمة لا تختلف باختلاف أحوال الناس والعلم بذلك ممكن ورد الناس إليه ممكن ولهذا جاء الوحي من الله سبحانه برد الناس عند التنازع إلى كتابه وسنة رسوله كما قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

(١) سبق، انظر: ص ٢٩٥.

(٢) ظ، م: (أو جبل)، والصواب ما أثبتته. انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٤٦.

فأمر المؤمنين عند التنازع بالرد إلى كتابه وسنة رسوله،
وهذا نص في تقديم السمع .

قال هؤلاء: بل الواجب الرد إلى العقل، ورد السمع
إن عارضه ولو رد الناس الأمر عند النزاع إلى عقول الرجال
وآرائهم ومقاييسهم لم يزدهم هذا الرد إلا اختلافاً واضطراباً
وشكاً وارتياباً فلا يمكن الحكم بين الناس في موارد
النزاع^(١)، والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب منزل من
السماء يرجع الجميع إلى حكمه وإلا فكل واحد من أرباب
المعقولات يقول: عقلي أولى بالثقة به من عقل منازعي وهذا
يدلي بمعقول وهذا يدلي بمعقول .

الوجه السابع عشر:

إن الله سبحانه قد تمم الدين بنبيه «صلى الله عليه
وسلم» وأكمّله به ولم يحوجه ولا أمته بعده إلى عقل ولا نقل
سواه ولا رأي ولا منام ولا كشف قال تعالى:

بيان أن الله قد تم
الدين بنبيه ولم يحوج
الأمة بعده إلى عقل
ولا نقل سواه

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأنكر على من لم يكتف بالوحي عن^(٢) غيره، فقال:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ
فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

(١) م: (التنازع).

(٢) ظ، م: (من)، والصواب ما أثبتته.

ذكر هذا جواباً لطلبهم آية تدل على صدقه فأخبر أنه يكفيهم من كل آية فلو كان ما تضمنه من الإخبار عنه وعن صفاته وأفعاله واليوم الآخر يناقض العقل لم يكن دليلاً على صدقه فضلاً عن أن يكون كافياً، وسيأتي في الوجه الذي بعد هذا بيان أن تقديم العقل على النقل يبطل كون القرآن آية وبرهاناً على صحة النبوة والمقصود أن الله سبحانه تمم الدين وأكملة بنبيه وما بعثه به فلم يحوج أمته إلى سواه، فلو عارضه العقل، وكان أولى بالتقديم منه لم يكن كافياً للأمة ولا كان تاماً في نفسه. في مراسيل أبي داود^(١) أن الرسول «صلى الله عليه وسلم» رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة فيها شيء من التوراة فقال: كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتاباً غير كتابهم. أنزل على نبي غير نبيهم، فأنزل الله عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَٰلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
[العنكبوت: ٥١].

(١) روى هذا الحديث بغير هذا اللفظ عند:

الدارمي ١١٥/١، ١١٦.

ورواه أحمد في المسند ٣٨٧/٣.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٢٧/١.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٧/٩.

وانظر: كشف الأستار ٧٨/١، ٧٩.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٤/١: رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما». وذكر له عدة طرق.

وقال الألباني: حسن وذكر طرقه في إرواء العليل ٣٤/٦. وانظر: المشكاة ٦٣/١.

وقال سبحانه :

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
[النساء: ٦٥].

فأقسم سبحانه بنفسه أنا لا تؤمن حتى نحكم رسوله في
جميع ما شجر بيننا، وتتسع صدورنا بحكمه، فلا يبقى منها
حرج، ونسلم لحكمه تسليماً فلا نعارضه بعقل ولا رأي
ولا هوى ولا غيره، فقد أقسم الرب سبحانه بنفسه على^(١)
نفي الإيمان عن^(٢) هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء
به الرسول وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين
بمعناه وإن آمنوا بلفظه وقال تعالى :

﴿وَمَا أَخْلَفْنَا فِيهِ مِن شَيْءٍ فَنَحْكُمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾

[الشورى: ١٠].

وهذا نص صريح في أن حكم جميع ما تنازعنا فيه
مردود / إلى الله وحده، وهو الحاكم فيه على لسان رسوله^(٣)
فلو قدم حكم العقل على حكمه لم يكن هو الحاكم بوحيه
وكتابه وقال تعالى :

[٩٢/١]

﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾

[الأعراف: ٣].

(١) م: (هل).

(٢) ظ، م: (على)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (ورسوله).

فأمر باتباع^(١) الوحي المنزل وحده ونهى عن اتباع ما خالفه وأخبر سبحانه أن كتابه بينة^(٢) وشفاء وهدى ورحمة ونور وفضل وبرهان وحجة وبيان فلو كان للعقل ما يعارضه ويجب تقديمه على القرآن لم يكن فيه شيء من ذلك، بل كانت هذه الصفات للعقل دونه وكان عنها بمعزل فكيف يشفي ويهدي ويبين ويفصل ما يعارضه صريح العقل.

الوجه الثامن عشر:

إن ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء لا يُتصوّر أن يعارضه الشرع البتة، ولا يأتي بخلافه، ومَن تأمل ذلك في ما ينازع العقلاء فيه من المسائل الكبار، وجد ما خالفت النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للنقل، فتأمل ذلك في مسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر والنبوات والمعاد، تجد ما يدل عليه صريح العقل لم يخالفه سمع قط. بل السمع الذي يخالفه إما أن يكون حديثاً موضوعاً، أو لا تكون دلالته مخالفة لما دل عليه العقل.

ونحن نعلم قطعاً أن الرسل لا يخبرون بمحال العقول،

(١) ظ: (بابتا).

(٢) قال الله عز وجل:

﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

وإن أخبروا بمحارات^(١)^(٢) العقول، فلا يخبرون بما يحيله العقل، وإن أخبروا بما يحار فيه العقل ولا يستقل^(٣) بمعرفته، ومن تأمل أدلة نفاة الصفات والأفعال والقدر والحكمة والمعاد، وأعطائها حقها من النظر العقلي علم بالعقل فسادها، وثبوت نقيضها، والله الحمد.

الوجه التاسع عشر:

بيان أن ماورد في الشرع مما يخالف العقل الصريح فهو مكذوب

إن المسائل التي يقال: إنه قد تعارض فيها العقل والسمع من المسائل المعلومة بصريح العقل. كمسائل الحساب والهندسة، والطبيعية اليقينية.

فلم يجيء في القرآن ولا في السنة حرف واحد يخالف العقل في هذا الباب، وما جاء من ذلك فهو مكذوب ومفترى كحديث: «إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق خيلاً فأجراها فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق»^(٤) وحديث «نزوله

(١) محارات العقول: ما يحار فيه العقل.

(٢) محارات ليست في ظ. وانظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٤٧.

(٣) ظ: (يستقبل).

(٤) حديث موضوع والمتهم بوضعه محمد بن شجاع الثلجي فلعنة الله على واضعه قال في

تذكرة الموضوعات كان يضع أحاديث في التشبيه ينسبها للمحدثين يثلبهم بذلك.

انظر: تذكرة الموضوعات، ص ٢٩١؛ تنزيه الشريعة ١/١٣٤؛ اللآلئ المصنوعة ٣/١.

وقال الذهبي: (ميزان الاعتدال ٣/٥٧٩)، «هذا مع كونه من أبين الكذب هو من

وضع الجهمية ليدكروه في معرض الاحتجاج به على أن نفسه اسم لشيء من مخلوقاته

فكذلك إضافة كلامه إليه من هذا القبيل إضافة ملك وتشريف كبيت الله وناقة الله ثم

يقولون إذا كان نفسه تعالى إضافة ملك فكلامه بالأولى» اه.

عشية عرفة على جبل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة»^(١).
 وكقول اليهود: «إنه سبحانه بكى^(٢) على الطوفان حتى
 رمد، وعادته الملائكة، وإنه ندم على ذلك^(٣) حتى عض
 أصابعه، وإنه تبدى لإسرائيل وصارعه»^(٤).
 وكقول النصراني: «إنه اتخذ مريم زوجة وأولدها
 عيسى، فهي صاحبتة، وعيسى ابنه». تعالى الله عما يقول
 أعداؤه فيه علواً كبيراً، وكقولهم: «إنه نزل عن كرسي
 عظمته، ودخل في فرج مريم، والتحم بناسوت المسيح». .
 وقول مشركي العرب: إنه صاهر الجن. فولدت له
 الملائكة^(٥)، وأمثال ذلك من الأقوال المخالفة لصريح

(١) حديث موضوع ورد بألفاظ مختلفة في:

تذكرة الموضوعات، ص ١٢، ١٣؛ تنزيه الشريعة ١/١٣٨، ١٣٩؛ اللآلئ المصنوعة
 ١/٢٧؛ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعية، ص ٢٠٤؛ الفوائد المجموعة
 للشوكاني، ص ٤٤٧؛ كشف الخفاء، ص ٤٣٦.

(٢) بكى سقط من ظ، وقال في هامش م: كذا في الأصل ولعله سقط منه لفظ (بكى على)
 الطوفان إلخ، وقد وردت صحيحة، ص ١٠١١.

(٣) ورد في الكتاب المقدس معنى أن الله ندم على الطوفان وفيه: «... وقال الرب في
 قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ
 حداثة ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت».

انظر الكتاب المقدس، سفر التكوين، فقرة ٢١، ص ١٠، الإصحاح الثامن.

(٤) انظر: مصارعة إسرائيل في الكتاب المقدس، سفر التكوين، فقرة ٢٤، ٢٥، ٢٦،
 ٢٧، ٢٨، ص ٤٥، الإصحاح الثاني والثلاثون.

(٥) وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾، قال مجاهد: قال
 المشركون: الملائكة بنات الله تعالى. فقال أبو بكر: فمن أمهاتهن؟ قالوا: بنات سروات
 الجن، وقال قتادة: إن الذي قال ذلك هم اليهود.
 تفسير الطبري ٢٣/٦٩؛ تفسير ابن كثير ٤/٢٣.

العقل، فكيف يجعل ما أثبتته الله لنفسه في كتابه من صفاته وأفعاله، وما صح عن رسوله أنه أثبتته له من علوه فوق سماواته على عرشه، واستوائه عليه، وتكلمه، وتكليمه، وثبوت علمه، وقدرته، وحياته، وسمعه، وبصره، ووجهه^(١) الأعلى، ورحمته، وغضبه، ورضاه، وفرحه، وضحكه [ويديه^(٢)] التي يمسك بإحدهما السماوات السبع، وبالأخرى الأرضين السبع، ثم يهزهن، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، ونحو ذلك من صفات كماله، ونعوت جلاله. كيف يجعل هذا بمنزلة ذاك في مخالفة كل منهما لصريح العقل؟!؟

ويجعل إثبات هذا كإثبات ذلك، ووصفه بهذا كوصفه بذاك كما صرح به الثقات وقالوا: إن هذا تشبيه وتجسيم فلا فرق^(٣) بينه وبين ذاك^(٤) التشبيه والتجسيم، فَلْيَبْكِ عَلَى عقله، وما أصيب به مَنْ سَوَّى بين الأمرين، أحسن (الله^(٥)) عزاءه في عقله، ولا بورك له في علم هذه غايته التي لا يرضاها أعظم الناس انغماساً في جهله.

(١) م: (وجه).

(٢) (ويديه): إضافة من م.

(٣) ظ، م: (فوق).

(٤) م: (ذلك).

(٥) لفظ الجلالة سقط من م.

الوجه العشرون:

إنه لا يُعلم آية من كتاب الله، ولا نص صحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في باب أصول الدين. اجتمعت الأمة على خلافه، وغاية ما يقدر اختلاف الأمة في القول بموجبه، ومن^(١) له خبرة بمذاهب الناس، وأقوال السلف يعلم قطعاً أن الأمة اجتمعت على القول به قبل ظهور المخالف، كما اجتمعت بأن الله مستو على عرشه، فوق سماواته، وأن المؤمنين يرونه عياناً بالأبصار من فوقهم في الجنة، وأنه سبحانه كلم نبيه موسى منه إليه بلا واسطة تكليماً سمع به كلامه، ولم يشك أنه هو الذي كان يكلمه.

وأنه كتب مقادير الخلائق، وقدرها قبل أن يخلقهم، وأنه علم ما هم عاملوه قبل أن يعملوه، / وأنه يحب، ويبغض، ويرضى، ويغضب، ويضحك، ويفرح، وأن له وجهاً ويدين.

[٩٣/١]

فهذا إجماعٌ معلوم متيقن عند جميع أهل السنة والحديث، فالعقل الذي يعارض هذا لم تجمع عليه الأمة، ولم يعرف عن رجل واحد من السلف والأئمة أنه قاله، وغايته أن يكون عقل فرقة من الفرق اشتقت لأنفسها مذهباً، وادعت له معقولاً، فلما صالت عليها نصوص الوحي التجأت إلى العقل. وادعت أنه يخالفها، وصدقت وكذبت.

(١) ظ: (ولا فيمن)؛ م: (ولا في من)، ولعل (لا في) زائدة.

أما صدقها، فإن نصوص الوحي تخالف معقولها هي،
وذلك من أدل دليل على فساده في نفسه إذ شهدت له
نصوص الوحي بالبطلان.

وأما كذبها فزعمها أن نصوص الوحي تخالف العقل
المتفق عليه بين العقلاء، فهذا لم يقع، ولا يقع مادامت
السماء سماء، والأرض أرضاً، بل تزول السماء والأرض،
وهذا لا يكون، فأى ذنب للنصوص إذا خالفت عقول
بعض الناس، فقد وافقت عقول أصح الناس عقلاً:

﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ *
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ﴾ [الأنعام: ٨٩].

الوجه الحادي والعشرون:

إن الأدلة^(١) السمعية هي الكتاب والسنة، والإجماع.
وهو إنما يصار إليه عند تعذر الوصول إليهما، فهو في المرتبة
الأخيرة، ولهذا أخره عمر في كتابه إلى أبي موسى حيث
كتب إليه: «اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله
فيها في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإن لم يكن
في السنة فيما قضى به الصالحون قبلك»^(٢). وهذا السلوك

بيان أن كل معقول
خالف الإجماع
فهو فاسد فكيف
بالكتاب والسنة

(١) م: (الدلالة).

(٢) رواه النسائي ٢٣١/٨، من طريق شريح أنه كتب إلى عمر يسأله فكتب إليه في كتاب
آداب القضاء، باب الحكم باتفاق أهل العلم. قال محمد مصطفى الأعظمي في كتابه
دراسات في الحديث النبوي، ص ١٥، ١٦ (إسناده صحيح)؛ السنن الكبرى للبيهقي
١١٥/١٠؛ ورواه الدارمي ٦٠/١، في كتاب عمر إلى شريح؛ حلية الأولياء
١٣٦/٤، في كتاب عمر إلى شريح.

هو كان سلوك الصحابة والتابعين، ومن درج على آثارهم من الأئمة. أول ما يطلبون النازلة من القرآن، فإن أصابوا حكمها فيه لم يَعُدُّوهُ^(١) إلى غيره، وإن لم يصيبوها فيه طلبوها من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن أصابوها لم يَعُدُّوْهَا^(٢) إلى غيرها، وإن لم يصيبوها طلبوها من اتفاق العلماء، وقد صان الله الأمة أن تجمع على خطأ أو على ما يعلم بطلانه بصريح العقل، فإذا كان الإجماع^(٣) معصوماً أن ينعقد على ما يخالف العقل الصريح، بل إذا وجدنا معقولاً يخالفه الإجماع علمنا قطعاً أنه معقول فاسد، فلأن يصان كتاب الله، وسنة رسوله عن مخالفة العقل الصريح أولى وأحرى.

الوجه الثاني والعشرون:

إنه إذا قدر تعارض العقل والكتاب، فرد العقل الذي لم تضمن^(٤) لنا عصمته إلى الكتاب المعلوم العصمة هو الواجب.

بيان أن الواجب هو العقل إلى الكتاب لأنه معصوم

الوجه الثالث والعشرون:

إن هؤلاء الخائضين في صفات الرب، وأفعاله، وما يجوز عليه، وما لا يجوز بأرائهم، وعقولهم تراهم مختلفين متنازعين حيارى منهوكين، وحاصل ما مع أكثرهم حسن المعصوم

(١) أي لم يتعدوه إلى غيره.

(٢) أي لم يتعدوها إلى غيرها.

(٣) ظ: (الجماع).

(٤) ظ، م: (لم يتضمن)، والصواب ما أثبتته.

الظن بإمامه الذي سلك طريقته، وتقليده في أصوله، وهو يرى بعقله خلافها، ويستشكلها، ويقر بأنها مشكلة جداً. ثم ينكس على رأسه، ويقول: هو أعلم بالمعقول مني.

فوجد أتباع أرسطو^(١) الملحد المشرك عابد الأوثان يتبعونه فيما وضعه لهم من قواعد المنطق^(٢) الطبيعي والإلهي.

وكثير منهم يرى بعقله نقيض ما قاله ولكن لحسن ظنه به يتوقف في مخالفته، وينسب التقصير إلى فهمه، والنقص إلى عقله لعظمة أرسطو في نفسه، ولعلمه بأنه أعقل منه، وهكذا شأن جميع أرباب المقالات والمذاهب، يرى أحدهم في كلام متبوعه، ومن يقلده ما هو باطل. وهو يتوقف في رد ذلك لاعتقاده أن إمامه وشيخه أكمل منه علماً وأوفر عقلاً، هذا مع علمه وعلم العقلاء أن متبوعه وشيخه ليس بمعصوم من الخطأ، فهلا سلكوا هذا المسلك مع نبيهم ورسولهم المضمون له العصمة، المعلوم صدقه في كل ما يخبر به، وهلا قالوا: عقله أوفر من عقولنا وعلمه أصح من علومنا، فنحن ننكر كل معقول^(٣) يخالفه، ونرده ولا نقبله، كما فعلوه مع شيوخهم ومتبوعهم، ولكن:

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٣.

(٢) ظ، م: (المنطق والطبيعي)، والصواب حذف الواو.

(٣) ظ، م: (شكل معقولاً)، ولعل الصواب ما أثبتته.

﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ (هُم)﴾^(١) فِي الدُّنْيَا
خَزَىٰ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿[المائدة: ٤١].

الوجه الرابع والعشرون:

إن كل من أعرض عن السمع لظنه أن العقل يخالفه،
إذ لكون أدلته لا تفيد اليقين، أو لأنه خاطب الخلق خطاباً
جمهورياً تخييلياً لا خطاباً برهانياً، تجد بينهم من النزاع
والتفرق، والشهادة من بعضهم على بعض بالضلالة بحسب
إعراضهم عن السمع، وكل من كان عنه أبعد كان قوله
أفسد، واختلاف طائفته أشد.

بيان أن كل من كان
قوله عن السمع أبعد
كان قوله أفسد
واختلاف طائفته
أشد

فالمعتزلة أكثر اختلافاً من متكلمة أهل الإثبات، وبين
البصريين والبغداديين منهم من النزاع ما يطول ذكره،
والبصريون أقرب إلى الإثبات والسنة من البغداديين،
فالبصريون يثبتون / كونه سبحانه سميعاً بصيراً حياً عالماً قديراً،
ويثبتون له الإرادة ولا يوجبون عليه الأصلح في الدنيا،
ويثبتون خبر الواحد والقياس، ولا يؤثمون المجتهدين ثم بين
المشايخية^(٢) والحسينية^(٣) من النزاع ما هو معروف.

[٩٤/١]

(١) (هم) سقط من ظ.

(٢) ظ، م: (السابحية)، وما أثبتته من درء تعارض العقل والنقل ١/١٥٧.

(٣) المشايخية لم أجد فرقة تدعى المشايخية ولعله يريد مشايخ المعتزلة البغداديين الذين خالفوا
أبا الحسين البصري.

والحسينية: هم أتباع أبي الحسين محمد بن علي البصري، وقد سبق ذكر ترجمته،
ص ٧٨٩، وقال بنفي الحال والمعدوم والمعاني وجوز كرامات الأولياء =

وأما الشيعة^(١) فأعظم تفرقاً واختلافاً من المعتزلة حتى قيل: إنهم يبلغون ثنتين وسبعين فرقة، وذلك لأنهم أبعد طوائف الملة عن السنة.

وأما الفلاسفة^(٢)، فلا يجمعهم جامع، فتلاعب بالنبوات، ولا تقف مع حدودها، وقل بعقلك ما شئت، وقد صرت فيلسوفاً حكيماً. وهم أعظم اختلافاً من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى، والفلسفة التي ذهب إليها الفارابي^(٣) وابن سينا^(٤) هي فلسفة المشائين^(٥) أتباع أرسطو^(٦)، صاحب المنطق، وبينه وبين سلفه من النزاع ما يطول ذكره، ثم بين أتباعه من الخلاف ما يطول وصفه.

وأما سائر طوائف الفلاسفة^(٧)، فلوحكى لك اختلافهم في علم الهيئة وحده لرأيت العجب العجاب، هذا

= وتوقف في السمع والبصر. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٤٢. انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٥٧؛ وانظر: الفتاوى ٥/٣٥٥.

(١) سبق ٢١٦.

(٢) سبق، ص ١٩١.

(٣) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٥.

(٤) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٦٤.

(٥) المشائين هم تلاميذ أرسطو وقد سبق بيان تسميتهم بذلك في ترجمة أرسطو، ص ٧٨٣.

وزعم ابن الففطي في أخبار الحكماء، ص ١٤، أنهم أتباع أفلاطون. وليسوا كذلك.

تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١١٣؛ المعجم الفلسفي، ص ١٨٤؛ التحفة المهدية

٥٧، ٥٦/١.

(٦) انظر، ص ٧٨٣.

(٧) سبق، ص ١٩١.

والهيئة علم رياضي حسابي هو من أصح علومهم، فكيف باختلافهم في الطبيعيات! فكيف بالإلهيات!

واعتبر هذا بما ذكره أرباب المقالات عنهم في العلوم الرياضية والطبيعية كما نقله الأشعري^(١) في كتاب مقالات غير الإسلاميين، وابن الباقلاني^(٢) في كتاب «الدقائق»، وفي هذين الكتابين من الاختلاف بينهم أضعاف ما ذكره الشهرستاني^(٣) وابن الخطيب^(٤)، والكتاب الذي اتفق عليه جمهورهم، وهو المجسطي لبطليموس^(٥)، فيه قضايا كثيرة لا يقوم عليها دليل صحيح، وقضايا ينازعه فيها غيره، وقضايا مبنية على أرساد منقولة عن غيره تقبل الغلط والكذب، وفيه قضايا برهانية صادقة، وهذا من أجود علومهم وأصحها.

(١) سبق ذكره ترجمة، ص ٢٦٠.

(٢) الباقلاني هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر وُلِدَ في البصرة، سنة ٣٣٨، من كبار أئمة الأشاعرة من كتبه «التمهيد» و«الاستبصار» و«دقائق الكلام» وقد رد فيه على الفلاسفة والمنجمين ورجح فيه مذاهب المتكلمين من العرب على منطق اليونان. وتوفي سنة ٤٠٣ ببغداد.

تبيين كذب المفتري، ص ٢٦٧؛ العلو للذهبي، ص ١٧٣، ١٧٤؛ الأعلام ١٧٦/٦؛ صون المنطق والكلام، ص ٣٣٤.

(٣) الشهرستاني: هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني. ولد سنة ٤٧٩ في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة من كتبه: «الملل والنحل»، «نهاية الإقدام في علم الكلام»، «الإرشاد إلى عقائد العباد» وغيرها. توفي سنة ٥٤٨.

وفيات الأعيان ٢٧٣/٤ - ٢٧٥؛ شذرات الذهب ١٤٩/٤؛ الأعلام ٢١٥/٦.

(٤) سبق ذكر ترجمته، ص ٣٩٨.

(٥) سبق ذكر ترجمته والحديث عن كتابه «المجسطي»، ص ٨١٧.

وأما الطبيعيات ففيها من الاضطراب والاختلاف ما لا يكاد يحصى، وهو أكثر من أن يذكر. هذا وهو أقرب إلى الحس^(١) من العلم الإلهي:

وأما الإلهيات، فإذا شئت مثلاً يقرب إليك حالهم، فمثلهم كمثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض، في ليلة ظلماء، فهجم عليهم العدو، فقاموا في الظلمة هارين على وجوههم في كل ناحية، ولا إله إلا الله كم لهم فيه من خبط وخرص وتحمين، وليسوا متفقين فيه على شيء أصلاً، وأساطينهم قد صرحوا بأنهم لا يصلون فيه إلى اليقين وإنما يتكلمون فيه بالأولى والأخلق^(٢)، ولهذا ظهر في السالكين خلفهم من الحيرة والتوقف والاعتراف بأنهم لم يصلوا إلى شيء، ما فيه عبرة لأهل الوحي اتباع الرسل المقدمين لما نزل به الوحي على عقول هؤلاء وأشباههم، وقد تقدم^(٣) إقرار الشهرستاني^(٤) وابن الخطيب^(٥) وابن أبي الحديد^(٦) والخونجي^(٧) والجويني^(٨) وغيرهم على أنفسهم بذلك، وقد

(١) ظ: (الجنس).

(٢) ظ: (ولا خلق).

(٣) انظر، ص ١٦٦، ١٦٧. وانظر، ص ٦٦٤، ٦٦٥.

(٤) سبق ذكر ترجمته ص ٨٣٩.

(٥) سبق ذكر ترجمته، ص ٦٤٠.

(٦) سبق ذكر ترجمته، ص ٦٦١.

(٧) هو محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي أبو عبد الله فارسي الأصل، ولد سنة ٥٩٠،

عالم بالمنطق والحكمة من كتبه «كشف الأسرار عن غوامض الأفكار» و«الموجز» في

المنطق. توفي بالقاهرة سنة ٦٤٦. شذرات الذهب ٥/٢٣٦؛ الأعلام ٧/١٢٢.

(٨) انظر ترجمته، ص ٤٠٥.

قال ابن رشد^(١): وهو من أعلم الناس بمذاهب الفلاسفة^(٢) ومقالاتهم في كتابه تهافت التهافت، «ومن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتد به»^(٣)، وهذا أفضل المتأخرين في زمانه أبو الحسن الأمدي^(٤). واقف في المسائل^(٥) الكبار^(٦) يذكر حجج الطوائف، ويبقى واقفاً حائراً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء:

﴿وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٨٨].

وهذا صاحب الكتب^(٧) المضمون بها على غير أهلها من

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٤٠٢.

(٢) انظر، ص ١٩١.

(٣) ذكر ابن رشد في كتابه تهافت التهافت ٣٨٣/١، هذ المعنى فقال في المسألة الثالثة: «... والوقوف على الترتيب الذي أدركه النظار في الموجودات عند الترقى إلى معرفة الأول عسير. والذي تدركه العقول الإنسانية منه إنما هو مجمل...» ولم أقف عليه بلفظه.

(٤) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٦٤.

(٥) ظ، م: (سائل)، ولعل الصواب المسائل.

(٦) م: (الكتاب).

(٧) وهو أبو حامد الغزالي. انظر ترجمته، ص ٤١٧، وكتابه المضمون به على غير أهله اختلف العلماء في نسبه إليه فقد قال ابن الصلاح إنه منسوب إليه ووافقه السبكي في طبقات الشافعية لاشتماله على التصريح بقدم العالم ونفي العلم القديم بالجزئيات ونفي الصفات وقال: وكل واحدة من هذه يكفر الغزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون فكيف يتصور أنه يقوله.

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه من كتبه، حيث يقول: «وأما المضمون به على غير أهله فقد كان طائفة أخرى من العلماء يكذبون ثبوته عنه وأما أهل الخبرة به وبحاله فيعلمون أن هذا كلامه لعلمهم بمواد كلامه ومشابهة بعضه بعضاً ولكن كان هو وأمثاله – كما قدمت – مضطرين لا يثبتون على قول ثابت لأن عندهم من الذكاء والطلب =

فرط ذكائه ومعرفته بالفلسفة والكلام، ينتهي وقت الموت في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على طريقة أهل الحديث، وأقبل على صحيح البخاري، فمات وهو على صدره. وحدثني شيخ الإسلام قال: حكى لي بعض الأذكياء وكان قد قرأ على أفضل أهل زمانه في الكلام والفلسفة، وهو ابن واصل الحموي^(١) أنه قال له الشيخ: أضطجع على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي شيء، ولهذا ذهب طائفة من أهل الكلام إلى القول بتكافؤ الأدلة، ومعناه أنها قد تكافأت، وتعارضت، فلم يعرف الحق من الباطل، وصدقوا، وكذبوا.

أما صدقهم فإن أدلتهم وطرقهم قد تكافأت، وتصادمت حتى قال شاعرهم:

= ما يتشوفون به إلى طريقة خاصة الخلق... إلخ.
وصنف أبو بكر محمد بن عبدالله المالقي كتاباً في رده ومن كتبه أيضاً المصنوعون به على أهله. وطبع الكتاب ضمن مجموعة بالقاهرة سنة ١٣٠٣، وسنة ١٣٠٩ بهامش الإنسان الكامل للجيلاني، القاهرة سنة ١٣٢٨، وسنة ١٣٦٨ في مطبعة صبيح.
طبقات الشافعية ٢٥٧/٦؛ نقض المنطق، ص ٥٥؛ كشف الظنون ١٧١٣/٢؛ مؤلفات الغزالي لعبدالرحمن بدوي، ص ١٥١ - ١٥٦.

(١) هو محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم بن واصل أبو عبدالله المازني التميمي الحموي جمال الدين، ولد بحماة سنة ٦٠٤، مؤرخ عالم بالمنطق والهندسة، من فقهاء الشافعية، له رسالة في المنطق اسمها «نخبة الفكر» وله «شرح ما استغلق من ألفاظ كتاب الجمل في المنطق» و«هداية الألباب في المنطق». توفي بحماة سنة ٦٩٧.
الوفاء بالوفيات ٨٥/٣؛ معجم المؤلفين ١٧/١٠، ١٨؛ الأعلام ١٣٣/٦.

ونظيري في العلم مثلي أعمى

فترانا في حندس نتصادم

ولقد صدق هذا الأعمى البصر والبصيرة، ووصف حال القوم فأحسن والله الفقه، وعبر عن حالهم بأشد عبارة مطابقة بزمرة عميان قاموا في ليلة مظلمة يتهاوشون^(١) ويتصادمون.

وأما كذبهم فإن أدلة الحق وشبه الباطل لا تتكافأ حتى يتكافأ الضوء والظلام، والبياض والسواد، والمسك وأنتن الجيف، فسبحان من أعمى عن الحق بصائر مَنْ شاء مِنْ خلقه كما أعمى عن الشمس أبصارَ مَنْ شاء منهم، فالذنب لكل^(٢) البصائر لا للحق، كما أن الحجاب في تلك العيون لا في الشمس، ولقد أحسن القائل في وصف هؤلاء وبصائرهم أنها بمنزلة أبصار الخفاش، تعجز عن ضوء النهار، ولا تفتح أعينها فيه / ويلائمها ظلام الليل، فتذهب فيه وتجيء، ولهذا تجد أكثر هؤلاء لما لم يتبين له الهدى في شيء من تلك الطرق، نكص على عقبه، وخلع العذار^(٣)

[٩٥/١]

(١) الأصل في الهوش: الفساد والاختلاط وفي حديث قيس بن عاصم كنت أهاوشهم في الجاهلية (رواه عبدالرزاق في المصنف ٩٥/١١)، أي أخالطهم على وجه الإفساد. لسان العرب ٤٧٢٠/٦، مادة هوش؛ غريب الحديث للخطابي ٥٦٠/٢، ٥٦١.

(٢) ظ: (للك).
(٣) «العذاران من الفرس كالعارضين من وجه الإنسان، ثم سمي السير الذي يكون عليه من اللجام عذاراً باسم موضعه وخلع العذار أي الحياء وهذا مثل للشاب المنهمك في غيه يقال ألقى عنه جلاب الحياء كما خلع الفرس العذار. وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

=

ونزع قيد الشريعة من قلبه، وأقبل على شهوات الغي في بطنه وفرجه، أورياسته وماله، فأقبل على اللذات^(١) وسماع المطربات ومعاشرة الصور المستحسنات، وذلك لخلو قلبه عن حقائق العلم والإيمان الذي بعث الله به رسوله^(٢)، فلم يصل إليه ولا وصل من طرق أصحابه إلا إلى الشك والحيرة، فهؤلاء (هم)^(٣) الذين عناهم الله سبحانه بقوله:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

فعلومهم ظنون:

﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

وإرادتهم هوى نفوسهم، وعلومهم تدعو إلى إرادتهم، وإرادتهم تدعو إلى علومهم فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، ويضل عن سبيل الله، فتولوا عن القرآن، وآثروا عاجل الدنيا وهؤلاء الذين أمر الله رسوله بالإعراض عنهم بعد إقامة الحجة عليهم. فقال تعالى:

﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ

مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩].

= دع عدل من يعصى العذول ولا يصيخ إلى الملام
 خلع العذار وراح في ثوب المعاصي والآثام
 لسان العرب ٢٨٥٧/٤؛ الإمتاع والمؤانسة ٥١/٢، الطبعة الثانية.

(١) ظ: (الذات).

(٢) ظ: (ورسوله).

(٣) (هم): سقط من م.

الوجه الخامس والعشرون :

إن الله سبحانه لما أهبط^(١) الأبوين من الجنة عهد إليهما عهدا تناولهما، وتناول ذريتهما إلى يوم القيامة، وضمن لمن تمسك بعهده أنه لا يضل، ولا يشقى، ولن أعرض عنه الضلال والشقاء. فقال تعالى :

﴿ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا^(٢) يَا نِينَكُمْ مَتَى هُدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٦].

قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية^(٣)، وقوله:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ [طه: ١٢٤].

(١) ظ: (هبط).

(٢) ظ، م: ﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مَتَى هُدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ وأول هذا النص من سورة البقرة: آية ٣٨ وآخره من سورة طه: آية ١٢٣.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک ٣٨١/٢، في كتاب التفسير بمعناه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٦٧/١٠، ٤٦٨، في كتاب فضائل القرآن، ورواه عبدالرزاق في المصنف ٣٨٢/٣، ح ٦٠٣٢. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣١١/٤.

يتناول^(١) الذكر الذي أنزله، وهو الهدى الذي جاءت به الرسل، ويدل عليه سياق الكلام، وهو قوله:

﴿كَذَلِكَ أَنْتَكَءَايْتُنَا فَنَسِينَهَا﴾ [طه: ١٢٦].

فهذا هو الإعراض عن ذكره، فإذا كان هذا حال^(٢) المعرض عنه، فكيف حال المعارض له بعقله أو عقل من قلده، وأحسن الظن به فكما أنه لا يكون مؤمناً إلا من قبله وانقاد له فمن أعرض عنه وعارضه من أبعد الناس عن الإيمان به.

الوجه السادس والعشرون:

إن طالب الهدى في غير القرآن والسنة. قد شهد الله ورسوله له بالضلال، فكيف يكون عقل الذي قد أضله الله مقدماً^(٣) على كتاب الله وسنة رسوله: قال تعالى في أرباب العقول التي عارضوا بها وحيه:

بيان كيف يكون عقل من أضله الله مقدماً على كتاب الله

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍو خَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غَشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(١) ظ، م: (فيتناول)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) م: (الحال).

(٣) م: (متقدماً).

وقال فيمن قدم عقله على ما جاء به :

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
الهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

والقرآن مملوء بوصف من قدم عقله على ما جاء به .
بالضلال^(١).

وروى الترمذي^(٢)، وغيره من حديث
علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنها ستكون فتنة»
قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه
نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم،

(١) ظ، م: (من الضلال)، والصواب ما أثبتته.

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٢١٨/٨، ٢٢١)، من طريق علي بن أبي طالب، في
أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، ح ٣٠٧٠. وقال الترمذي هذا
حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي حديث
الحارث مقال.

ورواه أحمد في المسند ٨٨/٢، ٨٩، بتحقيق أحمد محمد شاكر. قال ابن كثير بعد ذكر
بعض روايات الحديث: «وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي
- رضي الله عنه - وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح على أن قدروي،
له شاهد عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه
وسلم...». فذكره (كتاب فضائل القرآن، ص ٥) مطبوع في نهاية الجزء الرابع من
التفسير. وقال الألباني: «... ولعل أصله موقوف على علي - رضي الله عنه - فأخطأ
الحارث فرفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -»، شرح الطحاوية، ص ٦٨، وقال
أحمد شاكر: «إسناده ضعيف جداً من أجل الحارث الأعور، ثم الظاهر أنه منقطع»،
وذكر سبب الانقطاع المسند ٨٨/٢، بتحقيق أحمد محمد شاكر.

وهو^(١) الفصل ليس بالهزل، مَنْ تركه مِنْ جبارٍ قصمه^(٢) الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم. وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء^(٣) (ولا)^(٤) تلتبس^(٥) به الألسن، ولا يخلق على كثرة^(٦) الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وهو الذي لم تنته^(٧) الجن^(٨) إذ سمعته حتى قالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قَوْلَ آتِنَا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢].

من قال به صدق ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى إليه هدي إلى صراط مستقيم».

الوجه السابع والعشرون:

بيان أن هؤلاء قد شهدوا على أنفسهم بالحيرة والشك
 إن ما عارض به هؤلاء نصوص الأنبياء من المعقولات، قد شهدوا على أنفسهم بالحيرة والشك فيها، وأنهم لم يجزموا فيها بشيء، ولم يظفروا منها بعلم، ولا يقين، كما تقدم^(٩) ذكر

(١) ظ: (أوهو).

(٢) ظ: (قصة).

(٣) م، ظ: (إلا هؤلاء).

(٤) (ولا): سقط من ظ.

(٥) ظ: (تلبس).

(٦) ظ: (كثيره).

(٧) ظ، م: (يبه)، وما أثبتته من الحديث (عون المعبود ٨/٢٢٠).

(٨) ظ: (الحق).

(٩) انظر، ص ١٦٦، ١٦٧؛ وانظر: ص ٦٦٤، ٦٦٥.

اليسير منه عن أفاضلهم، وشهد به عليهم تناقضهم واضطرابهم واختلافهم، فإن ما كان من عند غير الله لا بد أن يقع فيه الاختلاف الكثير، وشهد عليهم بذلك أتباع الرسول، وشهد^(١) به عليهم من هو على كل شيء شهيد، وسيشهد به عليهم يوم القيامة مَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ

شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وشهد به عليهم نصوص الكتاب والسنة، وشهد به عليهم أدلة العقول الصريحة الموافقة للنصوص، فهل عندهم مثل هؤلاء الشهود على صحة العقل الذي عارضوا به نصوص الأنبياء نعم شهودهم أرسطو^(٢) [و^(٣) أفلاطون^(٤)]. وفيثاغورس^(٥)، وابن سينا^(٦) والفارابي^(٧)، وجهم بن صفوان^(٨). وأبو الهذيل^(٩) العلاف^(١٠). والنظام^(١١). وأوقاح الجهمية، والمعتزلة،

(١) م: (وتعهد).

(٢) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٣.

(٣) حرف العطف: ليس في ظ، م. والصواب إثباته.

(٤) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٤.

(٥) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٤.

(٦) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٦٤.

(٧) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٥.

(٨) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٦.

(٩) ظ: (الهذلي).

(١٠) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٦.

(١١) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٦.

وأفراخ الصابئين^(١)، والمجوس^(٢)، ومن تعارضت عنده هذه الينيات فلا ننكر^(٣) أن يتعارض عنده العقل / والنقل، وأن يقدم العقل على النقل.

[٩٦/١]

الوجه الثامن والعشرون:

بيان أن أهل القرآن هم أولو العقول والألباب
إن أصحاب القرآن والإيمان قد شهد الله لهم، وكفى به شهيداً بالعلم واليقين والهدى، وأنهم على بصيرة وبينة من ربهم، وأنهم هم أولو العقل والألباب والبصائر، وأن لهم نوراً على نور؛ وأنهم المهتدون المفلحون.

قال تعالى في حق الذين يؤمنون بالغيب، ولا يعارضونه بعقولهم وآرائهم:

﴿الْعَلَمَ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ *
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١، ٥].

وقال:

﴿وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ
الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

(١) سبق، انظر: ص ١٦٢.

(٢) سبق، انظر: ص ٣٤٩.

(٣) ظ، م: (ولا تنكر له)، ولعل الصواب ما أثبت.

وهذا دليل ظاهر أن الذي نراه معارضاً للعقل،
ويقدم (١) العقل عليه ليس من الذين أوتوا العلم في قبيل
ولا دبير (٢)، ولا قليل ولا كثير.

وقال:

﴿ أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾

[الرعد: ١٩].

وهذه شهادة من الله على عمى هؤلاء وهي موافقة
لشهادتهم على أنفسهم بالخير والشك، وشهادة المؤمنين
عليهم.

وقال:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى
نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥].

فأخبر سبحانه عن مثل نور الإيمان به، وبأسمائه،
وصفاته، وأفعاله وصدق رسله في قلوب عباده، وموافقة

(١) ظ، م: (تقدم).

(٢) القبيل ما وليك والدبیر ما خالفك، يقال: فلان ما يعرف قبيلاً من دبیر. والمعنى
ما يدري شيئاً. لسان العرب ١٣١٩/٢، مادة دبیر.

(٣) ظ، م: (هو الحق)، وهو غلط.

ذلك لنور عقولهم وفطرهم التي أبصروا بها نور الإيمان بهذا
المثل المتضمن لأعلى أنواع النور المشهود^(١) وأنه نور على
نور.

نور الوحي ونور العقل. نور الشرعة، ونور الفطرة.
نور الأدلة السمعية، ونور الأدلة العقلية.

وقال تعالى:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى:

﴿ أَوْ مِنْ (٢) كَانَ مِيثَاقَ حَيْثِنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى:

﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى:

(١) م: (المشهور).

(٢) ظ، م: (أفمن)، وهو خطأ.

وإبطالها معاً^(١) إبطالاً للنقيضين^(٢)، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، وإذا بطلت دلالاته لم يصلح أن يكون معارضاً^(٣) للنقل. لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة الدليل، فكان تقديم العقل موجباً لعدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين جداً، فإن العقل هو الذي دل^(٤) على صدق السمع وصحته، وأن خبره^(٥) مطابق لمخبره، فإما أن تكون هذه الدلالة صحيحة أو باطلة، فإن كانت صحيحة امتنع أن يكون في العقل ما يبطلها، وإن كانت باطلة لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يتبع بحال فضلاً عن أن يقدم على الدليل السمعي الصحيح، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل بانتفاء لوازمه ومدلوله، وإذا كان تقديمه على النقل يستلزم القدح فيه، والقدح فيه يمنع دلالاته، وذلك يمنع معارضته، استحال تقديمه عند المعارضة، لأن تقديمه عند المعارضة يبطل المعارضة وذلك يجيل المسألة من أصلها، يوضحه:

(١) ظ، م: (مع)، والصواب ما أثبتته.

(٢) م: (النقيضين).

(٣) ظ، م: (تعارضاً)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) م: (يدل).

(٥) ظ: (أخبره).

الوجه الثالثون :

وهو أن يقال : معارضة العقل لما دل العقل على أنه حق دليل على تناقض دلالاته، وذلك يوجب فسادها، وأما السمع فلم يعلم فساد دلالاته، ولا تعارضها، وتناقضها في نفسها، وإن قدر أنه لم يعلم صحتها.

وإذا تعارض دليلان^(١)، أحدهما علمنا فسادَه. والآخر لم نعلم فسادَه، كان تقديم ما لم يعلم فسادَه أقرب إلى الصواب من تقديم ما يعلم فسادَه، وهذا كالشاهد إذا علم كذبه وفسقه لم يجوز تقديم شهادته على شاهد مجهول لم يعلم كذبه، فكيف إذا كان / الشاهد الكاذب هو الذي شهد بأنه قد كذب في بعض شهاداته، والعقل إذا صدق السمع في كل ما يخبر به، ثم قال: إنه أخبر بخلاف الحق قد شهد للسمع، بأنه يجب قبول قوله، وشهد له بأنه لا يجوز قبول قوله وشهد بأن ما أخبر به ليس بحق، وشهد له بأن ما أخبر به حق، وهذا قدح في شهادته مطلقاً، وفي تركيته، ولا تقبل شهادته الأولى ولا الثانية، يوضحه:

الوجه الحادي والثلاثون :

إن الآيات والبراهين اليقينية، والأدلة القطعية، قد دلت على صدق الرسل، وأنهم لا يخبرون عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه إلا بالحق المحض، فهم صادقون فيما يبلغونه عن الله في الطلب والخبر، وهذا أول درجات

بيان أن السمع
والعقل الصحيح قد
شهدا بطلان العقل
المخالف للسمع

(١) م : (الدليلان).

الإيمان، فمتى^(١) علم المؤمن بالرسول أنه أخبر بشيء من ذلك جزم جزمًا لا يحتمل النقيضين^(٢) أنه حق، وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به، وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي لا عقلي ولا سمعي، فإن^(٣) كل ما يظن أنه يعارضه من ذلك فهي حجج داحضة، وشبه فاسدة، من جنس شبه السفسطة^(٤) والقرمطة^(٥) وإذا^(٦) كان العقل العالم بصدق الرسول، قد شهد له بذلك، وأنه ممتنع أن يعارض خبره دليلاً صحيحاً، كان هذا العقل شاهداً بأن كل ما عارض ما أخبر به الرسول فهو باطل، فيكون هذا العقل الصحيح، والسمع قد شهدا ببطلان العقل المخالف للسمع.

الوجه الثاني والثلاثون:

إن الشبهات القادحة في نبوات الأنبياء ووجود الرب، ومعاد الأبدان التي يسميها أصحابها حججاً عقلية، هي كلها معارضة للنقل، وهي أقوى من الشبه التي يدعي النفاة للصفات أنها معقولات خالفت النقل، أو من جنسها، أو قريبة منها، كما قيل:

بيان أنه لا فرق بين الشبه المعارضة لأصل النبوة والشبه المعارضة لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) ظ، م: (فمن)، والصواب ما أثبتته.

(٢) سبق، ص ٢٩٥.

(٣) م: (وأن).

(٤) سبق، انظر ص ٦٤٦.

(٥) سبق التعريف بالقرامطة، ص ٢٩٩. والقرمطة: سلوك مسلك القرامطة في التفسير

بمعان باطلّة تخالف المعنى الظاهر المعروف في اللغة والشرع، التحفة المهدية ٣٢/١.

(٦) ظ: (وإذ كان).

دع الخمر يشربها الغواة فإنني
رأيت أخواها مغنياً^(١) بمكانها
فإن^(٢) لا يكنها أو تكنه فإنه
أخوها غذته أمه بلبانها^(٣)

فقد أُورِدَ على القدح في النبوات ثمانين شبهة أو أكثر،
وهي كلها عقلية، وأُورِدَ على إثبات الصانع سبحانه نحو
أربعين شبهة كلها عقلية، وأُورِدَ على المعاد نحو ذلك. والله
يعلم أن هذه الشبه من جنس شبه نفاة الصفات، وعلو الله
على خلقه وتكلمه، وتكليمه، ورؤيته بالأبصار عياناً في
الآخرة. لكن نفقت هذه الشبهة تجاه نسبة أربابها إلى
الرسول والإسلام، وأنهم يذبون عن دينه، وينزهون الرب
عما لا يليق به، وإلّا فعند التحقيق [يسفر]^(٤) القاع عن فخ

(١) ظ، م: (عن مكانها)، وفي الديوان «مجزياً لمكانها» وما أثبتته من شرح الشواهد الكبرى
للإمام العيني ٣١١/١.

(٢) في م: (وإن لا)، وقال في الهامش: كذا في الأصل، والبيت:
فإن لا يكنها أو تكنه فإنه

(٣) هذان البيتان لأبي الأسود الدؤلي يخاطب مولى له كان يذهب إلى الأهواز بيضاعة له
وكان يصيب من الشراب فيقول له: دع الخمر المجمع على تحريمها واشرب من نبيذ
الزبيب الذي أجازه أهل العراق فإنه أخوها ويقوم مقامها.

والبيتان في ديوانه، ص ١٨٩؛ وفي شرح الشواهد الكبرى، للإمام العيني المطبوع
بهامش خزّانة الأدب للبغدادي ٣١١/١؛ وفي كتاب سيبويه وشرح شواهده للأعلم
٣١/١.

(٤) (يسفر): ليست في ظ، م. وبها تستقيم العبارة.

كله، ولا فرق بين الشبه المعارضة لأصل نبوة الرسول،
والشبه^(١) المعارضة^(٢) لما أخبر به الرسول.

ومن تأمل هذا وهذا، تبين له حقيقة الحال، وربما وجد
الشبه القادحة في أصل النبوة أكثر من الشبه القادحة فيما
أخبرت به الرسل، فيقال^(٣) لمن قدم المعقول المعارض لما
أخبر به الرسول: هل تقدم المعقول المعارض لأصل الرسالة
والنبوة، وأنت قد أوردته وأجبت عنه بما يعلم أن صدرك
لم يثلج^(٤) له، فإنَّ تلك الأجوبة مبنية على قواعد قد
اضطرب فيها قولك، فمرة تثبتها، ومرة تنفيها، ومرة تقف
فيها، أم تطرح تلك المعقولات، وتهدرها، وتشهد
بفسادها، فحينئذ فهلا سلكت في المعقولات المعارضة لخبر
الرسول، ما سلكت في تلك، وكانت السبيل واحدة.

والطريق في ردها واضحة، وأنت من أنصار الله ورسوله
محامٍ عن أصل الرسالة، وعمَّا جاء به الرسول، جازم له
بعقلك، لا تعارض خبره^(٥) بعقلك، وهذا في غاية الظهور
بحمد الله، ولولا خشية الإطالة لذكرنا ما ذكره من الشبه
العقلية القادحة في إثبات الصانع، ورسالة رسله، وفي اليوم
الآخر، وفي الشبه القادحة في علوه على خلقه، وصفاته،

(١) م: (فالشبه).

(٢) م: (بمعارضه).

(٣) ظ، م: (فيقول من) ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) م: (لم يثلج).

(٥) ظ، م: (بخبره) ولعل الباء زائدة.

وكلامه، ورؤيته، وعرضنا عليك الجميع، ثم إليك الوزن،
يوضحه:

الوجه الثالث والثلاثون:

وهو أن أرباب تلك الشبه إنما استطالوا على النفاة
والجهمية بما ساعدوهم عليه من تلك الشبه، وقالوا: كيف
يكون رسولاً صادقاً مَنْ يخبر بما يخالف صريح العقل، وأنتم
قد سلمتم لنا ذلك، وساعدتمونا على أن [خالق]^(١) العالم
لا يختص بمكان، ولا يتكلم، ولا يرى، ولا يشار إليه،
ولا ينتقل من مكان إلى مكان، ولا تحله الحوادث، ولا له
وجه، ولا يد، ولا إصبع، ولا سمع، ولا بصر، ولا علم،
ولا حياة، ولا قدرة زائدة^(٢) على مجرد ذاته، ومن أصولنا
وأصولكم أنه لم يقم بذاته فعل، ولا وصف ولا حركة،
ولا استواء، ولا نزول، ولا غضب في الحقيقة، ولا رضا،
فضلاً عن الفرح والضحك.

ونحن وأنتم متفقون في نفس الأمر على أنه لم يتكلم بهذا
القرآن، ولا بالتوراة، ولا بالإنجيل، وإنما ذلك كلام الشيء
عنه بإذنه عندهم، وبواسطة العقل الفعال عندنا، ونحن
وأنتم متفقون على أنه لم يتكلم به، ولم يسمع منه، ونحن
وأنتم متفقون على أنه لم يره ولا يراه، ولم يسمع كلامه،

(١) (خالق): ليست في ظ، م. وبها تستقيم العبارة إذ لا تصح أن تكون (العالم) لأنهم
لا يثبتون له أسماء ولا صفات.

(٢) ظ، م: (زائد)، والصواب ما أثبت.

ولا يسمعه أحد، وأن هذا محال فهو عندنا وعندكم
بمنزلة / كونه يأكل ويشرب وينام.

فعند التحقيق نحن وأنتم متفقون على الأصول
والقواعد التي نفت هذه الأمور، وهي بعينها تنفي صحة نبوة
مَنْ أخبر بها، فيكف يمكن أن يصدق من جاء بها و(قد)^(١)
اعترفتم معنا بأن العقل يدفع خبره، ويرده. فما للحرب بيننا
وبينكم وجه، وكما تساعدنا نحن وأنتم على إبطال هذه
الأخبار التي عارضت صريح العقل، فساعدونا على إبطال
الأصل بنفس ما اتفقنا عليه جميعاً [في]^(٢) إبطال الأدلة
النقلية.

فانظر هذا الإخاء، ما أُلصقَه، والنسب ما أقرَبَه. وإذا
أردت أن تعرف حقيقة الحال. فانظر حالهم مع هؤلاء
الزنادقة في ردهم عليهم، وبحوثهم معهم وخضوعهم لهم
فيها، ومقاومة أعداء الرسل لهم، واستطالتهم عليهم،
ومقاتلتهم لهم بأسلحتهم التي استعاروها منهم.

فإن قلت: كيف أصيب القوم مع عقولهم وبحثهم
ونظرهم واجتهادهم؟

قلت: أصاب عقولهم ما أصاب عقول كفار قريش
وغيرهم من الأمم الذين كذبوا الرسل مع تلك الأحلام^(٣)

(١) (قد): سقط من م.

(٢) ظ، م: (ما اتفقنا جميعاً على إبطال)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (الأحكام)، والصواب ما أثبت.

والعقول، ولكن كادها^(١) باريها عبرةً لكل ذي عقل صحيح إلى يوم القيامة، وهذا جزاء من لم يرض بوحى الله، وما وهب لأنبيائه من العقول التي نسبتها إلى عقول العالمين كنسبتهم إليهم. يوضحه:

الوجه الرابع والثلاثون:

وهو أن الله سبحانه اقتضت حكمته وعدله أن يفسد على العبد عقله الذي خالف به رسله، ولم يجعله منقاداً لهم، مسلماً لما جاءوا به، مدعياً له، بحيث يكون مع الرسول كمملوكه المنقاد من جميع الوجوه للمالك المتصرف فيه، ليس له معه تصرف بوجه من الوجوه، فأول ما أفسد سبحانه عقل شيخهم القديم إبليس، حيث لم ينقد به لأمره، وعارض النص بالعقل، وذكر وجه المعارضة، فأفسد عليه عقله غاية الإفساد، حتى آل الأمر إلى أن صار إمام المبطلين، وقدوة الملحدين، وشيخ الكفار والمنافقين. ثم تأمل كيف أفسد عقول من أعرض عن رسله، وعارض ما أرسلوا به، فآل بهم فساد تلك العقول إلى ما قصه الله عنهم في كتابه، ومن فساد تلك العقول أنهم لم يرضوا بنبيٍّ من النبيين، ورضوا بإلهٍ من الحجر، ومن فساد تلك العقول أنهم استحجوا

بيان أن الله تعالى
لعدله وحكمته
يفسد على العبد
عقله إذا خالف به
رسله

(١) كادها باريها: أي أرادها بسوء، وفي قصة إسلام عمرو بن العاص أن رجلاً قال له: إنك في هذه البلاغة والنصاعة والرأي الفاضل، كنت تأتي حجراً فتعبده، فقال له: والله لقد كنت أجالس أقواماً تزن حلومهم الجبال الرواسي، ولكن ما قولك في عقول كادها خالقها. وفي القرآن: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾. لسان العرب ٤/٣٠٤٦ - مادة عقل؛ غريب الحديث، للخطابي ٢/٤٨٦.

العمى على الهدى، وآثروا عقوبة الدنيا والآخرة على سعادتهما، وبدلوا نعمة الله كفوفاً، وأحلوا قومهم دار البوار.

وأفسد عقول أهل الكتابين بكفرهم بالرسول حتى آل أمرهم إلى مقالات^(١) الفلاسفة^(٢)، التي قدموها على ما جاءت به الرسل، حتى قالوا ما أضحكوا به كافة العقلاء، وإن كانوا أصحاب صنائع وأفكار، وأستنبطوها بعقولهم لعجز غيرهم عنها، لكن أفسد عليهم العقل الذي ينال به سعادة الأبد، حتى قالوا في فرية^(٣) سلسلة الموجودات عن واجب الوجود، ما هو بسلسلة المجانين أشبه منه بكلام عقلاء الأدميين.

وجعلوا العالم الذي شهدت عليه شواهد الصنعة والاحتياج والافتقار من كون غالبه مسخراً، مدبراً، مقهوراً على حركة لا يُمكنُهُ الخروج منها، وعلى مكان لا يمكنه مفارقتة، وعلى وضع لا يمكنه أن يزول عنه، وعلى ترتيب شهد العقل والفطرة أن غيره رتبته هذا الترتيب، ووضعته في هذا الموضع، وقهره على هذه^(٤) الحركة.

وكون سافله منفعلاً غير فاعل، متأثراً غير مؤثر كل وقت في مبدأ ومعاد، وشواهد الفقر والحاجة والحدوث

(١) ظ، م: (ما آل)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) انظر ص ١٩١.

(٣) ظ: (فريت)؛ م: (توبة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) ظ: (هذا).

ظاهرة على أجزائه وأنواعه، فجعلوه قديماً غير مخلوق، ولا مصنوع، فعطلوه عن صانعه وخالقه، ثم عطلوا الرب الذي فطر السماوات والأرض عن صفات كماله، ونعوت جلاله، وأفعاله، فلم يثبتوا له ذاتاً ولا صفة، ولا فعلاً، ولا تصرفاً باختياره في ملكه^(١) ولا عالماً بشيء مما في العالم العلوي والسفلي، وعاجزاً^(٢) من إنشاء النشأة الأولى أن يعيدها مرة ثانية.

وفي الحقيقة لم يثبتوا رباً أنشأ شيئاً، ولا ينشئه، ولا أثبتوا لله ملائكة، ولا رسلاً، ولا كلاماً، ولا إلهية، ولا ربوبية.

وأما الاتحادية^(٣) فأفسد عقولهم^(٤) فلم يثبتوا رباً، وظنوا أن في الخارج إنساناً^(٥) كلياً، وحيواناً كلياً، وجعلوا وجود الرب وجوداً^(٦) مطلقاً، مجرداً عن الماهيات، وقالوا: لا وجود للمطلق في الخارج.

وبالجملة: فلم يصيبوا في الإلهيات في مسألة واحدة، بل قالوا في جميعها ما أضحكوا عليهم العقلاء.

(١) ظ: (الممكنة)؛ م: (المملكة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (وعجزوا)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (الاتحاده).

(٤) أي إبليس.

(٥) ظ، م: (انشأ)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) ظ: (ووجوداً) بزيادة واو.

وأما متكلمو الجهمية، والمعتزلة، فأفسد عقولهم عليهم حتى قالوا ما يسخر العقلاء من قائله، كما تقدم التنبيه على اليسير منه، وقالوا: يتكلم الرب بغير كلام يقوم به، وخالق بلا خلق يقوم به و[سميع بلا] (١) سمع، وبصير بلا بصر (٢)، وحي بلا حياة، وقدير بلا قدرة، ومريد بلا إرادة، وفعال لما يريد، ولا فعل له ولا إرادة، وقالوا: الرب موجود قائم بنفسه، ليس في العالم ولا خارجه، ولا متصلاً به، ولا منفصلاً عنه، ولا فوقه، ولا تحته، ولا عن يمينه، ولا عن يساره، وقالوا: إنه لم / يزل معطلاً عن الفعل، والفعل ممتنع، ثم انقلب من الامتناع إلى الإمكان بغير تجدد سبب أصلاً وقالوا: إن الأعراض لا تبقى زمانين، وأنكروا القوى، والطبائع، والغرائز، والأسباب، والحكم، وجعلوا الأجسام كلها متماثلة. وأثبتوا أحوالاً (٣) لا موجودة ولا معدومة، وأثبتوا مصنوعاً بلا صانع ومخلوقاً بلا خالق إلى أضعاف ذلك مما يسخر منه العقلاء.

[٩٩/١]

وكلما كان الرجل عن الرسول أبعد كان عقله أقل وأفسد، فأكمل الناس عقولاً أتباع الرسل، وأفسدهم عقولاً المعرض عنهم، وعماء جاءوا به، ولهذا كان أهل السنة والحديث أعقل الأمة وهم في الطوائف كالصحابة في الناس،

(١) (سميع بلا): ليست في ظ، م، ولعل الصواب إثباتها.

(٢) ظ، م: (وسمع وبصر بلا بصيرة)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) انظر ص ٣٣٩.

وهذه القاعدة مطردة في كل شيء^(١) عصي الرب — سبحانه — به، فإنه يفسده على صاحبه، فمن عصاه بماله أفسده عليه، ومن عصاه بجاهه أفسده عليه، ومن عصاه بلسانه أو قلبه أو عضو من أعضائه أفسده عليه، وإن لم يشعر بفساده، فأى فساد أعظم من فساد قلب خرب من محبة الله، وخوفه، ورجائه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس به، والفرح بالإقبال عليه، وهل هذا القلب إلا قلب قد استحکم فساده، والمصاب لا يشعر، وأي فساد أعظم من فساد لسان تعطل عن ذكره، وما جاء به، وتلاوة كلامه، ونصيحة عباده وإرشادهم، ودعوتهم إلى الله، وأي فساد أعظم من فساد جوارح عطلت عن عبودية فاطرها وخالقها وخدمته، والمبادرة إلى مرضاته.

وبالجمله فما عصي الله بشيء إلا أفسده على صاحبه، ومن أعظم معصية العقل إعراضه عن كتابه ووحيه الذي هدى به رسوله، وأتباعه، والمعارضة بينه وبين كلام غيره، فأى فساد أعظم من فساد هذا العقل وقد أرى الله سبحانه أتباع رسوله من فساد عقل هؤلاء ما هو من أقوى أسباب زيادة إيمانهم بالرسول، وبما جاء به، وموجباً لشدة تمسكهم به، ولقد أحسن القائل:

وإذا نظرت إلى أميري زادني
نظري له حباً إلى الأمراء

(١) ظ: (في شيء كل).

الوجه الخامس والثلاثون:

هذه القاعدة التي أسسها من عارض بين العقل والنقل [تقتضي] (١) أن لا ينتفع بخبر الأنبياء في باب الصفات والأفعال أحد من الخاصة والعامة.

بيان أن من تقديم العقل على النقل يقتضي ألا ينتفع أحد بخبر الأنبياء في باب الصفات والأفعال

أما الخاصة فهم مصرحون بأن علم ذلك، ومعرفته، موكول إلى العقول فما (٢) دلت عليه، وشهدت به قبل، وما خالفها من السمع وجب رده، فلم يستفيدوا من جهة الخبر شيئاً، وإنما استفادوا الحق من جهة العقل المعارض (٣) لما أخبرت به الرسل.

وأما العامة فإنهم اعتقدوا ما دل عليه الخبر وهو باطل في نفس الأمر فلم يستفيدوا منه معرفة الحق، بل إنما حصلوا على اعتقاد الباطل، فأبي معادة لما جاء به الرسول أعظم من هذه.

الوجه السادس والثلاثون:

إن الرجل إما أن يكون مقرراً بالرسول، أو جاحداً لرسالتهم، فإن كان منكرًا، فالكلام معه في تثبيت النبوة، فلا وجه للكلام معه في تعارض العقل والنقل. فإن تعارضهما (٤) فرع الإقرار بصحة كل واحد منهما، لو تجرد عن

بيان أن الكلام مع من قدم العقل على النقل في مقامات

(١) (تقتضي): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٢) ظ، م: (فيها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (العارض)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) ظ: (تعارضها)؛ م: (تعارضه)، والصواب ما أثبتته.

المعارض، فمن لم يقر بالدليل العقلي^(١) لم يخاطب في تعارض الدليل العقلي والشرعي .

وكذلك من لم يُقرّ بالدليل الشرعي لم^(٢) يخاطب في هذا التعارض، فمن لم يقر بالأنبياء لم يستفد من خبرهم دليلاً شرعياً، فهذا يتكلم معه في إثبات النبوات أولاً. وإن كان مقرراً بالرسالة، فالكلام معه في مقامات .

أحدها: صدق الرسول فيما أخبر به، فإن أنكر ذلك المقام الأول أنكر الرسالة والنبوة، وإن زعم أنه مقر بهما، وأن الرسل خاطبوا الجمهور بخلاف الحق تقريباً إلى أفهامهم، ومضمون هذا أنهم كذبوا للمصلحة، وهذا حقيقة قول هؤلاء، وهو عندهم كذب حسن، وإن أقر بأنه صادق فيما أخبر به، فالكلام معه في:

المقام الثاني: وهو هل^(٣) يقر بأنه أخبر بهذا أولاً يقرّ به، فإن لم يقر به جهلاً عرف ذلك بما يعرف به أنه ظهر، ودعا إلى الله وحارب أعداءه، فإن أصر على إنكاره ذلك فقد خرج من جملة العقلاء. وأنكر الأمور الضرورية كوجود بغداد ومكة والهند وغيرها، وإن أقر بأنه أخبر بذلك، فالكلام معه في:

المقام الثالث: وهو أنه هل أراد ما دل عليه كلامه،

(١) ظ، م: زاد (لم يخاطب في الدليل) بعد قوله «العقلي»، ولعل الصواب حذفها.

(٢) ظ، م: (ثم)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (وهو أنه هل).

ولفظه، أو أراد خلافه، فإن ادعى أنه أراد، فالكلام معه في:

المقام الرابع: وهو أن هذا المراد حق في نفسه أم باطل، فإن كان حقاً لم يتصور أن يعارضه دليل عقلي البتة، وإن كان باطلاً انتقلنا معه إلى:

مقام خامس: وهو أنه هل كان يعلم الحق في نفس الأمر أو لا يعلمه، فإن قال: لم يكن عالماً به فقد نسبه إلى الجهل، وإن قال: كان عالماً به. انتقلنا معه إلى:

مقام سادس: وهو أنه هل كان يمكنه التعبير والإفصاح عن الحق، كما فعلتم أنتم بزعمكم، أو لم يكن ذلك ممكناً له؟، فإن لم يكن ذلك ممكناً له كان تعجيزاً له ولمرسله عن أمر قدر (عليه)^(١) أفراخ الفلاسفة^(٢) وتلامذة اليهود وأوقاح / المعتزلة والجهمية، وإن كان ممكناً (له)^(٣)، ولم يفعله كان ذلك غشاً للأمة، وتوريطاً لها في الجهل بالله وأسمائه وصفاته، واعتقاد ما لا يليق بعظمته فيه. وأن الجهمية، والمعتزلة، وأفراخ اليونان، وورثة الصابئين، والمجوس هم الذين نزهوا الله - سبحانه - عما لا يليق به، ووصفوه بما يليق به^(٤)، وتكلموا بالحق الذي كتبه الرسول،

[١٠٠/١]

(١) (عليه): سقط من م.

(٢) سبق، انظر ص ١٩١.

(٣) (له): سقط من م.

(٤) ظ: (بما لا يليق).

وهذا أمر لا محيد لكم عنه، فاخترأوا أيّ قسم شئتم من هذه الأقسام.

والظاهر أنكم متنازعون في الاختيار، وأن عقلاءكم مختارون أن^(١) الرسول كان يدري^(٢) الحق في خلاف ما أخبر به. وإن كان قادراً على التعبير عنه، ولكن ترك ذلك خشية التنفير، فخاطب الناس خطاباً جمهورياً، يناسب عقولهم بما الأمر بخلافه، وهذا أحسن أقوالكم إذا آمنتم بالرسول، وأقررتم بما جاء به.

الوجه السابع والثلاثون:

إنه إذا جوز أن يكون في العقل ما يعارض ما أخبر به الرسول، كان الإيمان الجازم موقوفاً على العلم بانتفاء ذلك المعارض^(٣)، ومشروطاً به والمشروط بالشيء يعدم^(٤) عند عدمه، ومعلوم أن ما يستخرجه الناس بعقولهم أمر لا غاية له، سواء^(٥) كان حقاً أو باطلاً، فإذا جوز المجوز أن يكون في المعقولات ما يناقض خبر الرسول، لم يمكنه أن يثق^(٦) بشيء من أخبار الرسول؛ لجواز^(٧) أن يكون في المعقولات

بيان أن الإيمان الجازم لا يستقر في قلب من عارض الشرع بالعقل

(١) ظ، م: (إلى)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) م: (يعرف).

(٣) م: (العارض).

(٤) ظ: (عندم)؛ م: (عدم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٥) ظ، م: (سواءهم) ولعل: (هم) زائدة.

(٦) ظ، م: (أن يثق به)؛ ولعله: (به) زائدة.

(٧) م: (بجواز).

التي لم تظهر له بعد ما يناقض خبره، فإن قال أنا أقر من السمعيات بما لم ينفه العقل وأثبت من الصفات ما لم يخالفه العقل، لم يكن لقوله ضابط فإنه وقف التصديق بالسمع على أمر لا ضابط له، وما كان مشروطاً بعدم أمر لا ينضبط، لم ينضبط فلا يبقى مع هذا الأصل إيمان جازم البتة.

ولهذا تجد من تعود معارضة الشرع بالرأي، لا يستقر في قلبه إيمان أبداً، ولا يكون الرجل مؤمناً، حتى يؤمن بالرسول إيماناً جازماً، ليس مشروطاً بعدم معارض، فإذا قال أنا أوؤمن بخبره ما لم يظهر له معارض يدفعه لم يكن مؤمناً به، كما لو قال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله، إلا أن يكون في العقل دليل يدل على إثبات إله آخر، أو يقول أنا أوؤمن بالمعاد، إلا أن يكون في العقل دليل ينفيه. أو يقول أنا أوؤمن بالرسول، إلا أن يكون في العقل ما يبطل رسالته، فهذا وأمثاله ليس بمؤمن جازم بإيمانه، وأحسن أحواله أن يكون شاكاً.

الوجه الثامن والثلاثون:

إن طرق العلم: الحس والعقل والمركب منهما، فالمعلومات ثلاثة أقسام:

أحدهما: ما يعلم بالعقل؛ والثاني: ما يعلم بالسمع؛ والثالث: ما يعلم بالعقل والسمع. وكل منهما ينقسم إلى ضروري ونظري، وإلى معلوم ومظنون وموهوم، فليس كل ما يحكم به العقل علماً بل قد يكون ظناً وقد يكون وهماً كاذباً، كما أن ما يدركه السمع والبصر كذلك.

بيان أننا التفتنا إلى كل شبهة يعارض بها السمع لم يبق لنا وثوق بشيء نعلمه بحس أو عقل أو بها

فلا بد من حكم يفصل بين هذه الأنواع ويميز بين معلومها ومظنونها وموهمها، فإذا اتفق العقل والسمع، والعقل والحس على قضية، كانت معلومة يقينية. وإن انفرد بها الحس عن العقل كانت وهمية، كما ذكر من أغلاط الحس في رؤية المتحرك أشد الحركة وأسرعها ساكناً، والساكن متحركاً، والواحد إثنين، والإثنين واحداً، والعظيم الجرم صغيراً والصغير كبيراً، والنقطة دائرة، وأمثال ذلك.

فهذه الأمور يجزم بغلطها تفرد الحس بها عن العقل، وكذلك حكم السمع قد يكون كاذباً، وقد يكون صادقاً ضرورة ونظراً^(١)، وقد يكون ظنياً، فإذا قارنه العقل كان حكمه علماً ضرورياً أو نظرياً^(٢)، كالعلم بمجرد الأخبار المتواترة، فإنه حصل بواسطة السمع والعقل، فإن السمع أدى إلى العقل ما سمعه من ذلك، والعقل حكم بأن المخبرين لا يمكن تواطؤهم^(٣) على الكذب فأفاده علماً ضرورياً أو نظرياً على الاختلاف في ذلك بوجود^(٤) المخبر به، والنزاع في كونه ضرورياً أو نظرياً^(٥) لفظي^(٦)، لا فائدة فيه.

وكذلك الوهم، يدرك أموراً لا يدري صحيحة هي

(١) ظ، م: (ونظر)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (ونظير)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (تواطؤهم)، والصواب ما أثبتته.

(٤) م: (بوجود).

(٥) ظ، م: (أو نظير)، والصواب ما أثبتته.

(٦) ظ، م: (العظمى).

أم باطلة، فيردها إلى العقل الصريح فما صححه منها قبله، وما حكم ببطلانه رده، فهذا أصل يجب الاعتناء به ومراعاته، وبه يعلم الصحيح من الباطل، فإذا عرف هذا، فمعلوم أن السمع الذي دَلَّ (١) العقل على صحته أصح من السمع الذي لم يشهد له عقل، ولهذا كان الخبر المتواتر أعرف عند العقل من الأحاد، وما ذاك إلا لأن دلالة العقل قد قامت على أن المخبرين لا يتواطؤون على الكذب. وإن كان الذي أخبروا به مخالفاً لما اعتاده المخبر وألفه وعرفه، فلا تجد محيداً عن تصديقهم. فالأدلة (٢) العقلية البرهانية على صدق الرسل وتثبيت نبوتهم أضعاف الأدلة الدالة على صدق المخبرين خبر التواتر، فإن أولئك لم يقيم على صدق كل واحد منهم دليل، وإنما أفاد اجتماعهم على الخبر دليلاً على صدقهم، والرسول صلاة الله وسلامه عليهم، قد قامت البراهين اليقينية على صدق كل فرد منهم / وقد اتفقت كلمتهم وتواطأ خبرهم على إثبات العلو والفوقية لله، وأنه على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه، وأنه مكلم متكلم أمرناه، يرضى ويغضب، ويشيب ويعاقب، ويجب ويغض.

[١٠١/١]

فيإفادة خبرهم العلم لمخبره (٣)، أعظم من إفادة الأخبار المتواترة لمخبرها، فإن الأخبار المتواترة مستندة (٤) إلى حس قد

(١) م: (على العقل على).

(٢) ظ، م: (بالأدلة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (المخبرة)؛ م: (المخبر)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) م: (مسنده).

يغلط، وأخبار الأنبياء مستندة إلى وحي لا يغلط، فالقدح فيها بالعقل من جنس شبه السوفسطائية^(١) القادحة في الحس والعقل. ولو التفتنا إلى كل شبهة يعارض بها الدليل القطعي، لم يبق لنا وثوق بشيء نعلمه بحس أو عقل أو بهما. يوضحه:

الوجه التاسع والثلاثون:

إن المعلومات الغائبة التي لا تدرك إلا بالخبر، أضعاف المعلومات الغائبة أضعاف المعلومات الغائبة أضعاف المعلومات المحسوسة والمعقولة، ولا سبيل إلى العلم بها إلا بخبر الصادق

بين أن المعلومات أضعاف المعلومات الغائبة أضعاف المعلومات المحسوسة والمعقولة، ولا سبيل إلى العلم بها إلا بخبر الصادق

أضعاف المعلومات التي تدرك بالحس والعقل، بل لا نسبة بينهما بوجه من الوجوه. ولهذا كان إدراك السمع أعم وأشمل من إدراك البصر، فإنه يدرك الأمور المعدومة والموجودة، والحاضرة، والغائبة، والعلوم^(٢) التي لا تدرك بالحس، وهذه^(٣) حجة من فضل السمع على البصر من النظر وغيرهم، وخالفهم آخرون فرجحوا^(٤) البصر على السمع؛ لقوة إدراكه وجزمه بما يدركه وبعده من الغلط، وبين الفريقين مباحثات يطول ذكرها، قد ذكرها ابن قتيبة^(٥) وأبو المعالي الجويني^(٦) وغيرهما.

(١) سبق، ص ٦٤٦. (٢) م: (المعلوم).

(٣) ظ: (وهذا). (٤) م: (في محمد).

(٥) ابن قتيبة: هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. تولى قضاء الدينور مدة فنسب إليها. ولد في بغداد سنة ٢١٣ من أئمة الأدب، من كتبه: «تأويل مشكل الحديث؛ وأدب الكاتب» و«الرد على الشعوية» و«المسائل والأجوبة»، قال الذهبي صدوق وقال الدارقطني كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه وقال البيهقي كان يرى رأي الكرامية. توفي سنة ٢٧٦. ميزان الاعتدال ٥٠٣/٢؛ الأعلام ١٣٧/٤.

(٦) سبق، انظر: ص ٤٠٥.

وفصل النزاع بينهما أن ما يدرك بالسمع أعم وأشمل، وما يدرك بالبصر أتم وأكمل، فهذا له القوة والتمام، وذاك له العموم والإحاطة. والمقصود أن الأمور الغائبة عن الحس نسبة المحسوس إليها كقطر في بحر، ولا سبيل إلى العلم بها إلا بخبر الصادق، وقد اصطفى الله من خلقه أنبياء نبأهم من هذا الغيب بما يشاء، وأطلعهم منه على ما لم يطلع عليه غيرهم، كما قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالى:

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَن أَرَادَ مِنْ رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۗ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وقال تعالى:

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥].

فهو سبحانه يصطفي^(١) من يطلعه من أنباء الغيب على ما لم يطلع عليه غيره، ولذلك سمي نبياً من الإنبياء

(١) لو قال: «فهو سبحانه يصطفي من عباده من يطلعه من أنباء» لكان أوضح.

وهو الإخبار، لأنه مخبر من جهة الله، ومخبر عنه (فهو)^(١) منبأ ومنبىء، وليس كل ما أخبر به الأنبياء يمكن معرفته بدون خبرهم، بل ولا أكثره، ولهذا كان أكمل الأمم علماً اتباع الرسل، وإن كان غيرهم أحذق منهم في علم الرمل والنجوم والهندسة (والسفسطة)^(٢)^(٣) وعلم الكم^(٤) المتصل والمنفصل^(٥)، وعلم النبض، والقارورة^(٦) والأبوال^(٧) ومعرفة قوامها وطعومها ورائحتها، ونحوها من العلوم، التي لما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بها، وآثروها على علوم الرسل وما جاءوا به، وهي كما قال الواقف على نهاياتها الواصل إلى غاياتها: «وهي بين ظنون كاذبة، وإن بعض الظن إثم وبين علوم [غير]^(٨) نافعة نعوذ بالله من علم

(١) (فهو): سقط من م.

(٢) (والسفسطة): سقط من م.

(٣) سبق، ص ٦٤٦.

(٤) م: (الكلم).

(٥) الكم، أحد المقولات العشرة وقد سبق، انظر: ص ٨١٣؛ وينقسم إلى قسمين متصل: وهو ما يمكن أن تفرض فيه أجزاء تتلاقى عند حد واحد مشترك بينها كالسطح والزمان.

ومنفصل: وهو الذي لا يمكن أن يفرض في أجزائه حد واحد مشترك بينها وهو العدد لا غير. المعجم الفلسفي، ص ١٥٥.

(٦) (القارورة): كذا في ظ، م، ولعلها القاذورة.

(٧) النبض والأبوال من علوم الطب وفيها مصنفات منها كتاب النبض الكبير. وكتاب إلى طوثرن في النبض. الفهرست، ص ٤٠٣.

وكتاب البول مقالة لمغنس الحمصي. الفهرست، ص ٤٠٧.

أما علم القارورة فلم أقف على معناه ولعله من علوم الطب.

(٨) ظ، م: (علوم نافعة)، والصواب ما أثبتته.

لا ينفع، وإن نفعت فنفعتها بالنسبة إلى علوم الأنبياء، كنفع العيش العاجل بالنسبة إلى الآخرة ودوامها.

فليس العلم في الحقيقة، إلا ما أخبرت به الرسل عن الله عزوجل طلباً وخبراً، فهو العلم المزكي للنفوس، المكمل للفظر، المصحح للعقول، الذي خصه الله باسم العلم، وسمى ما عارضه ظناً لا يغني من الحق شيئاً، وخرصاً وكذباً، فقال تعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾

[آل عمران: ٦١].

وشهد لأهله أنهم أولو العلم، فقال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦].

وقال:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾

[آل عمران: ١٨].

والمراد أولو العلم بما أنزله على رسله ليس إلا. و^(١) ليس المراد أولو العلم بالمنطق والفلسفة^(٢) وفروعها^(٣).

(١) (الواو في وليس): إضافة من م.

(٢) سبق، ص ١٩١.

(٣) ظ، م: (وفروعهم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

فالعلم الذي أمره باستزادته هو علم الوحي، لا علم الكلام والفلسفة والمنطق.

وقال تعالى:

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يُشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾
[النساء: ١٦٦].

أي أنزله وفيه علم^(١) لا يعلمه البشر.

فالباء للمصاحبة مثل قوله:

﴿فَالْتَمَّ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾

[هود: ١٤].

أي أنزل وفيه علم الله، وذلك من أعظم البراهين على صحة نبوة من جاء به.

ولم يصنع شيئاً من قال: إن المعنى أنزله وهو يعلمه / وهذا وإن كان حقاً، فإن الله يعلم كل شيء، فليس في ذلك دليل وبرهان على صحة الدعوى، فإن الله يعلم الحق والباطل بخلاف ما إذا كان المعنى أنزله متضمناً لعلمه الذي لا يعلمه غيره، إلا من أطلعه عليه وأعلمه به،

[١٠٢/١]

(١)، ظ، م: (علمه).

فإن هذا من أعظم أعلام النبوة والرسالة . وقال : فيما عارضه من الشبه الفاسدة التي يسميها أربابها قواطع عقلية :

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾

[النجم : ٢٨].

وقال : ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾

[الأنعام : ١٤٨].

وقال : لمن أنكر المعاد بعقله :

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ

بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية : ٢٤].

والظن الذي أثبتته سبحانه للمعارضين بنصوص الوحي بعقولهم ، ليس هو الاعتقاد الراجح بل هو أكذب الحديث^(١).

وقال :

﴿قِيلَ الْخُرَاصُونَ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ (٢) سَاهُونَ﴾

[الذاريات : ١٠ ، ١١].

وأنت إذا تأملت ما عند هؤلاء المعارضين لنصوص الأنبياء بعقولهم ، رأيتهم كله خرساً وعلمت أنهم هم الخراسون .

(١) ظ ، م : (الكذب الحديث).

(٢) ظ ، م : (غمرتهم)، وهو خطأ.

وإن العلم في الحقيقة، ما نزل به الوحي على الأنبياء والمرسلين، وهو الذي أقام الله به حجته، وهدى به أنبياءه ورسله وأتباعهم به، وأمتن عليهم فقال:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾

[البقرة: ١٥١، ١٥٢].

وقال:

﴿ وَأَنْزَلَ^(١) اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣].

وقال:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

(١) (أنزل): الواو سقطت من م.

فهذه النعمة والمنة والتركية، إنما هي لمن عرف أن
ما جاء به الرسول وأخبر به عن الله وصفاته وأفعاله،
هو الحق كما أخبر به، لا كمن زعم أن ذلك مخالف لصريح
العقل وأن العقول مقدمة عليه، والله المستعان.

الوجه الأربعون:

إن علوم الأنبياء وما جاءوا به عن الله، لا يمكن أن
يدرك بالعقل ولا يكتسب، وإنما هو وحي أوحاه الله إليهم
بواسطة الملك أو كلام يكلم به رسوله منه إليه، بغير واسطة
كما كلم موسى، وهذا متفق عليه بين جميع أهل الملل المقربين
بالنبوة المصدقين بالرسول^(١)، وإنما خالفهم في ذلك جهلة
الفلاسفة^(٢) وسفلتهم^(٣)، الذين يقولون إن الأنبياء يعلمون
ما يعلمونه بقوة عقلية، وهم أكمل من غيرهم في قوة
الحدس، ويسمونها القوة القدسية، قالوا: ويتميز النبي عن
غيره بقوة التخيل والتخييل، فتخييل الأمور للعقول^(٤) في
الصور المحسوسة، وتخييلها إلى الناس^(٥) في قوالب تلك
الصور ويتميز أيضاً بقوة النفس، فيتصرف بقوتها في مواد
العلم وعناصره بقلب بعضها إلى بعض، فهذه عندهم
خواص النبوة، فالأنبياء عندهم من جنس غيرهم من البشر

بيان أن ما جاء به
الأنبياء من الوحي
لا يدرك ولا يكتسب
بالعقل

(١) ظ: (للسل).

(٢) انظر: ص ١٩١.

(٣) ط: (سفلهم).

(٤) م: (للمعقول).

(٥) م: (للناس).

ونبواتهم من جنس صنائع الناس وسياساتهم ورياضاتهم، حتى قال أقرب هؤلاء إلى الإسلام: اعلم أن أصول الصناعات أربعة، صنعة التجارة والحدادة والنساجة والسياسة، وأصعبها صنعة السياسة، وأصعب هذه الصناعة صناعة النبوة. هذا كلامه بعينه في كتابه.

فلما كانت النبوة عندهم في هذه المرتبة، كانت علومها وأعمالها من جنس علوم البشر وأعمالهم، فالعقل مشترك بينهم وبين كافة العقلاء. فلما جاءت الرسل بما لا تدركه عقولهم وليس في قواعدهم ونظرهم ومنطقهم ما يدل عليه، قابلوه بالإنكار، وقالوا: قد تعارض العقل وما جئتم^(١) به، وإذا تعارض العقل وخبركم، فلا سبيل إلى تقديم أخباركم على العقل. لأن ذلك يتضمن القدح فيه، فهؤلاء هم الذين عارضوا أولاً بين العقل والوحي، وهم الذين أسسوا هذه القاعدة ووضعوا هذا البناء. إذ^(٢) كانت علوم الأنبياء وعقولهم عندهم من جنس علومهم وعقولهم، وربما رجحوا علم الفيلسوف^(٣) وعقله، وبعضهم يرجح النبي من وجهه والفيلسوف من وجهه، فهؤلاء إذا عارضوا بين العقل والنقل ثم قدموا العقل على النقل، عملوا بمقتضى أصولهم وقواعدهم. أما من عرف الرسل وأمرهم، وعلم أن الله أرسلهم وأوحى إليهم من غيبه ما لم يطلع عليه سواهم، وأن

(١) ظ، م: (ما جئتم به): بدون واو، والصواب إثباتها.

(٢) ظ، م: (إذا)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) انظر: ص ١٩١.

نسبة عقول العالمين وعلومهم إليهم، أقل بكثير من نسبة عقول صبيان المكاتب إلى عقول العقلاء، وأن بين ماجاءوا به من عند الله وبين ما عند هؤلاء، كما يدخل الرجل اصبعه في اليم، والأمر^(١) فوق ذلك يوضحه:

[١٠٣/١] الوجه الحادي والأربعون: /

وهو أن يقال لهؤلاء المعارضين بين العقل ونصوص الوحي: أخبرونا عن خلق هذا النوع الإنساني من قبضة تراب، وعن [رجل]^(٢) دعا على^(٣) قومه أن لا يدع الله منهم على الأرض دياراً، فأرسل السماء عليهم وأنبع الماء من تحتهم^(٤)، حتى علا الماء فوق رؤوس شواهد الجبال علواً عظيماً، ثم ابتلعت الأرض شيئاً فشيئاً حتى عادت ييساً.

بيان أن الشبه التي أثبتت ضد آيات الأنبياء أقوى من الشبه التي أثبتت ضد ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم

وعن رجل دعا على قومه وهم أعظم الناس أجساماً وأشدهم قوة، فأرسلت عليهم بدعوته ريح عاصف جعلت تحملهم بين السماء والأرض، ثم تدق أعناقهم.

وعن أمة كذبت نبيها، وسألوه آية، فانفلقت صخرة بمحضر لهم^(٥)، وتمخضت عن ناقة من أعظم النوق قائمة وشكلاً وهيئة، فلما تبادوا على تكذيبه، سمعوا صيحة من

(١) ظ: (ولامر).

(٢) (رجل): إضافة من م.

(٣) ظ: (إلى).

(٤) ظ، م: (من تحتهم ترتبت النار)؛ ولعل: (ترتبت النار) زائدة.

(٥) م: (م).م).

السماء قطعت أكبادهم وقلوبهم في أجوافهم، فماتوا موة رجل واحد.

وعن نار عظيمة أوقدت برهة من الدهر، حتى كان الطير يمر عليها من عال، فيقع مشوياً، ألقى فيها رجل مكتوفاً، فصارت عليه برداً وسلاماً، وعادت روضة خضراً وماءً جارياً^(١). وعن رجل ألقى عصا في يده، فعادت ثعباناً عظيماً ابتلع ما بحضرته من حبال وعصي لا يحصيها إلا الله، ثم عادت عصا كما كانت. وعن يد أدخلها صاحب هذه العصا إلى جيبه ثم أخرجها، فإذا لها شعاع كشعاع الشمس، وعن ماء انقلب دماً في آنيته^(٢) ومواضعه، وعن كتيب عظيم ضربه بعصاه، فاستحال قملاً^(٣) كله سلط على أهل بلد عظيم، وعن بحر ضربه بعصاه فانفلق إثني عشر طريقاً، ثم أرسلت عليه^(٤) الريح والشمس فأبيسته في ساعة، وقام الماء بين تلك الطرق كالحياض، فلما جاوزه وسلكه آخرون ضربه بعصاه فالتأم عليهم، فلم يفلت منهم إنسان، وعن جبل قلع من مكانه على قدر عسكر عظيم،

(١) ظ، م: (جاري)، والصواب ما أثبتته.

(٢) م: (انية).

(٣) يشير بذلك إلى قوله تعالى:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ

فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

وانظر: تفسير ابن كثير ٢/٢٤٢.

(٤) ظ، م: (عليهم)، والصواب ما أثبتته.

حتى رفع فوق رؤوسهم ، وقيل لهم إن تقبلوا ما أمرتم به
وإلا أطبق عليكم ثم رد إلى مكانه ، وعن قوم أمسوا وهم في
صور بني آدم ، فأصبحوا وهم في صور القردة والخنازير .

وعن مدن قلعت من أصولها ، ثم رفعت في الهواء ، ثم
أفلت^(١) بأهلها وجعل عاليها سافلها وأتبع بمطر من
الحجارة . وعن رجل ولد من غير أب وامرأة خرجت من غير
أم ، ورجل يمسح على عين الذي ولد أكمه ، ويدعو الله ،
فإذا به يبصر بعينين كالصحيح ، ويمسح الأبرص ليبراً كأن
لم يكن به بأس ، وينفخ في كبة^(٢) من الطير ، فينقلب طائراً
له لحم ودم وريش . وجماعة ينامون في غار ثلثمائة وتسع
سنين لم تأكل الأرض لحومهم ، ثم ينتبهون من نومهم قياماً
ينظرون . وعن رجل أدركه الموت هو وحمارة فمكثا مائة عام ،
ثم قام الرجل حياً وشاهد عظام حمارة وهي تكسى اللحم
ويتصل بعضها ببعض حتى قام الحمار حياً ، وشاهد طعامه
لم يتغير ، بل هو على حاله . وعن قتيل قتل بين ظهراي قوم
فأمرهم نبيهم أن يذبحوا البقرة ويضربوه ببعضها ، ففعلوا
فقام القتيل حياً ناطقاً وقال فلان قتلني .

(١) قال في اللسان : «التقلت والإفلات والانفلات : التخلص من الشيء فجأة» . والمعنى :
أن هذه المدن رفعت في الهواء ثم أطلقت فجأة .
لسان العرب ٣٤٥٤/٥ ، مادة فلت .

(٢) الكب : الشيء المجتمع من تراب وغيره .
والمعنى هنا أنه ينفخ في أجزاء الطير المجتمعمة فينقلب طائراً له لحم وريش ودم .
لسان العرب ٣٨٠٤/٥ .

وعن رسول سألته قومه آية، فأوماً إلى القمر فانشق
فلقتين وهم يشاهدونها، ثم عاد فالتأم وقدم السفر فأخبروا
برؤية ذلك عياناً^(١).

وأنه قبض قبضة من تراب، ثم رمى بها في وجوه عسكر
لا يلتقي طرفاه، فلم يبق منهم أحد إلا ملأت عينه^(٢)، وأنه
وضع يده في ماء لا يواريتها، فعاد الماء حتى ملأوا منه كل
قربة وكل وعاء في العسكر الجرار^(٣)، وأن جماعة كثيرة

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٦/٦٣١)، من طريق أنس بن مالك في كتاب المناقب،
باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر،
ح ٣٦٣٧. ورواه مسلم ٤/٢١٥٩، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب
إنشقاق القمر، ح ٤٦.

(٢) وذلك في غزوة بدر وهو معنى قول الله تعالى:

﴿وَمَارِمِيَّتٍ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «رفع رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يديه يعني
يوم بدر. فقال: يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً، فقال
جبريل: خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم. فأخذ قبضة من التراب فرمى بها
في وجوههم، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينه ومنخره وفمه تراب من تلك
القبضة؛ فولوا مدبرين».

انظر: تفسير الطبري ٩/١٣٦؛ تفسير ابن كثير ٢/٢٩٥؛ فتح القدير ٢/٢٩٦.

(٣) انظر أحاديث نبع الماء بين يديه «صلى الله عليه وسلم» في صحيح البخاري، ومنها
حديث أنس بن مالك: «أتى النبي «صلى الله عليه وسلم» بإناء وهو بالزوراء، فوضع
يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم» (فتح الباري ٦/٩٨٠). في
كتاب المناقب، باب علامات النبوة قبل الإسلام، ح ٣٥٧٢.

انظر ما رواه مسلم ٤/١٧٨٣، في كتاب الفضائل، باب معجزات النبي «صلى الله
عليه وسلم»، ح ٧، ١٠.

شبتت من برمة^(١) بقدر جسم القطا^(٢)، وأن جذعاً حن حنن الناقة العشار إلى ولدها إليه^(٣)، وأن الحصى كان يسبح في كفه وكف بعض أصحابه، تسبيحاً يسمعه الحاضرون^(٤)، وأن الحجر كان يسلم عليه سلاماً يسمعه بأذنه^(٥)، وأن بطنه شق من ثغرة نحره إلى أسفله، ثم استخرج^(٦) قلبه، فغسل، ثم أعيد وهو حي ينظر^(٧)، وأن

(١) ظ، م: (برده)، والصواب ما أثبتته. انظر: صحيح مسلم ١٦١١/٣. والبرمة: القدر.

(٢) حديث أبي طلحة الذي رواه البخاري (فتح الباري ٥٨٦/٦، ٥٨٧)، من طريق أنس في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح ٣٥٧٨. وانظر: حديث جابر الذي رواه مسلم ١٦١٠/٣، في كتاب الأشربة، باب جواز استباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ح ١٤١.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٦٠٢/٦)، من طريق جابر بن عبد الله في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح ٣٥٨٥، رواه أحمد في المسند ١٠٩/٢.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٩/٨، رواه البزار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٥٩٢/٦، فإن خفض الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة الحديث دون غيرهم مما لا ممارسة له في ذلك، وأما تسبيح الطعام فليست له إلا هذه الطريقة الواحدة مع ضعفها...» هـ.

وانظر: المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر، ص ١١١ - ١١٣.

(٥) سبق تحقيقه، ص ٧٨٠.

(٦) ظ: (استخر).

(٧) الحديث رواه البخاري (فتح الباري ٤٧٨/١٣)، من طريق شريك، في كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، ح ٧٥١٧.

وفيه: «فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء =

شجرتين دعا بها فأقبلتا تجران الأرض، حتى قامتا
بين يديه فالتزقتا، ثم رجعت كل واحدة منها
إلى مكانها^(١). وأن ذيباً تكلم^(٢)، وأن بقرة

= زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشواً إيماناً
وحكمة فحشا به صدره ولغاديدته - يعني عروق حلقه». التور يحتمل أن يكون ظرف
الماء أو غيره. فتح الباري ٤٨١/١٣.

(١) رواه مسلم ٢٣٠٦/٤ - ٢٣٠٧، من طريق جابر بن عبد الله، في كتاب الزهد
والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، ح ٣٠١٢.

(٢) رواه أحمد من طريق أبي هريرة في المسند ٣٠٦/٢، ورواه أيضاً من طريق أبي سعيد
٨٣/٣؛ ورواه الحاكم في المستدرک ٤٦٧/٤، وقال هذا حديث صحيح على شرط
مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي؛ ورواه ابن حبان وصححه، ص ١٢٠٩.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ورجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح)، وهو سند
أبي سعيد. وقال الألباني: «وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم غير القاسم
هذا وهو ثقة اتفاقاً وأخرج له مسلم في المقدمة (سلسلة الصحيحة ٣٠/١، ٣١)،
ح ١٢٢.

انظر: البيهقي في الاعتقاد، ص ٢٩٣؛ المشكاة ١٦٦٦/٣؛ البداية والنهاية ١٦٤/٦،
وقال هذا إسناد على شرط الصحيح. ولفظه كما في المسند عن أبي هريرة قال: جاء
ذئب إلى راعي الغنم، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصعد
الذئب على تل فأقعى واستدفر، فقال عمدت إلى رزق رزقني الله عز وجل انتزعتني
فقال الرجل: تالله إن رأيت كالיום ذئباً يتكلم!، قال الذئب أعجب من هذا، رجل
في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم. كان الرجل يهودياً
فجاء الرجل إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» فأسلم وأخبره، فصدقه النبي «صلى
الله عليه وسلم» ثم قال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «إنها أمانة من أمارات بين
يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث
أهله بعده».

ومعنى استدفر كما في اللسان، يقال استدفر بالأمر اشتد عزمه عليه وطلبه له. لسان
العرب ١٥٠٥/٣، مادة ذفر.

تكلمت^(١)، وأن نبياً كان يأمر بعسكره فيقعد على بساط فرسخ في فرسخ، فيأمر الريح فترتفع به بين السماء والأرض، فتحمل العسكر على متها مسيرة شهر مقبلة، ومسيرة شهر مدبرة، في كل يوم واحد، وأنه أمر بسرير عظيم لملكة، فشق الأرض وصار بين يديه، في أسرع من رد الطرف، إلى أضعاف أضعاف ما ذكرنا، مما يشاهده الناس بأبصارهم عياناً.

فهل مخالفة الأدلة القطعية لما أخبرت به الأنبياء عن الله، أعظم من مخالفتها لهذه الأمور؟!

والشبه^(٢) العقلية^(٣)، التي تذكر على استحالة هذه الأمور، أكثر وأقوى من الشبه التي يذكرونها في معارضة نصوص الوحي، بل لا نسبة بينهما. فإذا تعارضت أدلة / العقول بزعمكم وهذه الأمور، ماذا تصنعون؟

[١٠٤/١]

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٥١٢/٦)، من طريق أبي هريرة في كتاب أحاديث الأنبياء، باب رقم ٥٤، ح ٣٤٧١، ولفظه عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال: «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم» صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: بينا رجل يسوق بقرة، إذ ركبها فضربها فقالت إنا لم نخلق لهذا، وإنما خلقنا للحرث فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم؟ فقال فإني أو من بهذا أنا وأبوبكر وعمر وما هما ثم. وبينما رجل في غنمه، إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلب حتى كأنه استنقذها منه. فقال له الذئب: هذا استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم؟ قال فإني أو من بهذا أنا وأبوبكر وعمر وما هما ثم». ورواه أحمد في المسند ٢/٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) ظ، م: (التشبيه).

(٣) م: (العقلي).

أتقدمونها على أدلة العقول، فتدخلون في المؤمنين بالله ورسله؟ أم تكذبون بذلك؟ وتقولون: العقل يناقض ذلك ويبطله، ومعارضة العقل عندكم لهذه الآيات من جنس معارضته لخبر الأنبياء، لا فرق بينهما البتة، بل الشبه التي يقيمها أعداء الرسل من العقل على بطلان هذه الآيات، أقوى من الشبه التي ذكرها الجهمية والنفاء على بطلان ما أخبرت به الرسل، من صفات الله وعلوه على خلقه، واستوائه على عرشه، وكلامه وتكليمه، وقيام أفعاله به .
فعلم أن من قدم ما يظنه من العقل على نصوص الوحي، لم يبق معه من الإيمان بالرسول عين ولا أثر ولا حس ولا خبر .

وإذا كان هذا حالهم في الأمور التي قد وقعت وشاهدها الناس بأبصارهم، فكيف حالهم في الإيمان ببشر، ينزل من السماء بين ملكين واضعاً يديه على مناكبهما، والناس يرونه عياناً^(١)؟ وكيف حالهم في الإيمان بأن الشمس تطلع من

(١) الحديث رواه مسلم ٤/٢٢٥٣، من طريق النواس بن سمعان، في كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح ١١٠ .
وأورده الكشميري في كتابه التصريح بما تواتر في نزول المسيح، ص ١١٦، بتحقيق عبدالفتاح أبو غدة؛ وقد ورد في قصة الدجال ونزول المسيح وفيه «... فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجدر ريح نفسه إلامات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، الحديث» .

مهرودتين: أي لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران . وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاعة . انظر: حاشية صحيح مسلم ٤/٢٢٥٣ .

مغربها، والناس يرونها عياناً^(١)؟ وكيف بحالهم إلى غير ذلك مما أخبر به الصادق، كدابة^(٢) تنشق عنها الأرض فتخرج تكلم الناس وتخطبهم^(٣) إلى غير ذلك مما يقيمون بعقولهم شبهاً يسمونها أدلة عقلية تحيل ذلك، فمن قدم العقل على الوحي، لم يمكنه أن يجزم بصدق شيء من ذلك والله المستعان.

الوجه الثاني والأربعون:

بيان أن هؤلاء عكسوا شرعة الله وحكمته، فإنا هؤلاء عكسوا شرعة الله وحكمته، فجعلوا العقل إماماً والوحي مبعوثاً به، وجعله حاكماً والعقل محكوماً عليه، ورسولاً والعقل مرسلأ إليه، وميزاناً والعقل موزوناً به، وقائداً والعقل منقاداً له^(٤)، فصاحب الوحي مبعوث وصاحب العقل مبعوث إليه،

(١) انظر: صحيح مسلم ٤/٢٢٦٧، فيما رواه أبو هريرة في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح ١٢٨.

(٢) ظ: (كذبة).

(٣) وقد ورد ذكرها في سورة النمل، الآية ٨٢، قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾

وفي صحيح مسلم ٤/٢٢٦٧، من طرق أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة» في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح ١٢٨.

(٤) ظ، م: (منقاد).

والآتي بالشرع مخصوص بوحي^(١) من الله وصاحب العقل مخصوص ببحث عن رأي وفكرة، وصاحب الوحي (ملقى)^(٢) وصاحب العقل كادح طالب، هذا يقول أمرت ونهيت وأوحى إليّ، وقيل لي وما أقول شيئاً من تلقاء نفسي ولا من قبل عقلي ولا من جهة فكري ونظري، وذاك المتخلف يقول نظرت ورأيت وفكرت وقدرت واستحسننت^(٣) واستنتجت، والمتخلف يقول معي آلة المنطق والكليات الخمس^(٤) والمقولات العشر^(٥) والمختلطات والموجهات^(٦) أهتدي بها، والرسول يقول: معي كتاب الله وكلامه ووحيه، والمتخلف يقول معي العقل، والرسول يقول: معي نور خالق العقل به أهدي وأهتدي، والرسول يقول: قال الله كذا، قال جبريل عن الله كذا، والمتخلف^(٧) يقول: قال أفلاطون^(٨)، قال بقراط^(٩)، قال أرسطو^(١٠)

-
- (١) ظ، م: (لوحى).
(٢) (ملقى): سقط من م.
(٣) م: (وأحسننت).
(٤) سبق، ص ٨١٣.
(٥) سبق، ص ٨١٣.
(٦) سبق، ص ٨١٥.
(٧) م: (المختلف).
(٨) سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٤.

(٩) هو بقراط بن ابراقلس، يظن أنه ولد بجزيرة فوص سنة ٤٦٠ ق. م. اشتهر بالطب والفلسفة وهو يوناني درس في أثينا له كتب كثيرة منها «الحكم الأبقراطية» وكتاب «الأمراض الحادة» وكتاب «جراحات الرأس» وكتاب «الماء والهواء» ترجم كثير من كتبه إلى العربية، وأضيف إليها شروحات وتعليقات، ومن أشهر من ترجمها «حنين بن إسحاق»، وعيسى بن يحيى، وثابت بن قرة وغيره.
توفي سنة ٣٧٠ ق. م.: أخبار الحكماء، ص ٦٤، ٦٧؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص ٧.
(١٠) سبق، ص ٧٨٣.

كذا، قال ابن سينا^(١)، قال الفارابي^(٢).

فيسمع من الرسول ظاهر التنزيل وصحيح التأويل
وشرع سنة، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وخبر عن الله
وأسمائه وصفاته وأفعاله، وخبر عن السماء والملائكة واليوم
الآخر. ويسمع من الآخر الهيولي والصورة^(٣) والطبيعة^(٤)
والاستقص^(٥) والذاتي والعرض والجنس والنوع والفصل
والخاصة^(٦) والأيس والليس^(٧)^(٨)، وعكس النقيض

(١) سبق انظر، ص ٧٦٤.

(٢) سبق انظر، ص ٧٨٥.

(٣) ظ، م: (المصورة).

(٤) الهيولي كلمة يونانية الأصل ويراد بها المادة الأولى وهي كل ما يقبل الصورة. المعجم
الفلسفي، ص ٢٠٨؛ التعريفات للجرجاني، ص ١٧٤.

الصورة: ما قابل المادة فصورة التمثال هي الشكل الذي صنع عليه ومادته هي ما صنع
منه من مرمر أو برونز. المعجم الفلسفي، ص ١٠٧؛ التعريفات، ص ٩١؛ دستور
العلماء ٢/٢٥٤.

الطبيعة: بوجه عام جملة الكائنات كالأرض والسماء وغيرهما وبوجه خاص ما يميز
الشيء من غيره. المعجم الفلسفي، ص ١١٢؛ التعريفات، ص ٩٤؛ دستور العلماء
٢/٢٧٤.

(٥) سبق، ص ٨١٢.

(٦) سبق، ص ٨١٣.

(٧) ظ، م: (الكيس)، والصواب ما أثبت.

(٨) الأيس والليس: هو الوجود والعدم، قال في اللسان: قال الليث: أيس كلمة قد
أميتت، إلا أن الخليل ذكر أن العرب تقول جيء به من حيث أيس وليس لم تستعمل
أيس الا في هذه الكلمة، وإنما معناها كمعنى حيث هو في حال الكينونة والوجد.

وأصل كلمة ليس لا أيس، لسان العرب ٦/٢٠، مادة أيس، دار صادر؛ حاشية
رسائل الكندي ١/١٨٢، تحقيق أبوريدة؛ مفاتيح العلوم، ص ١٨؛ الإمتاع والمؤانسة
١٨/٢.

والعكس المستوي^(١)، وما شاكل هذا مما لا يسمع من مسلم ولا يهودي ولا نصراني ولا مجوسي، إلا من رضي لنفسه بما يرضى^(٢) به هؤلاء المتخلفون لأنفسهم ورجب فيما رغبوا فيه، وبالجملته فهما طريقان متباينان، فمن أراد أن يتمتع^(٣) بعقول هؤلاء، فليعزل نظره عن الوحي ويخلي بينه وبين أهله، ومن أحب أن يكون من أهل العقل والوحي فليعتصم بالوحي ويستمسك بغرز^(٤) من جاء به، ويسلم^(٥) إليه أعظم من تسليم الصبي لأستاذه ومعلمه بكثير، فإن

(١) عكس النقيض: هو تبديل الطرف الأول من القضية بنقيض الثاني، والثاني بعين الأول، مع بقاء الصدق دون الكيف. مثال: كل جندي شجاع.

١ - لا واحد من الجنود غير شجاع.

٢ - لا واحد من غير الشجعان جندي، عكس النقيض.

العكس المستوي: هو عبارة عن جعل الجزء الأول من القضية ثانياً والثاني أولاً مع بقاء الصدق والكيف بحالهما، المدخل إلى علم المنطق، ص ١٤٩، ١٥٠.

مثال:

١ - كل ذهب معدن (قضية أصلية).

٢ - بعض المعدن ذهب (قضية عكسية) مدخل إلى علم المنطق، ص ١٣٦ الشمسية في القواعد المنطقية، ص ١٣.

(٢) ظ: (رضي).

(٣) يتمتع: أي يأخذ بمقالاتهم العقلية.

(٤) الغرز: ركاب الرحل. وغرز رجله في الغرز يغرزها غرزاً: وضعها فيه ليركب وأثبتها، وفي الحديث أن أبا بكر قال لعمر في صلح الحديبية (فاستمسك بغيره فوالله إنه على الحق). رواه البخاري (فتح الباري ٣٣٢/٥). والمعنى: التزام أمر النبي «صلى الله عليه وسلم» والتمسك بسنته، لسان العرب ٣٢٣٩/٥ مادة غرز، فتح الباري ٣٤٦/٥.

(٥) ظ: (يتسلم).

التباين الذي بين النبي وبين صاحب المعقول أضعاف
أضعاف التباين الذي بين الصبي والأستاذ.

ومن العجب، أن هؤلاء المقدمين عقولهم على الوحي،
خاضعون لأئمتهم وسلفهم، مستسلمون لهم في أمور كثيرة،
يقولون: هم أعلم بها منا، وعقولهم أكمل من عقولنا،
فليس لنا أن نعترض عليهم فكيف يعترض على الوحي
بعقله من نسبته إليه أدق وأقل من نسبة عقل الطفل إلى
عقله؟

وجماع الأمر أن قضايا المعقول، مشتملة على العلم
والظن والوهم، وقضايا الوحي كلها حق، فأين قضايا
مأخوذة عن عقل قاصر عاجز عرضة للخطأ، من قضايا
مأخوذة عن خالق العقول وواهبها هي كلامه وصفاته!

الوجه الثالث والأربعون:

إن العقل تحت حجر الشرع فيما يطلبه ويأمر به، وفيما
يحكم به ويخبر عنه، فهو محجور عليه في الطلب والخبر، وكما
أن من عارض أمر الرسل بعقله لم يؤمن بهم وبما جاءوا به،
فكذلك^(١) من عارض / خبرهم بعقله، ولا فرق بين
الأمريين أصلاً، يوضحه أن الله سبحانه وتعالى حكى عن
الكفار معارضة أمره بعقولهم، كما حكى عنهم معارضة خبره
بعقولهم.

بيان أن من عارض
أمر الرسل بعقله
لم يؤمن بهم وكذا من
عارض خبرهم
[١٠٥/١]

(١) ظ، م: (فلذلك).

أما الأول: ففي قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا
وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ۲۷۵].

فعارضوا تحريمه للربا بعقولهم، التي سوت بين الربا
والبيع، فهذا معارضة النص بالرأي، ونظير ذلك مما عارضوا
(به) (١) تحريم الميتة بقياسها على المذكي وقالوا: تأكلون
ما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله، وفي ذلك أنزل الله:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِجِدِّ لُوكُمْ وَإِنَّ
أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٢) (٣) [الأنعام: ۱۲۱].

(١) (به): سقط من م.

(٢) ظ، م: (مشركون)، وهو خطأ.

(٣) الحديث رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٤٤٥/٨)، من طريق عبدالله بن عباس في
أبواب التفسير، سورة الأنعام، ح ٥٠٦٤، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
ورواه ابن أبي حاتم مرسلاً. ورواه النسائي ٢٣٧/٧، في كتاب الأضاحي، باب
تأويل قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. ورواه أبو داود
(عون المعبود ١٤/٨)، في كتاب الأضاحي، باب في ذبائح أهل الكتاب، ح ٢٨٠٢،
بلفظ «جاءت اليهود إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» فقالوا: نأكل ما قتلنا...»

إلخ». والحديث بهذا اللفظ له علل ذكرها ابن القيم وابن كثير منها:

١ - أن عطاء بن السائب اضطرب فيه فمرة وصله ومرة أرسله.

٢ - أن عطاء بن السائب اختلط في آخر عمره. واختلف بالاحتجاج بحديثه، وإنما
أخرج له البخاري مقروناً بأبي بشر.

٣ - أن فيه عمران بن عيينة أخو سفيان بن عيينة. قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج
بحديثه لأنه يأتي بالناكير.

وعارضوا أمره بتحويل القبلة بعقولهم^(١)، وقالوا: إن كانت القبلة الأولى حقاً فقد تركت الحق، وإن كانت باطلاً فقد كنت على باطل، وإمام هؤلاء شيخ الطريقة إبليس عدو الله، فإنه أول من عارض أمر الله بعقله، وزعم أن العقل يقتضي خلافه.

وأما الثاني: فهو معارضة^(٢) خبره بالعقل، فكما حكى سبحانه عن منكري المعاد أنهم عارضوا ما أخبر به عنه بعقولهم، فقال تعالى:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

وأخبر سبحانه أنهم عارضوا ما أخبر به من التوحيد بعقولهم، وعارضوا أخباره عن النبوات بعقولهم، وعارضوا بعض الأمثال التي ضربها بعقولهم، وعارضوا أدلة نبوة رسوله بمعارضة عقلية، وهي قولهم:

٤ = أن سورة الأنعام مكية باتفاق، ومجيء اليهود إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» ومجادلتهم إياه، كان بعد قدومه المدينة.

٥ = إن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.

انظر: حاشية عون المعبود ١٤/٨؛ تفسير ابن كثير ١٧١/٢.

وقد رواه أبو داود (عون المعبود ١٣/٨)، من طريق ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود.

قال ابن كثير، وهذا إسناد صحيح ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس

وليس فيه ذكر اليهود فهذا هو المحفوظ لأن الآية مكية واليهود لا يحملون الميتة» اهـ.

تفسير ابن كثير ١٧١/٢.

(١) ظ، م: (بعقولهم إن كانت)، ولعل قوله «إن كانت» زائدة.

(٢) ظ، م: (معارض)، ولعل الصواب ما أثبتته.

﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾

[الزخرف: ٣١].

وأنت إذا صغت هذه المعارضة صوغاً مزخرفاً، وجدتها من جنس معارضة المعقول بالمنقول^(١)، وعارضوا آيات نبوته بمعارضة عقلية أخرى، وهي قولهم:

﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا
أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزًا
تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

أي لو كان رسولاً لخالق السموات والأرض، لما أحوجه أن يمشي بيننا في الأسواق في طلب المعيشة ولأغناه عن أكل الطعام، ولأرسل^(٢) معه ملكاً من الملائكة، ولألقي^(٣) إليه كنزاً يغنيه عن طلب الكسب. وعارضوا شرعه - سبحانه - ودينه الذي شرعه لهم على لسان رسوله وتوحيده، بمعارضة عقلية استندوا فيها [على]^(٤) القدر، فقال تعالى:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا
وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا
بِأَسْأَفِ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لِنَّا أَنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩].

(١) ظ: (للمنقول). (٢) ظ: (ولا أرسل).

(٣) ظ: (ولا ألقى).

(٤) (على): ليست في ظ. ولا: م وبها تستقيم العبارة.

وحكى مثل هذه المعارضة عنهم في سورة النحل وفي الزخرف، وإذا تأملتها حق التأمل؛ رأيتها أقوى بكثير من معارضة النفاة آيات الصفات وأخبارهم بعقولهم، فإن إخوانهم عارضوا بمشيئة الله الكائنات والمشية ثابتة في نفس الأمر، والنفاة عارضوا بأصول فاسدة وهم وضعوها من تلقاء أنفسهم، أو تلقوها عن أعداء الرسل من الصابئة^(١) والمجوس^(٢) والفلاسفة^(٣)، وهي خيالات فاسدة ووهميات ظنوها قضايا عقلية. وبالجملة فمعارضة أمر الرسل وخبرهم بالمعقولات، إنما هي طريقة الكفار، فهم سلف للخلف بعدهم، فبئس السلف وبئس الخلف، ومن تأمل معارضة المشركين والكفار للرسل بالعقول، وجدها أقوى من معارضة الجهمية والنفاة لخبرهم^(٤) عن الله وصفاته وعلوه على خلقه وتكليمه للملائكته ورسله بعقولهم، فإن كانت تلك المعارضة باطلة فهذه أبطل، وإن صحت هذه المعارضة فتلك أولى بالصحة منها وهذا لا محيد لهم عنه. يوضحه:

الوجه الرابع والأربعون:

إن القرآن مملوء من ذكر الصفات والعلو على الخلق والاستواء على العرش، وتكلم الله وتكليمه للرسل وإثبات الوجه واليدين والسمع والبصر والحياة والمحبة والغضب

بيان أن المشركين أعرف بالله من الجهمية لأنهم لم يعترضوا على صفاته سبحانه

(١) سبق. ص ١٦٢.

(٢) سبق. ص ٣٤٩.

(٣) سبق. ص ١٩١.

(٤) ظ، م: (بخبرهم)، والصواب ما أثبتته.

والرضى للرب سبحانه، وهذا عند النفاة بمنزلة وصفه بالأكل والشرب والجوع والعطش والنوم والموت كل ذلك مستحيل عليه، ومعلوم أن أخبار الرسول عنه سبحانه بما هو مستحيل عليه من أعظم المنفرات عنه، ومعارضته فيه أسهل من معارضته فيما عداه. ولم يعارضه أعداؤه في حرف واحد من هذا الباب ولا أنكروا عليه كلمة واحدة منه، مع حرصهم على معارضته بكل ما يقدرون عليه، فهلا عارضوه بما عارضته به الجهمية والنفاة، وقالوا / قد: أخبرتنا بما يخالف العقل الصريح، فكيف يمكننا تصديقك؟ بل كان القوم على شركهم وضلالهم أعرف بالله وصفاته من النفاة الجهمية، وأقرب إلى إثبات الأسماء والصفات والقدر والمشية والفعل من شيوخ هؤلاء الفلاسفة^(١) وأتباعهم من السيناوية^(٢) والفارابية^(٣) والطوسية^(٤)، الذين ليس للعالم عندهم رب يعبد ولا رسول يطاع ولا معاد للخليقة، ولا يزيل الله هذا العالم ويأتي بعالم آخر، فهذه الأصول قد اشتركت فيها أعداء الرسل وامتازت كفار قريش باتباعهم الربوبية والصفات والملائكة وخلق العالم وكون الرب فاعلاً

[١٠٦/١]

(١) سبق. ص ١٩١.

(٢) السيناوية: نسبة إلى الحسين بن عبدالله ابن سينا الفيلسوف، وكان من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين. انظر ترجمته، ص ٧٦٤. وانظر القرامطة، ص ٢٩٩.

(٣) الفارابية: نسبة إلى محمد بن محمد أبي نصر الفارابي من الفلاسفة. انظر ترجمته، ص ٧٨٥؛ وانظر الفلاسفة، ص ١٩١.

(٤) الطوسية: نسبة إلى محمد بن محمد المسمى «نصيرالدين الطوسي»، وهو من الفلاسفة المتكلمين، انظر ترجمته، ص ٧٩٠؛ وانظر الفلاسفة، ص ١٩١.

بمشيئته وقدرته، ولهذا لم يعارضوا الرسول في شيء من ذلك.

بيان أن لا يتم
الإيمان مع وجود
ما يناقض خبر
الرسول

الوجه الخامس والأربعون:

أنه لو جاز أن يكون في العقول ما يناقض خبر الرسول لم يتصور الإيمان به البتة لوجهين:

أحدهما: أنه لا سبيل إلى العالم بانتفاء جميع المعارض، وما علق على الممتنع فهو ممتنع.

الثاني: أن تصديقهم والإيمان بهم يكون موقوفاً على الشرط، والإيمان لا يصح تعليقه بالشرط، فلو قال آمنت بالرسول إن أذن لي أبي أو إن أعطيتموني كذا، أو إن جعل لي الأمر من بعده ونحو ذلك، لم يكن مؤمناً بالاتفاق، كما قال مسيلمة: إن جعل محمد الأمر لي من بعده آمنت به، فلم يصر مؤمناً بذلك، وكان من أكفر الكفار، فهكذا إذا قال: آمنت بما أخبر به إلا أن يعارضه دليل عقلي، وهذا حقيقة قول هؤلاء، فإن هذا لم يؤمن به باتفاق الأمة، وهذا كما أنه كفر في الشرع فهو فاسد في العقل، فالواجب على الخلق الإيمان بالرسول إيماناً مطلقاً جازماً غير معلق على شرط. ومن قال أصدق بما صدق عقلي به وأرد ما رده عقلي، أو عقل من هو أعدل مني أو مثلي، فهو كافر باتفاق الأمة فاسد العقل، وهو نظير طائفة من اليهود يقولون: نصدق أنه رسول الله حقاً، ولكن لم يبعث إلينا وإنما بعث إلى العرب، فهذا في إنكار عموم رسالته في المرسل إليهم، نظير إنكار

عموم رسالته في المرسل^(١) به فتأمله، وهؤلاء شر من الذين قال الله فيهم:

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فأولئك وقفوا بالإيمان على أن يؤتوا^(٢) نظير ما جاءت به الرسل، وهؤلاء وقفوه على ما يناقض ما جاءت به الرسل. الوجه السادس والأربعون:

إن هذه المعارضة ميراث بالتعصيب من الذين ذمهم الله في كتابه بجداولهم في آياته بغير سلطان وبغير علم، وأخبر أن مصدر تلك المجادلة كبر واستكبار عن قبول الحق ممن يرون أنهم أعلم منهم، كما قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

وهذا شأن النفوس الجاهلة الظلمة، إذا كان عندها شيء^(٣) من علم قد تميزت به عن من هو أجهل منها، وحصل لها به نوع رياسة ومال، فإذا جاءها من

(١) إنكار عموم رسالته في المرسل إليهم كقول النصارى: بأن محمداً «صلى الله عليه وسلم» رسول إلى العرب خاصة. وإنكار عموم رسالته في المرسل به كقول بعضهم: بأن محمداً «صلى الله عليه وسلم» رسول في العمليات دون العلميات. وسيأتي بيان الرد على من قال بذلك انظر ص ٩٥٦.

(٢) ظ، م: (أن يؤثر)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (شيئاً).

هو أعلم منها بحيث تحي رسوم علومها ومعارفها في علمه
ومعرفته، عارضته بما عندها من العلم وطعنت فيما عنده
بأنواع المطاعن، قال تعالى:

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ * الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾
[غافر: ٣٤، ٣٥].

وقال تعالى:

﴿الَّذِينَ^(١) يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ
إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].
والسلطان هو الكتاب المنزل من السماء. وقال تعالى:

﴿وَجَادِلُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

وقال تعالى:

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجِدِ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا^(٢) هُزُوًا﴾
[الكهف: ٥٦].

وهذا كثير في القرآن يذم به سبحانه الذين عارضوا كتبه

(١) أول الآية: (إن الذين يجادلون).

(٢) ظ: (وما أنذر).

ورسله بما عندهم من الرأي والمعقول^(١) والبدع والكلام الباطل مشتق من الكفر، فمن عارض الوحي بآراء الرجال كان قوله مشتقاً من أقوال هؤلاء الضلال، قال مالك: أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما جاء به جبريل إلى النبي «صلى الله عليه وسلم» لجدله^(٢)، ومن وقف على أصول هؤلاء المعارضين ومصدرها تبين له^(٣) أنها نشأت من أصليين:

من كبر عن اتباع الحق وهوى معمي للبصيرة^(٤)، وصادمته شبهات كالليل المظلم، فكيف لا يعارض من هذا وصفه خيراً الأنبياء بعقله وعقل من يحسن به الظن، ثم دخلت تلك الشبهات في قلوب قوم لهم دين وعندهم إيمان وخير فعجزوا عن دفعها، فاتخذوها ديناً وظنوها تحقيقاً لما بعث الله به رسوله، فحاربوا عليها واستحلوا من خالفهم فيها ما حرمه الله ورسوله، وهم بين جاهل مقلد / ومجتهد مخطيء حسن القصد، وظالم معتد متعصب والقيامة موعد الجميع والأمر يومئذ لله.

[١٠٧/١]

(١) م: (والعقول).

(٢) رواه اللالكاني في كتاب شرح أصول المقاد أهل السنة ١/١٤٤، وفي جامع بيان العلم وفضله، ص ٤٣١ بمعناه.

وانظر كتاب الشرح والإبانة للعكبري، ص ١٣٠.

(٣) ظ، م: (تين لها).

(٤) م: (البصيرة).

الوجه السابع والأربعون :

بيان أن دلالة السمع
على مدلوله متفق
عليها بين العقلاء
بخلاف دلالة العقل

إن دلالة السمع على مدلوله متفق عليها بين العقلاء، وإن اختلفوا في جهتها هل هي قطعية أو ظنية، وهل أرادت الرسل إفهام مدلولها واعتقاد ثبوته^(١)؟ أم أرادت إفهام غيره وتأويل تلك الأدلة وصرافها عن ظاهرها؟ فلا نزاع بين العقلاء في دلالتها على مدلولها، ثم قال أتباع الرسل: مدلولها ثابت في نفس الأمر^(٢) وفي الإرادة^(٣)، وقالت النفاة أصحاب التأويل: مدلولها منتف في نفس الأمر وفي الإرادة، وقال أصحاب التخيل^(٤): مدلولها ثابت في الإرادة منتف في نفس الأمر. وأما دلالة ما عارضها من العقليات على مدلوله، فلم يتفق أربابها على دليل واحد منها؛ بل كل طائفة منهم تقول في أدلة خصومها: إن العقل يدل على فسادها لا على صحتها، وأهل السمع مع كل طائفة تخالفه في دلالة العقل على فساد قول تلك الطائفة المخالفة للسمع، فكل طائفة تدعي فساد قول خصومها بالعقل، يصدقهم أهل السمع على ذلك ولكن يكذبونهم في دعواهم صحة قولهم بالعقل، فقد تضمنت دعوى الطوائف فسادها بفهم من العقل بشهادة بعضهم على بعض، وشهادة أهل الوحي والسمع معهم ولا يقال هذا ينقلب عليكم باتفاق شهادة

(١) ظ، م: (نبوته).

(٢) ظ: (والأمر).

(٣) الإرادة: أي إرادة الرسل وإفهام مدلول النصوص.

(٤) م: (التخيل).

الفرق كلها على بطلان ما دل عليه السمع، وإن اختلفوا في أنفسهم لأن المطلوب أنهم كلهم متفقون على أن السمع دل على الإثبات، ولم يتفقوا على أن العقل دل على نقيضه، فيمتنع تقديم الدلالة التي لم يتفق عليها على الدلالة المتفق عليها وهو المطلوب.

الوجه الخمسون^(١):

أن يقال^(٢)، كل^(٣) ما عارض السمع من العقليات ففساده معلوم بالعقل وإن لم يعارض السمع، فلسنا متوقفين في إبطاله والعلم بفساده على كونه عارض السمع بل هو باطل في نفسه، و[في]^(٤) معارضة السمع له دليل سمعي على بطلانه؛ فقد اتفق على فسادته وبطلانه دليل العقل والسمع، وما كان هكذا لم يصلح أن يعارض به عقل ولا سمع، وتفصيل هذه الجملة، بيان شبهة المخالفين للسمع وبيان فسادها ومخالفتها لصريح العقل، وهذا الأمر بحمد الله لم يزل أنصار الرسول يقومون به ويتكفلون ببيانه، وهم فيه درجات عند الله على منازلهم من العلم والإيمان والبيان.

بيان أن كل ما عارض السمع من العقليات ففساده معلوم بالعقل

(١) كذا في ظ، م وكتب في هامشها هكذا في الأصل. فقد ذكر الوجه السابع والأربعين، وأتبعه بالوجه الخمسين ولم يذكر الوجه الثامن والأربعين ولا التاسع والأربعين» فلعله سقط أو خطأ من الناسخ.

(٢) ظ، م: (أن يقول)، ولعل الأصوب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (كلما).

(٤) (في): إضافة من م.

ولا ترى مسألة واحدة عورض بها الرسول إلا وقد -
 ردها أنصاره وحزبه وبينوا فسادها، وسخافة عقل أربابها
 المعارضين بها في كل نوع من أنواع العلم، وقد أجرى الله
 سنته وعادته، أن يكشف عن عورة المعارض ويفضحه
 ويخذه في عقله، حتى يقول ما يضحك منه الإنسان، كما
 خذل المعارض بكلامه حتى أضحك عليه الناس فيما عارضه
 به، وهذا من إتمام أدلة النبوة وبراهين صحة الوحي، أن تجد
 المعارض له يأتي بما يضحك منه العقلاء، فلعل قائلًا يقول
 ما جاءت به الرسل قد يكون له معارض صحيح فإذا
 وقف^(١) على المعارض وسخفه وتحقق بطلانه، زاده قوة في
 إيمانه وبقينه، وصار ذلك بمثابة رجل ادعى أن معه طيباً ليس
 مع أحد مثله، ولا مثل ريحه فعارضه آخر بأن معه مثله
 أو أفضل^(٢) منه، فلما أخرجته، إذ هو أنتن شيء وأخبثه
 ريحاً، ولكن هناك عقول جعلية^(٣) نشأت في التنن والحشوش
 فلا تألف غير ما نشأت فيه .

الوجه الحادي والخمسون:

إن الأمور السمعية التي يقال، إن العقل عارضها
 كإثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه وتكلمه ورؤية
 العباد له في الآخرة، وإثبات الصفات له، هي ما علم
 بالاضطرار أن الرسول جاء بها، وعلم بالاضطرار صحة نبوته

بيان أن ما علم
 بالاضطرار ومنها
 صفات الله امتنع أن
 يقوم على بطلانه
 دليل

(١) ظ: (وقفت).

(٢) ظ: (أو فضل منه).

(٣) جعلية: نسبة إلى الجعل وهي دوية سوداء معروفة تشبه الخنفساء تعيش على القدر.

لسان العرب ١١٢/١١ دار صادر.

ورسالته، وما علم بالاضطرار امتنع أن يقوم على بطلانه دليل، وامتنع أن يكون له معارض صحيح، إذ لو جاز أن يكون له معارض صحيح، لم يبق لنا وثوق بمعلوم أصلاً لا حسي ولا عقلي، وهذا يبطل حقيقة الإنسانية، بل حقيقة الحيوانية المشتركة بين الحيوانات فإن لها تميزاً وإدراكاً للحقائق بحسبها، وهذا الوجه في غاية الظهور غني بنفسه عن التأمل، وهو مبني على مقدمتين قطعيتين، إحداهما: أن الرسول أخبر عن الله بذلك، والثانية: أنه صادق، ففي أي المقدمتين يقدر المعارض بين العقل والنقل.

الوجه الثاني والخمسون:

إن دليل العقل هو إخباره عن الذي خلقه وفطره، أنه وضع فيه ذلك^(١) وعلمه إياه وأرشده إليه.

بيان أن العقل شاهد
لخبر الرسول بأنه
صدق وحق

ودليل السمع هو الخبر عن الله، أنه قال ذلك وتكلم به وأوحاه وعرف به الرسول^(٢) وأمره أن يعرف / الأمة ويخبرهم به ولا يكون أحدهما صحيحاً، حتى يكون الآخر مطابقاً لمخبره، وأن الأمر كما أخبر به، وحينئذ فقد شهد العقل لخبر الرسول، بأنه صادق وحق، فعلمنا مطابقتة لمخبره بمجموع الأمرين، بخبر الرسول به وشهادة العقل الصريح بأنه لا يكذب في خبره. وأما خبر العقل عن الله بما يضاد ذلك^(٣)، بأن الله وضع فيه ذلك وعلمه إياه فلم يشهد

(١) أي المعاني الصحيحة عن الله وأسمائه وصفاته.

(٢) ظ، م: (الرسول)، والصواب ما أثبت.

(٣) أي المعاني الباطلة عن الله وأسمائه وصفاته.

له الرسول بصحة هذا الخبر، بل شهد ببطلانه فليس معه إلا شهادته لنفسه، بأنه صادق فيما أخبر به، فكيف يقبل شهادته لنفسه مع عدم شهادة الرسول له؟ فكيف مع تكذيبه إياه؟ فكيف مع تكذيب العقل الصريح المؤيد بنور الوحي له؟ فكيف مع تهاتر^(١) أصحابه وتكاذبهم^(٢) وتناقضهم؟ يزيده إيضاحاً:

بيان أن الأدلة الوجه الثالث والخمسون:

السمعية نوعان.

النوع الأول وهو أن الأدلة السمعية نوعان:

النوع الأول فهو عقلي سمعي، ومن هذا غالب أدلة النبوة والمعاد والصفات والتوحيد، ما تقدم^(٣) التنبيه على السير جداً منه، وإذا تدبرت القرآن رأيت هذا أغلب النوعين عليه وهذا النوع يمتنع أن يقوم دليل صحيح على معارضته لاستلزامه مدلوله، وانتقال الذهن فيه من الدليل إلى المدلول ضروري، وهو أصل للنوع الثاني الدال بمجرد الخبر، فالقدح في النوعين بالعقل ممتنع بالضرورة، أما الأول؛ فلما تقدم، وأما الثاني؛ فلاستلزام القدح فيه القدح في العقل الذي أثبتته

النوع الثاني

(١) تهاترهم: اهتر: فتق العرض ورجل مستهتر لا يبالي ما قيل فيه ولا ما قيل له

ولا ما شتم به. واهتر: هو الباطل والسقط من الكلام.

والمهاترة: القول الذي ينقض بعضه بعضاً، ولعله المراد هنا.

لسان العرب ٤٦١١/٦ مادة (هتر).

(٢) تكاذبهم: أي تكذيب بعضهم بعضاً.

(٣) انظر ص ٤٦٠، وما بعدها.

وإذا بطل العقل الذي أثبت السمع، بطل ما عارضه من العقلية كما تقدم تقريره^(١). يوضحه:

الوجه الرابع والخمسون:

ذكر الأدلة العقلية
على إثبات صفات
الله تعالى

إنه ليس في القرآن صفة إلا وقد دل العقل الصريح على إثباتها لله، فقد تواطأ عليها دليل العقل ودليل السمع، فلا يمكن أن يعارض بثبوتها دليل صحيح البتة لا عقلي ولا سمعي، بل إن كان^(٢) المعارض سمعياً كان كذباً مفترى أو مما أخطأ المعارض في فهمه، وإن كان عقلياً فهو شبه خيالية وهمية لا دليل عقلي برهاني، وأعلم أن هذه دعوى عظيمة ينكرها كل جهمي وناق وفيلسوف وقرمطي وباطني، ويعرفها من نور الله قلبه بنور الإيمان، وباشر قلبه معرفة الذي دعت إليه الرسل، وأقرت به الفطر وشهدت به العقول الصحيحة المستقيمة لا المنكوسة الموكوسة^(٣) التي نكست قلوب أصحابها فرأت الحق باطلاً، والباطل حقاً والهدى ضلالة، والضلالة هدى، وقد نبه الله سبحانه في كتابه على ذلك، وأرشد إليه، ودل عليه في غير موضع منه، وبين أن ما وصف به نفسه هو الكمال الذي لا يستحقه سواه، فجاحده جاحد لكمال الرب، فإنه يمدح بكل صفة وصف بها نفسه، وأثنى بها على نفسه، ومجد بها نفسه، وحمد بها نفسه، فذكرها سبحانه على وجه المدحة له، والتعظيم،

(١) ظ، م: (تقديره)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (كل).

(٣) الموكوسة: الوكس: النقص. لسان العرب ٦/٤٩٠٦، مادة وكس.

والتمجيد، وتعرف بها إلى عباده، ليعرفوا كماله وعظمته ومجده وجلاله، وكثيراً ما يذكرها عند ذكر آلهتهم التي عبدوها^(١) من دونه، وجعلوها شركاً له، فيذكر سبحانه من صفات كماله، وعلوه على عرشه، وتكلمه، وتكليمه^(٢)، وإحاطة علمه، ونفوذ مشيئته ما هو منتف عن آلهتهم، فيكون ذلك من أدل الدليل على بطلان آلهيتها وفساد عبادتها من دونه، ويذكر ذلك عند دعوته عباده إلى ذكره وشكره وعبادته .

فيذكر لهم من أوصاف كماله، ونعوت جلاله ما يجذب قلوبهم إلى المبادرة إلى دعوته، والمشاركة إلى طاعته، والتنافس^(٣) في القرب منه، ويذكر صفاته أيضاً عند ترغيبه لهم، وترهيبه، وتخوفه، ليعرف القلوب من تخافه وترجوه، وترغب إليه، وترهب منه، ويذكر صفاته أيضاً عند أحكامه وأوامره ونواهيه، فقل أن تجد آية (حكم)^(٤) من أحكام المكلفين إلا وهي مختمة بصفة من صفاته أو صفتين . وقد يذكر الصفة في أول الآية ووسطها وآخرها كقوله^(٥) :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١] .

فيذكر صفاته عند سؤال عباده لرسوله عنه، ويذكرها

(١) ظ، م : (عدوها)، والصواب ما أثبتته .

(٢) ظ : (وتكلمه) .

(٣) ظ : (ولساقس) .

(٤) ظ : (لقلوه) .

(٥) (حكم) : سقط من م .

عند سؤالهم له عن أحكامه حتى إن الصلاة لا تنعقد إلا بذكر أسمائه وصفاته فذكر أسمائه وصفاته وروحها وسرها يصحبها من أولها إلى آخرها، وإنما أمر بإقامتها ليذكر بأسمائه وصفاته وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته، ففتح لهم باب الدعاء رغباً ورهباً ليذكره الداعي بأسمائه وصفاته فيتوسل إليه بها، ولهذا كان أفضل الدعاء وأجوبه^(١) ما توسل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته، قال الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكان اسم الله الأعظم في هاتين / الآيتين آية الكرسى، وفاتحة آل عمران^(٢) لاشتمالها على صفة الحياة

(١) أجوبه: ما ترجى إجابته.

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٤٤٧/٩، من طريق أسماء بنت يزيد، في أبواب الدعاء، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ح ٣٥٤٣، بلفظ «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وفاتحة آل عمران: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٤/٣٦٣، ٣٦٤)، في كتاب الصلاة، باب الدعاء، ح ١٤٨٢.

ورواه ابن ماجه ٣٤٦/٢، ط. الأعظمي في أبواب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، ح ٢٩٠٠، ورواه بسند آخر بلفظ: «اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث البقرة وآل عمران وطه»، ح ١٩٠١، قال في الزوائد: «رجاله ثقات، وهو موقوف».

ورواه الحاكم في المستدرک ٥٠٥/١، ٥٠٦، في كتاب الدعاء، سكت عنه الذهبي.

ورواه أحمد في المسند ٤٦١/٦، والحديث في سنده شهرين حوشب =

المصححة لجميع الصفات وصفة القيومية المتضمنة لجميع الأفعال؛ ولهذا كانت سيدة آي القرآن وأفضلها، ولهذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن^(١)؛ لأنها أخلصت للخبر عن الرب تعالى، وصفاته دون خلقه، وأحكامه، وثوابه، وعقابه، وسمع النبي «صلى الله عليه وسلم» رجلاً يدعو: «اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم»^(٢)، وسمع آخر يدعو: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي

= وعبيدالله ابن أبي زياد القداح المكي، وفيها كلام (تحفة الأحوزي ٤٤٧/٩)؛ (عون المعبود ٤/٣٦٤، ٣٦٥).

(١) انظر: مارواه البخاري ٥٨/٩، ٥٩، من طريق أبي سعيد الخدري، في كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد، ح ٥٠١٣.

رواه مسلم ٥٥٦/١، من طريق أبي الدرداء، في كتاب صلاة المسافرين وحصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، ح ٢٥٩.

ورواه الترمذي ١٠٦/٨، من طريق أبي أيوب الأنصاري، في أبواب: ثواب القرآن، باب: ما جاء في سورة الإخلاص، ح ٢٨٩٨، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٥٢٩/٩)، من طريق أنس، في أبواب الدعوات، باب رقم (١٠٩)، ح ٣٦١٢، هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أنس.

رواه أبو داود (عون المعبود ٤/٣٦٣)، في كتاب الصلاة، باب الدعاء، ح ١٤٨١. ورواه ابن ماجه ٣٤٧/٢، في أبواب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، ح ٣٩٠٤.

ورواه النسائي ٥٢/٣، في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر.

ورواه الحاكم في المستدرک ٥٠٤/١.

وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، فقال لأحدهما: «لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»، وقال للآخر: «سل تعطه»^(١)، وذلك لما تضمنه هذا الدعاء من أسماء الرب وصفاته، وأحب ما دعاه الداعي به أسماؤه^(٢) وصفاته، وفي الحديث الصحيح عنه «صلى الله عليه وسلم» أنه قال: «ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي وغمي إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحاً»، قالوا: أفلا نتعلمهن يا رسول الله، قال: «بلى ينبغي لمن

(١) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٤٤٥/٩)، من طريق عبدالله بن بريدة الأسلمي عن أبيه، في أبواب الدعوات، باب جامع الدعوات عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، ح ٣٥٤٢، وقال هذا حديث حسن غريب.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٣٦٢/٤)، في كتاب الصلاة، باب الدعاء، ح ١٤٧٩. ورواه ابن ماجه ٣٤٧/٢، ط. الأعظمي. في أبواب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، ح ٣٩٠٣.

ورواه الحاكم (المستدرک ٥٠٤/١)، في كتاب الدعاء، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢٧٤/٢، قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسي: «وإسناده لا مطعن فيه، ولم يرد في هذا الباب حديث أجود إسناداً منه».

(٢) م: (أسمائه).

يسمعهن أن يتعلمهن» (١).

وقد نبه سبحانه على إثبات صفاته وأفعاله بطريق العقول، فاستيقظت لتنبهها العقول الحية، واستمرت على رقدتها العقول الميتة، فقال الله تعالى في صفة العلم:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فتأمل صحة هذا الدليل، مع غاية إيجاز لفظه واختصاره، وقال سبحانه:

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

فما أصح هذا الدليل، وما أوجزه، وقال تعالى: في صفة الكلام:

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْتَرَوُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨].

نبه بهذا الدليل على أن من لا يُكَلِّم ولا يهدي لا يصلح أن يكون الهاً، وكذلك قوله في الآية الأخرى عن العجل:

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٩١/١، ٤٥٢، وهو في مجمع الزوائد ١٣٦/١٠، ونسبه لأحمد وأبي يعلى والبزار، وقال الهيثمي: رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمى الجهني، وقد وثقه ابن حبان.

ورواه الحاكم ٥٠٩/١، ٥١٠، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. وقال الذهبي: «وأبو سلمة لا يدري من هو، ولا رواية له في الكتب الستة»، وقال العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند ٣٧١١/٥، إسناده صحيح، وتعقب الذهبي، ووثق أباسلمة، وقد صححه ابن القيم كما في الأصل.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾

[طه: ٨٩].

فجعل امتناع صفة الكلام والتكليم، وعدم ملك الضر والنفع (دليل على عدم الإلهية، وهذا دليل عقلي سمعي على أن الإله لا بد أن يكلم ويتكلم ويملك لعابده الضر والنفع)^(١) وإلا لم يكن إلهاً، وقال:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

[البلد: ٨، ١٠].

نبهك بهذا الدليل العقلي القاطع أن الذي جعلك تبصر وتتكلم وتعلم أولى^(٢) أن يكون بصيراً متكلماً عالماً، فأبي دليل عقلي قطعي أقوى من هذا وأبين وأقرب إلى المعقول، وقال تعالى في آلهة المشركين المعطلين:

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ

يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥].

فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسمع والبصر دليلاً على عدم إلهية من عدت فيه هذه الصفات، فالبطش والمشي من أنواع الأفعال، والسمع والبصر من أنواع^(٣) الصفات.

(١) ما بين القوسين سقط من م.

(٢) ظ: (أولاً).

(٣) ظ: (وأنواع) بدل: (من أنواع).

وقد وصف نفسه سبحانه بضد صفة أربابهم^(١) وبضد ما وصفه به المعطلة والجهمية، فوصف نفسه بالسمع والبصر والفعل باليدين والمجيء والإتيان، وذلك ضد صفات الأصنام التي جعل امتناع هذه الصفات عليها منافياً. لإلهيتها، فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفننها واتساعها وتنوعها كيف؟.

تجدها كلها^(٢) قد أثبتت الكمال للموصوف بها، وأنه المتفرد بذلك الكمال، فليس له فيه شبه ولا مثال، وأي دليل في العقل أوضح من إثبات الكمال المطلق الخالق لهذا العالم ومدبره، وملك السموات والأرض وقيومها، فإذا لم يكن في العقل إثبات جميع أنواع الكمال له فأى قضية تصح في العقل بعد هذا، ومن شك في أن صفة السمع، والبصر، والكلام، والحياة، والإرادة، والقدرة، والغضب، والرضا، والفرح، والرحمة، والرأفة كمال، فهو ممن سلب خاصة الإنسانية، وانسلخ من العقل، بل من شك أن إثبات^(٣) الوجه واليدين، وما أثبتته لنفسه معها كمال، فهو مؤوف مصاب في عقله، ومن شك أن كونه يفعل باختياره ما يشاء، ويتكلم إذا شاء وينزل إلى حيث شاء ويحيي إلى حيث شاء كمال، فهو جاهل بالكمال، والجامد عنده أكمل من الحي الذي تقوم به الأفعال الاختيارية، كما أن عند شقيقه الجهمي

(١) ظ، م: (أديانهم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (كلها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (ثبات).

أن الفاقد لصفات الكمال أكمل من الموصوف بها، كما أن عند أستاذهما / وشيخها الفيلسوف أن من لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعلم، ولا له حياة، ولا قدرة، ولا إرادة، ولا فعل، ولا كلام، ولا يرسل رسولاً، ولا ينزل كتاباً، ولا يتصرف في هذا العالم بتحويل وتغيير وإزالة ونقل وإماتة وإحياء أكمل ممن يتصف بذلك، فهؤلاء كلهم قد خالفوا صريح المعقول، وسلبوا الكمال عنم هو أحق بالكمال من كل ما سواه، ولم يكفهم ذلك حتى جعلوا الكمال نقصاً، وعدمه كمالاً، فعكسوا الأمر، وقلبوا الفطر، وأفسدوا العقول، فتأمل شبههم الباطلة، وخيالاتهم الفاسدة التي عارضوا بها الوحي هل تقاوم^(١) هذا الدليل الدال على إثبات الصفات والأفعال للرب سبحانه؟ ثم اختر لنفسك بعد ما شئت.

وهذا قطرة من بحر نبهنا به تنبيهاً يعلم به اللبيب ما وراءه وإلا فلو أعطينا هذا الموضوع حقه - وهيئات أن يصل إلى ذلك علمنا، أو قدرتنا - لكتبنا فيه عدة أسفار، وكذا كل وجه من هذه الوجوه، فإنه لو بسط، وفصل لاحتمل سفرأ أو أكثر، والله المستعان، وبه التوفيق.

الوجه الخامس والخمسون:

بيان الغاية التي
يتتهي إليها من
عارض الوحي
بالعقل،

إن غاية ما ينتهي إليه من ادعى معارضة العقل للوحي أحد أمور أربعة لا بد له منها إما تكذيبها وجحدها، وإما اعتقاد أن الرسل خاطبوا الخلق بها خطاباً جمهورياً،

(١) ظ، م: (تقدم)، والصواب ما أثبتته.

لا حقيقة له، وإنما أرادوا منهم التخيل، وضرب الأمثال، وإما اعتقاد أن المراد تأويلها وصرافها عن حقائقها وما تدل عليه إلى المجازات والاستعارات، وإما الإعراض عنها وعن فهمها وتدبرها، واعتقاد أنه لا يعلم ما أريد بها إلا الله، فهذه أربع مقامات، وقد ذهب إلى كل مقام منها طوائف من بني آدم.

المقام الأول: مقام التكذيب والجحد، وهؤلاء استراحوا من كلفة النصوص، والوقوف في التجسيم والتشبيه، وخلعوا ربة الإيمان من أعناقهم، وقالوا لسائر الطوائف: منكم إلى هذه النصوص^(١)، وأمان نحن فلسنا منها في شيء، لأن عقولنا لما عارضتها دفعناها^(٢) في صدر من جاء بها وقابلناه بالتكذيب.

المقام الثاني: مقام أهل التخيل، قالوا: إن الرسل لم يمكنهم مخاطبة الخلق بالحق في نفس الأمر، فخطبهم بما يخيل إليهم وضربوا لهم الأمثال، وعبروا عن المعاني المعقولة بالأمر القريبة من الحس، وسلكوا ذلك في باب الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته واليوم الآخر، وأقروا باب الفرق أهل التخيل الطلب على حقيقته، ومنهم من سلك هذا المسلك في الطلب أيضاً، وجعل الأمر والنهي أمثالاً^(٣) وإشارات ورموزاً، فهم ثلاث فرق هذه إحداها.

(١) «منكم إلى هذه النصوص»، عبارة استخفاف معناها شأنكم وهذه النصوص فتصارعوا

معها، أما نحن فلسنا منها في شيء.

(٢) ظ، م: (دفعنا)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (امثالاً).

والثانية: سلكت ذلك في الخبر دون الأمر.

والثالثة: سلكت ذلك في الخبر عن الله وصفاته دون المعاد والجنة والنار، وذلك كله إلحاد في أسماء الرب وصفاته ودينه واليوم الآخر، والملحد لا يتمكن من الرد على الملحد، وقد وافقه في الأصل، وإن خالفه في فروعه، فلهذا استطال على هؤلاء، الملاحدة كابن سينا^(١) وأتباعه غاية الاستطالة، وقالوا: القول في نصوص المعاد كالقول في نصوص الصفات.

قالوا: بل الأمر فيها أسهل من نصوص الصفات لكثرتها وتنوعها وتعدد طرقها وإثباتها على وجه يتعذر معه التأويل، فإذا كان الخطاب بها خطاباً جمهورياً فنصوص^(٢) المعاد أولى، قال: فإن قلتم نصوص الصفات قد عارضها ما يدل على انتفائها من العقل قلنا: ونصوص المعاد قد عارضها من العقل ما يدل على انتفائها^(٣)، ثم ذكر^(٤) العقلية المعارضة للمعاد بما يعلم به العاقل أن العقلية المعارضة للصفات من جنسها أو أضعف منها.

المقام الثالث: مقام أهل التأويل قالوا: لم يرد منا اعتقاد حقائقها، وإنما أريد منا تأويلها بما يخرجها عن ظاهرها وحقيقتها، فتكلفوا لها وجوه التأويلات المستكرهة والمجازات

(١) انظر ترجمته، ص ٧٣٥.

(٢) م: (نصوص).

(٣) ظ، م: (انتفائه)، والصواب ما أثبتته.

(٤) لعله ابن سينا، أو أحد أتباعه.

المستنكرة، التي يعلم العقلاء أنها أبعد شيء عن احتمال ألفاظ النصوص لها، وأنها بالتحريف أشبه منها بالتفسير.

والطائفتان اتفقتا على أن الرسول لم يبين الحق للأمة في خطابه لهم، ولا أوضحه بل خاطبهم بما ظاهره باطل ومحال، ثم اختلفوا فقال أصحاب التخييل: أراد منهم اعتقاد خلاف الحق والصواب، وإن كان في ذلك مفسدة، فالمصلحة المترتبة عليه أعظم من المفسدة التي فيه، وقال أصحاب التأويل: بل أراد منا أن نعتقد خلاف ظاهره وحقيقته، ولم يبين لنا المراد تعريضاً لنا إلى حصول / الثواب بالاجتهاد والبحث والنظر وإعمال الفكر في معرفة الحق بعقولنا، وصرف تلك الألفاظ عن حقائقها وظواهرها لننال ثواب الاجتهاد والسعي في ذلك، فالطائفتان متفقتان على أن ظاهر خطاب الرسول ضلال وكفر وباطل، وأنه لم يبين الحق، ولا هدى إليه الخلق^(١).

[١١١/١]

المقام^(٢) الرابع: مقام اللادرية^(٣)^(٤) الذين يقولون: لا ندرى معاني هذه الألفاظ، ولا ما أريد منها، ولا ما دلت عليه، وهؤلاء ينسبون طريقتهم إلى السلف، وهي التي يقول المتأولون: إنها أسلم، ويحتجون عليها بقوله تعالى:

(١) ظ، م: (الحق)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (الوجه الرابع)، والصواب ما أثبتته كما يدل عليه السياق، ولعله خطأ من الناسخ.

(٣) ظ: (الملاذرية).

(٤) سبق ذكرها، انظر ص ٦٤٧.

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧].

ويقولون: هذا هو الوقف التام عند جمهور السلف، وهو قول أبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وعائشة، وعروة بن الزبير، وغيرهم^(١) من السلف والخلف، وعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون^(٢) لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الصحابة والتابعون لهم بإحسان، بل يقرأون كلاماً لا يعقلون معناه، ثم هم متناقضون أفحش تناقض، فإنهم يقولون: تجرى على ظاهرها، وتأويلها باطل، ثم يقولون لها تأويل لا يعلمه إلا الله، وقول هؤلاء أيضاً باطل. فإن الله سبحانه أمر بتدبر كتابه، وتفهمه، وتعقله، وأخبر أنه بيان، وهدى وشفاء لما في الصدور، وحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومن أعظم الاختلاف اختلافهم في باب الصفات والقدر والأفعال. واللفظ الذي لا يعلم ما أراد به المتكلم، لا يحصل به حكم، ولا هدى ولا شفاء، ولا بيان، وهؤلاء طرقتوا^(٣) لأهل الإلحاد والزندقة والبدع أن يستنبطوا الحق من عقولهم وآرائهم، فإن النفوس طالبة لمعرفة هذا الأمر أعظم طلب، والمقتضى التام لذلك فيها موجود، فإذا قيل لها: إن ألفاظ القرآن والسنة في ذلك لها تأويل لا يعلمه إلا الله^(٤)،

(١) ظ، م: (وغيره)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (والمرسلين) وهو خطأ.

(٣) سبق، انظر ص ٢٥٤.

(٤) ظ: (إلا بالله).

ولا يعلم أحد معناها، وما أريد بها، وما دلت عليه، فروا إلى عقولهم، ونظرهم، وآرائهم، فسد هؤلاء باب الهدى والرشاد، وفتح أولئك باب الزندقة والبدعة والإلحاد، وقالوا: قد أقررتم بأن ما جاءت به الرسل في هذا الباب لا يحصل منه علم بالحق، ولا يهدي إليه، فهو في طريقتنا لا في طريقة الأنبياء، فإننا نحن نعلم ما نقوله، ونثبت بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا تأويل ما قالوه، ولا بينوا مراد المتكلم به، وأصاب هؤلاء من الغلط على السمع ما أصاب أولئك من الخطأ في العقل، وهؤلاء لم يفهموا مراد السلف بقولهم: لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، فإن التأويل في عرف السلف المراد به التأويل في مثل قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

التأويل عند السلف

وقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقول يوسف:

﴿يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقول يعقوب:

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

وكذلك:

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ﴾

[يوسف: ٤٥].

وقال يوسف:

﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ﴾ [يوسف: ٣٧].

فتأويل الكلام الطلبي هو نفس فعل المأمور به والمنهي عنه، كما قال ابن عيينة^(١): السنة تأويل الأمر والنهي^(٢). وقالت عائشة: كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك» يتأول القرآن^(٣)، وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، فهو نفس الحقيقة التي أخبر الله عنها، وذلك في حق الله هو كونه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال مالك وربيعة: «الاستواء معلوم والكيف مجهول»^(٤)،

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٢٠٦.

(٢) سبق، انظر ص ٢٠٦.

(٣) سبق تحقيقه، انظر ص ١٧٩.

(٤) الأثر: رواه البيهقي عن مالك وعن ربيعة الرأي في الأسماء والصفات، ص ٥١٥، ٥١٦، طبع دار الكتب العلمية ١٤٠٥. ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٨، وذكره الذهبي في كتابه العلو عن ربيعة الرأي، ص ٩٨، وعن مالك، ص ١٠٤، قال ابن حجر في الفتح ١٣/٤٠٦، ٤٠٧ بأن سنده عن مالك جيد. كما روى هذا الأثر عن أم سلمة اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٣٩٧، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٥/٣٦٥، بعد ذكر قول مالك: «وهذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها» موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس في إسناده من يعتمد عليه. اه. =

وكذلك قال ابن الماجشون^(١) والإمام أحمد وغيرهما من السلف: «إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه»، وقد فسر الإمام أحمد الآيات التي احتج بها الجهمية من التشابه، وقال: «إنهم تأولوها على غير تأويلها وبين معناها»^(٢)، وكذلك الصحابة والتابعون فسروا القرآن وعلموا المراد بآيات الصفات، كما علموا المراد من آيات الأمر والنهي، وإن لم يعلموا الكيفية كما علموا معاني ما أخبر الله به في الجنة والنار، وإن لم يعلموا حقيقة كنهه وكيفيته، فمن قال من السلف: إن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله بهذا المعنى فهو حق، وأما من قال: إن التأويل الذي هو تفسيره، وبيان المراد منه لا يعلمه إلا الله فهذا غلط، والصحابة والتابعون وجمهور الأمة على خلافه، قال مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها»^(٣). وقال عبدالله بن مسعود: «ما في / كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت»^(٤)، وقال الحسن البصري: ما أنزل الله آية إلا

[١١٢/١]

= وقال الذهبي: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي ومالك الإمام وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة، فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه. معارج القبول ١/١٣٧.

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٥٣٥.

(٢) سبق، انظر ص ١٧٨.

(٣) انظر تهذيب التهذيب ١٠/٤٣؛ تفسير مجاهد ١/٤٧؛ فضائل القرآن، لابن كثير، ص ٢٨.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٩/٤٧) من طريق مسروق - في كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي «صلى الله عليه وسلم»، ح ٥٠٠٢؛ ورواه مسلم =

وهو يجب أن يعلم ما أراد بها، وقال مسروق: ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه، وقال الشعبي^(١): ما ابتدع قوم بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها» والمقصود أن من ادعى معارضة العقل للسمع لا بد له أن يسلك أحد هذه المسالك الأربعة الباطلة، وأسلمها هذا المسلك الرابع، وقد علمت بطلانه، وإنما كان أقل بطلاناً لأنه لا يتضمن الخبر الكاذب على الله ورسوله، فإن صاحبه يقول: لا أفهم من هذه النصوص شيئاً، ولا أعرف المراد بها، وأصحاب تلك المسالك تتضمن^(٢) أقوالهم تكذيب الله ورسوله، أو الإخبار عن النصوص بالتكذيب، وبالله التوفيق.

الوجه السادس والخمسون^(٣):

إن هؤلاء المعارضين للكتاب والسنة بعقلياتهم، التي هي في الحقيقة جهليات، إنما يبنون^(٤) أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة محتملة^(٥) تحتمل معاني متعددة، ويكون ما فيها من الاشتباه في المعنى، والإجمال في اللفظ يوجب تناولها^(٦)

بيان أن منشأ البدع هي الألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معان

= (٤/١٩١٣) في كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، ح ١١٦.

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٢٤٩.

(٢) ظ: (تتضمنون).

(٣) انظر الوجه السابع عشر: «درء تعارض العقل والنقل» ١/٢٠٨.

(٤) ظ: (يثبتون).

(٥) ظ: (مجمله).

(٦) م: (تأويلها).

بحق وباطل، فبما فيها من الحق يَقْبَلُ - من لم يحط بها علماً - ما فيها من الباطل لأجل الاشتباه والالتباس، ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الأنبياء وهذا منشأ ضلال من ضل من الأمم قبلنا وهو منشأ البدع كلها، فإن البدعة لو كانت باطلاً محضاً لما قبلت، ولبادر كل أحد إلى ردها وإنكارها، ولو كانت حقاً محضاً لم تكن بدعة، وكانت موافقة للسنة، ولكنها تشتمل على حق وباطل، ويلتبس (١) فيها الحق بالباطل كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾

[البقرة: ٤٢].

ففيه عن لبس الحق بالباطل وكتمانه. ولبسه به خلطه به حتى يلتبس أحدهما بالآخر، ومنه التلبس، وهو التدليس والغش الذي يكون باطنه خلاف ظاهره، فكذاك (٢) الحق إذا لبس بالباطل يكون فاعله قد أظهر الباطل في صورة الحق، وتكلم بلفظ له معنيان: معنى صحيح ومعنى باطل، فيتوهم السامع أنه أراد المعنى الصحيح ومراده الباطل، فهذا من الإجمال في اللفظ.

وأما الاشتباه في المعنى فيكون له وجهان، هو حق من أحدهما، وباطل من الآخر، فيوهم (٣) إرادة الوجه

(١) ظ: (وتلبس).

(٢) ظ: (فلذلك).

(٣) ظ، م: (فيتوهم)؛ وقال ناسخ م: (فيوهم).

الصحيح، ويكون مراده^(١) الباطل، فأصل ضلال بني آدم من الألفاظ المجملة، والمعاني المشتبهة، ولا سيما إذا صادفت أذهاناً مخبطة^(٢)^(٣) فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب؟ فسل^(٤) مثبت القلوب أن يثبت قلبك^(٥) على دينه، وأن لا يوقعك في هذه الظلمات. قال الإمام أحمد^(٦) في خطبة كتابه في الرد على الجهمية^(٧): «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموقى، ويبصرون بكتاب الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه^(٨) ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مختلفون

(١) م: قال الناسخ: (غرضه).

(٢) (مخبطة): ألغيت في م؛ وكتب الناسخ: (مستقيمة).

(٣) مخبطة: أصل الخبط: ضرب البعير الشيء بخف يده. وقيل: الخبط: كل سير على غير هدى، والمعنى أن عقولهم تضرب في كل ناحية فليس لها منهج واضح. لسان العرب ١٠٩٣/٢، ١٠٩٤ - مادة: خبط.

(٤) م: (فنسأل الله).

(٥) كذا في ظ، م؛ وصححها ناسخ م: (قلوبنا).

(٦) في هامش م: (خطبة الإمام أحمد).

(٧) انظر الرد على الجهمية، للإمام أحمد بن حنبل، ص ٨٥، بتحقيق الأستاذ عبدالرحمن عميرة.

(٨) ظ: (بابه).

للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين»، وهذه الخطبة تلقاها الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب^(١)، أو وافقه فيها، فقد ذكرها محمد بن وضاح^(٢) في أول كتابه في «الحوادث والبدع»^(٣)، فقال: حدثنا أسد، ثنا رجل^(٤) يقال له يوسف، ثقة عن أبي عبد الله الواسطي، رفعه إلى عمر بن الخطاب أنه قال: «الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يجيئون بكتاب الله أهل العمى، كم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وضال^(٥) تائه قد هدوه، بذلوا دماءهم وأموالهم دون هلكة العباد، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم^(٦)، وما نسيهم ربك، وما كان ربك نسياً جعل قصصهم (هدى)^(٧)^(٨)،

(١) وهذا أقرب من الموافقة.

(٢) سبق ذكر ترجمته، ص ٦٢١.

(٣) انظر البدع والنهي عنها، لابن وضاح، ص ٣، ٤، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار البصائر، دمشق.

(٤) البدع: نا أسد قال نا رجل.

(٥) ظ: (ضلال).

(٦) البدع زاد: يقتلونهم في سالف الدهر إلى يومنا هذا بالحدود ونحوها فما نسيهم... إلخ.

(٧) ظ: (يصفهم هذا)؛ م: (يصفهم) وما أثبتته من البدع.

(٨) (هدى): سقط من م.

وأخبر عن حسن مقالاتهم فلا تقصر^(١) عنهم، فإنهم في منزلة رفيعة، وإن أصابتهم الوضيعة». اهـ.

فقوله: يتكلمون بالمتشابه من الكلام هو الذي له وجهان: يخدعون به جهال الناس كما ينفق^(٢) أهل الزغل^(٣)

[١١٣/١]

النقد المغشوش الذي له / وجهان، يخدعون به من لم يعرفه من الناس، فلا إله إلا الله، كم قد ضل بذلك طوائف من بني آدم لا يحصيهم إلا الله!، واعتبر ذلك بأظهر الألفاظ

المثال الأول لفظ

التوحيد

والمعاني في القرآن والسنة، وهو التوحيد الذي حقيقته إثبات صفات الكمال لله، وتنزيهه عن أضدادها، وعبادته وحده

لا شريك له، فاصطلح أهل الباطل على وضعه للتعطيل المحض، ثم دعوا الناس إلى التوحيد، فخدعوا به من

لم يعرف معناه في اصطلاحهم، وظن أن ذلك التوحيد هو الذي دعت إليه الرسل، والتوحيد اسم لسته معان:

توحيد الفلاسفة^(٤)، وتوحيد الجهمية، وتوحيد القدرية الجبرية^(٥)، وتوحيد الاتحادية^(٦). فهذه الأربعة أنواع من

أنواع التوحيد:

التوحيد جاءت الرسل بإبطالها، ودل على بطلانها العقل والنقل. فأما توحيد الفلاسفة: فهو إنكار ماهية الرب

التوحيد الأول

(١) ظ، م: (يقصر) وما أثبتته من البدع، ص ٤.

(٢) انظر ص ١٤٩.

(٣) انظر ص ٤٤٠.

(٤) سبق ص ١٩١.

(٥) انظر ص ٢٣٢.

(٦) انظر ص ٣٠٣.

الزائدة على وجوده^(١)، وإنكار صفات كماله، وأنه لا سمع له، ولا بصر، ولا قدرة، ولا حياة، ولا إرادة، ولا كلام، ولا وجه، ولا يدين، وليس فيه معنيان متميز أحدهما عن الآخر البتة، قالوا: لأنه لو كان كذلك لكان مركباً، وكان جسماً مؤلفاً، ولم يكن واحداً من كل وجه، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد، الذي لا يحس، ولا يرى، ولا يتميز منه جانب عن جانب، بل الجوهر الفرد يمكن وجوده^(٢).

وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده، فلما اصطلحوا على هذا المعنى في التوحيد، وسمعوا قوله:

﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقوله:

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

نزلوا لفظ القرآن على هذا المعنى الاصطلاحي، وقالوا: لو كان له صفة، أو كلام، أو مشيئة، أو علم، أو حياة، أو قدرة، أو سمع، أو بصر لم يكن واحداً، وكان مركباً مؤلفاً، فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء وهو التوحيد، وكسوه ثوبه، وسموا أصح الأشياء وأحقها بالثبوت، وهو صفات الرب، ونعوت كماله بأقبح الأسماء، وهو التركيب والتأليف^(٣)، فتولد من بين هذه التسمية

(١) ظ: (وجوه).

(٢) ظ: (وجوه).

(٣) (الواو): ليست في ظ، م، ولعل الصواب إثباتها.

المنكرة للمعنى الصحيح، وتلك التسمية الصحيحة للمعنى الباطل جحد حقائق أسماء الرب وصفاته، بل وجحد ماهيته وذاته، وتكذيب رسله، ونشأ من نشأ على اصطلاحهم من إعراضه عن استفادة الهدى والحق من الوحي، فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطلحوا عليه، فجعله أصلاً لدينه، فلما رأى ما جاءت به الرسل يعارضه، قال: إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل.

التوحيد الثاني: [توحيد]^(١): الجهمية، وهو مشتق من توحيد الفلاسفة، وهونفي صفات الرب، كعلمه، وكلامه، وسمعه، وبصره، وحياته، وعلوه على عرشه، ونفي وجهه ويديه، وقطب رحي هذا التوحيد جحد حقائق أسمائه وصفاته.

التوحيد الثالث: توحيد القدرية الجبرية، وهو إخراج أفعال العباد أن تكون فعلاً لهم، وأن تكون واقعة بكسبهم أو إرادتهم، بل هي نفس فعل الله، فهو الفاعل لها دونهم، فنسبتها^(٢) إليهم، وأنهم فعلوها مناف^(٣) للتوحيد عندهم.

التوحيد الرابع: توحيد القائلين بوحدة الوجود^(٤)، وأن الوجود عندهم واحد، ليس عندهم وجودان، قديم وحادث، وخالق ومخلوق، وواجب وممكن، بل الوجود

(١) (توحيد): ليست في ظ، م، والأولى إثباتها.

(٢) ظ، م: (نسبتها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (منافى التوحيد)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) انظر: ص ٣٠٣، الاتحادية.

عندهم واحد بالعين، والذي يقال له الخلق المشبه هو الحق المنزه، والكل من عين واحدة بل هو العين الواحدة.

فهذه الأنواع الأربعة سماها أهل الباطل توحيداً، فاعتصموا بالاسم من إنكار المسلمين عليهم، وقالوا نحن الموحدون، ودعوا الناس إلى الباطل باسم التوحيد، فجعلوه جنة وترساً ووقاية، وسموا التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنبياءه تركيباً وتجسيماً وتشبيهاً، وجعلوا هذه الألقاب له^(١) سهاماً وسلاحاً يقاتلون بها أهله، فترسوا بما عند أهل الحق من الأسماء الصحيحة، وقاتلوهم بالأسماء الباطلة التي سموها بها ما بعث الله به رسوله، فقاتلوهم باسم التركيب والتجسيم والتشبيه، وترسوا منهم باسم التوحيد والتنزيه، وقد قال جابر في الحديث الصحيح في حجة الوداع: فأهل رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»^(٢) فهذا توحيد الرسول المتضمن لإثبات صفات الكمال التي يستحق عليها الحمد، وإثبات الأفعال التي استحق بها أن يكون منعماً، وإثبات القدرة، والمشئمة، والإرادة، والتصرف، والغضب، والرضا، والغنى^(٣) والجود الذي / هو حقيقة ملكه [و]^(٤) عند

[١١٤/١]

(١) م: (لها).

(٢) سبق تحقيقه. انظر: ص ١٨١.

(٣) ظ، م: (الغناء).

(٤) (الواو): ليست في ظ ولا م، ولعل الصواب إثباتها.

الفلاسفة^(١) والجهمية والمعطلة لا حمد له في الحقيقة، ولا نعمة ولا ملك، والله يعلم أنا لم نجازف في نسبة ذلك إليهم، بل هو حقيقة قولهم، فأبي حمد لمن لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعلم، ولا يتكلم، ولا يفعل، ولا هو في هذا العالم، ولا خارج عنه، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، ولا فوقه، ولا تحته، ولا عن يمينه، ولا عن يسرته، وأي نعمة لمن لا يقوم به فعل البتة، وأي ملك لمن لا وصف له، ولا فعل، فانظر إلى توحيد الرسل، وتوحيد من خالفهم، ومن العجب أنهم سمو توحيد الرسل شركاً وتجسيماً وتشبيهاً مع أنه غاية الكمال، وسموا تعطيلهم واتحادهم ونفيهم توحيداً، وهو غاية النقص، ثم نسبوا اتباع الرسل إلى نقص الرب، وقد سلبوه كل كمال^(٢)، وزعموا أنهم أثبتوا له الكمال، وقد نزهوه عنه، فهذا توحيد الملاحدة والجهمية والمعطلة.

وأما توحيد الرسل؛ فهو إثبات صفات الكمال له سبحانه، وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته، وقدرته، واختياره، وأن له فعلاً حقيقة، وأنه وحده الذي يستحق أن يعبد، ويخاف، ويرجى، ويتوكل عليه، فهو المستحق لغاية الحب بغاية الذل، وليس لخلقه من دونه وكيل، ولا ولي، ولا شفيع ولا واسطة بينه وبينهم في رفع حوائجهم إليه، وفي تفريج كرباتهم وإغاثة لهفاتهم، وإجابة دعواتهم، وبينه

(١) سبق، ص ١٩١.

(٢) ظ، م: (جمال)، ولعل الصواب ما أثبت.

وبينهم واسطة في تبليغ أمره، ونبيه، وخبره إليهم، فلا يعرفون ما يحب ويرضاه ويبغضه ويسخطه، ولا حقائق أسمائه، وتفصيل ما يجب له، ويمتنع عليه، ويوصف به إلا من جهة هذه الواسطة، فجاء هؤلاء الملاحدة^(١)، فعكسوا الأمر، وقلبوا الحقائق، فنفوا كون الرسل وسائط في ذلك، وقالوا: تلقى بواسطة^(٢) العقل، ونفوا حقائق أسمائه وصفاته، وقالوا هذا التوحيد.

فهذا توحيدهم، وهذا إيمانهم بالرسل، ويقولون نحن ننزهه^(٣) عن الأعراض، والأغراض، والأبعض، والحدود، والجهات، وحلول الحوادث، فيسمع الغر المخدوع هذه الألفاظ، فيتوهم منها أنهم ينزهون الله عما يفهم من معانيها عند الإطلاق من العيوب والنقائص والحاجة، فلا يشك أنهم يمجّدونه ويعظمونه، ويكشف الناقد البصير ما تحت هذه الألفاظ، فيرى تحتها الإلحاد، وتكذيب الرسل، وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله، فتنزيهه عن الأعراض هو جحد صفاته كسمعه، وبصره، وحياته، وعلمه، وكلامه، وإرادته، فإن هذه أعراض لا تقوم إلا بجسم، فلو كان متصفاً بها لكان جسماً، وكانت أعراضاً له، وهو منزه عن الأعراض. وأما الأغراض: فهي الغاية، والحكمة التي لأجلها يفعل، ويخلق، ويأمر، وينهى،

(١) انظر: ص ٣٠٠.

(٢) ظ، م: (يوسط)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (ننزه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

ويثيب^(١)، ويعاقب، وهي الغايات المحمودة المطلوبة له من أمره، ونبيه، وفعله، فيسمونها عللاً وأغراضاً، ثم ينزهونه عنها.

وأما الأبعاض: فمرادهم بتنزيهه عنها أنه ليس له وجه ولا يدان، ولا يمسك السموات على أصبع، والأرض على أصبع، والشجر على أصبع، والماء على أصبع، فإن ذلك كله أبعاض، والله منزه عن الأبعاض، وأما الحدود والجهات فمرادهم بتنزيهه عنها أنه ليس فوق السموات رب، ولا على العرش إله، ولا يشار إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه أعلم الخلق^(٢) به، ولا ينزل منه شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا رفع المسيح إليه، ولا عرج برسوله محمد «صلى الله عليه وسلم» إليه، إذ لو كان ذلك للزم^(٣) إثبات الحدود والجهات له، وهو منزه عن ذلك. وأما حلول الحوادث فيريدون به أنه لا يتكلم بقدرته ومشيتته، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا يأتي يوم القيامة ولا يجيء، ولا يغضب بعد أن كان راضياً، ولا يرضى بعد أن كان غضبان، ولا يقوم به فعل البتة، ولا أمر مجدد بعد أن لم يكن، ولا يريد شيئاً بعد أن لم يكن^(٤) مريداً له، ولا يقول له كن حقيقة، ولا استواء على

(١) ظ، م: (ويثيب).

(٢) سبق تخريجه، انظر: ص ١٨١.

(٣) ظ، م: (لزم)، ولعل الأولى ما أثبتته.

(٤) ظ: (يكون).

عرشه بعد أن لم يكن مستوياً عليه، ولا يغضب يوم القيامة غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولا ينادي عباده يوم القيامة بعد أن لم يكن منادياً لهم، ولا يقول للمصلي إذا قال:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

«حمدني عبدي»، فإذا قال:

﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ [الفاتحة: ٣].

قال: «أثنى علي عبدي»، وإذا قال:

﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

قال: «مجدني عبدي»^(١)، فإن هذه كلها حوادث، وهو منزّه عن حلول الحوادث، وبعضهم يختصر العبارة ويقول: أنا أنزهه عن التعدد والتحدّد والتجدد، فيتوهم السامع الجاهل بمراده أنه ينزهه عن تعدد الآلهة، وعن تحدّد محيط به حدود وجودية تحصره وتحويه، كتحدّد البيت ونحوه، وعن تجدد إلهيته وربوبيته. ومراده بالتعدد الذي ينزه عنه تعدد أسمائه وصفاته، وأنه لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعلم شيئاً، ولا يتكلم، ومراده بالتحدّد أنه ليس فوق

[١١٥/١]

(١) رواه مسلم ٢٩٦/١، من طريق أبي هريرة في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وأنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها، قرأ ما تيسر له غيرها، ح ٣٤.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٣/٣٨ - ٤١)، في كتاب: الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، ح ٨٠٣.

خلقه، ولا هو مستو على عرشه، ولا فوق العرش إله يعبد،
وليس فوق العرش إلا العدم.

ومراده بالتجدد أنه لا يقوم به فعل، ولا إرادة،
ولا كلام بمشيئته وقدرته، وبعضهم يقتصر على حرفين،
فيقول: نحن ننزهه عن التكثر والتغير، فيتوهم السامع تكثر
الآلهة وتغيره سبحانه واستحالته من حال إلى حال، وحقيقة
هذا التنزيه أنه لا صفة له ولا فعل.

وكذلك قول الجهمية: نحن نثبت قديماً واحداً، ومثبتو
الصفات يشنون عدة قدماء، قال: والنصارى أثبتوا ثلاثة
قدماء مع الله بفكرهم^(١)، فكيف من أثبت سبعة^(٢) قدماء
أو أكثر؟ فانظر إلى هذا التلبيس والتدليس الذي يوهم
السامع أنهم أثبتوا قدماء مع الله، وإنما أثبتوا قديماً واحداً
بصفاته، وصفاته داخلة في مسمى اسمه.

إنما أثبتوا إلهاً واحداً، ولم يجعلوا كل صفة من صفاته
إلهاً، بل هو الإله الواحد بجميع أسمائه وصفاته، وهذا
بعينه متلقى عن عباد الأصنام المشركين بالله المكذبين لرسوله
حيث قالوا: يدعو محمد إلى إله واحد، ثم يقول: يا الله،
يا رحمن، يا سميع، يا بصير، فيدعو آلهة متعددة، فأنزل الله
عز وجل^(٣):

(١) ظ: (بكفرهم).

(٢) ظ: (سمعه).

(٣) رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس ١٢١/١٥. وانظر: تفسير ابن كثير ٦٨/٣؛
وتفسير الشوكاني ٢٦٦/٣.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾

[الإسراء: ١١٠].

أي (١) إنكم إنما تدعون (٢) إلهاً (واحداً) (٣) له الأسماء الحسنى، فأى اسم دعوتوه فإنما دعوتكم المسمى بذلك الاسم، فأخبر سبحانه أنه إله واحد، وإن تعددت أسماءه الحسنى المشتقة من صفاته، ولهذا كانت حسنى، وإلا فلو كانت كما يقول الجاحدون لكماله أسماء محضة فارغة من المعاني ليس لها حقائق لم تكن حسنى، ولكانت أسماء الموصوفين بالصفات والأفعال أحسن منها، فنزلت الآية على توحيد الذات وكثرة النعوت والصفات، ومن ذلك قول هؤلاء المعطلة أخص صفات الإله القديم، فإذا أثبتتم معه صفات قديمة، لزم أن تكون آلهة، فلا يكون الإله واحداً، بل يكون لكم آلهة متعددة، فيقال لهؤلاء المدلسين الملبسين على أمثالهم من أشباه الأنعام، المحذور الذي نفاه العقل والشرع والفطرة، وأجمعت الأنبياء من أولهم إلى آخرهم على بطلانه أن يكون مع الله آلهة أخرى، لا أن يكون إله العالمين الواحد القهار حياً قيوماً سميعاً بصيراً، متكليماً آمراً ناهياً فوق عرشه، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فلم ينف العقل والشرع والفطرة أن يكون للإله الواحد صفات كمال، ونعوت جلال يختص بها لذاته؟ فلبستم على المخدوعين

(١) ظ، م: (إلى).

(٢) ظ: (تودعون).

(٣) (واحداً): سقط من م.

المغرورين، وأوهتموهم أنه لو كان فوق عرشه موصوفاً بصفات الكمال يرى بالأبصار عياناً يوم القيامة لم يكن إلهاً واحداً، وكان هناك آلهة متعددة، وقدماء متغايرة، وأعراض وأبعاض، وحدود وجهات، وتكثر وتغير، وتحدد وتجرد، وتجسم وتشبيه وتركيب، وأكثر الناس إذا سمعوا هذه الألفاظ نفرت عقولهم من مسماها، ونبت^(١) أسماهم عنها، وقد علم المؤمنون المصدقون للرسول، العارفون بالله وصفاته وأسمائه أنكم توصلتم بها إلى نفي صفاته وأفعاله، وحقائق أسمائه، فلم ترفعوا بها رأساً، ولم تروا لها حرمة، ولم ترقبوا فيها ذمة، وغرت ضعاف^(٢) العقول الجاهلين بحقائق الإيمان، فضلوا بها، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

فلفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتاً، فتكون له حرمة الإثبات ولا نفياً فيكون له إلغاء النفي، فمن أطلقه نفياً أو إثباتاً سئل عما أراد به، فإن قال: أردت الجسم معناه في لغة العرب، وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسم سواء، ولا يقال للهواء جسم لغة، ولا للنار ولا للماء، فهذه اللغة وكتبها بين أظهرنا، فهذا المعنى منفي عن الله عقلاً وسمعاً، وإن أردتم به المركب من المادة والصورة^(٣) أو المركب من الجواهر الفردة^(٤) فهذا منفي عن الله قطعاً،

(١) ظ: (ويث).

(٢) م: (ضعفاء).

(٣) (الصورة): سبق، انظر: ص ٨٩٢.

(٤) انظر: ص ٣٣٩.

والصواب نفيه عن الممكنات أيضاً، فليس الجسم المخلوق
مركباً من هذا ولا من هذا.

وإن أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات، ويرى
بالأبصار، ويتكلم، ويكلم، ويسمع، ويبصر، ويرضى،
ويغضب، فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى وهو موصوف بها،
فلا نفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسماً، كما أنا
لانسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم
نواصب، ولا ننفي قدر الرب، ونكذب به لأجل تسمية
القدرية لمن / أثبته جبرياً، ولا نرد ما أخبر به الصادق عن
الله وأسمائه وصفاته وأفعاله لتسمية^(١) أعداء الحديث لناحشوية.
ولا نجحد صفات خالقنا وعلوه على خلقه واستواءه
على عرشه؛ لتسمية الفرعونية المعطلة لمن أثبت ذلك مجسماً مشبهاً.

[١١٦/١]

فإن كان تجسيمياً ثبوت استوائه

على عرشه إني^(٢) إذاً المجسم

وإن كان تشبيهاً ثبوت صفاته

فمن ذلك التشبيه لا أتكم

وإن كان تنزيهاً جحود استوائه

وأوصافه أو كونه يتكلم

فمن ذلك التنزيه نزعت ربنا

بتوقيقه والله أعلى وأعلم^(٣)

(١) ظ، م: (التسمية)، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) ظ: (أنا إذا).

(٣) لعل هذه الآيات لابن القيم رحمه الله.

ورضي الله عن الشافعي حيث فتح للناس هذا الباب
في قوله:

يا راكباً قف بالمحصب من منى
واهتف بقاعد خيفها والناهض
إن كان رفضاً حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافض^(١)

ورضي الله عن شيخنا إذ يقول:
فإن كان نصباً ولاء الصحاب
فإني كما زعموا ناصبي
وإن كان رفضاً ولاء آل
فلا برح الرفض من جانبي^(٢)

وهذا كله كأنه مأخوذ من قول الأول:
وعيرني الواشون أني أحبها
وذلك ذنب لست منه أتوب

وقول الآخر:

فإن كان ذنبي حبكم وولاءكم
فإني مصر ما بقيت على الذنب
وإن أردتم بالجسم ما يشار إليه إشارة حسية، فقد أشار
إليه أعرف الخلق به بأصبعه^(٣) رافعاً لها إلى السماء، يشهد

(١) هذان البيتان للإمام الشافعي وهما في ديوانه، ص ١١٧ الذي جمعه وحققه زهدي يكن، دار الريحاني للطباعة والنشر.

(٢) هذان البيتان لشيخ الإسلام ابن تيمية كما قال ابن القيم. انظر: درء تعارض العقل والنقل ٢٤٠/١ وفيه: «وإن كان رفضاً ولاء الجميع». (٣) سبق تحقيقه، ص ١٨١.

الجمع الأعظم مشيراً^(١) له، أو أردتم بالجسم ما يقال أين هو؟ فقد سئل أعلم الخلق به عنه بأين^(٢) منبهاً على علوه على عرشه، وسمع السؤال بأين وأجاب عنه، ولم يقل: هذا السؤال إنما يكون عن الجسم.

وإن أردتم بالجسم ما يلحقه «مِنْ» و«إِلَى» فقد نزل جبريل من عنده، ونزل كلامه من عنده، وعرج برسوله إليه وإليه يصعد الكلم الطيب، وعنده المسيح رفع إليه.

وإن أردتم بالجسم ما يتميز منه أمر عن^(٣) أمر، فهو سبحانه موصوف بصفات الكمال جميعها من السمع والبصر، والعلم والقدرة والحياة، وهذه صفات متميزة متغايرة، ومن قال: إنها صفة واحدة، فهو بالمجانين أشبه منه بالعقلاء، وقد قال أعلم الخلق به: «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك»^(٤) والمستعاذ به غير المستعاذ^(٥) منه. وأما استعاذته «صلى الله عليه وسلم» به منه فباعترارين مختلفين، فإن الصفة المستعاذ بها، والصفة المستعاذ منها صفتان، لموصوف واحد، ورب واحد، فالمستعيذ

(١) ظ، م: (مستشهداً).

(٢) يشير إلى حديث الجارية حينما سأها النبي «صلى الله عليه وسلم فقال: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: «اعتقها فإنها مؤمنة». وقد سبق تخريجه، ص ٣١٤.

(٣) ظ، م: (عين)، والصواب ما أثبتته.

(٤) رواه مسلم ٣٥٢/١، من طريق عائشة، في كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، ح ٢٢٢. رواه أبو داود (عون المعبود ٣/١٣٢)، في كتاب الصلاة، باب: الدعاء في الركوع والسجود، ح ٨٦٥.

(٥) م: (غير مستعاذ منه).

يأحدي الصفتين من الأخرى مستعيد بالموصوف^(١) بهما منه .
وإن أردتم بالجسم ماله وجه ويدان وسمع وبصر،
فنحن نؤمن بوجه ربنا (الأعلى)^(٢)، وبيديه، وبسمعه،
وبصره، وغير ذلك من صفاته^(٣) التي أطلقها على نفسه .

وإن أردتم بالجسم ما يكون فوق غيره، ومستوياً على
غيره، فهو سبحانه فوق عباده مستو على عرشه، وكذلك إن
أردتم بالتشبيه والتركيب هذه المعاني التي دل عليها الوحي
والعقل، فنفيكم لها بهذه الألقاب المنكرة خطأ في اللفظ
والمعنى، وجناية على ألفاظ الوحي والعقل، وحقائق صفات
الرب، أما الخطأ اللفظي فتسميتكم الموصوف بذلك جسماً
مركباً مؤلفاً مشبهاً لغيره، وتسميتكم هذه الصفات تجسماً
وتركيباً وتشبيهاً، فكذبتم على القرآن، وعلى الرسول، وعلى
اللغة، ووضعتم لصفاته ألفاظاً منكم بدأت وإليكم تعود،
وأما خطأكم في المعنى، فنفيكم، وتعطيكم لصفات كماله
بواسطة هذه التسمية والألقاب، فنفيتم المعنى الحق
وسميتموه بالاسم المنكر، وكنتم في ذلك بمنزلة من سمع أن
في العسل شفاء ولم يره، فسأل عنه ف قيل له : مائع رقيق
أصفر يشبه^(٤) العذرة تتقيأه الزناير، ومن لم يعرف العسل
ينفر عنه بهذا التعريف، ومن عرفه وذاقه لم يزد هذا
التعريف عنده إلا محبة له، ورغبة فيه، وما أحسن ما قال القائل :

(١) ظ، م : (من الموصوف)، ولعل الصواب ما أثبتته . (٢) (الأعلى) : سقط من م .

(٣) ظ : (صفات) .

(٤) ظ، م : (شبه)، ولعل الصواب ما أثبتته .

تقول هذا جنبي^(١) النحل تمدحه

وإن تشاء قلت ذا قيء الزنابير

مدحاً وذمماً وما جاوزت وصفهما

والحق قد يعتريه سوء تعبير

وأشد ما حاول أعداء الرسول من التنفير عنه سوء

التعبير كما جاء به. وضرب الأمثال القبيحة له، والتعبير عن

تلك المعاني التي لا أحسن منها بألفاظ منكرة ألقوها في

مسامع المغترين المخدوعين، فوصلت إلى قلوبهم، فنفرت

منه، وهذا شأن كل مبطل، وكل من يكيد الحق وأهله، هذه

طريقه ومسلكه، وأكثر^(٢) العقول كما عهدت / تقبل القول

[١١٧/١]

بعبارة، وترده بعينه بعبارة أخرى، وكذلك إذا قال

الفرعوني: لو كان فوق السموات رب، أو على العرش إله،

لكان مركباً قيل له: لفظ^(٣) المركب في اللغة هو الذي ركبه

المثال الثاني لفظ

غيره في محله، كقوله تعالى:

التركيب

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].

وقولهم: ركبت الخشبة والباب.

أو ما تركيب من أخلاط^(٤) وأجزاء بحيث كانت أجزاءه

متفرقة، فاجتمعت وركبت حتى صار شيئاً واحداً، كقولهم:

(١) الجنبي على وزن فعيل، وهو ما يجني من الشجر ونحوه.

المصباح المنير ١/١٣٦.

(٢) ظ: (وأكثره).

(٣) (لفظ): مكرر في ظ.

(٤) ظ، م: (اختلاط)، ولعل الصواب ما أثبتته.

ركبت الدواء، وركبت الطعام من كذا وكذا، فإن أردتم بقولكم: لو كان فوق العرش كان مركباً هذا التركيب المعهود، أو أنه كان متفرقاً فاجتمع فهو كذب، وفرية، وبهت على الله وعلى الشرع وعلى العقل.

وإن أردتم أنه لو كان فوق عرشه لكان عالياً على خلقه بائناً منهم، مستوياً على عرشه، ليس فوقه شيء، فهذا المعنى حق، وكأنك قلت: لو كان فوق العرش لكان فوق العرش، فنفيت الشيء بتغيير العبارة عنه وقلبها إلى^(١) عبارة أخرى، وهذا شأنكم في أكثر^(٢) مطالبكم.

وإن أردت بقولك كان مركباً أنه يتميز منه شيء عن شيء، فقد وصفته أنت بصفات يتميز بعضها عن بعض، فهل كان هذا عندك تركيباً؟ فإن قلت: هذا لا يقال لي، وإنما يقال لمن أثبت شيئاً من الصفات، وأما أنا فلا أثبت له صفة واحدة فراراً من التركيب، قيل لك: العقل لم يدل على نفي المعنى الذي سميته أنت تركيباً، وهبك سميته تركيباً، وقد دل العقل والوحي والفطر على ثبوته أفنتفيه لمجرد^(٣) معاني التركيب تسميتك^(٤) الباطلة؟! فإن التركيب يطلق، ويراد به خمس معاني: تركيب الذات من الوجود والماهية عند من يجعل وجودها زائداً على ماهيتها، فإذا نفيت هذا التركيب جعلته

(١) (إلى): مكرر في ظ.

(٢) م: (لكثر).

(٣) م: (بمجرد).

(٤) ظ: (تسميك).

وجوداً مطلقاً، إنما هو في الأذهان لا وجود له في الأعيان .

المعنى الثاني : الثاني: تركيب الماهية من الذات والصفات، فإذا نفيت هذا التركيب جعلته ذاتاً مجردة عن كل وصف لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعلم، ولا يقدر، ولا يريد، ولاله حياة، ولا مشيئة، ولا صفة أصلاً، فكل ذات في المخلوقات أكمل من هذه الذات فاستفدت بنفيك هذا التركيب كفرك بالله، وجحدك لذاته وصفاته وأفعاله، فكان اسم التركيب ملقياً (لك) (١) في أعظم الكفر وموجباً لك (٢) أشد التعذيب .

المعنى الثالث : الثالث: تركيب الماهية الجسمية من الهيولي والصورة (٣) كما يقوله الفلاسفة (٤) .

المعنى الرابع : الرابع: تركيبها (٥) من الجواهر الفردة (٦) كما يقوله كثير من أهل الكلام .

المعنى الخامس : الخامس: تركيب الماهية من أجزاء كانت متفرقة فاجتمعت وتركبت .

فإن أردت بقولك: لو كان فوق العرش لكان مركباً، ما تدعيه الفلاسفة والمتكلمون، قيل لك: جمهور العقلاء عندهم أن الأجسام المحدثّة المخلوقة ليست مركبة لا من هذا

(١) (لك): سقط من م .

(٢) ظ: (لكي) .

(٣) سبق تعريف الهيولي والصورة، ص ١٩٢ .

(٤) انظر: ص ١٩١ .

(٥) ظ، م: (تركيبها) .

(٦) سبق، انظر: ص ٣٣٩ في الأصل .

ولا من هذا، فلو كان فوق العرش جسم مخلوق محدث، لم يلزم أن يكون مركباً بهذا الاعتبار، فكيف يلزم ذلك في حق خالق المفرد والمركب، الذي يجمع المتفرق^(١)، ويفرق المجتمع، ويؤلف بين الأجزاء فيركبها^(٢) كما يشاء؟! .

والعقل إنما دل على إثبات إله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه له، ولم يدل على أن ذلك الرب الواحد لا اسم له، ولا صفة له، ولا وجه، ولا يدين، ولا هو فوق خلقه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه، كما هي كذب صريح على الوحي، وكذلك قولهم ننزهه عن الجهة إن أردتم أنه منزّه عن جهة وجودية^(٣) تحيط به وتحويه وتحصره إحاطة الظرف للمظروف^(٤) وحصره له، فنعم هو أعظم من ذلك وأكبر وأعلى، ولكن لا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى .

وإن أردتم بالجهة أمراً يوجب مباينة الخالق للمخلوق وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه فنفيكم لهذا المعنى باطل، وتسميتكم له جهة اصطلاح منكم توصلتم به إلى نفي ما دل عليه العقل والنقل والفطرة، فسميتم ما فوق العالم جهة، وقلتم: منزّه عن الجهات، وسميتم العرش حيزاً، وقلتم: الرب ليس بمتحيز، وسميتم الصفات

(١) ظ: (المتفرقة).

(٢) م: (ويركبها). بالواو.

(٣) ظ: (ووجودية).

(٤) ظ، م: (الطرف للمظروف)، ولعل الصواب ما أثبتته .

أعراضاً، وقتلتم: الرب منزه عن قيام الأعراض به، وسميتم حكمته غرضاً، وقتلتم: إنه منزه عن الأعراض، وسميتم كلامه بمشيئته، ونزوله إلى سماء الدنيا، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء. وإرادته ومشيئته المقارنة لمراذه، وإدراكه المقارن لوجود المدرك، وغضبه إذا عصى، ورضاه إذا أطع، وفرحه إذا تاب إليه العباد، ونداءه لموسى حين أتى إلى الشجرة، ونداءه للأبوين حين أكلا من الشجرة في الجنة، ونداءه لعباده يوم القيامة، ومحبه لمن كان يبغضه في حال كفره، ثم صار يحبه / بعد إيمانه، وسميتم شؤون ربوبيته التي هو كل يوم في شأن منها حوادث، وقتلتم: الرب منزه عن حلول الحوادث، وحقيقة هذا التنزيه أنه منزه عن الوجود، وعن الإلهية، وعن الربوبية، وعن الملك، وعن كونه فعالاً لما يريد، بل عن الحياة والقيومية، ولا يتقرر كونه رباً للعالمين وإلهاً للعباد إلا بالتنزيه عن هذا التنزيه، والإجلال عن هذا الإجلال، فانظر ماذا تحت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب، ولا تقوم به الأعراض، ولا يوصف بالأعضاء، ولا يفعل الأغراض، ولا تحله الحوادث، ولا تحيط به الجهات، ولا يقال في حقه أين؟! .

[١١٨/١]

وليس بمتحيز كيف كسوا حقائق أسمائه وصفاته وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه وتكليمه لعباده، ورؤيتهم له بالأبصار في دار كرامته، هذه الألفاظ ثم توصلوا^(١) إلى نفيها

(١) ظ، م: (توصلوا)، ولعل الصواب ما أثبت.

بواسطة طعتها وكفروا وضللوا من أثبتها واستحلوا منه ما لم يستحلوه من أعداء الله من اليهود والنصارى فالله الموعد وإليه التحاكم، وبين يديه التخاصم.

ونحن وإياهم نموت
ولا أفلح عند الحساب من ندما

فصل

ومن ذلك لفظ العدل، جعلته القدرية^(١) اسماً^(٢)،
لإنكار قدرة الرب على أفعال عباده، وخلقها لها، ومشيتها،
فجعلوا إخراجها عن قدرته ومشيتها وخلقها هو العدل^(٣)،
وجعل سلفهم إخراجها عن تقدم علمه، وكتابته من
العدل، وسموا أنفسهم بالعدلية، وعمدوا إلى إثبات عموم
قدرته على كل شيء من الأعيان، والأفعال، وخلقها لكل
شيء، وشمول مشيئته له، فسموه حيناً، ثم نفوا هذا المعنى
الصحيح، وعبروا عنه بهذا الاسم المنكر، وأثبتوا ذلك المعنى
الباطل، وعبروا عنه بالاسم المعروف، ثم سمو أنفسهم
أهل العدل والتوحيد، وسموا مَنْ أثبت صفات الرب،
وأثبت قدره، وقضاءه، أهل التشبيه والجبر^(٤).

وكذلك فعل الرافضة^(٥) سواء، سمووا موالاة^(٦)

(١) القدرية سبق التعريف بهم، ص ٢١٩.

(٢) ظ: (أسياء).

(٣) ظ، م: (العقل)، والصواب ما أثبتته.

(٤) الجبرية: سبق التعريف بهم، ص ٢٣٢.

(٥) الرافضة: سبق التعريف بهم، ص ١٩١. (٦) ظ: (مولاة).

الصحابة نصباً، ومعاداتهم موالاة لأهل بيت رسول الله
— صلى الله عليه وسلم.

وكذلك المرجئة^(١) سموا مَنْ قال في الإيمان بقول
الصحابة والتابعين واستثنى فيه فقال: أنا مؤمن، إن شاء
الله، شكاكاً.

وهكذا شأن كل مبتدع وملحد، وهذا ميراث من
تسمية كفار قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
الصبأة، وصار هذا ميراثاً منهم، لكل مبطل وملحد
ومبتدع، يلقب الحق وأهله بالألقاب الشنيعة المنفرة^(٢)، فإذا
أطلقوا لفظ الجسم صوروا في ذهن السامع جثة من الجثث
الكثيفة، أو بدنأً، له حامل يحمله، وإذا قالوا: مركباً،
صوروا في ذهنه أجزاء كانت متفرقة فركبها مركباً، وهذا
حقيقة المركب لغةً وعرفاً، فإذا قالوا: يلزم أن تحله
الحوادث، صوروا في ذهنه ذاتاً، تعتور عليها الآفات،
وحوادث الزمان، وإذا قالوا: لا تقوم به الأعراض، صوروا
في الذهن ذاتاً، تنزل^(٣) بها الأعراض النازلة بالمخلوقين،
كما مثل النبي — صلى الله عليه وسلم —: ابن آدم وأمله

(١) المرجئة: سبق التعريف بهم، ص ٢٣٢.

(٢) قلت: وهذا المنهج من المناهج السائدة اليوم فكثيراً ما يسمى الملتزم بالإسلام:
متعصباً، ومتطرفاً، ومعقداً، ووهابياً... الخ. والمنحرف يسمى: مثقفاً، وشاباً عصرياً،
ومتطرفاً، ومتحرراً وأفندياً... الخ، وما أكثر الحقائق المقلوبة، والله المستعان.

(٣) ظ، م: (نزل)، ولعل الصواب ما أثبت.

وأجله والأعراض إلى جانبه، إن أخطأ هذا أصابه هذا^(١).

وإذا قالوا: يقولون بالحيز والجهة، صوروا في الذهن موجوداً، محصوراً بالأحياز وإذا قالوا: لزم الجبر^(٢) صوروا في الذهن قادراً ظالماً يجبر الخلق على ما لا يريدون ويعاقبهم على ما لا يفعلون، وإذا قالوا: أنتم نواصب، صوروا في الذهن قوماً نصبوا العداوة لآل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهل بيته واستحلوا حرمتهم، وإذا قالوا لمن قال: أنا مؤمن إن شاء الله شكاً، صوروا في الذهن قوماً يشكون في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله^(٣) ولقائه، لا يجزمون بذلك، وإذا قالوا لمن أثبت الصفات: إنه مشبه، صوروا في الذهن قوماً يقولون، إن الله مثلهم، وله وجه، كوجوههم، وسمع، كأسماعهم، وبصر، كأبصارهم، ويدان، كأيديهم، ونزول، كنزولهم، واستواء، كاستوائهم، وفرح، كفرحهم.

وإذا قالوا: حشوية، صوروا في ذهن^(٤) السامع قوماً قد حشوا في الدين ما ليس منه، وأدخلوه فيه، وهو حشو

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١١/٢٣٦)، من طريق عبدالله بن مسعود، في كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، ح ٦٤١٧.

رواه الترمذي ٧/١٦٢، في أبواب صفة القيامة، باب أمل الإنسان وأجله وتشبيه ذلك بالخطوط، ح ٢٤٥٦، وقال هذا حديث صحيح.

(٢) ظ، م: (الحيز)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (رسوله).

(٤) ظ: (الذهن).

لا أصل له. فتتفر القلوب من هذه الألقاب وأهلها، ولو ذكروا حقيقة قولهم^(١)، لما قبلت العقول السليمة، والفطر المستقيمة سواء والله يعلم وملائكته ورسوله وهم أيضاً أنهم براء من هذه المعاني الباطلة. وأنهم أبعد الخلق منها، وأن خصومهم جمعوا بين أذى الله ورسوله، بتعطيل^(٢) صفاته، وبين أذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقعدوا تحت قوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا^(٣) وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾
[الأحزاب: ٥٧، ٥٨].

[١١٩/١]

أَفَظُنُّ الْجَاهِلُونَ أَنَا نَجِدُ صِفَاتِ رَبِّنَا، وَعَلَوْهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتَوَاهُ^(٤) عَلَى عَرْشِهِ، وَتَكَلَّمَهُ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ، وَتَكَلَّمَهُ لِمُوسَى حَقِيقَةً، كَلَامًا أَسْمَعُهُ إِيَّاهُ، بَغَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَنَكَرَ سَمْعَهُ، وَبَصَرَهُ، وَعِلْمَهُ وَقَدْرَتَهُ، وَحَيَاتِهِ، وَإِرَادَتَهُ، وَوَجْهَهُ^(٥) الْكَرِيمِ، وَيَدِيهِ^(٦) - كَلَّتَا يَدِيهِ يَمِينِ^(٧) - اللَّتَيْنِ يَقْبِضُ سَمَاوَاتِهِ بِإِحْدَاهُمَا، وَالْأَرْضَ بِالْآخَرَى، وَرُؤْيَةَ وَجْهِهِ

(١) ظ: (كقولهم).

(٢) ظ، م: (بتعطيل)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (بهتاً)، وليست الآية كذلك.

(٤) ظ: (واستواه)؛ م: (واستوائه)، والصواب ما أثبت.

(٥) م: (وجه).

(٦) ظ، م: (ويديه اللتين)، وكلمة (اللتين) مكررة ولذا حذفها.

(٧) جزء من حديث سبق تحقيقه، ص ٢٧٦. وهي جملة اعتراضية للتنبيه.

الكريم، في جنات عدن، ومحبته، ورضاه، وفرحه بتوبة التائبين، ونزوله إلى سماء الدنيا، حين يمضي شطر الليل، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين الخلائق، لأسماء^(١) سموها، هم وسلفهم، ما أنزل الله بها من سلطان، وألقاب وضعوها من تلقاء أنفسهم، لم يأت بها سنة ولا قرآن، وشبهات قذفت بها قلوب، ما استنارت بنور الوحي، ولا خالطتها بشاشة الإيمان، وخيالات هي بتخييلات^(٢) الممرورين^(٣). وأصحاب الهوس، أشبه منها بقضايا العقل والبرهان، ووهميات نسبتها إلى العقل الصحيح كنسبة السراب إلى الإبصار في القيعان، وألفاظ مجملة ومعان مشبهة قد لبس فيها الحق بالباطل، فصار داحضاً وكتمان^(٤)، فدعونا من هذه الدعاوي الباطلة، التي لا تفيد إلا إتعاب الإنسان، وكثرة الهديان، وحاكمونا إلى الوحي والميزان، لا إلى منطق يونان ولا إلى قول فلان، ورأي فلان، فهذا كتاب الله ليس فوق بيانه مرتبة في البيان، وهذه سنة رسوله مطابقة له، أعظم من مطابقة البنان للبنان^(٥)، وهذه أقوال أعقل الأمم بعده والتابعين لهم بإحسان، لا يختلف منهم في هذا الباب إثنان^(٦)، ولا يوجد عنهم فيه قولان

(١) لأسماء سموها: جواب لقوله «أفيظن الجاهلون أنا نجحد صفات ربنا».

(٢) ظ: (تخييلات)؛ م: (تحييلات)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) الممرورين: سبق ذكر معناها، ص ٣٣٦.

(٤) وكتمان: كذا في ظ، م ولعل الكلمة محرفة.

(٥) ظ: (البيان للبيان).

(٦) ظ: (إثبات).

متنافيان، بل قد تتابعوا كلهم على إثبات الصفات، وعلو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، وإثبات تكلمه، وتكليمه، وسائر ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، كتتابع الأسنان، وقالوا للأمة: هذا عهد نبينا إلينا، وهو عهدنا إليكم، وإلى من بعدكم، إلى آخر الزمان، وهذا هو الذي نادى به المنادي، وأذن به على رؤوس الملأ في السر والإعلان، فحي على الصلاة وراء هذا الإمام يا أهل (١) الإيمان، وحي على الفلاح، بمتابعته (٢) يا أهل القرآن، والصلاة خير من النوم في ظلمة ليلة الشكوك والإفك والكفران، فلا تصح القدوة بمن أقر على نفسه وصدقه المؤمنون، بأنه تائه في بیداء الآراء والمذاهب حيران، وأنه لم يصل إلى اليقين بشيء منها لا هو، ولا من قبله، من أمثاله، على تطاول الأزمان، وأن غاية ما وصلوا إليه الشك والتشكيك والحيرة ولَقَلَقَةُ (٣) اللسان، فالحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وخصهم بكمال العقول، وصحة الفطر، ونور البرهان، وجعلهم هداة (٤) مهتدين مستبصرين مبصرين أئمة للمتقين، يهدون بأمره، ويبصرون بنوره ويدعون إلى داره، ويحاربون كل مفتن فتان، فحي على خير العمل بمتابعة المبعوث بالفرقان وتحكيمه وتلقي (٥) حكمه

(١) ظ: (ياهل).

(٢) م: (بمتابعة أهل القرآن).

(٣) اللقطة: شدة الصوت في حركة واضطراب. لسان العرب ٥/٤٠٦٣، مادة لقق.

(٤) ظ، م: (هدى)، والصواب ما أثبت.

(٥) ظ، م: (وتكفي)، والصواب ما أثبت.

بالتسليم والقبول والإذعان، ومقابلة ما خالف حكمه
بالإنكار والرد والهوان، ومطاعنة المعارضين له بعقولهم
بالسيف والسنان، وإلا فبالقلم واللسان، فالعقول السليمة
والفطر المستقيمة لنصوص الوحي يسجدان ويصدقان
بما شهدت به ولا يكذبان ويُقِرَّان أن لها عليهما أعظم
السلطان وأنها إن خرجا عنها غلبا ولا ينتصران و[إن
لم يخرجها عنها]^(١) ظفرا بالهدى والعلم^(٢).

الوجه السابع والخمسون:

إن المعارضة بين العقل ونصوص الوحي، لا تتأق على
قواعد المسلمين، المؤمنين بالنبوة حقاً، ولا على أصول أحد
من أهل الملل، المصدقين بحقيقة النبوة، وليست هذه
المعارضة من الإيمان بالنبوة في شيء، وإنما تتأق هذه
المعارضة، ممن يقر بالنبوة على قواعد الفلسفة، ويجريها على
أوضاعهم وأن الإيمان بالنبوة عندهم، هو الاعتراف بوجود
حكيم، له طالع^(٣) مخصوص يقتضي طالعه أن يكون
متبوعاً، فإذا أخبرهم بما لا تدركه عقولهم عارضوا خبره
بعقولهم، وقدموها على خبره، فهؤلاء هم الذين عارضوا بين
العقل ونصوص الأنبياء، فعارضوا نصوص الأنبياء في باب
الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، في
هذه الأصول الخمس بعقولهم فلم يصدقوا بشيء منها على

بيان أن من عارض
الوحي بالعقل
لم يؤمن بنبوة محمد
- صلى الله عليه
وسلم -

(١) ما بين المعكوفتين ليس في ظ، ولا م وبه تستقيم العبارة.

(٢) لعل هنا كلمة ساقطة حتى يكتمل السياق بالسجع، وقد تكون (البيان) أو كلمة نحوها.

(٣) م: (طلع).

طريقة الرسل، ثم سرت معارضتهم / في المنتسبين إلى الرسل، فتقاسموها تقاسم الوارث لتركه مورثهم^(١)، فكل طائفة كان الوحي على خلاف مذهبهم، وقول من قلدوه^(٢) لجأوا إلى هذه المعارضة، واعتصموا بها دون نصوص الوحي، ومعلوم أن هذا يناقض الإيمان بالنبوة، وإن تناقض القائل به فغايته أن يثبت كون النبي رسولاً للعمليات دون العلميات أو في بعض العمليات التي أخبر بها دون البعض وهذا أسوأ حالاً ممن جعله رسولاً إلى بعض الناس دون بعض، فإن القائل بهذا يجعله رسولاً في العمليات والعمليات، ولا يعارض بين خبره وبين العقل، وإن تناقض في جرده عموم رسالته بالنسبة إلى كل مكلف، فهذا جحد عموم رسالته إلى المدعوين وذاك جحد عموم رسالته في المدعو إليه المخبر به ولم يؤمن في الحقيقة برسالته لا هذا^(٣) ولا هذا، فإنه يقال لهذا: إن كان رسول الله إلى هؤلاء حقاً فهو رسوله إلى الآخرين قطعاً لأنه أخبر بذلك ومن ضرورة تصديقه الإيمان بعموم رسالته، ويقال للآخر: [إن]^(٤) كان رسول الله في العمليات وإنما حق من عند الله فهو رسوله في العمليات^(٥) فإنه أخبر عنه بهذا وهذا.

(١) ظ، م: (موروثهم)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (من قلدوه)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (إلا).

(٤) (إن): ليست في ظ؛ ولا م وبها يستقيم الكلام.

(٥) ظ، م: (العمليات)، والصواب ما أثبتته.

الوجه الثامن والخمسون :

بيان أن ما يأتي به
النبي من الوحي
لا يمكن أن يأتي به
العقل

إن أمر النبوة وما يخبر به الرسول عن الله هو طور آخر وراء مدارك الحس والعقل والخيال والوهم والمنام والكشف، والعقل معزول عما يدرك بنور النبوة وطرق الوحي كعزل السمع عن إدراك الأكوان، والبصر عن إدراك الأصوات، وسائر الحواس عن إدراك المعقولات، فكما أن العقل طور من أطوار الأدمي يحصل فيه عين يبصر بها أنواعاً من المعقولات، والحواس معزولة عنها، فالنبوة طور آخر يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها أمور لا يدركها العقل بل هو معزول عنها كعزل الحواس عن مدارك العقول فتكذيب ما يدرك بنور النبوة يعجز العقل عن إدراكه وكونه معزولاً عنه كتكذيب ما يدركه العقل لعجز الحواس عن إدراكه وكونها معزولة عنه. فإن الإنسان كما قال الله - عز وجل - :

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾

[النحل : ٧٨].

فهو في أصل الخلقة خلق خالياً ساذجاً لا علم له بشيء من المعقولات ولا المحسوسات البتة، فأول ما يخلق فيه حاسة اللمس فيدرك بها أجناساً من الموجودات كالحرارة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها، فاللمس قاصر عن الألوان والأصوات بل هي كالمعدومة بالنسبة إليه، ثم يخلق^(١) له البصر فيدرك به الألوان والأشكال والقرب والبعد والصغر والكبر والطول والقصر والحركة والسكون وغير ذلك

(١) م : (خلق).

ثم يفتح له السمع فيسمع الأصوات الساذجة^(١) والنغمات
ثم يترقى في مدارك هذه الحاسة على التدرج حتى يسمع
من البعد ما لم يكن يسمعه قبل ذلك، ويتفاوت الناس في
قوة هذين الإدراكين، وضعفهما تفاوتاً بيّناً حتى يدرك الواحد
ما يجزم الآخر بكذبه فيه، والمدرك مشاهد له لا يمكنه
تكذيب نفسه فيه وذبّه عند المكذب له أنه اختص بإدراكه
دونه، ثم يخلق له الذوق فيدرك به تفاضل الطعوم من
الحلاوة والحموضة والمرارة وما بين ذلك ما لم يكن له به
شعور قبل ذلك، وكذلك الشم هو أكمله وليس عنده من
المعقولات عين ولا أثر ولا حس ولا خبر، ثم يخلق فيه التمييز
وهو طور آخر من أطوار وجوده فيدرك^(٢) في هذا
الطور أموراً آخر زائدة على المحسوسات لم يكن يدركها قبل
ذلك ثم يترقى إلى طور آخر يدرك به الواجب والجائز
والمستحيل. وأن حكم الشيء حكم مثله، والضد لا يجتمع
مع ضده، والنقيضان^(٣) إذا صدق أحدهما كذب الآخر
ونحو ذلك من أوائل العلوم الضرورية، ثم يترقى إلى طور
آخر يستنتج فيه العلوم النظرية من تلك الضروريات التي
تقدم علمه بها، ثم يترقى في هذا الطور من أمر إلى أمر فوفقه
وأغمض منه نسبة ما قبله إليه كنسبة الحس إلى العقل، ثم
وراء ذلك كله طور آخر نسبة ما قبله إليه كنسبة أطوار

(١) م: (ساذجه)، بدون ال.

(٢) ظ: (فيدارك).

(٣) (النقيضان): سبق التعريف بها ص ٢٩٥.

الإِنسان إلى طور العقل أو دون هذه النسبة يفتح فيه عين يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأمور العقل معزول عنها كعزل الحس عن مدركات العقل، وهذا هو طور النبوة الذي نسبة نور العقل المجرد إليه دون نسبة ضوء السراج إلى الشمس، فإنكارُ العقل لما يجرب به النبي عينُ الجهل ولا مستند له في إنكاره إلا^(١) أنه لم يبلغه ولم يصل إليه فيظن أنه غير ثابت في نفسه. يوضحه:

الوجه التاسع والخمسون:

وهو أنك / إذا جعلت العقل ميزاناً ووضعت في أحد كفتيه كثيراً من الأمور المشاهدة المحسوسة التي ينالها العيان ووضعت في الكفة الأخرى الأمور التي أخبرت بها الرسل عن الله وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجدت ترجيحه لهذه الكفة وتصديقه بها فوق ترجيحه للتي قبلها وتصديقه بها أقوى، ولولا الحس والمشاهدة تمنعه من إنكار ذلك لأنكره، وهذه دعوى نعلم أنك تتعجب ممن^(٢) يدعيها وتنسبه إلى المجازفة، وقلة التحصيل، والخطابة التي تليق بالعامه ولعمر الله إن مدعيها ليعجب من إنكارك^(٣) لها وتوقفك^(٤) فيها بعد البيان فنقول وبالله التوفيق: انسب إلى

بيان أن معارضة العقل للأمور المشاهدة المحسوسة لو أمكن ذلك أقوى من معارضته للوحي

(١) م: (وإلا أنه).

(٢) ظ: (من).

(٣) ظ، م: (إنكارها)، والصواب ما أثبتته.

(٤) م: (ولا توقفك).

العقل حيواناً يرى ويسمع ويحس ويتكلم ويعمل فغشيه أمر
القي له كأنه خشبة لا روح فيها وزال إحساسه وإدراكه
وتوارى عنه سمعه وبصره وعقله بحيث لا يعلم شيئاً،
فأدرك في هذه الحال من العلوم العجيبة والأمور الغائبة
ما لم يدركه حال حضور ذهنه واجتماع حواسه ووفور عقله،
وعلم من أمور الغيب المستقبلية ما لم يكن له دليل ولا طريق
إلى العلم به، وأنسب إليه أيضاً حيواناً خرج من إحليله
مجة^(١) ماء مستحيلة عن حصول الطعام والشراب
كالمخطة^(٢) فامتزجت بمثلها في مكان ضيق فأقامت هناك
برهة من الدهر فانقلبت دماً قد تغير لونها وشكلها وصفاتها
فأقامت كذلك مدة ثم انقلبت قطعة لحم فأقامت كذلك مدة
ثم انقلبت عظماً وأعصاباً وعروقاً وأظفاراً مختلفة الأشكال
والأوضاع وهي جماد لا إحساس لها ثم عادت حيواناً يتحرك
ويتغذى وينقلب ثم أقام ذلك الحيوان مدة طويلة في مكان
لا يجد فيه متنفساً وهو داخل أوعية بعضها فوق بعض، ثم
انفتح له باب ضيق عن مسلك الذكر فلا يسلكه إلا بضغطة
وعصره، فوسع له ذلك الباب حتى خرج منه، وانسب إليه
أيضاً شيئاً بقدر الحبة ترسله في مدينة عظيمة من أعظم المدن
فيأكل المدينة وكلَّ مَنْ فيها ثم يقبل على نفسه فيأكلها

(١) مجة: مج الشراب والشيء يُمَجَّ مَجًّا ومَجَّ به: رماه يقال ما بقي في الإناء إلا مجة أي قدر
ما يمَج. اللسان ٤١٣٦/٦، ٤١٣٧ مادة، مَجج.

(٢) المخطة: المخاط ما يسيل من الأنف. اللسان ٤/٥٥/٦، مادة، مخط.

وهو النار، وأنسب إليه أيضاً شيئاً بقدر بزر الخشخاش^(١) يحمله الإنسان بين ثيابه مدة فينقلب حيواناً يتغذى بورق الشجر برهة ثم إنه يبني على نفسه قباباً مختلفة الألوان من أبيض وأصفر وأحمر بناءً محكماً متقناً فيقيم^(٢) في ذلك البناء مدة من الزمان لا يتغذى بشيء البتة، فينقلب في القبة طائراً له أجنحة يطير بها بعد أن كان دوداً يمشي على بطنه فيفتح على نفسه باب القبة ويطير، وذلك دود القز إلى أضعاف أضعاف ما ذكرنا مما يشاهد بالعيان مما لوجلي لمن لم يره لعجب من عقل من حكاها له، وقال: وهل يصدق بهذا عاقل، وضرورة العقل تدفع هذا، وأقام الأدلة العقلية على استحالته، فقام في النائم مثلاً القوى الحساسة أسباب لإدراك الأمور الوجودية وآلة لها، فمن لا يدرك الشيء مع وجودها واستجماعها ووفورها، فإن يتعذر عليه إدراكه مع وجودها وبطلان أفعالها أولى وأحرى وهذا قياس أنت تجده أقوى من الأقيسة التي يعارض بها خبر الأنبياء والحس والعيان يدفعه ومن له خبرة بمواد الأدلة، وترتيب مقدماتها، وله أدنى بيان يمكن أن ينظم أدلة عقلية على استحالة كثير من الأمور المشاهدة المحسوسة، وتكون مقدمات تلك الأدلة من جنس مقدمات الأدلة التي تعارض بها النصوص أو أصح منها، وأنسب إلى العقل وجود ما أخبرت به الرسل عن الله

(١) بزر الخشخاش: البزر هو كل حب يبذر ويقال له: بذر، والخشخاش نبت ثمرته حمراء وهو ضربان: أسود وأبيض وأحدهُ خشخاشة.

انظر: المصباح المنير ١/٦٠، مادة بزر؛ لسان العرب ٢/١٦٤، مادة خشش.

(٢) ظ، م: (فيقم)، والصواب ما أثبت.

وصفاته وأفعاله وملائكته وعن اليوم الآخر، وثبوت هذه الأمور التي ذكرنا اليسير منها، وما لم نذكره، ولم يخطر لنا ببال أعجب من ذلك بكثير نجد تصديق العقل بما أخبرت به الرسل أقرب إليه من تصديقه بهذه الأمور ولولا المشاهدة لكذب بها فيالله العجب! كيف يستجيز العقل إنكار ما أخبرت به الرسل بعد أن رأى وعاین وسمع ما لولا الحس لأنكره غاية الإنكار، ومن ها هنا قال من صح عقله وإيمانه: إن نسبة العقل إلى الوحي أدق، وأقل بكثير من نسبة منادى^(١) سن التمييز إلى العقل.

الوجه الستون:

إن هؤلاء المعارضين بين العقل والوحي لا يمكنهم إثبات الصانع بل نفيه^(٢) بالكلية لازم قولهم لزوماً بيناً، ولا أن العالم مخلوق له ولا يمكنهم إقامة الدليل على استحالة إلهين، ولا يمكنهم إقامة دليل واحد على استحالة كون الصانع جسماً، ولا يمكنهم إثبات كونه عالماً ولا قادراً ولا رباً، فهم عاجزون عن إثبات / وجود الصانع فضلاً عن تنزيهه، ويقتصر من هذه الجملة على بيان عجزهم عن إثبات وجوده — سبحانه — فضلاً عن تنزيهه عن صفات كماله، فنقول: المعارضون بين الوحي والعقل في الأصل هم الزنادقة^(٣) المنكرون للنبوات وحدوث العالم والمعاد، ووافقهم في هذا الأصل الجهمية، والمعطلة لصفات الرب وأفعاله،

بيان أن المعارضة بين العقل والوحي تستلزم إنكار الصانع

[١٢٢/١]

(١) كذا في ظ، م، ولعلها: (من في).

(٢) ظ، م: (نعتة)، ولعل الصواب ما أثبت. (٣) الزنادقة سبق التعريف بهم ص ٦٤٦.

والطائفتان لم تثبت للعالم صانعاً البتة. فإن الصانع الذي أثبتوه وجوده مستحيل فضلاً عن كونه واجب الوجود قديماً.

أما زنادقة الفلاسفة^(١) فإنهم أثبتوا للعالم صانعاً لفظاً لا معنى ثم لبسوا على الناس وقالوا: إن العالم صنعه وفعله وخلقه وهو في الحقيقة عندهم غير مصنوع ولا مخلوق ولا مفعول. ولا يمكن على أصلهم أن يكون العالم مخلوقاً ولا مفعولاً قال أبو حامد^(٢)^(٣): وذلك لثلاثة^(٤) أوجه: وجه في الفاعل، ووجه في الفعل، ووجه في نسبة مشتركة بين الفعل والفاعل، أما الذي في الفاعل فهو أنه لا بد أن يكون مريداً مختاراً عالماً بما يريد حتى^(٥) يكون فاعلاً لما يريد والله — تعالى — عندهم ليس مريداً، بل لا صنعة له أصلاً وما يصدر عنه فيلزم^(٦) لزوماً ضرورياً.

والثاني: أن العالم قديم (عندهم)^(٧) والفعل هو الحادث.

والثالث: أن الله — تعالى — عندهم واحد من كل وجه

(١) الفلاسفة: سبق التعريف بهم ص ١٩١.

(٢) أبو حامد: سبق ذكر ترجمته ص ٤١٧.

(٣) انظر تهافت الفلاسفة لأبي حامد: ص ١٢٠ تحقيق سليمان دنيا.

(٤) تهافت: (من ثلاثة).

(٥) ظ، م: (حين)، وما أثبتته من التهافت.

(٦) تهافت: (فيلزم منه).

(٧) (عندهم): ليست في تهافت.

والواحد لا يصدر عنه^(١) عندهم إلا واحد^(٢)، والعالم مركب من مختلفات فكيف يصدر عنه.

قال: «ولنحقق وجه كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة مع خيالهم في دفعه^(٣)، فنقول: الفاعل عبارة عن من يصدر عنه الفعل مع الإرادة للفعل على سبيل الاختيار ومع^(٤) العلم بالمراد، وعندهم^(٥) أن العالم مع الله كالمعلول مع^(٦) العلة يلزم لزوماً ضرورياً لا يتصور من الله دفعه كلزوم^(٧) الظل للشخص والنور للشمس^(٨)، وليس هذا من الفعل في شيء، بل من قال: إن السراج يفعل الضوء، والشخص يفعل الظل فقد تجوز^(٩) وتوسع في التجوز^(١٠) توسعاً خارجاً عن الحد واستعار اللفظ اكتفاء^(١١) بوقوع المشاركة بين المستعار له والمستعار منه^(١٢) في وصف واحد، وهو أن الفاعل سبب على الجملة، والسراج سبب للضوء، والشمس سبب

-
- (١) تهافت: (منه).
 - (٢) تهافت زاد: (من كل وجه).
 - (٣) تهافت زاد: أما الأول فنقول.
 - (٤) ظ، م: (مع يدواو)، وما أثبتته من تهافت.
 - (٥) تهافت: وعندكم.
 - (٦) تهافت: من.
 - (٧) ظ، م: (لزوم)، وما أثبتته من تهافت.
 - (٨) تهافت: من الشمس.
 - (٩) ظ، م: (جاوز)، وما أثبتته من تهافت.
 - (١٠) م: (الفجور).
 - (١١) ظ، م: (واكتفى)، وما أثبتته من تهافت.
 - (١٢) ظ، م: (عنه)، وما أثبتته من تهافت.

للنور، والفاعل^(١) لم يسم فاعلاً صانعاً بمجرد^(٢) كونه سبباً بل بكونه^(٣) سبباً على^(٤) وجه الإرادة والاختيار حتى لو قال قائل: الجدار ليس بفاعل والحجر ليس بفاعل والجماد^(٥) ليس بفاعل، وإنما الفعل للحيوان لم ينكر ذلك^(٦) ولم يكن قوله كذباً^(٧) وللحجر فعل عندهم وهو الهوي^(٨) إلى السفلى^(٩) والميل إلى المركز، كما أن للنار فعلاً وهو التسخين^(١٠)، وللحائط فعلاً وهو الميل إلى المركز ووقوع الظل لأن ذلك صادر عنه وهذا محال^(١١)».

قال: فإن قيل: كل موجود ليس بواجب^(١٢) الوجود لذاته^(١٣) بل^(١٤) هو موجود بغيره فإنما نسمي ذلك الشيء

-
- (١) تهافت: ولكن.
 - (٢) تهافت: لمجرد.
 - (٣) تهافت: لكونه.
 - (٤) تهافت زاد: على وجه مخصوص وهو وقوع الفعل منه.
 - (٥) ظ، م: (الحمار)، وما أثبتته من تهافت.
 - (٦) تهافت: لم ينكر عليه ذلك.
 - (٧) تهافت: كاذباً.
 - (٨) ظ، م: (الهدى)، وما أثبتته من تهافت.
 - (٩) تهافت: وهو الهوى والثقل والميل إلى المركز.
 - (١٠) ظ: (السخين).
 - (١١) تهافت: فإن كل ذلك صادر عنه وهو محال.
 - (١٢) تهافت: واجب.
 - (١٣) تهافت: بذاته.
 - (١٤) تهافت: وإنما.

مفعولاً، ونسَمي سببه فاعلاً ولا نبالي كان المسبب^(١) فاعلاً
 بالطبع أو^(٢) بالإرادة كما أنكم لا تبالون أنه كان فاعلاً بآلة
 أو^(٣) بغير آلة، بل الفعل^(٤) جنس ينقسم^(٥) إلى ما يقع بآلة
 وإلى ما يقع بغير آلة، فكذلك هو جنس ينقسم^(٦) إلى ما يقع
 بالطبع وإلى ما يقع بالاختيار بدليل أنا إذا قلنا: «فعل بالطبع»
 لم يكن قولنا بالطبع ضداً لقولنا فعل ولا دفعاً ولا نقضاً^(٧) له
 بل كان بياناً لنوع الفعل كما [أنا]^(٨) إذا قلنا: فعل مباشرة^(٩)
 بغير^(١٠) آله لم يكن نقضاً، بل كان تنويحاً وبياناً، وإذا قلنا:
 فعل بالاختيار لم يكن تكرر^(١١) بل كان بياناً لنوع الفعل
 كقولنا: فعل بآلة، ولو كان قولنا: فعل يتضمن الإرادة،
 وكانت الإرادة ذاتية للفعل من حيث إنه فعل لكان قولنا:
 فعل بالطبع متناقضاً كقولنا: فعل وما فعل.

قلنا: هذه التسمية فاسدة لا يجوز أن يسمى كل سبب

-
- (١) تهافت: السبب.
 (٢) تهافت: أم.
 (٣) تهافت: أم.
 (٤) ظ: (لعقل)؛ م: (العقل).
 (٥) تهافت: وينقسم.
 (٦) تهافت: وينقسم.
 (٧) ظ، م: (انقضاء)؛ تهافت: ونقضاً بدون لا.
 (٨) أنا: إضافة من التهافت.
 (٩) ظ، م: (مباشر).
 (١٠) تهافت: من غير.
 (١١) تهافت زاد: مثل قولنا حيوان إنسان.

بأي وجه كان فاعلاً ولا كل سبب^(١) مفعولاً، ولو كان ذلك ما صح^(٢) أن يقال: الجماد لا فعل له، وإنما الفعل للحيوان وهذه من الكليات^(٣) المشهورة الصادقة، فإن سمي الجماد فاعلاً فبالإستعارة كما^(٤) يسمى طالباً مريداً على سبيل المجاز إذ يقال: الحجر يهوي^(٥)؛ لأنه يريد المركز ويطلبه، والطلب والأمر^(٦) حقيقة لا يتصور^(٧) إلا مع العلم بالمراد المطلوب فلا^(٨) يتصور إلا مع الحيوان.

وأما قولكم: إن قولنا (فَعَلَ) عام، وينقسم إلى ما هو بالطبع وإلى ما هو بالإرادة^(٩) غير مسلم وهو كقول القائل: قولنا (أراد): عام وينقسم إلى من يريد مع العلم بالمراد وإلى من يريد ولا يعلم ما يريد وهو فاسد، إذ الإرادة تتضمن العلم بالضرورة، وكذلك^(١٠) الفعل يتضمن الإرادة بالضرورة.

وأما قولكم: إن قولنا (فَعَلَ بِالتَّطَبُّعِ) ليس بنقض

(١) تهافت: مسبب.

(٢) تهافت: كذلك لما.

(٣) ظ، م: (الكلمات)، وما أثبتته من تهافت.

(٤) تهافت: كما قد.

(٥) م: (هوى).

(٦) تهافت: والطلب والإرادة.

(٧) تهافت: لا يتصوران.

(٨) تهافت: ولا يتصور.

(٩) تهافت: فهو.

(١٠) تهافت: فكذلك.

للأول فليس كذلك فإنه نقض له من حيث الحقيقة ولكنه^(١) لا يسبق إلى الفهم^(٢) التناقض^(٣) ولا يشتد نفور الطبع عنه^(٤)؛ فإنه لما أن كان سبباً بوجه^(٥) ما والفاعل أيضاً سبب / سمي فعلاً^(٦) مجازاً.

[١٢٣/١]

وإذا قال^(٧): «فَعَلَ بالاختيار»، فهو تكرير على التحقيق كقوله: أراد وهو عالم بما أراد^(٨) إلا أنه لما تصور أن يقال: فعل وهو مجاز ويقال: فعل وهو حقيقة لم تنفر النفس عن قوله فعل بالاختيار، وكان معناه فعل فعلاً حقيقياً لا مجازياً كقول القائل: تكلم بلسانه ونظر بعينه، فإنه لما جاز أن يستعمل النظر في القلب مجازاً أو الكلام في تحريك الرأس واليد^(٩) مجازاً^(١٠) لم يستقبح أن يقال: قال بلسانه ونظر بعينه^(١١) ويكون معناه نفي احتمال المجاز فهذه مزلة القدم^(١٢).

(١) تهافت: ولكن.

(٢) ظ، م: (فهم)، وما أثبتته من تهافت.

(٣) ظ، م: (المتناقض)، وما أثبتته من تهافت.

(٤) تهافت زاد: لأنه يبقى مجازاً.

(٥) ظ، م: (موجباً)، وما أثبتته من تهافت.

(٦) م: (فاعلاً).

(٧) تهافت: قيل.

(٨) تهافت: إرادة.

(٩) تهافت زاد: حتى يقال قال برأسه.

(١٠) مجازاً: ليست في تهافت.

(١١) ظ: (بعينه).

(١٢) تهافت زاد: فليتنبه لمحل انخداع هؤلاء الأغبياء.

فإن قيل: تسمية الفاعل فاعلاً إنما تعرف من اللغة وإلا فقد ظهر في العقل أن ما يكون سبباً للشيء ينقسم إلى ما يكون مريداً وإلى ما لا يكون فوق (١) النزاع في أن اسم الفاعل على كلا القسمين حقيقة أم لا (٢)؟

إذ العرب تقول: النار تحرق، والثلج يبرد، والسيف يقطع (٣). والخبز يشبع والماء يروي (٤)، فقولنا: يقطع، معناه يفعل القطع، وقولنا: تحرق معناه تفعل الإحراق. فإن قلت: إن (٥) ذلك مجاز، فأنتم متحكمون (٦) من غير مستند، قال: «والجواب أن ذلك بطريق المجاز، وإنما الفعل الحقيقي ما يكون بالإرادة، والدليل عليه أنا لو فرضنا حادثاً توقف (٧) حصوله على أمرين أحدهما: إرادتي، والآخر: غير إرادتي، أضاف العقل الفعل إلى الإرادتي، فكذا (٨) اللغة، فإن مَنْ ألقى إنساناً في نار (٩) فمات فيقال (١٠): هو القاتل دون النار حتى إذا قيل: ما قتله إلا فلان كان صادقاً (١١)، فإن كان اسم

(١) تهافت: ووقع.

(٢) تهافت زاد: ولا سبيل إلى إنكاره.

(٣) تهافت زاد: والسقمونيا تسهل.

(٤) تهافت زاد: وقولنا: يضرب معناه يفعل الضرب.

(٥) تهافت: كل ذلك.

(٦) تهافت: كنتم متحكمين فيه.

(٧) تهافت زاد: في.

(٨) تهافت وكذ.

(٩) تهافت: النار.

(١٠) تهافت: يقال بدون فاء.

(١١) تهافت: صدق قائله.

الفاعل على المرید وعلى غير المرید^(١) على وجه واحد لا بطريق كون أحدهما أصلاً والآخر^(٢) مستعاراً، فَلِمَ يضافُ القتل إلى المرید لغة وعرفاً وعقلاً؟ مع أن النار هي العلة القريبة في القتل^(٣) وكان الملقى لم يتعاط إلا الجمع بينه وبين النار، ولكن لما كان الجمع^(٤) بالإرادة وتأثير النار بغير إرادة سُمِّي قاتلاً، ولم تسم النار قاتلة إلا بمعنى^(٥) استعارة، فعلم^(٦) أن الفاعل من يصدر^(٧) الفعل عن إرادته، وإذا^(٨) لم يكن الله مریداً عندهم، ولا مختاراً لفعل^(٩) [العالم]^(١٠) لم يكن صانعاً ولا فاعلاً إلا مجازاً، قال: فإن قيل: نحن نعني بكون الله فاعلاً أنه سبب لوجود كل موجود سواه، وأن العالم قوامه به، ولولا وجود الباري لما تصور وجود العالم، ولو قدر عدم الباري لانعدم العالم، كما لو قدر عدم الشمس لانعدم الضوء، فهذا ما نعنيه بكونه فاعلاً، فإن كان الخصم يأبى أن يسمي هذا المعنى فعلاً فلا مشاحة^(١١) في الأسمي

(١) ظ، م: (الفاعل المرید وعين المرید)، وما أثبتته من تهافت.

(٢) تهافت: وكون الآخر.

(٣) ظ، م: (العقل)، وما أثبتته من تهافت.

(٤) تهافت: بينه وبين النار.

(٥) تهافت: بنوع من.

(٦) تهافت: فدل.

(٧) تهافت: منه الفعل.

(٨) تهافت: فإذا.

(٩) ظ، م: (للفعل).

(١٠) العالم إضافة من تهافت.

(١١) ظ، م: (مشاحه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

بعد ظهور المعنى، قلنا: غرضنا أن نبين أن هذا المعنى لا يسمى فعلاً وصنعاً، وإنما يسمى^(١) بالفعل والصنع ما يصدر عن الإرادة حقيقة وقد نفيت حقيقة معنى الفعل ونطقتم بلفظه تجملاً بالإسلاميين^(٢)، ولا يتم الدين بإطلاق الألفاظ الفارغة عن المعاني فصرحوا بأن الله لا فعل له حتى يتضح أن معتقدكم مخالف لدين المسلمين ولا تلبسوا بقولكم^(٣): إن^(٤) الله صانع العالم، وإن العالم صنعه، فإن هذه لفظة أطلقتموها ونفيتم حقيقتها، ومقصود^(٥) هذه المسألة الكشف عن هذا التليس فقط^(٦)، ثم ساق الكلام إلى آخر المسألة^(٧)، قلت: ولا ريب أن أصولهم التي عارضوا بها الوحي تنفي وجود الصانع فضلاً عن كونه صانعاً للعالم، بل تجعله ممتنع الوجود فضلاً عن كونه واجب الوجود لأن الصفات التي وصفوه بها صفات معدوم ممتنع في العقل والخارج، فلا العقل^(٨) يتصور إلا على سبيل الفرض الممتنع كما يفرض المستحيلات ولا يمكن في الخارج وجوده، فإن ذاتاً هي وجودٌ مطلق لا ماهية لها سوى الوجود المطلق المجرد على

(١) تهافت: وإنما المعنى.

(٢) ظ، م: (الإسلام)، وما أثبتته من تهافت.

(٣) بقولكم: ليس في تهافت.

(٤) تهافت: بأن.

(٥) تهافت: والمقصود من.

(٦) انتهى كلام أبي حامد. انظر: تهافت الفلاسفة، ص ١٢٤.

(٧) وفيه يرد على الوجه الثاني «ووجه في الفعل»، والوجه الثالث «ووجه في نسبة مشتركة بين

الفعل والفاعل. انظر: تهافت الفلاسفة، ص ١٢٥، ١٢٩، ١٤٠.

(٨) ظ: (فلا لعقل). م: (فالعقل)، ولعل الصواب ما أثبت.

كل ماهية ولا صفة لها البتة، ولا فيها معنيان متغايران في المفهوم، ولا هي هذا العالم ولا صفة من صفاته، ولا داخله فيه ولا خارجه عنه ولا متصلة به ولا منفصلة عنه ولا مجانبة له ولا مباينة ولا فوقه ولا تحته ولا يمينه ولا يسرته، ولا ترى ولا يمكن أن ترى، ولا تدرك شيئاً ولا تدرك هي بشيء من الحواس ولا هي متحركة ولا ساكنة، ولا توصف بغير السلوب والإضافات العدمية ولا نعتت^(١) بشيء من الأمور الثبوتية. هي بامتناع الوجود أحق منها بإمكان الوجود فضلاً عن وجوبه وتكليف العقل بالإعتراف^(٢) بوجود هذه الذات ووجوبها بتكليفه الجمع بين النقيضين^(٣)، ومعلوم أن مثل هذه الذات لا تصلح لفعل ولا ربوبية ولا إلهية^(٤)، وأي ذات فرضت في الوجود فهي أكمل منها، فالذي جعلوه واجب الوجود هو أعظم استحالة من كل ما يقدر مستحيلاً، فلا يكثر عليهم بعد هذا إنكارهم لصفاته^(٥) كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وإنكارهم^(٦) لكلامه وتكليمه فضلاً عن استوائه على عرشه ونزوله / إلى سماء الدنيا، ومجيئه وإثباته وفرحه وحبه وغضبه ورضاه، فمن هدم قواعد البيت من أصلها هان عليه هدم السقف والجدران. ولهذا كان

[١٢٤/١]

(١) ظ، م: (نفعت)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) م: (الاعتراف).

(٣) سبق انظر، ص ٢٩٥.

(٤) ظ: (ولا آلهة).

(٥) ظ، م: (لصفاته).

(٦) ظ: (ولا إنكارهم).

حقيقة قول هؤلاء القول بالدهر وإنكار الخالق بالكلية»،
وقولهم:

﴿مَا هِيَ إِلَّا أَحْيَانًا لِّدُنْيَانَا لَمْ نَأْمُرْتُمْ بِحَيَاةٍ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ إِذَا نَدَّهَرُ﴾

[الجاثية: ٢٤].

وإنما صانعوا المسلمين بألفاظ لا حقيقة لها واشتق
إخوانهم الجهمية النفي والتعطيل من أصولهم فسدوا على
أنفسهم طريق العلم بإثبات الخالق وتوحيده بمشاركتهم لهم
في الأصل المذكور، وإن باينوهم في بعض لوازمهم كإثباتهم
كون الرب تعالى قادراً مريداً فاعلاً بالاختيار، وإثباتهم معاد
الأبدان والنبوة ولكن لم يثبتوا ذلك على الوجه الذي جاءت
به الرسل، ولا نفوه نفي إخوانهم الملاحدة، بل اشتقوا
مذهباً بين المذهبين وسلكوا طريقاً بين الطريقين،
لا للملاحدة فيه وافقوا، ولا للرسل اتبعوا، ولهذا عظمت
بهم البلية على الإسلام وأهله بانتسابهم إليه وظهورهم في
مظهر ينصرون به الإسلام ويردون به على الملاحدة
فلا للإسلام نصروا، ولا لأعدائه كسروا، بل أتباع الرسل
كفروهم، وضللوهم، وصاحوا بهم من أقطار الأرض:
امتازوا من المسلمين، إيها المعطلون، وانحازوا إلى إخوانكم
من الملاحدة^(١) الذين هم بريهم يعدلون وخلوا عن نصوص
الوحي، فكلم بها تتلاعبون، فمرة تقولون: هي أدلة لفظية
معزولة عن إفادة العلم واليقين، ومرة تقولون: هي مجازات
واستعارات لا حقيقة لها عند العارفين، ومرة تقولون:

(١) الملاحدة سبق التعريف بهم، ص ٣٠٠.

لا سبيل إلى تحكيمها والالتفات إليها، وقد عارضها المعقول وقواطع البراهين، ومرة تقولون: أخبار أحاد فلا يُحْتَجُّ بها في المسائل القطعية التي يطلب منها اليقين، فأرضيتم بذلك إخوانكم من الملاحدة أعداء الدين، وكنتم بذلك لهم موافقين، فصالوا عليكم به فيما أثبتوه، وكنتم به من الإسلام وأهله متقربين وصال^(١) عليكم المسلمون^(٢) بما وافقتم فيه إخوانكم من الضلال المبين، فتدافعكم الفريقان تدافع الكرة بين الضاربين فدَعُونَا من التلبيس والمصانعة بالله، هل أثبتتم للعالم رباً بئناً عنه؟ وهل عندكم فوق العرش إله يُعْبَد ويصلى له ويُسَجَد؟ أم ليس فوق العرش إلا العدم الذي لا شيء هو، وهل أثبتتم لصانع العالم - سبحانه - صفة ثبوتية تقوم به؟ فهل أثبتتم له علماً حقيقة، وسمعاً، وبصراً، وحياة، ومشية، وإرادة حقيقية^(٣)؟ وهل تعتقدون أنه تكلم أو كلم أحداً حقيقة؟ أو أمر، أو نهى، أو قال، أو يقول، أو نادى، أو ينادي، أو أخبر، أو نبأ، أو أنبأ، أو عهد، أو وصى^(٤)، أو خاطب، أو ناجى، أو أثنى على نفسه، أو على أحد من خلقه، أو قال قط:

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤].

أو نزل من عنده شيء، أو صعد إليه شيء، أو قام به

(١) ظ، م: (صاله)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (المسلمين)، وهو خطأ.

(٣) م: (وحقيقه).

(٤) م: (أوصى).

فعل البتة يجب [أن] (١) يكون به فاعلاً، أو قام به حب أو بغض أو رضى، أو سخط، أو له وجهٌ أعلى (٢) أو خلق آدمَ بيديه أو غرس (٣) جنة عدن بيده، أو كتب التوراة بيده (٤) أو يقبض سمواته السبع بيده والأرضين السبع بيده (٥)، أو كتب بيده كتاباً، فهو عنده موضوع على العرش، إن رحمته سبقت غضبه (٦) أو يراه أنبياءه أو رسله، والمؤمنون في دار الجزاء فضلاً عن أن يتجلى لهم من فوقهم يضحك إليهم، ويسلم عليهم؟ فبالله (٧) هل لهذا كله عندكم حقيقة؟ أم إذا تجملت وأجلمت قلت: كل ذلك مجازات، واستعارات ليس له حقيقة، فاسألوا بالله إذن إخوانكم من أرباب المعقولات، هل يصدق أحد منكم أن إنساناً خلق من تراب وأنه يعود حياً بعدما صار إلى التراب، وأن عصاً انقلبت فصارت حية عظيمة أكلت ما مرت عليه،

(١) إضافة من م.

(٢) قال - تعالى -:

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْرَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ١٩ - ٢٠].

(٣) ظ: (أغرس).

(٤) الحديث سبق تحقيقه، ص ٢٧٤.

(٥) الحديث سبق تحقيقه، ص ٢٧٢.

(٦) رواه البخاري (فتح الباري ٢٨٧/٦)، من طريق أبي هريرة، في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله - تعالى -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾، ح ٣١٩٤. ورواه مسلم ٢١٠٧/٤، في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله - تعالى - وأنها سبقت غضبه، ح ١٤.

(٧) ظ: (فبارد)؛ م: (فباره)، ولعل الصواب ما أثبتته.

ثم انقلبت فصارت عصاً كما كانت، وأن يداً خرجت بيضاء لها ضوءٌ مثلُ ضوء الشمس، وأن بحراً^(١) من بحار العالم انفلق بعسكر عظيم اثنا عشر طريقاً، وصار الماء بين الطرق كالحيطان، وأن جبلاً قلع من موضعه على قدر عسكر عظيم ووقف على رؤوسهم بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه عياناً، ثم عاد إلى مكانه، وأن حجراً مربعاً^(٢) يحمل مع قوم يضرب بعصا فينفجر منه اثنا عشر نهراً، كلُّ نهر لطائفة عظيمة يختصون بمشربه لا يشركهم فيه الآخرون، وأن قتيلاً ضرب بعضو من بقرة مذبوحة فقام القتييل حياً، وأن إنساناً رمي به في نار تأجج فلم تحرق منه شيئاً وعادت خضراء^(٣) وروضة، وأن مدائن قلعت من أصولها كما يقلع الشجر ثم رفعت في الهواء، ثم قلبت بمن فيها فماتوا موةً رجلٍ واحد، وأن صخرة تمخضت وتحركت ثم انفلقت عن ناقة كأحسن النوق / وأن قمراً انشق في السماء شقتين ثم عاد فالتأم كما كان^(٤)، وأن يداً وضعت في ماء لا يغمرها فتفجر

[١٢٥/١]

(١) ظ: (بحاراً).

(٢) هذا جزء من حديث طويل هو حديث الفتون يذكره المفسرون عند قوله - تعالى - في حق موسى:

﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَعَلْنَا لَكَ نُورًا﴾ [طه: ٤٠].

رواه ابن جرير في تفسيره ١٢٥/١٦؛ والطحاوي في مشكل الآثار ٦/١، ٧. وذكر السيوطي في الدر المنثور ٢٩٦/٤، وعزاه لابن أبي عمر العدني في مسنده وعبد بن حميد والنسائي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم. وذكره ابن كثير في تفسيره ١٠٠/١.

(٣) ظ: (خضراء).

(٤) سبق انظر، ص ٨٨٥.

الماء من بين أصابعها وثار كأمثال العيون حتى روي منه
 عسكرياً عظيماً جراراً وملثوا منه كلَّ قربةٍ وكلَّ إناءٍ معهم^(١)
 وأن رجلاً ولد من غير أب، وأن امرأةً ولدت من غير أم،
 وأن رجلاً حمل من مكة إلى بيت المقدس، ثم رُفِعَ حتى جاوز
 السمواتِ السبعَ ثم عاد إلى فراشه في ليلته، وأن عسكرياً
 عظيماً قاموا بدوابهم وخدمهم وعددهم على بساط واحد بين
 السماء والأرض على متن الريح مسيرة شهر في مقدار غدوة
 من النهار ثم يرجعون في مقدار ذلك ولا تمس ركبهم
 الأرض، فبالله يا أرباب المعقولات، ويا أهل الذاتي
 والعرضي^(٢) وأهل المقولات^(٣) العشر والكيليات الخمس
 ويا أهل^(٤) المختلطات والموجهات^(٥) والقضايا المسورات^(٦)
 والمهملات^(٧) ويا أهل الشكل الأول والثاني [والثالث]^(٨)

(١) سبق انظر، ص ٨٨٥.

(٢) ظ، م: (ويا أهل اشياعرضي)، وما أثبتته من حاشية م.

(٣) ظ، م: (المعقولات)، والصواب ما أثبت.

(٤) ظ: (يا أهل).

(٥) الذاتي، العرضي. المقولات العشر، الكيليات الخمس، المختلطات، الموجهات، سبق
 التعريف بها. انظر، ص ٨١٣، ٨١٥.

(٦) ظ: (المستورات). وانظر: «مدخل إلى علم المنطق»، ص ٩٦.

(٧) القضية المسورة: وهي (المحصورة) وهي التي يكون فيها لفظ يحدد طبيعة القضية من
 ناحية الكم (كلية أو جزئية)، والكيف (سالبة أو موجبة)، ويسمى هذا اللفظ سوراً؛
 لأنه يحصر القضية كالسور الذي يحوط الحديقة أو البلد مثال: كل القضاة عادلون.
 مدخل إلى علم المنطق، ص ٩٦. والقضية المهملة: هي التي يكون الموضوع فيها لفظاً
 كلياً والحكم يهمل بيان كمية الأفراد الذين يقع عليهم الحكم. وتسمى غير المسورة.
 مثال الحي حساس، الإنسان حي «مدخل إلى علم المنطق»، ص ١٠٢.

(٨) (والثالث): إضافة من م.

والرابع وأصحاب القياس الحملي والشرطي^(١)، وأهل العقول المقدمة بزعم أربابها على الوحي، هل تصدقون بشيء من هذا وهل يصدق أفرأحكم وتلامذتكم بشيء مما ذكرنا من شأن الربوبية أم التكذيب بهذا وهذا ثمرة^(٢) عقولكم وحاصل معقولكم.

فعلى عقولكم العفاء فإنكم

عاديتم المعقول والمنقولوا

وطلبتم أمراً محالاً وهو إدراك

الهدى لا تبتغون رسولا

وزعمتم أن العقول كفيلا

بالحق أين العقل كان كفيلا

وهو الذي يقضي فينقض^(٣) حكمه

عقل ترون كليهما^(٤) معقولوا

(١) القياس الحملي: هو قياس يتألف من ثلاثة أقوال من مقدمتين (قضيتين حمليتين) ونتيجة. تلزم بالضرورة عنها نتيجة مثال ذلك: كل المعادن تتمدد بتأثير الحرارة (مقدمة كبرى)، والذهب معدن (مقدمه صغرى)، الذهب يتمدد بتأثير الحرارة (نتيجة). وله أشكال أربعة ولعلها المذكورة هنا. انظر: «مدخل إلى علم المنطق» ١٦٩/١٧٩ - ١٨٢. القياس الشرطي: هو الذي تكون بعض مقدماته أو كلها من القضايا الشرطية. وسمي شرطياً لاشتماله على الشرط. مثال: كلما كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً (مقدمة كبرى)، وكلما كان النهار موجوداً كان العالم مضيئاً (مقدمة صغرى)، مدخل إلى علم المنطق، ص ٢٠٤، كلما كانت الشمس طالعة كان العالم مضيئاً (نتيجة).

(٢) م: (وهل أثمره).

(٣) ظ: (فينقض).

(٤) ظ: (كلهما).

وتراه يجزم^(١) بالقضاء وبعد ذا
يلقى لديه باطلاً معلولا
لا يستقل العقل دون هداية
بالوحي تأصيلاً ولا تفصيلاً
كالطرف دون النور ليس بمدرك
حتى يراه بكرةً وأصيلاً
وإذا الظلام تلاطمت أمواجه
وطمعت بالإبصار كنت محيلاً
فإذا النبوة لم ينلك ضياؤها
فالعقل لا يهديك قط سبيلاً
نور النبوة مثل نور الشمس
للعين البصيرة فاتخذه دليلاً
طرق الهدى محدودة إلا على
مَنْ أَمَّ هذا الوحي والتنزيلاً
فإذا عدلتَ عن الطريق تعمداً
فاعلم بأنك ما أردتَ وصولاً
يا طالباً درك الهدى بالعقل
دون النقل لن تلقَ لذاك دليلاً
كم رام قبلك ذاك مِنْ متلذذ
حيرانَ عاش مدى الزمان جهولاً

(١) ظ: (مجزم).

ما زالت الشبهاتُ تغزو^(١) قلبه
 حتى تَشَحَّطَ بينهن قتيلا
 فتراه بالكلي والجزئي^(٢)، والذاتي
 والعرضي^(٣) طول زمانه مشغولا
 فإذا أتاه الوحي لم يأذن له
 ويقوم بين عداه^(٤) مثيلا
 ويقول: تلك أدلة لفظية
 معزولة عن أن تكون دليلا
 وإذا تمر عليه قال لها^(٥): إذهبي
 نحو المجسم أو خذي التأويلا
 وإذا أبت إلا النزول عليه كان
 لها (القرى)^(٦) التحريف والتبديلا
 فيحلُّ بالأعداء ما تلقاه من
 كيدٍ يكون لحقها تعطيلا

(١) ظ، م: (قبله)، والصواب ما أثبتته.

(٢) الجزئي: هو مفهوم مفرد يمتنع في العقل فرض صدقه على كثيرين مثل سعيد: علم موضوع لفرد بعينه.

الكلي: هو مفهوم ذهني لا يمنع تصويره من وقوع الشركة فيه وإن كان لا يصدق في الواقع إلا على فرد واحد فقط. مثل: إنسان، حيوان، شمس.
 ضوابط المعرفة، ص ٣٠، ٣١.

(٣) سبق، انظر ص ٥٣٨.

(٤) م: (الأعداء).

(٥) ظ، م: (لا)، والصواب ما أثبت.

(٦) بياض في م.

واضرب لهم مثلاً بعميانٍ خلوا
 في ظلمة لا يهتدون سبيلاً
 فتصادموا بأكفهم وعصيتهم
 ضرباً يُديرُ رجا القتال طويلاً
 حتى إذا ملوا القتال رأيتهم
 مشجوجاً^(١) أو مفجوجاً أو مقتولاً
 وتسامع العميان حتى أقبلوا
 للصلح فازداد الصياح عويلاً^(٢)

الوجه الحادي والستون :

وهو أن الطرق التي سلكها هؤلاء المعارضون بين
 الوحي والعقل في إثبات الصانع هي بعينها تنفي وجوده،
 فإنها متضمنة لنفي صفاته وأفعاله صريحاً وهي تنفي وجوده
 لزوماً، فإن هؤلاء المعارضين صنفان: الفلاسفة^(٣)،
 والجهمية:

أما الفلاسفة، فأثبتوا وجود الصانع بطريق التركيب
 وهو أن الأجسام مركبة، والمركب يفتقر إلى أجزائه، وكل
 مفتقر ممكن، والممكن لا بد له^(٤) من وجود واجب،
 وتستحيل الكثرة في ذات الواجب بوجه من الوجوه؛ إذ يلزم

(١) ظ: (سجوجاً).

(٢) لعل هذه الأبيات لابن القيم.

(٣) الفلاسفة: سبق التعريف بهم، ص ١٩١.

(٤) ظ: (لا يدلّيه له)، ولفظة (ليه) زائدة.

تركيبه وافتقاره وذلك ينافي وجوبه، وهذا هو غاية توحيدهم، وبه أثبتوا الخالق^(١) على زعمهم، ومعلوم أن هذا من أعظم الأدلة على نفي الخالق فإنه ينفي قدرته ومشيئته وعلمه وحياته، إذ لو ثبتت له هذه الصفات بزعمهم لكان مركباً والمركب مفتقر إلى غيره فلا يكون واجباً بنفسه، وفي هذه الشبهة من التلبس والتدليس والألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة ما يطول وصفه، وقد انتدب لإفسادها جنود الإسلام على اختلاف مذاهبهم، فإن المركب لفظ مجمل يراد به ماركبه غيره، وما كان متفرقاً فاجتمعت أجزاءه / وما يمكن تفريق بعضه عن بعض، والله - سبحانه - منزّه عن هذه التراكيب، ويراد به في اصطلاح هؤلاء ما له ماهية خاصة يتميز بها عن سائر الماهيات، وما له ذات وصفات بحيث يتميز بعض صفاته عن بعض وهذا ثابت [له]^(٢) - سبحانه - وإن سماه هؤلاء تركيباً كما تقدم، وكذلك لفظ الافتقار لفظ مجمل يراد به فقر الماهية إلى موجد غيرها بتحقيق وجودها به، والله - سبحانه - غني عن هذا الافتقار، ويراد به أن الماهية مفتقرة في ذاتها إلى ذاتها، ولا قوام لذاتها إلا بذاتها، وأن الصفة لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بالموصوف وهذا المعنى حق، وإن سماه هؤلاء الملبسون فقراً، وكذلك لفظ الغير فيه إجمال يراد بالغيرين ما مفارقة أحدهما للآخر ذاتاً، أو مكاناً، أو زماناً، فصفات القديم

(١) م: (الحقائق).

(٢) ليست في ظ، م، وبها يستقيم الكلام.

— سبحانه — ليست غيراً له بهذا الاعتبار. ويراد بالغيرين: ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر وهذا المعنى حق في ذاته وصفاته سبحانه وإن سماها هؤلاء^(١) أغياراً.

فإن المخلوق يعلم من الخالق صفة بعد صفة، وقد قال أعلم الخلق به: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٢)، وهذا لكثرة أسمائه، وصفات^(٣) كماله، ونعوت جلاله. وقال: «أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقوبتك»^(٤) والمستعاذ به، غير المستعاذ منه، والمقصود أن تسمية هذا تركيباً وافتقاراً وغيراً وضع وضعه^(٥) هؤلاء وليس^(٦) الشأن في الألفاظ، إنما الشأن في المعاني. وقولهم: إنه مفتقر إلى جزئية^(٧) تلبيس، فإن القديم الموصوف بالصفات اللازمة له تمتنع أن تفارقه صفاته وليست له حقيقة غير الذات الموصوفة، حتى يقال: إن تلك الحقيقة مفتقرة إلى غيرها، وإن سميت تلك الصفة غيراً، فالذات والصفات متلازمان^(٨) لا يوجد أحدهما إلا مع

(١) ظ، م: (هؤلاء ولا أغياراً)، ولعل (ولا) زائدة.

(٢) رواه مسلم (٣٥٢/١) من طريق عائشة — في كتاب الصلاة — باب ما يقال في الركوع والسجود، ح ٢٢٢؛ ورواه أبو داود (عون المعبود ٣/١٣٢) في كتاب الصلاة — باب الدعاء في الركوع والسجود، ح ٨٦٥.

(٣) ظ: (وصفاته).

(٤) سبق تخريجه ص ٩٤٢.

(٥) ظ، م: (وضعيه)، والصواب ما أثبتته.

(٦) م: (ليس).

(٧) ظ: (جزيه).

(٨) ظ، م: (متلازمان)، ولعل الصواب ما أثبتته.

الأخر وهذا التلازم لا يقتضي حاجة الذات والصفات إلى موجد أوجدها، وفاعل فعلها، والواجب بنفسه يمتنع أن يكون مفتقراً إلى ما هو خارج عن نفسه، فيما أن لا يكون له صفة، ولا ذات، ولا يتميز منه أمر عن أمر، فلا يلزم ذلك من وجوبه، وكونه غنياً بنفسه عن كل ما سواه. فقول الملبس: إنه مفتقر إلى ذلك، كقوله لو كان له ماهية، لكان مفتقراً إلى ماهيته، والله سبحانه اسم للذات المتصفة بكمال العلم والقدرة والحياة والمشية وسائر صفات الكمال ليس اسماً لذات مجردة عن الأوصاف والنعوت، فكل ذات أكمل من هذه الذات، تعالى الله عن قول الملحددين في أسمائه وصفاته علواً كبيراً، والمقصود أن هذا الطريق التي سلكها هؤلاء في إثبات الصانع، هي أعظم الطرق في نفيه، وإنكار وجوده، وكذلك كان سالكوها لا يؤمنون بالله ولا بملائكته وكتبه ولا رسله ولا باليوم الآخر، وإن صانع من صانع منهم لأهل الملل بألفاظ^(١) لا حاصل لها.

فصل

طريقة المتكلمين وأما المتكلمون: فلما رأوا بطلان هذه الطريق عدلوا عنها إلى طريق الحركة والسكون^(٢)، والاجتماع

(١) ظ، م: (بالألفاظ)، الصواب ما أثبتته.

(٢) الجوهر سواء كان كلاً أو جزءاً بسيطاً أو مركباً له حالتان:

١ - فإن مر عليه جزء من الزمان لم ينتقل عن المكان الذي هو فيه كان ذلك سكوناً.

٢ - وإن انتقل عنه إلى مكان آخر كان ذلك حركة.

ضوابط المعرفة، ص ٢٥٣، ٢٥٤.

والافتراق^(١)، وتمائل الأجسام، وتركبها من الجواهر المفردة،
وأنها قابلة للحوادث، وما يقبل الحوادث فهو حادث،
فالأجسام كلها حادثة، فإذا يجب أن يكون لها محدث ليس
بجسم، فنفوا العلم بإثبات الصانع على حدوث الأجسام،
واستدلوا على حدوثها بأنها مستلزمة للحركة والسكون،
والاجتماع والافتراق، ثم قالوا إن تلك أعراض،
والأعراض حادثة، وما لا يخلو عن الحوادث، فهو حادث،
فاحتاجوا في هذه الطريق إلى إثبات الأعراض أولاً، ثم
إثبات لزومها للجسم ثانياً، ثم إبطال حوادث لا أول لها
ثالثاً، ثم التزام بطلان حوادث لا نهاية لها رابعاً، عند فريق
منكم، وإلزام الفرق عند فريق آخر، ثم إثبات الجوهر
الفرد^(٢) خامساً، ثم إلزام كون العرض لا يبقى زمانين
سادساً، فيلزم حدوثه والجسم لا يخلو منه وما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث، ثم إثبات تماثل الأجسام سابعاً،
فيصح على بعضها ما يصح على جميعها، فعلمهم بإثبات
الخالق سبحانه، مبني على هذه الأمور الشنيعة، فلزمهم من
سلوك هذه الطريق، إنكار كون الرب تعالى فاعلاً في
الحقيقة، وإن سموه فاعلاً بألسنتهم، فإنه لا يقوم به عندهم
فعل، وفاعل بلا فعل، كقائم بلا قيام، وضارب
بلا ضرب، وعالم بلا علم، وضم الجهمية إلى ذلك أنه
لوقام به صفة، لكان جسماً، ولو كان جسماً لكان حادثاً،

(١) الجوهران إن التقيا التقاء لا يسمح بأن يتخلل بينهما جوهر ثالث فهو الاجتماع وإلا فهو الافتراق. ضوابط المعرفة، ص ٢٥٤.

(٢) انظر ص ٣٣٩.

فيلزم من إثبات صفاته إنكار ذاته، فعطلوا صفاته، وأفعاله، بالطريق الذي أثبتوا بها وجوده، فكانت / أبلغ الطرق في تعطيل صفاته وأفعاله، وعن هذه الطريق أنكروا علوه على عرشه، وتكلمه بالقرآن، وتكليمه لموسى، ورؤيته بالأبصار في الآخرة، ونزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة، ومجيئه لفصل القضاء بين الخلائق، وغضبه ذلك اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله^(١)، وجميع ما وصف به نفسه من وصف ذاتي أو معنوي أو فعلي^(٢)، فأنكروا وجهه الأعلى، وأنكروا أن له يدين، وأن له سمعاً وبصراً وحياة وأنه يفعل [ما]^(٣) شاء، حقيقة وإن سمي فاعلاً، فلم^(٤) يستحق ذلك الفعل [الذي]^(٥) قام به، بل فعله هو عين مفعوله.

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٣٩٥/٨) في كتاب التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل – باب ﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، من طريق أبي هريرة، ح ٤٧١٢؛ ورواه مسلم (١/١٨٥) في كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح ٣٢٧.

(٢) الوصف الذاتي: وهو الذي لا ينفك عن الله بحال مثل الحياة. الوصف الفعلي: هو الذي يفعله الله متى شاء مثل المجيء والنزول ونحوهما، فإن الله موصوف بها أولاً وأبداً إلا أنه يجيء وينزل متى شاء إذا شاء كما في الحديث: «ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الأخير...».

الوصف المعنوي: هو الذي يوجب معنى تتصف به الذات كقول المعتزلة: إن الله حي عالم قادر بذاته لا يعلم وقدرة وحياة زائدة على ذاته. انظر في تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية ومعنوية: مجموع الفتاوى ٣١٧/٦؛ وانظر في تقسيمها إلى ذاتية وفعلية: شرح الطحاوي، ص ١٢٧؛ التنبهات السنية، ص ٢٠.

(٣) (ما): إضافة من م.

(٤) م: (فلا). (٥) ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

وكذلك الطريق التي سلكوها في إثبات النبوة، لم يثبتوا بها نبوة في الحقيقة، فإنهم بنوها على مجرد خرق العادة، وهو مشترك بين النبي وغيره، وثاروا في الفرق، فلم يأتوا فيه بما يثلج له الصدر، ولا يحصل به برد اليقين^(١)، مع أن النبوة التي أثبتوها لا ترجع إلى وصف وجودي، بل هي تعلق الخطاب الأزلي بالنبي، والتعلق عندهم أمر عدمي فعادت النبوة عندهم إلى أمر عدمي وقد صرحوا بأنها لا ترجع إلى صفة ثبوتية قائمة بالنبي^(٢)، وأيضاً فحقيقة النبوة والرسالة إنباء الله سبحانه وتعالى^(٣) لرسوله وأمره بتبليغ كلامه إلى عباده وعندهم أن الله لا يتكلم، ولا يقوم به كلام.

وأما اليوم الآخر فإن جمهورهم بنوه على إثبات الجوهر الفرد^(٤)، وقالوا: لا يتأتى التصديق بالمعاد إلا^(٥) بإثباته، وهو في الحقيقة باطل، لا أصل له، والمثبتون له لا يعترفون بأن القول به في غاية الإشكال، وأدلتته متعارضة، وكثير منهم له قولان في إثباته ونفيه، وسلكوا في تقرير المعاد ما خالفوا فيه جمهور العقلاء، ولم يوافقوا ما جاءت به الأنبياء، فقالوا: إن الله سبحانه يعدم أجزاء العالم كلها، حتى تصير عدماً محضاً، ثم يعيد المعدم ويقلبه وجوداً، حتى (إن) يعيد زمنه

(١) انظر كتاب النبوات، لابن تيمية، ص ٣.

(٢) انظر ص ٧٢٧، ٧٢٨.

(٣) م: (تعالى سبحانه).

(٤) سبق، انظر ص ٣٣٩ في الأصل.

(٥) ظ، م: (لا بإثباته)، والصواب ما أثبتته.

بعينه وينشئوه، لا من مادة، كما قالوا في المبدأ، فجنوا على العقل والشرع، وأغروا أعداء الشرع به، وحالوا^(١) بينهم وبين تصديق الرسل.

وأما المبدأ فإنهم قالوا: كان الله سبحانه معطلاً في الأزل، والفعل غير ممكن، مع قولهم كان قادراً عليه، ثم صار فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً، [من]^(٢) غير تجدد أمر أصلاً، وانقلب الفعل من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، وذات الفاعل قبل الفعل، ومع الفعل، وبعد الفعل واحدة، فهذا غاية عقولهم، التي عارضوا بها بين الوحي والعقل، وهذه طرقهم العقلية، التي لم يثبتوا بها رباً، ولا رسالة، ولا مبدأ، ولا معاداً، ونحن إنما أشرنا إلى ذلك أدنى إشارة وإلا فبسط ذلك في غير هذا الموضع، وقد بسطه شيخنا في عامة كتبه المطولات والمبسوطات، وبينه بياناً شافياً فمن أحب الوقوف عليه وجدّه في مظانه^(٣)، وبالله التوفيق.

الوجه الثاني والستون:

بيان أن المعارضين إن هؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم ارتكبوا أربع عظيمات: إحداها: ردهم لنصوص الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم، الثانية: إساءة الظن [به]^(٤)، وجعله منافياً للعقل، مناقضاً له، الثالثة: جنائتهم على العقل بردهم

(١) م: (خالقوا).

(٢) ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٣) ومنها كتاب درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) (به): ليست في ظ، م، ولعل الصواب إثباتها.

ما يوافق النصوص من المعقول؛ فإن موافقة العقل للنصوص التي زعموا أن العقل يردها أظهر للعقل من معارضته لها، الرابعة: تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم لمن خالفهم في أصولهم، التي اخترعوها^(١)، وأقوالهم التي ابتدعوها، مع أنها مخالفة للعقل والنقل، فصوبوا رأي من تمسك بالقول المخالف للعقل والنقل، وخطأوا من تمسك بما يُوافقُهُما، وراج ذلك على من لم يجعل الله له نوراً، ولم يشرق على قلبه نور النبوة.

الوجه الثالث والستون:

أن من عارض بين الوحي والعقل فقد قال بتكافؤ الأدلة، لأن العقل الصحيح لا يكذب، والوحي أصدق منه، وهما دليلان صادقان، فإذا تعارضا تكافأ فإن لم يقدم أحدهما بقي في الحيرة والشك، وإن قدم أحدهما على الآخر أبطل موجب الدليل الصحيح، وأخرجه عن كونه دليلاً، فيبقى حائراً بين أمرين^(٢)، لا بد له من أحدهما، إما أن يسيء الظن بالوحي، أو بالعقل، والعقل عنده أصل الوحي، فلا يمكنه أن يسيء الظن به، فيسطو على الوحي تارة بالتحريف، والتأويل، وتارة بالتخييل^(٣)، وتارة بالدفع^(٤)، والتكذيب، إن أمكن، وذلك في نصوص السنة،

بيان أن من عارض
بين العقل والوحي
فقد قال بتكافؤ
الأدلة

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ١/٢٧٧.

(٢) ظ: (أمر بين).

(٣) ظ: كرر (وتارة بالتختل).

(٤) ظ: (بالرفع).

وتارة / يدعي ذلك في نصوص القرآن، كما يدعيه غلاة الرافضة^(١) وكثير من القرامطة^(٢) وأشباههم، وهذا كله إنما نشأ من ظنونهم الفاسدة^(٣)، أن العقل الصحيح يعارض الوحي الصريح، وأما أهل العلم والإيمان، أهل السمع والنقل، فعندهم أن فرض هذه المسألة محال، وأن فرضها كفر فرض مسألة إذا تعارض العقل وأدلة ثبوت النبوة والرسالة، وإذا تعارض العقل وأدلة ثبوت الخالق وتوحيده، والمعارضة بين العقل والوحي كالمعارضة بين العقل وإثبات الصانع وتوحيده ورسالة رسله، ولهذا طردوا منع هذه القاعدة في الأصل ذلك، وقال الباب كله واحد.

الوجه الرابع والستون:

إن هؤلاء المعارضين للوحي بالعقل، بنوا أمرهم على أصل فاسد^(٤)، وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها، وجعلوها أصول دينهم، ومعتقدهم في رب العالمين هي المحكمة، وجعلوا قول الله ورسوله هو المتشابه الذي لا يستفاد منه علم ولا يقين، فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم، والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه، ثم ردوا تشابه الوحي إلى محكم كلامهم وقواعدهم، وهذا كما جعلوا ما أحدثوه من الأصول التي نفوا^(٥) بها صفات الرب

بيان أن هؤلاء قلبوا الحقائق، جعلوا كلامهم المحكم وكلام الله هو المتشابه

(١) الرافضة: سبق التعريف بهم، ص ١٩١.

(٢) القرامطة: سبق التعريف بهم، ص ٢٩٩.

(٣) ظ: (الفاسد).

(٤) انظر درء تعارض العقل والنقل ١/٢٧٥.

(٥) م: (نفوا أنها).

جل جلاله، ونعوت كماله، ونفوا بها كلامه، وتكليمه، وعلوه على عرشه، ورؤيته في الدار الآخرة، محكماً، وجعلوا النصوص الدالة على خلاف تلك القواعد والأصول متشابهة يقضي بتلك القواعد عليها وترد النصوص إليها، فتارة يحرفون النصوص عن مواضعها، ويسمون ذلك التحريف تأويلاً في اللفظ وتنزيهاً في المعنى، وتارة يقول: من تجمل منهم فأحسن: أراد الله ورسوله من هذه النصوص أموراً لا نعرفها ولا ندري ما أراد، وتارة يقولون قصد خطاب الجمهور فأفهمهم^(١) الأمر على خلاف حقيقته لأن مصلحتهم في ذلك، وتارة يفسرون صفة بصفة، كما يفسرون الحب والبغض والغضب والرضا والرحمة بالإرادة والسمع والبصر والكلام بالعلم، ثم يجعلون ذلك نفس الذات ومنهم من يجعل العلم نفس المعلوم^(٢) كما قاله أفضل متأخريهم عندهم وأجهلهم بالله وأكفرهم نصير الكفر والشرك الطوسي^(٣)، فأما أهل العلم والإيمان فطريقتهم عكس هذه الطريقة من كل وجه، يجعلون كلام الله ورسوله هو الأصل الذي يعتمد عليه، ويرد ما ينازع الناس فيه إليه، فما وافقه كان حقاً، وما خالفه كان باطلاً، وإذا ورد عليهم لفظ مشتبه ليس في القرآن ولا في السنة لم يتلقوه بالقبول، ولم يردوه بالإنكار حتى يستفصلوا قائله عن مراده، فإن كان حقاً موافقاً للعقل

(١) ظ، م: (فإفهمهم).

(٢) انظر تلخيص المحصل، لنصير الشرك الطوسي، ص ١٠٢، المطبوع بهامش محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي.

(٣) الطوسي، انظر ترجمته، ص ٧٩٠.

والنقل قبلوه، وإن كان باطلاً مخالفاً للعقل والنقل ردوه،
ونصوص الوحي عندهم أعظم وأكبر في صدورهم من أن
يقدموا عليها ألفاظاً مجملة، لها معانٍ مشتبهة، وبنوا أصولهم
على أربع قواعد:

القواعد التي بنى
عليها أهل السنة
أصولهم

أحدها: بيان أن^(١) ما جاء به الوحي هو الهدى والحق
واليقين.

الثانية: بيان أن ما يقدر من الاحتمالات المعارضة
الظاهرة وحقيقته باطل لغة.

الثالثة: بيان أن ما يدعى أنه معارض لذلك من العقل
فهو باطل.

الرابعة: بيان أن العقل موافق له معاضد، لا معارض
مناقض، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون.

الوجه الخامس والستون:

إن هؤلاء المعارضين بين العقل والنقل قد فارقوا العقل
والنقل فلا عقل ولا نقل وهم الذين يقولون:

بيان أن المعارضين
للوحي بمعقولهم قد
فارقوا العقل والنقل

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

. أما النقل، فإنهم قد سمحوا بمفارقتة وهان عليهم أمره.

وأما العقل: فلوتدبروا أقوالهم ومعقولهم الذي
عارضوا به النقل لاستحيوا من أهل العقل الذين هم أهله،
فإن هؤلاء يجعلون الاثنين واحداً، والواحد اثنين،

(١) ظ، م: (أن بيان)، ولعل الصواب ما أثبتته.

والمستحيل واجباً، والواجب ممتنعاً، والكلي جزءاً من المعين الجزئي^(١)، والمعدوم موجوداً والموجود معدوماً، والثابت منتفياً، والمنتفي ثابتاً، ويفرقون بين الشيء ونظيره في الحكم، ويحملون على الشيء بحكم ضده ونقيضه، وينفون^(٢) النقيضين^(٣) تارة، ويثبتونها تارة، ويثبتون الشيء وينفون لازمه البين للزوم اللازم^(٤)، ويثبتون ملزومه فيجعلون الصفة هي عين الصفة الأخرى، ثم يجعلونها هي نفس الموصوف، كما يقولون العلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، والسمع هو البصر، ثم يقولون إن ذلك هو نفس العالم القادر المرید / ويجعلون تارة العلم هو المعلوم^(٥) وتارة يجعلون الفعل هو عين المفعول، ويجعلون الصفة (التي)^(٦) لا تقوم إلا بمحل، قائمة بنفسها، كما يقولون الرب تعالى مرید بإرادة قديمة، لا في محل، ويجعلون الأمر هو عين النهي، وهما عين الخبر، وهو^(٧) عين الاستفهام، ويجعلون وجود الرب تعالى وجوداً مطلقاً بشرط الإطلاق أو بلا شرط ثم يصرحون بأن المطلق لا وجود له في الخارج، ويجعلون الشيء المعين لهذا الإنسان مثلاً، عدة جواهر: حيواناً،

[١٢٩/١]

(١) الكلي والجزئي: سبق التعريف بهما في ص ٩٨٠.

(٢) ظ: (ويعرفون).

(٣) النقيضان: سبق التعريف بهما، ص ٢٩٥.

(٤) ظ، م: (اللام)، والصواب ما أثبتته.

(٥) انظر: ص ٩٩١.

(٦) (التي): سقط من م.

(٧) ظ، م: (وهي)، والصواب ما أثبتته.

وناطقاً، وحساساً، ويجعلون كلاً من هذه الجواهر عين الآخر، ومعلوم أنه جوهر واحد له صفات متعددة، ويفرقون بين المادة والصورة^(١)، ويجعلونها جوهرين عقليين قائمين بأنفسهما، والمعقول قيام الصفات بالموصوفات، والأعراض بالجواهر، ويجعلون الصور الذهنية ثابتة في الخارج كقولهم في المجردات المفارقات المادة، وليس معهم ما يثبت أنه مفارق إلا النفس^(٢) الناطقة إذا فارقت البدن بالموت، والمجردات هي الكلليات التي تجردها النفس من الأعيان المشخصة^(٣) فيرجع الأمر إلى النفس وما يقوم بها، ويجعلون المعدوم الممتنع الذي لا يتصور وجوده هو الواجب الذي يمتنع عدمه، كما أثبتوا الصانع^(٤) العالم وجوداً مطلقاً مقيداً بسلب الأمور الثبوتية، ليس له ماهية غير ذلك الوجود، ويثبتون كونه حياً بلا حياة، وعالماً بلا علم، وقادراً بلا قدرة، إلى أضعاف أضعاف ذلك من ضلالهم في عقلياتهم، التي جعلوها معارضة للوحي، وقدموها عليه، وكلما تدبر العاقل الذكي المنصف أحوال^(٥) هؤلاء ومن وافقهم على بعضها، تبين له أن القوم لا عقل ولا نقل، وتفصيل^(٦) هذا يستدعي بسطاً طويلاً والله المستعان.

(١) الصورة: سبق تعريفها، ص ٨٩٢.

(٢) ظ، م: (إلا لنفس).

(٣) م: (الشخصية).

(٤) ظ، م: (صانع)، والصواب ما أثبتته.

(٥) ظ: (أحوالها ولا من).

(٦) ظ، م: (ولا تفضيل)، والصواب حذف (إلا).

الوجه السادس والستون:

إن هؤلاء في معارضتهم للوحي سلكوا طريقاً سحروا بها عقول ضعفاء الناس وبصائرهم، فشبّهت عليهم وخيل إليهم أنها حق فأصابهم في ذلك مثل ما أصاب السحرة حين عارضوا^(١) عصى موسى بما خيل إلى أبصار الناظرين أنه حق، فإن هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة تحتها معاني مشتبّهة، تحتل في لغات الأمم معاني متعددة، وأدخلوا فيها من المعاني غير المفهوم منها في لغات الأمم، ثم ركبوها وألفوها تأليفاً طويلاً بنوا بعضه على بعض ففكروا فيه وقدروا وأطالوا التفكير والتقدير ثم عظموا قولهم، وهولوه في نفوس من لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقة وغموضاً، لما فيه من الألفاظ المجملة^(٢)، والمعاني المشتبّهة، فإذا دخل معهم الطالب وسمع منهم^(٣) ما تنفر عنه فطرته، فأخذ يعترض عليهم، قالوا له أنت لا تفهم هذا، وهذا لا يصلح لك، وهذا أمر قد صقلته الأذهان على تطاول الأزمان وتلقته العقول بالقبول والتسليم، وفرغت إليه عند التخاصم والتحاكم^(٤)، فيبقى ما في النفوس من الحمية والإلفة يحملها على تسليم تلك الأمور قبل تحقيقها، وعلى ترك الاعتراض عليها، خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل، فيأخذها مسلمة، فإذا جاءت لوازمها لم يجد بداً من التزامها، ويرى أن التزام

(١) ظ: (رضوا).

(٢) ظ: (الجملة).

(٣) ظ، م: (معهم)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) ظ: (التحكم).

تلك اللوازم أهون عليه من القدح في تلك القواعد وإبطاها فهذا أصل ضلال من ضل من أهل النظر والبحث في المعقولات، وأما الأعمى المقلد فليس معه أكثر من هكذا قال العقلاء! وهذا القدر الذي وقع من ضلال هؤلاء، لم يقصده عقلاؤهم ابتداء، بل كان قصدهم تحصيل العلوم والمعارف، ولكن أخطأوا بطلبها من غير طريقها، فضلوا وأضلوا وقد سئل شيخنا رضي الله عنه عن بعض رؤساء هؤلاء ممن له علم وعقل وسلوك وقصد، ثم أخطأ الصواب، فقال «طلب الأمور العلية من غير الطرق النبوية فقادته قسراً إلى المناهج الفلسفية» وما أحسن ما قال؛ فإن من طلب أمراً عالياً من غير طريقه لم يحصل إلا على ضده، فالواجب على من يريد كشف ضلال هؤلاء، وأمثالهم، أن لا يوافقهم على لفظ مجمل، حتى يتبين معناه، ويعرف مقصوده، فيكون الكلام في معنى معقول يتوارد النفي والإثبات فيه على محل واحد، لا في لفظ مجمل مشتبه المعنى، وهذا نافع في الشرع والعقل والدين والدنيا وبالله التوفيق.

السابع والستون:

إن الله سبحانه نهى المؤمنين أن يتقدموا بين يدي رسوله وأن يرفعوا أصواتهم فوق صوته وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض وحذرهم من حبوط أعمالهم بذلك، فقال:

بيان أن هذا تقديم بين يدي الله ورسوله

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّ قُدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقَأَ اللَّهُ إِنْ
اللَّهُ سَمِعَ عَلِيمٌ * يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّ قُدُمُوا بِأَصْوَاتِكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢١].

[١٣٠/١]

فإذا كان سبحانه قد نهى عن التقديم بين يديه، فأبي تقدم أبلغ من تقديم عقله على ما جاء به، قال غير واحد من السلف ولا تقولوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمر، ومعلوم قطعاً أن من قدم عقله أو عقل غيره على ما جاء به، فهو أعصى الناس لهذا النبي صلى الله عليه وسلم، وأشدهم تقدماً بين يديه، وإذا كان سبحانه قد نهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته، فكيف برفع معقولاتهم فوق كلامه، وما جاء به، ومن المعلوم قطعاً أنه لم يكن يفعل هذا في عهده إلا الكفار والمنافقون^(١) فهم الذين حكى الله سبحانه عنهم معارضة ما جاء به بعقولهم وآرائهم، وصارت تلك المعارضة ميراثاً في أشباههم، كما حكى الله عن المشركين معارضة شرعه وأمره، بقضائه وقدره وورثهم في هذه المعارضة طائفتان: إحداهما: إخوانهم المباحية^(٢)، الذين خلعوا ربقة الشريعة^(٣) من أعناقهم، ودانوا بالقدر. والثانية: الذين عارضوا^(٤) قضاءه وقدره بأمره، وقالوا

(١) ظ، م: (المنافقين)، والصواب ما أثبتته.

(٢) المباحية: سموا بذلك لقولهم (إن الأشياء كلها على الإباحة لأنه لا ضرر على الله في ذلك. وهم يدعون محبة الله ويقولون إن الحبيب رفع عنا التكليف مع اعتقادهم الإيمان ويحتجون بقول عمر: «المال مال الله والعباد عباد الله فلولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حيت من الأرض شبراً في شبر»، وإلى هذا ذهب طائفة من الصوفية ولهذا ذكر الرازي هذه الفرقة ضمن فرق الصوفية وقال: «وهؤلاء الأشر من الطوائف وهم على الحقيقة على دين مزدك» اه. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١١٧؛ البرهان في عقائد أهل الأديان، ص ٢٥.

(٣) م: (الإسلام والشريعة). (٤) ظ، م: (عرضوا)، والصواب ما أثبت.

لا يمكن الجمع بينهما، فأبطلوا القدر بالأمر، وأولئك أقعد^(١) بالميراث من هؤلاء، وقد ذكر سبحانه الأمثال العقلية التي عارض المشركون^(٢) بها الوحي لتكون عبرة للمؤمنين ومثلاً للمعارضين:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ^(٣) وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ^(٤)﴾ [الأنفال: ٤٢].

الوجه الثامن والستون:

بيان أن إبليس أول من قدم العقل على الوحي إن معارضة الوحي بالعقل ميراث عن الشيخ أبي مرة^(٥)، فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدمه عليه، فإن الله سبحانه لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي مركب من مقدمتين حمليتين^(٦):

إحدهما^(٧): قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ فهذه هي

(١) يقال فلان أقعد من فلان أي أقرب منه إلى جده الأكبر. وعبر عنه ابن الأعرابي بمثل هذا المعنى فقال: فلان أقعد من فلان أي أقل آباء، والمعنى أن أولئك أولى بالميراث من هؤلاء.

(لسان العرب ٥/٣٦٨٩).

(٢) ظ، م: (المنزلون).

(٣) ظ: (أبيه)، وهو خطأ.

(٤) م: (سميع).

(٥) أبو مرة: كنية إبليس كما في اللسان ٦/٤١٧٧، مادة مرر. والعامية في نجد تقول: أخو مرة.

(٦) سبق، انظر: ص ٩٧٨.

(٧) ظ: (أحدهما).

الصغرى، والكبرى محذوفة، تقديرها^(١) و«الفاضل لا يسجد للمفضول»، وذكر مستند المقدمة الأولى وهو أيضاً قياس حملي^(٢) حذف إحدى مقدمتيه فقال: ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

والمقدمة الثانية كأنها معلومة، أي: ومن خلق من نار أفضل ممن خلق من طين، فهما قياسان متداخلان، وهذه يسميها المنطقيون الأقيسة المتداخلة، فالقياس الأول هكذا: أنا خير منه، وخير المخلوقين لا يسجد لمن هو دونه، وهذا من الشكل الأول، والقياس الثاني هكذا: خلقتني من نار وخلقته من طين والمخلوق من النار خير من المخلوق من الطين فنتيجة هذا القياس العقلي: أنا خير منه، ونتيجة الأول ولا ينبغي لي أن أسجد له.

وأنت إذا تأملت مادة هذا القياس وصورته رأيت أنه أقوى من كثير من قياساتهم، التي عارضوا بها الوحي، وقدموها عليه، والكل باطل، وقد اعتذر اتباع الشيخ له بأعذار:

الأول ومنها أنه لما تعارض عنده العقل والنقل قدم العقل.

الثاني ومنها أن الخطاب بصيغة الضمير في قوله اسجدوا لا عموم له^(٣)، فإن الضمائر ليست من صيغ العموم.

الثالث ومنها: أنه وإن كان اللفظ عاماً، فإنه خصه بالقياس الثالث

(١) ظ: (بتدبرها).

(٢) انظر: تعريف القياس الحملي، ص ٩٧٨.

(٣) ظ، م: (ولا عموم له)، ولعل الواو زائدة.

الرابع

المذكور، ومنها أنه لم يعتقد أن الأمر للوجوب، بل حمّله على الاستحباب، لأنه المتيقن، أو على الرجحان دفعاً للاشتراك والمجاز.

الخامس

ومنها: أنه حمّله على التراخي، ولم يحمله على الفور.

السادس

ومنها: أنه صان جناب الرب أن يسجد لغيره، ورأى أنه لا يليق به السجود لسواه، فبالله تأمل هذه التأويلات، وقابل بينها وبين كثير من التأويلات التي يذكرها كثير من الناس، والمعارضات التي عارض بها النصوص، وفي بني آدم من يصوب رأي إبليس وقياسه، ويقول الصواب معه، وهم في ذلك تصانيف، وكان بشار بن برد^(١) الأعمى الشاعر على هذا المذهب، يقول في قصيدته الرائية:

الأرض مظلمة سوداء مُقْتَمَة^(٢)

والنار معبودة مذ كانت النار^(٣)

(١) هو بشار بن برد العقيلي بالولاء أبو معاذ ينسب إلى امرأة عقيلية، قيل أنها أعتقته ولد سنة ٩٥، شاعر مولد، أدرك الدولتين الأموية والعباسية وقال الخطيب البغدادي وكان المهدي أمير المؤمنين اتهمه بالزندقة فقتله عليها. جمع شعره في ديوان في ثلاثة أجزاء توفي سنة ١٦٧.

وفيات الأعيان ٢٧١/١، ٢٧٤؛ تاريخ بغداد ١١٢/٧، ١١٨؛ سير أعلام النبلاء ٢٤/٧، ٢٥؛ البداية والنهاية ١٧١/١٠، ١٧٥.

(٢) مقتمة: القتمة: سواد ليس بشديد، لسان العرب ٣٥٣١/٥، مادة قتم.

(٣) ديوان بشار بن برد ٧٨/٤؛ البيان والتبيين ٦١/١؛ البداية والنهاية ١٧٢/١٠؛ وفيات الأعيان ٢٧٣/١؛ الكامل لابن الأثير ٢٣/٢؛ وله في رسالة الغفران، ص ٣١٠، بتحقيق الدكتورة عائشة عبدالرحمن:

إبليس خير من أبيكم آدم فتنهوا يا معشر الفجار

إبليس من نار وآدم طينة والأرض لا تسمو سمو النار =

ولما علم الشيخ أنه قد أصيب من معارضة الوحي بالعقل، وعلم أنه لا شيء أبلغ في مناقضة الوحي والشرع، وإبطاله من معارضته بالعقول، أوحى إلى تلامذته وأخوانه من الشبهات الخيالية ما يعارض به الوحي، وأوهم أصحابه وتلاميذه^(١) أنها قواطع عقلية، وقال: إن قدمتم الوحي عليها فسدت عقولكم، قال تعالى:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ومن المعلوم أن وحيهم إنما هو شبه عقلية، وقال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾ * وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ * أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

= وقد أنكر محمد الطاهر بن عاشور الذي شرح ديوان بشار نسبة هذه الأبيات إليه، وقال: إنها من وضع أعدائه. ولم يذكر دليلاً يؤكد ذلك، وإنما اكتفى بمجرد الاتهام، وهذه عادة كثير ممن يكتب عن شخصية معينة، فإنه ينسب إليها كل جميل، وينفي عنها كل قبيح، وهذا الرأي يخالف المذكور في الكتب التي اطلعت عليها ممن ترجم فيها لبشار، إذ تشير إلى أنه رمي بالزندقة أو اتهم بها، إضافة إلى كتب الأدب التي نسبت له الأبيات ولا أستطيع أن أجزم بأنه زنديق وأن هذه الأبيات له حقيقة فلعله قالها وتاب قبل موته وعلى كل حال فالرجل قد أفضى إلى ما قدم وإنما أردت أن أبين أن ما ذكره محمد الطاهر بن عاشور رأي لا مستند له والله أعلم.

(١) م: (تلامذته).

يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ / * وَتَمَّتْ
كَلِمَةُ^(١) رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ *
وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمُ إِلَّا يُخْرَصُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ [الأنعام: ١١٢، ١١٧].

الوجه التاسع والستون:

في بيان فساد معقول الشيخ الذي عارض به الوحي ،
وذلك من وجوه أحدهما: إنه قياس في مقابلة النص ،
والقياس إذا صادم النص وقابله كان قياساً باطلاً ، ويسمى
قياساً إبليسياً ، فإنه يتضمن معارضة الحق بالباطل ، وتقديمه
عليه ، ولهذا كانت عقوبته أن أفسد عليه عقله ودينه
وآخرته ، وقد بينا فيما تقدم أنه ما عارض أحد الوحي بعقله
إلا أفسد الله عليه عقله حتى يقول ما يضحك منه العقلاء .

في بيان فساد الدليل
العقلي الذي عارض
به إبليس أمر ربه
سبحانه

الثاني: إن قوله: «أنا خير منه» كذب ومستنده في ذلك
باطل ، فإنه لا يلزم من تفضيل مادة على مادة تفضيل
المخلوق منها على المخلوق من الأخرى ، فإن الله سبحانه
يخلق من المادة المفضولة ما هو أفضل من المخلوق من غيرها
وهذا من كمال قدرته سبحانه ، ولهذا كان محمد وإبراهيم
وموسى وعيسى ونوح والرسل أفضل من الملائكة ، ومذهب
أهل السنة أن صالحى البشر أفضل من الملائكة وإن كانت

(١) ظ ، م : (كلمات) ، وقد قرأ الكوفيون ويعقوب بغير ألف على التوحيد (كلمة) وقرأ

الباقون بألف على الجمع (كلمات) . انظر: النشر ٢/٢٦٢ ؛ التبصرة ، ص ٣٣١ ،

مادتهم نوراً، ومادة البشر تراباً فالترفضيل ليس بالمواد والأصول، ولهذا كان العبيد والموالي الذين آمنوا بالله ورسوله خيراً وأفضل عند الله ممن ليس مثلهم من قريش وبني هاشم، وهذه المعارضة الإبلسية صارت ميراثاً في أتباعه في التقديم بالأصول والأنساب على الإيمان والتقوى، وهي التي أبطلها الله عز وجل بقوله:

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ أَنْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

[الحجرات: ١٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله وضع عنكم عبية^(١) الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس مؤمن تقي، وفاجر شقي^(٢)» وقال: صلى الله عليه وسلم «لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود،

(١) ظ: (غيبه)؛ م: (عبية) وما أثبتته من الحديث انظر: (عون المعبود ١٤/٢١، ٢٢).

(٢) رواه أبو داود (عون المعبود ١٤/٢١، ٢٢)، عن طريق أبي هريرة، في كتاب الأدب، باب في التفاخر بلا حساب.

ورواه الترمذي ٤٣٠/٩، بسندين كلاهما من طريق أبي هريرة في أبواب المناقب، باب في فضل الشام واليمن وقال في الأول هذا حديث حسن غريب، وقال في الثاني: هذا حديث حسن وهذا أصح عندنا من الحديث الأول.

ورواه أحمد في المسند ٣٦١/٢.

والعبية: بالضم التكبر والنخوة والمعنى ما كان عليه أهل الجاهلية من التفاخر بالأنساب والتباهي.

العبيية: بكسر العين هو الحمل الثقيل وأصله من العبء فتركت الهمزة، غريب الحديث للخطابي ٢٩٠/١.

ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب»^(١) فانظر إلى سريان هذه النكتة الإبلسية في نفوس أكثر الناس من تفضيلهم بمجرد الأصول والأنساب.

الثالث: إن ظنه أن النار خير من التراب باطل مستنده ما فيها من الإضاءة والخفة وما في التراب من الثقل والظلمة، ونسى الشيخ ما في النار من الطيش والخفة، وطلب العلو والإفساد بالطبع، حتى لو وقع منها شواظ بقدر الحبة في مدينة عظيمة لأفسدها كلها ومن فيها بل التراب خير من النار وأفضل من وجوه متعددة.

منها: أن طبعه السكون والرزانة، والنار بخلافه.

الأول

ومنها: أنه مادة الحيوان والنبات والأقوات، والنار بخلافه.

الثاني

ومنها: أنه لا يمكن أحد العيش بدونه ودون ما خلق منه البتة، ويمكنه أن يعيش برهة بلا نار، قالت عائشة: «يمر بنا الشهر والشهران ما نوقد في بيوتنا ناراً، أو ما نرى ناراً قال لها عروة فما كان قوتكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء»^(٢).

الثالث

ومنها: أن الأرض تؤدي إليك بما فيها من البركة

الرابع

(١) رواه أحمد في المسند ٤١١/٥.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٤/٨.

رواه الطبراني في الأوسط والبخاري بنحوه... ورجال البزار رجال الصحيح.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٢٨٣/١١)، من طريق عروة، في كتاب الرقاق، باب

كيف كان عيش النبي وأصحابه وتخليهم عن الدنيا، ح ٦٤٥٩.

ورواه مسلم (٢٢٨٣/٤)، في كتاب الزهد والرفائق، في مقدمته، ح ٢٨.

أضعاف أضعاف ما تودعه من الحب والنوى، وتربيته لك،
وتغذيته وتنميته، والنار تفسده عليك، وتمحق بركته.

ومنها: أن الأرض مهبط وحي الله ومسكن رسله الخامس
وأنبياؤه وأوليائه، وكفاتهم^(١) أحياء وأمواتاً، والنار مسكن
أعدائه، ومأواهم.

ومنها: أن في الأرض بيته، الذي جعله إماماً للناس، السادس
وقياماً لهم، وجعل حجه محطاً لأوزارهم، ومكفراً
لسيئاتهم^(٢)، وجالباً لهم^(٣) مصالح معاشهم ومعادهم.

ومنها: أن النار طبعها العلو والفساد، وأن الله لا يجب السابع
المستكبرين، ولا يجب المفسدين، والأرض طبعها الخشوع
والإخبات، والله يجب المختبين الخاشعين، وقد ظهر هذا
بخلق إبراهيم ومحمد وموسى وعيسى والرسل من المادة
الأرضية، وخلق إبليس وجنوده من المادة النارية، نعم وخلق
من المادة الأرضية الكفار المشركين^(٤)، ومن المادة النارية
صالحين^(٥) الجن ولكن ليس في هؤلاء مثل إبليس وليس^(٦)

(١) الكفات الكفت بالضم والقبض يقال: كفت الشيء يكفته كفتاً، وكفته ضمه وقبضه
والكفات: الموضوع الذي يضم فيه الشيء ويقبض قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦].

لسان العرب، ص ٣٨٩٦، مادة كفت.

(٢) م: (لسيئاتهم).

(٣) م: (مجالهاً).

(٤) ظ، م: (والمشركون).

(٥) ظ، م: (صالحوا).

(٦) ظ، م: (فليس)، ولعل الصواب ما أثبتته.

في أولئك مثل الرسل والأنبياء، فمعلم الخير من المادة الأرضية ومعلم الشر من المادة النارية.

الثامن ومنها: أن النار لا تقوم بنفسها، بل لا بد لها من محل تقوم به، لا تستغني عنه، وهي محتاجة إلى المادة الترابية في قوامها وتأثيرها، والأرض قائمة بنفسها، لا تحتاج إلى محل تقوم به، ولا يفتقر قوامها ونفعها إلى النار.

التاسع ومنها: أن التراب يفسد صورة النار ويبطلها ويقهرها وإن علت عليه.

العاشر ومنها: أن الرحمة تنزل على الأرض فتقبلها، وتحيي بها وتخرج زيتها وأقواتها، وتشكر ربها، وتنزل على النار فتأبأها وتطفئها وتمحوها وتذهب بها، فبينها وبين الرحمة معاداة، / وبين الأرض وبين الرحمة موالاة وإخاء. [١٣٢/١]

الحادي عشر ومنها: أن النار تطفأ عند التكبير^(١)، فتضمحل عند ذكر كبرياء الرب، ولهذا يهرب المخلوق منها، عند الأذان^(٢)، حتى لا يسمعه، والأرض تبتهج بذلك، وتفرح

(١) وقد جاء في الحديث: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتم الحريق فكبروا فإن التكبير يطفئه»، رواه ابن عدي وابن السني وابن عساكر عن ابن عمرو، وروي بلفظ آخر عن ابن عباس، قال الألباني ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ١/١٨٣، ج ٦٠٣، ٦٠٤.

(٢) وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع التأذين حتى إذا قضى التأذين أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ويقول: اذكر كذا، واذكر كذا لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى؟»، رواه البخاري (فتح الباري ٨٤/٢)، من طريق أبي هريرة، في كتاب الأذان، باب فضل التأذين، ج ٦٠٨. =

به، وتشهد به لصاحبه يوم القيامة^(١)، ويكفي في فضل المخلوق من الأرض على المخلوق من النار، أن^(٢) الله سبحانه خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، فهل حصل للمخلوق من النار واحدة من هذه، فقد تبين لك حال هذه المعارضة العقلية للسمع، وفسادها من هذه الوجوه، وأكثر^(٣) منها وهي من شيخ القوم ورئيسهم ومعلمهم الأول، فما الظن بمعارضة التلامذة، ونحن نقول قولاً، نقدم بين يديه مشيئة الله وحوله، والاعتراف بمنته علينا، وفضله لدينا، وأنه محض منته، وجوده، وفضله، فهو المحمود أولاً وآخراً، على توفيقنا له، وتعليمنا إياه: إن كل شبهة من شبه^(٤) أرباب المعقولات عارضوا بها الوحي، فعندنا ما يبطلها بأكثر من

= ورواه مسلم ٢٩١/١، في كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، ح ١٦، ورواه أبو داود (عون المعبود ٢/٢١٣)، في كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالأذان، ح ٥١٢.

(١) وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس وشاهد الصلاة في الجماعة يكتب له خمس وعشرون صلاة ويكفر عنه ما بينهما». رواه أبو داود (عون المعبود ٢/٢١١، ٢١٢)، من طريق أبي هريرة، في كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالأذان، ح ٥١١، ورواه النسائي ١١/٢، ١٢، في كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالأذان.

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري حديث بنحوه (فتح الباري ٢/٨٧، ٨٨) في كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، ح ٦٠٩.

(٢) م: (وإن).

(٣) ظ، م: (وأكثره).

(٤) (شبهه): مكرر في ظ.

الوجوه التي أبطلنا بها معارضة شيخ القوم، وإن مد الله في الأجل أفردنا في ذلك كتاباً كبيراً، ولو نعلم أن في الأرض من يقول ذلك، ويقوم به تبلغ إليه أكباد الإبل، لاقتدينا بالمسير إليه بموسى في سفره إلى الخضر، وبجابر بن عبدالله في سفره إلى عبدالله بن أنيس، لسمع حديث واحد ولكن - أزهدهم في العالم (١) قومه - (٢) وقد قام قبلنا بهذا الأمر من (٣) برز (٤) به على أهل الأرض في عصره، وفي الأعصار قبله، فأدرك من قبله وحيداً، وسبق من بعده سبقاً بعيداً، واستنقذ (٥) النصوص من أيدي الملحدين، ونفى عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وجعل ملوك أرباب المعقولات المعارضين لها أسرى في أيدي المسلمين وأخذ عليهم بمجامع الطرق حتى لم يبق لهم مدد ولا كمين فجرى عليه من تلامذة هذا الشيخ وأتباعه من الجاهلين والمعاندين والمعطلين ما جرى على من قام مقامه على مر السنين.

مضوا ومضى ثم التقوا عند ربهم

فأخروهم للحكم يوم التخاصم

(١) ظ: (عالم).

(٢) والمعنى: أن العالم عند قومه قد لا يؤبه له ولا يهتم الناس حوله بما عنده من علم، بينما يضرب له الغرباء ممن يقدرون علمه أكباد الإبل، من أجل حديث واحد. وكان عزوة رضي الله عنه يقول: أزهدهم في عالم أهله. انظر: هم ذوي الأبصار للفلاحي، ص ١٤.

(٣) م: (بهذين الأمرين).

(٤) لعله يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. (٥) ظ: (واستنقذا).

الوجه السبعون :

إن العقل الذي عارض به هؤلاء السمع^(١) هو النفي ،
والذي دل عليه السمع هو الإثبات ، فإن السمع دل على
إثبات الصفات والكلام والتكليم ، وعلو الرب على خلقه ،
واستوائه على عرشه ، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا ، ومجيئه
وإثباته ، وإثبات وجهه الأعلى ، ويديه اللتين كلتاها يمين
وغير ذلك ، والعقل عندهم دل على نفي ذلك كله ،
فالمعارضة^(٢) التي ادعوها هي معارضة بين النفي والإثبات ،
فالرسل جاءوا بالإثبات المفصل للأسماء والصفات
والأفعال ، فجاء أرباب هذا العقل بالنفي المفصل لها ،
وادعوا التعارض بين دليل هذا الإثبات ودليل النفي ، ثم
قدموا دليل النفي ، فيقال الكلام معكم في مقامين :

الرد عليهم

أحدهما : أن العقل لم يدل على ثبوتها .

والثاني : أنه دل على انتفائها ، فإن أردتم بدلالة العقل
المقام الأول ، فنفيها خطأ ؛ فإنه لو نفى كل ما لم يدل عليه
عقل أو حس نفيت أكثر الموجودات التي لا ندركها بعقولنا
ولا حواسنا ، وهذا هو حاصل ما عند القوم عند التحقيق ،
ومن تدبر أدلتهم حق التدبر ، علم أنه ليس فيها دليل واحد
يدل على النفي ، ومعلوم أن الشيء لا ينفي لانتفاء دليل يدل
عليه ، وإن انتفى العلم به ، فنفي العلم لا يستلزم نفي
المعلوم ، فكيف والعقل الصريح قد دل على ثبوتها ، كما نبهنا

(١) ظ ، م : (للسمع).

(٢) م : (فالمعارض).

عليه^(١)، وسنذكره، وإن أردتم الثاني، وهو: أن العقل [دل على انتفائها]^(٢)، فيقال: العقل إنما يدل على نفي الشيء إذا علم ثبوت نقيضه، فيعلم حينئذ أن النقيض الآخر منتف، فأين في العقل المقطوع بحكمه، أو المظنون ما يدل على نقيض ما أخبرت به الرسل، بوجه من وجوه^(٣) الأدلة الصحيحة، فالمسلمون يقولون: قد دل العقل والوحي معاً على إثبات علم الرب تعالى أمراً ناهياً، وعلى كونه فوق العالم كله وعلى كونه يفعل بقدرته ومشئته وعلى أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويحب ويبغض، فقد شهد بذلك العقل والنقل، أما النقل فلا يمكنكم المكابرة فيه، وأما العقل فلأن ذات الرب أكمل من كل ذات على الإطلاق، بل ليس الكمال المطلق التام من كل وجه إلا له وحده، فيستحيل وصفه بما يصاد كماله، وكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله فهو صفة كمال ثبوتها له أكمل من نفيها عنه، وقد اتفقت الأمم على أن الله سبحانه موصوف بالكمال، منزّه عن أضداده، وإن تنازعوا في كون الصفة المعينة والفعل المعين كمالاً، أو ليس بكمال، والذين نفوه تخيلوا أن إثباته يستلزم النقص والحدوث، وأن الكمال في نفيه، وإن كان كثير من طوائف / بني آدم يستجيزون وصفه بالنقائص والعيوب، مع علمهم بأنها عيوب ونقائص، كما

[١٣٣/١]

(١) انظر: ص ٩٠٩، وما بعدها.

(٢) (دل على انتفائها): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٣) ظ، م: (الوجوه)، والصواب ما أثبتته.

صرحت به اليهود من قولهم: وإنه فقيرٌ وإنه تعب لما خلق العالم وأنه بكى على الطوفان^(١) حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة، وإنه ندم على خلق آدم وذريته ندماً عظيماً حتى عض أنامله»، ويقولون: في صلاتهم: «يا إلهنا، انتبه من رقدتك كم تنام» ونحو ذلك، والنصارى لا يخفى على أحد منهم أن نزوله عن عرشه ودخوله في رحم امرأة وإقامته هناك تسعة أشهر بين الحيض والبول ثم خروجه طفلاً صغيراً يرضع ويبكي ويأكل ويشرب ويبول وينام ويألم ثم تمكن أعدائه منه وصفعه وتسمير يديه ورجليه وصلبه بين نصيين^(٢) وعلى رأسه تاج من الشوك أن هذا غاية التنقص^(٣) المنافي لكماله. والاتحادية^(٤) مصرحون بأنه موصوف بكل صفة مذمومة عقلاً و عرفاً وشرعاً ومعلوم أن هذه النقائص^(٥) هي التي دل العقل الصريح واتفاق المرسلين من أولهم إلى آخرهم على نفيها عن الله وتنزيهه عنها، فمن جعل دلالاته على نفي علمه وسمعته وبصره وقوته وقدرته وحياته وإرادته وكماله وتكليمه وعلوه على عرشه ووجهه الأعلى ويديه وغضبه ورضاه كدلالاته على نفي تلك العيوب والنقائص

(١) سبق، انظر: ص ٨٣١.

(٢) النَّصْبُ وَالنُّصْبُ: العلم المنسوب. كما قال تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ يُوفُضُونَ﴾، والمعنى أنه صلب بين علمين.

لسان العرب ٤٤٣٥/٦، مادة نصب.

(٣) م: (النقص).

(٤) (الاتحادية): سبق التعرف بها، ص ٣٠٣.

(٥) ظ، م: (التناقص)، ولعل الصواب ما أثبت.

وإثباتها له كإثبات تلك العيوب والنقائص، وإن العقل
يوجب نفي هذا وهذا، فهو من أسخف الناس عقلاً،
وأعظمهم جهلاً، وأفسدهم فطرة، وكان^(١) الذين وصفوه
سبحانه بتلك العيوب والنقائص أقرب إلى العقل منه، فإنهم
وصفوه بالكمال والنقص، وهؤلاء نزهوه عن الكمال،
وهو يستلزم وصفه بالنقص فقط، ومعلوم أن ذاتاً موصوفة
بالكمال والنقائص أكمل من ذات لا توصف بشيء من
الكمالات، البتة، وتوصف بأضدادها، وأيضاً، فإن تلك
الذات يمكن وجودها، وهذه الذات يمتنع^(٢) وجودها،
والمقصود أنه قد دل العقل مع السمع على إثبات ما يقول
هؤلاء: إن العقل عارضه، وغاية ما معهم أن عقولهم لم تدل
على إثباته، وقد بينا أنه يستحيل دلالة العقل على نفيه، فإن
العقل إنما يدل على نفي ما علم ثبوت نقيضه بالعقل،
والعقل لم يعلم به ثبوت نقيض الصفات العلى، والأسماء
الحسنى، واستواء الرب على عرشه، وتكلمه، ورؤية أوليائه
له في الآخرة عياناً بالأبصار، فوق رؤوسهم، حتى يكون
نفي ذلك معلوماً بالعقل، فإن قيل: نحن ما نفينا ذلك
إلا لدلالة العقل على نفيه، فإنه لو كان فوق العرش، أو كان
يرى بالابصار، أو كان مكلماً متكلماً، أو كان له وجه ويد
وسمع وبصر لزم أن يكون جسماً، ويلزم من كونه جسماً أن
يكون مركباً من الجواهر المفردة^(٣)، أو من المادة

(١) م: (وكان).

(٢) ظ، م: (تمنع)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) (الجواهر المفردة): انظر: ص ٣٣٩.

والصورة^(١)، وإن قلنا بتمائل الأجسام لزم أن يكون مماثلاً لكل جسم، ويلزم من كونه مركباً أن يكون مفتقراً إلى أجزائه، وأجزاء المركب غيره ويلزم من افتقاره إلى غيره أن يكون مخلوقاً مصنوعاً، فهذا^(٢) الدليل العقلي الذي أوجب لنا أن ننفي ما نفيناه^(٣) لنثبت^(٤) آهيته وربوبيته وقدمه، وأما أنتم فلما أثبتتم له هذه الصفات لزمكم نفي قدمه، ونفي ربوبيته، قيل: هذا الدليل هو الذي خرب دياركم وقلع الإيمان بشروشه^(٥) من قلوبكم وسهل عليكم الإلحاد في أسماء الرب وصفاته، وتعطيله عن كل كمال، وسلبه عنه، وهو في الحقيقة مستلزم لوجود الخالق سبحانه، وإنكار أن يكون للعالم صانع على الحقيقة، ففررتم من إثبات الكمالات له سبحانه، لظنكم أنها تستلزم افتقاره وحدوثه، فوقعتم في شر^(٦) من ذلك، وهو تعطيل العالم عن رب يديره، فعطلتم الصانع عن كماله، وعطلتم العالم عن صانعه، ولقد أقامت الدهرية والمعطلة أربعين شبهة، التي ذكرتموها واحدة من تلك الأربعين، فقالوا: لو كان للعالم

(١) (الصورة): انظر: ص ٨٩٢.

(٢) ظ، م: (بهذا)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (ما أنفيناه).

(٤) م: (لثبوت).

(٥) ظ، م: (بسروسه) بالسين المهملة في الموضعين ولعل الصواب ما أثبتته. قال الشيخ ناصر بن حمد الراشد: «الشروش هي القاعدة عند أهل الشام - ولم أقف على هذا المعنى فيما اطلعت عليه من كتب متن اللغة.

والمعنى قلع الإيمان بقاعدته.

(٦) ظ، م: (شيء)، ولعل الصواب ما أثبتته.

رب أو صانع أو خالق لكان إما جسماً، وإما عرضاً، ودليل هذا الحصر أنه إما أن يكون قائماً بنفسه، وهو الذي يعني بالجسم، وأما أن يكون قائماً بغيره، وهو الذي يعني بالعرض، فلا يجوز أن يكون عرضاً، لأنه^(١) لا يقوم بنفسه، فهو مفتقر إلى محل يقوم به، ولا يجوز أن يكون جسماً، لما ذكرتم من الدليل المتقدم بعينه، وكل ما تجيبون به إخوانكم في الأصل عن هذه الشبهة، فهو جواب أهل السمع والعقل لكم بعينه، فإن قلتم: بل هو قائم بنفسه وليس بجسم، قال لكم أهل السمع والعقل: فقولوا: هو فوق عرشه موصوف بصفات كماله، ونعوت جلاله، وحقائق أسمائه، وليس بجسم، فإن قلتم هذا لا يعقل، قيل لكم: فكيف عقلتم ذاتاً قائمة بنفسها فاعلة بغيرها / ليست بجسم؟ فإن قلتم دل الدليل على انتهاء الممكنات والمصنوعات، إلى ذات هذا شأنها، فأثبتناها بالدليل، قيل لكم: ودل الدليل على انتهاء المخلوقات والمصنوعات إلى ذات موصوفة بالصفات، التي يؤثر بها في المخلوقات ومقاديرها وصفاتها وأشكالها وهيئاتها وإعدامها بعد إيجادها، وإيجادها، وإيجاد بدل^(٢) منها، ودلالته على ذات هذا شأنها أعظم من دلالته على ذات مجردة لا فعل لها ولا صفة ولا قدرة ولا مشيئة ولا إرادة، فإن قلتم يلزم من ثبوت صفاتها حدوثها، ولا يلزم من تجردها عنها حدوثها قيل

[١٣٤/١]

(١) لو قال: «لأن العرض» لكان أوضح.

(٢) ظ، م: (بدلها).

لكم بل يلزم من تجردها عنها عدمها وامتناع وجودها^(١)،
فلولزم من ثبوت صفاتها ما لزم كان خيراً من جحدها ونفيها
بالكلية، كيف وتلك اللوازم التي ركبت بعضها على بعض
فيها من التلبس والتدليس والإجمال اللفظي والاشتباه
المعنوي ما إذا كشف أمره تبين أنها زغل^(٢) ومحال وأشد
شيء منافاة للعقل والسمع؟! وكل مقدماتها دعاو كاذبة
باطلة، بصريح العقل والسمع، فلا يلزم من كونه فوق
سمواته على عرشه يسمع ويرى ويأمر وينهى ويتكلم
ويكلم، أن يكون مركباً من جواهر فردة، ولا من مادة
وصورة، ولا أن يكون مماثلاً لخلقه، فدعوى هذا اللزوم عين
البهت والكذب الصراح بل العرش خلق من خلقه،
ولا يلزم من كونه فوق السموات كلها أن يكون مركباً من
الجواهر الفردة ولا من المادة والصورة ولا مماثلاً لغيره من
الأجسام، وكذلك جبريل مخلوق من مخلوقاته وهو ذوقوة
وحياة وسمع وبصر وأجنحة ويصعد وينزل، ويرى بالأبصار
ولا يلزم من وصفه بذلك أن يكون مركباً من الجواهر
الفردة، ولا من المادة والصورة، ولا أن يكون جسمه مماثلاً
لأجسام الشياطين، فدعونا من هذا الفشر^(٣) والهديان،
والدعاوى الكاذبة، والتفاوت الذي بين الله وخلقه أعظم
من التفاوت الذي بين جسم العرش وجسم الثرى والهواء

(١) ظ: (ووجودها).

(٢) (الزغل): سبق، انظر: ص ٤٤٠.

(٣) الفشر: فشر فشرأ كذب وبالغ في الكذب والادعاء وقال في المعجم الوسيط بأنها
محدثة. المعجم الوسيط ٦٩٦/٢.

والماء، وأعظم من التفاوت الذي بين أجسام الملائكة وأجسام الشياطين، والعاقل إذا أطلق على جسم صفة من صفاته، وعنده من كل وجه، موصوف بتلك الصفة، لم يلزم من ذلك تماثلها، أطلق على الرجيع، الذي قد بلغ غاية الخبث، أنه جسم، قائم بنفسه، ذورائحة ولون، وأطلق ذلك على المسك لم يقل ذو حس سليم ولا عقل مستقيم، إنها متماثلان وأين التفاوت الذي بينهما من التفاوت الذي بين الله وخلقه، فكم تلبسون وكم تدلسون وتموهون؟ فاشترك الذاتين في معنى من المعاني لا يستلزم تماثلها عند أحد من العقلاء، وإن المختلفات والمتضادات تشترك في أشياء متعددة، فمشاركة الماء للنار في مسمى بالجسمية والحركة، وإدراك الحس لهما، لا يوجب تماثلها وليس معكم دليل واحد صحيح يدل على تركيب الأجسام، كما ذكرتم، فكيف، ولو أقمتم الدليل على ذلك لم يلزم منه تركيب خالق الأجسام، وجواهرها، وأعراضها، مما تركيبت منه الأجسام، بوجه من الوجوه، سوى الدعوى الكاذبة، وهو أنه لو كان فوق عرشه، أو موصوفاً بالصفات، أو يرى بالأبصار، لزم أن يكون مركباً، وليس العجب من عقول رضيت لنفسها بمثل هذا الهذيان، حتى اعتقدته غاية الغايات العقلية، ونهايات المعارف الإلهية، والمباحث الحكيمة، ثم قدمته على نصوص الوحي، فإن هذا في الأصل وضع من قصد معارضة الأنبياء، ورد ما جاءوا به بل العجب من قوم صدقوا الأنبياء وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البيئات، وعلموا أنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى:

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤].

ثم ولج هذا الهديان في آذانهم، فسمعوه، ودخل إلى قلوبهم، فقبلوه، وعظموا أصحابه، وسموهم المحققين، وقدموا أقوالهم على نصوص الوحي المبين، فضلاً عن تقديمه على كلام الصحابة والتابعين، ولقد أحسن القائل فيهم، وإن قصد سواهم:

خفافيش أعشاها الظلام بضوئه

ولاءمها قطع من الليل مظلم

وهذه الحجة الداحضة باطلة، من أكثر من سبعين وجهاً، تذكر في غير هذا الموضوع، فلا يلزم من استوائه على عرشه، وثبوت صفات كماله، وتكلمه وتكليمه، ورؤيته بالأبصار، أن يكون جسماً بالمعنى الذي اصطلحوا عليه، ولولزم أن يكون جسماً، لم يلزم أن يكون مركباً بالاعتبار، الذي ذكره، ولولزم أن يكون مركباً، لم يلزم أن يكون مفتقراً إلى مركب ركب، ولا محتاجاً إلى غيره، بوجه من الوجوه، ولولزم أن يكون جسماً مركباً، لم يلزم أن يكون مماثلاً للأجسام بوجه من الوجوه، / فشيء من ذلك غير لازم، لعلوه على عرشه وثبوت صفاته، لا عقلاً ولا سمعاً، إلا بالدعوى الكاذبة حتى لو قدر لزوم ذلك كله لكان التزامه أسهل من تعطيل علوه على عرشه وتعطيل كلامه وإبطال أمره ونهيه وتعطيل صفاته وأفعاله، وجعله بمنزلة المعدوم الممتنع، الذي لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا له

[١٣٥/١]

فعل يقوم به، ولا صفة كمال^(١) يتصف بها، فلا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا يقدر ولا يريد، ولا يفعل شيئاً، فأبي ذات من الذوات المخلوقة، المتصفة بذلك فرضت، فهي أكمل من هذه الذات، وقد تقدم أن الدليل العقلي الصحيح إنمادل على انتهاء المخلوقات إلى خالق واحد، قديم غير مخلوق، ولا مصنوع، ولا محتاج إلى سواه، بوجه من الوجوه، وكل ما عده محتاج إليه، من جميع الوجوه، ولم يدل على أن هذا الواحد سبحانه، معطل عن الأفعال، والصفات وحقائق الأسماء الحسنى، وأن الدليل العقلي إنمادل على خلاف ذلك، وأنه أحق بكل صفة كمال من غيره وأن كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه فلا يستلزم نقصاً، فمعطيه وموجده أحق به، وأولى، فكيف يكون المخلوق يتكلم، وخالقه لا يتكلم؟ وكيف يكون سميعاً بصيراً، وخالقه لا يسمع ولا يبصر؟ وكيف يكون حياً عليمًا قديرًا حكيمًا، وخالقه ليس كذلك؟ وكيف يكون ملكاً آمراً ناهياً مرسلًا مثيباً معاقباً، وخالقه ليس كذلك؟ وكيف يكون فاعلاً باختياره ومشيئته، وخالقه ليس كذلك؟ وكيف يكون قوياً، وخالقه ليس له قوة؟ وكيف يكون رحيماً، وخالقه لم تقم به صفة رحمة ولا رأفة؟ وكيف يكون كريماً حليماً جواداً ماجداً، وخالقه ليس كذلك؟ هذا ومن المعلوم بالضرورة أن ما يرى أكمل ممن لا يمكن أن يرى؛ فإنه إما معدوم، وإما عرض والمرئي أكمل منهما، وما يتكلم أكمل ممن لا يتكلم؛ فإنه

(١) ظ: (ك).

إما جماد، وإما عرض، وإما معدوم، والمتكلم أكمل من ذلك، وماله سمع وبصر ووجه ويدان أكمل من الفاقد لذلك بالضرورة، وهكذا سائر الصفات، فلا أحسن الله في تلك العقول عن أصحابها إذا أحسن عن الصابئين ولا حياها بما حيا^(١) به عباده المرسلين ولا زكاها بما زكى به أتباعهم من المؤمنين ونسأله أن لا يبتلينا بما ابتلاهم به من مفارقة المنقول والمعقول وتلقي العلم واليقين من غير مشكاة الرسول، وأن لا يجعلنا^(٢) من اتباع قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً^(٣) وضلوا عن سواء السبيل.

الوجه الحادي والسبعون :

أنه سبحانه وصف نفسه بأنه ليس كمثل شيء، وأنه بيان أنه ليس كمثل شيء لا سمي له، ولا كفؤ له، وهذا يستلزم وصفه بصفات الكمال، التي فات^(٤) بها شبه المخلوقين، واستحق بقيامها به أن يكون ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وهكذا كونه ليس له سمي، أي: مثل يساميه في صفاته وأفعاله، ولا من يكافيه فيها، ولو كان مسلوب الصفات، والأفعال والكلام والاستواء والوجه واليدين، ومنفياً عنه مباينة العالم، ومحايثته، واتصاله به وانفصاله عنه، وعلوه عليه، وكونه

(١) ظ، م: (حيي).

(٢) ظ، م: (ولا يجعلنا)، والأولى ما أثبت.

(٣) ظ: (كثير).

(٤) فات: فانتني كذا أي سبقتي، وقال أعرابي: «الحمد لله الذي لا يفات»، والمعنى أن الله وصف بصفات الكمال التي لا تشبه صفات المخلوق بحال.

لسان العرب ٥/٣٤٨١، مادة فوت.

يُمْتَنُّهُ، أَوْ يَسْرَتُهُ، وَأَمَامَهُ، أَوْ وِرَاءَهُ، لَكَانَ كُلُّ عَدَمٍ مِثْلًا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَكُونُ قَدْ نَفَى عَنِ نَفْسِهِ مِشَابَهَةَ الْمَوْجُودَاتِ، وَأَثْبَتَ لَهَا مِمَّا ثَلَّةَ الْمَعْدُومَاتِ، فَهَذَا النَّفْيُ وَقَعَ عَلَى أَكْمَلِ الْمَوْجُودَاتِ وَعَلَى الْعَدَمِ الْمَحْضِ، فَإِنَّ الْعَدَمَ الْمَحْضَ لَا مِثْلَ لَهُ وَلَا كِفْؤُ وَلَا سَمِي، فَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِهَذَا نَفْيَ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَاسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَتَكْلِمِهِ بِالْوَحْيِ، وَتَكْلِيمِهِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، لَكَانَ ذَلِكَ وَصْفًا لَهُ بِغَايَةِ الْعَدَمِ، فَهَذَا النَّفْيُ وَقَعَ عَلَى الْعَدَمِ الْمَحْضِ، وَعَلَى مَنْ كَثُرَتْ أَوْصَافُ كِمَالِهِ، وَنَعُوتُ جِلَالِهِ، وَأَسْمَاؤُهُ الْحَسَنِي، حَتَّى تَفْرُدَ بِذَلِكَ الْكِمَالَ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَبَهٌ فِي كِمَالِهِ، وَلَا سَمِي وَلَا كِفْؤُ، فَإِذَا أَبْطَلْتُمْ هَذَا الْمَعْنَى الصَّحِيحَ تَعَيَّنَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْبَاطِلَ قَطْعًا وَصَارَ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَوْصَفُ بِصِفَةِ أَصْلًا وَلَا يَفْعَلُ فِعْلًا وَلَا لَهُ وَجْهٌ وَلَا يَدٌ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَعْلَمُ وَلَا يَقْدِرُ تَحْقِيقًا الْمَعْنَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَقَالَ إِخْوَانُكُمْ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ: لَيْسَ لَهُ ذَاتٌ أَصْلًا تَحْقِيقًا لِهَذَا النَّفْيِ، وَقَالَ غَلَاتِهِمْ: وَلَا وَجُودَ لَهُ، تَحْقِيقًا لِهَذَا النَّفْيِ، وَأَمَّا الرِّسْلُ وَأَتْبَاعُهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّهُ حَيٌّ، وَلَهُ حَيَاةٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي حَيَاتِهِ، وَهُوَ قَوِيٌّ وَلَهُ الْقُوَّةُ، وَلَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ فِي قُوَّتِهِ، وَهُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ، يَسْمَعُ وَيَبْصُرُ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَتَكْلِمٌ وَمَكْلَمٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي كَلَامِهِ وَتَكْلِيمِهِ، وَلَهُ وَجْهٌ وَيَدَانِ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهَذَا النَّفْيُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكِمَالِ، فَإِنَّهُ مَدْحٌ لَهُ، وَثَنَاءٌ

أثنى به على نفسه، والعدم المحض لا يمدح [به] (١) أحد،
ولا يثنى به عليه، ولا يكون كمالاً له، بل هو أنقص
النقص، وإنما يكون كمالاً إذا تضمن الإثبات،
كقوله / تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

[١٣٦/١]

لكمال حياته وقيوميته، وقوله:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لكمال غناه، وملكه وربوبيته، وقوله:

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١].

لكمال عدله، وغناه ورحمته، وقوله:

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ تُعُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

لكمال قدرته، وقوله: ﴿وَمَا (٢) يَعَزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ

ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١].

﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾

[إبراهيم: ٣٨].

ونظائر ذلك لكمال علمه، وقوله:

(١) (به): ليس في ظ، م، ولعل الصواب إثباتها. (٢) ظ، م: (لا يعزب) وهو خطأ.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

لعظمته وإحاطته بما سواه، وأنه أكبر من كل شيء وأنه واسع^(١) فيرى ولكن لا يحاط به إدراكاً كما يعلم ولا يحاط به علماً، فيرى ولا يحاط به رؤية، فهكذا ليس كمثله شيء - هو متضمن لإثبات جميع صفات الكمال، على وجه الإجمال، وهذا هو المعقول في نظر الناس وعقولهم وإذا قالوا فلان عديم المثل، أو قد أصبح ولا مثل له في الناس أو ما له شبيهه ولا له من يكافيه، إنما يريدون بذلك أنه تفرد من الصفات والأفعال والمجد بما لم يلحقه فيه غيره، فصار واحداً من الجنس، لا مثل له، ولو أطلقوا ذلك عليه، باعتبار نفي صفاته وأفعاله ومجده، لكان ذلك عندهم غاية الذم والتنقص له، فإذا أطلق ذلك في سياق المدح والثناء، لم يشك عاقل في أنه إنما أراد كثرة أوصافه وأفعاله وأسمائه، التي لها حقائق تحمل عليها، فهل يقول عاقل لمن لا علم له، ولا قدرة، ولا سمع، ولا بصر، ولا يتصرف بنفسه، ولا يفعل شيئاً، ولا يتكلم، ولا له وجه، ولا يد، ولا قوة، ولا فضيلة من الفضائل؛ إنه لا شبيه له، ولا مثل له، وإنه وحيد دهره، وفريد عصره، ونسيج وحده^(٢)، وهل فطر الله

(١) قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

(٢) نسيج وحده: معناه أن الثوب إذا كان كريماً لم ينسج على منواله غيره لدقته ويقال للرجل المحمود هو نسيج وحده أي لا نظير له في علم أو غيره. اللسان ٤٤٠٦/٦، مادة نسج.

الأمم، وأطلق ألسنتهم، ولغاتهم إلا على ضد ذلك، وهل كان رب العالمين أهل الثناء والمجد إلا بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، وأفعاله، وأسمائه الحسنی، وإلا فبماذا يثني عليه المثنون؟! وبماذا يثني على نفسه، أعظم مما يثني به عليه جميع خلقه؟! ولأي شيء يقول أعرف خلقه به «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^{(١)؟!} . ومعلوم أن هذا الثناء الذي أخبر^(٢) أنه لا يحصيه، لو كان بالنفي لكان هؤلاء أعلم به منه، وأشد إحصاء له، فإنهم نفوا عنه حقائق الأسماء والصفات نفيًا مفصلاً، وذلك مما يحصيه المحصي، بلا كلفة ولا تعب، وقد فصله النفاة، وأحصوه وحصروه^(٣).

الوجه الثاني والسبعون:

أن الله سبحانه إنما نفى عن نفسه ما يناقض الإثبات، ويضاد ثبوت الصفات، والأفعال، فلم ينف إلا أمراً عديمياً، أو ما يستلزم العدم، فنفى^(٤) السنة والنوم، المستلزم لعدم كمال الحياة، والقيومية، ونفى العزوب والخفاء، المستلزم لنفي كمال العلم، ونفى اللغوب، المستلزم لنفي كمال القدرة، ونفى الظلم المستلزم لنفي كمال الغنى والعدل، ونفى العبث المستلزم لنفي كمال الحكمة والعلم، ونفى

بيان أن كل ما نفاه
الله عن نفسه
فهو لإثبات كمال
ضده

(١) الحديث سبق تخريجه، ص ٩٨٣.

(٢) م زاد: (به).

(٣) م: (وحصوه).

(٤) ظ، م: (أنفى)، والصواب ما أثبتته.

الصاحبة والولد المستلزمين لعدم كمال الغنى، وكذلك نفى الشريك والظهير والشفيع المقدم بالشفاعة، المستلزم لعدم كمال الغنى، والقهر والملك، ونفى الشبيه والمثيل والكفوء، المستلزم لعدم التفرد بالكمال المطلق، ونفى إدراك الأبصار له وإحاطة العلم به، المستلزمين لعدم كمال عظمتهم وكبريائهم وسعته وإحاطته، وكذلك نفى الحاجة والأكل والشرب عنه سبحانه لاستلزام ذلك عدم غناه الكامل وإذا كان إنما نفى عن نفسه العدم، أو ما يستلزم العدم، علم أنه أحق بكل وجود وثبوت، وكل أمر وجودي لا يستلزم عدماً ولا نقصاً ولا عيباً، وهذا هو الذي دل عليه صريح العقل^(١)، فإنه سبحانه له الوجود الدائم، القديم، الواجب لنفسه الذي لم يستفده من غيره، ووجود كل موجود مفتقر^(٢) إليه، ومتوقف في تحقيقه عليه، والكمال وجود كله، والعدم نقص كله، فإن العدم كاسمه لا شيء، فعاد النفي الصحيح إلى نفي النقائص والعيوب، ونفي المماثلة في الكمال، وعاد الأمران إلى نفي النقص وحقيقة ذلك نفي العدم وما يستلزم العدم، فتأمل، هل نفي القرآن والسنة عنه سبحانه سوى ذلك، وتأمل هل ينفي العقل الصحيح الذي لم يفسد بشبهه^(٣) هؤلاء الضلال الحيارى غير ذلك، فالرسل جاءوا بإثبات ما يصاده، وهو سبحانه أخبر أنه لم يكن له كفواً أحد، بعد وصفه نفسه بأنه الصمد، والصمد السيد الذي

(١) ظ، م: (الفاعل).

(٢) ظ، م: (فمفتقر)، وما أثبتته من المختصر.

(٣) م: (بسبهه).

كامل في سؤدده، ولهذا كانت العرب تسمى أشرافها بهذا الاسم، لكثرة الصفات المحمودة في المسمى به، قال شاعرهم^(١):

ألا بكر الناعي بخير^(٢) بني أسد
بعمر^(٣) وبن مسعود وبالسيد الصمد

فإن الصمد من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرغبة،
وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له،
ولهذا قال جمهور السلف / منهم عبدالله بن عباس^(٤):
[١٣٧/١] «الصمد السيد الذي كامل سؤدده، فهو العالم الذي كامل
علمه، القادر الذي كملت قدرته، الحكيم الذي كامل
حكمه، الرحيم الذي كملت رحمته، الجواد الذي كامل
جوده، ومن قال: «إنه الذي لا جوف له» فقله لا يناقض

(١) انظر: لسان العرب ٤/٢٤٩٥.

(٢) وفي رواية «بخيري بني أسد» قال في لسان العرب: ولعلها الأصح لذكره في الشطر الثاني اثنين لا واحد.

(٣) ظ: (عمر).

(٤) رواه ابن جرير في التفسير ٣٠/٢٢٣.

قال في التنكيل ٢/٢٩٢: «والسند عن ابن عباس فيه كلام وهو مع ذلك منقطع وعلي بن أبي طلحة أجمع الحفاظ كما في (الإتقان) عن الخليلي، على أنه لم يسمع من ابن عباس، وقال بعضهم: إنما يروي عنه بواسطة مجاهد، أو سعيد بن جبير» وكذا ضعفه الألباني كما في حاشية التنكيل ٢/٢٩٢ وقد ثبت عن ابن مسعود هذا المعنى انظر: ما رواه ابن أبي عاصم في السنة ١/٢٢٩ وقال الألباني إسناده حسن، كما ورد عن أبي وائل شقيق بن سلمة بإسناد مقطوع، انظر: السنة لابن أبي عاصم ١/٣٠٠؛ التنكيل ٢/٢٩١، ٢٩٢.

هذا التفسير^(١)، فإن اللفظ من الاجتماع، فهو الذي

(١) ورد عن السلف في تفسير الصمد ثلاثة معان ذكرها ابن جرير في تفسيره ٢٢٢/٣٠ -

٢٢٤، وذكرها القرطبي في كتاب «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ج ٢، ل ٣٩٠،

٣٩٣، مخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة رقم ٨٨ أدعية:

١ - الصمد: الذي لا جوف له: وقد ورد هذا المعنى عن مجاهد من طريقين وعن

الحسن البصري وعن سعيد بن جبير وعن عكرمة بأسانيد صحيحة كما في التنكيل

. ٢٩٠/٢.

وقد روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، عن عبدالله بن بريدة عن

أبيه قال عبدالله: لا أعلمه إلا قد رفعه - يعني إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال:

«الصمد الذي لا جوف له» إلا أن فيه ضعفاً كما في تفسير ابن جرير ٢٢٤/٣٠؛

والتنكيل ٢٩١/٢.

كما روي بأسانيد ضعيفة عن ابن عباس وسعيد بن المسيب والضحاك كما في السنة

لابن أبي عاصم ٣٩٩/١ - ٣٠٣؛ والتنكيل للمعلمي ٢٩١/٢.

٢ - وقيل الصمد الباقي الذي لا يفنى، كما ورد عن الحسن البصري وغيره، كما في

السنة لابن أبي عاصم ٣٠١/١، ٣٠٢ وكما في تفسير ابن جرير ٢٢٣/٣٠.

٣ - الصمد: السيد الذي انتهى سؤده، فهو العالم الذي كمل علمه، القادر الذي

كملت قدرته، فهو وحده الذي يصمد إليه، والذي لا أحد فوقه.

وقد ورد هذا المعنى عن ابن عباس وابن مسعود وأبي وائل كما سبق آنفاً.

وقد رجح ابن جرير هذا المعنى بعد أن ذكر ما ورد عن العرب في معنى الصمد حيث

قال في تفسيره ٢٢٤/٣٠: «... فالذي هو أولى بتأويل الكلمة، المعنى المعروف من

كلام من نزل القرآن بلسانه...».

ثم قال: «... ولو كان حديث ابن بريدة عن أبيه صحيحاً كان أولى الأقوال

بالصحة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم بما عني جل ثناؤه وبما أنزل

عليه»، اهـ.

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذه الأقوال كلها صحيحة حيث يقول:

«... والاسم الصمد، فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك

بل كلها صواب والمشهور منها قولان:

أحدهما: الصمد الذي لا جوف له.

=

اجتمعت فيه صفات الكمال، ولا جوف له، فإنما لم يكن أحد كفواً له لما كان صمداً كاملاً في صمديته، فلو لم تكن صفات كمال، ونعوت جلال، ولم يكن له علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا إرادة، ولا كلام، ولا وجه، ولا يد، ولا سمع، ولا بصر، ولا فعل يقوم به، ولا يفعل شيئاً البتة، ولا هو داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوق عرشه، ولا يرضى، ولا يغضب، ولا يجب، ولا يبغض، ولا هو فعال لما يريد، ولا يرى، ولا يمكن أن يرى، ولا يشار إليه، ولا يمكن أن يشار إليه، لكان^(١) العدم المحض كفواً فإن هذه^(٢) الصفات منطبقة على المعدوم، فلو كان ما يقوله المعطلون هو الحق لم يكن صمداً، وكان العدم^(٣) كفواً له، وكذلك قوله:

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

= الثاني: أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج .
الفتاوى ٢١٤/١٧ .

ثم قال في موضع آخر: «قلت والاشتقاق يشهد للقولين جميعاً قول من قال: إن الصمد الذي لا جوف له وقول من قال: إنه السيد، وهو على الأول أدل، فإن الأول أصل الثاني...» الفتاوى ٢٢٦/١٧ . فهذه الأقوال كلها صحيحة فهي معاني متلازمة فمعنى الصمد يشمل هذا وهذا، فيكون كل واحد من السلف فسر اللفظ ببعض معناه، وهذا معنى قول ابن القيم بعد أن ذكر قول ابن عباس: إن الصمد بمعنى السيد، ومن قال: إنه الذي لا جوف له فقلوه لا يناقض هذا... والله أعلم.

(١) لكان جواب قوله: «فلو لم تكن صفات كمال من».

(٢) ظ، م: (هذا)، والصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (العمد).

فأخبر أنه لا سمي له، عقيب قول العارفين به :

﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَبِينٌ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعَبَدَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿ [مریم : ٦٤ ، ٦٥] .

فهذا الرب الذي له هذا الجند العظيم، ولا ينزلون إلا بأمره، وهو المالك ما بين أيديهم وما خلفهم، وما بين ذلك، فهو الذي قد كملت قدرته وسلطانه، وملكه، وكمل علمه، فلا ينسى شيئاً أبداً، وهو القائم بتدبير أمر السموات والأرض وما بينهما، كما هو الخالق لذلك كله، وهوربه ومليكه^(١)، فهذا الرب هو الذي لا سمي له، لتفردته^(٢) بكمال هذه الصفات والأفعال فأما من لا صفة له ولا فعل ولا حقائق لأسمائه إن هي إلا ألفاظ^(٣) فارغة من المعاني، فالعدم سمي له، وكذلك قوله تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

فإنه سبحانه ذكر ذلك، بعد ذكر نعوت كماله، وأوصافه فقال :

﴿ حَمْدٌ * عَسَقَ * كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ *

(١) ظ : (وملائكته) .

(٢) ظ : (التفردة) .

(٣) ظ : (الألفاظ) .

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَالَّذِينَ
أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿

[الشورى: ١ - ٦].

إلى قوله:

﴿ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمَنْ
الْأَنْعَمَ أَزْوَاجًا يَذُرْكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فهذا الموصوف بهذه الصفات والنعوت والأفعال والعلو
والعظمة والحفظ والعزة والحكمة والملك والحمد والمغفرة
والرحمة والكلام والمشيتة^(١) والولاية، وإحياء الموتى، والقدرة
التامة الشاملة، والحكم بين عباده، وكونه فاطر السموات
والأرض، وهو السميع البصير، فهذا هو الذي ليس كمثلته
شيء، لكثرة نعوته، وأوصافه، وأسمائه، وأفعاله، وثبوتها
له على وجه الكمال، الذي لا يماثله فيه شيء، فالمثبت
للصفات والعلو والكلام والأفعال وحقائق الأسماء،
هو الذي يصفه سبحانه بأنه ليس كمثلته شيء.

وأما المعطل: النافي لصفاته وحقائق أسمائه، فإن وصفه
له بأنه ليس كمثلته شيء مجاز، لا حقيقة، كما يقول في سائر
أوصافه، وأسمائه ولهذا قال من قال من السلف: إن النفاة

(١) في ظ أعاد لفظ الرحمة مرة ثانية.

جمعوا بين التشبيه والتعطيل، فسموا تعطيلهم تنزيهاً، وسموا ما وصف به نفسه تشبيهاً، وجعلوا ما يدل على ثبوت صفات الكمال، وكثرتها دليلاً على نفيها، وتعطيلها، وراج ذلك على من لم يجعل الله له نوراً، واغتر به من شاء الله، وهدى الله من اعتصم بالوحي، والعقل، والفطرة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

الوجه التاسع والسبعون^(١):

أنه سبحانه وصف نفسه بأن له المثل الأعلى فقال تعالى:

بيان المثل الأعلى

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

فجعل مثل السوء، المتضمن للعيوب، والنقائص، وسلب الكمال، للمشركين وأربابهم، وأخبر أن المثل الأعلى، المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده، ولهذا كان المثل الأعلى وهو أفعال تفضيل، أي أعلى من غيره،

(١) كذا في ظ، م وفي هامشها هكذا في الأصل فيكون هنا سقط مقداره ستة أوجه من الوجه الثالث والسبعين حتى الوجه التاسع والسبعين. وقد يكون خطأ من الناسخ لأن هذا الوجه مرتبط بما قبله في المعنى.

فكيف يكون أعلى وهو عدم محض، ونفي صرف، وأي مثل أدنى من هذا؟! تعالى الله عن قول المعطلين علواً كبيراً.

[١٣٨/١]

فمثل السوء لعادم / صفات الكمال، ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوحيده، وكلامه، وحكمته، لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملاً، وهي الإيمان، والعلم، والمعرفة، واليقين، والعبادة لله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والصبر، والرضا، والشكر، وغير ذلك من الصفات، التي اتصف بها من آمن بالآخرة، فلما سلبت تلك الصفات عنهم، وهي صفات كمال، صار لهم مثل السوء، فمن سلب صفات الكمال عن الله، وعلوه على خلقه، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ومشئته، وحياته، وسائر ما وصف به نفسه، فقد جعل له مثل السوء، ونزّهه عن المثل الأعلى، فإن مثل السوء هو العدم، وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمر الوجودية، والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى^(١) ووجهه^(٢) الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته عليا، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان، لأنها

(١) ظ، م: (هؤلاء على).

(٢) ظ، م: (وجه)، وما أثبتته من المختصر.

إن تكافأ لم^(١) يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، يستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى، مثل، أو نظير، وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمل، فإنه في غاية الظهور، والقوة، ونظير هذا القهر المطلق، مع الوحدة، فإنهما متلازمان فلا يكون القهار إلا واحداً، إذ لو كان معه كفؤ له، فإن لم يقهره لم يكن قهاراً على الإطلاق، وإن قهره لم يكن كفؤاً، وكان القهار واحداً، فتأمل كيف كان قوله:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله:

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧].

من أعظم الأدلة على ثبوت صفات كماله سبحانه، فإن قلت قد فهمت هذا وعرفته، فما حقيقة المثل الأعلى؟ قلت قد أشكل هذا على جماعة من المفسرين واستشكلوا قول السلف فيه، فإن ابن عباس وغيره قالوا: ﴿مَثَلُ السُّوءِ﴾ العذاب والنار، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ شهادة أن لا إله إلا الله^(٢). وقال قتادة: «هو الإخلاص والتوحيد»^(٣).

(١) ظ، م: (ألم).

(٢) انظر: فتح القدير ٣/١٧٠، ١٧١.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٤/٨٥.

وقال الواحدي^(١): هذا قول المفسرين في هذه الآية، ولا أدري لم قيل للعذاب مثل السوء، وللإخلاص المثل الأعلى، قال: وقال قوم: المثل السوء الصفة السوء، من احتياجهم إلى الولد، وكراهتهم للإناث، خوف العيلة، والعار، والله المثل الأعلى، الصفة العليا من تنزهه وبراءته^(٢)، عن الولد، قال: وهذا قول صحيح، فالمثل، كثير يرد بمعنى الصفة، قاله جماعة من المتقدمين وقال ابن كيسان^(٣): مثل^(٤) السوء، ما ضرب الله للأصنام وعبدتها من الأمثال، والمثل الأعلى نحو قوله:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

وقال ابن جرير^(٥): ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾، نحو قوله هو الأطيب والأفضل^(٦) والأحسن والأجمل وذلك التوحيد والإذعان له، بأنه لا إله غيره.

(١) الواحدي: هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مثنويه أبو الحسن الواحدي ولد بنيسابور كان من أئمة التفسير من كتبه «السيط» و«الوسيط» و«الوجيز» و«أسباب النزول» و«شرح الأسماء الحسنى» كان من أولاد التجار. توفي بنيسابور سنة ٤٦٨.

الأعلام ٢٥٥/٤.

(٢) ظ: (براءه).

(٣) ابن كيسان هو محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن المعروف بابن كيسان من علماء العربية أخذ عن المبرد وثعلب من كتبه «المهذب في النحو» و«غريب الحديث» و«معاني القرآن» وغيرها. توفي سنة ٢٩٩. شذرات الذهب ٢/٢٣٢؛ الأعلام ٣٠٨/٥.

(٤) م: كرر لفظ: (مثل) لمجيئها في آخر الصفحة.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري ١٤/٨٤، ٨٥.

(٦) (الأفضل): مكرر في ظ.

قلت: المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها، وذكرها. وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه، فها هنا أربعة أمور: ثبوت الصفات العليا لله سبحانه في نفس الأمر، علمها العباد أو جهلوها، وهذا معنى قول من فسره بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم^(١) والتصور وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف: إنه ما في قلوب عابديه وذاكريه من معرفته وذكره ومحبته وإجلاله وتعظيمه، وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشترك فيه غيره معه، بل يختص به في قلوبهم كما اختص في ذاته وهذا معنى قول من قال من المفسرين أهل السماء يعظمونه ويحبونه ويعبدونه وأهل الأرض يعظمونه ويجلونه، وإن أشرك به من أشرك، وعصاه من عصاه وجحد صفاته من جحدها، فكل أهل الأرض معظمون له (مجلون له)^(٢) خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته وجبروته قال تعالى:

﴿بَلْ لَّهُمْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِوٰنٌ﴾

[البقرة: ١١٦].

فلست تجد أحداً من أوليائه وأعدائه إلا والله أكبر في صدره وأكمل وأعظم من كل سواه.

(١) ظ، م: (العالم)، وما أثبتته من المختصر.

(٢) (مجلون له): سقط من م.

(٣) ظ، م: (وله)، وهو خطأ.

الثالث: ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيها عن النقائص والعيوب والتمثيل .

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه والإنابة إليه وكلما كان الإيمان بالصفات / أكمل كان هذا الحب والإخلاص أقوى فعبارات السلف تدور^(١) حول هذه المعاني الأربعة لا تتجاوزها، وقد ضرب الله سبحانه مثل السوء للأصنام بأنها لا تخلق شيئاً وهي مخلوقة ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وقال تعالى:

[١٣٩/١]

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مَنَارًا قَاحِسًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٥].

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦].

فهذان مثالان ضربهما لنفسه وللأصنام فللأصنام مثل السوء وله المثل الأعلى، وقال تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ يَا ذَايِك

(١) ظ: (ور).

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
 الذُّبَابُ (١) شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
 ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا (٢) اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

[الحج : ٧٣ ، ٧٤].

فهذا المثل الأعلى الذي له سبحانه .

والأول مثل السوء للصنم وعابديه وقد ضرب سبحانه
 للمعارضين (٣) بين الوحي وعقولهم مثل السوء بالكلب تارة ،
 وبالحمرة (٤) تارة ، وبالأنعام تارة ، وبأهل القبور تارة ،
 وبالعمي الصم تارة ، وغير ذلك من الأمثال السوء (٥) التي
 ضربها لهم ولأوثانهم ، وأخبر عن مثله الأعلى بما ذكره من
 أسمائه وصفاته وأفعاله ، وضرب لأوليائه وعابديه أحسن
 الأمثال ، ومن تدبر القرآن فهم المراد بالمثل الأعلى ومثل
 السوء وبالله التوفيق .

الوجه الثمانون :

بيان أن من قدم	إن كل من عارض بين الوحي والعقل ورد نصوص
العقل على النقل	الكتاب والسنة بالرأي الذي يسميه عقلاً لا بد أن ينقض
فلا بد أن يعادي	تلك النصوص المخالفة لعقله ويعاديها ، ويود أنها لم تكن
النصوص المخالفة	جاءت ، وإذا سمعها وجد لها على قلبه من الثقل والكراهة
لعقله	

(١) ظ : (الذباب) .

(٢) ظ : (ما قدر) .

(٣) ظ : (للمعارضين) .

(٥) ظ : (الوآ) .

(٤) ظ : (الجمس) .

بحسب حاله، واشمأز لها قلبه، والله يعلم ذلك من قلوبهم وهم يعلمونه أيضاً، حتى حمل جهماً الإنكار والبغض لقوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

على أن قال لو أمكنني كشطها من المصحف

كشطتها^(١) وحمل آخر^(٢) بغض قوله:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

على أن حَرَّفَهَا وقرأها بالنصب وكلم الله موسى تكليماً أي أن موسى هو الذي كلم الله وخاطبه والله لم يكلمه فقال له أبو عمرو ابن العلاء^(٣) فكيف تصنع بقوله:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فبهت المعطل، وجرى بيني وبين بعض رؤساء هؤلاء، مناظرة في مسألة الكلام، فقال: نحن وسائر الأمة نقول: القرآن كلام الله، لا ينازع في هذه الإضافة أحد، ولكن

(١) ظ، م: (كشطها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

والكشط سواء: في الرفع والإزالة والقلع والكشف قاله في اللسان ٣٨٨٣/٥، مادة كشط.

(٢) ظ، م: (أخرى)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ثم المازني البصري وقيل اسمه زبان وقيل العريان وقيل لا اسم له ولد سنة ٧٠. كان أبو عمرو من شيوخ القراء والعربية وقال إبراهيم الحربي وغيره وكان من أهل السنة. وثقه ابن معين وغيره وتوفي سنة ١٥٤.

سير أعلام النبلاء ٤٠٧/٦ - ٤١٠؛ تهذيب التهذيب ١٧٨/١٢ - ١٨٠؛ خلاصة تهذيب تهذيب الكمال، ص ١٤٥٦.

لا يلزم منها أن يكون الله بنفسه متكلماً، ولا أنه يتكلم، فمن أين لكم ذلك؟ فقال له بعض من كان معي من أصحابنا: قد قال النبي - صلى الله عليه وسلم: «إذا تكلم الله بالوحي»^(٢)، وقالت عائشة: «ولشأني كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحى يتلى»^(٢)، فرأيت الجهمي قد عبس وبسر وكلح وزوى وجهه عنه كالذي شم رائحة كريهة أعرض عنها بوجهه أو ذاق طعاماً كريهاً مرةً مذاقه، وهذا أمر^(٣) لم يزل عليه كل مبطل إذا واجهته بالحق المخالف له وصدتمته به، وقل من يتبصر منهم عند الصدمة الأولى، ولهذا قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا خرجت حلاوة الحديث من قلبه، وقال بعض رؤساء الجهمية إما بشر المريسي^(٤) أو غيره: ليس شيء أبغض لقلوبنا من القرآن فاقروا به ثم أوّلوه، وقال بشر أيضاً: إذا احتجوا عليكم بالقرآن فغالطوهم بالتأويل وإذا احتجوا بالأخبار فادفعوها

(١) سبق تحقيقه انظر، ص ٢١٨ .

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٤٦٥)، من طريق عائشة رضي الله عنها (بنحوه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، خ ٧٥٠٠ . ورواه مسلم ٤/٢١٣٥، في كتاب التوبة، باب في حديث الافك وقبول توبة القاذف، ح ٢٧٧٠، ولفظه عن عائشة قالت: ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل براءتي وحيًا يتلى ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله في بامر يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرؤني الله بها فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ في العشر الآيات .

(٣) ظ، م: (أمره)، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) بشر المريسي: سبقت ترجمته، ص ٧٨٦ .

بالتكذيب. وقال الإمام أحمد^(١): قَلَّ من نظر في الكلام إلا وفي قلبه غل^(٢) على الإسلام.

وجاء أفضل متأخريهم فنصب على حصون الوحي أربعة مجانيق^(٣).

الأول: أنها أدلة لفظية لا تفيد اليقين.

الثاني: أنها مجازات واستعارات لا حقيقة لها.

الثالث: أن العقل عارضها فيجب تقديمه^(٤) عليها.

الرابع: أنها أخبار آحاد، وهذه المسائل علمية، فلا يجوز أن يحتج فيها بالأخبار، ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء لا يجب تبليغ النصوص النبوية أو إظهارها وإشاعتها، وقد يشترطون في أماكن يقفونها أن لا يقرأ فيها أحاديث الصفات وكان بعض متأخريهم وهو أفضلهم عندهم كَلِفٌ^(٥) بإعدام

(١) جامع بيان العلم وفضله، ص ٣٦٥.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: دغل.

(٣) ظ، م: (مجانيق)، والمجانيق: جمع منجنيق بفتح الميم وكسرهما وهي القذاف التي ترمى بها الحجارة وهي كلمة أعجمية معربة أصلها بالفارسية (من جي نيك)، أي ما أجودني.

قال زفر بن الحارث:

لقد تَرَكْتِي مَنْجِنِقُ ابنِ بَحْدَلِ
أَحِيدُ عن العصفورِ حينَ يطيرُ
لسان العرب ٤١٤٢/٦، مادة مجنق.

(٤) م: (تقديمها)، وهو خطأ.

(٥) ظ: (كلا). وكلف بالشيء كلفاً وكلفه فهو كلف: لهج به، وكلف بها أشد الكلف أي أحبها ورجل مكلاف محب للنساء. والمعنى: أنه مغرم بإعدام كتب أهل السنة.

لسان العرب ٣٩١٦/٥، مادة كلف.

كتب السنة المصنفة في الصفات وكتمانها وإخفائها، وبلغني عن كثير منهم أنه كان يهيم بالقيام والانصراف عند ختم صحيح البخاري وما فيه من التوحيد، والرد على الجهمية، وسمع منه الطعن في محمد بن إسماعيل، وما ذنب البخاري، وقد بلغ ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم /، وقال آخر من هؤلاء: «لقد شان البخاري صحيحه بهذا الذي أتى به في آخره»، ومعلوم أن هذه مضادة صريحة لما يحبه الله ورسوله من التبليغ عنه حيث يقول: «ليبلغ الشاهد الغائب»^(١).

[١٤٠/١]

وقال: «بلغوا عني ولو^(٢) آية^(٣)» وقال: «نَصَّرَ اللهُ امرأ سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه»^(٤)، وقد ذم الله في

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١/١٥٧، ١٥٨، من طريق عبدالرحمن بن أبي بكر عن أبيه، في كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، رب مبلغ أوعى من سامع، ح ٦٧.

ورواه مسلم ٢/٩٨٧، ٩٨٨، من طريق أبي شريح العدوي، في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاتها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، ح ٤٤٦. ظ: (فلو آية).

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٦/٤٩٦)، من طريق عبدالله بن عمرو، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح ٣٤٦١.

رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٧/٤٣١، ٤٣٢)، في العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، ح ٢٨٠٦، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٧/٤١٧)، من طريق عبدالله بن مسعود، في أبواب العلم، باب في الحث على تبليغ السماع، ح ٢٧٩٥، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، قال المناوي «وإسناده صحيح» تحفة الأحوذى ٧/٤١٨.

=

كتابه الذين يكتُمون ما أنزله من البينات والهدى، وهؤلاء يختارون كتمان ما أنزل الله؛ لأنه يخالف^(١) ما يقولونه، ويعارض ما حكمت به عقولهم وآراؤهم، وهؤلاء الذين قال فيهم عمر: إنهم أعداء السنن^(٢) يوضحه.

الوجه الحادي والثمانون:

أَن كُلِّ مِنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِنْ نصوصِ الوحيِ ففيه من عداوة الله ورسوله بحسب ذلك، ومن^(٣) أحب نصوص الوحي ففيه من ولاية الله ورسوله بحسب ذلك، وأصل العداوة البغض كما أن أصل الولاية الحب، قال عبدالله بن مسعود: «لا يسأل أحدكم عن نفسه غير القرآن؛ فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله»، ومن تأمل قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

= رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (عون المعبود ١٠/٩٤، ٩٥)، من طريق زيد بن ثابت، في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ح ٣٦٤٣.

رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ ١/٤٩، من طريق عبدالله بن مسعود، في المقدمة، باب من بلغ علماً، ح ٢٤٦، طبعة الأعظمي.

(١) ظ، م: (مخالف)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) رَوَاهُ اللَّالِكَايِيُّ فِي كِتَابِهِ شَرْحَ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السَّنَةِ ١/١٢٣، رقم ٢٠١، وانظر: الشرح والإبانة على أصول الديانة لابن بطة العكبري، ص ١٢١.

وَذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي (فتح الباري ١٣/٢٨٩)، وعزاه للبيهقي من طريق الشعبي عن عمرو بن حريث عن عمر. ولفظه: «إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعييتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا».

(٣) ظ، م: (ما)، ولعل الصواب ما أثبت.

وجده منطبقاً على هؤلاء أتم انطباق فإنهم يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، والزخرف هو الكلام المزين كما يزين الشيء بالزخرف وهو الذهب، وهو الغرور^(١)؛ لأنه^(٢) يغر المستمع، والشبهات المعارضة للوحي هي كلام زخرف يغر المستمع:

﴿وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعِدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣].

فانظر إلى إصغاء المستجيبين لهؤلاء ورضاهم بذلك واقترافهم المترتب عليه فتأمل!! .

الوجه الثاني والثمانون:

وهو قوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

بيان أن من قدم العقل على النقل فقد زعم أن القرآن مجمل

وهذا يبين أن الحكم بين الناس هو الله عز وجل وحده، بما أنزله من الكتاب المفصل، كما قال في الآية الأخرى:

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾

[الشورى: ١٠].

وقال تعالى:

(١) ظ: (غرور).

(٢) م: (بأنه).

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ^(١) النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾
[البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ
اللَّهُ^{عَزَّ}﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
[النساء: ٦٥].

فقوله:

﴿أَفَظِيرُ اللَّهِ أَتَّبِعِي حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

استفهام إنكار، يقول: كيف أطلب حكماً غير الله، وقد
أنزل كتاباً مفصلاً، فإن قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ
الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ جملة في موضع الحال، وقوله: ﴿مُفَصَّلًا﴾
يبين أن الكتاب الحاكم مفصل بين، ضد ما يصفه به من
يزعم أن عقول الرجال وآراءهم تعارض بعض نصوصه،
وإن نصوصه خيلت وأفهمت خلاف الحق لمصلحة
المخاطب، وإن لها معان لا تفهم ولا يعلم / المراد منها،
أو أن لها تأويلات باطلة خلاف ما دللت عليه ظواهرها

(١) سقط لفظ الجلالة من ظ.

فهؤلاء كلهم ليس الكتاب عندهم مفصلاً، بل مجمل
مادل، أو لا يعلم: المراد منه خلاف ظاهره، أو إفهام
خلاف الحق، ثم قال:

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وذلك أن الكتاب الأول مصدق للقرآن فمن نظر فيه
علم (علماً) ^(١) يقيناً ^(٢)، أن هذا، وهذا من مشكاة واحدة
لا سيما في باب التوحيد والأسماء والصفات، فإن التوراة
مطابقة للقرآن في ذلك موافقة له وهذا يدل على أن ما في
التوراة من ذلك ليس هو من المبدل المحرف الذي أنكره الله
عليهم، بل هو من الحق الذي شهد للقرآن وصدقه، ولهذا
لم ينكر النبي - صلى الله عليه وسلم عليهم ما في التوراة من
الصفات، ولا عابهم به، ولا جعله تشبيهاً وتجسيماً وتمثيلاً،
كما فعل كثير من النفاة ^(٣)، وقالوا: اليهود أمة التشبيه
والتجسيم، ولا ذنب ^(٤) لهم في ذلك فإنهم فسروا ما في
التوراة، فالذي عابهم الله به من تأويل التحريف
والتبديل ^(٥) لم يعبهم به المعطلة النفاة بل شاركهم فيه،
والذي استشهد الله سبحانه على نبوة رسوله به من موافقة

(١) علماً: سقط من م.

(٢) ظ: يقيناً.

(٣) انظر: ما نقله ابن القيم عن الرسالة الأضحوية لابن سينا، ص ١٠٩٧.

(٤) م: (لا ذنب) بدون واو.

(٥) م: (والتشديد).

ما عندهم من التوحيد والصفات عابوهم به ونسبوهم فيه إلى التجسيم والتشبيه، وهذا ضد ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإنهم كانوا إذا ذكروا له شيئاً من هذا الذي تسميه المعطلة تجسيمياً وتشبيهاً صدقهم عليه، أو أقرهم ولم ينكره، كما صدقهم في خبر الخبر المتفق على صحته^(١) من حديث عبدالله بن مسعود، وضحك / تعجباً وتصديقاً له، وفي غير ذلك، ثم قال:

[١٤١/١]

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾

[الأنعام: ١١٥].

فقرر^(٣) أن ما أخبر به فهو صدق، وما أمر به فهو عدل، وهذا يبين^(٤) أن ما في النصوص من الخبر فهو صدق، علينا أن نصدق به، لا نعرض عنه ولا نعارضه ومن دفعه أو عارضه بعقله لم يصدق به، ولو صدقه تصديقاً

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٣/٣٩٣)، من طريق عبدالله بن مسعود، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِيَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ح ٧٤١٤. ورواه مسلم ٤/٢١٤٧، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح ١٩، ولفظه عن عبدالله «أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يمك السماوات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والخلائق على أصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وفي رواية، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً له.

(٢) ظ، م: (كلمات)، وهي قراءة، انظر: ص ١٠٠٢.

(٣) ظ، م: (فقدن)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) ظ، م: (يعين)، ولعل الصواب ما أثبت.

مجملاً ولم يصدقه تصديقاً مفصلاً في أعيان ما أخبر به لم يكن مؤمناً، ولو أقر بلفظه مع جحد معناه، أو حرفه إلى معانٍ آخر غير ما أريد به، لم يكن مصدقاً، بل هو إلى التكذيب أقرب.

الوجه الثالث والثمانون:

أنه سبحانه أخبر أن كل حكم خالف حكمه الذي أنزله على رسوله فهو من أحكام الهوى، لا من أحكام العقل، وهو من أحكام الجاهلية، لا من حكم العلم والهدى، فقال تعالى:

بيان أن كل حكم خالف حكم الله فهو من أحكام الهوى لا من أحكام العقل

﴿وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ إِن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ (١) بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

[المائدة: ٤٩، ٥٠].

فأخبر سبحانه وتعالى: أنه ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى، الذي يضل عن سبيله وليس وراء حكمه إلا حكم الجاهلية، وكل هذه الآراء والمعقولات (٢) المخالفة لما جاء به الرسول، هي من قضايا الهوى وأحكام الجاهلية، وإن سماها أربابها بالقواطع العقلية، والبراهين اليقينية كتسمية المشركين أوثانهم وأصنامهم آلهة، وتسمية المنافقين السعي في الأرض بالفساد وصد القلوب عن الإيمان إصلاحاً وإحساناً وتوفيقاً وقال تعالى:

(١) ظ: (يصبههم)، وهو خطأ. (٢) م: (والعقول).

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ^(١) أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال:

﴿وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ^(٢) بَعْدَ^(٣) الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال:

﴿وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال:

﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ^ط وَأَسْتَقِمْ^ط كَمَا أُمِرْتُ^ط وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ^ط﴾ [الشورى: ١٥].

وقال:

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وهؤلاء وإن أقروا^(٤) بالفاظ الوحي، فقد كذبوا بمعاني آياته وجحدوا حقائقها، ولهذا اتفق السلف على تسميتهم

(١) ظ: (فاسلم).

(٢) (أهواءهم): سقط من ظ.

(٣) ظ: (بغير)، وهو خطأ.

(٤) م: (وإن قروا)، بدون الهمزة.

أهل الأهواء وأخبروا أن سبب ظهورهم خفاء السنن كما قال
عبدالله بن المبارك إذا خفيت السنة ظهرت الأهواء، وإذا قل
العلم ظهر الجفاء، بل أهل الأهواء أحسن حالاً من
المعارضين للوحي بعقولهم؛ فإنهم عند السلف إنما سموا
أهل الأهواء، لأنهم تأولوا النصوص على تأويلات نزلوها
على أهوائهم وهؤلاء عارضوا بينها وبين معقولاتهم.

الوجه الرابع والثمانون:

أن من عارض نصوص الوحي بالعقل لزمه لازم من (١)
خسة لا محيد له البتة، إما تكذيبها، أو كتمانها، وإما
تحريفها، وإما تخيلها، وإما تجهيلها وهون نسبة المصدقين لها
إلى الجهل: إما البسيط وإما المركب، وفساد اللازم يدل على
فساد الملزوم (٢).

بيان أن من عارض
الوحي بالعقل فقد
لزمه لازم من خسة
لوازم

وبيان الملازمة أنه / إذا اعتقد أن العقل يخالف ظاهرها
فقد اعتقد أن ظاهرها باطل ومحال فيما أن يقر بلفظها، وإن
الرسول جاء به أولاً، فإن لم يقر بذلك فهو مكذب وإن أقر
بألفاظها، فيما أن يقر بأنه أراد معانيها وحقائقها أم لا. فإن
أقر بذلك لزمه اعتقاد التخيل فيها والخطاب الجمهوري،
وإن لم يقر بأنه أراد حقائقها وما دلت عليه، فيما أن يقول:
إنه أراد خلاف ظواهرها وحقائقها أولاً، فإن قال: أراد
خلاف حقائقها وظواهرها، لزمه (٣) التحريف والتأويل

[١٤٢/١]

(١) ظ، م: (في)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (اللازم)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (لزم)، ولعل الصواب ما أثبت.

الباطل، وإن قال: لم يرد ذلك فيما أن يقول لم يرد بها معنى أصلاً، بل هي بمنزلة الألفاظ المهملة، التي لا معنى لها أويقول: أراد بها معنى لا يفهمه ولا يعرفه، وهذا هو التجهيل، وقد ذهب إلى كل تقدير من هذه التقادير طائفة من الناس^(١)، وقد ذم الله سبحانه الجميع، قال تعالى:

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا قُلُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضِبُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٩].

فدم سبحانه وتعالى المحرفين لكتابه، والأمين، الذين لا يعلمون منه إلا مجرد التلاوة، وهي الأمانى، والذين يكتبون فيكتبون الباطل ويقولون هذا حق وهو من عند الله، وذم في عدة مواضع الذين يكتبون ما أنزله من الكتاب والبيئات والهدى وهذه الأنواع الأربعة المذمومة موجودة في هؤلاء المعارضين عن نصوص الوحي المعارضين لها بأرائهم

(١) انظر، ص ٤١٨. وما بعدها.

وعقولهم وأهوائهم، فإنهم تارة يكتمون الأحاديث والآيات المخالفة لأقوالهم، ومنهم طوائف تضع أحاديث على وفق مذاهبهم وأهوائهم في الأصول والفروع، ويقولون هذا من عند الله، وتارة يضعون كتباً بآرائهم وعقولهم، وأذواقهم^(١)، وخيالاتهم ويدعون أنها الدين الذي يجب اتباعه ويقدمونها على نصوص الوحي.

وأما تحريفهم للنصوص بأنواع التأويلات الفاسدة التي يحرفون بها الكلم عن مواضعه، فأكثر وأشهر من أن تذكر، كتأويلات القرامطة^(٢) والباطنية^(٣) والفلاسفة^(٤) والرافضة^(٥) والجهمية^(٦) والقدرية^(٧).

وأما التخيل: فكثير منهم يصرحون بأن الرسل قصدت من النصوص إفهام خلاف الحق للمصلحة الجمهورية.

وأما التجهيل: فكثير منهم يصرحون بأن هذه النصوص لا معنى لها، وإنما هي ألفاظ مجردة، ومن أحسن منهم وأجمل يقول لها معان استأثر الله بعلمها، ولم يجعل^(٨) لنا سبيلاً إلى العلم بها، وأكثر هذه الطوائف لا يعرف الحديث

(١) ظ، م: (وإذا وافقهم)، والصواب ما أثبت.

(٢) القرامطة: سبق التعريف بهم، ص ٢٩٩.

(٣) الباطنية: سبق التعريف بهم، ص ٣٠٣.

(٤) الفلاسفة: سبق التعريف بهم، ص ١٩١.

(٥) الرافضة: سبق التعريف بهم، ص ٢١٦.

(٦) في ط: (الجهمية).

(٧) القدرية: سبق التعريف بهم، ص ٢١٩.

(٨) م: (ولم يجعله).

ولا يسمعه، وكثير منهم لا يصدق به إذا سمعه، ثم إذا صدقوا به فإن تحريفهم له وإعراضهم عن معانيه أعظم من تحريف القرآن والإعراض عنه، ولهذا يقر بعض هؤلاء بما في القرآن من الصفات دون ما في الحديث وحده.

الوجه الخامس والثمانون:

بيان أنواع
المعارضين للوحي
بآرائهم الجهمية
والمعتزلة

إن المعارضين للوحي بآرائهم خمس طوائف:

طائفة عارضته بعقولهم في الخبريات، وقدمت عليه العقل، فقالوا لأصحاب الوحي: لنا العقل ولكم النقل^(١).

أهل الرأي من
الفقهاء [١٤٣/١]

وطائفة عارضته بآرائهم وقياساتهم، فقالوا لأهل الحديث: لكم الحديث ولنا الرأي / والقياس.

وطائفة عارضته بحقائقهم وأذواقهم، وقالوا: لكم الصوفية الشريعة ولنا الحقيقة.

وطائفة عارضته بسياساتهم وتدبيرهم، فقالوا: أنتم أصحاب السياسة وأصحاب الشريعة ونحن أصحاب السياسة.

وطائفة عارضته بالتأويل الباطن فقالوا أنتم أصحاب الباطنية الظاهر ونحن أصحاب الباطن.

ثم إن كل طائفة من هذه الطوائف لا ضابط لما تأتي به من ذلك، بل ما تأتي به تبع^(٢) لأهوائها، كما قال تعالى:

(١) ظ، م: (لنا النقل ولكم العقل)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (تبع)، والصواب ما أثبت.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[القصص: ٥٠].

وقال:

﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[المائدة: ٤٩].

فما هو إلا الهوى^(١) أو الوحي، كما قال تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

فجعل النطق نوعين: نطقاً عن الوحي ونطقاً عن الهوى، ثم إذا رد على كل من هؤلاء باطله رجع إلى طاغوته وقال في العقل ما لا يقتضيه النقل، وقال الآخر في الرأي والقياس ما لا يميزه الحديث، وقال الآخر في الذوق والحقيقة ما لا تسوغه الشريعة، وقال الآخر في السياسة ما تمنع منه الشريعة، وقال الآخر في الباطن ما يكذبه الظاهر فباطل هؤلاء كلهم لا ضابط له. بخلاف الوحي، فإنه أمر مضبوط مطابق لما عليه الأمر في نفسه تلقاه الصادق المصدوق من لدن حكيم عليم.

الوجه السادس والثمانون:

أن الصحابة كانوا يستشكلون بعض النصوص فيه، فيوردون إشكالاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم فيجيبهم عنها، وكانوا يسألونه عن الجمع بين النصوص التي

بيان أن الصحابة لم يعارضوا الوحي بعقولهم وإنما كان ذلك فعل الكفار

(١) ظ، م: (فما هو إلا الوحي أو الوحي)، والصواب ما أثبت.

يوهم ظاهرها التعارض، ولم يكن أحد منهم يورد عليه معقولاً يعارض النص البتة، ولا عرف فيهم أحد - وهم أكمل الأمم عقولاً - عارض نصاً بعقله يوماً من الدهر، وإنما حكى الله سبحانه ذلك عن الكفار، كما تقدم، وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من نوقش الحساب عذب»، فقالت عائشة: يا رسول الله، أليس الله يقول:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾

[الانشقاق: ٧، ٨].

فقال: «بلى ولكن ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب»^(١)، فأشكل عليها الجمع بين النصين حتى بين لها صلوات الله وسلامه عليه أنه لا تعارض بينهما وأن الحساب اليسير هو العرض الذي لا بد أن يبين الله فيه لكل عامل عمله، كما قال تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

حتى إذا ظن أنه لن ينجو نجاه الله تعالى بعفوه ومغفرته ورحمته فإذا ناقشه الحساب عذبه ولا بد، ولما قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» قالت له حفصة: «أليس الله يقول:

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١/١٩٦، ١٩٧)، من طريق عائشة في كتاب العلم -

باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، ح ١٠٣.

ورواه مسلم (٤/٢٢٠٤) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب إثبات الحساب،

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

قال: ألم تسمعي قوله تعالى:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾^(١)

[مريم: ٧٢].

فأشكل عليها الجمع بين النصين وظنت الورود^(٢)

دخولها، كما يقال ورد المدينة إذا دخلها فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: بأن ورود المتقين غير ورود الظالمين^(٣)، فإن

(١) رواه مسلم (١٩٤٢/٤) من طريق مبشر في كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل أصحاب الشجرة، ح ١٦٣. وأول الحديث: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، دون قول حفصة.

رواه الترمذي (٣٨١/٩، ٣٨٢) من طريق جابر بن عبد الله في أبواب المناقب - باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة. وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد في المسند (٣٥٠/٣) من طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وقد روى الحديث - سوى مسلم - مع قول حفصة (ابن ماجه ١٤٣١/٢) من طريق جابر عن أم مبشر في كتاب الزهد - باب ذكر البعث، ح ٤٢٨١. وقال في الزوائد، حديث حفصة: رجاله ثقات إن كان أبوسفيان سمع من جابر بن عبد الله. ورواه أحمد في المسند ٣٦٢/٦ من طريق أم مبشر.

ولفظ أحمد: «لا يدخل النار أحد شهد بداراً والحديبية». ولفظ ابن ماجه قريب منه.

ورواه ابن جرير الطبري (٨٥/١٦) بسنده عن جابر عن أم مبشر.

وقال السيوطي في الدر المنثور ٢٨٢/٤: أخرجه ابن سعد وأحمد وهناد وابن ماجه وابن المنذروا بن أبي حاتم وابن الأنباري والطبراني وابن مردويه عن أم مبشر.

(٢) ظ، م: (الورد)، والصواب ما أثبتته.

(٣) وذلك فيها رواه الإمام أحمد في المسند ٣٢٩/٣، عن أبي سمية قال: اختلفنا ههنا في

الورود، فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا يدخلونها جميعاً، ثم ينجي الله

الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله، فقلت له إنا اختلفنا في ذلك الورود، فقال بعضنا

لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعاً فأهوى بإصبعه إلى أذنيه وقال صُمَّتا إن =

المتقين يردونها وروداً ينجون^(١) به من عذابها، والظالمين يردونها وروداً يصيرون جثياً فيها به، فليس الورود كالورود، وقال عمر يوم الحديبية: «ألم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به»، فقال: «هل قلت لك: إنك تدخله العام؟» قال: لا، قال: «فإنك آتية ومطوف به»^(٢)، فأشكل على عمر رجوعهم عام الحديبية ولم يدخلوا المسجد الحرام ولا طافوا بالبيت وظن أن الدخول والطواف الذين بشرهم به ووعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك العام فبين له أن / اللفظ مطلق لا دليل فيه على ذلك العام بعينه فتزيله على ذلك العام غلط فرجع عمر وعلم أنه غلط في فهمه، ولما أنزل الله عز وجل:

[١٤٤/١]

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، جاءت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءاً، فقال: يا أبا بكر، ألسنت

= لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود والدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار، أو قال لجهنم، ضجيجاً من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً.

(١) ظ: كرر (وروداً ينجون).

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٣٣٢/١٥) من طريق المسورين مخرمة ومروان في كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ح ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

ورواه أحمد في المسند ٤/٣٣٠، ٣٣١.

تنصب، ألتست تحزن، أليست تصيبك اللأواء^(١)؟ قال: بلى. قال: فذلك مما تجزون به^(٢). فأشكل على الصديق أمر النجاة مع هذه الآية، وظن أن الجزاء في الآخرة ولا بد، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أن جزاءه وجزاء المؤمنين بما يعملونه من السوء في الدنيا بما يصيبهم من النصب والحزن والمشقة والأواء^(٣) فيكون ذلك كفارة لسيئاتهم ولا يعاقبون عليها في الآخرة وهذا مثل قوله:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾

[الشورى: ٣٠].

ومثل قوله:

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾

[النساء: ٧٩].

(١) ظ، م: (أليس يصيبك الأذى)، وما أثبتته من الحديث.

(٢) رواه أحمد في المسند ١١/١ من طريق أبي بكر الثقفي.

ورواه الحاكم في المستدرک ٧٤/٣، ٧٥ من طريق أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، في كتاب معرفة الصحابة في توضيح معنى «مَنْ يَعْمَلُ سُوءاً يُجْزَ بِهِ»، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قال العلامة أحمد شاکر (المسند ١٨١/١، ١٨٢): إسناده ضعيف لانقطاعه فإن أبا بكر بن أبي زهير الثقفي من صغار التابعين ثم هو مستور لم يذكر بجرح ولا تعديل.. ثم ذكر تصحيح الحاكم وموافقة الذهبي له فقال: وهو عجب منها فإن انقطاع إسناده بين.

(٣) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. ومنه الحديث السابق: «ألتست تحزن، ألتست تصيبك اللأواء».

لسان العرب ٣٩٧٨/٥ - مادة: لأى.

وقوله:

﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِكَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْنَا إِنَّ هَذَا قَوْلُ
هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وإن كان قوله:

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

أعم لأنه يتناول الجزاء في الدنيا والآخرة، ولما نزل قوله

تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال الصحابة: وأينا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم؟

قال: ذلك الشرك، ألم تسمعوا قول العبد الصالح:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١) [لقمان: ١٣].

فلما أشكل عليهم المراد بالظلم، وظنوا أن ظلم النفس داخل فيه، وأن من ظلم نفسه أي ظلم كان لا يكون آمناً، أجابهم – صلوات الله وسلامه عليه – بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق، هو الشرك، وهذا والله الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل، فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي [هو]^(٢) وضع العبادة في غير موضعها،

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٦/٤٦٥) في كتاب الأنبياء – باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ...﴾ الآية، من طريق عبد الله بن مسعود، ح ٣٤٢٩.

ورواه مسلم (١١٤/١) في كتاب الإيمان – باب صدق الإيمان وإخلاصه، ح ١٩٨.

(٢) (هو): ليست في ظ، م، والصواب إثباتها.

والأمن والهدى المطلق: هو الأمن في الدنيا والآخرة والهدى إلى الصراط المستقيم، فالظلم المطلق التام [مانع من الأمن والهدى المطلق]^(١) ولا يمنع ذلك أن يكون مطلق الظلم مانعاً من مطلق الأمن ومطلق الهدى، فتأمل.

فالطلق للمطلق والحصّة للحصّة^(٢)، ولما أنزل الله

سبحانه قوله:

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾
[البقرة: ٢٨٤].

أشكل ذلك على بعض الصحابة وظنوا أن ذلك من تكليفهم ما لا يطيقونه فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يقابلوا النص بالقبول لا بالعصيان^(٣) فبين الله سبحانه وتعالى بعد ذلك: «أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وأنه لا يؤاخذهم بما نسوه وأخطأوا فيه، وأنه لا يحمل عليهم إصراراً كما حمله على الذين من قبلهم وأنه لا يحملهم ما لا طاقة لهم به، وأنهم إن قصروا في بعض ما أمروا به أوتوا عنه ثم استغفوه واستغفروه عفى عنهم وغفر لهم ورحمهم، فانظر ماذا أعطاهم الله لما قابلوا خبره بالرضا

(١) مانعاً من الأمن والهدى المطلق): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٢) م: (والمقيد للمقيد). وقال في الهامش كذا في الأصل والأشبه أن يكون والمقيد بمقيد.

(٣) حديث قاله صلى الله عليه وسلم: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من

قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ».

والحديث رواه مسلم (١١٥/١) من طريق أبي هريرة في كتاب الإيمان - باب بيان

أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، ح ١٩٩.

والتسليم والقبول والانقياد دون المعارضة والرد ومن ذلك أن عائشة لما سمعت قوله - صلى الله عليه وسلم - إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه عارضته بقوله تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١) [الأنعام: ١٦٤].

ولم تعارضه بالعقل بل غلظت الراوي، والصواب عدم المعارضة وتصويب الرواة، فإنهم^(٢) ممن لا يتهم، وهم عمر وابنه والمغيرة بن شعبة وغيرهم، والعذاب الحاصل للميت / بيبكاء أهله عليه، وهو تأله وتأذيه ببيكائهم عليه، والوزر^(٣) المنفي حمل غير صاحبه له هو عقوبة البريء، وأخذه بجرمة غيره، وهذا لا ينفي تأذي البريء السليم بمصيبة غيره، فالقوم لم يكونوا يعارضون النصوص بعقولهم وآرائهم وإن كانوا يطلبون الجمع بين نصين يوهم ظاهرهما التعارض^(٤) ولهذا لما عارض بلال بن عبدالله قوله - صلى

[١٤٥/١]

(١) وفي الحديث: فقال ابن عباس: فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة، فقالت: يرحمه الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد»، ولكن قال: «إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه». قال: وقالت عائشة: حسبكم القرآن: ولا تزر وازرة وزر أخرى... الحديث.

ورواه البخاري (فتح الباري ٣/١٥١، ١٥٢) من طريق ابن عباس في كتاب الجنائز - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يعذب الميت ببكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته»، ح ١٢٨٨.

ورواه مسلم (٦٤٢/٢) في كتاب الجنائز - باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ص ٢٣.

(٢) ظ، م: (فإنه)، والصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (الوزرا).

(٤) ظ: (العارض).

الله عليه وسلم: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» برأيه وعقله وقال: «والله لمنعهن» أقبل عليه أبوه عبدالله فسيبه سباً ما سيبه مثله، وقال: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: «والله لمنعهن»^(١)، ولما حدث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن الحياء خير كله»^(٢)، فعارضه معارض بقوله: «إن منه وقاراً ومنه ضعفاً» فاشتد^(٣) غضب عمران بن حصين وقال: أحدثك^(٤) عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [وتقول]^(٥) منه^(٦) كذا ومنه كذا، وظن أن المعارض زنديق

(١) رواه مسلم (٣٢٧/١) عن طريق عبدالله بن عمر في كتاب الصلاة - باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة، ح ١٣٦.

(٢) رواه مسلم (٦٤/١) من طريق عمران بن حصين في كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد، صلى الله عليه وسلم، رسولاً، فهو المؤمن وإن ارتكب المعاصي والكبائر، ح ٦. ورواه أحمد في المسند ٤٢٧/٤.

ولفظه عن عمران بن حصين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحياء خير كله، قال: أو قال: الحياء كله خير، فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة أن منه سكينه ووقاراً لله ومنه ضعفاً. قال: فغضب عمران حتى احمرتا عيناه وقال: ألا أراي أحدثك عن رسول الله وتعارض فيه؟ قال: فأعاد عمران الحديث، قال فأعاد بشير فغضب عمران، قال: فمازلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به. اهـ.

(٣) ظ، م: (واشتد)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) ظ: (أو أحدثك).

(٥) (وتقول): ليست في ظ، ولا، م، وبها تستقيم العبارة.

(٦) ظ، م: (أمنه). ونص العبارة في الحديث: «وقال ألا أراي أحدثك عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم وتعارض فيه» (صحيح مسلم ٦٤/١).

فقليل له: يا عبدالله، لا بأس به، ولما حدث عبادة بن الصامت بقول النبي صلى الله عليه وسلم الفضة بالفضة رباً إلا هاء، وهاء... الحديث^(١)، قال معاوية: ما أرى بهذا بأساً، يعني بيع آنية الفضة بالفضة متفاضلاً غضب عبادة. وقال: تراني أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول: ما أرى بهذا بأساً، لا أساكنك بأرض أنت بها أبداً ومعاوية لم يعارض النص بالرأي، وكان أتقى الله من ذلك، وإنما خصص عمومه وقيد مطلقه بهذه الصورة، وما شابهها، ورأى أن التفاضل في مقابل أثر الصنعة لم^(٢) يدخل في الحديث، وهذا مما يسوغ فيه الاجتهاد وإنما أنكر عليه عبادة مقابلته لما رواه بهذا الرأي ولوقال له نعم، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرأس والعين^(٣)، ولا يجوز مخالفته بوجه، ولكن هذه الصورة لا تدخل في لفظه؛ فإنه إنما قال: «الفضة بالفضة مثلاً بمثل وزناً بوزن» وهذه الزيادة ليست في مقابلة الفضة، وإنما هي في مقابلة الصنعة ولا تذهب الصنعة هدراً لما أنكر عليه عبادة، فإن هذا من تمام فهم النصوص وبيان ما أريد بها، كما أنه هو^(٤)

(١) رواه مسلم (٣/١٢١٠) من طريق عبادة بن الصامت في كتاب المساقاة - باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، ح ٨٠.

(٢) ظ، م: (فلم)، ولعل الصواب حذف الفاء.

(٣) ظ: (والعينين).

(٤) أي معاوية، كما في المصنف، لابن أبي شيبة ٢٧٤/١١ عن عبدالله بن معقل قال: ما رأيت قضاء بعد قضاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن من قضاء قضى به معاوية في أهل الكتاب، قال: نرثهم ولا يرثوننا كما يحل لنا النكاح فيهم ولا يحل لهم النكاح فينا. وانظر فتح الباري ٥٠/١٢.

ومعاذ بن جبل^(١) وغيرهما من الصحابة لما ورثوا المسلم من الكافر ولم يورثوا الكافر من المسلم لم^(٢) يعارضوا قوله: «لا يرث^(٣) المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»^(٤) بآرائهم وعقولهم، بل قيدوا مطلق هذا اللفظ أو خصوا عمومها، وظنوا أن المراد به الحربي كما فعل ذلك بعض الفقهاء بقوله: «لا يقتل مسلم بكافر»^(٥)، حيث حملوه على الحربي دون الذمي والمعاهد، والصحابة في ذلك التقييد والتخصيص أعذر من هؤلاء من وجوه كثيرة ليس هذا موضعها، وقد كان السلف يشدد عليهم معارضة النصوص بآراء الرجال، ولا يقرون المعارض على ذلك، وكان

(١) كما في المصنف، لابن أبي شيبة ٢٧٤/١١ عن أبي الأسود الدؤلي قال: كان معاذ باليمن فارتفعوا إليه في يهودي مات وترك أخاه مسلماً، فقال معاذ: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الإسلام لا يزيد ولا ينقص فورثه». ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢٥٥/٦.

وقال ابن حجر في الفتح ٥٠/١٢، وأخرج أحمد بن منيع بسند قوي عن معاذ أنه كان يورث المسلم من الكافر بغير عكس. قال الحافظ ابن حجر: وبه قال مسروق وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي وإسحاق.

وانظر كلام ابن حجر في هذه المسألة في الفتح ٥٠/١٢، ٥١.

(٢) ظ، م: (ولم).

(٣) م: (لا يورث).

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٥٠/١٢) من طريق أسامة بن زيد في كتاب الفرائض - باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وإذا أسلم قبل أن يقسم الميراث فلا ميراث له، ح ٦٧٦٤.

ورواه مسلم (١٢٣٣/٣) من طريق أسامة بن زيد في كتاب الفرائض - المقدمة، ح ١.

(٥) الحديث سبق تحقيقه ص ٥٠٧.

عبدالله بن عباس يحتج في مسألة متعة الحج بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره لأصحابه بها، فيقولون له: إن أبا بكر وعمر أفردا الحج ولم يتمتعا فلما أكثروا عليه، قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول لكم قال رسول الله، وتقولون قال أبو بكر وعمر»، فرحم الله ابن عباس كيف لورأى أقواماً يعارضون قول الله ورسوله بقول أرسطو^(١) وأفلاطون^(٢) وابن سينا^(٣) والفارابي^(٤) وجهم بن صفوان^(٥) وبشر المريسي^(٦) وأبي الهذيل العلاف^(٧) وأضرابهم.

ولقد سئل عبدالله بن عمر عن متعة الحج فأمر بها فقليل له: إن أباك نهى عنها، فقال: إن أبي لم يرد ما تقولون فلما أكثروا عليه قال: «أفرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوا أم عمر»^(٨)، ولما حدث حماد^(٩) عن ثابت عن أنس

-
- (١) أرسطو: سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٣. (٢) أفلاطون: سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٤.
(٣) ابن سينا: سبق ذكر ترجمته، ص ٧٦٤. (٤) الفارابي: سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٥.
(٥) جهم بن صفوان: سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٦.
(٦) بشر المريسي: سبق ذكر ترجمته، ص ٧٨٦.
(٧) العلاف: سبق ذكر ترجمته. ٧٨٦.
(٨) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢١/٥.

وقال النووي في المجموع شرح المذهب ٣٥/٧: رواه البيهقي عن سالم بإسناد صحيح. اهـ.

ولفظه: «فكتاب الله أحق أن يتبع أم عمر؟».

وفي رواية أخرى عن سالم قال: كان ابن عمر يفتي بالذي أنزل الله تعالى من الرخصة في التمتع وفيه: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوا أم عمر».

(٩) ظ، م: (حميد)، وما أثبتته من الحديث كما في الترمذي ٤٥١/٨.

عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله:

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال: وضع إصبعه على طرف^(١) خنصره فساخ الجبل
أنكر عليه بعض الحاضرين، وقال أتحدث بهذا فضرب
حماد^(٢) في صدره وقال: أحدثك عن ثابت عن أنس عن
النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: أتحدث بهذا^(٣)، وهذا

(١) ظ، م: (ظفر)، وما أثبتته من الحديث.

(٢) ظ، م: (حميد)، ولعل الصواب ما أثبت. انظر تحقيق الحديث.

(٣) أصل الحديث رواه الترمذي (٤٥١/٨) من طريق ثابت عن أنس، في أبواب التفسير،
تفسير سورة الأعراف، ح ٥٠٦٩. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب
لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، وذكر طريقاً آخر وقال: هذا حديث حسن.
ورواه أحمد في المسند (٢٠٩/٣) دون قصة حميد.

ورواه الحاكم مع قصة حميد (٣٢٠/٢، ٣٢١) من طريق ثابت عن أنس في كتاب
التفسير، تفسير سورة آل عمران وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه
الذهبي. ولفظه: «عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل:

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾.

قال حماد: هكذا، ووضع الإبهام على مفصل الخنصر الأيمن، قال: فقال
حميد لثابت تحدث بمثل هذا، قال، فضرب ثابت صدر حميد ضربة بيده وقال:
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث به وأنا لا أحدث». اهـ.

ورواه ابن جرير الطبري (٢٧/٩) بنحوه. ورواه أبو الشيخ وابن مردويه كما في الدر
المشور. ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ٧٥.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٢١٠/١.

وذكره الحفاظ ابن كثير في تفسيره ٢٤٤/٢. وقال: رواه أبو محمد الحسن بن محمد بن
علي الخلال من طريق حماد بن سلمة. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح لا علة فيه.

وقال ابن الجوزي، رحمه الله: وهذا حديث لا يثبت، الموضوعات ١٢٢/١. =

كثير جداً^(١) لا يتسع له هذا الموضوع فكانت نصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل في صدورهم وأعظم في قلوبهم من أن يعارضوها بقول أحد من الناس كائناً من كان ولا يثبت قدم الإيمان إلا على ذلك، وفتح باب هذه المعارضة الباطلة سد لباب الإيمان، والله المستعان.

الوجه السابع والثمانون:

إن حقيقة قول المعارضين بين النصوص الإلهية النبوية، وآراء الرجال، وتقديم الآراء عليها أن لا يحتج بالقرآن والسنة على / شيء من المسائل العلمية، بل ولا يستفاد التصديق الجازم بشيء من أخبار الله ورسوله البتة فإذا^(٢) جاز أن يكون فيما أخبر الله به ورسوله في الكتاب والسنة أخبار يعارضها صريح العقل، ويجب تقديم العقل عليها، من غير بيان من الله ورسوله للحق الذي يطابق مدلول العقل، ولا المعاني^(٣) تلك الأخبار المناقضة لصريح العقل، فالإنسان لا يخلو من حالين:

بيان أن تقديم العقل
يؤدي إلى عدم
الاحتجاج بالقرآن
والسنة
[١٤٦/١]

= وتعقبه السيوطي وقال: هذا حديث صحيح، رواه خلق عن حماد وأخرجه الأئمة من طرق عنه وصححوه اللآلئ المصنوعة ٢٥/١ .
وقد ذكر ابن القيم أن حميداً هو المنكر لا المنكر عليه وهذا يخالف روايات الحديث السابقة، فلعل العبارة: فضرِبَ حميداً، فيكون حميد مفعولاً به إلا أن المؤلف لم يذكره باسمه فقال: فأنكر عليه بعض الحاضرين فيكون الأصح منها أن يقال: فضرِبَ حماد في صدره، أي صدر من أنكر عليه وهو حميد.

(١) ظ، م: (وهذا كثير عليهم جداً)، والصواب حذف عليهم.

(٢) (إذا): كررا في ظ.

(٣) ظ: (المعاني).

فإنه إذا سمع النصوص التي أخبر الله ورسوله فيها عما لا يدركه عقله، فإما أن يقدر أن له رأياً مخالفاً للنص أو ليس له رأي يخالفه، فإن كان عنده معقول بزعمه يناقض خبر الله ورسوله، قدم معقوله^(١)، وألقى خبر الله ورسوله، وحينئذ، فكل من اقتضى عقله مناقضة خبر من أخبار الله ورسوله قدم عقله، ولم يستفد بخبر الرسول العلم بثبوت^(٢) محبره، ولم يستفد منه فائدة علمية، بل غايته أن يستفيد إتعاب قلبه، وإعمال فكره، فيما يحتمله ذلك اللفظ، من المعاني التي لا يدل عليها الخطاب، ليصرف دلالة الخطاب إليها، ومعلوم أن المقصود من الخطاب الإفهام، وهذا لم يستفد من الخطاب الإفهام ولا الصواب، فإن الحق إنما استفاده من عقله والمعنى الذي دل عليه الخطاب الدلالة المألوفة لم يقصد بالخطاب إفهامه، والمعنى البعيد الذي صرف اللفظ إليه وحمله عليه، وهو عالم بثبوته بدون الخطاب فلم يكن في خطاب الله ورسوله عند هؤلاء فائدة علمية البتة، ولقد^(٣) صرحوا بهذا وقالوا المقصود تعريض متأوليه للشواوب ومضمون هذا أن نصوص^(٤) الوحي إنما أفادت تضليل الإنسان، وإتعاب الأذهان والتفريق بين أهل الإيمان، وإلقاء العداوة بينهم والشنآن وتمكين أهل الإلحاد من الطعن في القرآن والإيمان،

(١) ظ، م: (منقوله)، والصواب ما أثبت.

(٢) في ظ: (يكبوت).

(٣) ظ: (ولد).

(٤) ظ: (النصوص).

هذا إن كان في عقله معارض لخبر الله ورسوله وإن لم يكن الحالة الثانية عنده معقول يعارض النصوص لم يجزم بأنه ليس في عقول جميع الناس ما يعارض ذلك الخبر، وعدم العلم بالمعارض لا يستلزم العلم بعدمه، فهو يجوز أن يكون ثم معارض ولا علم له به، وهذا يمنع الجزم بالتصديق قطعاً، كما تقدم التنبيه عليه^(١)، فظهر أن هذه الطريقة تمنع التصديق الجازم فيما أخبر به الرسول من الغيب وتحول بين القلب وبين الإيمان.

ويكسر المسألة أنه متى جوز أن يكون في العقل ما يناقض خبر الله ورسوله امتنع منه الإيمان الجازم. والإيمان اليقيني الجازم وهذا التجوز لا يجتمعان أبداً. يوضحه.

الوجه الثامن والثمانون:

أن المعقولات ليس لها ضابط يضبطها، ولا هي منحصرة في نوع معين، فإنه ما من أمة من الأمم إلا ولهم عقليات يختصون بها، فللفرس عقليات، وللهند عقليات، ولليونان عقليات، وللمجوس^(٢) عقليات، وللصابئة^(٣) عقليات، بل كل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين على العقليات، بل بينهم فيها من الاختلاف والتباين ما هو معروف عند المعتنين به، ونحن نعفيكم من المعقولات

بيان أن المعقولات
ليس لها ضابط
بمصرها

(١) انظر: ص ٩٠٠.

(٢) المجوس: سبق التعريف بهم، ص ٣٤٩.

(٣) الصابئة: سبق التعريف بهم، ص ١٦٢.

واضطرابها ونحاكمكم إلى المعقولات التي في هذه الأمة؛ فإنه ما من مدة من المدد وإلا وقد ابتدعت فيها بدع يزعم أربابها أن العقل دل عليها ونحن نسوق لك الأمر من أوله إلى أن يصل إليك بعون الله وحسن توفيقه، فنقول: لما أظلمت الأرض وبعُد عهد أهلها بنور الوحي، وتفرقوا في الباطل فرقاً وأحزاباً، لا يجمعهم جامع، ولا يحصيهم إلا الذي خلقهم، فإنهم فقدوا نور النبوة، ورجعوا إلى مجرد العقول، فكانوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه أنه قال: إني خلقت عبادي حنفاء وإنهم أتتهم الشياطين^(١) فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت^(٢) عليهم ما أحللت لهم^(٣)، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب^(٤)، فكان أهل العقول كلهم في مقتته إلا بقايا متمسكين بالوحي، فلم يستفيدوا بعقولهم حين فقدوا نور الوحي إلا عبادة الأوثان أو الصليبان أو النيران أو الكواكب والشمس والقمر أو^(٥) الحيرة والشك أو السحر أو تعطيل الصانع والكفر به، فاستفادوا بها مقت الرب سبحانه لهم وإعراضه عنهم، فأطلع الله شمس الرسالة في تلك الظلم سراجاً منيراً وأنعم بها على أهل الأرض في عقولهم وقلوبهم

(١) ظ، م: (الشيطان).

(٢) (حرمت): كرر في ط. انظر: صحيح مسلم ٢١٩٧/٤.

(٣) م: (وحرمت ما حرمت عليهم وأحلت ما أحلت لهم).

(٤) الحديث سبق تخريجه ص ١٤٨.

(٥) ظ، م: (والحيرة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

ومعاشهم ومعادهم نعمة لا يستطيعون لها شكوراً فأبصروا
بنور الوحي ما لم يكونوا يعقلهم يبصرونه / ورأوا في ضوء
الرسالة ما لم يكونوا بآراءهم يرونه، فكانوا كما قال الله
تعالى:

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾
[البقرة: ٢٥٧].

وقال:

﴿ الرَّكِّتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ﴾
[الشورى: ٥٢].

وقال:

﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فمضى الرعيل الأول في ضوء ذلك النور، لم تطفئه
عواصف الأهواء، ولم تلتبس به ظلم الآراء، وأوصوا من
بعدهم أن لا يفارقوا النور الذي اقتبسوه منهم، وأن
لا يخرجوا عن طريقهم، فلما كان في أواخر عصرهم حدثت

الشيعة^(١)، والخوارج^(٢)، والقدرية^(٣)، والمرجئة^(٤)، فبعثوا عن النور الذي كان عليه أوائل الأئمة، ومع هذا فلم يفارقوه بالكلية، بل كانوا للنصوص معظمين، وبها مستدلين، ولها على العقول والآراء مقدمين، ولم يدع أحد^(٥) منهم أن عنده عقليات تعارض النصوص، وإنما أتوا^(٦) من سوء الفهم فيها، والاستبداد بما ظهر لهم منها، دون من قبلهم، ورأوا أنهم إن اقتفوا^(٧) أثرهم كانوا مقلدين لهم فصاح بهم من أدركهم من الصحابة وكبار التابعين من كل قطر، ورموهم بالعظائم، وتبرأوا منهم، وحذروا من سبيلهم أشد التحذير، ولا يرون السلام عليهم ولا مجالستهم، وكلامهم فيهم معروف في كتب السنة، وهو أكثر من أن يذكرها هنا، فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي، ومع هذا كانوا^(٨) قليلين أولاً مقموعين^(٩) مذمومين عند الأئمة، وأولهم

(١) الشيعة: سبق التعريف بهم، ص ٢١٦.

(٢) الخوارج: سبق التعريف بهم، ص ٣٠٦.

(٣) القدرية: سبق التعريف بهم، ص ٢١٩.

(٤) المرجئة: سبق التعريف بهم، ص ٢٣٢.

(٥) ظ: (أحدًا) وهو خطأ.

(٦) ظ، م: (أتوا).

(٧) ظ: (ابتغوا).

(٨) ظ: (وكانوا).

(٩) م: (مقموحين)، والقمع: في اللغة: الذل. لسان العرب ٥/٣٧٤٠، مادة قمع.

شيخهم الجعد بن درهم^(١)، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء لأنه كان معلم مروان بن محمد وشيخه ولهذا كان يسمى مروان الجعدي وعلى رأسه سلب الله بني أمية الملك والخلافة وشتتهم في البلاد ومزقهم كل ممزق ببركة شيخ المعطلة النفاة، فلما اشتهر أمره في المسلمين، طلبه^(٢) خالد بن عبدالله القسري^(٣)، وكان أميراً على العراق، حتى ظفر به، فخطب الناس في يوم الأضحى، وكان آخر ما قال في خطبته: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً^(٤)، ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، فكان ضحية،

(١) هو الجعد بن درهم من الموالي مبتدع ضال. زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى. وقال بخلق القرآن. وكان الجعد مؤدب مروان بن محمد قتله خالد بن عبدالله القسري سنة ١١٨ يوم النحر. ميزان الاعتدال ٣٩٩/١؛ الأعلام ١٢٠/٢.

(٢) ظ، م: (طلبه)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) هو خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد القسري من بجيلة أبو الهيثم ولد سنة ٦٦، يمني الأصل من أهل دمشق، وهو الذي قتل الجعد بن درهم، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل سمعت يحيى بن معين قال خالد بن عبدالله القسري كان والياً لبني أمية وكان رجل سوء وكان يقع في علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قتل في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦.

تهذيب التهذيب ١٠١/٣، ١٠٢؛ وفيات الأعيان ٢٢٦/٢، ٢٣١؛ الأعلام ٢٩٧/٢.

(٤) رواه البيهقي في سننه ٢٠٥/١٠، ٢٠٦.

ورواه البخاري في التاريخ الكبير ٦٤/١.

ورواه أيضاً في خلق أفعال العباد، ص ١٢.

=

ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رمي بها، والناس إذ ذاك عنق واحد أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال وأنه كلم عبده ورسوله موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكاً هشيماً إلى أن جاء أول المائة الثالثة، وولي على الناس عبد الله المأمون، وكان يجب أنواع العلوم، وكان مجلسه عامراً بأنواع المتكلمين في العلوم، فغلب عليه حب المعقولات، فأمر بتعريب كتب يونان، وأقدم لها المترجمين من البلاد، فعربت له، واشتغل بها الناس، والملك سوق ما سوق^(١) فيه جلب إليه، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتبعهم بالحبس والقتل فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه فقبلها، واستحسنها، ودعا الناس إليها، وعاقبهم عليها، فلم تطل مدته، فصار الأمر بعده إلى المعتصم، وهو الذي ضرب الإمام أحمد بن حنبل، فقام بالدعوة بعده، والجهمية تصوب فعله، وتدعوه إليه، وتجبره أن ذلك هو تنزيه الرب عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، وهم الذين قد غلبوا على قربه، ومجلسه، والقضاة والولاة منهم، فإنهم تبع للوكهم، ومع هذا فلم يكونوا يتجاسرون

= ورواه الدارمي في الرد على الجهمية، ص ١١٣، طبع المكتب الإسلامي .
قال محقق كتاب خلق أفعال العباد الأستاذ بدر البدر «إسناده ضعيف فإن أبا عبد الرحمن وهو محمد بن حبيب مجهول كما في الميزان للذهبي ٥٠٨/٣، ٥٠٩؛ والتقريب لابن حجر، وعبد الرحمن بن محمد قال عنه ابن حجر مقبول يعني حيث يتابع وإلا فلين، وجده حبيب قال عنه: «صدوق يخطيء» اهـ.

(١) والمعنى أن الملك كالسوق فما راج فيه من السلع وكثر طلبه جلب إليه.

على إلغاء النصوص، وتقديم الآراء والعقول عليها، فإن الإسلام كان في ظهور وقوة وسوق الحديث نافقة^(١)، ورؤوس السنة على ظهر الأرض ولكن كانوا على ذلك يجمون، وحوله يدندنون^(٢)، وأخذوا الناس بالرغبة^(٣)، والرغبة^(٤)، فمن بين أعمى مستجيب، ومن بين مكره مقيد نفسه منهم بإعطاء ما سألوه، وقلبه مطمئن بالإيمان، وثبت الله أقواماً، جعل قلوبهم في نصر دينه أقوى من الصخر، وأشد من الحديد، وأقامهم لنصر دينه / وجعلهم أئمة يقتدي بهم المؤمنون لما صبروا وكانوا بآياته يوقنون، فإنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، قال الله تعالى:

[١٤٨/١]

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فصبروا من الجهمية على الأذى الشديد، ولم يتركوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أرغبوهم به من الوعد، وما تهددوهم به من الوعيد، ثم أطفأ الله برحمته تلك الفتنة، وأخذ تلك الكلمة^(٥)، ونصر السنة نصراً عزيزاً، وفتح لأهلها فتحاً مبيناً، حتى خرج بها على رؤوس المنابر، ودعي إليها في كل باد وحاضر، وصنف — ذلك الزمان — في

(١) نافقة: سبق ذكر معناها، ص ١٤٩.

(٢) ظ، م: (يدنون)، وما أثبتته من المختصر.

(٣) ظ، م: (الرغبة)، والصواب ما أثبتته من المختصر.

(٤) ظ، م: (الهبة)، والصواب ما أثبتته من المختصر.

(٥) م: (قال) لعلها العظمة.

السنة ما لا يحصيه إلا الله، ثم انقضى ذلك العصر وأهله، وقام بعدهم ذريتهم يدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله على بصيرة، إلى أن جاء ما لا قبل لأحد به وهم جنود إبليس حقاً، المعارضون لما جاءت به الرسل بعقولهم وآرائهم من القرامطة^(١)، والباطنية^(٢)، والملاحدة^(٣) ودعوتهم إلى العقل المجرد، وأن أمور الرسل تعارض المعقول^(٤)، فهم^(٥) القائمون بهذه الطريقة حق القيام بالقول والفعل، فجرى على الإسلام وأهله منهم ما جرى وكسروا عسكر الخليفة مراراً عديدة، وقتلوا الحاج قتلاً ذريعاً، وانتهوا إلى مكة فقتلوا بها من وصل من الحاج إليها، وقلعوا الحجر الأسود من مكانه، وقويت شوكتهم، واستفحل أمرهم وعظمت بهم الرزية، واشتدت بهم البلية، وأصل طريقهم أن الذي أخبرت به الرسل قد عارضه العقل، وإذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل، قالوا: فنحن أنصار العقل الداعين إليه المخاصمين به المحاكمين إليه، وفي زمانهم استولى الكفار على كثير من بلاد الإسلام، في الشرق والغرب، وكاد الإسلام أن ينهد ركنه لولا دفاع الذي ضمن حفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها، ثم خمدت دعوة هؤلاء في

(١) القرامطة: سبق التعريف بهم، ص ٢٩٩.

(٢) الباطنية: سبق التعريف بهم، ص ٣٠٣.

(٣) الملاحدة: سبق التعريف بهم، ص ٣٠٠.

(٤) ظ، م: (المنقول)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) ظ، م: (منهم)، والصواب ما أثبت.

المشرق^(١)، وظهرت من المغرب^(٢) قليلاً قليلاً حتى استفحلت وتمكنت واستولى أهلها على كثير من بلاد المغرب، ثم أخذوا يطوون البلاد حتى وصلوا إلى بلاد مصر فملكوها وبنوا بها القاهرة، وأقاموا على هذه الدعوة مصرحين بها غير متحاشين^(٣) منها، هم وولاتهم وقضاتهم وأتباعهم، وفي زمانهم صنفت رسائل إخوان الصفا، والإشارات، والشفا^(٤)، وكتب ابن سينا^(٥)؛ فإنه قال كان أبي من أهل الدعوة الحاكمة، وعطلت في زمانهم السنة وكتبها والآثار جملة إلا في الخفية بحيث يكون قارؤها وذاكرها وكتبها على أعظم خطر، وشعار هذه الدعوة تقديم العقل على الوحي، واستولوا على بلاد المغرب^(٦)، ومصر والشام والحجاز، واستولوا على العراق سنة، وأهل السنة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين، بل كان لأهل الذمة من الأمان^(٧) والجاه والعز عندهم ما لا يصل^(٨) إليه أحد من أهل السنة ولا يطمع فيه، فكم أغمدت سيوفهم في أعناق العلماء وكم مات في

(١) م: (الشرق).

(٢) م: (المغرب).

(٣) ظ: (محاسين)، ومعنى غير متحاشين أي غير مباينين.

انظر: لسان العرب ٨٩٢/٢، مادة حشا.

(٤) انظر: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، ص ٣٢، تأليف الدكتور محمد عاطف

العراقي، ط. دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٩.

(٥) ابن سينا: سبق ذكر ترجمته، ص ٧٦٤.

(٦) ظ، م: (المغرب)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٧) ظ، م: (الإيمان)، وما أثبت من المختصر.

(٨) ظ، م: (يحصل)، والصواب ما أثبتته.

سجونهم من ورثة الأنبياء، وكم ماتت بهم سنة وقامت بهم^(١) بدعة وضلالة حتى استنقذ الله الأمة والملة من أيديهم في أيام نور الدين^(٢) وابن أخيه صلاح الدين^(٣) فأبل^(٤) الإسلام من علته بعدما وطن المسلمون أنفسهم على العراء، وانتعش بعد طول الخمول حتى استبشر أهل الأرض والسماء، وأبدر هلاله بعد أن دخل في المحاق^(٥)، وثابت إليه روحه بعدما بلغت التراقي وقيل من راق، واستنقذ الله سبحانه بعبده وجنوده بيت المقدس من أيدي عبدة الصليب، وأخذ كل من أنصار الله ورسوله من نصرة دينه بنصيب. وعلت كلمة الإسلام والسنة وأذن بها على رؤوس

(١) ظ، م: (به)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) نور الدين: هو محمود بن زنكي بن اقسنقر أبو القاسم نور الدين الملقب بالملك العادل، ولد سنة ٥١١ في حلب، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم كان مداوماً على الجهاد يباشر القتال بنفسه. وكان من المماليك (جده من موالي السلجوقيين)، توفي في قلعة دمشق سنة ٥٦٩ رحمه الله.

البداية والنهاية ١٢/٢٩٤، ٢٩٥؛ الأعلام ٧/١٧٠.

(٣) صلاح الدين: هو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، ولد سنة ٥٣٢ بتكريت، كان قائداً مظفراً وملكاً مهيباً، كان مهتماً بدفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام، كما كان مهتماً بالإصلاح الداخلي في مصر والشام، وتوفي سنة ٥٨٩.

البداية والنهاية ١٣/٣، ٤؛ الأعلام ٨/٢٢٠.

(٤) قال في المصباح المنير ١/٧٧. . وبل من مرضه وأبل إبلالاً أيضاً برأ

(٥) المحاق: المحاق والمحاق: آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم ير.

قال الشاعر:

يزداد حتى إذا ما تم أعقبه كـر الحديد من منه ثم يحق
لسان العرب ٦/٤١٤٦، ٤١٤٧، مادة محق.

الأشهاد ونادى المنادي: يا أنصار الله لا تنكلوا^(١) عن الجهاد فإنه أبلغ الزاد ليوم المعاد، فعاش الناس في ذلك النور مدة، حتى استولت الظلمة على بلاد الشرق وطغى نور النبوة والوحي، وقدموا العقول والآراء والسياسة والأذواق والرأي على الوحي، فظهرت فيهم الفلسفة والمنطق وتوابعها، فبعث الله عليهم عبداً له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وعاثوا في القرى والأمصار، وكاد الإسلام أن يذهب اسمه وينمحي رسمه وكان مشار^(٢) هذه الفرقة وعالمها الذي يرجعون إليه زعيمها الذي يعولون عليه شيخ شيوخ المعارضين بين الوحي والعقل وإمامهم في وقته نصير الكفر والشرك الطوسي^(٣) فلم يعلم في عصره أحد عارض بين العقل والنقل معارضته فرام إبطال^(٤) السمع بالكلية وإقامة الدعوة الفلسفية^(٥) وجعل الإشارات بدلاً عن السور والآيات وقال هذه عقليات / قطعية برهانية قد عارضت تلك النقليات الخطابية، واستعرض علماء الإسلام وأهل القرآن والسنة على السيف فلم يبق منهم إلا من أعجزه قصداً لإبطال الدعوة الإسلامية، وجعل مدارس المسلمين وأوقافهم للنجسة السحرة والمنجمين والفلاسفة^(٦)

[١٤٩/١]

(١) لا تنكلوا: لا تجنوا. لسان العرب ٦/٤٥٤٤، مادة نكل.

(٢) مشار: أي مستشار.

(٣) نصير الكفر الطوسي: سبق ذكر ترجمته، ص ٧٩٠.

(٤) (إبطال): مكرر في م.

(٥) ظ، م: (الفلسفة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦) الفلاسفة: سبق التعريف بهم، ص ١٩١.

والملاحدة^(١) والمنطقيين، ورام إبطال الأذان وتحويل الصلاة إلى القطب الشمالي^(٢) فحال بينه وبين ذلك من تكفل بحفظ^(٣) الإسلام ونصره وهذا كله من ثمرة المعارضين بين الوحي والعقل وتقديم العقل على السمع ولتكن قصة شيخ هؤلاء القديم منك على ذكر كل وقت، فإنه أول من عارض بين العقل والنقل، وقدم العقل، فكان من أمره ما قص الله عليك، وورث هذا الشيخ تلامذته هذه المعارضة، فلم يزل يجري على الأنبياء وأتباعهم منها كل محنة وبلية، وأصل كل بلية في العالم - كما قال محمد الشهرستاني - من معارضة النص بالرأي، وتقديم الهوى على الشرع^(٤)، والناس إلى اليوم في شرو هذه المعارضة وشؤم عاقبتها فيلى الله المشتكى وبه المستعان، ثم إنه خرج مع هذا الشيخ المتأخر المعارض بين العقل والنقل أشياء لم تكن تعرف قبله جست^(٥) العميدي^(٦) وحقائق ابن

(١) الملاحدة: سبق التعريف بهم، ص ٣٠٠.

(٢) ذكر ابن تيمية في مجموع الفتوى ٥/٥٤٩، أن كثير من المشركين قبل ظهور المسيح كانوا يصلون إلى القطب الشمالي. قال وبدمشق محارب قديمة إلى الشمال» فنصير الشرك الطوسي أراد تحويل القبلة إلى ما كان عليه سلفه.

(٣) م: (لحفظ).

(٤) انظر: الملل والنحل ١٠/١.

(٥) جست: كلمة فارسية معناها البحث وقد أصبحت تطلق على نوع من فروع الخلاف. وقد تضم الجيم.

انظر: وفيات الأعيان وحاشيته ٤/٢٥٧.

(٦) العميدي: هو محمد بن محمد بن محمد العميدي السمرقندي أبو حامد كان إماماً في فن الخلاف والجدل وخصوصاً «الجست» وهو نوع من أنواع الخلاف والجدل وهو أول من =

عربي^(١) وتشكيكات الرازي^(٢) وقام سوق الفلسفة والمنطق وعلوم أعداء الرسل التي فرحوا^(٣) بها لما جاءتهم رسلهم بالبينات، وصارت الدولة والدعوة لأرباب هذه العلوم، ثم نظر الله إلى عباده وانتصر لكتابه ودينه، وأقام جنداً تغزوا^(٤) ملوك^(٥) هؤلاء بالسيف والسنان وجنداً تغزوا^(٦) علماءهم بالحجة والبرهان، ثم نبغت نابغة منهم في رأس القرن الثامن، فأقام الله لدينه شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيمية قدس الله روحه فأقام على غزوهم مدة حياته باليد والقلب واللسان وكشف للناس باطلهم وبين تلبسهم وتدليسهم، وقابلهم بصريح المعقول وصحيح المنقول وشفى واشتفى، وبين مناقضتهم ومفارقتهم لحكم العقل الذي به يدلون، وإليه يدعون، وإنهم أترك الناس لأحكامه وقضاياه فلا وحي

= أفردته بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين وكان اشتغاله فيه على رضي الدين النيسابوري وصنف العميدي في هذا الفن طريقة مشهورة بأيدي الفقهاء وهي «الطريقة العميدية» وله أيضاً «الفنائس» و«الإرشاد» في فن الخلاف والجدل توفي ببخارى سنة ٦١٥. وفيات الأعيان، ص ٢٥٧٤؛ الأعلام ٢٧/٧.

(١) ابن عربي هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر الحاتمي، الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي. ولد سنة ٥٦٠ من القائلين بوحدة الوجود له كتب منها «الفتوحات المكية» و«فصوص الحكم» و«ديوان شعر» و«التعريفات»، توفي في دمشق ٦٣٨، ميزان الاعتدال ٣/٦٥٩، ٦٦٠. الأعلام ٢٨١/٦، ٢٨٢.

(٢) سبق ذكر ترجمته، ص ٦٤٠.

(٣) م: (في جوابها).

(٤) م: (فغزوا).

(٥) ظ: (وملوك). بواو العطف.

(٦) م: (فغزوا).

ولا عقل، فأرداهم في حفرهم، ورشقهم بسهامهم، وبين أن صحيح معقولاتهم خدم لنصوص الأنبياء شاهدة لها بالصحة وتفصيل هذه الجملة موجودة في كتبه^(١)، فمن نصح نفسه ورجب عن قوله:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾

[الزخرف: ٢٣].

يتبين له حقيقة الأمر:

﴿ وَمَنْ لِيُجْعَلَ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

والمقصود أن كل بلية طرقت العالم عامة أو خاصة فأصلها من معارضة الوحي بالعقل وتقديم الهوى على الأمر، والمعصوم من عصمه الله.

الوجه التاسع والثمانون:

إنه قد ثبت بالعقل الصريح والنقل الصحيح ثبوت صفات الكمال للرب سبحانه وأنه أحق بالكمال من كل ما سواه، وأنه يجب أن تكون القوة كلها له والعزة كلها له والعلم كله له، والقدرة كلها له، والجمال كله له، وكذلك سائر صفات الكمال، وقام البرهان السمعي والعقلي على أنه يمتنع أن يشترك في الكمال التام اثنان، وأن الكمال التام لا يكون إلا لواحد وهاتان مقدمتان يقينتان معلومتان بصريح العقل، وجاءت نصوص الأنبياء، مفصلة لما في صريح

بيان ثبوت صفات الكمال لله بالعقل والنقل

(١) ومنها درة تعارض العقل والنقل.

العقل إدراكه قطعاً، فاتفق على ذلك العقل والنقل، قال تعالى:

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾

[البقرة: ١٦٥].

وقد اختلف في تعلق قوله: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ بماذا؟ فقالت طائفة هو مفعول^(١) يرى، أي: ولو يرون أن القوة لله جميعاً لما عصوه ولما كذبوا رسله، وقدموا عقولهم على وحيه، وقالت طائفة بل المعنى لأن القوة لله جميعاً وجواب لو محذوف على التقديرين: أي لو يرى هؤلاء حالهم وما أعد الله لهم إذ يرون العذاب لرأوا أمراً عظيماً، ثم قال: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وهو متضمن للتهديد الشديد والوعيد، وقال تعالى:

﴿بَلِ لِلَّهِ^(٢) الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

وقال:

﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح:
«لبيك وسعديك والخير كله بيديك»^(٣)، وفي الأثر الآخر:
«اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله

(١) ظ، م: (منقول)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ: (الله)، وهو خطأ.

(٣) الحديث سبق تحقيقه، ص ٢٧٧.

وإليك يرجع الأمر كله»^(١)، فلله سبحانه كل صفة كمال وهو موصوف بتلك الصفات^(٢) كلها، ونذكر من ذلك صفة واحدة تعتبر بها سائر الصفات، وهو أنك لو فرضت جمال الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم اجتمع لشخص واحد منهم ثم كان الخلق كلهم على جمال / ذلك الشخص لكان نسبته إلى جمال الرب تبارك وتعالى دون نسبة سراج ضعيف إلى جرم الشمس وكذلك قوته سبحانه وعلمه وسمعه وبصره وكلامه وقدرته ورحمته وحكمته وجوده وسائر صفاته، وهذا مما دلت عليه آياته الكونية السمعية، وأخبرت به رسله عنه كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»^(٣) فإذا كانت سبحات وجهه الأعلى لا يقوم لها شيء من خلقه ولو كشف حجاب النور عن تلك السبحات

[١٥٠/١]

(١) رواه أحمد في المسند ٣٩٦/٥، من طريق حذيفة بن اليمان.

(٢) ظ، م: (الصفة)، والصواب ما أثبت.

(٣) رواه مسلم ١/١٦١، ١٦٢، من طريق أبي موسى، في كتاب الإيمان، باب قوله عليه

السلام «إن الله لا ينام...»، ح ٢٩٣.

ورواه أحمد في المسند ٤/٤٠٥.

ومعنى سبحات وجهه: جلاله ونوره وبهاؤه قال الخطابي هكذا فسروه والله أعلم بمعناه. وقال محمد فؤاد عبد الباقي بأنه قول جميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين.

انظر: غريب الحديث للخطابي ١/٦٨٥؛ تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح

مسلم ١/١٦٢؛ وانظر: مجموع الفتاوى ٥/٧٤.

لاحترق العالم العلوي والسفلي فما الظن بجلال ذلك الوجه الكريم وعظمته وكبريائه وكماله وجلاله، وإذا كانت السموات مع عظمتها وسعتها يجعلها على أصبع من أصابعه، والأرض على أصبع، والجبال على أصبع، والبحار على أصبع، فما الظن باليد الكريمة التي هي صفة من صفات ذاته، وإذا كان يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن^(١) الحاجات، في أقطار الأرض والسموات، فلا يشتهه عليه ولا يختلط، ولا يلتبس، ولا يغلطه سمع، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء تحت أطباق الأرض في الليلة الظلماء، ويعلم ما تسره القلوب وأخفى منه وهو ما لم يخطر لها أنه سبحانه سيخطر لها ولو كان البحر المحيط بالعالم مداداً ويحيط به من بعده سبعة أبحر كلها مداد وجميع أشجار الأرض وهو كل نبت قام (على)^(٢) ساق مما يحصد ومما لا يحصد أقلام يكتب بها، نفدت البحار والأقلام ولم ينفد كلامه وهذا وغيره بعض ما تعرف به إلى عباده من كلامه وإلا فلا يمكن أحداً قط أن يحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه، فكل الثناء وكل الحمد وكل المجد وكل الكمال له سبحانه، هذا الذي وصلت إليه عقول أهل الإثبات، وتلقوه عن الرسول، ولا يحتاجون في ثبوت علمهم وجزمهم بذلك إلى الجواب عن الشبه القادحة في ذلك، وإذا وردت عليهم لم تقدر

(١) تفنن: أي تنوع.

لسان العرب ٥/٣٤٧٥، مادة فنن.

(٢) (على): سقط من م.

ففيما علموه وعرفوه ضرورة من كون ربهم تبارك وتعالى كذلك، وفوق ذلك فلو قال لهم قائل هذا الذي علمتموه لا يثبت إلا بجواب عما عارضه من العقليات قالوا لقائل هذه المقالة هذا كذب وبهت، فإن الأمور الحسية والعقلية واليقينية قد وقع فيها شبهات كثيرة تعارض ما علم بالحس والعقل فلو توقف علمنا بذلك على الجواب عنها وحلها لم يثبت لها ولا لأحد علم بشيء من الأشياء، ولا نهاية لما تقذف به النفوس من الشبه وهي من جنس الوسوس والخطرات والخيالات التي لا تزال تحدث في النفوس شيئاً فشيئاً بل إذا جزمنا بثبوت الشيء جزمنا ببطلان ما يناقض ثبوته، ولم يكن ما يقدر من الشبه الخيالية على نقيضه مانعاً من جزمنا به، ولو كانت الشبه ما كانت فما من موجود يدركه الحس إلا ويمكن كثيراً من الناس أن يقيم على عدمه شيئاً كثيراً يعجز السامع عن حلها ولو شئنا لذكرنا لك طرقاً منها^(١) تعلم أنه أقوى من شبه الجهمية النفاة لعلو الرب على خلقه وكلامه وصفاته، وقد رأيت أو سمعت ما أقامه كثير من المتكلمين من الشبه على أن الإنسان تبدل نفسه الناطقة^(٢) في الساعة الواحدة^(٣) أكثر من ألف وكل لحظة تذهب روحه وتفارق وتحدث له روح أخرى غيرها وهكذا أبداً وما أقاموه من الشبه على أن السموات والأرض والجبال والبحار تتبدل كل لحظة ويخلفها غيرها، وما أقاموه من الشبه عن أن روح

(١) ذكر ابن القيم طرقاً منها فيما سبق، انظر: ص ٩٥٩، ٩٦٠ وما بعدهما.

(٢) ظ، م: (الناطقية)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) م: (الواحد).

الإِنسان ليست فيه ولا خارِجة عنه وزعموا أن هذا أصح المذاهب في الروح، وما أقاموه من الشبه على أن الإنسان إذا انتقل من مكان إلى مكان لم يمر على تلك الأجزاء التي بين مبدأ حركته ونهايتها ولا قطعها ولا حاذاها، وهي مسألة طفرة النظام^(١) وأضعاف أضعاف ذلك وهؤلاء طائفة الملاحدة من الاتحادية^(٢) كلهم يقول: إن ذات الخالق هي عين ذات المخلوق لا فرق بينها البتة، وأن الاثنين واحد وإنما الحس والوهم يغلط في التعدد، ويقيمون على ذلك شَبهاً كثيرة، وقد نظمها ابن الفارض^(٣) في قصيدته^(٤)

(١) انظر: الرد على مسألة طفرة النظام، في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٦٤/٥، ٦٥.

(٢) الاتحادية: سبق التعريف بهم، ص ٣٠٣.

(٣) هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والنشأة أبو حفص، ولد سنة ٥٧٦، من الشعراء المجيدين وشعره مليء بالقول بوحدة الوجود قال الذهبي «وما ثم إلا زي الصوفية وإشارات مجملة وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعي فقد نصحتك والله الموعد»، توفي سنة ٦٣٥.

ميزان الاعتدال ٢١٤/٣، ٢١٥؛ شذرات الذهب ١٤٩/٥، ٥٣٠؛ الأعلام ٥٥/٥، ٥٦.

(٤) لعله يشير إلى قصيدة ابن الفارض التائية التي مطلعها:

نعم بالصبا قلبي صبا لاجتي فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت
إلى أن يقول فيها قبحه الله:

وكل الجهات الست نحوي توجهت بما تم من نسك وحج وعمرة
لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجداً إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعة

انظر: ديوان ابن الفارض، ص ١٥، ٦١.

وذكرها صاحب الفتوحات في فصوصه^(١) وغيرهما وهذه الشبهة كلها من واد واحد ومشكاة واحدة وخزانة واحدة وهي مشكاة الوسوس وخزانة الخيال فلولم / يجزم بما علمناه إلا بعد التعرض لتلك الشبهة على التفصيل وحلها والجواب عنها لم يثبت لنا علم بشيء أبداً، فالعاقل إذا علم أن هذا الخبر صادق علم أن كل ما عارضه فهو كذب ولم يحتاج أن يعرف أعيان الأخبار المعارضة له ولا وجوها وبالله المستعان.

[١٥١/١]

الوجه التسعون:

إن هؤلاء المعارضين لنصوص الوحي بعقولهم ليس عندهم علم، ولا هدى، ولا كتاب مبين، فمعارضتهم باطلة، وهم فيها أتباع كل

بيان أن المعارضين للوحي بعقولهم ليس عندهم علم ولا هدى وكتاب منير

﴿شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣، ٤].

فهذه حال كل من عارض آيات الله بمعقوله، ليس عنده إلا الجهل والضلال، ورتب سبحانه هذه الأمور الثلاثة أحسن ترتيب^(٢)، فبدأ بالأعم وهو العلم، وأخبر أنه لا علم عند المعارض لآياته بعقله^(٣)، ثم انتقل منه إلى

(١) انظر: فصوص الحكم لابن عربي ٢/٣٣، ٣٤؛ انظر ٢/٣٤٦.

(٢) وذلك في قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

(٣) ظ، م: (بفعله).

ما هو أخص، وهو الهدى، ثم انتقل إلى ما هو أخص، وهو الكتاب المبين، فإن العلم أعم مما يدرك بالعقل والسمع والفترة، وأخص منه الهدى الذي لا يدرك إلا من جهة الرسل، وأخص منه الكتاب الذي أنزله الله على رسوله، فإن الهدى قد يكون كتاباً، وقد يكون سنة^(١)، وهذه الثلاثة منتفية عن هؤلاء قطعاً، أما الكتاب والهدى المأخوذ عن الرسل، فقد قالوا: إنه لا يفيد علماً ولا يقيناً، والمعقول يعارضه، فقد أقرروا أنهم ليس معهم كتاب ولا سنة، وبقي العلم فهم يدعونه، والله تعالى قد نفاه عنهم، وقد قام البرهان والدليل العقلي المستلزم لدلوله، على صدق الرب في خبره، فعلم قطعاً أن هذا الذي عارضوا به الوحي، ليس بعلم، إذ لو كان علماً لبطل دليل العقل الدال على صدق الرب تعالى في خبره، فهذا يكفي في العلم بفساد كون ما عارضوا به علماً، فكيف وقد قام الدليل العقلي الصحيح المقدمات على فساد تلك المعارضة، وأنها تخص الجهل المركب، فكيف وقد اتفق على فساد تلك المعارضة العقل والنقل، ونحن نطالب هؤلاء المعارضين بواحدة من ثلاث إما كتاب منزل، أو إثارة من علم يؤثر عن نبي من الأنبياء، أو معقول صحيح المقدمات، وقد اتفق العقلاء على صحة مقدماته.

وهم يعلمون والله شهيد عليهم، بأنهم عاجزون عن^(٢)

(١) ظ: شبه.

(٢) ظ: م: (على)، والصواب ما أثبت.

هذا وهذا فترك ما علمناه من كتاب ربنا، وسنة نبينا، وما نزل^(١) به جبريل من رب العالمين، على قلب رسوله الأمين، بلسان عربي مبين، لوحى الشياطين، وشبهه الملحددين، وتأويلات المعطلين.

فإن قيل: فما الفرق بين الصنف الأول الذي يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مرید، والصنف الثاني الذي يجادل في الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، كما ذكرهم سبحانه صنفين؟

قيل: قد ذكر سبحانه ثلاثة أصناف: صنفاً يجادل في الله بغير علم، ويتبع كل شيطان مرید، مكتوباً عليه إضلال من تولاه، وهذه حال المتبع لأهل الضلال، وصنفاً يجادل في الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيله^(٢) وهذه حال المتبوع المستكبر، الصاد عن سبيل الله، فالأول حال الأتباع، والثاني حال^(٣) المتبوعين، ثم ذكر حال من يعبد الله على حرف، وهذه حال المتبع لهواه الذي إن حصل له ما يهواه من الدنيا عبد الله، وإن أصابه ما يمتحن به في دنياه ارتد عن دينه، وهذه حال من كان مريضاً في إرادته وقصده، وهي حال أهل الشهوات والأهواء، ولهذا ذكر ذلك في العبادة فأصلها^(٤) القصد والإرادة، وأما الأولان

(١) ظ، م: (ونزل به)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (سبيل).

(٣) ظ، م: (حالة)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) ظ، م: (أصلها)، ولعل الصواب ما أثبت.

فحال الضال والمضل، وذلك مرض في العلم والمعرفة، وهي حال أهل الشبهات والنظر الفاسد، والجدال بالباطل، والله سبحانه يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات، ولا صلاح للعبد إلا بمعرفة الحق، وقصده كما قال تعالى:

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾
[الفاتحة: ٦، ٧].

فمن لم يعرف الحق كان ضالاً، ومن عرفه ولم يتبعه كان مغضوباً عليه، ومن عرفه واتبعه فقد هدي إلى الصراط المستقيم، وأول الشر^(١) الضلال ومنتهاه الغضب، كما أن أول الخير الهدى ومنتهاه الرحمة والرضوان، فذكر سبحانه في آيات الحج^(٢) ما يعرض في العلم من الضلال والإضلال، وما يعرض في الإرادة والعمل من اتباع الأهواء، كما جمع بينهما في قوله:

﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾ [النجم: ٢٣].

فقال أولاً:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ

مُرِيدٍ ﴾ [الحج: ٣].

(١) ظ، م: (الشهر).

(٢) انظر الآيات في سورة الحج من ٢ حتى آية ١٣.

وهذا يتضمن الجدال فيه بغير هدى / ولا كتاب منير، فإن من جادل بغير ذلك فقد جادل بغير علم، فنفي العلم يقتضي نفي كل ما يكون علماً بأي طريقة حصل، وذلك ينفي أن يكون مجادلاً بهدى، أو كتاب منير، هذه حال الضال المتبع لمن يضلّه، فلم يحتج إلى تفصيل، فبين أنه يجادل بغير علم، وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، كُتِبَ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْطَانِ أَنْ مَنْ اتَّبَعَهُ، فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ^(١) إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ، وهذه حال مقلدة أئمة الضلال من الكفار وأهل الأهواء والبدع.

ثم ذكر حال المتبوع الذي يثني عطفه تكبراً كما قال:

﴿وَإِذِ اتَّاتَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾

[لقمان: ٧].

وذكر التفصيل في مجادلة المتبوع الداعي، وأنها^(٢) في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، واكتفى في ذكر التابع بنفي العلم المستلزم، لنفي هذه الثلاثة، فإن مجادلة المتبوع أصل وهو أقعد^(٣) بها من مجادلة التابع، ومصدرها كبير ومصدر مجادلة التابع ضلال، وتقليد، فذكر حال المتبوع على

(١) ظ، م: (يهدي)، وهو خطأ.

(٢) ظ، م: (وأنه)، والصواب ما أثبت.

(٣) أقعد، يقال فلان أقعد من فلان: أي أقرب إلى جده الأكبر. وعبر عنه ابن الأعرابي بمثل هذا المعنى فقال فلان أقعد من فلان أي أقل آباء. والمعنى هنا أن مجادلة المتبوع أصل وهو أولى بها وأقرب من مجادلة التابع. انظر ص ٦٧٦. لسان العرب ٣٦/١٩/٥ مادة: قعد.

التفصيل، ولهذا ذكر فساد قصده وعلمه، وذكر من عقوبته أشد مما^(١) ذكر من عقوبة التابع، وهذا وأمثاله من أسرار القرآن التي حرمها الله على من عارض بينه وبين العقل، وقدم العقل عليه.

الوجه الحادي والتسعون^(٢):

بيان أن الشرع
والعقل متلازمان
ويمتنع تعارض
المتلازمين

إن العقل ملزوم لعلمنا بالشرع ولازم له، ومعلوم أنه إذا كان اللزوم من أحد الطرفين لزم من وجود الملزوم وجود اللازم، ومن نفي اللازم نفي الملزوم، فكيف إذا كان التلازم من الجانبين فإن هذا التلازم يستلزم^(٣) أربع^(٤) نتائج، إذ يلزم من ثبوت هذا الملزوم ثبوت لازمه، ومن ثبوت لازمه المساوي ثبوته، ومن نفي اللازم نفي ملزومه، ومن نفي ملزومه المساوي نفيه، وهذا شأن كل شيئين بينهما تلازم من الطرفين وبيان ذلك ها هنا أنه إذا كان العقل هو الأصل الذي به عرف صحة السمع كما تقدم، وقد بينا أن العقل ليس أصلاً للسمع في ثبوته في نفس الأمر بل هو أصل في ثبوت علمنا^(٥) أي دليل لنا على صحته، وإذا كان كذلك فمن المعلوم أن الدليل يجب طرده، وهو ملزوم للمدلول عليه، فيلزم من ثبوت الدليل ثبوت المدلول عليه،

(١) ظ، م: (من)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (والسبعون)، وهو خطأ.

(٣) ظ: (فإن هذا التزام التلازم سيلزم) وكلمة: التزام وضع عليها علامة الإلغاء.

(٤) ظ، م: (أربعة)، والصواب ما أثبتته.

(٥) ظ، م: (علمناه).

ولا يجب عكسه، فلا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فإن المخلوقات آيات ودلائل على الخالق سبحانه يلزم من ثبوتها ثبوته، ولا يلزم من عدمها عدمه، ولا من وجوده وجودها

وكذلك الآيات الدالة على نبوة رسله، هذا إذا لم يكن الدليل لازماً للمدلول عليه، فإن كان لازماً أمكن أن يكون مدلولاً له، إذ المتلازمان يمكن أن يستدل لكل منهما على الآخر، مثل الحكم الشرعي، الذي لا يثبت إلا بدليل شرعي، فإنه يلزم من عدم دليله عدمه، وكذلك ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، إذا لم ينقل، فإنه يلزم من عدم نقله عدمه، وإذا كان من المعقول ما هو دليل على صحة الشرع، لزم من ثبوت ذلك المعقول ثبوت الشرع، ولم يلزم من ثبوت الشرع ثبوته، في نفس الأمر.

لكن نحن إذا لم يكن لنا طريق إلى العلم بصحة الشرع إلا ذلك العقل، لزم من علمنا بالشرع، علمنا بدليله العقلي الدال عليه، ولزم من علمنا بذلك الدليل العقلي علمنا به، فإن العلم بالدليل يستلزم العلم بالمدلول عليه، فإذا كان صحة الشرع لا تعلم إلا بدليل عقلي، فإنه يلزم من علمنا (بصحة الشرع علمنا)^(١) بالدليل العقلي الدال عليه، ويلزم من علمنا بذلك الدليل العقلي علمنا بصحة الشرع، ويلزم أيضاً من ثبوت ذلك الدليل المعقول في نفس الأمر ثبوت الشرع، ولا يلزم من ثبوت الشرع ثبوت ذلك الدليل، وإذا كان العلم بصحة الشرع لازماً للعلم بالمعقول الدال عليه،

(١) (بصحة الشرع علمنا): سقط من م.

وملزوماً له، فمن الممتنع تناقض اللازم والملزوم، فضلاً عن تعارض المتلازمين.

فإن المتعارضين هما المتنافيان، اللذان يلزم من ثبوت أحدهما انتفاء الآخر، كالضدين والنقيضين.

والمتلازمين، يلزم من ثبوت كل منهما ثبوت الآخر، ومن انتفائه انتفائه، فكيف يكون المتلازمان متعارضين متنافيين متناقضين، أو متضادين فهؤلاء عمدوا إلى المتلازمين المتضادين، فأبطلوا أحدهما بالآخر ولزم من بطلانه بطلانها جميعاً، كما تقدم بيانه، وقد تبين أن الدليل العقلي الذي به يعلم صحة الشرع مستلزم للعلم بصحة الشرع ومستلزم لثبوت الشرع في نفس الأمر، وعلمنا بالشرع يستلزم العلم بالدليل العقلي الذي قيل: إنه أصل الشرع، والعلم بصحة الشرع موقوف عليه، وليس ثبوت الشرع في نفسه مستلزماً لثبوت ذلك الدليل العقلي، فعلم / أن ثبوت الشرع في نفس الأمر أقوى من ثبوت دليله العقلي في نفس الأمر، فإن ثبوت الشرع في علمنا أقوى من ثبوت دليله العقلي – إن قيل: إنه يمكن أن يعلم صحته بغير ذلك الدليل – وإلا كان العلم بهذا والعلم بهذا متلازمين، وإذا كان كذلك، كان القدح في الشرع قدحاً في دليله العقلي [الدال] (١) على صحته بخلاف العكس، وكان القدح في الشرع قدحاً في هذا العقلي.

وليس القدح في الشرع قدحاً في هذا العقلي، وليس

(١) (الدال): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

القدح في هذا العقلي مستلزماً للقدح في الشرع مطلقاً، وأما ما سوى المعقول الدال على صحة الشرع فذلك لا يلزم من بطلانه بطلان الشرع، كما لا يلزم من صحته صحة الشرع.

الوجه الثاني والتسعون:

إن هؤلاء المعارضين بين العقل والوحي هم في الأصل فرقتان: الفلاسفة وجهمية المتكلمين^(١). وهؤلاء لهم طريق قد سلكوها، وأولئك لهم طريقة أخرى، وكل من الفريقين ينقض حجج الفريق الآخر، ويبين فساد طريقته ثم كل فرقة منهما تنقض بعضهم حجج بعض، واعتبر^(٢) هذا بالرازي والأمدى، فإنها جمعاً خلاصة ما ذكره النفاة من أهل الفلسفة والكلام، ثم إنها أفسداً عامة تلك الطرق التي سلكوها، فكل طائفة تبطل الطريقة العقلية التي اعتمدت عليها الأخرى، بما يظهر به بطلانها بالعقل الصريح، وليسوا متفقين على طريقة واحدة، وهذا يبين خطأهم كلهم من وجهين. من جهة العقل الصريح الذي يبين به كل قوم فساد ما قاله الآخرون.

بيان أن المعارضين للوحي بمقوله فرقتان هما الفلاسفة وجهمية المتكلمين وكل من الفريقين ينقض حجج الآخر

ومن جهة^(٣) أنه ليس معهم معقول اشتركوا فيه فضلاً عن أن يكون من صريح المعقول، بل المقدمة التي تدعي طائفة من النظائر صحتها بقول الأخرى هي باطلة. وهذا بخلاف مقدمات أهل الإثبات الموافقة لما جاء به الرسول، فإنها من

(١) جهمية المتكلمين: هم المتأثرين بأفكار الجهمية من المتكلمين.

(٢) انظر في معنى اعتبر ص ١١٢٢.

(٣) م: (ومن جهة الصريح)، وكلمة الصريح عليها علامة الإلغاء في ظ.

العقليات التي تقبلها فطر العقلاء السليمة. بل الفطر التي لم تفسد متفقة عليها، ولا ينازع فيها إلا من تلقى تعليماً من غيره لا من موجب فطرته، فإنما يقدر فيها مقدمة تقليدية، وهو يدعي أنها عقلية فطرية ومن تدبر ما عند المعارضين ولم يقلدهم فيه تبين له أن جميع المقدمات التي ترجع إليها أدلة المعارضين إنما ترجع إلى تقليد منهم لأسلافهم. لا إلى ما يعلم بضرورة العقل ولا نظره، فهم يعارضون ما قامت الأدلة العقلية على ثبوت تصديقه وسلامته من الخطأ بما قامت الأدلة العقلية على أنه لا يجب تصديقه، بل قد علم جواز الخطأ عليه، وعلم وقوع الخطأ فيه فيما هودون الإلهيات فضلاً عن الإلهيات التي تيقن خطأ من خالف الرسل فيها بالأدلة المجملة والمفصلة بل يعارضون ما يجب تصديقه بما يعلم بصريح العقل أنه خطأ بل يعارضون السمعيات التي يعلم أن العقل الصريح موافق لها بما يعلم العقل الصريح أنه باطل، والمقصود أن الطرق التي سلكها الفلاسفة في إبطال الصفات والأفعال، قد أفسدها عليهم المتكلمون وبينوا خطأهم فيها بصريح العقل كما هو موجود في كتب هؤلاء وهؤلاء فانظر ما فعل أبو علي وأبو هاشم والقاضي عبد الجبار^(١)، والأشعري،

(١) القاضي عبد الجبار: هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني أبو الحسن المشهور بالقاضي عبد الجبار شيخ المعتزلة في عصره له كتب منها «شرح الأصول الخمسة» و«المغني في العدل والتوحيد» و«متشابه القرآن» وغيرها.
توفي بالري سنة ٤١٥؛ ميزان الاعتدال ٥٣٣/٢؛ طبقات المعتزلة، ص ١٢١؛
الأعلام ٢٧٣/٣، ٢٧٤.

وأبو بكر ابن الباقلاني، وأبو الحسين البصري، والجويني،
والغزالي، وأمثالهم بطريقة الفلاسفة.

وانظر ما فعل ابن سينا، وابن رشد، والطوسي وأمثالهم
بطرق المتكلمين فإنك تجد ذلك من أعظم النصرة للنصوص
النبوية، والمثال المنطبق عليهم بعسكر الإسلام خرج عليه
عسكر كثيف يغزونهم فخرج على ذلك العدد من ورائهم
فأقبلوا إليهم واشتغلوا بهم فيصدم بعضهم بعضاً، ويكسر
بعضهم سلاح بعض. وعسكر الإسلام في حصن من
الطائفتين. ولكن إذا اصطح العسكران فإنها يصطلحون
على المسلمين ومن علم ما في الوجود تبين له مطابقة هذا
المثال، وبالله التوفيق.

الوجه الثالث والتسعون:

إن الطريقة التي سلكها نفاة الصفات والعلو والتكليم من
معارضة النصوص الإلهية بآرائهم وما يسمونه معقولاً هي
بعينها الطريقة التي سلكها إخوانهم من الملاحدة في معارضة
نصوص المعاد بآرائهم، وعقولهم، ومقدماتهم، ثم نقلوها
بعينها إلى ما أمروا به من الأعمال كالصلوات الخمس والزكاة
والحج والصيام فجعلوها للعامّة دون الخاصة. قال بهم الأمر
إلى أن ألدوا في الأصول الثلاثة التي اتفق عليها جميع الملل
وجاءت بها جميع الرسل وهي الإيمان بالله / واليوم الآخر
والأعمال الصالحة، قال الله تعالى:

بيان أن الطريقة التي
سلكها نفاة الصفات
في معارضة
النصوص هي
الطريقة التي سلكها
الملاحدة في نصوص
المعاد

[١٥٤/١]

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰبِرَاتِ مَن
ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

كلام ابن سينا في
الاحتجاج على نفي
المعاد بنفي المتكلمين
للصفات

فهؤلاء الملاحدة يحتجون على نفاة الصفات بما وافقوهم
عليه من الإعراض عن نصوص الوحي ونفي الصفات كما
ذكر ابن سينا في الرسالة الأضحوية^(١) فإنه قال فيها لما ذكر
حجة من أثبت معاد البدن. وأن الداعي لهم إلى ذلك ما ورد
به الشرع من بعث الأموات فقال: «وأما أمر الشرع فينبغي
أن يعلم فيه قانون واحد: وهو أن الشرع والملة الآتية على
لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة.

ثم من المعلوم الواضح: أن التحقيق الذي ينبغي أن
يرجع إليه في صحة التوحيد من الإقرار بالصانع موحداً
مقدساً عن الكم، والكيف، والأين، والمتى، والوضع.
والتغير حتى يصير الاعتقاد به أنه ذات واحدة لا يمكن أن
يكون لها شريك في النوع، أو يكون لها جزء وجودي كمي،
أو معنوي، ولا يمكن أن تكون خارجة عن العالم ولا داخله
فيه، ولا حيث تصح الإشارة إليه بأنه^(٢) هنا أو هناك ممتنع
القائه إلى الجمهور ولو ألقى هذا على هذه الصورة
إلى العرب العاربة أو العبرانيين الأجلاف^(٣)،^(٤)

(١) انظر: الرسالة الأضحوية في أمر المعاد لابن سينا، ص ٤٤، تحقيق الدكتور سليمان
دنيا، الطبعة الأولى ١٣٦٨. دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر.

(٢) الرسالة الأضحوية: انه هناك.

(٣) الرسالة الأضحوية: أو العبرانيين والأجلاف. وفي نسخة أخرى أيدها المحقق في
الحاشية: من الأجلاف.

(٤) العرب. معروف وينقسمون إلى قسمين عرب عاربة وهم الخالص منهم تقول عرب
عاربة وعرباء: صرحاء.

ومتعربة ومستعربة: دخلاء ليسوا بخلص، لسان العرب ٢٨٦٣/٤، مادة عرب. =

لسارعوا^(١) إلى العناد، وانفقوا على أن الإيمان المدعو إليه إيمان بمعدوم (لا وجود له)^(٢) أصلاً، ولهذا ورد ما في^(٣) في التوراة^(٤) تشبيهاً كله ثم أنه لم يرد في الفرقان من الإشارة إلى هذا الأمر الأهم شيء ولا أتى^(٥) بصريح ما يحتاج إليه في التوحيد بيان مفصل، بل أتى بعضه على سبيل التشبيه في الظاهر، وبعضه جاء^(٦) تنزيهاً مطلقاً عاماً جداً لا تخصيص ولا تفسير له.

وأما الأخبار التشبيهية فأكثر من أن تحصى. ولكن لقوم أن لا يقبلوه فإذا كان الأمر في التوحيد هكذا^(٧) فكيف بما هو^(٨) بعده من الأمور الاعتقادية ولبعض الناس أن يقولوا

= والعبرانيين: العبرانية لغة اليهود، والعبري بالكسر: العبراني لغة اليهود والعبرانيون، هم اليهود الذين يتكلمون العبرية. لسان العرب ٤/٢٧٨٤، مادة عبر. والمعنى ولو ألقى على هذه الصورة إلى العرب أو اليهود الذين لم يتأثروا بثقافات الأمم الأخرى، لسارعوا إلى العناد.

(١) الرسالة الأضحوية لسارعوا وفي نسخة أخرى: يتسارعون.

(٢) (لا وجد له): ليست في الرسالة الأضحوية.

(٣) (ما في): ليست في الرسالة الأضحوية.

(٤) الرسالة الأضحوية: التوحيد قال المحقق: اتفق الأصولان اللذان رجعت إليهما على رسم هذه الكلمة هكذا: التورية ولكن هذه الكلمة لا معنى لها في هذا المقام وقد رأيت أن أنسب كلمة بالمقام مع ملاحظة أن تكون قريبة في الرسم من الكلمة الواردة في الأصلين هي كلمة التوحيد. قلت: وبهذا يتبين أن المحقق قد وهم وأن صحت الكلمة التوراة كما وردت في النص هنا والله أعلم.

(٥) ظ، م: (ولا إلى تصريح)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٦) (جاء): ليست في الرسالة الأضحوية.

(٧) ظ، م: (هذا)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٨) ظ، م: (فيها).

إن للعرب توسعاً في الكلام ومجازاً وإن الألفاظ التشبيهية مثل الوجه واليد، والإتيان في ظلل من الغمام والمجيء والذهاب والضحك، والحياء^(١) والغضب صحيحة ولكن هي مستعملة استعارة ومجازاً^(٢)، قال: ويدل على استعمالها غير مجازية^(٣) ولا مستعارة بل محققة أن المواضع^(٤) التي يوردونها حجة في أن العرب تستعمل هذه المعاني بالاستعارات^(٥) والمجاز على غير معانيها الظاهرة، مواضع في مثلها يصلح أن تستعمل على غير^(٦) هذا الوجه ولا يقع فيها تلبس ولا تدليس.

وأما قوله: ﴿فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾. وقوله:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

على القسمة^(٧) المذكورة، وما جرى مجراه فليس^(٨) تذهب الأوهام فيه البتة إلى أن العبارة مستعارة أو مجازية^(٩)،

(١) ظ: (الحياة).

(٢) الرسالة الأضحوية: ولكن نحو الاستعمال وجهة العبارة يدل على استعمالها استعارة ومجازاً.

(٣) الرسالة الأضحوية: (مجاز).

(٤) الرسالة الأضحوية: (المواضع).

(٥) الرسالة الأضحوية: (بالاستعارة).

(٦) (غير): ليست في الرسالة الأضحوية.

(٧) الرسالة الأضحوية: (التسمية). وفي نسخة أخرى: (النسبة).

(٨) ظ، م: (تلبس)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٩) الرسالة الأضحوية: (أو مجاز).

فإن كان أريد فيها ذلك إضماراً فقد رضي بوقوع الغلط والتشبيه^(١) والاعتقاد المعوج بالإيمان بظاهرها تصريحاً.

وأما قوله :

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح : ١٠].

وقوله :

﴿مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبٍ﴾ [الزمر : ٥٦].

فهو موضع الاستعارة والمجاز. والتوسع في الكلام. ولا يشك^(٢) في ذلك إثنان من فصحاء العرب، ولا يلتبس على ذي معرفة في لغتهم، كما يلتبس^(٣) في تلك الأمثلة^(٤) فإن^(٥) هذه الأمثلة لا تقع شبهة في أنها استعارة^(٦) مجازية، كذلك^(٧) في تلك لا تقع شبهة في أنها ليست استعارية ولا مراداً فيها شيء غير الظاهر.

ثم هب أن هذه كلها موجودة^(٨) على الاستعارة، فأين التوحيد^(٩)

(١) الرسالة الأضحوية: (والشبهة).

(٢) ظ: (شك).

(٣) ظ، م: (تلبس)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٤) الرسالة الأضحوية: (في الأمثلة الأولى).

(٥) الرسالة الأضحوية: (بل كما أنه في هذه الأمثلة).

(٦) ظ، م: (مستعارة)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٧) ظ، م: (لذلك)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٨) ظ، م: (لذلك مأخوذة).

(٩) ظ، م: (التوحيد)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية. انظر: الهامش.

والعبارة^(١) المشيرة بالتصريح^(٢) الى التوحيد^(٣) المحض الذي تدعو إليه حقيقة هذا الدين^(٣) المعترف بجلالته على لسان حكماء العالم قاطبة، ثم قال في ضمن كلامه: ^(*)إن الشريعة الجائية^(٤) على لسان نبينا جاءت أفضل ما يمكن أن تجيء عليه الشرائع وأكمله.

ولهذا صلحت أن تكون خاتمة للشرائع وآخر الملل^(٥) قال: وأين الإشارة إلى الدقيق من المعاني، المشيرة^(٦) إلى علم التوحيد، مثل إنه عالم بالذات، أو عالم بعلم قادر بالذات أو قادر بقدرة، واحد بالذات^(٧) على كثرة الأوصاف أو قابل للكثرة - تعالى عنها -^(٨) بوجه من الوجوه متحيز بالذات^(٩) أو منزه^(١٠) عن الجهات فإنه لا يخلو: إما أن تكون هذه المعاني واجباً تحققها، وإتقان المذهب الحق فيها أو يسع

(١) (والعبارة)، ليست في الرسالة الأضحوية.

(٢) الرسالة الأضحوية: (إلى التصريح).

(٣) الرسالة الأضحوية: (بالتوحيد).

(٤) الرسالة الأضحوية زاد: القيم.

الجائية: أي التي جاءت على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم.

(٥) ما بين النجمتين ليس في الرسالة الأضحوية في هذا الموضع وما قبل هذه الجملة متصل بما بعدها وابن القيم قال قبل ذكرها: «ثم قال في ضمن كلامه».

(٦) الرسالة الأضحوية: (المستندة).

(٧) ظ، م: (الذات)، بحذف حرف الجر وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٨) ظ، م: (تعالى الله عن ذلك).

(٩) ظ، م: (الذات) بحذف حرف الجر وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(١٠) ظ، م: (منزهاً)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

الصدوف^(١) عنها. وإغفال البحث والرؤية^(٢) فيها فإن كان البحث عنها معفوفاً عنه وغلط الاعتقاد الواقع فيها غير مؤاخذ به، فجل مذهب هؤلاء القوم المخاطبين بهذه الجملة تكلف وعنه غنية وإن كان فرضاً محكماً^(٣) فواجب أن يكون مما صرح^(٤) به في الشريعة، وليس التصريح المعنى، أو الملتبس^(٥)، أو المقتصر فيه بالإشارة والإيماء، بل^(٦) التصريح المستقصى / فيه والمنبه عليه، والموفى حق البيان والإيضاح^(٧) والتعريف لمعانيه^(٨) فإن المبرزين^(٩) المنفقين أيامهم ولياليهم وساعات عمرهم على تمرين أذهانهم وتزكية^(١٠) أفهامهم وترسيخ نفوسهم لسرعة الوقوف على المعاني الغامضة يحتاجون في فهم^(١١) هذه المعاني إلى فضل بيان^(١٢) وشرح عبارة فكيف غتم^(١٣) العبرانيين وأهل الوبر من العرب.

[١٥٥/١]

-
- (١) الصدوف: الميل عن النبي والاعراض عنه. لسان العرب ١٤١٦/٥، مادة: صدف.
(٢) الرسالة الأضحوية: الروية.
(٣) الرسالة الأضحوية: فرضاً لازماً محتوماً محكوماً.
(٤) ظ، م: (بما)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.
(٥) ظ، م: (الملبس)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.
(٦) ظ: (بل بلى).
(٧) الرسالة الأضحوية زاد: (والتفهم).
(٨) ظ، م: (على معانيه)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.
(٩) ظ: (البرين).
(١٠) ظ، م: (تذكيه)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية، انظر: الحاشية.
(١١) ظ، م: (تغرسهم)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.
(١٢) الرسالة الأضحوية: (إيضاح).
(١٣) ظ، (ضم)، م: (فهم)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

لعمرى^(١)، لو كلف الله رسولاً من الرسل أن يلقي حقائق هذه الأمور إلى الجمهور من العامة، الغليظة طباعهم، المتعلقة بالمحسوسات الصرفة أو هامهم، ثم سامه أن يتنجز^(٢) منهم الإيمان والإجابة غير متمهل فيه وسامه أن يتولى رياضة نفوس الناس قاطبة حتى يستعد الوقوف عليها لكلفه شططاً وأن يفعل ما ليس في قوة البشر.

اللهم إلا أن تدركه^(٣) خاصة الهية وقوة علوية وإلهام سماوي فتكون حينئذ وساطة الرسول مستغنى عنها وتبليغه غير محتاج إليه.

ثم هب^(٤) أن الكتاب العربي جاء^(٥) على لغة العرب وعبارة^(٦) لسانهم في^(٧) الاستعارة والمجاز فما قولهم في الكتاب العبراني^(٨) وكله^(٩) من أوله إلى آخره تشبيهه صرف وليس

= والغتمة: عجمة في المنطق ورجل أغتم وغتمي لا يفصح شيئاً، لسان العرب ٣٢/٣/٥، مادة: غتم.

(١) الرسالة الأضحوية: (ولعمرى).

(٢) ظ، م: (منجز).

وفي الرسالة الأضحوية: (أن يكون منجزاً لعامتهم الإيمان)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (وتدركهم)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٤) الرسالة الأضحوية: (هبط).

(٥) الرسالة الأضحوية: (جائياً).

(٦) الرسالة الأضحوية: (وعادة).

(٧) الرسالة الأضحوية: (من).

(٨) ظ: (العراي).

(٩) الرسالة الأضحوية: (كله)، بدون عطف.

لقائل أن يقول: إن ذلك الكتاب محرف كله وأن^(١) تحرف كليه كتاب منتشر^(٢) في أمم لا يطاق تعديدهم^(٣) وبلادهم متباينة^(٤) وأوهامهم^(٥) متباينة منهم يهودي ونصراني^(٦) وهم أمتان متعاديتان فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردة بخطاب الجمهور بما يفهمون مقرباً ما لا يفهمون إلى أفهامهم بالتمثيل والتشبيه ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة». قال: «فكيف يكون ظاهر الشرائع حجة في هذا الباب - يعني أمر المعاد-^(٧) ولو فرضنا الأمور الأخروية روحانية غير مجسمة بعيدة عن إدراك بدائة الأذهان تحقيقها^(٨) لم يكن سبيل^(٩) الشرائع إلى الدعوة إليها أو التحذير عنها^(١٠) إلا بالتعبير عنها بوجوه من التمثيلات المقربة إلى الأفهام، فكيف يكون وجود شيء حجة على وجود شيء آخر، لو لم يكن الشيء الآخر على الحالة المفروضة لكان الشيء الأول على حالته فهذا كله هو الكلام على تعريف من طلب أن يكون خاصاً من الناس لا عاماً،

(١) ظ، م: (أني)، بدون واو العطف، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٢) ظ، م: (مبشر)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(٣) ظ: (تعدددهم).

(٤) الرسالة الأضحوية: (متنائية).

(٥) الرسالة الأضحوية: (وأهواؤهم).

(٦) الرسالة الأضحوية: (منهم يهود ونصارى).

(٧) يعني أمر المعاد، جملة تفسيرية من كلام ابن القيم.

(٨) الرسالة الأضحوية لحقيقتها.

(٩) ظ، م: (سبيل للشرائع)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية.

(١٠) الرسالة الأضحوية زاد: منبهاً بالدلالة عليها بل بالتعبير.

إن ظاهر الشرائع غير محتج به في مثل هذه الأبواب»^(١) فتأمل^(٢) كلام هذا الملحد^(٣) بل رأس ملاحظة الملة^(٤) ودخوله إلى الإلحاد من باب نفي الصفات، وتسلفه في إلحاده على المعطلة النفاة، بما وافقوه عليه من النفي، وإلزامه لهم أن يكون الخطاب بالمعاد^(٥) جمهورياً أو مجازاً أو استعارة كما قالوا في نصوص الصفات التي اشترك هو وهم في تسميتها تشبيهاً وتجسيماً^(٦) مع أنها أكثر تنوعاً وأظهر معنى وأبين دلالة من نصوص المعاد، فإذا ساغ لكم أن تصرفوها عن ظاهرها بما لا تحتمله اللغة، فصرف هذه عن ظواهرها أسهل، ثم زاد هذا الملحد عليهم باعترافه أن نصوص الصفات لا يمكن حملها كلها على المجاز والاستعارة وأن يقال إن المراد غير ظاهرها، وإن لذلك الاستعمال مواضع تليق به بحيث تكون دعوى ذلك في غيرها غلطاً محضاً. كما في مثل قوله:

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

فمع هذا التقسيم والتنويع يمتنع المجاز والاستعارة وإنما أريد ما دل اللفظ عليه ظاهراً، ومع هذا فقد ساعدتهم على

(١) انتهى كلام ابن سينا. انظر: الرسالة الأضحوية، ص ٥١.

(٢) في هامش م: (فتأمل آخر كلام ابن سينا).

(٣) ظ: (المجلد)، وهو خطأ.

(٤) رأس ملاحظة المتسبين إلى الملة.

(٥) (بالمعاد): سقط من م.

(٦) ظ، م: (تجسيماً)، ولعل الصواب ما أثبت.

امتناعه لقيام الدليل العقلي عليه، فهكذا نفعل نحن في نصوص المعاد سواء، فهذا حاصل كلامه والزامه ودخوله إلى الإلحاد^(١) من باب نفي الصفات والتجهم، وطريق^(٢) الرد المستقيم بإبطال قوله وقول المعطلة جميعاً. والمقصود أن هؤلاء الجهمية والمعتزلة لما وافقوا هذا الملحد على نفي الصفات. وأن هذا النفي هو التوحيد الحق، احتج عليهم بهذه الموافقة على أن الرسل لم يثبتوا ما هو الحق في نفسه في معرفة توحيد الله، ومعرفة اليوم الآخر ولم يذكروا ما هو الذي يصلح لخاصة بني آدم وأولى العقول بينهم أن يفهموه ويعقلوه من هذا الباب وأن نصوص الوحي من كتب الله المنزلة وكلام رسله لا يحتاج بها في باب الإيمان بالله ولا في اليوم الآخر. لا في الخلق. ولا في البعث لا المبدأ ولا المعاد وأن الكتب الإلهية إنما أفادت تحيلاً ينتفع به العامة، لا تحقيقاً يفيد العلم والمعرفة، وأن أعظم العلوم وأجلها وأشرفها هو العلم بالله لم تثبته الرسل ولم تنطق به. ولم يهد إليه الخلق، فلم يتبين معرفة الله ولا معرفة المبدأ ولا / المعاد بل نطقت فيه بخلاف الصواب فاشتركت المعطلة الجهمية والملاحدة في نسبة الرسول إلى ذلك في باب الصفات، وامتازت عليها الملاحدة بأن الرسول أراد إفهام ظاهرها، وقالت المعطلة أراد إتعب الأذهان في إفهام خلاف ظاهرها وعرض الأمة إلى الباطل في اعتقاده ظاهرها.

[١٥٦/١]

(١) وهذا الإلحاد هو نفي المعاد.

(٢) م: (والطريق).

الوجه الرابع والتسعون :

أن يقال لا يخلو إما أن يكون الرسول يعرف ما دل عليه العقل بزعمكم من إنكار علو الله على خلقه واستوائه على عرشه وتكليمه لرسله وملائكته أو لم يكن يعرف ذلك . فإن قلت لم يكن يعرفه كانت الجهمية والمعطلة والملاحدة والمعتزلة والقرامطة الباطنية والنصيرية والإسماعيلية وأمثالهم ، وأفراخهم وتلامذتهم أعلم بالله وأسمائه وصفاته وما يجب له ، ويمتنع عليه ، من رسله وأتباعه .

إما أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم ما دل عليه العقل بزعمكم من نفي الصفات أولاً

وإن كان يعرفه امتنع أن لا يتكلم به يوماً من الدهر مع أحد من خاصته . والمطلعين^(١) على سره ، ومن المعلوم قطعاً أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يتكلم مع أحد بما يناقض ما أظهره للناس ، ولا كان خواص أصحابه يعتقدون فيه نقيض ما أظهره للناس . بل كل من كان به أخص وبحاله أعرف كان أعظم موافقة له وتصديقاً له على ما أظهره وبينه وأخبر به فلو كان الحق في الباطن خلاف ما أظهره لزم أحد الأمرين . إما أن يكون جاهلاً به أو كاتماً له عن الخاصة والعامة ، ومظهراً خلافه للخاصة والعامة ، وهذا من أعظم الأمور ، امتناعاً^(٢) ومدعيه في غاية الوقاحة والبهت ، ولهذا لما علم هؤلاء أنه يستحيل كتمان ذلك عن خواصه ، وضعوا أحاديث بينوا فيها أنه كان له خطاب مع خاصته غير الخطاب العامي مثل الحديث المختلق المفترى

(١) ظ ، م : (المعطلين) ، والصواب ما أثبتته .

(٢) م ، ظ : (وامتناعاً) .

عن عمر أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع أبي بكر وكنت كالزنجي بينهما»^(١)، ومثل ما تدعيه الرافضة أنه كان عند علي علم خاص باطن يخالف هذا الظاهر، ولما علم أنه^(٢) سبحانه أن ذلك يدعى في علي وفق من سأله هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء خصكم به دون الناس. فقال: لا. والذي خلق الحبة وبرأ النسمة^(٣) ما أسر إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كتمه عن غيرنا إلا فهماً، يوتيه الله عبداً في كتابه وما في هذه الصحيفة وكان فيها العقول - الديات -^(٤) وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر. «وهذا الحديث متفق على صحته وفي لفظ في الصحيح عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده إلى الناس فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة»^(٥).

إن الكتب الإلهية الوجه الخامس والتسعون:
 حاکمة بین الناس إن الله سبحانه أنزل كتبه حاکمة بین الناس فیما اختلفوا
 فكيف لا یجتج بها فی فیہ قال الله تعالى:
 مثل هذه الأبواب

- (١) حديث موضوع، انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص ٣٣٥، تحقيق المعلمي وفيه قال ابن تيمية: موضوع.
 وانظر: المنار المنيف لابن القيم، ص ١١٥، تحقيق عبدالفتاح أبوغدة.
 (٢) كذا في الأصل ولعل الصواب حذف (أنه).
 (٣) ظ: (بر النسمة).
 (٤) ظ، م: (العقول والديات) بالعطف. والصواب ما أثبت.
 (٥) الحديث سبق تحريجه، ص ٥٠٧.

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾
[البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ
اللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال تعالى:

﴿ فَإِنْ نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩].

فكيف يحكم بين الناس في مواطن الخلاف والنزاع كلام
وخطاب ليس فيه علم ولا هدى ينتفع به أولوا الأبواب
كما زعم هؤلاء أن الكتب الإلهية لا يحتج بها في مثل هذه
الأبواب، فكيف تكون حاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه
وأى اختلاف أعظم من الاختلاف في أجل الأمور وهو معرفة
الله تعالى واليوم الآخر، والخلاف الحقيقي إنما يكون في
الأمور العلمية والقضايا الخبرية التي لا تقبل النسخ والتغيير
فأما العمليات التي تقبل النسخ فتلك تنوع في الشريعة
الواحدة فكيف بالشرائع المتنوعة وما جاز تنوعه لم يكن
الخلاف فيه حقيقياً، فإنها إن كانا^(١) مشروعين في وقتين
أوبرسولين فكلاهما حق وإن كان الخلاف في المشروع منهما
أيها هو فهذا يعلم بالخبر المنقول عن الصادق وحينئذ فنقول
في.

(١) م: (كان).

الوجه السادس والتسعين^(١)

ما^(٢) ذكره ابن سينا وأمثاله في أنه لم يرد في القرآن من الإشارة إلى توحيدهم شيء فكلام صحيح . وهذا دليل على أنه باطل لا حقيقة له . وأن من وافقهم عليه فهو جاهل ضال وكذلك ما ذكره^(٣) أن من المواضع التي ذكرت فيها الصفات ما لا يحتمل اللفظ فيها إلا معنى واحداً لا يحتمل ما يدعيه أهل التأويل من الاستعارة والمجاز كما ذكره في قوله :

في مناقشة ابن القيم
لكلام ابن سينا

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ / إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].
وقوله :

[١٥٧/١]

﴿ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وهذا حجة على من نفى حقيقة ذلك، ومدلوله من المعطلة نفاة الصفات وهو حجة عليه وعليهم جميعاً وموافقتهم له على التعطيل لا ينفعه، فإن ذلك حجة جدلية لاعلمية، إذ تسليمهم له ذلك لا يوجب على غيرهم أن يسلم ذلك له فإذا تبين بالعقل الصريح ما يوافق النقل الصحيح دل ذلك على فساد قوله وقولهم جميعاً . وكذلك قوله : هب إن هذه كلها موجودة على الاستعارة فأين^(٤) التوحيد والدلالة بالتصريح على التوحيد المحض الذي يدعو

(١) ظ، م : (والتسعون)، وهو معطوف على (الوجه) المجرور بفي .

(٢) ظ : (إنما) ؛ م : (إن ما)، والصواب ما أثبت .

(٣) انظر: ص ١٠٩٩، ١١٠٠ .

(٤) ظ، م : (فإلى)، وما أثبتته من الرسالة الأضحوية .

إليه حقيقة هذا الدين القيم المعترف بجلالته على لسان
حكماء العالم قاطبة كلام صحيح، لو كان ما قاله النفاة حقاً
فإنه على قولهم لا يكون هذا^(١) الدين القيم، قد بين التوحيد
الحق أصلاً وحينئذ فنقول في.

الوجه السابع والتسعين^(٢):

إن التوحيد الذي دعى إليه هؤلاء الملاحدة وذكروا أنه
التوحيد الحق هو من أعظم الإلحاد في في أسماء الرب وصفاته
وأفعاله وهو حقيقة الكفر به وتعطيل العالم عن صانعه
وتعطيل الصانع الذي أثبتوه عن صفات كماله فشكل^(٣)
عباد الأصنام والأوثان والكواكب والشمس والقمر خير من
توحيد هؤلاء بكثير فإنه شرك في الإلهية مع إثبات صانع
العالم وصفاته وأفعاله وقدرته ومشيتته وعلمه بالكليات
والجزئيات وتوحيد هؤلاء تعطيل الربوبية والإلهية وسائر
صفاته وهذا التوحيد ملازم لأعظم أنواع الشرك. ولهذا كلما
كان الرجل أعظم تعطيلاً كان أعظم شركاً ولا تجد معطلاً
نافياً إلا وفيه من الشرك بقدر ما فيه من التعطيل، وتوحيد
الجهمية والفلاسفة^(٤) مناقض لتوحيد الرسل من كل وجه
فإن مضمون توحيد الجهمية إنكار حياة الرب وعلمه وقدرته
وسمعه وبصره وكلامه واستوائه على عرشه ورؤية المؤمنين له

(١) ظ، م: (لهذا)، وما أثبتته من المختصر.

(٢) ظ، م: (والتسعون)، وهو معطوف على الوجه المجرور بفي.

(٣) ظ: (فرلي).

(٤) انظر: ص ٩٢٩.

بأبصارهم عياناً من فوقهم يوم القيامة، وإنكار وجهه الأعلى ويديه ومجيئه وإتيانه ومحبتة ورضاه وغضبه وضحكه وسائر ما أخبر به الرسول عنه. ومعلوم أن هذا التوحيد هو نفس تكذيب الرسول فيما أخبر به عن الله وجحده. فاستعار له أصحابه اسم التوحيد وقالوا: نحن الموحدين كما استعار المنكرون للمقدر اسم العدل^(١) بجحده ودفعه وقالوا: نحن أهل التوحيد والعدل فهذا^(٢) توحيدهم وهذا عدلهم. والعدل والتوحيد الذي جاء به الرسول خلاف هذا وهذا قال الله تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩].

الوجه الثامن والتسعون:

أنه لو كان الحق فيما^(٣) يقوله هؤلاء النفاة المعطلون وإخوانهم من الملاحدة لكان^(٤) قبول الفطر له أعظم من قبولها للإثبات الذي هو ضلال وباطل عندهم، فإن الله سبحانه نصب على الحق الأدلة والأعلام الفارقة بين الحق والباطل، والنور والظلام، وجعل فطر عباده مستعدة لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من الاستعداد لمعرفة

بيان أنه لو كان الحق فيما يقول هؤلاء النفاة لقبته الفطر ولم تقبل الإثبات

(١) انظر: ص ٩٤٩.

(٢) ظ، م: (فيهذا).

(٣) ظ: (فيها).

(٤) ظ: (فكان).

الحقائق لم يكن النظر، والاستدلال والخطاب^(١) والكلام والفهم والإفهام^(٢)، وكما أنه سبحانه جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا ذلك لما أمكن تغذيتها وتربيتها، وكما أن في الأبدان قوة تفرق بين الغذاء الملائم والمنافي ففي القلوب قوة، تفرق بين الحق والباطل أعظم من ذلك، فخاصة العقل التفريق^(٣) بين الحق والباطل، وتمييز هذا من هذا كما أن خاصة السمع التمييز بين الأصوات حسنها وقيحها، وخاصة الشم^(٤) التمييز بين أنواع الروائح طيبها وخبيثها وكذلك خاصة الذوق في الطعوم فإذا ادعيتم على العقول أنها لا تقبل الحق وأنها لو صرح لها به لأنكرته، ولم تدعن^(٥) إلى الإيمان فقد سلبتم العقول خاصتها وقلبتم الحقيقة التي خلقها الله وفطرها عليه وكان نفس ما ذكرتم أن الرسل لو خاطبت به الناس لنفروا عن الإيمان من أعظم الحجج عليكم وأنه مخالف للعقل والفطرة، كما هو مخالف للسمع والوحي / فتأمل هذا الوجه فإنه كاف في إبطال قولهم، ولهذا لو أراد أهله أن يدعوا الناس إليه ويقبلوه منهم وطأوا له^(٦) توطئات وقدموا له مقدمات بنوها^(٧) في القلب

[١٥٨/١]

-
- (١) ظ: (ولا الخطاب)، ولعل الصواب حذف: (لا).
(٢) ظ: (الالفهام)؛ م: (الإلهام)، لعل الصواب ما أثبت.
(٣) ظ، م: (الفرق) والصواب ما أثبتته.
(٤) ظ، م: (السمع)، والصواب ما أثبتته.
(٥) ظ، م: (تدعى).
(٦) ظ: (تأطوله موطيات)؛ م: (ناطوا له موطيات)، والصواب ما أثبتته.
(٧) م: (سنوها).

درجة بعد درجة ولا يصرحون به أولاً حتى إذا أحكموا ذلك البناء استعاروا له ألفاظاً مزخرفة^(١) واستعاروا لما خالفه ألفاظاً شنيعة، فتجتمع تلك المقدمات التي قدموها وتلك الألفاظ التي زخرفوها، وتلك الشناعات التي على من خالفهم^(٢) شنعوها فهناك إن لم يمسك الإيمان من يمسك السموات والأرض أن تزولا وإلا ترحل عن القلب ترحل الغيث استدبرته الريح، يوضحه.

الوجه التاسع والتسعون:

إننا نعرض على الفطر السليمة والعقول التي لم تفسد بتلقي^(٣) المقالات الفاسدة وتلقيها عن المعلمين خصمين اختصموا في ربهم فقال أحدهما: هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر. الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه، حي له الحياة، قدير له صفة القدرة، مريد له صفة الإرادة كلم موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكاً هشيماً فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه، يرى من فوق سبع سماوات، ويسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ويرى ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في غياهب

في عرض أقوال هؤلاء وهؤلاء على العقل والفطرة الصحيحة ل ترى ماذا تخنار

(١) ظ: (من خرفه).

(٢) ظ، م: (ما خالفه)، وما أثبتته من المختصر.

(٣) م: (سلقى).

الظلمات لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ولا تسقط ورقة إلا بعلمه .
ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض والسماوات ترفع
إليه الحاجات وتصعد إليه الكلمات الطيبات، وينزل من
عنده الأمر بتدبير المخلوقات، له القوة كلها، والعز كله،
والجمال كله، والعلم كله، والكمال كله، وهو الحي القيوم
الذي^(١) لا تأخذه سنة ولا نوم^(٢) موصوف بكل جمال منزه
عن كل نقص وعيب، لا تضرب له الأمثال ولا يشبهه
بالمخلوقات، فعال لما يريد، لوجهه سبحات^(٣) الجلال
وهو الجميل الذي له كل الجمال، إحدى يديه للوجود
والفضل والأخرى للقسط والعدل، يقبض سماواته السبع
بإحدى يديه والأرضين السبع باليد الأخرى ثم يهزهن ثم
يقول أنا الملك، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط
ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار
قبل عمل الليل . حجابة النور لو كشفه لأحرقت سبحات
وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . قريب، مجيد، رحيم،
ودود لطيف خبير.

فصل

وقال الآخر: بل هو موصوف بالسلوب والإضافات
فلا سمع له ولا بصر، ولا حياة، ولا إرادة، ولا يتكلم،
ولا يكلم أحداً من خلقه، ولا هو داخل العالم ولا خارجه

(١) ظ، م: (التي)، والصواب ما أثبتته .

(٢) (ولا نوم): مكرر في ظ .

(٣) سبحات: سبق ذكر معناها، انظر: ص ١٠٨٢ .

ولا فوق العرش ولا تحته، ولا يمينه ولا يساره، ولا خلفه
ولا أمامه، ولا له وجه، ولا يد، ولا يرضى ولا يغضب
ولا يسخط ولا يضحك، ولا يفرح بتوبة تائب، ولا استوى
على عرشه، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا يأتي يوم
القيامة ولا يجيء لفصل القضاء، ولا يراه المؤمنون بأبصارهم
ولا يستمعون كلامه، ولا يقوم به فعل البتة، ولا وصف،
ولا له حقيقة وماهية غير وجود مطلق، وهو وجه كله،
وسمع كله، وبصر كله، ويد كله، علمه ذاته، وسمعه
وبصره، علمه ليس له يد غير القدرة خلق بها آدم، وكتب
بها التوراة وغرس بها جنة عدن يقبض بها السموات،
وليس له وجه يراه المؤمنون بأبصارهم، ليس
بجوهر، ولا جسم، ولا متحيز ولا متحرك ولا ساكن،
ولا ينزل من عنده شيء، ولا يصعد إليه شيء، ولا يقرب
منه شيء ولا يجبه أحد ولا يجب أحداً إلى أمثال ذلك من
النفي، فأعرض أقوال هذين الخصمين على الفطرة
الصحيحة والعقل، واجلس مجلس الحكومة^(١) بينهما ثم تحيز
إلى أي الفئتين شئت، فما ثم إلا الإثبات من كل وجه لما أثبتته
الله لنفسه، وأثبتته رسوله، أو التعطيل الصرف، والنفي
المحض فاختر لنفسك إحدى الخطتين، واجعلها مع إحدى
الفئتين، فالمرء مع من أحب وحينئذ فنقول في:

(١) الحكومة هي القضية كما سبق والمعنى هنا واجلس مجلس الحاكم بينهما.

الوجه المائة :

إن الأعمال الصالحة والفاصلة نتائج الاعتقادات الصحيحة والباطلة، فانظر رؤوس المثبتة والنفاة وملوكهم وأتباعهم يبين لك حقيقة / الأمر فرؤوس المثبتة، آدم، ونوح، وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم الخليل وسائر الأنبياء من ذريته. وموسى الكليم وعيسى وجاء خاتمهم وآخرهم وأعلمهم بالله سيد ولد آدم محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، فجاء بالإثبات المفصل الذي لم يأت رسول^(١) بمثله، فصرح من إثبات الصفات والأفعال بما لم يصرح به نبي قبله، وذلك لكمال عقول أمته وكمال تصديقهم، وصحة أذهانهم، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حامل لواء الإثبات وتحت ذلك اللواء آدم وجميع الأنبياء وأتباعهم ثم المهاجرون والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة رضوان وسائر الصحابة ثم التابعون^(٢) لهم بإحسان ممن لا يحصيهم إلا الله ثم أتباع التابعين ثم أئمة الفقه في الأعصار والأمصار منهم الأئمة الأربعة، ثم أهل الحديث قاطبة وأئمة التفسير والتصوف والزهد والعبادة، المقبولون عند الأمة ممن لا يحصي عددهم إلا الله، فهل سمع في الأولين والآخرين بمثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المشهود لهم بالجنة وسائر المهاجرين والأنصار، وهل سمع يقوم أتم عقولاً وأصح أذهاناً وأكمل علماً ومعرفة، وأزكى

بيان أن أئمة المثبتة
الأنبياء والصالحون
[١٥٩/١]
وأئمة النفاة فرعون
وتمود وأخوانهم
وسير الفريقين
وأعمالهم دليل قاطع

(١) ظ: (رسوله)، م: (رسله)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ: (ثم التابعين)؛ م: (ثم والتابعين)، والصواب ما أثبت.

قلوبا من هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ قال غير واحد من السلف هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال فيهم عبدالله بن مسعود. . «من كان منكم مستنأ فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»^(١) فهؤلاء أمراء هذا الشأن، وأما الجند والعساكر فالتابعون كلهم ثم الذين يلونهم مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وحماد بن زيد^(٢) وحماد بن سلمة وعبدالله بن المبارك والليث بن سعد وإسحاق بن راهويه والإمام أحمد والشافعي

(١) رواه البغوي في شرح السنة ٢١٤/١.

ورواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ص ٣٦٨.

ورواه رزين كما في مشكاة المصابيح ٦٨/١.

وقال الألباني في حاشية المشكاة.

ورواه الهروي من طريق قتادة عنه فهو منقطع.

(٢) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل البصري، ولد سنة ٩٨،

كان ضريراً روى عن ثابت البناني وأنس بن سيرين وعبدالعزیز بن صهيب وغيرهم،

وروى عنه ابن المبارك وابن مهدي وابن وهب. . . وغيرهم، قال الإمام أحمد: حماد بن

زيد أحب إلينا من عبدالوارث حماد من أئمة المسلمين من أهل الدين والإسلام

وهو أحب إلى حماد بن سلمة. توفي سنة ١٧٩.

تهذيب التهذيب ٩/٣، ١١؛ سير أعلام النبلاء ٤٥٦/٧، ٤٦٦؛ الجرح والتعديل

١٧٦/١، ١٨٤، ١٣٧/٣، ١٣٩؛ خلاصة تذهيب التهذيب الكمال، ص ٩٢.

وعلي بن المديني^(١) ويحيى بن معين^(٢) والبخاري ومسلم
وأبي داود والترمذي والنسائي ومحمد بن أسلم الطوسي^(٣)
وأبي حاتم^(٤) وأبي زرعة^(٥) الرازيين وأمثالهم.

(١) هو علي بن عبدالله بن جعفر السعدي مولا هم البصري، ولد سنة ١٦١، أمير المؤمنين في الحديث. قال أبو حاتم الرازي كان ابن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل، قال عبدالله بن أحمد كان أبي حدثنا عنه ثم أمسك عن اسمه وكان يقول حدثنا رجل ثم ترك حديثه بعد ذلك. وذلك لميله إلى أحمد بن أبي دؤاد. قال البخاري مات سنة ٢٣٤.

سير أعلام النبلاء ٤١/١١، ٦٠؛ الجرح والتعديل ١٩٣/٦، ١٩٤؛ ميزان الاعتدال ١٣٨/٣.

(٢) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام العطفاني ثم المري مولا هم البغدادي، ولد سنة ١٥٨، شيخ المحدثين، قال حنبل سمعت أبا عبدالله يقول: كان أعلمنا بالرجال يحيى بن معين وأحفظنا للأبواب سليمان الشاذكوني وأحفظنا للطوال علي ومات بالمدينة سنة ٢٣٣.

سير أعلام النبلاء ٧١/١١، ٩٦؛ الجرح والتعديل ٣١٤/١، ٣١٨؛ ميزان الاعتدال ٤١٠/٤؛ تهذيب التهذيب ٢٨٠/١١، ٢٨٨.

(٣) هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد أبو الحسن الكندي مولا هم الطوسي اشتهر بالصلاح من حفاظ الحديث من كتبه «المسند» و«الرد على الجهمية» و«الإيمان والأعمال» في الرد على الكرامية، قال أبو حاتم محمد بن أسلم ثقة، توفي سنة ٢٤٢. شذرات الذهب ١٠٠/٢؛ الجرح والتعديل ٢٠١/٧؛ الأعلام ٣٤/٦.

(٤) أبو حاتم: هو محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي، الحافظ ولد سنة ١٩٥، قال موسى بن إسحاق الأنصاري ما رأيت أحفظ منه، مات في شعبان سنة ٢٧٧. الكاشف للذهبي ١٨/٣؛ الجرح والتعديل ٣٤٩/١.

(٥) أبوزرعة هو عبيدالله بن عبدالكريم، أبوزرعة الرازي، الحافظ ولد سنة ١٩٠، أحد الأئمة الأعلام، قال ابن راهويه: كل حديث لا يعرفه أبوزرعة فليس له أصل، توفي سنة ٢٦٤، في آخر يوم من السنة.

الكاشف للذهبي ٢٣٠/٢؛ الجرح والتعديل ٣٢٨/١.

وأما عامتهم فأهل الدين والصدق والورع والزهد
والعبادة والإخلاص، واجتناب المحارم وتوقي المآثم.

وأما رؤوس النفاة والمعتلين ففرعون، إذ يقول:

﴿يَنْهَمُنُّ ابْنٌ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ
السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾

[غافر: ٣٦، ٣٧].

وجنوده كلهم، وغرود بن كنعان هذا خصم إبراهيم
الخليل وذاك خصم موسى الكليم وأرسطاطاليس وبقرطيس
وأضرابهما، وطمطم^(١) وتنكلوسا^(٢). وابن وخشيه^(٣)
وأضرابهم. وابن سينا والفارابي وكل فيلسوف لا يؤمن بالله
ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه.

وأما عوامهم فاعتبر عوام النصيرية والإسماعيلية

(١) انظر: الطماطم، ص ٢٦٧.

(٢) لعله تينكلوس اليابلي: وهو أحد العلماء السبعة الذين رد إليهم الضحاك البيوت السبعة
التي بنيت على أسماء الكواكب السبعة. ومن كتبه الوجود والحدود، الفرست ٣٧٧.

(٣) ابن وخشيه: هو أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار بن عبدالكريم الكردي
الصوفي. أحد فصحاء النبط بلغة الكشدانيين وكان يدعي أنه ساحر وله من كتب
السحر: كتاب طرد الشياطين ويعرف بالأسرار، وكتاب أسرار الكواكب، وله في
الكيمياء كتاب الأصول الكبير في الصنعة، والأصول الصغير في الصنعة... وغيرهما،
وكان يترجم من النبطية إلى العربية. الفهرست لابن النديم، ص ٣٤٢، ٤٣٣،
٥٠٤.

والدرزية^(١) والحاكمية والطرقية^(٢) والعرباء^(٣) وعبادهم
 البخشية^(٤) والطوسية وعلمائهم السحرة وعساكرهم
 المشركون والقرامطة الذين هم أعظم الأمم إفساداً للعالم
 والدين، فليعتبر العاقل خواص هؤلاء وهؤلاء وعوام هؤلاء
 وهؤلاء وليقابل بين الطائفتين وحينئذ يتبين له أنه ما كان
 ولا يكون ولي لله إلا من أهل الإثبات وما كان ولا يكون ولي
 للشيطان إلا من أهل النفي والتعطيل، إما تعطيل
 الصانع عن صفات كماله ونعوت جلاله، وإما تعطيل
 القلب عن توحيده وعبوديته وإخلاص الدين له، واعتبر
 ذلك بإمام النفاة في زمانه وما جرى على أهل السنة منه
 ابن أبي دؤاد^(٥)^(٦)، وأصحابه الذين سعوا في ضرب الإمام.

-
- (١) الدرزية: سمو بذلك نسبة إلى رجل يقال له درزي وهم طائفة من الإسماعيلية وقالوا
 بألوهية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ويلقبون أحياناً بالحاكمية.
 انظر: مذاهب الإسلاميين ٥٠٩/٢، وما بعدها.
- (٢) الطرقية: نسبة إلى الطرق جمع طريقة وهم أصحاب الطرق الصوفية.
- (٣) العرباء، الصرحاء، تقول عرب عاربة وعرباء صرحاء ومتعربة ومستعربة دخلاء ليسوا
 بخلص. لسان العرب ٢٨٦٣/٤.
- (٤) البخشية: لعلها نسبة إلى كلمة «بخشى» وهي كلمة يحتمل أن تكون مأخوذة من
 الكلمة السنسكريتية (بهشكو وهي تدل على كهنة بوذا). كما تطلق على العرافين والسحرة
 الذين يعالجون المرض بالشعوذة. فلعلها هذه الطائفة التي تجعل من السحر والشعوذة
 والكهانة مهنة لها وهي الطائفة البخشية، دائرة المعارف الإسلامية ٤٣٥/٣.
- (٥) ظ، م: (ابن أبي داود).
- (٦) هو أحمد بن أبي دؤاد القاضي ولي القضاء للمعتصم والواثق، ولد سنة ١٦٠،
 وهو جهمي المعتقد امتحن أهل السنة في خلق القرآن. وكان المعتصم لا يقطع أمراً
 دونه أصيب بالفالج وتوفي سنة ٢٤٠ متأثراً بمرضه.
 البداية والنهاية لابن كثير ٣٦١/١٠؛ الأعلام ١٢٤/١.

أحمد وقتل كثير من أهل السنة وحبسهم وتشتيتهم في البلاد، وقطع أرزاقهم ثم إمامهم في زمانه نصير الكفر والشرك الطوسي. وما جرى على المسلمين منه من قتل خليفتهم وعلمائهم وعبادهم، وإذا اعتبرت^(١) أحوال القوم رأيت عوام اليهود والنصارى أقل فساداً في الدين والدنيا من أئمة هؤلاء المعارضين لنصوص الأنبياء بعقولهم وغاية الواحد من هؤلاء إذا أراد الجاه أن يتقرب إلى الملوك الجهلة الظلمة بما يناسبهم من السحر فيصنف لهم فيه ويتقرب به إليهم فهؤلاء علماءهم، وملوكهم وعوامهم فكيف يكون هؤلاء أحظى بالعقل وأسعد به من الرسل وأتباعهم.

وسيرة هؤلاء وهؤلاء معلومة في العالم وأعمالهم وعلومهم ومعارفهم وآثارهم دالة لمن له أدنى عقل على حقيقة^(٢) الحال والله أعلم / .

[١٦٠/١]

الوجه الحادي والمائة :

بيان أن معارضة العقل للوحي بضم المعقل للوحي بضم الوحي بضم ما وصفه الله به . فإن الله سبحانه وصفه بكونه هدى في نوجب وصف الوحي بضم ما وصفه الله به . غير موضع وأخبر أنه يهدي للتي هي أقوم الطرق وهي أقربها إلى الحق . فإن الطريق المستقيم هو أقرب خط موصل^(٣) بين

(١) قال في لسان العرب ٤/ ٢٧٨٢ : «العابر الذي ينظر في الكتاب فيعبره أي يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه . ولذا قيل عبر الرؤيا واعتبر فلان كذا . . . اهـ . والمعنى أي إذا نظرت نظرة اعتبار وتأمل في أحوال القوم رأيت . . . إلخ .

(٢) م : (الحقيقة).

(٣) ظ ، م : (مفصل).

نقطتين، وكلما تعوج بعد. وأخبر سبحانه أنه شفاء لما في الصدور، وهذا يتضمن أنه يشفي ما فيها من الجهل والشك والحيرة والريب كما أن الهدى يتضمن أنه موصل إلى المقصود فالهدى يوصلها إلى الحق المقصود من أقرب الطرق والشفاء يزيل عنها أمراضها المانعة لها من معرفة الحق وطلبه، فهذا الجهل المقتضي، وهذا يزيل المانع، ومن المحال أن تكون هذه صفة كلام مخالف للعقل ومعارض له^(١)، وكذلك أخبر أنه نور كما قال تعالى:

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا^(٢) النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
وقال:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾
[الشورى: ٥٢].

فهو نور البصائر من العمى كما هو شفاء الصدور من الجهل والشك ومحال أن تتنور البصائر بما يخالف صريح العقل فإنما يخالف العقل موجب^(٣) الظلمة، وأخبر سبحانه أنه برهان فقال:

(١) ظ، م: (مخالفة للعقل ومعارضة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (والتبعوا).

(٣) ظ، م: (فوجب)، والصواب ما أثبت.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

ومحال أن يكون ما يخالف صريح العقل برهاناً، وأخبر سبحانه أنه علم كما قال:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾

[آل عمران: ٦١].

وما يخالف العقل الصريح لا يكون علماً، وأخبر أنه حق والعقل الصريح لا يخالف الحق فقال تعالى:

﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْيَوْمُ﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

[آل عمران: ١ - ٢].

وقال:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال:

﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

[يونس: ٩٤].

وقال:

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].

وحيثُذ فكونه حقاً يدل على أن ما خالفه مما يسمى

(١) ظ، م: (ولقد).

معقولاً باطلاً، فإن كان ما خالفه حقاً لزم أن يكون باطلاً، وإن كان هو الحق فما خالفه باطل قطعاً. وأخبر أنه آيات بينات وما يخالف صريح العقل لا يكون كذلك، وأخبر أنه أحسن القصص وأحسن الحديث، ولو خالف صريح العقل لكان موصوفاً بضد ذلك، وأخبر أنه أصدق الكلام فقال:

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

ولو خالف العقل لم يكن كذلك، وكان كلام هؤلاء الضالين المضلين أصدق منه، وأخبر أن القلوب تطمئن به أي تسكن إليه من قلق الجهل والريب والشك كما يطمئن القلب إلى الصدق، ويرتاب بالكذب فقال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وجعل هذا من أعظم الآيات على صدقه وأنه حق من عنده. ولهذا ذكره جواباً لقول الكفار ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ فقال: ﴿قُلْ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ يَضْلُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي بكتابه الذي أنزله وهو ذكره وكلامه ولو كان في العقل الصريح ما يخالفه لم تطمئن به قلوب العقلاء والعاقل اللبيب إذا تدبر القرآن، وتدبر كلام هؤلاء المعارضين له تبين أن الريبة كلها في كلامهم والطمأنينة في كلام الله ورسوله، وأخبر سبحانه أن

التوراة - التي هو^(١) أكمل وأجل منها - إماماً للناس . فقال
تعالى :

﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ ﴾ [الأحقاف: ١٢].

والإمام هو القدوة الذي يؤتم به . وكيف يقتدي بكلام
يخالف صريح العقل وسماه سبحانه فرقاناً لأنه فرق بين
الحق والباطل ، فلو خالف صريح العقل لم يكن فرقاناً .
ولكان^(٢) الفرقان كلام هؤلاء الضالين المضلين وأخبر أنه
كتاب مبارك ، والمبارك : الكثير البركة والخير والهدى
والرحمة ، وهذا لا يكون فيما يردده العقل ويقضي بخلافه ،
وأخبر أن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، ولو كان
العقل يخالفه لأتاه الباطل من كل جهة ، وأخبر أنه كتاب
أحكمت آياته وأنه حكيم وأنه فصل ، وما يخالفه العقل
لا يوصف بشيء من ذلك . وأخبر أنه مهيمن على^(٣) كل
كتاب أي أمين عليه وحاكم وشاهد وقيم ، ولو خالفه العقل
لكان مهيمناً عليه وكانت معقولات هؤلاء الضالين
المضلين / هي^(٤) المهيمنة عليه ، ولم يكن هو المهيمن عليها ،
وأخبر أنه لا عوج فيه وأنه قيم فقال :

[١٦١/١]

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لِمَنْ عَوجًا قِيَمًا ۗ ﴾
[الكهف: ١ ، ٢].

(١) هو: أي القرآن .

(٢) م: (ولو كان) .

(٣) ظ، م: (في كل)، ولعل الصواب ما أثبت .

(٤) ظ، م: (من المهيمنة)، ولعل الصواب ما أثبت .

وأي عوج أعظم من مخالفة صريح العقل له، وقال
تعالى:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨].

ومن تدبره وتدبر ما خالفه عرف أن القدح كله
فيها خالفه.

وعلمه بتعوج ما خالفه يعرف من طريقتين: من جهة
الكلام في نفسه وأنه باطل، ومن جهة مخالفته للقرآن،
وجعله سبحانه حجة على خلقه، كما قال تعالى:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
﴾ ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا نَعْن
دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ﴾ ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا (١) أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا
أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ
آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧].

وقال تعالى:

﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وكيف تقوم الحجة بكلام يخالف صريح العقل وحينئذ
فنقول في:

(١) ظ، م: (أو تقولوا إنا).

الوجه الثاني والمائة :

إن الله سبحانه ضمن الهدى والفلاح لمن اتبع القرآن والضلال والشقي لمن أعرض عنه، فكيف بمن عارضه^(١) بمعقول أو رأي أو حقيقة باطلة أو سياسة ظالمة أو قياس إبليسي أو خيال فلسفي ونحو ذلك، قال تعالى :

بيان أن الله تعالى ضمن الهدى لمن اتبع القرآن والضلال لمن أعرض عنه

﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلَا تُصَلِّوا إِتِّعَافًا مِنْكُمْ وَلَا حِسَابًا مِنْكُمْ إِنَّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ حَسْبُكُمْ﴾
﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلَا تُصَلِّوا وَلَا تَسْقُوا وَلَا تُكَلِّمُوا وَالَّذِينَ يَكْفُرُوا فَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾
﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾
﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ كَذَلِكَ أَلْتَمَنَّا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾
[طه : ١٢٣ ، ١٢٥].

فضمن سبحانه لمن اتبع هداه، وهو كلامه، الهدى في الدنيا والآخرة. والسعادة في الدنيا والآخرة فهذا امران :

طريقة وغاية، فالطريقة: الهدى. والغاية: السعادة والفلاح فمن^(٢) لم يسلك هذه الطريقة لم يصل إلى هذه الغاية، والله سبحانه قد أخبر أن كتابه الذي أنزله هو الهدى والطريق، فلو كان العقل الصريح يخالفه^(٣) لما كان طريقاً إلى الفلاح والرشد، وقد أخبر سبحانه أن الذين اتبعوا النور الذي أنزل مع رسوله هم المفلحون لا غيرهم. وقال تعالى^(٤):

(١) ظ، م: (عارض)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) (فمن): سقط من م.

(٣) ظ، م: (بخالفهم)، والصواب ما أثبت.

(٤) (وقال تعالى: إن الذي اتبعوا النور الذي أنزل على رسوله هم المفلحون لا غيرهم)، مكرر في ظ.

﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ *
 الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *
 وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
 * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[البقرة: ١ - ٥].

وكما جعل سبحانه الهدى والفلاح لمن اتبع كتابه وآمن به وقدمته على غيره جعل الضلال والشقاء لمن أعرض عنه واتبع غيره وعارضه برأيه ومعقوله وقياسه، قال تعالى:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى
 الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

[البقرة: ٢٥٧].

وقال:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧].

وقال:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

فوصفه بالعمى الذي هو ضد الهدى وبالمعيشة الضنك التي هي ضد السعادة، فكتاب الله أوله هداية وآخره سعادة وكلام المعارضين له بمعقولهم أوله ضلال وآخره شقاوة.

الوجه الثالث بعد المائة :

أن الله سبحانه ذم المجادلين في آياته بالباطل في غير آية من كتابه، فقال تعالى :

بيان أن تقديم العقل على النقل من المجادلة بالباطل

﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ * (١) * إِن فِي صُدُورِهِمْ إِزْكَارٌ مَّا هُمْ بِيَلْفِيهِ ﴾ [غافر: ٥٦].

وقال :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ * الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الْأَغْلَظُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ﴾ إلى قوله . . . ﴿ فَيَلْسَنُ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غافر: ٦٩ - ٧٦].

وأنت إذا تأملت أقوال هؤلاء وسيرتهم، رأيت هذه الآيات منطبقة عليهم وهم المرادون بها، ومن أعظم الجدال في آيات الله جدال من يعارض النقل بالعقل، ثم يقدمه / عليه، فإن جداله يتضمن أربع مقامات، أحدها / أنه تبين أن الأدلة النقلية من الكتاب والسنة لا تفيد علماً ولا يقيناً.

[١٦٢/١]

(١) ما بين النجمتين سقط من م.

الثاني: أن ظاهرها يدل على الباطل والتشبيه
(والتمثيل)^(١).

الثالث: أن صريح العقل يخالفها.

الرابع: أنه يتعين تقديمه عليها، ولا يصل إلى هذه
المقامات إلا بأعظم الجدل.

فهو مراد بهذه الآيات قطعاً، وأعمالهم شاهدة
عليهم، لمن لم يطلع على حقيقة أقوالهم، وهي التكبر
والتجبر والفرح في الأرض بغير الحق، والمرح وطلب العلو
في الأرض، والفساد، ولا تجد من يعارض الوحي بالعقل
ويقدمه عليه إلا بهذه المنزلة، فهذه علومهم وعقائدهم،
وهذه إرادتهم، وأعمالهم.

الوجه الرابع^(٢) والمائة:

إن الله سبحانه وصف المعارضين عن الوحي
المعارضين له بعقولهم وآرائهم بالجهل والضلال، والحيرة
والشك والعمى والريب، فلا يجوز وصفهم بالعلم والعقل
والهدى، ومنشأ ضلال هؤلاء من شيئين:

أحدهما: الاعراض عما جاء به الرسول.

والثاني: معارضته بما يناقضه فمن ذلك نشأت
الاعتقادات المخالفة للكتاب والسنة فكل من أخبر بخلاف
ما أخبر به الرسول عن شيء من أمر الإيمان بالله وأسمائه

(١) (والتمثيل): سقط من م.

(٢) م: (بعد المائة).

وصفاته وأفعاله واليوم الآخر أو غير ذلك فقد ناقضه وعارضه سواء اعتقد ذلك بجنانه أو قاله بلسانه أو كتبه ببنانه، وهذا حال أهل الجهل المركب، ومن أعرض عما جاء به الرسول ولم يعرفه، ولم يتبينه، ولا عارضه بمعقول أو رأي فهو من أهل الجهل البسيط وهو أصل المركب، فإن القلب إذا كان خالياً من معرفة الحق واعتقاده والتصديق به ومحبهه كان معرضاً لاعتقاد نقيضه والتصديق به لا سيما في الأمور الإلهية التي هي غاية مطالب البرية وهي أفضل العلوم وأعلاها وأشرفها وأسمائها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وجرى^(١) إليها المتسابقون، فإلى نحوها تمتد الأعناق، وإليها [تتجه]^(٢) القلوب الصحيحة بالأشواق فالصادقون فيها أهل الإثبات أئمة الهدى كإبراهيم خليل الرحمن وأهل بيته والكاذبون فيها أهل النفي والتعطيل كفرعون وقومه، وقال تعالى في أئمة الهدى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٣) وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿

[الأنبياء: ٧٣].

(١) ظ، م: (وأجرى)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) (تتجه): ليست في ظ ولا م، وبها تستقيم العبارة.

(٣) ظ، م: (بقية الآية). ﴿... لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بَايِعْتَنَا يَوقُونَ﴾

وهذه بقية آية أخرى في سورة السجدة وأولها

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا...﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال في أئمة الضلال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْعُوبَ
إِلَى الْتَارِ وَيَوْمَ أَلْقَيْمَةَ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

فمن لم يكن فيها على طريق أئمة الهدى كان على
(طريق) (١) أئمة الضلال، إذا كان ثغر قلبه مفسوحاً لهم،
يلقون فيه أنواع الضلال ويصدونهم عن السبيل ويحسبون
أنهم مهتدون ومصداق هذا أن ما وقع في هذه الأمة من
البدع والضلال كان من أسبابه التقصير في إظهار السنة
والهدى فإن الجهل المركب الذي وقع فيه أهل التعطيل
والنفي في توحيد الله وأسمائه وصفاته كان من أعظم أسبابه
التقصير في إثبات ما جاء به الرسول عن الله وفي معرفة معاني
أسمائه وآياته حتى إن كثيراً من المنتسبين إلى السنة يعتقدون
أن طريقة السلف هي الإيمان بالفاظ النصوص والاعراض
عن تدبر معانيها وتفقهها (٢) وتعقلها فلما أفهموا النفاة
والمعطلة أن هذه طريقة السلف قال من قال منهم: طريقة
السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم لأنه اعتقد أن
طريقة الخلف متضمنة لطلب معاني نصوص الإثبات ولنفي
حقائقها وظواهرها الذي هو باطل عنده فكانت متضمنة
للعلم والتنزيه وكان فيها علم بمعقول، وتأويل لمنقول،
ومذهب السلف عنده عدم النظر في النصوص وفهم المراد
منها [دون النظر إلى] (٣) التعارض [و] (٤) الاحتمالات وهذا

طريقة السلف
وطريقة المتكلمين

(١) (طريق): سقط من م.

(٢) ظ، م: (وفقهها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) (دون النظر إلى): ليست في ظ، م، ولعل الصواب إثباتها.

(٤) ظ، م: (التعارض الاحتمالات)، ولعل الصواب إثبات الواو.

عنده أسلم لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معاني، فحمله على بعضها دون بعض مخاطرة، وفي الإعراض عن ذلك سلامة من هذه المخاطرة، فلوتبين لهذا البائس وأمثاله أن طريقة السلف إنما هي إثبات ما دلت عليه النصوص من الصفات وفهمها، وتدبرها وتعقل معانيها، وتنزيه الرب عن تشبيهه فيها بخلقه، كما ينزهونه عن العيوب والنقائص. وإبطال طريقة النفاة المعطلة وبيان مخالفتها لصريح^(١) المعقول كما هي مخالفة لصحيح المنقول علم أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم وأهدى / إلى الطريق الأقوم وانها تتضمن تصديق الرسول فيما أخبر. وفهم ذلك ومعرفته ولا يناقض ذلك إلا ما هو باطل وكذب وخيال. ومن جعل طريقة السلف عدم العلم بمعاني الكتاب والسنة، وعدم إثبات ما تضمنناه من الصفات، فقد أخطأ خطأ فاحشاً على السلف، كما أن من قال على الرسول أنه لم يبعث بالإثبات وإنما بعث بالنفي كان من أعظم الناس افتراء عليه، فهؤلاء المعطلة مفترون على الله ورسوله وعلى سلف الأمة وعلى العقول والفطر وما نصبه الله من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية والكذب قرين الشرك كما قرن الله بينهما في غير موضع كقوله تعالى:

[١٦٣/١]

﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾

[الحج: ٣٠، ٣١].

(١) ظ، م: (الصريح)، ولعل الصواب حذف الهمزة.

وقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وقال:

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ٧٤ - ٧٥].

وقوله:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «عدلت شهادة الزور الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»^(١).

(١) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٦/٥٨٥)، من طريق أيمن بن خريم أن النبي صلى الله عليه وسلم في أبواب الشهادات، ح ٢٤٠٢. وقال الترمذي ولا نعرف لأيمن بن خريم سماعاً من النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه فاتك بن فضالة وهو مجهول الحال. ورواه أبو داود (عون المعبود ٧/١٠)، عن طريق خريم بن فاتك في كتاب القضاء باب في شهادة الزور، ح ٣٥٨٢. ورواه ابن ماجه ٥٠/٢، من طريق خريم بن فاتك في أبواب الأحكام، باب شهادة الزور ٢٣٩٤، طبعة الأعظمي. ورواه أحمد في المسند ٣٢١/٤، من طريق خريم بن فاتك.

الوجه الخامس والمائة :

أن هؤلاء المعارضين للوحي بأرائهم ومعقولاتهم لا يمكنهم أن يقولوا كل واحد من الدليلين المتعارضين^(١) يقيني وأنها قد تعارضا على وجه لا يمكن الجمع بينهما فإن هذا لا يقوله من يفهم ما يقول، ولكن نهاية ما يقولون : إن الأدلة الشرعية لا تفيد اليقين وأن ما ناقضها من الأدلة البدعية التي يسمونها هم العقليات تفيد اليقين فينفون إفادة اليقين عن كلام الله ورسوله ويثبتونه لما ناقضه من أدلتهم المتدعة التي يدعون أنها براهين قطعية، ولهذا كان لازم قولهم لا محالة، الإلحاد والنفاق والاعراض عما جاء به الرسول وهذه حال الذين ذكرهم الله في قوله :

بيان أن طريقة المتكلمين مشتقة من طريقة المخالفين للرسول

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرِسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ^ط وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ^ط فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر: ٥].

وقوله :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى^ط بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا^ط وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

= كما رواه أحمد في المسند ٤/١٧٨، عن أيمن بن خريم وفي سنده فاتك بن فضالة، وللحديث شاهد في الصحيحين عن أنس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكبائر قال: الإشراف بالله... وشهادة الزور.

(١) ظ، م: (المعارضين)، والصواب ما أثبتته.

فجنس هؤلاء هم المكذبون للرسول، ولا يحتج عليهم بما هم مكذبون به، ولا بما يزعمون أن العقل الصريح عارضه، ولكن المقصود تعريف حال هؤلاء وأن طريقتهم مشتقة من طريقة المكذبين للرسول، وأما طريق الرد عليهم فلأتباع الرسول وأنصاره فيه مسالك:

الأول: بيان فساد ما ادعوه معارضاً للنصوص من عقلياتهم.

الثاني: بيان [أن] (١) ما جاء به الرسول من الإثبات معلوم بالضرورة من دينه كما هو معلوم بالأدلة اليقينية فلا يمكن مع تصديق الرسول مخالفة ذلك.

الثالث: بيان أن المعقول الصريح يوافق ما جاء به الرسول لا يعارضه وبيان أن ذلك معلوم بضرورة العقل تارة (٢) وبنظره تارة وهذا أقطع لحجة المعارضين للوحي فإنهم يدلون بالعقل والعقل الصحيح من أقوى الأدلة على بطلان قولهم.

الوجه السادس والمائة:

أن هذه المعقولات التي عارضوا بها الوحي لها معقولات تعارضها هي أقوى منها ومقدماتها أصح من مقدماتها فيجب تقديمها عليها. لو (٣) قدر تعارضهما، ولا يمكن هؤلاء أن يدفعوا كون النصوص من جانب هذه

بيان أن معقولاً تشهد له النصوص أولى بالقبول من معقول تدفعه النصوص

(١) ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٢) ظ، م: (بشأنه) ولعلها محرفة عن تارة.

(٣) ظ، م: (ولو)، ولعل الصواب حذف الواو الأولى.

المعقولات وحينئذ فمعقول تشهد^(١) له النصوص أولى بالصحة والقبول من معقول تدفعه النصوص، فنحن ندفع معقولاتهم بهذه المعقولات تارة وبالنصوص تارة وبها تارة ولا يمكنهم القدح في هذه المعقولات إلا بمقدمات يردّها النص وهذا العقل، فكيف ترد هذه المعقولات والنصوص بتلك وهذا قاطع لمن تدبره^(٢)، واعتبر ذلك بالمعقولات التي أقامها المعطلة، على نفي علو الله على خلقه، ومباينته للعالم، والمعقولات التي أقامها أهل الإثبات على ضد قولهم يتبين لك ما بينهما من التفاوت / وتسلم نصوص الوحي عن المعارض ونحن نعلم أن المعطلة تقدح في مقدمات هذه المعقولات الدالة على الإثبات ولكن القدح فيها من جنس القدح في الضروريات والبدهييات، ولا ينفعهم كون طائفة من العقلاء منكرين لها، والضروريات لا ينكرها أحد^(٣)، فإن هذا ينتقض عليهم، فكل^(٤) طائفة من طوائف^(٥) بني آدم قالوا: ما يخالف ضرورة العقل مع كونهم أكثر من هؤلاء النفاة، وكل طائفة تشهد على الأخرى، انها خالفت ضرورة العقل فيشهد أصحاب العقل والسمع على النفاة أنهم كما خالفوا صحيح^(٦) النقل، خالفوا صريح العقل، وسيشهدون على ذلك:

[١٦٤/١]

(١) م : (شهد).

(٢) م : (تدبره).

(٣) ظ : (أخذه).

(٤) ظ، م : (بكل)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٥) ظ، م : (الطوائف)، ولعل الصواب حذف «ال».

(٦) ظ، م : (صريح)، والأولى ما أثبت.

﴿إِذْ أَبْعَثْنَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾
[العاديات: ٩، ١٠].

وقال المعارضون للوحي:

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

الوجه السابع والمائة:

أن كل عاقل يعلم بالضرورة أن من خاطب الناس في علم من أنواع العلوم من الطب أو الحساب أو النحو أو الهيئة^(١) أو غير ذلك بكلام ذكر أنه بين لهم فيه حقيقة ذلك العلم، وأوضح مشكلاته، وبين غوامضه، ولم يحوجهم بعده إلى كتاب سواه، ولم يكن في ذلك الكتاب بيان ذلك العلم، ولا معرفة ذلك المطلوب، بل كانت دلالة الكتاب على نقيض ذلك العلم، أكمل، وعلى خلافه أدل، أو كان العقل الصريح يدل على خلاف ما دل عليه ذلك الكتاب، كان هذا المصنف مفرطاً في الجهل والضلال، أو في المكر والاحتيال^(٢)، أو في الكذب والمحال، فكيف بكتاب لم ينزل من السماء كتاب أهدى منه خضعت له الرقاب، وسجدت له عقول ذوي الألباب، وشهدت العقول والفطر بأن مثله ليس من كلام البشر وأن فضله على كل كلام كفضل المتكلم به على الأنام وأنه نور البصائر من عماها وجلاء القلوب من صداها وشفاء الصدور من أدوائها وجواها فهو حياها الذي

(١) ظ: (الهيئة).

(٢) ظ، م: (الأخبار)، ولعل الصواب ما أثبت.

به حباها^(١) ونورها الذي انقشعت به عنها ظلماتها،
 وغذاؤها الذي به قوام قوتها، ودواؤها الذي به حفظ
 صحتها، وهو البرهان الذي زاد على برهان الشمس ضياء
 ونوراً، فلو:

﴿(٢) . . . اجْتَمَعَتِ الْاِلسُّ وَالْحِنُّ عَلَىٰ اَنْ يَأْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْءَانِ
 لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

فيه نبأ ما كان قبلنا، وخبر ما يكون بعدنا، وحكم
 ما بيننا، وهو الجدل ليس باللعب، والفصل ليس بالهزل،
 وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم،
 والصراط المستقيم، والنبأ^(٣) العظيم، وهو الذي لا تزيغ به
 الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يعوج فيقوم، ولا يزيغ
 فيتشعب، ولا تخلق بهجته على كثرة الترداد بل لا يزداد على
 تتابع التلاوة إلا بهجة وطلاوة وحلاوة، من تركه من جبار
 قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، ومن
 أعرض عنه أو عارضه بعقله أو رأيه أو سياسته أو خياله،
 فالضلال منتهاه، والنار منقلبه ومثواه، والخذلان قرينه،

(١) حياها: بالياء المثناة من الحياة. حباها: بالباء الموحدة: أي أعطاها والحباء العطاء

بلا من ولا جزاء قال الفرزدق:

خالي الذي اغتصب الملوك نفوسهم

وإليه كان حباء جفنة ينقل

لسان العرب ٧٦٦/٢، مادة حبا.

(٢) أول الآية:

﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ . . .﴾

(٣) ظ: (البناء).

والشقاء صاحبه وخدينه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن حاكم به^(١) أفلح^(٢)، ومن خصم به استظهر بأقوى الحجج، ومن استنصر به فهو مؤيد ومنصور، ومن عدل عنه فهو مخذول ومثبور، فبغاه هؤلاء النفاة المعطلة عوجاً^(٣)، وجعلوا دون الاهتداء به باباً مرتجاً^(٤)، وعزلوه عن إفادة^(٥) العلم واليقين وقالوا قد عارض ما أثبتته^(٦) العقول والبراهين، وقالوا لم يدل على الحق في الأمور^(٧) الإلهية، ولا أفاد علماً ولا يقيناً في هذه المطالب العلية، بل دلالاته ظاهرة في نقيض الصواب، مفهمة لنقيض ما يقوله أولو العقول والألباب، فالواجب أن نحترمه^(٨) بالإسك والتفويض، أو نسلط عليه التأويل إن^(٩) أفهم الخلاف والضد والنقيض، فإن عجزنا عن ذلك أتينا بالقانون المشهور بيننا، والمقبول أنه إذا تعارض العقل والنقل قدمنا المعقول

(١) ظ: (إليه).

(٢) ظ، م: (فلح)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) أخذ ذلك من قوله تعالى:

﴿... وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [إبراهيم: ٣].

(٤) مرتجاً: أي مغلق وفي اللسان الرتج والرتاج الباب العظيم وقيل هو الباب المغلق وقال العجاج: أو تجعل البيت رتجاً مرتجاً.

لسان العرب ١٥٧٥/٣، مادة رتج.

(٥) ظ، م: (الإفادة)، والصواب حذف «ال».

(٦) ظ، م: (أثبتته)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٧) م: (أمور).

(٨) ظ، م: (نحرمه)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٩) ظ، م: (وان)، والصواب حذف الواو.

على المنقول فهذا حقيقة قول هؤلاء النفاة المعطلين، في كلام رب العالمين، وكلام رسوله الأمين.

الوجه الثامن والمائة:

أن هذا يتضمن الصد عن آيات الله وبغيها عوجاً، وقد ذم الله سبحانه من فعل ذلك وتوعده باليم العقاب، فقال:

﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾

بيان أن قولهم إن القرآن أريد به خلاف ظاهره يتضمن الصد عنه

[١٦٥/١]

[إبراهيم: ١ - ٣].

وقال:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٨، ١٩].

وهؤلاء المعارضون للوحي يعقولهم جمعوا بين الأمور الثلاثة، الكذب على الله، والصد عن سبيل الله، وبغيها عوجاً، أما الكذب على الله، فإنهم نفوا عنه ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ووصفوه بما لم يصف به نفسه، وأما صددهم عن سبيله وبغيها عوجاً فإنهم أفهموا الناس، بل

صرحوا لهم بأن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد علماً ولا يقيناً، وأن العقول عارضتها فيجب تقديم العقول عليها، وأي عوج أعظم من عوج مخالفة العقل الصريح وقد وصف الله كتابه بأنه غير ذي عوج، ولا ريب أن الله هو الصادق في ذلك وأنهم هم الكاذبون.

فإن قلت: يبغونها^(١) متعدي إلى مفعول واحد فما وجه انتصاب عوجاً؟ قيل: فيه وجوه، أحدها: أنه نصب على الحال أي يطلبونها ذات عوج، لا يطلبونها مستقيمة، والمعنى يطلبون لها العوج.

الثاني: أن عوجاً مفعول يبغونها على تقدير حذف اللام أي يطلبون لها عوجاً يرمونها به ويصفونها به وأحسن منها أن تضمن يبغونها إما معنى يعوجونها فيكون عوجاً منصوباً على المصدر ودل فعل البغي على طلب ذلك وابتغائه.

وأما معنى يسومونها ويؤولونها، وعلى كل تقدير فسبيل الله هداه وكتابه^(٢) الهادي للطريق الأقوم والسبيل الأqvد فمن زعم أن في العقل ما يعارضه فقد بغاه عوجاً، ودعا إلى الصد عنه، ومن له خبرة بالمعقول الصحيح، يعلم أن العوج في كلام هؤلاء المعوجين، الذين هم عن الصراط ناكبون، وعن سبيل الرشd حائدون، وعن آيات الله بعيدون، وبالباطل

(١) ظ، م: (بغاهما)، وهو خطأ.

(٢) ظ: (وكابه).

والقضايا الكاذبة يصدقون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي ريبهم يترددون، وهم للعقل الصريح، والسمع الصحيح مخالفون:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامِنُوا قَالُوا ءَامِنُوا وَإِنَّا كُنَّا لَمَعْتَدِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ . [البقرة: ١١ - ١٥].

الوجه التاسع والمائة:

أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يسكتوا عن الكلام في هذا الباب، بل تكلموا فيه بغاية الإثبات المناقض لما عليه الجهمية المعطلة، وعند الجهمية أن الساكت عنه خير من المتكلم فيه بالإثبات المناقض لتعطيلهم والمتكلم فيه بالنفي والتعطيل الذي يسمونه تنزيهاً خير من الساكت عنه، فجعلوا المتكلم فيه بالإثبات آخر المراتب و[هو] ^(١) أحسنها، ولا ريب أن هذا يستلزم غاية القدح في الرسل، والتنقص لهم ^(٢)، ونسبتهم إلى القبيح، ووصفهم بخلاف ما وصفهم الله به، ومضمون هذا أنهم لم يهدوا الخلق، ولم يعلموهم الحق، بل لبسوا عليهم ودلسوا وأضلوا، وعرضوهم للجهل المركب، ولو تركوهم في جهلهم البسيط لكان خيراً

بيان أن الرسل
تكلموا في هذا الباب
بالإثبات المناقض
لقول هؤلاء

(١) (هو): ليست في ظ ولا م، ولعل الصواب إثباتها.

(٢) ظ، م: (بهم) ولعل الصواب ما أثبت.

لهم، بل تركوهم في حيرة مذبذبين لا يعرفون الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال فعند هؤلاء الضالين كلام الأنبياء لا يشفي عليلًا ولا يروي غليلًا ولا يبين الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال، بل يكون كلام من تسفست في العقليات (١) وتقرمط في السمعيات (٢) وهو كخيطة السحار والمشعوذ يخرج تارة أحمر وتارة أبيض وتارة أسود أهدي سبيلاً من نصوص الوحي، فإن نصوص الوحي عند هؤلاء أضلت الخلق وأفسدت عقولهم وعرضتهم لاعتقاد الباطل، ومن راعى حرمة النصوص منهم قال: فائدة إنزالها اجتهاد أهل العلم في صرفها عن مقتضاها وحقائقها بالأدلة المعارضة لها حتى تنال النفوس (كل) (٣) الاجتهاد وتنهض إلى التفكير / والاستدلال بالأدلة العقلية المعارضة لها الموصلة إلى الحق فحقيقة الأمر عند المعطلة أن الرسل خاطبوا الخلق (٤) بما لا يبين (٥) الحق، ولا ينال منه الهدى، بل ظاهره يدل على الباطل ويفهم منه الضلال ليكون انتفاع الخلق بخطاب الرسول اجتهادهم في رد

[١٦٦/١]

-
- (١) تسفست في العقليات: أي لجأ إلى التميويه والمغالطة في الأدلة العقلية كما يفعل السفسطائيون. وقد سبق تعريف السفسطة، ص ٦٤٦.
- (٢) وتقرمط في السمعيات: أي سلك مسلك القرامطة في جعلهم للنص معنى باطناً يخالف مقتضى لفظه لغة وشرعاً.
- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ٣٢/١.
- (٣) (كل): سقط من م.
- (٤) ظ، م: (الحق)، والصواب ما أثبتته.
- (٥) ظ، م: (يتبين)، ولعل الصواب ما أثبتته.

ما أظهرته الرسل وأفهمته الخلق ليصلوا برده إلى معرفة الحق الذي استنبطوه بعقولهم، ولم يحتاجوا فيه إلى الرسل، بل احتاجوا فيه إلى رد ما جاءوا به بالقانون العقلي أورد معناه بالتأويل اللفظي وحينئذ فنقول في:

الوجه العاشر بعد المائة:

إن مثل ما جاءت به الرسل عند النفاة والمعطلة مثل من أرسل مع الحاج ادلاء^(١) يدلونهم^(٢) في طريق مكة، وأوصى الادلاء بأن يخاطبهم بخطاب يدلهم على غير الطريق، ليكون ذلك الخطاب سبباً لنظرهم واستدلالهم حتى يعرفوا الطريق بنظرهم واستدلالهم لا بأولئك الأدلة وحينئذ يردون ما فهموا من كلام الأدلة وخطابهم ويجتهدون في نفي دلالة وإبطال مفهومه ومقتضاه ومن المعلوم أن خلقاً كثيراً لا يتبعون إلا الأدلاء^(٣) الذين يدعون أنهم أخبر بالطريق^(٤) منهم، وأن ولاية الأمور قلدوهم دلالة الحاج، وتعريفهم الطريق وإن درك^(٥) ذلك عليهم، والطائفة التي ظنت أن الأدلاء^(٦) لم [يريدوا]^(٧) بكلامهم الدلالة والإرشاد إلى

في رد زعمهم أن
الرسل أرادوا
خلاف ما أظهره
للناس

(١) م: (ان لا).

(٢) ظ، م: (يدلون بهم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) م: (الأدلة).

(٤) م: (الطرق).

(٥) درك: قال في لسان العرب ١٣٦٤/٨: الدرك: التبعة يسكن ويحرك، يقال: «ما لحقك من درك فعلى خلاصه». والمعنى هنا: وإن شق ذلك عليهم.

(٦) م: (الأدلة).

(٧) (يريدوا): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

سبيل الرشاد صار كل منهم يستدل بنظره واجتهاده، فاختلّفوا في الطرق وتشتتوا، فمنهم من سلك طرقاً أخرى غير طرق مكة فأفضت بهم إلى مفاوز معطشة وأودية مهلكة وأرض مسبعة فأهلكتهم وطائفة أخرى شكوا وشاروا فلا^(١) مع الأدلاء^(٢) سلكوا فأدركوا المقصود، ولا لطرقت المخالفين للأدلاء اتبعوا، بل وقفوا مواقف^(٣) التائهين الحائرين حتى هلكوا في أمكنتهم أيضاً، جوعاً وعطشاً، كما هلك أرباب تلك الطرق، فلم ينجوا من المكروه، ولم يظفروا بالمطلوب، وآخرون اختصموا فيما بينهم، فصاروا حزبين حزباً يقولون الصواب مع الأدلاء فإنهم أهل هذا الشأن الذي نصبوا له دون غيرهم وحزباً يقولون بل الصواب مع هؤلاء الذين يقولون: إنهم أخبر وأصدق وكلامهم في الأدلة أبين وأصدق فاقتتل الفريقان وطال بينهم الخصام والجدال وانتشر القيل والقال وشهد آخرون الواقعة فوقفوا بين هؤلاء وهؤلاء وخذلوا الفريقين ولم يتحيزوا إلى واحدة من الطائفتين، فهلك الحجيج، وكثر الضجيج، وعظم البكاء والنشيج، واضطربت الآراء، وعصفت الأهواء، وصار حالهم كحال^(٤) قوم سفر، نزلوا في ليلة ظلماء، فهجم عليهم عدو^(٥) وهم نيام، فقاموا في ظلمة

(١) ظ، م: (ولا)، والصواب ما أثبت.

(٢) م: (الأدلة).

(٣) م: (موقف).

(٤) ظ، م: (الحال)، والصواب ما أثبت.

(٥) م: (عدوهم وهم).

الليل على وجوههم هارين لا يهتدون سبيلاً ولا يتبعون دليلاً وهذا كله إنما نشأ من قول السلطان للأدلاء خاطبوا الناس بما يدهم على غير الطريق ليجتهدوا بعقولهم ونظرهم في معرفة الطريق فهل يكون من فعل هذا بالحجيج ، قد هداهم السبيل أو أرشدهم إلى اتباع الدليل أو أراد بهم ما يريده الراعي المشفق على رعيته الناصح لهم وهل هذا مطابق لقول الدليل :

﴿يَقَوْمٌ (١) لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ (٢) رَسُولَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾

[الأعراف : ٩٣].

وقوله :

﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾

[الأعراف : ٦٢].

وقوله :

﴿وَأَنَا (٣) لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف : ٦٨].

فأين النصح والأمانة على قول المعطلين النفاة فإذا قال هذا الدليل : إنما قصدت بذلك أن يجتهد الحاج في معرفة الطريق بعقولهم وبحسبهم ونظرهم ولا يستدلوا بكلامي ، فهل (٤) هذا دليلاً أم قاطع طريق ، فهذا مثال ما يقوله هؤلاء

(١) م : (بأقوام).

(٢) ظ : (أبلغتم) ؛ م : (أبلغت).

(٣) ظ ، م : (أني).

(٤) م : (وهل).

المعطلة النفاة في رسل الله، الذين أرسلهم الله سبحانه إلى الخلق ليعلموهم ويهدوهم ويدعوهم إلى الله، وإلى السبيل الموصلة إليه، فجعل هؤلاء المعطلة الجهاد في إفساد سبيل الله جهاداً في سبيله، والاجتهاد في رد ما جاءت به رسله اجتهاداً في الإيمان به، والسعي في إطفاء نور الله سعياً في إظهار نوره، والحرص على أن لا يصدق كلامه ولا تقبل شهادته ولا تتبع دلالاته، حرصاً على أن تكون كلمة الحق هي العليا، والمبالغة في طريق أهل الإشراك والتعطيل مبالغة في طريق التوحيد الموصلة إلى سواء السبيل / فقلبوا الحقائق، وأفسدوا الطرائق، وأضلوا الخلائق، وعطلوا الخالق، وإنما يعرف (حقيقة) (١) هذا المثل، ومطابقته للواقع من ضرب في الكتاب والسنة بسهم وحصل منها على نصيب وافر واطلع على حقيقة أقوال المعطلين النفاة في دلائلهم ومسائلهم ونظر إلى غايتها من خلال كلماتهم، ومن البلية العظمى أن كثيراً ممن لهم علم وفقه وعبادة وزهد ولسان صدق في العامة وقد ضرب في العلم والدين بسهم (٢) قد التبس عليه كثير من كلامهم فقبله معتقداً أنه حق وأن أصحابه محققون فسمع كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم والإيمان وكلام هؤلاء وغيرهم من أهل الإلحاد فيؤمن بهذا وهذا إيماناً مجملًا ويصدق الطائفتين ولا يدخل في تحقيق طريق هؤلاء ولا هؤلاء، فإذا سمع القرآن والحديث قال: هذا كلام الله

[١٦٧/١]

(١) (حقيقة): سقط من م.

(٢) ظ، م: (نسبهم)، ولعل الصواب ما أثبت.

وكلام رسوله، وإذا سمع كلام الملاحدة والمعطلة الذين حسن ظنه بهم قال: هذا كلام العارفين المحققين، والنظار أصحاب العقول والبراهين، وإذا سمع كلام الاتحادية الملاحدة، الذين هم أكفر طوائف بني آدم، قال: هذا كلام أولياء الله أو كلام خاتم الأولياء ومرتبنا تقصر عن فهمه، فضلاً عن الاعتراض عليه، وبالجملته فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أتباع خاصة وعامة، ولمسيلمة الكذاب أتباع خاصة وعامة، والله تعالى جعل للهدى أئمة وأتباعاً، إلى آخر الدهر، وللضلال أئمة وأتباعاً إلى آخر الدهر.

الوجه الحادي عشر بعد المائة:

إن لوازم هذا القول معلومة البطلان بالضرورة من دين الإسلام، وهي من أعظم الكفر والإلحاد، وبطلان اللازم يستلزم بطلان ملزومه، فإن من لوازمه أن لا يستفاد من خبر الرسول عن الله في هذا الباب علم ولا هدى ولا بيان للحق في نفسه.

بيان أن قولهم إن
الرسول أرادوا
خلاف ما أظهره
للناس يستلزم الكفر
والإلحاد

ومن لوازمه أن يكون كلامه مضموناً لضد ذلك ظاهره وحقيقته.

ومن لوازمه القدح في علمه ومعرفته أو في فصاحته وبيانه، أو في نصحه وإرادته، كما تقدم تقريره مراراً.

ومن لوازمه أن يكون المعطلة النفاة أعلم بالله منه، أو أفصح أو أنصح.

ومن لوازمه أن يكون أشرف الكتب وأشرف الرسل قد

قصر في هذا الباب غاية التقصير، بل أفرط في التجسيم والتشبيه غاية الإفراط، وتنوع فيه غاية التنوع، فمرة يقول أين، ومرة يقر عليها لمن سألها ولا ينكرها ومرة يشير بإصبعه، ومرة يضع يده على عينه وأذنه حين يخبر عن سمع الرب وبصره، ومرة يصفه بالنزول والمجيء والإتيان والانطلاق والمشي والهرولة ومرة يثبت له الوجه والعين واليد والإصبع والقدم والرجل والضحك والفرح والرضى والغضب والكلام والتكليم والنداء بالصوت والمناجاة ورؤية أهل الجنة له مواجهة عياناً بالأبصار من فوقهم ومحاضرتهم لهم محاضرة ورفع الحجب بينه وبينهم وتجليه لهم واستدعائهم لزيارته وسلامه عليهم سلاماً حقيقياً قولاً من رب رحيم. واستماعه وأذنه لحسن الصوت إذا تلا كلامه^(١)، وخلقه ما شاء بيده وكتابة كلامه بيده ويصفه بالإرادة والمشيئة والقوة والقدرة

(١) يشير بذلك إلى ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي صلى الله عليه وسلم يتغنى بالقرآن وقال صاحب له يريد أن يجهر به». رواه البخاري (فتح الباري ٤٥٣/١٣) من طريق أبي هريرة - في كتاب التوحيد - باب قوله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم، قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ ولم يقل ماذا خلق ربكم، ح ٧٤٨٢. ورواه مسلم (٥٤٥/١) في كتاب صلاة المسافرين - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ح ٢٣٢.

أذن: الألف والذال مفتوحتان مصدر أذن يأذن إذناً، كفرح يفرح فرحاً. قال الخطابي: «ومن قال كإذنه فقد وهم».

ومعنى ما أذن: أي ما استمع، والمعنى ما استمع الله لشيء ما استمع لنبي يتغنى بالقرآن. غريب الحديث ٢٥٦/٣.

فتح الباري ٤٦٠/١٣؛ حاشية صحيح مسلم ٥٤٥/١، ٥٤٦.

والحياة والحياء وقبض السماوات وطبها بيده والأرض بيده الأخرى ووضع السماوات على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع، والشجر على إصبع وأضعاف ذلك مما إذا سمعه المعطلة سبحوا الله ونزهوه جحوداً وإنكاراً لا إيماناً وتصديقاً فما ضحك منه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً لقائله يعبس^(١) منه هؤلاء إنكاراً وتكذيباً، وما شهد لقائله بالإيمان شاهد هؤلاء له بالكفر والضلال، وما أوحى بتبليغه إلى الأمة وإظهاره يوصي هؤلاء بكتمانه وإخفائه، وما أطلقه على ربه لثلا يطلق عليه ضده ونقيضه يطلق هؤلاء عليه ضده ونقيضه لثلا يطلق هو عليه، وما نزه ربه عنه من العيوب والنقائص يسكون عن تنزيهه عنه، وإن اعتقدوا أنه منزّه عنه ويبالغون في تنزيهه عن ما وصف به نفسه، فتراهم يبالغون أعظم المبالغة في تنزيهه عن علوه على خلقه، واستوائه على عرشه، وتكلمه بالقرآن حقيقة، وإثبات الوجه واليد والعين له ما لا يبالغون مثله ولا قريباً منه في تنزيهه عن الظلم والعيب، والفعل^(٢) لا لحكمة والتكلم بما ظاهره ضلال ومحال وتراهم إذا أثبتوا أثبتوا / مجملاً لا تعرفه القلوب ولا تميز بينه وبين العدم وإذا نفوا نفوا مفصلاً نفياً يتضمن تعطيل ما أثبتته الرسول حقيقة فهذا وأضعافه وأضعاف أضعافه من لوازم قول المعطلة، ومن لوازمه أن القلوب لا تحبه، ولا تريده، ولا تبتهج به،

[١٦٨/١]

(١) يعبس: عبس يعبس عبساً. وعبس: قطب ما بين عينيه.

لسان العرب ٤/٢٧٨٤، مادة عبس.

(٢) ظ، م: (والعقل)، والصواب ما أثبتته.

ولا تشتاق إليه، ولا تلتذ بالنظر إلى وجهه الكريم في دار
النعيم، كما صرحوا بذلك وقالوا هذا كله إنما يصح تعلقه
بالمحدث لا بالقديم قالوا: وإرادته ومحبه محال لأن الإرادة،
إنما تتعلق بالمعدوم لا بالموجود، والمحبة إنما تكون لمناسبة بين
المحب والمحبوب، ولا مناسبة بين القديم والمحدث.

ومن لوازمه أعظم العقوق لأبيهم آدم فإن من خصائصه
أن الله خلقه بيده فقالوا: إنما خلقه بقدرته، فلم يجعلوا له
مزية على إبليس في خلقه.

ومن لوازمه بل صرحوا به جحدهم حقيقة خلة إبراهيم
وقالوا: هي حاجته وفاقتة وفقره إلى الله، فلم يثبتوا له بذلك
مزية على أحد من الخلق؛ إذ كل أحد فقير إليه في كل نفس
وطرفة عين.

ومن لوازمه بل صرحوا به أن الله لم يكلم موسى
تكليماً، وإنما خلق كلاماً في الهواء أسمعته إياه فكلمه في
الريح لا أنه أسمعته كلامه الذي هو صفة من صفاته قائم
بذاته لا يصدق الجهمي بهذا أبداً.

ومن لوازمه بل صرحوا به أن الرسول صلى الله عليه
وسلم لم يعرج به إلى الله حقيقة ولم يدن من ربه حتى كان منه
قاب قوسين أو أدنى ولم يرفع من عند موسى إلى عند ربه
مراراً يسأل التخفيف لأمته، فإن «من» و «إلى» عندهم في
حق الله محال؛ فإنها تستلزم المكان ابتداء وانتهاء.

ومن لوازمه أن الله سبحانه لم يفعل شيئاً ولا يفعل شيئاً

البتة؛ فإن الفعل^(١) عندهم عين المفعول، وهو غير قائم بالرب تعالى فلم يقيم به عندهم فعل أصلاً، وسموه فاعلاً من غير فعل يقوم به، كما سموه مريداً من غير إرادة تقوم به، وسموه متكلماً من غير كلام يقوم به، وسماه زعيمهم المستأخر عند الله وعند عباده عالماً من غير علم يقوم به حيث قال العلم هو المعلوم كما قالوا الفعل هو المفعول.

ومن لوازمه أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يرضى ولا يغضب ولا يحب ولا يبغض، فإن ذلك من مقولة «أن ينفعل» وهذه المقولة لا تتعلق به وهي في حقه محال، كما نفوا علوه على خلقه واستواءه على عرشه لكون^(٢) ذلك من مقولة «الأيين»^(٣) وهي عليه محال ونفوا كلامه وحياته وقدرته ومشيئته وإرادته وسائر صفاته لأنها من مقولة «العرض» وهي ممتنعة عليه كما نفوا استوائه على عرشه لأنه من مقولة «الوضع» المستحيل ثبوتها له، ولوازم قولهم أضعاف أضعاف ما ذكرناه وإنما أشرنا إلى بعضها إشارة يتفطن بها اللبيب لما وراءها، وبالله التوفيق.

الوجه الثاني عشر بعد المائة :

أن الرسول إذا لم يبين للناس أصول إيمانهم ولا عرفهم علماء يهتدون به في أعظم أمور الدين، وأصل مقاصد الدعوة النبوية، وأجل ما خلق الخلق له، وأفضل ما أدركوه

بيان أن الرسول إذا لم يبين للناس أصول الإيمان كانت رسالته قاصرة

(١) ظ، م : (العقل).

(٢) ظ، م : (بكون) والأولى ما أثبت.

(٣) انظر: المقولات العشر ٦٢٩ ب.

وحصلوه، وظفروا به، وهو معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له ويمتنع عليه، بل إنما يبين لهم الأمور العملية، كانت رسالته مقصورة^(١) على أدنى المقصودين، فإن الرسالة لها مقصودان عظيمان، أحدهما: تعريف العباد ربهم ومعبودهم بما هو عليه من الأسماء والصفات.

والثاني: محبته وطاعته والتقرب إليه، فإذا لم يكن الرسول قد بين للأمة أجل المقصودين وأفضلهما، كانت رسالته قاصرة جداً، فكيف إذا أخبرهم فيه بما تحيله عقولهم وأذهانهم، وإذا كان النفاة المعطلة قد بينوا ذلك بياناً مفصلاً يجب على كل أحد اعتقاده^(٢)، فحينئذ ما أتوا به أفضل مما^(٣) جاء به الرسول في القسمين فإن النفي عندهم هو الحق. والإثبات باطل فما جاؤوا به من ذلك خير عندهم مما جاء به الرسول من هذا الوجه، ومن جهة أن العلم أشرف من العمل، ومن المعلوم أن النفاة المعطلة ليس فيهم أحد من أئمة الإسلام ومن لهم في الأمة لسان صدق وإنما أئمتهم الكبار القرامطة والباطنية والإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم من ملاحدة الفلاسفة كابن سينا والفارابي وأمثالهما وملاحدة المتصوفة القائلين بوحدة الوجود

(١) ظ، م: (مقصوده)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) م: (لعتقاده).

(٣) ظ: (كما).

كابن سبعين^(١) وصاحب الفصوص^(٢) وصاحب نظم السلوك^(٣) وأمثالهم ثم من أئمتهم من هو أمثل من هؤلاء كأئمة الجهمية كالجهم / ابن صفوان والجعد بن درهم وأبي الهذيل العلاف وإبراهيم النظام، وبشر المريسي وثمامة بن أشرس وأمثال هؤلاء ممن هم من أجهل الخلق بمابعث الله به رسوله، فياللعقول وباللعجب أيكون ما أتى به هؤلاء من التعطيل والنفي أكمل مما أتى به موسى بن عمران ومحمد بن عبد الله خاتم الرسل وإخوانها من المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم؛ فإن الرسل عند النفاة لم يبينوا أفضل العلم والمعرفة، وإنما هم الذين بينوا ذلك، ودلائله تأصيلاً وتفصيلاً، وقد صرح ملاحدة هؤلاء بأن الرسل راموا إفادة

[١٦٩/١]

(١) ابن سبعين: هو عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الأشبيلي المرسي، أبو محمد، ولد سنة ٦١٣، من القائلين بوحدة الوجود كفره كثير من العلماء. من كتبه: أسرار الحكمة المشرقية، والحروف الوضعية في الصور الفلكية، وبدالعارف، ورسائل ابن سبعين... وغيرها. توفي بمكة متحرراً سنة ٦٦٩.

شذرات الذهب ٣٢٩/٥؛ البداية والنهاية ٢٤٧/١٣، ٢٤٨؛ الاعلام ٢٨٠/٣.

مقدمة بدالعارف، ص ٥، بقلم الدكتور جورج كتورة.

(٢) هو ابن عربي صاحب كتاب فصوص الحكم.

(٣) هو ابن الفارض ونظم السلوك: هي القصيدة التائية التي نظمها ابن الفارض وعرفت بهذا الاسم ومطلعها:

نعم بالصبا قلبي صبا لاجتي فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت
قال شيخ الإسلام ابن تيمية «وقد نظم فيها الاتحاد نظماً رائعاً اللفظ فهو أخصب من لحم
خنزير في صينية من ذهب وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك»، مجموع الفتاوي
٧٤/٤.

ما بينوا هؤلاء الملاحدة كما قال ابن سبعين في خطبة كتابه^(١):
 أما بعد فإني قد عزمت على إفشاء السر الذي رمز إليه
 هرامسة^(٢) الدهور الأولية^(٣) ورامت إفادته^(٤) الهداية
 النبوية» ويقول: صاحب الفصوص^(٥) أن الرسل يستفيدون
 معرفة ذلك من مشكاة خاتم الأولياء، وأن هذا الخاتم يأخذ
 العلم من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى
 الرسول فهو أعلى إسناداً من الرسول وأقرب تلقياً على قوله،
 وطائفة من الفلاسفة تقول: إن الفيلسوف أفضل من النبي
 وأكمل منه بناء على هذا الأصل الملعون ومن لم يصل إلى
 هذا، الذي هو غاية تحقيقهم من أهل التعطيل والتجهيم
 ومبتدعة المتصوفين، فقد شاركهم في الأصل وقاسمهم في
 الربح والثمرة. والله الموفق.

(١) الكتاب هو بد العارف «تحقيق الدكتور جورج كتورة، مطبعة بيروت ١٩٧٨.

(٢) هرامسة: جمع هرمس والهرمسية جملة آراء قديمة تصعد إلى هرمس الذي يطلق
 اليونانيون اسمه على الإله المصري «تحت» لا يعرف تاريخها ولا أصلها على وجه اليقين
 وأوضح ما تكون في السحر والكيمياء. ويعد أهل الصنعة هرمس أستاذهم الأول وقد
 ذكر ابن النديم في الفهرست جملة من كتبه منها كتاب هرمس إلى ابنه في الصنعة وكتاب
 الذهب السائل، وكتاب الملاطيس وكتاب الأسرار وغيرها.

المعجم الفلسفي، ص ٢٠٧؛ الفهرست، ص ٣٧٣، ٤٩٦.

(٣) بد العارف: فقد استخرت الله العظيم على إفشاء الحكمة التي رمزها هرامسة الدهور
 الأولية».

(٤) بد العارف: والحقائق التي رامت إفادتها.

(٥) انظر: فصوص الحكم لابن عربي ١/٦٢، ٦٣.

الوجه الثالث عشر بعد المائة :

بيان تناقض أقوال
هؤلاء

إن أقوال هؤلاء النفاة المعطلة متناقضة مختلفة، وذلك يدل على بطلانها، وأنها ليست من عند الله وما جاء به الرسول متسق متفق يصدق بعضه بعضاً (ويوافق بعضه بعضاً) (١)، وهذا يدل على أنه حق في نفسه، قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
أَخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وأنت إذا تأملت مقالات القوم ومعقولاتهم وجدتها أعظم شيء تناقضاً، ولا تجد أحداً من فضلائهم ورؤسائهم أصلاً إلا وهو يقول الشيء ويقول ما يخالفه، ويناقضه تارة في المسألة الواحدة، وتارة يقول القول ثم ينقضه في مسألة أخرى من ذلك الكتاب بعينه.

وأما قوله الشيء وقول نقضه في الكتاب الآخر، فمن له فهم واطلاع على كتب القوم يعلم ذلك، وأما الجاهل المقلد فلا تعباً به ولا يسوءك سبه وتكفيره وتضليله فإنه كنباح الكلب فلا تجعل للكلب عندك قدراً أن ترد عليه، كلما نباح عليك ودعه يفرح بنباحه وأفرح أنت بما فضلت به عليه من العلم والإيمان والهدى واجعل الإعراض عنه من بعض شكر نعمة الله التي ساقها إليك وأنعم بها عليك.

ولولا خشية الإطالة لذكرنا في هذا الموضع من تناقضهم في مسائلهم ودلائلهم في كل مسألة، ما يتعجب منه العاقل،

(١) (ويوافق بعضه بعضاً): سقط من م.

ويتنبه به الغافل، وأما مناقضة بعضهم بعضاً ومعارضة بعضهم بعضاً في الأدلة والأحكام فأمر لا خفاء به، فالواحد منهم متناقض مع نفسه، وأصحابه متناقضون فيما بينهم، وهم وخصومهم في هذا الباب أشد تناقضاً^(١)، ومناقضتهم^(٢)، لنصوص^(٣) الوحي معلومة، وهم متناقضون لما تعلم صحته بصريح العقل فهم في:

﴿ظَلُمْتُ فِي بَحْرِ لَيْلِي بَعْشَهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ﴾^(٤)
 سَحَابٌ ظَلُمْتُ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْهَا

[النور: ٤٠].

ولكن لا يرى هذه الظلمات إلا من هو في نور السمع والعقل:

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

الوجه الرابع عشر بعد المائة:

أن هؤلاء المعارضين بين الوحي والعقل يستلزم قولهم ثلاث مقدمات تناقض دعواهم غاية المناقضة:

المقدمة الأولى: ثبوت الرسالة في نفس الأمر على قاعدة أهل الملل^(٥)، وأن الرسول جاء من عند الله برسالة ليس

(١) ظ: (مناقضاً).

(٢) ظ، م: (ومناقضة).

(٣) م: (نصوص).

(٤) (من فوقه): سقط من ظ.

(٥) ظ: (الملك).

مقدوراً لبشر نيلها باكتساب ولا رياضة ولا صناعة من
الصنائع .

الثانية: أنه جاء بهذا الكلام الذي ادعوا أن العقل
عارضه .

الثالثة: أنه أراد به حقيقته وظاهره فلا تتم دعوى
المعارضة إلا بهذه الأمور وحينئذ فيما أن يقر المعارض بها
أو ينكرها، فإن أقر بها ثم ادعى المعارضة كان قوله في غاية
وحالة^(١) القدح في المرسل والرسول، وإن أنكرها كان
الكلام معه في أصل ثبوت الرسالة، واحتج عليه بما يحتج
على منكري النبوات، وإن أقر بالنبوة على طريقة ملاحظة
الفلاسفة ومن سلك سبيلهم / أنها مكتسبة، وأن خاصة
النبي قوة ينال بها العلم، وقوة يتصرف فيها في المعقولات،
فيشكلها في نفسه خيالات ترى وتسمع، وهي المسماة
بالملائكة، كما يقوله شيوخ هؤلاء كابن سينا وأتباعه ولم يمكنه
أن يجزم بأن النبي عالم بما يقول، معصوم عن الخطأ فيه،
فكيف وهو يقول: إن النبي قد يقول ما يعلم خلافه،
فهو^(٢) لا يستفيد بخبر النبي حقاً البتة، فكيف يتكلم في
المعارضة التي هي فرع الاعتراف بصحة الدليل، ولكن قد

[١٧٠/١]

(١) وحالة: الوحل بالتحريك الطين الرقيق الذي ترتطم فيه الدواب وأوحل فلان فلاناً سراً
أثقله به .

لسان العرب ٤٧٨٦/٦، مادة وحل .

(٢) ظ: (فهؤلاء) .

عارضه غيره فيكون مقام هذا مقام منع، لا مقام معارضة،
 فإما أن يمنع كون النبي عالماً بما يقول، أو كونه جازماً
 معصوماً فيه، أو كونه جاء بذلك، أو كونه أراد به خلاف
 ما دل العقل بزعمه عليه، وإلا فمع إقراره بذلك تستحيل
 المعارضة أن ترجع حقيقتها إلى أن ما جاء به حق وأنه باطل،
 وهذا جمع بين النقيضين، فثبت أن هذه الطريقة، طريقة
 ممانعة^(١) لا طريقة معارضة وأن دعوى المعارض تستلزم
 الجمع بين النقيضين فمن لم يعلم أن الرسول معصوم صادق
 فيما يخبر به كيف تمكنه المعارضة. ومن لم يعلم أنه جاء بكذا
 لم تمكنه المعارضة، ومن لم يعلم أنه أراد به بكلامه لم تمكنه
 المعارضة، ومن علم هذه الأمور الثلاثة وأقر بها^(٢) لم يمكنه
 المعارضة، فبطلت دعوى المعارضة على التقريرين. وبالله
 التوفيق يوضحه:

الوجه الخامس عشر بعد المائة:

إن من عرف بطلان هذه المعقولات التي يعارض هؤلاء
 بها السمع امتنع عنده أن يحصل بها المعارضة؛ لامتناع ثبوت
 المعارضة بين الحق والباطل، ومن اعتقد صحتها فاعتقاد
 صحتها عنده ملزوم لبطلان السمع، فيلزم من صحتها
 بطلانه، وتمتنع المعارضة أيضاً، فالمعارضة ممتنعة على تقدير
 صحتها وفسادها.

بيان أن المعارضة بين
 العقل والنقل
 معارضة بين الحق
 والباطل

(١) ظ: (مانعة) والمعنى أن هذه الطريقة طريقة منع ووجود.

(٢) ظ، م: (واستقر بها)، ولعل الصواب ما أثبت.

الوجه السادس عشر بعد المائة :

بيان أن تجويز
المعارضة بين العقل
والنقل تضاد الإيمان

إن تجويز التعارض بين السمع والعقل والإيمان بالله ورسوله لا يمكن اجتماعها البتة؛ فإن صحت المعارضة امتنع الإيمان وإن صح الإيمان امتنعت المعارضة؛ فإن الإيمان مبناه على أن الرسول صادق فيما يخبر به عن الله، معصوم في خبره، وعلى أنه جاء بهذا الكتاب، وعلى أنه أراد من الأمة أن يثبتوا حقائقه ويفهموه ويتدبروه، ولا ينفوا حقائق ما أخبر به، ويقروا بلفظه، فلا يمكن وجود الإيمان بالرسول إلا بهذه الأصول الثلاثة، فإذا جوزنا معارضة العقل الصريح لما جاء له لزم القدح والظعن فيها، أو في بعضها والظعن في الأمرين الأولين مناقض للإيمان بالذات، والظعن في الثالث يستلزم^(١) الظعن فيهما؛ إذ غايته الاعتراف بأنه جاء بهذه الألفاظ ولم يجيء بحقائقها ومعانيها وهذا جحد لما أرسل به حقيقة؛ فثبت أن الإيمان وهذه المعارضة لا يجتمعان أبداً يوضحه . .

الوجه السابع عشر بعد المائة :

بيان أن هذا يؤدي
إلى عزل الرسول
عن موجب رسالته

وهو أن يقال لهؤلاء المعارضين للوحي بأرائهم: إما أن تردوا هذه النصوص وتكذبوها^(٢)، وإما أن تصدقوها وتقبلوها، والأول إلحاد وكفر ظاهر، وإن قبلتموها، فإما أن تعتقدوا أن الرسول أراد حقائقها ومعانيها المفهومة منها أولاً، فإن اعتقدتم أنه أراد حقائقها، فإما أن تعتقدوا ثبوت تلك

(١) م : (مستلزم).

(٢) ظ : (تكذبوها).

الحقائق في نفس الأمر وانتفائها، أو تشكون في الأمر، ولا ريب أنه مع اعتقاد ثبوت تلك الحقائق تمتنع المعارضة، وأنه مع الشك تمتنع المعارضة، فلا تمكن المعارضة إلا على تقدير العلم بانتفاء تلك الحقائق في نفس الأمر، وحينئذ، فإذا أراد إفهامها فقد أراد إفهام خلاف الحق، فإما أن توافقوه في مراده وتمنعوا تأويلها بما يخالف حقائقها، لأنه مناقضة لمراده، وإما أن توجبوا تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ومعانيها المفهومة منها، والأول يستلزم الإقرار على الباطل وإفهام أقبح الكذب، وهو الكذب على الله وأسمائه وصفاته، وهذا يرجع على أصل الرسالة، ومقصودها^(١) بالإبطال، فلم يبق إلا التأويل ولا يمكنكم سلوك طريقه لأنكم تناقضون فيه أقبح التناقض.

فإنكم إما تتأولوا^(٢) الجميع وليس في المنتسبين إلى القبلة من يجوز ذلك، ولا يمكنه، وإما تتأولوا البعض دون البعض فيقال لكم: ما الفرق بين ما جوزتم تأويله فصرفتموه عن حقيقته ومعناه الظاهر منه وبين ما أقرتموه على حقيقته؟، فإن قلتم: ما يقوله جمهوركم أن ما عارضه عقلي قاطع تأولناه وما لم يعارضه عقلي قاطع أقرناه.

قيل لكم: فحينئذ لا يمكنكم نفي التأويل عن شيء / فإنكم لا يمكنكم^(٣) نفي جميع المعارضات العقلية

[١٧١/١]

(١) ظ، م: (مقصود لها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) م: (تأولوا).

(٣) م: (يمكنكم) بدون لا.

كما تقدم، إذ غاية ما معكم نفي العلم بها وعدم العلم لا يستلزم عدم المعلوم، وأيضاً فمعقولات الناس ليست على حد واحد، فهب أن معقولاتكم ليست تعارض ما أقرتموه، فقد ادعى غيركم أن مقدماتكم التي عارضتم بها ما تأولتموه ومثلها وأيضاً فعدم العلم بالمعارض العقلي القطعي لا يوجب الجزم بمدلول الدليل السمعي، فإنكم إذا جوزتم على الرسول أن يقول قولاً له معنى وهو لا يريد أن في العقلات الدقيقة التي لا تخطر ببال أكثر الناس أو لا تخطر ببال الخلق في قرون كثيرة ما يخالف ذلك جاز أن يريد بما أقرتموه [ما]^(١) يخالف مقتضاه، وعدم العلم بما يعارضه من العقلات لا يستلزم عدم المعارض في نفس الأمر وهذا مما لا جواب لكم عنه.

فإن قلت: نتأول ما يعلم بالاضطرار أنه جاء به وأراده، وما علم بالاضطرار أنه جاء به وأراد معناه أقرناه.

قيل لكم: فخصومكم من أهل الباطل يقولون لكم فيما أقرتموه نحن لم نعلم أنه جاء بهذا، ولا أراد معناه، كما قلتم أنتم فيما تأولتموه سواء، فدعواكم من جنس دعواهم، لا فرق بينهما فما الذي جعل قولكم أولى بالصواب من قولهم، واتباع الرسول وحزبه العالمون بما جاء به الذين هم خاصته يعلمون بالاضطرار من دينه أنه جاء بما يخالف تأويلاتكم وتأويلات إخوانكم، وتعلمون بالضرورة أنها مناقضة لما جاء به مناقضة ظاهرة، ولا يدعون عليكم أنكم

(١) (ما): ليست في ظ، ولا م ولعل الصواب إثباتها.

تعلمون ذلك فإنكم لا علم لكم بما جاء به، وأنتم من أبعد الناس عنه فإذا قلتم لا نعلم أنه جاء به صدقوكم في ذلك ولكن جهلكم بما جاء به وإعراضكم عنه لا يوجب مشاركتهم لكم في هذا الجهل، فالمثبتون لعلو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، وتكلمه بالقرآن حقيقة، وتكليمه لعبده موسى حقيقة منه إليه بلا واسطة كلاماً أسمعته إياه، وتكليم عباده في الآخرة، وتكليمه ملائكته، وإثبات صفاته، ورؤية المؤمنين له في الجنة من فوقهم عياناً جهرة بأبصارهم، يعلمون أن نبيهم جاء بذلك ضرورة، كما أنه جاء بالوضوء، والغسل من الجنابة، والصلاة، وصوم رمضان، والحج، والزكاة، وتحريم الظلم، والفواحش، فكيف تنكرون ذلك لعدم علمكم، ولما علم أئمة هؤلاء وفضلاؤهم أن هذا لازم لا محالة صرحوا بأنه لا يستفاد من السمعية علم ولا يقين^(١)، إذ هي موقوفة على أمور عشرة ومنها: نفي المعارض العقلي، ولا سبيل إلى العلم بانتفائه، وهذا أتم ما يكون من عزل الرسول عن موجب رسالته، وبالله التوفيق.

الوجه الثامن عشر بعد المائة :

أن هؤلاء المعارضين عن الأدلة السمعية المعارضين لها إذا فعلوا ذلك لم يبق لهم إلا طريقتان، إما طريق النظر، وهي الأدلة القياسية العقلية، وإما طريق الكشف، وما يدرك بالرياضة وصفاء الباطن، وكل من هاتين

بيان أن من أعرض
عن طريق السمع
فليس له إلا طريق
النظر أو طريق
الكشف

(١) في هامش م دهم لأسياء من السمعية.

الطريقتين باطلة أضعاف حقه، وفيها من التناقض والاضطراب والفساد ما لا يحصىه إلا رب العباد، ولهذا تجد غاية من سلك الطريق الأولى الحيرة والشك، وغاية من سلك الطريق الثانية الشطح، فغاية أولئك عدم التصديق بالحق، وغاية هؤلاء التصديق بالباطل، وحال أولئك تشبه حال المغضوب عليهم، وحال هؤلاء^(١) تشبه حال الضالين، ونهاية أولئك التعطيل والنفي ونهاية هؤلاء الإلحاد، والقول بالوحدة، والاتحاد، ولهذا لما وصل حذاقهم في طريقة النظر إلى آخرها ورأوا غوائلها وآفاتنا ورأوها لا توصل إلى المطلوب الصحيح رجعوا إلى طريقة الوحي والآثار النبوية كما صرح به الرازي وابن أبي الحديد وأبو حامد وأبو المعالي وغيرهم، واعترفوا في آخر الأمر أن الطرق كلها مسدودة إلا طريق الوحي والأثر.

الوجه التاسع عشر بعد المائة:

أن يقال لمن جوز مجيء الرسول بما يخالف صريح العقل ما تقول إذا سمعت كلامه قبل أن تعلم هل في العقل ما يخالفه أم لا؟ هل تبادر إلى رده وإنكاره؟ أم إلى قبوله واعتقاده؟ أم تتوقف فيه ولا تصدقه ولا تكذبه ولا تقبله ولا ترده؟ أم تعلق تصديقه والإقرار به على الشرط، وتقول أنا أعتقد موجه إن لم يكن في العقل ما يرده؟ فلا بد لك من واحد من هذه الأمور الأربعة، فالأول والثالث والرابع مناقض للإيمان بالرسول مناقضة صريحة / والثاني^(٢)،

الرد على من جوز
مجيء الرسول
بما يخالف صريح
العقل

[١٧٢/١]

(١) ظ، م: (أولئك)، وما أثبتته هو الذي يدل عليه السياق.

(٢) ظ، م: (الثانية)، والصواب ما أثبت.

لا سبيل لك إليه، لأنك (قد)^(١) جوزت أن يكون في صريح العقل ما يناقض ما أخبر به، فكيف تجزم مع ذلك بصحته، فالقسم الإيماني قد سددت^(٢) طريقه على نفسك والأقسام الثلاثة مستلزمة لعدم الإيمان، وهذا إنما نشأ من تجويز أن يكون في العقل الصريح ما يناقض ما أخبر به، يوضحه:

الوجه العشرون بعد المائة:

أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول إلا بعد أن يقوم على صحته عنده دليل منفصل من عقل، أو كشف، أو منام، أو إلهام، لم يكن مؤمناً به قطعاً، وكان من جنس الذين قال الله فيهم:

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

بل قد يكون هؤلاء خيراً منهم من وجه، فإنهم علقوا الإيمان بأن يؤتوا سمعاً مثل ما أوتي الرسل، وهؤلاء علقوا الإيمان على قيام دليل عقلي على صحة ما أخبروا به، وإذا كان من فعل هذا ليس بمؤمن بالرسل فكيف من عارض ما جاءوا به بمعقوله ثم قدمه عليه.

الوجه الحادي والعشرون بعد المائة:

إن حال هؤلاء المعارضين بين الوحي والعقل ضد حال أهل الإيمان من كل وجه، فإن الله سبحانه^(٣) أخبر عن أهل الإيمان من كل وجه

(١) (قد): سقط من م.

(٢) ظ، م: (سددت) بالراء والصواب ما أثبت. (٣) م: (تعالى).

الإيمان بأنهم كلما سمعوا نصوص الوحي زادتهم إيماناً وفرحاً واستبشاراً، وأن الذين في قلوبهم مرض، وريب يزيدهم رجساً إلى رجسهم ويودون أنها لم تنزل قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا مَا (١) أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وإذا أردت أن تعرف حقيقة الحال، فانظر إلى وجوه القوم وشمائلهم عند استماع آيات الصفات وأخبارها كيف؟ تجدهم ورثة الذين قال الله فيهم:

﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾

[الرعد: ٣٦].

وهؤلاء يسوءهم ما يخالف قواعدهم الباطلة مما أنزل إليه (٢).

(١) ظ، م: (وإذا أنزلت).

(٢) م: (مما أنزل الله)، والمقصود هنا بقوله إليه إلى الرسول كما في الآية قبلها.

وقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾

[الحجرات: ١٥].

وهؤلاء في أعظم الريب^(١) في أشرف ما جاء به الرسول، ومن جوز أن يكون فيما أخبر به ما يعارضه صريح المعقول لم يزل في ريب من ثبوت ما أخبر به، و(لا يزال بنيانهم)^(٢) لتلك القواعد التي بنوها مما يعارض ما جاء به الرسول ﴿رَيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ، وقال تعالى :

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ نَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ أُولَٰئِ

الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد: ١٩].

وهؤلاء يرون أن أشرف ما أنزل إليه يخالفه صريح العقل وقال تعالى :

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦].

وهؤلاء يرون أن أشرف ما أنزل إليه وأجله يخالف المعقول^(٣)، ويهدي إلى التشبيه والتجسيم والضلال.

(١) ظ: (الرب).

(٢) ظ، م: (بنيانه) والصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (للمعقول)، والصواب ما أثبت.

الوجه الثاني والعشرون بعد المائة :

إن هؤلاء المعارضين للوحي بآرائهم جعلوا كلام الله ورسوله من الطرق الضعيفة المزيفة التي لا يتمسك فيها في العلم واليقين، ولعلك تقول: إننا حكينا ذلك عنهم بلازم قولهم، فاسمع^(١) حكاية ألفاظهم، قال الرازي في نهايته^(٢):

بيان أن هؤلاء جعلوا كلام الله من طرق الاستدلال الضعيفة

فصل (٣)

في تزييف الطرق الضعيفة وهي أربع، فذكر نفي الشيء لانتفاء دليله، وذكر القياس، وذكر الإلزامات، ثم قال: «والرابع هو^(٤) التمسك بالسمعيات»^(٥).

وهذا تصريح بأن التمسك بكلام الله ورسوله من الطرق الضعيفة المزيفة، وأخذ في تقرير ذلك، فقال: «المطالب على أقسام ثلاثة:

منها: ما يستحيل [حصول]^(٦) العلم بها بواسطة السمع.

ومنها ما يستحيل [حصول]^(٦) العلم بها إلا من

السمع.

-
- (١) م: (فاستمع).
(٢) انظر: نهاية العقول في دراية الأصول للفخر الرازي، مخطوط تحت رقم (٧٤٨)، في دار الكتب المصرية لوحة رقم (٨، ١٤، ١٥، ١٦).
(٣) نهاية: الفصل السابع.
(٤) نهاية: الرابعة وهي.
(٥) في هامش م: (مطلب قولهم في السمعيات).
(٦) (حصول): إضافة من نهاية العقول.

ومنها ما يصح حصول العلم^(١) بها من السمع تارة ومن العقل أخرى.

قال: «أما القسم الأول فكل ما يتوقف العلم بصحة السمع على العلم بصحته، استحال تصحيحه بالسمع مثل^(٢) العلم بوجود الصانع، وكونه مختاراً وعالمًا بكل المعلومات^(٣).. وصدق^(٤) الرسول».

قال: «وإما القسم الثاني: فهو ترجيح^(٥) أحد طرفي الممكن على الآخر إذا لم يجده الإنسان من نفسه، ولم^(٦) يدركه بشيء من حواسه، فإنَّ جلوس^(٧) غراب على قُلة^(٨) جبل قاف، إذا كان جائز الوجود والعدم مطلقاً، وليس هناك ما يقتضي وجوب أحد طرفيه أصلاً، وهو غائب عن الحس والنفس^(٩)، استحال العلم بوجوده إلا من قول / الصادق.

[١٧٣/١]

-
- (١) نهاية: أن تعلم.
(٢) ظ: (قبل)؛ م: (كالعلم قبل العلم) وما أثبتته من نهاية العقول.
(٣) نهاية: زاد ومرسلاً للرسول.
(٤) نهاية: وصدق قول الرسول.
(٥) ظ، م: (ترجح)، وما أثبتته من نهاية.
(٦) ظ، م: (ولا).
(٧) ظ، م: (حصول)، وما أثبتته من نهاية.
(٨) قال ابن منظور في لسان العرب ٣٧٢٨/٥ «القُلةُ أعلى الجبل وقُلةٌ كلُّ شيءٍ أعلاه.. ورأس الإنسان قُلةٌ وأنشد سييويه:
عجائب تبدي الشيب في قلة الطفل
(٩) نهاية: (عن النفس والحس).

وأما القسم الثالث: وهو معرفة وجوب الواجبات أو إمكان الممكنات أو استحالة المستحيلات التي لا يتوقف العلم بصحة السمع على العلم بوجودها وإمكانها واستحالتها، مثل: مسألة الرؤية، والصفات^(١)، والوحدانية وغيرها» ثم عدد أمثلة^(٢).

ثم قال: «إذا عرفت ذلك^(٣) فنقول: إما أن الأدلة السمعية لا يجوز استعمالها (في الأصول)^(٤) في القسم الأول، فهو ظاهر وإلا وقع الدور، وإما أنه يجب استعمالها في القسم الثاني، فهو ظاهر كما^(٥) سلف.

وأما القسم الثالث ففي جواز استعمال الأدلة السمعية فيه إشكال، وذلك لأننا لو^(٦) قدرنا قيام الدليل القاطع العقلي على خلاف ما أشعر به ظاهر^(٧) الدليل السمعي، فلا خلاف بين^(٨) أهل التحقيق بأنه يجب تأويل الدليل السمعي، لأنه إذا لم يكن الجمع بين ظاهر النقل، وبين مقتضى الدليل العقلي، فإما أن نكذب بالعقل، وإما أن

(١) نهاية: (والصفة).

(٢) م: (أمثله).

(٣) نهاية: إذا عرفت هذا التفصيل.

(٤) (في الأصول): ليست في نهاية.

(٥) نهاية: (كما سلف).

(٦) نهاية: (إننا لو).

(٧) ظ: (ظاهر الدليل).

(٨) نهاية: (من).

يأول النقل^(١)، فإن كذبنا العقل مع أن النقل لا يمكن إثباته إلا بالعقل، فإن^(٢) الطريق إلى إثبات الصانع ومعرفة النبوة ليس إلا بالعقل^(٣)، فحينئذ تكون صحة النقل متفرعة على ما يجوز فساده وبطلانه، فإذا^(٤) لا يكون العقل مقطوع الصحة فإذا^(٥) تصحيح النقل برد العقل يتضمن القدح في النقل وما أدى ثبوته إلى انتفائه^(٦) كان باطلاً^(٧) وتعين تأويل النقل.

فإذاً الدليل السمعي لا يفيد اليقين بوجود مدلوله إلا بشرط أن لا يوجد دليل عقلي على خلاف ظاهره فحينئذ لا يكون الدليل النقلي مفيداً للمطلوب إلا إذا أثبتنا^(٨) أنه ليس في العقل ما يقتضي خلاف ظاهره، ولا طريق لنا إلى إثبات ذلك إلا من وجهين، إما أن نقيم دلالة عقلية^(٩) على صحة ما أشعر به ظاهر الدليل النقلي، وحينئذ يصير الاستدلال بالنقل فضلاً غير محتاج إليه.

وإما بأن نزيّف أدلة المنكرين لما دل عليه ظاهر النقل،

(١) نهاية: (أن نكذب العقل أو نؤول النقل).

(٢) م: (كان).

(٣) ظ، م: (إلا العقل)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) نهاية: (فحينئذ).

(٥) نهاية: (فحينئذ).

(٦) نهاية: (إلى نفيه).

(٧) نهاية زاد: (ولما بطل ذلك).

(٨) نهاية: (ثبت).

(٩) نهاية زاد: (قاطعة).

وذلك ضعيف لما بينا من أنه لا يلزم من فساد ما ذكره أن لا يكون هناك معارض أصلاً، إلا^(١) أن نقول: إنه لا دليل على هذه المعارضات^(٢)، فوجب نفيه^(٣)، ولو كنا زيفنا هذه الطريقة (يعني^(٤) انتفاء الشيء لانتفاء دليله)^(٥) أو نقيم^(٦) دلالة قاطعة على أن المقدمة الفلانية غير معارضة لهذا النص ولا المقدمة^(٧) الأخرى، وحينئذ نحتاج إلى إقامة الدليل على أن كل واحدة من (هذه)^(٨) المقدمات التي لا نهاية لها غير معارضة^(٩) لهذا الظاهر.

فثبت أنه لا يمكن حصول اليقين لعدم ما يقتضي خلاف الدليل النقلي، وثبت أن الدليل النقلي تتوقف إفادته لليقين على ذلك فإذا الدليل النقلي تتوقف إفادته [اليقين]^(١٠) على مقدمة غير يقينية، وهي عدم دليل عقلي^(١١)، وكل ما يبتنى صحته على ما لا يكون يقيناً لا يكون هو أيضاً يقيناً،

(١) نهاية: (اللهم إلا).

(٢) نهاية: (هذا المعارض).

(٣) ظ، م: (نفيه على)، ولعل الصواب حذف: (على).

(٤) ظ: (يعر).

(٥) ما بين القوسين من كلام ابن القيم رحمه الله.

(٦) ظ: (ونقيم).

(٧) نهاية زاد: (الفلانية).

(٨) (هذه): ليست في النهاية.

(٩) نهاية: (معارض).

(١٠) (اليقين): إضافة من نهاية.

(١١) نهاية زاد: (يوجب تأويل ذلك النقل).

فثبت أن ذلك الدليل النقلي من (١) هذا القسم لا يكون مفيداً لليقين.

قال: «وهذا بخلاف الأدلة العقلية، فإنها مركبة من مقدمات لا يكتفى (٢) فيها بأن لا يعلم فسادها بل لا بد وأن يعلم بالبدئية، صحتها، أو (٣) يعلم بالبدئية لزومها مما علم (صحته) (٤) بالبدئية، ومتى كان كذلك استحال أن يوجد (٥) ما يعارضه لاستحالة التعارض في العلوم البدئية».

ثم قال: فإن قيل: إن الله سبحانه لما أسمع المكلف الكلام الذي يشعر ظاهره بشيء فلو كان في العقل ما يدل على بطلان ذلك الشيء وجب عليه سبحانه أن يخطر ببال المكلف ذلك الدليل وإلا كان ذلك تلبساً من الله تعالى وإنه غير جائز».

قلنا: هذا بناء على قاعدة الحسن والقبح (٦)، وأنه يجب على الله سبحانه شيء ونحن لا نقول بذلك (٧) [ثم إن] (٨)

(١) نهاية: (في).

(٢) ظ: (بلفي).

(٣) ظ، م: (إذ) وما أثبتته من نهاية.

(٤) (صحته): ليست في نهاية.

(٥) نهاية: (إن يوجد له).

(٦) انظر: ص ٢٧٢.

(٧) نهاية: (به).

(٨) (ثم إن): إضافة من نهاية.

سلمنا ذلك، فَلِمَ قلتم: إنه يجب على الله أن يخطر ببال المكلف ذلك الدليل العقلي؟، وبيانه، أن الله تعالى إنما يكون ملبساً على المكلف لو أسمع كلاماً يمتنع عقلاً أن يريد به^(١) إلا ما أشعر به ظاهره، وليس الأمر كذلك، لأن المكلف إذا سمع ذلك الظاهر^(٢) فبتقدير^(٣) أن يكون الأمر كذلك لم يكن مراد الله من ذلك الكلام ما أشعر به الظاهر، فعلى هذا إذا أسمع الله تعالى المكلف ذلك الكلام، فلو قطع المكلف بحملة على ظاهره مع قيام الاحتمال الذي ذكرنا^(٤) كان ذلك التقدير^(٥) تقصيراً واقعاً من المكلف^(٦) لا من قبل الله تعالى حيث قطع لا في موضع القطع، فثبت أنه لا يلزم من عدم إخطار الله تعالى ببال المكلف ذلك^(٧) الدليل العقلي المعارض للدليل السمعي^(٨) أن يكون ملبساً.

قال: فخرج ما ذكرنا^(٩) أن الأدلة النقلية لا يجوز التمسك بها في (باب)^(١٠) المسائل العقلية...^(١١) نعم يجوز التمسك

(١) نهاية: (يراد به).

(٢) نهاية زاد: (ثم إنه يجوز أن يكون هناك دليل عقلي على خلاف ذلك الظاهر).

(٣) نهاية: (وبتقدير).

(٥) (التقدير): من نهاية، وفي ظ، م: (التقصير).

(٦) نهاية: (من قبل المكلف).

(٧) نهاية: (ببال ذلك المكلف).

(٨) نهاية: (النقلي).

(٩) نهاية: (ذكرناه).

(١٠) (باب): ليست في النهاية.

(١١) نهاية زاد: (ولعله يمكن أن يجاب عن هذا السؤال بما يجب به عن تجويز ظهور

المعجزات على أيدي الكذابين).

بها في المسائل النقلية تارة لإفادة اليقين كما في مسألة الإجماع / وخبر الواحد، وتارة لإفادة الظن كما في الأحكام الشرعية» انتهى^(١).

فليتدبر المؤمن هذا الكلام وليرد أوله على آخره وآخره على أوله، ليتبين له ما ذكرنا عنهم من العزل^(٢) التام للقرآن والسنة عن أن يستفاد منها علم أو يقين في باب معرفة الله، وما يجب له، وما يتمنع عليه، وأنه لا يجوز أن يحتاج بكلام الله ورسوله في شيء من هذه المسائل وأن الله تعالى يجوز عليه التلبيس والتدليس على الخلق وتوريطهم في طرق الضلال وتعريضهم لاعتقاد الباطل والمحال، وأن العباد مقصرون غاية التقصير إذا حملوا كلام الله ورسوله على حقيقته، وقطعوا بمضمون ما أخبر به حيث لم يشكوا في ذلك إذ^(٣) قد يكون في العقل ما يعارضه ويناقضه، فإن غاية ما يمكن أن يحتاج بكلام الله ورسوله عليه من الجزئيات ما كان مثل الإخبار، بأن على قَلَّةِ جبل قاف غرباً صنعته كيت وكيت، أو على مسألة الإجماع وخبر الواحد، وأن مقدمات أدلة القرآن والسنة غير معلومة ولا متيقنة الصحة، ومقدمات أدلة أرسطو صاحب المنطق والفارابي وابن سينا وإخوانهم قطعية معلومة الصحة، وأنه لا طريق لنا إلى العلم بصحة الأدلة السمعية في باب الإيمان بالله وأسمائه وصفاته

(١) انظر: نهاية العقول، لوحة رقم (١٦).

(٢) ظ: (العدل).

(٣) ظ: (أو).

البتة لتوقفها على انتفاء ما لا طريق لنا إلى العلم بانتفائه وأن الاستدلال بكلام الله ورسوله في ذلك فضلة لا يحتاج إليها، بل هو^(١) مستغن عنه^(٢) إذا كان موافقاً للعقل.

فتأمل هذا البيان الذي بنوه، والأصل الذي أصلوه هل في قواعد الإلحاد أعظم هدماً منه لقواعد الدين، وأشد مناقضة منه لوحي رب العالمين، وبطلان هذا الأصل معلوم بالاضطرار من دين جميع الرسل وعند جميع أهل الملل.

وهذه الوجوه المتقدمة التي ذكرناها هي قليل من كثير مما يدل على بطلانه، ومقصودنا من ذكره اعترافهم به بألستهم، لا بإلزامنا لهم به، وتمام إبطاله أن نبين^(٣) فساد كل مقدمة من مقدمات الدليل الذي عارضوا به النقل، وأنها مخالفة للعقل كما هي مناقضة للوحي، والله يعلم أنا عازمون على ذلك، وبيانه على التفصيل في جميع أدلتهم إن ساعد التوفيق، ويجب على كل مؤمن بالله ورسوله أن يعتقد ذلك جملة وإن لم يحط^(٤) به تفصيلاً، ولا يضع قدمه في أول درجة من درجات الإيمان إلا بذلك، والمقصود أن مناقضة هذا الأصل الإيمان بالله ورسوله كمناقضة أحد الضدين. وبالله التوفيق.

(١) ظ، م: (هي)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (عنها)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (يتبين) ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) ظ: (يحيط).

الوجه الثالث والعشرون بعد المائة :

أن يقال : كل ما أخبر به الرسول عن الله سبحانه إثباتاً ونفياً فهو واجب عليه وممتنع عليه ، أو ما أثبتته له فهو كمال ، والكمال كله واجب له ، وما نفاه عنه فهو نقص ، والنقائص كلها ممتنعة عليه ، وقد صرح هؤلاء بأن ما يجب لله ويمتنع عليه ، لا تمكن استفادته من الرسول ؛ لأنه إن أخبر بما يخالفه العقل من ذلك : لم يجوز إثباته ، ولم يلتفت إلى خبره فيه ، وإن أخبر بما يدل عليه العقل ، كان الاستدلال بخبره فضلة غير محتاج إليها ، لا سيما وقد صرحوا بأنه ليس في حق الرب ما يمكن أن يوصف به ، وما لا يمكن ، بل إمّا واجب ، وإمّا محال ، والعلم بوجوب الواجبات واستحالة المحالات لا يتوقف على السمع ولا يحتاج إليه فيه ، وهذا تصريح بأنه لا يحتاج بكلام الله ورسوله على شيء من هذه المسائل .

ولا يصدق بشيء من خبر الرسول في (١) ذلك ؛ لكونه أخبر به ، بل لكون العقل دل عليه ، وذلك يستلزم الكفر (٢) والإلحاد والزندقة ، وهذا لازم لكل من سلك هذه الطريق ؛ لأنه إذا جوز المجوز أن يكون في الأدلة العقلية التي يجب اتباعها ما يناقض ما أخبر الله به ورسوله من ذكر صفاته سبحانه ، وصفات ملائكته ، وعرشه ، والجنة والنار ، والمعاد ، والعقوبات التي أخبر بها عن الأمم والمعجزات التي أيد بها أنبياءه ورسله ، لم يمكنه أن يعرف ثبوت شيء كما أخبر

(١) ظ : (عن) .

(٢) ظ : (للكفر) .

به الرسول إذا^(١) لم يعلم انتفاء المعارض ولا طريق له إلى ذلك إلا أن يحيط علماً بكل ما يخطر ببال بني آدم في كل وقت مما يظن أنه دليل عقلي، وهذا أمر لا ينضبط وليس له حد فلا تزال الشبه العقلية تتولد في نفوسهم تولد الوسواس والخطرات / وحديث النفس، وقد اعترف هؤلاء بأنه لا سبيل إلى العلم بانتفاء المعارض على التفصيل، وحينئذ فلا يمكن الجزم بانتفاء المعارض أبداً فلا يمكن الجزم بشيء مما أخبر به الرسول أبداً إن لم يكن في العقل الصريح ما يقتضي ثبوته وحقيقة هذا سلب الإيمان برسالة الرسول وعدم تصديقه.

فهذا الأصل الباطل الجائر الظالم مستلزم للزندقة والإلحاد، فمن طرده أداه إلى الكفر والنفاق والزندقة، ومن لم يطرده تناقض وفارق المعقول الصريح، ومن هذا دخلت الملاحدة^(٢) والقرامطة والباطنية على كل فرقة من الطوائف الذين وافقوهم على هذا الأصل، أو على بعض شعبه، حتى إن من استجاب لهم إلى بعضه دعوه إلى طرده إن أمكنهم، وإلا رضوا منه بما وافقهم فيه.

الوجه الرابع والعشرون بعد المائة:

بيان أن هؤلاء مقلدون للمشركين والملاحدة
أن هؤلاء يعيرون أهل السنة والحديث المتمسكين بها
التاركين لما خالفها^(٣) بالتقليد، وإنما^(٤) يأخذون ما يعتقدونه

(١) ظ، م: (أو)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) سبق التعريف بهم، انظر ص ٣٠٠.

(٣) م: (خلفها).

(٤) ظ: (وإنها).

مسلماً من غير قيام برهان عقلي على اعتقاده، فإن كان تمسكهم بكلام المعصوم تقليداً واقتداؤهم^(١) بآثار أصحابه تقليداً، فهم لا ينكرون هذا التقليد ولا ينفرون عن عيبيهم به، ولكن العيب كل العيب تقليد المشركين وعباد الأصنام والمجوس والهند، والصابئين عبدة الكواكب، والملاحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مقدمات هذه الأدلة العقلية التي عارضوا بها النصوص وقدموها عليها متلقاة عن هؤلاء، فخلفهم مقلدون لسلفهم إذا حاققتهم^(٢) عليها، وطلبت منهم البرهان على صحتها قال: هكذا قال العقلاء أرباب المعقولات، وسلفهم ليسوا^(٣) فيها على بصيرة بل على خرص وحدس وتخمين، فالسلف خراصون، والخلف عمي مقلدون، وإذا تأملها اللبيب العاقل الفطن وجدها مبنية على ألفاظ مجملة ومعاني مشتبهة، حتى [إذا]^(٤) استفسرتهم عن معانيها وفصلت مجملها تجدها دعاوى كاذبة تتضمن الجمع بين المختلفات، والتفريق بين المتماثلات، فيجمعون بين الشئيين اللذين هما في غاية التباين لاشتراكهما في بعض الصفات، ويفرقون بين المثليين من كل وجه بالدعاوى الكاذبات، ويثبتون الشئ ويثبتون لازمه، وينفون الشئ ويثبتون ملزومه ويقدحون في الضروريات بالقضايا

(١) ظ، م: (واو وهم)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) م: (حامقتهم).

(٣) ظ، م: (ليس)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) (إذا): إضافة من م.

الوهميات، ويجعلون الذهني خارجاً ويصفون الوجود الخارجي بما ينافي وجوده، وواجب الوجود بما يجعله ممتنع الوجود، ويجردون الماهية عن صفاتها التي لا تحقق إلا بها، ثم يجعلون الصفة هي الذات، ويجعلون العاقل والمعقول والعقل شيئاً واحداً، ويجعلون العلم هونفس المعلوم، والفعل هو عين المفعول، وواجب الوجود الذي يمتنع عدمه هو الوجود المطلق - بشرط الإطلاق أو بغير شرط - الذي يمتنع وجوده إلى أضعاف أضعاف ذلك من مقالاتهم، التي هي عند من فهمها وعرف مضمونها^(١) ضحكة للعاقل تارة، وأعجوبة له تارة، ومغضبة له تارة.

ومثل هذه المعقولات لو^(٢) تصرف بها الرجل في تجارة أو صناعة من الصناعات لأفسدت التجارة والصناعة، فكيف يتصرف بها في الأمور الإلهية؟ وفي صفات رب البرية ثم يعارض بها كلام الله الذي بعث به رسله. وأنزل به كتبه؟ وإنما عظمت الشبهة بذلك بأن أقواماً لهم نوع ذكاء يميزون به في أنواع من العلوم، ولم تكن لهم خبرة بالأمور الإلهية كخبرتهم بتلك العلوم فحاضوا فيها بعقولهم وظنوا أنهم يبرزون فيها كما برزوا في تلك العلوم، وظن المقلدون لهم ذلك أيضاً، فركب من ظنهم وظن مقلدهم اعتقادها والدعوة إليها وإساءة الظن بما خالفها، ثم إنهم رأوا النصوص واقفة في طريقها فقاموا لها وقعدوا، وجدوا في

من أسباب ضلالهم

(١) ظ: (ستمونها).

(٢) ظ: (لم).

دفعها واجتهدوا فتارة سطوا عليها بالتأويل وتارة نسبوا من تكلم بها إلى قصد التخيل ووقفوا بجهدهم في الصدور منها والأعجاز، وقالوا: لا مقام لك عندنا ولا عبور لك علينا، وإن كان لا بد فعلى سبيل المجاز، وتارة قالوا: هذه أخبار آحاد، والمسألة / من المسائل العلمية.

[١٧٦/١]

وإن كان قرآناً أو خبراً متواتراً قالوا: تلك أدلة لفظية معزولة عن إفادة العلم واليقين، وغايتها إفادة الظن والتخمين، وإن أعجزهم ذلك أو طال عليهم طريقه لجأوا إلى القانون المجتث لقواعد الإيمان الكفيل بالإلحاد والكذب والبهتان الذي جعلوه أصلاً لتقديم آرائهم الباطلة على السنة والقرآن وقالوا: قد تعارض العقل والنقل ولا سبيل إلى الجمع، وتقديم النقل قدح في العقل فتعين تقديم العقل بهذا البرهان والمقصود أنك إذا حققت الأمر على هؤلاء المعارضين لم يكن عندهم إلا رجوع إلى تقليد أسلافهم الماضين.

وقولهم هذه أمور عقلية، قد صقلتها الأذهان، منذ دهر وزمان، وإذا دعوتهم إلى كتاب الله وسنة رسوله دعوك إلى قول أرسطو عابد الأوثان، وإلى ما أصله من منطق اليونان، وإن أحسنوا دعوك إلى أصول جهم بن صفوان، وقول الجعد بن درهم معلم مروان^(١) الذي ضحى به خالد بن عبدالله

(١) مروان: هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، أبو عبد الملك، ويعرف بالجعدي وبالحمار آخر ملوك بني أمية في الشام، ولد سنة ٧٢، وكان حازماً شجاعاً، قتل في «بوصير» من أعمال مصر سنة ١٣٢ وبه انتهت دولة بني أمية. البداية والنهاية ١٠/٥٤ - ٥٦؛ الأعلام ٧/٢٠٨، ٢٠٩.

القسري يوم ذبائح القربان^(١)، وإن زادوا في الإحسان دعوك إلى قول (أبي)^(٢) الهذيل العلاف ويعقوب الشحام^(٣) وإبراهيم النظام وأبي علي وأبي هشام الجبائين فإنهم تلقوا كلمات هؤلاء يدرسونها لا كدرس القرآن، ويحاربون بها أهل العلم والإيمان ويحرفون بها التنزيل عن مواضعه إذا عجزوا عن اللي^(٤) والكتمان وآخر أمرهم أن يصلوا إلى «هكذا قال فلان» و«هكذا قال فلان»، فإذا ذكرت لهم الحجة الصحيحة التي يقبلها العقل، وفطرة الإنسان قالوا: كيف يظن بأرسطو وابن سينا وأبي الهذيل وأبي علي^(٥) وابنه^(٦) وأمثالهم أن يخفى عليهم مثل هذا؟ وهم أهل العقل والحجة والبرهان، هذا وهم يرون تعصباً^(٧) وجهلاً تقليد من ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ومن قام الدليل على عصمته وعلمه ومعرفته وصدق اللهجة منه

(١) انظر ص ١٠٧١ .

(٢) (أبي): سقط من م .

(٣) سبق ذكر ترجمته ٧٨٧ .

(٤) سبق، انظر ص ٧١٢ .

(٥) أبو علي هو محمد بن عبد الوهاب، وقد سبق ذكر ترجمته ص ٧٨٦ .

(٦) وابنه: هو عبدالسلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، أبو هاشم، ولد سنة ٢٧٧،

من كبار المعتزلة بالبصرة وله فرقة سميت «الهاشمية» نسبة إلى كنيته أبي هاشم، له كتب منها: «الشامل» في الفقه و«تذكرة العلم» و«العدة» في أصول الفقه، توفي

سنة ٣٢١ .

ميزان الاعتدال ٦١٨/٢؛ البداية والنهاية ١٩٨/١١؛ تاريخ التراث العربي

٧٨/٤/١؛ الأعلام ٧/٤ .

(٧) م: (نقصاً) .

واللسان، فما أشبههم بإبليس أبي الجان، حين استكبر عن السجود لأدم ورضي أن يكون قوادماً لأهل الفسوق والعصيان، وما أشبههم بأعداء الرسول إذ أنفوا^(١) أن ينقادوا لرسول من نوع الإنسان، ثم رضوا بعبادة^(٢) الشيطان والأوثان والصلبان والنيران، وسلكوا سبيل هؤلاء في تنزيه الرب تعالى عن صفات كماله خشية التجسيم والتشبيه المستلزم عندهم للنقصان، ثم شبهوه بالناقصات، بل بالمعدومات، بل بالمتنوعات التي لا تدخل تحت قضايا الإمكان، فنزهوه خشية الحصر عن استوائه على عرشه الذي هو فوق جميع الأكوان، ثم قالوا: هو في كل مكان، فيا للعقول أي الأمكنة أشرف وأجل؟ أعرش الوحي أم الآبار والأنجاس والمواطن التي يرغب عن ذكرها كل إنسان؟ فاسأل مقلب القلوب أن يثبت قلبك على دينه، الذي أرسل به رسوله، وأنزل به الفرقان، وأن لا يزيغه بعد أن هداه عن سبيل الهدى والإيمان، وقل اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان.

بيان أن هؤلاء لم
يؤمنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم
حق الإيمان

الوجه الخامس والعشرون بعد المائة:

أن الدين تصديق الرسول فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وكل منهما نوعان: مطلق ومقيد.

(١) أنفوا: أنف من باب تعب. قال أبو زيد: أنفت من قوله أشد الأنف إذا كرهت ما قال، ومعناه الاستكبار.

المصباح المنير ١/٣٥، مادة أنف.

(٢) ظ: (عبادة).

فالمقيد مثل أن يقول: لا أصدقه إلا فيما علمت صحته بعقلي، أو فيما يخالف عقلي، أو وافقه فيه شيخي وإمامي وأصحاب مذهبي، والمقيد من طاعة الأمر أن يطيعه فيما وافق حظه وهواه، فإن جاء أمره بخلاف ذلك قدم حظه وهواه عليه، فهذا غير مطيع للرسول في الحقيقة، بل هو متبع لهواه، كما أن ذاك غير مصدق له في الحقيقة، بل إن وافق قوله عقله أو قول شيخه وإمامه ومتبوعه قبله، لا لكونه قاله، كما أن مطيعه فيما وافق هواه، إنما هو متبع لما يحبه وهواه، فإن جاء الأمر بما يهواه فعله، وإلا لم يفعله، وهذا حال أكثر الناس، وأحسن أحوال هؤلاء أن يكونوا من الذين قال الله فيهم:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ (١) مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

ثم ذكر وصف أهل الإيمان فقال:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فالتصديق والطاعة لا يكون إيماناً حتى يكون مطلقاً، فإذا تقيد فأعلى أحواله – إن سلم من الشك – أن يكون إسلاماً/ ويكون صاحبه من عوام المسلمين لا من خواص المؤمنين.

[١٧٧/١]

(١) ظ: (لا يالتكم).

الوجه السادس والعشرون بعد المائة:

بيان أن السمع والعقل حجة لله على خلقه

أن السمع حجة الله على خلقه، وكذلك العقل، فهو سبحانه أقام عليهم حجته بمركب فيهم من العقل وبما أنزل إليهم من السمع. والعقل الصريح لا يتناقض في نفسه، كما أن السمع الصحيح لا يتناقض في نفسه، وكذلك العقل مع السمع فحجج الله وبيناته لا تتناقض ولا تتعارض، ولكن تتوافق وتتعاقد، وأنت لا تجد سمعاً صحيحاً عارضه معقول مقبول عند كافة العقلاء أو أكثرهم ولا تجده ما دام الحق حقاً والباطل باطلاً، بل العقل الصريح يدفع المعقول المعارض للسمع الصحيح ويشهد ببطلانه، وهذا يظهر بالامتحان في كل مسألة^(١) عورض فيها السمع بالمعقول ونحن نذكر من ذلك مثلاً واحداً يعلم به ما عداه.

بيان طريقة المتكلمين في إثبات حدوث العالم ونفي كون الله جسماً وإمكان المعاد

فنقول: قالت الفرقة الجامعة بين التجهم ونفي القدر معطلة الصفات المكذبة بالقدر صدق الرسول موقوف على قيام المعجزة الدالة على صدقه، وقيام المعجزة موقوف على العلم بأن الله لا يؤيد الكذاب بالمعجزة، والعلم بذلك موقوف على الصحة بقبحه، وعلى أن الله لا يفعل القبيح، وتنزيهه عن فعل القبيح موقوف على العلم بأنه غني عنه، عالم بقبحه، والغني عن القبيح، العالم بقبحه، لا يفعله، وغناه عنه موقوف على أنه ليس بجسم، وكونه ليس بجسم، موقوف على عدم قيام الأعراض، والحوادث به، وهي الصفات والأفعال ونفي ذلك موقوف على ما دل على حدوث

(١) (مسألة): كررت في ظ، م.

الأجسام، والذي دلنا على حدوث الأجسام أنها لا تخلو عن الحوادث، وما لا يخلو عن الحوادث لا يسبقها، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث، وأيضاً فإنها لا تخلو عن الأعراض، والأعراض لا تبقى زمانين فهي حادثة، فإذا لم تخل الأجسام عنها لزم حدوثها، وأيضاً فإن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة^(١) والمركب مفتقر إلى جزئه، وجزؤه غيره، وما افتقر إلى غيره لم يكن إلا حادثاً مخلوقاً.

وأيضاً فالأجسام متماثلة كل ما صح على بعضها صح على جميعها، وقد صح على بعضها التحليل والتركيب والاجتماع والافتراق، فيجب أن يصح على جميعها قالوا: وبهذا الطريق أثبتنا حدوث العالم، ونفي كون الصانع جسماً وإمكان المعاد، فلو بطل الدليل على حدوث الجسم بطل الدليل الدال على إثبات الصانع وصدق الرسول، فصار العلم بإثبات الصانع وصدق الرسول، وحدث العالم وإمكان المعاد موقوف على نفي الصفات والأفعال. فإذا جاء في السمع ما يدل على إثبات الصفات والأفعال لم يكن القول بموجبه، ويعلم أن الرسول لم يرد إثبات ذلك؛ لأن إرادته لإثباته تنافي تصديقه، ثم إما أن يكذب الناقل، وإما أن يتأول المنقول، وإما أن يعرض عن ذلك جملة كافية، ويقول: لا نعلم المراد.

فهذا أصل ما بنى عليه القوم دينهم وإيمانهم ولم يقيض

(١) ظ، م: (المفردة).

لهم من يبين لهم فساد هذا الأصل وبطلانه ومخالفته لصريح العقل، بل قيض لهم من المنتسبين إلى السنة من وافقهم عليه، ثم أخذ يشنع عليهم القول بنفي الصفات والأفعال وتكليم^(١) الرب لخلقه ورؤيته في الدار الآخرة، وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه ونزوله إلى سماء الدنيا فأضحكهم عليه، وأغراهم به^(٢) ونسبوه^(٣) إلى ضعف العقل والحشو^(٤) والبله. والمصيبة مركبة من عدوان هؤلاء وبغيهم وظلمهم وتقصير أولئك وموافقتهم لهم في الأصل، ثم تكفيرهم وتبديعهم في القول بفروعه ولوازمه.

وهذه الطريق، من الناس من يظنها من لوازم الإيمان، وأن الإيمان لا يتم إلا بها ومن لم يعرف ربه بهذه الطريق لم يكن مؤمناً به ولا بما جاء به رسوله وهذا يقوله الجهمية والمعتزلة ومتأخرو الأشعرية، بل أكثرهم وكثير من المنتسبين إلى الأئمة الأربعة وكثير من أهل الحديث والصفوية^(٥)، ومن

(١) م: (وتكلم). (٢) ظ، م: (واعترافهم)، وما أثبتته من المختصر.

(٣) ظ، م: (ونسبهم)، وما أثبتته من المختصر.

(٤) م: (والحسد).

(٥) الصفوية: سموا بذلك نسبة إلى لبسهم الصوف. وهم طوائف متعددة، أصولها متقاربة، إن لم تكن واحدة. وقد كان التصوف في بداية أمره زهداً في الدنيا وانقطاعاً لعبادة الله عزوجل، ثم صار حركات ومظاهر خالية من الروح والعبادة، ثم صار إلحاداً وزندقة وهذا ما عبر عنه الواسطي بقوله: كان للقوم إشارات ثم صارت حركات، ثم لم يبق إلا حسرات. وفي عصرنا الحاضر نجد المتصوفة الزهاد وهم قليل ومتصوفة المظاهر وحب الشهرة والجاه والمال ومتصوفة الزندقة والانحلال وما أكثرهم. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١١٥، ١١٧؛ كشف المحجوب ٢٣١/١؛ مجموع الفتاوى ١٩/١١، ٢٠.

الناس من يقول: ليس الإيمان موقوفاً عليها، ولا هي من لوازمه، وليست طريقة الرسل ويحرم سلوكها لما فيها من الخطر والتطويل، وإن لم يعتقد بطلانها، وهذا قول أبي الحسن الأشعري نفسه^(١)، فإنه صرح بذلك في رسالته إلى أهل الثغر^(٢) وبين أنها طريقة مدمومة محرمة، وإن كانت غير باطلة.

رأي أبي الحسن
الأشعري في هذه
الطريقة

ووافقه على هذا جماعة من أصحابه من أتباع الأئمة، وقالت طائفة أخرى: بل هي طريق في نفسها متناقضة مستلزمة لتكذيب الرسول / لا يتم سلوكها إلا بنفي ما أثبتته، وهي مستلزمة لنفي الصانع بالكلية كما هي مستلزمة لنفي صفاته ونفي أفعاله، وهي مستلزمة لنفي المبدأ والمعاد فإن هذه الطريقة لا تتم إلا بنفي سمع الرب وبصره وقدرته وحياته وإرادته وكلامه، فضلاً عن نفي علوه على خلقه، ونفي الصفات الخبرية^(٣) من أولها إلى آخرها، ولا تتم إلا بنفي^(٤) أفعاله جملة، وأنه لا يفعل شيئاً البتة،

[١٧٨/١]

(١) في هامش ظ، م: (قف على قول الأشعري).

(٢) انظر مقدمة رسالة أبي الحسن الأشعري إلى أهل الثغر بباب الأبواب مصورة في مكتبة الشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود، وأصلها في مكتبة ريفان كشك باستانبول، وقد طبعت في مجلة دار الفنون باستانبول، ثم نشرت في مجلة كلية الإلهيات بجامعة أنقرة سنة ١٩٢٨.

انظر: تاريخ التراث العربي، المجلد الأول ٣٨/١؛ درء تعارض العقل والنقل ١٨٦/٧.

(٣) ظ، م: (الجزية).

(٤) ظ: (نفي).

إذ لم يقم^(١) به فعل وفاعل بلا فعل^(٢) محال في بدائه العقول، فلوصحت هذه الطريق نفت الصانع وصفاته وأفعاله وكلامه وخلقه للعالم وتدييره له وما يثبت أصحاب هذه الطريقة من ذلك لا حقيقة له، بل هو لفظ لا معنى له^(٣)، فأنتم تثبتون ذلك، وتصرحون بنفي لوازمه البينة، التي لا ريب في لزومها، فتثبتون ما لا حقيقة له، بل ما يخالف العقل الصريح كما تنفون ما دل العقل الصريح على إثباته، فهي مستلزمة لإنكار جميع الصفات والأفعال والعلو والكلام، وذلك يستلزم نفي الرسالة فحقيقتها جحد الرسالة والمرسل، ولوازمها الباطلة أكثر من مائة لازم لا تحصى إلا بكلفة، فأول لوازمها نفي الصفات، ونفي الأفعال، ونفي العلو، ونفي الكلام، ونفي الرؤية.

حقيقة هذه الطريقة
ولوازمها

ومن لوازمها القول بخلق القرآن، وبهذه الطريق استجيز ضرب الإمام أحمد^(٤) لما قال بما يخالفها من إثبات الصفات، وتكلم الله بالقرآن، ورؤيته في الدار الآخرة، وكان أرباب هذه الطريقة هم المستولين على الخليفة، فقالوا له: اضرب عنقه فإنه كافر مشبه مجسم، ف قيل له: إنك إن قتلته نارت عليك العامة، ولم تأمن معرفتهم، فأمسكوا عن قتله لذلك بعد الضرب الشديد.

(١) ظ، م: (يتم)، والصواب ما أثبت.

(٢) م: (فاعل).

(٣) لا حقيقة له، بل هو لفظ لا معنى له أعيد في ظ، م بعد قوله: «فأنتم تثبتون ذلك».

(٤) في هامش ظ، م: (قف على ضرب الإمام أحمد).

ومن لوازمه أن الرب تعالى كان معطلاً عن الفعل من الأزل، والفعل ممتنع عليه، ثم انتقل من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي بغير موجب في ذلك الوقت دون ما قبله، وهذا مما اعترى الفلاسفة بالقول بقدم العالم، ورأوا أنه خير من القول بذلك، بل حقيقة هذا القول أن الفعل لم يزل ممتنعاً منه أزلاً وأبداً إذ يستحيل قيامه به، وعن هذه الطريق قال جهنم ومن وافقه بفساد الجنة، وفساد أهلها وعدمهم^(١) عدماً محضاً، وعنهما قال أبو الهذيل العلاف^(٢) بفساد حركاتهم دون ذواتهم، فإذا رفع أحدهم اللقمة إلى فيه وفنيت الحركات بقيت يده ممدودة لا تتحرك، وتبقى كذلك أبد الأبدين، وإذا جامع الحوراء وفنيت الحركات يبقين كذلك في تلك الحال أبد الأبدين، فيبقون في سكون الأحجار، وعن هذه الطريق قالت الجهمية: إن الله في كل مكان بذاته، وقال إخوانهم: ليس في العالم، ولا خارج العالم، ولا متصلاً به، ولا منفصلاً عنه، ولا مبيناً له، ولا محادثاً له، ولا فوّه^(٣)، ولا خلفه،

(١) ظ، م: (وعرفهم)، وما أثبتته من المختصر.

(٢) انظر: قول الجهم ابن صفوان بفساد الجنة وفساد أهلها في:

الملل والنحل للشهرستاني ١/٦٤؛ مقالات الإسلاميين للأشعري ٢/١٦٧؛ التبصير في الدين للإسفرائيني، ص ٩٦؛ الفرق بين الفرق، ص ١٩٩، دار الآفاق.

وانظر: قول أبي الهذيل العلاف بفساد حركاتهم دون ذواتهم في الملل والنحل للشهرستاني ١/٦٤؛ مقالات الإسلاميين ٢/١٦٧؛ التبصير في الدين، ص ٦٦، ٦٧؛ الفرق بين الفرق، ص ١٠٢.

(٣) ظ: (وفوّه).

ولا أمامه، ولا وراءه، وعنهما قال من قال: إن ما شاهده من الأعراض الثابتة كالأكوان والمقادير والأشكال تتبدل في كل نفس ولحظة ويخلفها غيرها، حتى قال من قال: إن الروح عرض، وإن^(١) الإنسان يستحدث في (كل)^(٢) ساعة عدة أرواح، تذهب له روح، وتحبىء غيرها.

وعنها قال من قال: إن (جسم)^(٣) انتن الرجيع وأخبثه مماثل لجسم أطيب الطيب في الحد والحقيقة لا فرق بينهما إلا بأمر عرض، وإن جسم النار مساوٍ لجسم الماء في الحد والحقيقة.

وعنها قالوا: إن الروائح، والأصوات، والمعارف، والعلوم، تؤكل، وتشرب، وترى، وتسمع، وتلمس، وإن الحواس الخمس تتعلق بكل موجود، وعنهما قالوا: إن الله سبحانه لم يكلم موسى تكليماً، ولا اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا تجلى للجليل، ولا يتجلى لعباده يوم القيامة، وقالوا: ليس [له]^(٤) وجه يراه المؤمنون، ولا يد خلق بها آدم، وكتب بها التوراة، وغرس بها جنة عدن، ويقبض بها السماوات والأرض بيد أخرى، ليس بشيء من ذلك حقيقة إن هو إلا مجازات واستعارات وتخيلات، وعنهما قالوا: إن الله لا يحب، ولا يحب، ولا يغضب، ولا يرضى، ولا يضحك،

(١) ظ، م: (إن الإنسان)، وما أثبتته من المختصر.

(٢) (كل): ليست في م.

(٣) (جسم): سقط من م.

(٤) (له): ليست في ظ ولا م، والصواب ما أثبتتها.

ولا يفرح، ولا له رحمة، ولا رافة في الحقيقة، بل ذلك كله إرادة محضة، أو ثواب منفصل مخلوق سمي بهذه الأسماء، وعنهما قالوا: إن الكلام معنى واحد بالعين لا ينقسم، ولا يتبعض، ولا له جزء، ولا كل، وهو الأمر بكل مأمور والنهي عن كل منهي، والخبر عن كل مخبر عنه، والاستخبار عن كل مستخبر عنه، كل ذلك حقيقة واحدة بالعين، وكذلك قالوا في العلم / إنه أمر واحد، فالعلم بوجود الشيء هو عين^(١) العلم بعدمه لا فرق بينهما البتة. وإنما يتعدد التعلق، وكذلك قالوا: إن إرادة إيجاد الشيء هو نفس إرادة إعدامه، ليس هنا إرادات، وكذلك رؤية زيد هي نفس رؤية عمرو، ومعلوم أن هذا لا يعقل، بل هو مخالف لصريح العقل، وهذا كله وأمثاله نشأ عن هذه الطريق، واعتقاد صحتها.

[١٧٩/١]

ومن العجب أنهم لم يشبوا بها^(٢) في الحقيقة صانعاً، ولا صفة من صفاته، ولا فعلاً من أفعاله، ولا نبوة، ولا مبدأ، ولا معاداً، ولا حكمة، بل هي مستلزمة لنفي ذلك كله صريحاً، أو لزوماً بيناً، أو متوسطاً^(٣) فالطريق التي جعلوها أصلاً للدين هي أصل المناقضة للدين وتكذيب الرسول.

وجاء آخرون: فراموا إثبات الصفات والأفعال،

(١) ظ، م: (غير)، وما أثبتته من المختصر.

(٢) م: (لها).

(٣) يوسط كذا في ظ. وفي م: كذا في الأصل والأرجح أن الكلمة محرفة.

وموافقتهم في هذه الطريق فتجشموا أمراً ممتنعاً واشتقوا طريقة لم يمكنهم الوفاء بها، فجاءوا بطريقة بين النفي والإثبات، لم يوافقوا فيها المعطلة النفاة، ولم يسلكوا فيها مسلك أهل الإثبات، فجاءت طريقاً بين الطريقتين، ومقالة بين المقاتلين، لم يكونوا فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، وظنوا أنهم بذلك يجمعون بين المعقول والمنقول، ويصلون في هذه الطريق إلى تصديق الرسول، وصار كثير من الناس يجب النظر والبحث والمعقول، وهو مع ذلك يريد أن يخرج عما جاء به الرسول، ويرى أن هذا المسلك أصح من مسلك أولئك النفاة، وأنه لا طريق غير الطريقتين، وتلك لا سبيل إلى المصير إليها، فتعين المصير إلى هذه الطريق، ولما أصل هؤلاء هذا الأصل، وجاءوا إلى تفصيله، ظهر سر تأصيلهم في تفصيلهم، ودل بطلان تفصيلهم على فساد تأصيلهم، فإنهم أصلوا تأصيلاً مستلزماً لبطلان التفصيل، ثم فصلوا تفصيلاً دل على بطلان الأصل وفساده، فصاروا حائرين بين التأصيل والتفصيل، وصار من طرد منهم هذا الأصل خرج عن العقل والسمع بالكلية، وبالغ في التعطيل والإلحاد، ومن لم يطرده تناقض^(١) واضطربت أقواله، وقد سلك الناس في إثبات الصانع وحدوث العالم طرقاً متعددة سهلة قريبة، موصلة^(٢) إلى المقصود، لم يتعرضوا فيها لطريقة هؤلاء بوجه واذموا هذه

(١) م: (مناقض).

(٢) ظ: (موصولة).

رأي الخطابي في
هذه الطريقة

الطريقة، قال الخطابي^(١)(٢): وإنما سلك المتكلمون في الاستدلال بالأعراض مذهب الفلاسفة وأخذوه عنهم، وفي الأعراض اختلاف كثير^(٣)، منهم من ينكرها ولا يثبتها رأساً، ومنهم من لا يفرق بينها وبين الجواهر في أنها قائمة بأنفسها كالجواهر، قلت: ومنهم من يقول بكمونها وظهورها ومنهم من يقول بعدم بقائها ثم سلك طرقاً في إثبات الصانع، منها الاستدلال بأحوال الإنسان من مبدئه إلى غايته والاستدلال بأحوال الحيوان والنبات والأجرام العلوية وغير ذلك ثم قال: والاستدلال بطريق الأعراض لا يصح إلا بعد استبراء هذه الشبه، وطريقنا الذي سلكناه بريء من هذه الآفات، سليم من هذه الريب، قال: وقد سلك بعض مشايخنا في هذا طريق الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة التي دلالتها مأخوذة من طرق الحس لمن شاهدها

طريقة أهل السنة في
الاستدلال في هذا
الباب

(١) الخطابي: هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان، ولد سنة ٣١٩، فقيه محدث من أهل بست في أفغانستان له «معالم السنن» في شرح سنن أبي داود و«غريب الحديث» و«الغنية عن الكلام وأهله» توفي في بست، ٣٨٨. البداية والنهاية ١١/٣٦٣؛ شذرات الذهب ٢/١٢٧؛ الأعلام ٢/٢٧٣.

(٢) لعل هذا النص من كتابه: «الغنية عن الكلام وأهله» وقد ذكر السيوطي في كتابه: «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» جزءاً من هذا الكتاب. انظر: ص ٩١ - ١٠١، ولم أجد هذا النص فيما ذكره السيوطي.

وانظر أيضاً: العلو للذهبي، ص ١٢٣، ١٢٧؛ ودرء تعارض العقل والنقل ٢٧٨/٧.

(٣) ظ: (كثيرة).

ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلاً في وجوب قبول ما دعى إليه النبي صلى الله عليه وسلم، قال: وهذا النوع مقنع في الاستدلال لمن لم يتسع فهمه لإدراك وجوه الأدلة، ولم يتبين معاني تعلق الأدلة، بمدلولاتها ولا يكلف الله نفساً

رأي ابن القيم في
هذه الطريقة

إلا وسعها»^(١)، قلت: وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع، وصفاته، وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالاتها ضرورية بنفسها ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها، فإن انقلاب عصا تَقْلُهَا^(٢) اليد ثعباناً عظيماً يبتلع ما يمر به، ثم يعود عصا كما كانت من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى رسالة الرسول، وعلى المبدأ والمعاد فكل قواعد الدين في هذه العصا، وكذلك اليد / وفتح البحر طرقات، والماء قائم بينهما كالحيطان. ونتق الجبل من موضعه ورفع على قدر العسكر العظيم

[١٨٠/١]

(١) انتهى كلام الخطابي.

(٢) تَقْلُهَا: أي تحملها اليد قال في اللسان وأقل واستقله: حمله ورفع، لسان العرب ٣٧٢٨/٥، مادة قلل.

فوق رؤوسهم، وضرب حجر مربع بعضاً فتسيل منه إثننتا^(١) عشرة عيناً تكفي أمة عظيمة، وكذلك سائر آيات الأنبياء؛ فأخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها، والناس حولها ينظرون، وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبي فينقلب طائراً ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير بمشهد من الناس، وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين^(٢) بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون، وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر، وهذه من طرق القرآن التي أرشد إليها عباده (ودلهم بها)^(٣) كما دلهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوان والنبات والمطر والسحاب والحوادث التي في الجو وفي الأرض وأحوال المعلومات من السماء والشمس والقمر والنجوم وأحوال النطفة وتقلبها^(٤) طبقاً بعد طبق حتى صارت إنساناً سمياً بصيراً، حياً متكلماً عالماً قادراً يفعل الأفعال العجيبة ويعلم العلوم العظيمة، فكل طريق من هذه الطرق أصح وأقرب وأسهل وأوصل من طرق المتكلمين التي لو صحت لكان فيها من التطويل والتعقيد والتعسير ما يمنع الحكمة الإلهية والرحمة الربانية أن يدل بها عباده عليه وعلى صدق رسله^(٥) وعلى اليوم الآخر

(١) ظ: (اثنا عشر).

(٢) سبق تحقيقه. انظر: ص ٨٨٥.

(٣) (ودلهم بها): سقط من م.

(٤) ظ: (ويقلها).

(١) م: (رسوله).

فأين هذه الطريق الطويلة العسرة^(٢) الباطلة المستلزمة لتعطيل الرب عن صفاته وأفعاله وكلامه وعلوه على خلقه وإنكار وجهه الأعلى ويديه الكريمتين ورؤيته في الدار الآخرة وسائر ما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله إلى طرق القرآن التي هي ضد هذه الطريق من كل وجه؟ وكل طريق منها كافية شافية هادية وإن صرفها الله لعباده ونوعها:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ
وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

هذا وإن القرآن وحده لمن جعل الله له نوراً أعظم آية ودليل وبرهان على هذه المطالب وليس في الأدلة أقوى ولا أظهر ولا أصح دلالة منه من وجوه متعددة جداً، كيف وقد أرشد ذوي العقول والألباب فيه إلى أدلة هي للعقل مثل ضوء الشمس للبصر لا يلحقها إشكال ولا يغير^(٣) في وجه دلالتها إجمال ولا يعارضها تجويز، واحتمال؟ تلج الأسماع بلا استئذان، وتحل من العقول محل الماء الزلال من الصادي الظمان، فضلها على أدلة أهل العقول والكلام، كفضل الله على الأنام، لا يمكن أحداً أن يقدر فيها قدحاً يوقع في اللبس إلا إن أمكنه أن يقدر بالظهيرة صحواً في طلوع الشمس، ومن عجيب شأنها أنها تستلزم المدلول استلزماً

(٢) م: (العثرة)، وقال الناسخ لعله العسرة.

(٣) ظ: (يعبر).

بيناً، وتنبه على جواب المعترض تنبيهاً لطيفاً، ففيها إقامة
الدلالة والجواب عن المعارضة والشبهة، وهذا الأمر إنما
هو لمن نور الله بصيرته وفتح عين قلبه لأدلة القرآن وآتاه فهماً
في كتابه فلا يعجب من منكر أو معترض أو معارض.

وقل للعيون العمي للشمس أعين

سواك تراها في مغيب ومطلع

وسامح نفوساً أطفأ الله نورها

بأهوائها لا تستفيق ولا تعي

فأي دليل على الله سبحانه أصح من الأدلة التي

تضمنها كتابه كقوله:

﴿أَفِي اللَّهِ شَاكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقوله:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ

يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقوله (١):

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً

وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾

[البقرة: ٢١، ٢٢].

(١) م: (وقال).

وقوله:

﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا (١) مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقوله:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ
الْأَمْرَ ۗ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۗ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا
بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

وقوله:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
يَلْقَاءَ رَبَّكُمْ تَوَقُّونَ﴾ / [الرعد: ٢].

[١٨١/١]

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
جَعَلَ (٢) فِيهَا رَوْحَيْنِ تُنَبِّئُ بِمَا يَكُونُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ۗ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ
وَنَخِيلٌ صُنُونٌ وَعُظْرَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ
فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٣، ٤].

(٢) م: (وجعل).

(١) ظ: (فيها).

وقوله :

﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ
مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيْفَ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾
[الجناتية : ٣ - ٦].

وقوله :

﴿ وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ
* وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *
وَمِن آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِن آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَأَبْغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ
* وَمِن آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ * وَمِن آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم : ٢٠ - ٢٥].

وقوله :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ
الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ
فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ
فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ

كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْقُلُوبِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿٩﴾ لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ
 ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ
 لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّا إِلٰهٌ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١١﴾

[الزخرف: ٩ - ١٤].

وقوله :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا
 يُشْرِكُونَ ﴾ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ (١) حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
 تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٍ يَعِدُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ
 قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
 حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ
 إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ
 بِعَلِيمٍ قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرَابِكُمْ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ * إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾

[النمل: ٥٩ ، ٦٤].

وقوله :

﴿ وَإِنَّا لَنَرِيكَ رَبَّكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

(١) (به) : سقط من م .

وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ ۗ إِنَّ لَهٗ الخَاقِ وَالْأَمْرَ تُبَارَكُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾
[الأعراف: ٥٤].

وقوله:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقًا لَا تُسْقِنُهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾
[الأعراف: ٥٧].

وقوله:

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ ۖ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۗ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ أَنَّا جَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمُ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْغُرْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ ﴿١﴾ * إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾
[يس: ٣٣ - ٤٤].

(١) ظ: (منقذون).

وقوله:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ
وَالْتَرَائِبِ ﴾ [الطارق: ٥ - ٧].

وقوله:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ
شَقًّا * فَأَبْتْنَا فِيهَا جَبًّا * وَعَبْنَا وَقَضًّا * وَزَيْتُونًا وَمَخْلًّا * وَحَدَائِقَ غَلْبًا *
وَفَلَكِهَةً / وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٢٤ - ٣١].

[١٨٢/١]

وقوله:

﴿ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا *
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا *
وَبَدَّلْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً تَبَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾

[النبا: ٦ - ١٦].

إلى أضعاف أضعاف ذلك كما ذكر في سورة «ق» و«الذاريات» و«الطور» و«الرحمن» و«المرسلات» وسورة «إبراهيم» و«الحجر» و«النحل»، فتأمل أدلة سورة النحل من أولها إلى قوله:

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمُبِينُ * يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ
يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكٰفِرُونَ ﴾ (١) [النحل: ٨٣].

وما ذكر في سورة «لقمان» و«السجدة» و«هل أتى على

(١) ظ، م: (كافرون).

الإِنسان» وآخر: «الغاشية» وسورة «البلد» و«الشمس
وضحاها» وما ذكر في سورة «الأنعام» وسورة «الصفات»
و«طه» و«الأنبياء» و«الحج» و«المؤمنون» و«الفرقان» من
الأدلة التي هي للبصائر كالشمس للأبصار فأبى المتكلمون
إلا دليل الجواهر والأعراض والحركة والسكون والاجتماع
والافتراق ولعمر الله لم يزل إيمان الخلق صحيحاً حتى حدثت
هذه الأدلة المتدعة^(١) الباطلة فأوقعت الأمة في العناء الطويل
وفرت الكلمة وعارضت بين العقل والوحي - وألقت بينهم
العداوة والتباغض والتلاعن، حتى استحل بعضهم من
بعض ما(لم)^(٢) يستحل مثلها المحاربون للإسلام وأهله،
وحتى فتح على النصوص باب التحريف والتأويل، ورميت بأنها
أدلة لفظية لا تفيد اليقين، وساءت ظنون أتباع هؤلاء بوحي
رب العالمين، وهذا كله ببركة هذه الطريق المخالفة للسمع
والعقل، فالله سبحانه نهج لعباده الطريق الموصلة إلى معرفته
والإقرار بأسمائه وصفاته وأفعاله، فأعرض عنها هؤلاء
واشتقوا طريقاً موصلة إلى تعطيل الخالق ونفي أسمائه
وصفاته وأفعاله وقالوا للناس: لا يتم إيمانكم ومعرفتكم
بالصانع إلا بهذه الطريق فلما سلكها من سلكها أدت^(٣) به
إلى ما أسره^(٤): الحيرة والشك والتأويل والتجهيل والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل.

(١) ظ، م: (المتبوعة)، والصواب ما أثبت.

(٢) (لم): سقط من م.

(٣) م: (أدى).

(٤) كذا في ظ، م: ولعلها «إلى ما أورثه».

الوجه السابع والعشرون بعد المائة^(١):

إن هذه المعارضة بين الوحي والعقل نتيجة جهلين عظيمين جهل بالوحي وجهل بالعقل.

بيان أن المعارضة بين
العقل والنقل نتيجة
جهل بالوحي وجهل
بالعقل

أما الجهل بالوحي فإن المعارض لم يفهم مضمونه وما دل عليه، بل فهم منه خلاف الحق الذي دل عليه وأريد به ثم عارض ما دل عليه بالرأي والمعقول^(٢) ونحن ننزل معه درجة ونبين أن المعقول الذي ذكره لا يصلح لمعارضة المعنى الباطل الذي فهمه من الوحي، فضلاً عن المعنى الصحيح الذي دل عليه الوحي، فإنه يستحيل أن يعارض معارضة صحيحة البتة بل هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، والله تعالى هو الحق، وكلامه حق، ورسوله حق، ودينه حق، ووحيه حق، وما خالف ذلك فهو الباطل المحض الذي لا يقوم على صحته^(٣) دليل بل الأدلة الصحيحة التي تنتهي مقدماتها إلى الضروريات تدل على بطلانه.

وأما الجهل بالعقل فإنه لا يتصور أن يعارض العقل الصحيح للوحي أبداً ولكن الجاهل يظن أن تلك الشبهة عقلية وهي جهلية خيالية من جنس شبه السوفسطائية، فالحاصل أنه إن عارض ما فهمه من النص بما هو^(٤) الباطل كان جاهلاً بالوحي، ومدلوله، وإن عارض مدلوله وحقيقته

(١) في هامش ظ، م: (مطلب أول الجزء الثاني).

(٢) م: (والعقل).

(٣) ظ، م: (صحة).

(٤) م: (ما هو).

التي دل عليها فهو جاهل بالعقل، فلا يتصور أن يجتمع لهذا المعارض علم بالوحي والعقل أصلاً، بل إما أن يكون جاهلاً بهما وهو الأغلب على هؤلاء، أو بأحدهما، ولسنا ندفع معرفتهم ببعض العقليات المشتركة بين المسلمين واليهود والنصارى والمجوس وعباد الأصنام، بل ولا ندفع تبريزهم فيها وحذقهم بها، وإنما ندين بالبراهين الواضحة أنهم من أجهل الناس بالعقليات المتعلقة بأسماء الرب وصفاته وأفعاله، كما هم جهال بوحيه، وبما جاءت به رسله، وقد نفى (الله) ^(١) سبحانه السمع والعقل عمن أعرض عن رسله، فكيف بمن عارض ما جاءوا به؟ وأخبر سبحانه أنه لا بد أن يظهر لهم في معادهم أنهم لم يكونوا من أهل السمع ولا من أهل العقل.

الوجه الثامن والعشرون بعد المائة:

بيان أصل معارضة الملاحدة والمعطلة للوحي

أن هؤلاء المعارضين كما تقدم، هم صنفان ملاحدة دهرية ومعطلة جهمية، والملاحدة الدهرية: أصل معارضتهم تكذيب الرسل والطعن فيما جاءوا به، فهم خصوم الرسل في الأصل، وهؤلاء الجهمية المعطلة قولهم مأخوذ من قول / أولئك بعينه وطريقتهم مشتقة من طريقتهم، بل كلماتهم واحدة، ولكن أولئك سلكوا المعارضة بين العقل ونفس الرسالة، وهؤلاء سلكوا المعارضة بين العقل وبين أشرف ما جاءت به الرسل وأفضله وأجله فتأمل موافقة الجهمية لفرعون خصم موسى وعدوه، فإنه

[١٨٣/١]

(١) (لفظ الجلالة): سقط من م.

أنكر الصانع وهؤلاء وافقوه على إنكار صفاته وأقروا بصانع لا صفة له ولا فعل، ولهذا قال بعض الأئمة: كان فرعون أعقل من هؤلاء فإنهم اشتركوا في مخالفة صريح العقل وتناقضت الجهمية فقالوا: هو صانع للعالم من غير صنع يقوم به ولا وصف، ولا مباينة للعالم، ولا دخول فيه، وجحد فرعون أن يكون الله فوق سماواته على عرشه، وكذب موسى في ذلك، ووافقته الجهمية على هذا النفي وبهذا احتج عليهم الأشعري في كتبه كلها، والقاضي أبو بكر^(١) وأبو عمر بن عبد البر وجمهور أئمة السنة وأنكر فرعون أن يكون الله كلم موسى، ووافقته الجهمية على ذلك وأنكر أعداء الرسل من المشركين عباد الأصنام والكواكب والفلاسفة وغيرهم معاد الأبدان، وخراب العالم، وحقيقة الجنة والنار، ووافقهم ابن سينا وأتباعه على ذلك وأخذ الجهمية بعض هذا الإنكار فقالوا: نفى^(٢) الجنة والنار، وهذا قول شيخهم جهنم، وكلهم أنكروا أشرف^(٣) ما في الجنة وأجل نعيمها، وأفضله على الإطلاق، الذي ما طابت الجنة إلا به، وهو النظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى من فوقهم، وسماع كلامه، وتسليمه عليهم، وخطابه لهم، بل هذا حقيقة الجنة ورأس نعيمها فنفوه، وكذبوا به، وأثبتوا أكلاً وشرباً وجماعاً ثم قالوا بنفاده وانقطاعه، وهذا باب إذا

(١) سبق ذكر ترجمته، ص ٨٣٩.

(٢) م: (نفى).

(٣) م: (شرف).

تبعه^(١) من يعلم ما عند القوم، وما جاءت به الرسل ويعتبر هذا بهذا يجد أقوالهم مشتقة من أقوال أعداء الرسل. وإن لا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غزته أمه بلبانها^(٢)

الوجه التاسع والعشرون بعد المائة:

بيان أن الكلام في الدين نوعان: أمر وخبر، فما عارض الأمر كان من باب الهوى الذي يأمر به الشيطان^(٣) والنفس وما عارض الخبر كان من باب الظن والحرص الذي هو أكذب الحديث، وهؤلاء لا تجدهم إلا وقد جمعوا بين الأمرين، فهم في الإرادات تابعون لأهوائهم، وفي الاعتقادات تابعون لظنونهم، قال الله:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣].

وقال تعالى:

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩].

(١) ظ، م: (تبعته)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) سبق، ص ٨٥٧.

(٣) ظ: (السلطان).

فلاستمتاع بالخلاق اتباع الهوى والشهوات، والخوض
اتباع الباطل والشبهات وقد نزه سبحانه رسوله عن طريقة
هؤلاء فقال تعالى:

﴿وَالنَّجْوَى إِذَا هُوَ بِمَضَلِّ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَى﴾

[النجم: ١، ٢].

فنزّهه عن الضلال الذي هو نقيض الهدى، وعن الغي
الذي هو نقيض الرشد، وقال النبي «صلى الله عليه وسلم»
في خلفائه: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ
بَعْدِي»^(١) والمقصود أن ما ناقض خبر الرسل كان كذباً
وضلالاً [وقولاً]^(٢) على الله غير الحق، وقد نهى الله سبحانه

(١) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٤٣٨/٧/٤٤٠)، من طريق العرياض بن سارية، في
أبواب العلم، باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، ح ٢٨١٥، وقال هذا حديث حسن
صحيح.

ورواه أبو داود (عون المعبود ١٢/٣٥٨ - ٣٦٠)، في كتاب السنة، باب في لزوم
السنة، ح ٤٥٨٣.

ورواه ابن ماجه ١٥/١، ١٦، في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين،
ح ٤٢.

ورواه أحمد في المسند ٤/١٢٦، ١٢٧.

ورواه ابن بطة في الشرح والإبانة، ص ١٠٦، ١٠٧.

ورواه الدارمي ٤٤/١، ٤٥، في المقدمة، باب في اتباع السنة.

ورواه البغوي في شرح السنة ١/٢٠٥، وقال هذا حديث حسن.

قال الألباني وسنده صحيح.

وقال أيضاً وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في «اتباع السنن واجتناب البدع»

حاشية مشكاة المصابيح ١/٥٨.

(٢) (وقولاً): ليست في ظ ولا م، والصواب ما أثبت.

أن يقال عليه غير الحق، وأخذ الميثاق على اتباع الرسل،
بذلك فقال:

﴿الْمُرُؤُودُ خَذَعَتْهُمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾

[الأعراف: ١٦٩].

وقال:

﴿يَا أَهْلَ (١) الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا

عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

وأخبر سبحانه أنه لا بد أن ينال المفترين غضب من
ربهم وذلة في الحياة الدنيا وأعظم الافتراء الفرية عليه سبحانه
في أسمائه وصفاته وأفعاله، وقد ضمن سبحانه أنه لا بد أن
يخيب أهل الافتراء ولا يهديهم (٢)، وأنه يسحتهم (٣) بعذابه
أي يستأصلهم. قال تعالى إخباراً عن كلمته موسى أنه قال
لرؤوس المعطلة وأئمتهم:

﴿وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ

مَنْ أَفْتَرَى﴾ [طه: ٦٢].

وهذه الأصول التي عارضوا بها الكتاب والسنة (٤)
تشتمل على الكذب والفرية في مسائلها ودلائلها كأصول
الملاحدة من الفلاسفة والدهرية النافين لما أخبر الله به من

(١) ظ: (يا أيها الكتاب).

(٢) ظ، م: (ولا يهدي كثيرهم)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (يحسب)؛ م: (يسحت).

(٤) ظ: (وسنة).

أصول الإيمان الخمسة^(١) وأصول الجهمية المناقضة لما أخبر به من أسمائه وصفاته وأفعاله وأصول القدرية المعارضة لما أخبر به من عموم قدرته ومشئته، وأصول الملاحدة الاتحادية التي رفعت العقل والنقل والحس، وأبطلت الخلق والأمر والنبوة والرسالة والثواب والعقاب، وأصول هؤلاء كلهم أصول^(٢) الزندقة والاتحاد المناقضة^(٣) للعقل والدين.

الوجه الثلاثون بعد المائة:

إن هؤلاء المعارضين / لا يتم لهم ما ادعوه من المعارضة إلا بأربعة أمور يستلزمها قولهم لبس الحق بالباطل، فهذه أربعة^(٤) مقامات^(٥) - تتضمنها أصولهم، بل هذه الأربعة هي قواعدهم التي يبنون عليها: أما لبس الحق بالباطل: فأنتم تسمون ما أثبتته الله لنفسه من الصفات والكلام والعلو والاستواء تركيباً وتجسيماً وتشبيهاً، وتسمون عرشه حيزاً واستواءه عليه تحيزاً^(٦)، وتسمون صفاته أعراضاً، وتنزهونه عنها، وأفعاله حوادث وتنفونها عنه، وحكمته أعراضاً وتبطلونها ووجهه الكريم ويديه جوارح وينكرونها ويسمون نفيهم وتعطيلهم تنزيهاً وتقديساً وتوحيداً، فيلبس الحق بالباطل على من لم يعرف مرادهم من هذا التنزيه والتوحيد

[١٨٤/١]

بيان أن هذه المعارضة لا تتم لهم إلا بأربعة أمور الأمر الأول

(١) ظ، م: (الخمسة).

(٢) ظ: (صول).

(٣) م: (والمناقضة).

(٤) ظ، م: (أربع).

(٥) م: (مقدمات).

(٦) م: (محيزاً).

والتقديس ولا من ذلك التجسيم والتشبيه والتمثيل، فإذا وقعوا في هذا اللبس والتلبس ترتب عليه ضرورة كتمان الحق والتكذيب به والتصديق بالباطل ولهذا جعل سبحانه كل اثنين من هذه الأربعة فريقين، أما الأولان فقال تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾

[البقرة: ٤٢].

وقد اختلف في قوله: ﴿وتكتموا﴾ هل هو منصوب أو مجزوم على قولين مبنيين على الواو هل هي واو عطف أو واو صرف^(١)؟ فمن جعلها واو عطف قال: النهي تعلق بكل واحد من الأمرين على انفراده، ولو كانت واو صرف لكان المنهي عنه جمعها لا أفرادهما^(٢) ومن جعلها^(٣) واو صرف قال: ليس الحق بالباطل مسلتزماً لكتمانه كما يكتم الحق من لبيه بما يستره ويغشيه، فهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر فالنهي عن أحدهما نهي عن الآخر بطريق اللزوم ففي كون الواو واو جمع إفادة هذا المعنى وإن كتمان الحق ملازم للبسه بالباطل لا ينفك عنه ولا يمكن إيقاع أحدهما إلا بالآخر وهذا شأن كل متلازمين، وهذا القول أميز من الأول وأعرب وأما القرينان الآخران فقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

(١) واو صرف: أي استثنائية لأنها تصرف المعنى الذي قبلها عن المعنى الذي بعدها.

(٢) ظ، م: (لافرادهما).

(٣) ظ، م: (جعلها).

وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۗ ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقال :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ (١) عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۗ ﴾ [الزمر: ٣٢].

وهذان أيضاً متلازمان فكل من صدق بالباطل كذب بضده وهو الحق وإذا عرف هذا فما أثبتته الله لنفسه من صفاته وكلامه وتكليمه واستوائه على عرشه وعلوه على خلقه هو الحق عقلاً وسمعاً وما خالفه هو الباطل والله سبحانه قد فصل لنا هذا من هذا ولم يدعه ملتبساً (٢).

﴿ لِيَهْلِكَ مِّنْ هَٰلِكَ عَن بُيُوتِهِ وَيَحْيَىٰ مِّنْ حَىٰ عَن بُيُوتِهِ ۗ ﴾ [الأنفال: ٤٢].

فلبس النفاة المعطلة هذا بهذا فاضطرهم اللبس إلى كتمان الحق والتكذيب به والتصديق بضده وإذا أردت معرفة هذا فامتحنه في مسائلهم ودلائلهم وكلماتهم المجملة الألفاظ المشتبهة المعاني وبالله التوفيق يوضحه :

(١) ظ، م : (افتري كذباً).

(٢) ظ : (ملتبس).

الوجه الحادي والثلاثون بعد المائة:

أنه ما من حق وباطل إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه، ولو في أصل الوجود، أو في أصل لإخبار، أو في مجرد المعلوماتية، بأن يكون هذا معلوماً مذكوراً، وهذا معلوماً مذكوراً، ولكل واحد منهما خصائص يتميز بها عن الآخر، فأحظى الناس بالحق وأسعدهم به الذي يقع على الخصائص المميزة الفارقة، ويلغي القدر المشترك فيحكم بالقدر الفارق على القدر المشترك ويفصله به وأبعدهم عن الحق والهدى من عكس هذا السير، وسلك ضده هذه الطريق، فألغى الخصائص الفارقة، وأخذ القدر المشترك وحكم به على القدر الفارق وأضل منه من أخذ خصائص كل من النوعين فأعطاها للنوع الآخر، فهذان طريقاً أهل الضلالة اللتان يرجع إليهما جميع شعب ضلالهم وباطلهم، مثال ذلك: أن أعداء الرسل المكذبين لهم الجاحدين لما جاءوا به من الحق لما أرادوا تلبس الحق الذي جاءوا به بالباطل، أخذوا بينه وبين الباطل قدراً مشتركاً، ثم ألغوا القدر الفارق وما اختص به أحد النوعين، فقالوا: هذا الرسول شاعر وكاهن ومجنون وطالب ملك ورياسة، وصيت في العالم، فأخذوا قدراً مشتركاً بين الشعر وبين كلامه الذي جاء به من الترغيب والترهيب وحسن التعبير عن المعاني باللفظ الذي يروق المسامع ويهز القلوب ويحرك النفوس، فقالوا: هو شاعر، وهذا شعر، وضربوا عن الخصائص الفارقة صفحاً، وقالوا: هو كاهن، لأن الكاهن كان عندهم معروفاً بالإخبار عن الأمور / الغائبة التي لا يجبر بها غيره، وكذلك

بيان أن الحق والباطل بينهما اشتراك من وجه واقتراق من وجوه

[١٨٥/١]

هذا المدعي لذلك مثله^(١)، وقالوا: مجنون، لأن المجنون يقول ويفعل خلاف ما اعتاده الناس، وقالوا: ساحر، لأن الساحر يأخذ بالقلوب والعيون، ويحب تارة وينفر أخرى، ولهذا قال لهم الوليد بن المغيرة وقد سأله ماذا يقولون للناس في أمر محمد ففكر، وقدر، ورأى أن أقرب ما يقولون: هو ساحر، لأنه يفرق بين المرء وزوجه^(٢)، ومحمد يفعل ذلك، فإن المرأة إذا أسلمت دون زوجها أو أسلم زوجها دونها، وقعت الفرقة بينهما والعداوة.

وكذلك قولهم عن القرآن: أساطير الأولين، أخذوا قدراً مشتركاً بينهما وهو جنس الإخبار عما أخبر عنه الأولون، وهكذا قولهم: هو طالب ملك ورياسة وصيت، والمقصود أن كل مبطل فإنه يتوصل إلى باطله بهذه الطريق ثم يلبس^(٣) ما يدعو إليه خصائص الحق وما ينفر^(٤) عنه خصائص الباطل وهذا شأن الساحر فكلامه يخرج الحق في صورة الباطل فينفر عنه والباطل في صورة الحق فيرغب فيه، إذا عرف هذا، فهؤلاء أخذوا قدراً مشتركاً بين ما أثبتته الله لنفسه من الصفات والأفعال، وبين ما للمخلوقين من ذلك، وحكموا بذلك القدر المشترك على خصائص الرب سبحانه، ثم ألغوا حكم^(٥) تلك الخصائص واعتبارها ثم جعلوا

(١) ظ، م: (لك مثاله)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) سبق انظر: ص ٢٠٤.

(٣) ظ، م: (يلبسوا).

(٤) ظ، م: (وما نفروا).

(٥) م: (حكمه).

بيان أن نفاة الصفة
أخطأوا من أربعة
أوجه

حكمها حكم خصائص المخلوقين، فأخطأوا من أربعة
أوجه، مثاله: أنهم أخذوا قدراً مشتركاً بين اليد القديمة
والحادثة ثم حكموا بما فهموه من ذلك القدر المشترك على
القديمة ثم ألغوا القدر الفارق بين اليد واليد ثم جعلوا
خصائص أحدهما هي خصائص الأخرى واعتبر هذا منهم في
كل صفة يريدون نفيها، يوضحه:

الوجه الثاني والثلاثون بعد المائة:

في بيان حكم لوازم
الصفة

إنك إذا أخذت لوازم المشترك والمميز، وميزت هذا من
هذا صح نظرك، ومناظرتك، وزال عنك اللبس والتلبيس،
وذلك أن الصفة يلزمها لوازم من حيث هي هي، فهذه
اللوازم يجب إثباتها، ولا يصح نفيها، إذ نفيها ملزوم كنفي
الصفة، مثاله الفعل والإدراك للحياة، فإن كل حي فعال
مدرك وإدراك المسموعات بصفة السمع وإدراك المبصرات
بصفة البصر، وكشف المعلومات بصفة العلم، والتميز لهذه
الصفات، فهذه اللوازم ينتفي^(١) رفعها عن الصفة فإنها
ذاتية لها، ولا يرتفع إلا برفع الصفة، ويلزمها لوازم من
حيث كونها صفة للقديم^(٢) مثل كونها واجبة قديمة عامة

(١) ظ: (ينتفع).

(٢) اختلف في جواز إطلاق لفظ القديم والذات ونحوهما على الله سبحانه وتعالى،
إذ الناس متنازعون هل يسمى الله بما يصح معناه في اللغة والعقل والشرع وإن لم يرد
بإطلاقه نص ولا إجماع أم لا يطلق إلا ما ورد بإطلاقه نص أو إجماع، فالمتكلمون
يحبزون الأول، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها وبين ما يجبر به عنه
عند الحاجة فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...﴾ الآية وأما إذا احتجج للإخبار عنه بمثل هذه الألفاظ لمناقشة أهل =

التعلق، فإن صفة العلم واجبة لله قديمة غير حادثة، متعلقة بكل معلوم على التفصيل، وهذه اللوازم منتفية عن العلم الذي هو صفة للمخلوق ويلزمها لوازم من حيث كونها صفة له، مثل كونها ممكنة حادثة بعد أن لم تكن مخلوقة، غير صالحة للعموم مفارقة له، فهذه اللوازم يستحيل إضافتها إلى القديم، واجعل هذا التفصيل ميزاناً لك في جميع الصفات والأفعال، واعتصم به في نفي التشبيه والتمثيل وفي بطلان النفي والتعطيل، واعتبره في العلو والاستواء تجد هذه الصفة يلزمها كون العالي فوق السافل في القديم والحديث، فهذا اللازم حق لا يجوز نفيه، ويلزمها كون السافل حاوياً^(١) للأعلى محيطاً به حاملاً له، والأعلى مفتقر إليه، وهذا في بعض المخلوقات لا في كلها، بل بعضها لا يفتقر فيه الأعلى إلى الأسفل^(٢)، ولا يحويه الأسفل ولا يحيط به، ولا يحمله كالسما مع الأرض، فالرب تعالى أجل شأنًا وأعظم أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله

= الاصطلاح باصطلاحهم فهذا سائغ والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالمقدم على الحوادث كلها فلا يكون من الأسماء الحسنى لأن الأسماء الحسنى هي التي تدل على خصوص ما يمدح به وقد جاء الشرع باسمه الأول وهو أحسن من القديم لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه بخلاف القديم، فالأولى عند الإطلاق العدول عن هذه الألفاظ ووصف الله بأسمائه الحسنى التي وردت في الكتاب والسنة ففيها الغنية لطالب الحق. مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٠٠/٩، ٣٠١؛ توضيح المقاصد ٢/٢١٧؛ بدائع الفوائد، ص ١٦١، ١٦٢.

(١) ظ، م: (حادثاً)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (السفل) والأولى ما أثبت.

للسافل وفقر السافل إليه، وغناه سبحانه عنه وإحاطته^(١) عز وجل به، فهو فوق العرش مع حمله العرش وحملته، وغناه عن العرش وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق، وأصحاب التلبس واللبس لا يميزون هذا التمييز، ولا يفصلون هذا التفصيل، ولو ميزوا وفصلوا لهدوا إلى سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل الصريح للتنزيل ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل وضلوا عن سواء السبيل.

الوجه الثالث والثلاثون بعد المائة:

إن الأصل الذي قادهم إلى النفي والتعطيل، واعتقاد المعارضة بين العقل والوحي أصل واحد، هو منشأ ضلال بني آدم، وهو الفرار من تعدد صفات الواحد، وتكثر أسمائه الدالة على صفاته، وقيام الأمور المتجددة به، وهذا لا محذور فيه وهو الحق / الذي لا يثبت كونه سبحانه رباً وإلهاً وخالقاً إلا به ونفيه جحد للصانع بالكلية، وإنكار له، وهذا القدر اللازم لجميع طوائف أهل الأرض على اختلاف مللهم ونحلهم^(٢) حتى لمن جحد الصانع^(٣) بالكلية، وأنكره رأساً فإنه يضطر إلى الإقرار بذلك، وإن قام عنده ألف شبهة

من أسباب ضلالهم
الفرار من تعدد
صفات الواحد

[١٨٦/١]

(١) ظ: (وإحاطة).

(٢) ظ: (ينحلهم).

(٣) ظ، م: (بالصانع)، والأولى ما أثبت.

أو أكثر على خلافه، أما من أقر بالصانع فإنه مضطر إلى أن يقر بكونه حياً عالماً قادراً مريداً، حليماً، فعلاً، ومع إقراره بهذا فقد اضطر إلى القول بتعدد صفات الواحد، وتكثر أسمائه وأفعاله، فلو تكثر بعد ما تكثر لم يلزم من تكثرها وتعددتها محذور بوجه من الوجوه، وإن قال أنا أنفيها جملة ولا أثبت تعددها بوجه فقيل له فهل تثبته موجوداً أم لا؟ فإن قال: أثبته موجوداً، قيل له: فهو هذه الموجودات أم غيرها؟ فإن قال: غيرها، قيل له: فهل هو خالقها أم لا؟ فإن قال هو خالقها، قيل له، فهل [هو] ^(١) قادر ^(٢) عليها عالم بها، مريد ^(٣) لها أم لا؟ فإن قال: نعم هو كذلك اضطر إلى تكثر صفاته وتعددتها، وإن نفي ذلك كان جاحداً للصانع بالكلية، نافياً له، فيستدل عليه بما يستدل ^(٤) على الزنادقة الدهرية المنكرين لربهم ^(٥) تعالى، ويقال له ما قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وهل يستدل عليه بدليل هو أظهر للعقول من إقرارها به وبربوبيته؟

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

(١) (هو): ليست في ظ، م، وما أثبتته من المختصر.

(٢) ظ: (قادة).

(٣) ظ: (مريداً).

(٤) (عليه بما يستدل): مكرر في ظ، م.

(٥) ظ: (لم بهم).

وإن قال: أنا أثبتته موجوداً واجب الوجود لا صفة له، قيل له: بل زعمت أنه معدوم^(١) ممتنع الوجود وكل موجود محقق أو مقدر^(٢) أكمل منه على هذا التقدير، فضلال اليهود والنصارى وعباد الأصنام أعرف به منك، وأقرب إلى الحق والصواب منك، وأما فرارك من قيام الأمور المتجددة به ففرت من أمر لا يثبت كونه إلهاً ورباً وخالفاً إلا به، ولا يتقدر كونه صانعاً لهذا العالم مع نفيه أبداً وهو لازم لجميع طوائف^(٣) أهل الأرض على اختلافهم حتى للفلاسفة الذين هم أبعد الخلق من إثبات الصفات والأفعال هو لازم لهم لزوماً لا انفكاك لهم عنه، ولهذا قال بعض عقلاء الفلاسفة: إنه لا يتقرر كونه رباً للعالمين إلا بإثبات ذلك ثم قال: والإجلال من هذا الإجلال واجب، والتنزيه من هذا التنزيه متعين»، قال بعض أهل العلم: وهذه المسألة تقوم عليها رتب من ألف دليل عقلي وسمعي، والكتب الإلهية والنصوص النبوية ناطقة بذلك، وإنكاره لما علم بالضرورة من دين الرسل أنهم جاءوا به، ونحن نقول: إن كل سورة من سورة القرآن تتضمن إثبات هذه المسألة وفيها أنواع من الأدلة عليها، فأدلتها تزيد على عشرة آلاف دليل.

دلالة الفاتحة على قيام الأمور المتجددة به، فأول سورة من القرآن تدل عليها من وجوه كثيرة وهي سورة أم الكتاب فإن قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يدل عليها، فإنه الأول

(١) ظ: (معدوماً).

(٢) ظ: (يعدد).

(٣) ظ، م: (الطوائف)، وما أثبتته من المختصر.

سبحانه يحمد على أفعاله كما حمد نفسه عليها في كتابه، وحمده عليها رسله وملائكته والمؤمنون من عباده، فمن لا فعل له البتة كيف يحمد^(١) على ذلك؟ فالأفعال هي المقتضية للحمد ولهذا نجد مقرراً بها، كقوله:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١]،

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [الأعراف: ٤٣]،

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [الكهف: ١]،

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١].

الثاني: قوله: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه وتدبيره له، ونفاذ أمره كل وقت فيه، وكونه معه كل ساعة في شأن يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويصرف الأمور بمشيئته^(٢) وإرادته، وإنكار ذلك إنكار لربوبيته وإهيته وملكه.

الثالث: قوله: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وهو الذي يرحم بقدرته ومشيئته من لم يكن راحماً له قبل ذلك.

الرابع: قوله: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ والملك هو المتصرف فيما هو ملك عليه ومالك له ومن لا تصرف^(٣)

(١) ظ: (الحمد).

(٢) ظ: (بمشيئته).

(٣) ط. م: (ومن تصرف) وما أثبتته من المختصر.

له ولا يقوم به فعل البتة، لا يعقل له ثبوت ملك
ولا مالك.

الخامس: قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فهذا
سؤال لفعل يفعله بهم لم يكن موجوداً قبل ذلك، وهو الهداية
التي هي فعله، فيترتب عليها الاهتداء الذي هو مطاوع
وهو فعلهم.

السادس: قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾،
ونعمته عليهم وفعله القائم به وهو الإنعام، فلو لم يقم به
فعل الإنعام لم يكن للنعمة وجود البتة.

السابع: قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم الذين
غضب الله عليهم بعدما أوجدهم وقام بهم سبب
الغضب^(١)، فالغضب على المعدوم محال، وقد ثبت^(٢) عن
النبي / صلى الله عليه وسلم أن العبد إذا قال: ﴿الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: حمدني عبدي، فإذا قال:
﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يقول الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال:
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: مجدي عبدي، فإذا قال:
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله: هذه بيني وبين
عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي، فإذا قال:
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخرها، قال الله: هذا

[١٨٧/١]

(١) ظ، م: (أي الغضب)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (يثبت)، والصواب ما أثبت.

لعبدي ولعبيدي ما سأل^(١) ^(٢)، فهذه أدلة (من) ^(٣) الفاتحة وحدها فتأمل أدلة الكتاب العزيز بعد على هذا الأصل تجدها فوق عد العادين وإحصاء المحصين حتى أنك تجد في الآية الواحدة على اختصار لفظها عدة أدلة كقوله:

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

[يس: ٨٢].

ففي هذه الآية عدة أدلة:

أحدها: قوله: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ ﴾ وهذا أمر التكوين الذي لا يتأخر عنه أمر المكون بل يعقبه.

دلالة قوله تعالى:
﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ
شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴾

الثاني: قوله: ﴿ إِذَا ﴾ ^(٤) أَرَادَ شَيْئًا ﴿ وإذا تخلص الفعل للاستقبال.

الثالث: قوله: ﴿ أَنْ يَقُولَ لَهُ ﴾ وإن تخلص المضارع للاستقبال.

الرابع: أن يقول فعل مضارع إما للحال وإما للاستقبال.

الخامس: قوله: ﴿ كُنْ ﴾ وهما حرفان سبق أحدهما الآخر ويتعقبه الثاني.

(١) م: (شاء).

(٢) سبق تحقيقه، انظر ص ٩٣٦.

(٣) (من): سقط من م.

(٤) (إذا): ليس في ط، م، وما أثبتته من المختصر.

السادس: قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ والفاء للتعقيب يدل على أنه يكون عقيب قوله له «كن» سواء لا يتأخر عنه.

السابع: أن قوله: ﴿كُنْ﴾ تكوين قائم به سبحانه، والكون قد تعقبه ولم ينزح عنه، وقوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فهو سبحانه إنما كلمه ذلك الوقت، وقوله:

﴿وَنَدَيْنَاهُ﴾ [مريم: ٥٢]،

﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ﴾ [القصص: ٦٢].

وقوله:

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾

[الأعراف: ٢٢].

فالدعاء إنما حصل ذلك الوقت، وقوله:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]،

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]،

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]،

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ [الإسراء: ١٦]،

﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]،

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]،

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]،

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]،

﴿وَنُرِيدُ^(١) أَنْ نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي^(٢)
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ^(٣) مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾

[القصص: ٥، ٦]،

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤]
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]،

﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]،

﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]،

﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وهذا عند النفاة لا حقيقة له بل الشؤون للمفعولات،
وأما هو فله شأن واحد قديم، فهذه الأدلة السمعية وأضعاف
أضعافها مما يشهد بها صريح العقل، وشهد ببطلان
ما خالفها.

فإنكار^(٤) ذلك، وإنكار تكثر الصفات، وتعدد
الأسماء، هو الذي أفسد العقل والنقل وفتح باب المعارضة

(١) ظ، م: (ويريد).

(٢) م: (نزل).

(٣) ظ: (عنهم).

(٤) ظ: (فإن كار)؛ م: (فإن كان)، وقال في الهامش لعله فإنكار ذلك.

بينهما، وتفصيل أدلة هذه المسألة، وبيان بطلان الشبه
المعارضة لها يستدعي مجلداً كبيراً، ولعلنا إن ساعد القدر أن
نكتبه، والله المستعان.

الوجه الرابع والثلاثون بعد المائة :

إن من أئمة هؤلاء المعرضين من يقول: إنه ليس في
العقل ما يوجب تنزيه الرب سبحانه وتعالى عن النقائص،
ولم يقيم على ذلك دليل عقلي أصلاً كما صرح به الرازي وتلقاه
عن الجويني وأمثاله، قالوا: «وإنما نفينا النقائص عنه
بالإجماع وقد قدح الرازي وغيره من النفاة في دلالة الإجماع
وبينوا أنها ظنية لا قطعية، فالقوم ليسوا قاطعين بتنزيه الله
عن النقائص، بل غاية ما عندهم في ذلك الظن،
فيا للعقلاء ويا لأولي الألباب كيف تقوم الأدلة القطعية على
نفي صفات كماله، ونعوت جلاله، وعلوه على خلقه،
واستوائه على عرشه، وتكلمه بالقرآن حقيقة، وتكليمه
لموسى حقيقة بكلامه^(١) القائم به، ورؤية المؤمنين له
بأبصارهم عياناً من فوقهم في الجنة حتى تدعي أن الأدلة
السمعية الدالة على ذلك، قد عارضها صريح العقل، وأما
تنزيهه عن العيوب والنقائص فلم يقيم عليه دليل عقلي،
ولكن علمناه بالإجماع، وقد قلتم، دلالتة ظنية، فوالله
لو قال المشبه المجسم بزعمكم ما قال، ما رضي لنفسه بهذا،
ولكان رب العالمين وقيوم السماوات والأرض أكبر في صدره

بيان أن بعض أئمة
هؤلاء يقولون إنه
ليس في العقل
ما يوجب تنزيه
الرب سبحانه

(١) م : (وكلامه).

وأجل في قلبه من أن لا^(١) يكون في عقله دليل ينزهه عن النقائص، ولعل جاهلاً أن يقول: إنا قلنا عليهم ما لم يقولوا أو استجزنا ما يستجيزونه هم من حكاية مذاهب الناس عنهم، فما يعتقدونه هم لازم لأقوالهم، فيكذبون عليهم كذباً صريحاً، لا^(٢) يقولون، مذهب الحنابلة: إن الله يجوز أن يتكلم بشيء ولا يعني به شيئاً، ومذهبهم أن الله لا يجوز أن يرى وأمثال ذلك مما هو كذب صريح وفرية، مستندهم / فيها ما فهموه من لازم قولهم، فنحن لا نستجيز ذلك على أحد من الناس، ولكن هذه كتب القوم فراجعها ولا تقلد الحاكي عنهم ويكفيك من فساد عقل يعارض الوحي، أنه لم يقدّم عنده دليل عقلي ينزهه عن خالفه عن العيوب والنقائص، فلقد كشف لك صاحب هذا العقل عن حقيقة معقولة وأقر على نفسه وعقله أنه أقل وأحقراً شأناً أن يعارض الوحي ونصوص الأنبياء ثم يتقدم عليها وبالله التوفيق.

[١٨٨/١]

الوجه الخامس والثلاثون بعد المائة:

أن يقال لهؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم، لا يمكنكم^(٣) تنزيه الرب سبحانه عن النقائص والعيوب إلا أن يتحيزوا إلى أهل السنة ويصيروا أضيافاً لهم ويستضيئوا بنورهم. وإلا فلا^(٤) يمكنكم على أصولكم تنزيه الرب عن العيوب البتة، فإنكم نزهتموه عن صفات كماله، وزعمتم

بيان أنه لا يمكنهم
على أصولهم تنزيه
الرب سبحانه عن
النقائص

(١) (لا): سقط من م.

(٢) (لا يقولون) كذا في ظ، م، ولعل الصواب حذف (لا).

(٣) ظ، م: (لا يمكنهم)، والصواب ما أثبت. (٤) ظ: (فلان).

أنها تستلزم التجسيم وهو يستلزم الحدوث، فبذلك نفيتم صفاته وأفعاله، فلما قال لكم أهل الإثبات نفيكم لهذه الصفات يستلزم ثبوت ضدها له، وهو نقص وهو محال على من له الكمال كله أجبتموه بأن هذا إنما يلزم في القائل للشيء وضده، وأما الرب سبحانه فإنه لا يقبل هذه الصفات ولا أضدادها فلا يلزم من سلبها^(١) عنه ثبوت أضدادها كما لا يلزم من سلب الكلام والسمع والبصر والحياة عن الحجر وصفه بالخرس والطرش والعمى والموت، فقال لكم أهل الإثبات: لو جعلتموه قابلاً لصفات الكمال وسلبتموها عنه لكان أكمل ممن لا يقبل صفات الكمال البتة، فالأعمى والأخرس والأصم والعاجز أكمل من الحجر والتراب، فنزلتم درجة أخرى وشبهتموه بأنقص الناقصات وهو ما لا يقبل الكمال بوجه، فلو أثبتتم له صفات الكمال كلها على وجه التشبيه والتمثيل بخلقه لكان خيراً من تشبيهكم^(٢) له بأنقص الناقصات من الجمادات التي لا تقبل الكمال فإن الحيوان الذي يقبل أن يتعاقب عليه العدم والملكة^(٣) فيكون تارة سميعاً وتارة أصم أكمل من الجماد

(١) ظ: (سلها).

(٢) ظ، م: (تشبهكم)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) العدم والملكة: أمران أحدهما وجودي والآخر عدمي.

فالوجودي هو الصفة الثبوتية التي تقوم بمن من شأنه الانتصاف بها كالبصر والعلم. والعدمي: هو فقدان تلك الصفة كالعمى والجهل. فإن العمى عدم البصر عما من شأنه قبول البصر، والجهل فقدان العلم عما من شأنه قبول العلم. فالوجودي هو الملكة والعدمي فقدانها.

التحفة المهدية في شرح الرسالة التدمرية ٥٧/١.

الذي لا يقبل هذا ولا هذا، بل الحيوان الموصوف بهذه النقائص مع إمكان اتصافه بهذا الكمال أكمل من الجماد الذي لا يقبل ذلك، فإذا قلتم: إن الرب لا يقبل الاتصاف بصفات الكمال مع أن المتصف بالنقائص يمكنه الاتصاف بها جعلتموه أنقص من الحيوانات وكان من وصفه هذه النقائص خيراً منكم، وهم يشنعون بما يحكي عن ضلال اليهود والنصارى أن الله ندم على الطوفان حتى عض أصبعه وجرى الدم، وبكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة^(١) وأمثال ذلك، وهؤلاء مع كفرهم وضلالهم أحسن قولاً فيه ممن يقول: إنه لا يقبل الاتصاف بصفات الكمال، بل من جعله يأكل ويشرب، وينام ويألم خير ممن جعله بمنزلة الأحجار والجمادات التي لا تقبل هذه الصفات، فالمشبهة المحضة خير منكم وأحسن قولاً في ربهم، وخالقهم، وأما خصومكم من أهل السنة والحديث فهم لا يقولون بتشبيهكم ولا بتشبيه إخوانكم وإن كان تشبيهكم شراً من تشبيههم، وإنما يصفون الله بصفات كماله ونعوت جلاله، ويثبتون أفعاله حقيقة لا مجازاً كما يثبتون ذاته وصفاته، ولا يشبهون الله بخلقه ولا يمثلونه بهم والله سبحانه أجل في صدورهم وأعظم في قلوبهم من أن يشبهوه بخلقه أو ينفوا عنه صفات كماله وأفعاله فيشبهونه بالجمادات العادمة للكمال وقبوله،
يوضحه:

(١) سبق، انظر ص ٨٣١.

الوجه السادس والثلاثون بعد المائة :

وهو أن الله سبحانه عاب آلهة المشركين بنفس ما وصفتم الإله الحق سبحانه به^(١)، فعابها بأنها لا تتكلم ولا تكلم عابديها، وقتلم إن هذا من خصائص الربوبية وعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر، وقتلم: إن إثبات السمع والبصر للرب يقتضي التشبيه والتجسيم، وعابها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تهدي السبيل، فنفي عنها هذه الأفعال، وقتلم ليس للقديم فعل يقوم به البتة، فإنه لو قامت به الأفعال لكان محلاً للحوادث، وعابها بأنها لا يد لها تبطش بها، ولا رجل تمشي بها، ولا عين تبصر بها، وقتلم بأن الرب سبحانه كذلك فإننا لو وصفناه بذلك، وصفناه بالجوارح والأبعاض، وجميع^(٢) ما عابها به إنما هونفي وسلب، لم^(٣) يعبها بصفة ثبوتية البتة، وعندكم أعظم التنزيه السلب والنفي الذي هو جماع ما عاب به آلهة المشركين.

بيان أن الله تعالى عاب آلهة المشركين بنفس ما وصفتم به الإله الحق سبحانه

الوجه السابع والثلاثون بعد المائة :

إن الطوائف كلها اتفقت على إثبات موجود واجب بنفسه قديم أزلي لا يجوز عليه العدم / ثم تنازعوا فيما يجب له ويمتنع عليه تنازعا لا يحصيه إلا رب العباد، ولم تختلف مقالات أهل الأرض في شيء كاختلافهم في ربهم تعالى،

بيان أن مقالة المعطلة شر مقالات أهل الأرض

(١) ظ، م: (بها)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (جمع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (لمن)، ولعل الصواب ما أثبت.

وأحدث الأمم عهداً هذه الأمة وهذه مقالاتهم قد فاتت الحصر، وقد حكى منها أهل المقالات ما بلغهم وأعظم من استوعبها الأشعري في مقالاته، وقد حدث بعده مقالات لم يحكها ولم يودعها كتابه، وكل يدعي أن العقل دله على تلك المقالة^(١) وصحتها، وإذا جاء السمع بخلافها لجأ^(٢) إلى طاغوت من هذه الطواغيت الأربعة^(٣)، ومقالة النفاة المعطلة شر مقالات أهل الأرض على الإطلاق وأشدّها مناقضة للمعقول والمنقول، فإنهم يصفونه بصفات المعدم الصرف، بل بصفات الممتنع الوجود يعني بصفات المعدم والممتنع، ما يجبر به عنه، ويحكم به عليه، وإلا فليس هناك صفة ولا موصوف فيقولون ليس هو فوق خلقه، ولا هو مستو على عرشه، ولا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلًا به ولا منفصلاً عنه، ولا مبيناً له، ولا محايداً، ولا مجاوراً، ولا فوق ولا تحت، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل من عنده، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا رفع المسيح إليه، ولا عرج برسول إليه، ودنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، ولا يقرب منه شيء (ولا يقرب من شيء)^(٤) ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ولا يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، ولا يجيء للفصل بين عباده، ولا ترفع إليه الأيدي ولا يشار إليه بالأصابع، ولا يمكن

(١) م: (المقالات).

(٢) م: (لجأوا).

(٣) ظ، م: (الأربع)، والصواب ما أثبت.

(٤) (ولا يقرب من شيء): سقط من م.

رؤيته البتة، ولا قال، ولا يقول ولا يكلم، ولا يتكلم، ولا نادى، ولا ينادي، ولا له علم، ولا قدرة، ولا حياة ولا سمع، ولا بصر، ولا إرادة، ولا وجه، ولا يد، ولا عين، ولا إصبع، وغلاتهم يقولون: لا يسمى حياً عالماً قادراً إلا بطريق المجاز، ويقولون: لو أثبتنا هذه الصفات لزم أن يكون جسماً، والجسم مركب، والمركب ممكن، والممكن محدث، فإثبات هذه الصفات تنافي قدمه، ووجوب وجوده، وأما أهل الإثبات فيقولون: الموصوف بهذه الصفات السلبية المنفي عنه الصفات الثبوتية لا يكون إلا ممتنعاً، والامتناع ينافي الوجود فضلاً عن وجوبه، والذين وصفوه بهذه السلوب، وصفوه بما لا يتصف به إلا ما يمتنع وجوده، ومن وصف ما يجب وجوده بما يمتنع وجوده فقد جعله دون المعدوم الممكن الوجود، ويقولون للمعطلة النفاة: أنتم أقررتم من وصفه بما يستلزم الإنكار بزعمكم، فوصفتموه بما يستلزم الامتناع من وصفه، ومن وصف بما يستلزم الحدوث على ظنكم، فوصفتموه بما يستلزم العدم والأجسام الجامدة خير من المسلوب عنه هذه الصفات فضلاً عن الأجسام الحية الناقصة، فضلاً عن الأجسام الحية الكاملة قالوا: ومن المعلوم أنه إذا دار الأمر بين وجود حي كامل وبين معدوم أو ممتنع كان الموجود خيراً من المعدوم يوضحه.

الوجه الثامن والثلاثون بعد المائة :

أن اللوازم التي تلزم المعطلة النفاة شر من اللوازم التي تلزم المشبهة المحضة، دع المثبتة لحقائق الأسماء والصفات المنزهين الله عن شبه المخلوقات، فإنهم يلزمهم عشرة لوازم:

بيان أن اللوازم التي تلزم المعطلة شر من اللوازم التي تلزم المشبهة

أحدها: جحد الصانع ونفيه.

الثاني: سلب كماله عنه.

الثالث: وصفه بالنقائص والعيوب.

الرابع: تشبيهه بالجمادات الناقصة.

الخامس: تشبيهه بالمعدومات بل بالممتنعات.

السادس: الطعن فيما أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه

رسله.

السابع: القدح في علم الرسول أو بيانه أو نصحه

أو الجمع.

الثامن: إفساد الفطر والعقول وتغييرها عما فطرت عليه

كإفساد الشياطين لها بالشرك واتباع الغي.

التاسع: إلقاء العداوة بين الوحي والعقل ودعوى

تناقضهما وتعارضهما.

العاشر: القدح في شهادة العقل فإنهم إذا جوزوا

معارضته ومناقضته لكلام الله ورسوله، فقد قدحوا فيه

أعظم القدح، وجرحوه أبين الجرح، ويكفي في جرحه^(١)

و^(٢) الطعن في شهادته إقرارهم بأنه مضاد مناقض لما بعث

الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وحينئذ فنقول في:

(١) ظ، م: (جروحه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ليست الواو في ظ، م، ولعل الصواب إثباتها.

الوجه التاسع والثلاثين بعد المائة :

إنكم أسأتم القول في العقل غاية الإساءة، وقد حتم فيه أعظم القدح، فإن الله سبحانه ركب العقول^(١) في عباده، ليعرفوا بها صدقه وصدق رسله، ويعرفوه بها، ويعرفوا كماله وصفاته، وعظمته وجلاله وربوبيته وتوحيده^(٢)، وأنه الإله الحق وما سواه باطل، فهذا هو الذي أعطاهم العقل لأجله بالذات والقصد الأول، وهداهم به إلى مصالح معاشهم التي تكون / عوناً لهم على ما خلقوا لأجله وأعطوا العقول له، فأعظم ثمرة العقل معرفته^(٣) لخالقه وفاطره، ومعرفة صفات كماله، ونعوت جلاله وأفعاله وصدق رسله والخضوع، والذل والتعبد له فإذا أقررتهم على العقل بأنه لا يدرك ذلك، ولا يصدق ذلك به، بل يعارضه ويكذبه، ويرده، فقد نسبتموه إلى أقبح الجهل، وأعظم شهادة الزور، وما كان هكذا فلا تقبل له شهادة في شيء فضلاً عن تقديم شهادته^(٤) على ما شهد الله به لنفسه وشهدت له به رسله من أولهم إلى آخرهم وحينئذ فنقول في:

بيان أن تقديمهم العقل قدح وإساءة للعقل

[١٩٠/١]

الوجه الأربعين بعد المائة :

أن الشهادة تعتمد على الشاهد وصدقته فإنها خبر، ولا بد أن يكون المخبر به عالماً صادقاً، وقد علم كذب العقل المعارض لما جاءت به الرسل

بيان كذب العقل المعارض لما جاءت به الرسل

(١) ظ، م : (المعقول).

(٢) ظ، م : (توحيدهم).

(٣) م : (معرفة).

(٤) م : (شهادة).

صدقه وصدق الرسل، ولا صحة ما أخبر به وصحة ما أخبرت به الرسل^(١)، لاستحالة الجمع بين النقيضين، وحينئذ فيلزم من قبول شهادته تكذيب شهادة الرسل، هذا لو لم يعلم كذبه فيما شهد به إلا بمجرد مخالفته لما شهدت به الرسل، فكيف إذا علم كذبه بشهادة عقل آخر أصح منه وأذكى وأصدق؟ كيف، وقد علم كذب العقل الشاهد بخلاف ما جاءت به الرسل بوجوه كثيرة من مناقضته واضطرابه وإثباته للشيء ثم نفيه للوازمه، ونفيه للوازمه، ثم إثباتها للزوماتها، وتفريقه بين المتساويين، وجمعه بين المختلفين، فقد علم كذبه وجهله من هذه الوجوه الثلاثة، فلا يصلح أن يستشهد به على مخالفة السمع بوجه من الوجوه يوضحه.

الوجه الحادي والأربعون بعد المائة:

وهو أن هؤلاء المعارضين ردوا حكم العقل الصريح المبني على المقدمات الضرورية الفطرية، ونسبوه إلى البطلان، وحينئذ فلا يمكنهم أن يقيموا معقولاً صحيحاً على خلاف ما دل عليه السمع البتة، لأن حكم العقل الذي ردوه وأبطلوه، أظهر وأبين وأصدق من حكم العقل، الذي قدموه على كلام الله ورسوله بما لا نسبة بينهما، فصاروا في ذلك بمثابة حاكم فاسق ظالم رد شهادة العدول المبرزين في العدالة، وقبل شهادة المجهولين والمعروفين بالكذب والزور والفسق ثم لم يكفه ذلك حتى عارض شهادة أولئك العدول الصادقين بشهادة هؤلاء الفسقة الكاذبين. ثم قدمها عليها،

بيان أن هؤلاء ردوا
حكم العقل
الصريح

(١) ما بين القوسين سقط من م.

وطعن في أولئك العدول فارتكب أنواعاً من الجهل والظلم جمع فيها بين إبطال^(١) الحق وتحقيق الباطل، وتزكية شهود الزور والظلم في شهادة^(٢) العدول فتوهوا^(٣) العقول الصحيحة والنصوص الصريحة، وضيقوها^(٤) واستدعوا العقول^(٥) الفاسدة، والأقوال الكاذبة، فولوها مكانها، واستعملوها كما قال أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب^(٦) إمام الأشعري وأصحابه في كتاب الصفات مما نقله عنه أبو بكر بن فورك، فقال في الكتاب المذكور في باب القول في الاستواء وهذا لفظه: ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته، وأعلمهم جميعاً به، يميز السؤال بآين، وبقوله ويستصوب قول القائل: إنه في السماء، ويشهد له بالإيمان عند ذلك.

وجهم بن صفوان وأصحابه، لا يجيزون الأين

(١) ظ: (أطال).

(٢) ظ، م: (الشهادة)، والصواب ما أثبت.

(٣) فتوهوا: التيه المفازة بكسر التاء، وهي التي لا علامة فيها يهتدى بها وتاه يتيه تيهياً ضل

عن الطريق، وتاه يتوه توهياً لغة، والمعنى ضلوا العقول الصحيحة.

المصباح المنير ١/٩٨، مادة تيه.

(٤) ظ: (وضيقواها).

(٥) ظ، م: (بالعقول) والصواب ما أثبت.

(٦) ابن كلاب: هو عبدالله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان البصري، أبو محمد وإليه

نسب «الكلابية» وكان متكلماً وتوفي حوالي ٢٤٠، وقال فؤاد سزكين «يبدو أن جميع

كتبه قد شاعت غير أننا نجد بقايا منها في مقالات الأشعري كما أن بعضها قد أخذه

ابن قيم الجوزية في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ١١٠».

لسان الميزان ٣/٢٩٠، ٢٩١؛ تاريخ التراث العربي ١/٤/٢٨.

— زعموا — ويحيلون القول به، ولو كان خطأ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالإنكار له، وكان ينبغي أن يقول لها لا تقولي^(١) ذلك، فهو قسمان^(٢): إنه عز وجل محدود في مكان دون مكان، ولكن قولي: إنه في كل مكان لأنه الصواب دون ما قلت، كلا، لقد أجازته رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمه بما فيه، وأنه أصوب الأقاويل، والأمر الذي يجب به الإيمان لقائله، ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالتها، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك؟ والكتاب ناطق به، وشاهد له، قال: ولو لم يشهد بصحة مذهب الجماعة في هذا الفن خاصة إلا ما ذكرنا من هذه الأمور لكان فيه ما يكفي، كيف وقد غرس الله في^(٣) الفطرة ومعارف آدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه، ولا أوكد؟ لا بل لا تسأل أحداً^(٤) من الناس عنه: عربياً، ولا عجمياً، ولا مؤمناً، ولا كافراً فتقول: أين ربك؟ إلا قال، في السماء، إن أفصح أو أوماً بيده، وأشار بطرفه إن كان لا يفصح، لا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل، ولا جبل، ولا رأينا أحداً داعياً إلا رافعاً يديه إلى السماء ولا وجدنا أحداً غير الجهمية يسأل عن ربه، فيقولون في كل مكان كما يقولون، وهم يزعمون أنهم أفضل الخلق كلهم، فتاهت العقول وسقطت الأخبار، واهتدى جهم وحده / وخمسون

[١٩١/١]

(١) ظ: (لاتقولي لولي) وهذا خطاب للجارية التي سأها النبي صلى الله عليه وسلم أين الله؟ قالت في السماء وقد سبق تحقيقه ص ٣١٢.

(٢) قسامين: كذا في ظ، م.

(٣) ظ، م: (في الله) والصواب ما أثبت. (٤) ظ، م: (أحد) والصواب ما أثبت.

رجلاً معه، نعوذ بالله من الخذلان ومعضلات الفتن، ثم ألزمهم ابن كلاب^(١) بمذهب الدهرية الملاحدة، وأن يكونوا وهم بمنزلة واحدة، فقال، في هذا الكتاب يقال للجهمية: أليست الدهرية كفاراً ملحدين في قولهم. إن الدهر هو واحد إلا أنه لا ينفك عن العالم ولا ينفك العالم عنه^(٢)، ولا يباين العالم، ولا يباينه، ولا يماس العالم ولا يماسه، ولا يداخل شيئاً من العالم ولا يداخله، لأنه واحد والعالم غير مفارق له، فإذا قالوا: نعم، قيل لهم صدقتم، فلم أثبت المعبود بمعنى الدهر، وأكفرتم من قال بمثل مقالتم؟ هل تجدون بينكم وبينه فرقاً أكثر من أن سميتموه بغير ما سموه به وقد قلت إنه غير مفارق العالم، ولا العالم^(٣) مفارق^(٤) له، ولا هو داخل في العالم، ولا العالم داخل فيه، ولا يماس^(٥) للعالم، ولا العالم يماس له؟ ولم رجعتم على من خالفكم بالتكفير وزعمتم أنهم كفروا لأنهم قالوا: واحد منفرد باين؟ فلم لا كنتم أولى بالكفر^(٦) والتشبيهة منهم، إذا زعمتم مثل زعم الملحدين، وقلتم مثل مقالة الضالين، وخرجتم من توحيد رب العالمين؟.

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب: وأخرج من

(١) ظ، م في الهامش: (قف، قول ابن كلاب).

(٢) م: (ولا ينفك عنه العالم).

(٣) (ولا العالم): مكرر في ظ.

(٤) ظ: (بفارق).

(٥) ظ: (بمارس).

(٦) ظ: (كنن).

العقل والخبر من قال، إنه سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه، لأنه نفاه نفياً مستوياً، وألزم الجهمية في موضع آخر منه، مفارقة^(١) صريح المعقول حيث زعموا بأنه سبحانه فعل الأشياء لا بائنة عنه، ولا قائمة به حالة فيه، وهذا لا يثبت عقل عاقل، وأخذ هذا من حجة الإمام أحمد وأئمة السنة على هؤلاء، المعطلة الجهمية.

قال الإمام أحمد^(٢) في كتابه الذي خرج في الرد على الزنادقة والجهمية^(٣) وذكره الخلال في الجامع، والقاضي أبو يعلى وسائر أصحاب أحمد، قال في باب ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش: وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس الله كان ولا شيء؟ فيقول: نعم، فقل له: حين خلق الخلق خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال^(٤)، إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه فقد كفر حين زعم أنه خلق الجن والشياطين في نفسه^(٥)، وإن قال: خلقهم خارجاً

(١) ظ، م: (المفارقة)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م في الهامش: (قف قول الإمام أحمد).

(٣) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد، ص ١٣٨، ١٣٩، بتحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة، وهو مذكور في باب بيان ما تأولت الجهمية من قول الله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ (الآية)، وهو الباب الذين يلي الباب الذي ذكره المؤلف.

(٤) الرد على الجهمية زاد لا بد له من واحد منها.

(٥) الرد على الجهمية: أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا أيضاً كفوفاً* حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش قدر رديء، فإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ولم يدخل فيهم رجع عن قوله كله أجمع* (١).

فقد بين الإمام أحمد ما هو معلوم بصريح العقل وبديته من أنه لا بد إذا خلق الخلق من أن يخلقه مبيناً له، أو محايثاً له، ومع المحايثة إما أن يكون هو في العالم وإما أن يكون العالم فيه، لأنه سبحانه قائم بنفسه إذا كان محايثاً لغيره فلا بد أن يكون أحدهما حالاً في الآخر بخلاف ما لا يقوم بنفسه كالصفات فإنها تكون قائمة بغيرها، فهذا القسم لم يحتج أن يذكره لظهور فساده وكذلك قول من يقول: لا هو مبين، ولا محايث لما كان صريح العقل [يدل على] (٢) بطلانه لم يدخله في التقسيم، والمقصود أن أئمة الكلام وأئمة السنة متفقون على أن قول الجهمية مخالف لصريح العقل والنقل، وفطرة الله التي فطر عليها عباده، وأنه لا يمكن أحد (٣) أن يقول بقولهم حتى يتوه (٤) العقل والسمع ويفارق حكمهما.

(١) ما بين النجمتين ليس في كتاب الرد على الجهمية المطبوع بتحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة. وهذا النص موجود في نفس الكتاب ص ٥٣ بتحقيق إسماعيل الأنصاري، طبع رئاسة البحوث.

(٢) (يدل على): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٣) ظ، م: (أحد)، والصواب ما أثبت.

(٤) سبق ذكر معناها، انظر: ص ١٢٣٨.

الوجه الثاني والأربعون بعد المائة :

أن فحول الكلام وأئمة النظر والبحث الذين سبروا المقالات، وتبحروا في المعقولات، قد شهدوا لطريقة^(١) النفاة المعطلة، بمناقضتها للسمع والعقل، وأن السمع والعقل إنما يقتضيان الإثبات وعلو الرب على جميع المخلوقات واستواءه على عرشه فوق سبع سماوات.

قال أبو الحسن الأشعري^(٢) في كتاب الإبانة والموجز والمقالات، وهذا لفظه في كتاب الموجز^(٣) إذ هو من أجل كتبه المتوسطات: إن قال قائل^(٤): ما تقولون في الاستواء، قيل له نقول: إن الله عز وجل مستو على عرشه^(٥)، كما قال:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقد قال:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

[فاطر: ١٠].

وقال:

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

-
- (١) ظ، م: (بطريقة)، والصواب ما أثبت.
(٢) في هامش ظ، م: (قف على كلام الأشعري).
(٣) انظر: الإبانة ١٠٥/٢ - ١٠٩.
(٤) (قائل): ليست في الإبانة.
(٥) الإبانة زاد: استواء يليق به من غير طول استقرار.

وقال:

﴿يَدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾

[السجدة: ٥].

وقال حكاية عن فرعون:

﴿يَهْمَنْنُ أَبْنِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾

[غافر: ٣٦، ٣٧].

كذب موسى في قوله أن الله عز وجل فوق السماوات،
وقال عز وجل:

﴿ءَأْمَنُكُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ / أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

[١٩٢/١]

والسماوات فوقها العرش^(١) الذي هو فوق السماوات
وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات، (وليس إذا
قال أأمنتم من في السماء، يعني جميع السماء، وإنما أراد
العرش الذي هو أعلى السماوات)^(٢) ألا ترى أن الله
سبحانه ذكر السماوات فقال:

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦].

ولم يرد أن القمر ملأهن جميعاً، وأنه فيهن جميعاً، ورأينا
المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله

(١) الإبانة زاد: فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿ءَأْمَنُكُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ﴾ لأنه مستو
على العرش الذي فوق السموات.

(٢) ما بين القوسين سقط من م.

عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل مستو على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها^(١) إذا دعوا نحو الأرض قال: وقال قائلون من الجهمية والمعتزلة والحرورية^(٢)، إن معنى قوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

إنه استولى وملك وقهر وأن الله في كل مكان وجحدوا أن يكون الله^(٣) على عرشه كما قال أهل الحق: وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، قال: ولو كان هذا كما ذكره كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء والأرض فالله قادر عليها^(٤)، وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستو على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو سبحانه مستول على الأشياء كلها كان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار، لأنه قادر على الأشياء ومستول عليها وإذا كان قادراً على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين، أن يقول إن الله مستو على الحشوش والأخلية، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها، قال: وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية، أن الله في

(١) ظ، م: (يحيطونها)، والصواب ما أثبت.

(٢) سبق انظر: ص ٣٠٦.

(٣) الإبانة زاد: مستو.

(٤) الإبانة زاد: وعلى الحشوش.

كل مكان فلزمهم أنه في بطن مريم والحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين تعالى عن قولهم.

ثم قال^(١): ودليل آخر وقوله سبحانه:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١].

فقد خصت الآية البشر دون غيرهم ممن ليس هو من جنس البشر، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم كان أبعد من الشبهة، وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول وما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب^(٢)، فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول: ما كان لجنس من الأجناس أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب^(٣)، ويترك أجناساً لم يعمهم بالآية فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم^(٤).

ومقصود الأشعري بهذا الكلام أنه على قول النفاة لا فرق بين البشر وغيرهم، فإنه عندهم لا يجب الله تعالى أحداً بحجاب منفصل عنه، بل هو محتجب من جميع الخلق بمعنى أنه لا يمكن أحداً أن يراه، فاحتجابه عن بعضهم دون بعض، دليل على نقيض قولهم، وذلك أن نفاة المباينة

(١) انظر: الإبانة ١١٥/٢.

(٢) الإبانة زاد: أو يرسل رسولاً.

(٣) الإبانة زاد: أو أرسل رسولاً.

(٤) انتهى كلام أبي الحسن الأشعري، انظر: الإبانة ١١٦/٢.

يفسرون الاحتجاب بمعنى عدم الرؤية، لامتناع قبول الذات لها، لا مانع منفصل يمنعها من حجاب منفصل عن المحجوب، وإذا كانت الذات غير قابلة للرؤية بل حجابها عدم قبولها لتعلق الرؤية بها، كان هذا الحجاب إلى جميع المخلوقات واحداً، ولم يختص به البشر دون غيرهم^(١) فلما أخبر أنه يكلم البشر من وراء حجاب، دل على أنه قد يكلم غيرهم^(١) مع رفع ذلك الحجاب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله: «إن الله ما كلم أحداً إلا من وراء حجاب وإنه أحيا أباك، وكلمه كفاحاً»^(٢) وكما في

(١) ظ، م: (غيره).

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٨/٣٦٠)، من طريق جابر بن عبد الله في كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران، ح ٤٠٩٧، وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه «ورواه ابن ماجه ١/٣٧، في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، ح ١٧٨، ط. الأعظمي.

ورواه الحاكم في المستدرک ٢/١١٣، ١٢٠، في كتاب الجهاد وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وفي سننه أبو حماد قال الذهبي: «أبو حماد وهو المفضل بن صدقة. قال النسائي متروك» ورواه البخاري في خلق أفعال العباد ٣٣/٣٤. ورواه ابن أبي عاصم في السنة ١/٢٦٧، وقال الألباني إسناده حسن رجاله صدوقون على ضعف في موسى بن إبراهيم بن كثير.

ورواه ابن بطة في كتابه الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة، ص ١١٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣١٧ «رواه الطبراني والبراز من طريق الفيض بن وثيق عن أبي عباد الزرقى وكلاهما ضعيف وفي رواية للطبراني حماد بن عمر وقال: «رواه الطبراني وفيه حماد بن عمر وهو كذاب».

ومعنى كفاحاً: لقيه مواجهة ومنه قول الشاعر:

أعاذل من تكتب له النار يلقها كفاحاً ومن يكتب له الخلد يسعد
٣٨٧٩٧/٥، مادة كفح.

الحديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب يحجبه، ولا ترجمان»^(١) فلا يناقض هذا ما دلت عليه الآية، فإن هذا في الدنيا وما دلت عليه السنة في دار الآخرة، وتكليم عبدالله بن حرام والد جابر كان بعد الموت، لم يكن في الدنيا، قال الأشعري: «دليل آخر، قال الله عز وجل:

﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾

[الأنعام: ٣٠].

وقال:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوْا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

[السجدة: ١٢].

وقال تعالى:

﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

قال: «كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه ولا خلقه فيه، وأنه مستو على عرشه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، الذين لم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا له^(٢) بذكرهم إياه وحدانية، إذ كلامهم يؤول إلى التعطيل وجميع أوصافهم / تدل على النفي، يريدون بذلك — زعموا — التنزيه ونفي التشبيه فنعوذ بالله من تنزيهه يوجب النفي والتعطيل».

[١٩٣/١]

(١) سبق تخريجه، ص ١٩٧.

(٢) ظ، م: (لهم).

ووجه استدلاله بهذه النصوص أنها صريحة في المباينة والمقابلة والوقوف بين يديه ولو كان غير داخل في العالم ولا خارجه لم يصح شيء من ذلك، فهذه النصوص صريحة في مباينة العالم ومقابلته للواقف بين يديه حتى يكون ناكس الرأس قدامه، فلو لم يكن فوق العرش بطلت هذه النصوص جملة.

قال الأشعري^(١): وروت العلماء عن ابن عباس أنه قال: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله، فإن بين كرسية إلى السماء ألف عام، والله عز وجل فوق ذلك».

وهذا الحديث قد رواه أبو أحمد العسال^(٢) في كتاب المعرفة من حديث عبد الوهاب الوراق^(٣) ثنا علي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله، فإن ما بين كرسية إلى السماء السابعة، سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك، ثم قال: عبد الوهاب الرجل الصالح العالم الذي سئل الإمام

(١) انظر: الإبانة ١١٨/٢.

(٢) أبو أحمد العسال: هو محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني أبو أحمد المعروف بالعسال ولد سنة ٢٦٩ من علماء الحديث من كتبه «الشيوخ» و«التفسير» و«التاريخ» و«المعرفة» وغيرها وتوفي سنة ٣٤٩. الإعلام ٣١٠/٥.

(٣) هو عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع، أبو الحسن البغدادي الوراق قال النسائي ثقة، وكان من خواص الإمام أحمد رحمه الله وقال عنه الإمام أحمد عافاه الله قل أن ترى مثله. توفي سنة ٢٥١.

سير أعلام النبلاء ٣٢٣/١٢، ٣٢٤؛ تهذيب التهذيب ٤٤٨/٦٠؛ الجرح والتعديل ٧٤/٦؛ خلاصة تهذيب التهذيب الكمال، ص ٢٤٨.

أحمد من يسأل بعدك؟ فقال: سلوا عبدالوهاب الوراق^(١).

قال من زعم أن الله ها هنا فهو جهمي خبيث. إن الله فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة^(٢).

قال الأشعري^(٣): وما يؤكد أن الله مستو على عرشه دون الأشياء كلها، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحاديث النزول كقوله)^(٤) ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيته؟، هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داع فاستجيب له؟ حتى يطلع الفجر^(٥).

قال^(٦): ودليل آخر قال تعالى:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال تعالى:

﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وقال:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

(١) انظر: العلو للذهبي، ص ١٤٢.

(٢) انظر: العلو للذهبي، ص ١٤٢.

(٣) انظر: الإبانة ١١٠/٢، ١١١.

(٤) من أحاديث النزول كقوله: ليس في الإبانة - وإنما ذكر سند الحديث.

(٥) سبق تحقيقه، انظر: ص ٣٨٧.

(٦) انظر: الإبانة ١١٢/٢، ١١٣.

وقال:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾

[الفرقان: ٥٩].

وقال:

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾

[السجدة: ٤].

وكل ذلك يدل على أنه في السماء مستو على عرشه.

قال^(١):

«ودليل آخر قوله عز وجل:

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقال تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ

وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال تعالى:

﴿ثُمَّ دَنَا فَدَنَىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأُوْحِيَ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا

أُوْحِيَ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾

[النجم: ٨ - ١٢].

وقال تعالى لعيسى:

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

[آل عمران: ٥٥].

(١) الإبانة ١١٤/٢.

وقال:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۖ بَل رَفَعَهُ [اللَّهُ] (١) إِلَيْهِ ۖ﴾

وأجمعت الأمة على أن الله رفع عيسى إلى السماء.

قال الأشعري (٢): ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً، إذا هم رغبوا إلى الله عز وجل في الأمر النازل بهم، أن يقولوا جميعاً: ياساكن العرش (٣)، لا والذي احتجب بسبع سماوات.

فقد حكى أبو الحسن الأشعري إجماع المسلمين على أن الله فوق العرش، وأن خلقه محجوبون عنه بالسموات، وهذا مناقض لقول من يقول: إنه لا داخل العالم ولا خارجه، فإن هؤلاء يقولون ليس للعرش به اختصاص، وليس شيء (٤) من المخلوقات يحجب عنه شيئاً، وقال لسان المتكلمين، القاضي أبو بكر بن الباقلاني في كتاب الإبانة والتمهيد (٥) وغيرهما: فإن قال قائل: أتقولون إنه في كل

(١) ظ، م: بدون لفظ الجلالة.

(٢) الإبانة ١١٥/٢.

(٣) الإبانة زاد: (ومن خلقهم جميعاً)، لا والذي احتجب.

(٤) ظ، م: (بشيء)، والصواب ما أثبت.

(٥) انظر كتاب «التمهيد» للباقلاني، ص ٢٦٠، بتحقيق ريتشارد يوسف مكارثي

اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٧م.

وهذا النص غير موجود في كتاب التمهيد المطبوع سنة ١٣٦٦ ومن أجل ذلك قال المحققان: «... ولكننا لا نستطيع عند ملاحظة التعارض بين مذهب الباقلاني ومعنى ما ينسبه إليه هذان المؤلفان المعروفان بالتحيز - يقصد شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - إلا الشك في صحة نقلها ثم استشهد بكلام محمد زاهد =

مكان؟ قيل: معاذ الله، بل هو مستو على عرشه، كما أخبر في كتابه فقال:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وقال:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

[فاطر: ١٠].

وقال:

﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

ولو كان في كل مكان لكان في بطن^(١) الإنسان^(٢)،

= الكوثري، حيث قال: «لا وجود لشيء مما عزاه ابن القيم إلى كتاب التمهيد في كتاب التمهيد هذا ولا أدري ما إذا كان ابن القيم عزا إليه ما ليس فيه زوراً ليخادع المسلمين في نحلته أم ظن بكتاب آخر أنه كتاب التمهيد» إلا أن المحقق ناقض نفسه قبل ذلك، حيث ذكر أن النص المطبوع يحتوي على أن لا يكون كاملاً لسببين: الأول: أن الباقلاني قال: «وستكلم على هذا الباب وما يتصل به في باب التعديل والتجوز من كتابنا هذا إن شاء الله» ولم يذكر هذا الباب في التمهيد المطبوع. الثاني: أنه وجد في مخطوط باريس فهرس لكتاب التمهيد ذكر فيه أبواب كثيرة ليست في المطبوع، ومن هذه الأبواب: «باب القول في الاستواء على العرش». انظر التمهيد للباقلاني، بتحقيق محمود محمد الحضيرى ومحمد عبد الهادي أبوريده، ص ٢٦٠ - ٢٦٥. قلت: وقد طبع الكتاب سنة ١٩٥٧ بعناية ريتشارد يوسف مكارثي وفيه النص المذكور وهو مقابل على ثلاث نسخ. وهذا النص ذكره عدا ابن القيم: ابن تيمية في الفتوى الحموية، ص ٧٦، ونسبه لكتاب الإبانة للباقلاني، الذهبي في العلو، ص ١٧٤، ونسبه للإبانة وقال: «مثل هذا القول في كتاب التمهيد له».

(١) التمهيد: جوف.

(٢) م: (الأرض).

(١) وفي المواضع التي يرغب عن ذكرها^(٢)، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة، إذا خلق منها ما لم يكن^(٣)، وينقص بنقصانها، إذا أبطل منها ما كان، ولصح^(٤) أن يرغب إليه إلى نحو الأرض وإلى خلفنا^(٥)، وعن إيماننا وشمائلنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه، وتخطئة قائله^(٦).

وقد ذكرنا في كتاب اجتماع العساكر الإسلامية^(٧) على غزو الفرقة الجهمية أضعاف أضعاف هذه النقول عن الصحابة والتابعين، وتابعيهم والأئمة الأربعة نصاً صريحاً عنهم نقله^(٨) أصحابهم وغيرهم وأئمة التفسير، وأئمة اللغة، وأئمة النحو، وأئمة الفقه، وسادات الصوفية، وشعراء الجاهلية والإسلام مما في بعضه كفاية لمن أراد الله هدايته، ومن طبع الله على قلبه، فإن آيات الله تتلى عليه، وكلام رسوله، ولا يزيده ذلك إلا مرضاً على مرضه، والله الموفق للصواب لا إله غيره، ولا رب سواه.

الوجه الثالث والأربعون بعد المائة:

إن هؤلاء لم يكفهم أن سدوا على أنفسهم باب الرد على أعداء الإسلام بما وافقوهم فيه من النفي والتعطيل حتى

(١) التمهيد: زاد وفمه وفي الحشوش.

(٢) التمهيد: زاد تعالى الله عن ذلك.

(٣) التمهيد: ما لم يكن خلقه.

(٤) ظ، م: (وما صح)، وما أثبتته من التمهيد.

(٥) التمهيد: وإلى وراء ظهورنا.

(٦) انتهى كلام الباقلاني في التمهيد، ص ٢٦٠.

(٧) ظ: (الأسامية).

(٨) ظ، م: (نقل)، والصواب ما أثبت.

فتحوا لهم الباب وطرقوا لهم الطريق إلى محاربة القرآن والسنة، فلما دخلوا من بابهم، وسلخوا من طريقهم تميزوا معهم، وصاروا جميعاً حرباً للوحي، وادعوا أن العقل يخالفه، ولا يمكن الرد على أهل الباطل إلا مع أتباع السنة من كل وجه، وإلا فإذا وافقها الرجل من وجه، وخالفها من وجه طمع فيه خصومه من الوجه الذي خالفها فيه، واحتجوا عليه بما وافقهم فيه من تلك المقدمات المخالفة للسنة ومن تدبر عامه، ما يحتج به أهل الباطل على من هو أقرب إلى الحق منهم وجد حجتهم إنما تقوى على من ترك شيئاً من الحق الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، فيكون ما تركه من الحق أعظم^(١) حجة للمبطل عليهم، ويجد كثيراً من أهل الكلام يوافقون خصومهم على الباطل تارة، ويخالفونهم في الحق تارة، فيتسلطون عليهم بما وافقوهم فيه من الباطل، وبما خالفوهم من الحق وليس لمبطل بحمد الله حجة، ولا سبيل بوجه من الوجوه على من وافق السنة ولم يخرج عنها، حتى إذا خرج عنها قدر أمثلة تسلط عليه المبطل بحسب القدر الذي خرج به عن السنة، فالسنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وصراطه المستقيم الذي من سلكه كان إليه من الواصلين، وبرهانه المبين الذي من استضاء به كان من المهتدين، فمن وافق مبطلاً على شيء من باطله جره بما وافقه منه إلى نفي باطله. وقد ضرب بعض أهل العلم لذلك مثلاً مطابقاً، فقال

(١) ظ، م: (من أعظم)، ولعل الصواب حذف (من).

مثل الحق مثل طريق مستقيم واسع، وعلى جنبه قطاع
 ولصوص، وعندهم خواطىء^(١)، قد ألبسوهن^(٢) الحلي
 والحلل وزينوهن للناظرين، فيمر الرجل بالطريق فيتعرضن
 له، فإن التفت إليهم طمعن في حديثه، فألقين إليه الكلام،
 فإن راجعهن وأجابهن دعينه إلى الذبح، فإذا دخل عرين
 الموت صار في قبضتهن أسيراً أو قتيلاً، فكيف يجارب قوماً
 من هو أسير في قبضتهم قتيل سلاحهم؟ بل يصير هذا عوناً
 من أعوانهم قاطعاً من قطاع الطريق، ولا يعرف حقيقة هذا
 المثل إلا من عرف الطريق المستقيم وقطاع الطريق ومكرهم
 وحيلهم، وبالله التوفيق وهو المستعان.

وقد نصب الله سبحانه الجسر الذي يمر الناس [من
 فوقه]^(٣) إلى الجنة ونصب بجانبه كلابب تحطف الناس
 بأعمالهم فهكذا كلابب الباطل من تشبهات الضلال
 وشهوات الغي تمنع صاحبها من الاستقامة على طريق الحق
 وسلوكه والمعصوم من عصمه الله.

الوجه الرابع والأربعون بعد المائة:

هل المعارضة بين العقل والنقل في
 هذه المعارضة بين العقل وجميع النقل أو بعضه؟ والأول
 جميع النقل أو بعضه؟

- (١) الخواطىء: هن الذين يرتكبن الخطيئة وهي الذنب، وهو الزنا، وفي المثل مع الخواطىء
 سهم صائب، يضرب للذي يكثر الخطأ ويأتي الأحيان بالصواب.
 لسان العرب ١١٩٣/٢، ١١٩٤، مادة خطأ.
 (٢) ظ، م: (ألبسوهم)، والصواب ما أثبت.
 (٣) (من فوقه): ليست في ظ، م، ولعل الصواب إثباتها.

لا يقوله مسلم، بل ولا عاقل ولا أحد من بني آدم، فلا حاجة إلى الكلام على تقريره، وإذا ادعيتم أن التعارض واقع بين العقل، وبين بعض المنقول^(١)، قيل لكم: المنقول أنواع متعددة:

نوع يتعلق بالأمر والنهي والإباحة.

ونوع يتعلق بمبدأ الخليقة وتخليق العالم ومادته ومبدئه.

ونوع يتعلق بالمعاد وحشر الأجساد وطبي العالم وخرابه، وإنشاء الخلق نشأة أخرى.

ونوع يتعلق بالإخبار عن الأمم السالفة والقرون الماضية وأحوالهم وما أصابهم من نعمة ونقمة.

ونوع يتعلق بالإخبار عن عجائب المخلوقات وبدائع الآيات في الأرض والسماء.

ونوع يتعلق بأسماء الرب وصفاته وأفعاله، وما يجب له ويمتنع عليه.

فأي هذه الأنواع تدعون معارضة العقل لها حتى يقع الكلام معكم فيه؟

ومعلوم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا وقد عارضه طائفة من شياطين الإنس بآرائهم وعقولهم وقد قدمنا معارضة شيخ القوم للأمر بمعقوله، وأن العقل يقتضي أن لا يسجد الفاضل للمفضول، وبيننا سريان تلك المعارضة في

(١) م: (النقول).

تلامذته وأتباعه حتى إن منهم من عارض الأمر كله بعقله،
 وذكروا وجوهاً عقلية، تدفع الأمر والنهي، والله يعلم أن
 الوجوه العقلية التي ذكرها المعطلة النفاة، لدفع علو الرب
 واستوائه على عرشه وصفات كماله أوهى منها، أو من
 جنسها، وطائفة أخرى عارضت نصوص المبدأ والمعاد
 بمعقولات هي من جنس معقولات نفاة الصفات، فهل
 يوافقون هؤلاء في صحة هذه المعارضة أم يخالفونهم^(١)؟ وفي
 أي الأنواع تدعون المعارضة فإن قصرتموه على نوع الأسماء
 والصفات، قيل لكم: فالمعارضة ثابتة بين العقل وبين^(٢)
 سائر هذا / النوع أم بينه وبين بعضه؟ ولا ضابط لفرقة
 منكم في دعوى هذه المناقضة أصلاً؟ بل كل من نفى شيئاً مما
 أثبتته الرسول قال قد عارضه صريح العقل فإمامكم الذي
 تقدمون نصوص إشاراته^(٣) على نصوص القرآن والسنة
 عنده: إن صريح العقل معارض لنصوص المعاد وحدوث
 العالم وإثبات الصفات، والقدرية المجوسية عندهم أن
 صريح العقل معارض للنصوص المثبتة للقدر، والجهمية
 المعطلة عندهم أن العقل الصريح معارض لنصوص الرؤية
 والعلو والاستواء على العرش، وصفة التكلم والتكليم وغير
 ذلك من الصفات، فمع من أنتم من أرباب هذه المعارضات
 وأهل هذه المعقولات هل تصوبون جميعهم أم بعضهم؟ ومن

[١٩٥/١]

(١) ظ، م: (يخالفونهم)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (من).

(٣) هو ابن سينا، وكتابه الإشارات والتنبيهات.

البعض المصيب ومن المخطيء؟ وفي أي شيء أصاب هؤلاء وأخطأ هؤلاء؟ ولقد صدق القائل: إنكم لا ترجعون في الحقيقة إلى شيء، وإن متهاكم الشك والحيرة وبالله التوفيق.

وحيث فنقول في:

الوجه الخامس والأربعين بعد المائة:

إن نهاية أمر هؤلاء المعارضين لنصوص الوحي بالرأي انتهاؤهم إلى الشك والتشكيك والحيرة في أمرهم فتجدهم يشكون في أوضح الواضحات وفيما يجزم عوام الناس به ويتعجبون ممن يشك فيه ولا تعطيك كتبهم وبحوثهم إلا الشك والتشكيك والحيرة والإشكالات وكلما ازددت فيها إمعاناً ازددت حيرة وشكاً حتى يؤول بك الأمر إلى الشك في الواضحات واعتبر هذا بإمام الشك والتشكيك أفضل متأخريهم^(١) وكتبه تجده شاكاً في الزمان والمكان، لم يعرف حقيقة وماهيته، وشاكاً^(٢) في وجود الرب تعالى، هل هو عين ماهيته أوزائداً عليها؟ وهل الوجود مقول على الواجب والممكن بالتواطؤ أو بالاشتراك اللفظي^(٣)؟ وهل

(١) لعله الرازي. انظر قوله: «جست العميدي وحقائق ابن عربي وتشكيكات الرازي»، ص ١٠٧٨.

(٢) ظ: (شاكل)؛ م: (شاك)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) التواطؤ: هو نسبة وجود معنى كلي في أفراده وذلك حينما يكون وجوده في الأفراد متوافقاً غير متفاوت نظر إلى المفهوم الذي وضع له اللفظ الكلي مثل كلمة: نقطة، إنسان، صدق.

فالنقطة: هي كل ما ليس له طول ولا عرض ولا عمق... وهذا المعنى موجود في كل =

الوجود الواجب وجود محض لا يقارن شيئاً من الماهيات
أم وجود مقارن لماهية غير معلومة للبشر؟

وشاكاً^(١) في الرب سبحانه هل كان معطلاً في الأزل
والفعل ممتنع عليه ثم انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان
الذاتي بلا تجدد أمر حصل في الفاعل كما يقوله المتكلمون
أولم يزل فعله مقارناً له كما يقوله الفلاسفة وهو حائر بين
هذين القولين معارض أدلة كل منهما بأدلة الآخر؟ وتارة
يرجح أدلة المتكلمين في كتبه الكلامية وتارة يرجح أدلة
الفلاسفة في كتبه الفلسفية وتارة يصف الجيشين ويلقي
الحرب بينهما، ولا يتحيز إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما في كتبه
الجامعة بين الطريقتين.

وشاكاً^(٢) في الجوهر الفرد فمرة يشبهه ويوقف الإيمان
بالمبدأ والمعاد عليه وتارة ينفيه ويبطله.

وشاكاً^(٢) في تماثل الأجسام فتارة يشبهه ويحتج عليه وتارة
ينفيه.

وشاكاً^(٢) في مسألة حلول الحوادث فتارة ينفيها وتارة
يقول بها، ويقوي أمرها ويلزمها جميع الطوائف.

= نقطة دون تفاوت. الاشتراك اللفظي: هو أن يتحد اللفظ ويتعدد المعنى. مثل كلمة
عين: موضوعة لعدة معاني في اللغة فمن معانيها: الحاسة التي يكون بها الإبصار
والجاسوس وعين الماء الجارية... وغيرها.

انظر ضوابط المعرفة، ص ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩.

(١) ظ، م: (شاك)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (شاك)، والصواب ما أثبت.

وشاكاً^(٣) في النبوات هل هي ثابتة على طريق الفلاسفة
أو على طريق المعتزلة أم على طريق الأشعرية^(١).

وشاكاً^(٣) في مسألة التحسين والتقبيح فتارة يسلك فيها
مسلك النفاة وتارة مسلك المثبتين.

وشاكاً^(٣) في إثبات الصفات ففي كتبه الفلسفية^(٢)
ينفيها وفي الكتب الكلامية يثبتها إثباتاً لا حقيقة له بل
هو لفظ بلا معنى.

وشاكاً^(٣) في الإنسان هل هو هذا البدن المشهود أم أمر
آخر وراءه؟ وهو الروح أم مجموع الأمرين؟

وشاكاً^(٣) في الروح وحقيقتها وماهيتها وهل هي جسم
أو جوهر مجرد لا داخل العالم ولا خارجه؟ أو عرض من
أعراض البدن؟

وشاكاً في مسألة الكلام والرؤية فمرة يقوي فيها قول
المعتزلة، ومرة قول الأشعرية إلى أضعاف ما ذكرنا من
المسائل ولهذا تجد أتباعه أكثر الناس شكاً وتشكيكاً.

والفاضل عندهم الشاك وكلما كان الرجل أعظم شكاً

كان عندهم أفضل / فهذا شكهم في الدنيا وأما عند الموت [١٩٦/١]

(١) طريق الفلاسفة، سبق، انظر ص ٧٥٩؛ وانظر في طريق المعتزلة والأشعرية: النبوات لابن تيمية، ص ٢؛ شرح الطحاوية، ص ١٥٨؛ الإرشاد للجويني، ص ٣٠٢ - ٣٣٨.

(٢) ظ، م: (ففي كبه الفلسفة)، والصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (شاك)، والصواب ما أثبت.

فقد قال العارف بحقيقة أمرهم: «أكثر الناس شكاً عند الموت أرباب الكلام».

وقد أقروا على أنفسهم بالشك وعدم اليقين في كتبهم وعند موتهم كما تقدم حكاية ذلك عن أفاضلهم ورؤوسهم حتى قال بعضهم عند موته: والله ما أدري على ماذا أموت عليه ثم قال اشهدوا على أي على عقيدة أُمِّي (١) (٢)، وقال الآخر: اشهدوا علي أني أموت وما عرفت إلا مسألة واحدة وهي أن الممكن مفتقر إلى الواجب ثم قال: الافتقار أمر عدمي، بل أموت وما عرفت شيئاً (٣).

وقال الآخر (٤): أضع الإزار على وجهي ثم أقابل بين أقوال هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولا يتبين لي منها شيء.

ويقول الآخر: لقد تأملت (٥) الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]،

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

(١) م: (أبي).

(٢) انظر ص ١٦٨، والقائل هو أبو المعالي الجويني.

(٣) انظر ص ١٦٨، والقائل هو الخونجي.

(٤) هو ابن واصل الحموي، انظر ص ٨٤٢.

(٥) ظ: (تألمت).

واقراً في النفي :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]،

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، وقد حكينا
كلامه فيما تقدم^(١).

وقال الآخر لعمرى :

لقد طفت [في تلك]^(٢) المعاهد كلها

وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر

على ذقن أو قارعاً سن نادم^(٣)

وهذا باب طويل من أراد الوقوف عليه فليطالع أخبار

القوم وسيرتهم وما أقروا به على أنفسهم وحينئذ فنقول في :

الوجه السادس والأربعين بعد المائة :

إن أئمة الإسلام وملوك السنة لما عرفوا أن طرق

المتكلمين إنما تنتهي^(٤) إلى هذا وما هو شر منه تنوعوا في ذمها

المتكلمين

والطعن فيها وعيب أهلها والحكم بعقوبتهم وإشهارهم

والتحذير منهم.

(١) سبق ص ١٦٧ .

(٢) (في تلك): إضافة من نهاية الاقدام، ص ٣ .

(٣) انظر ص ١٦٦ .

(٤) ظ، م: (شتى)، والصواب ما أثبت.

قال أبو القاسم بن عساكر^(١)^(٢) - وقد حفظ عن غير واحد من علماء الإسلام عيب المتكلمين وذم أهل الكلام ولولم يذمهم غير^(٣) الشافعي لكفى فإنه قد بالغ في ذمهم وأوضح حالهم وشفى ثم ذكر بإسناده إلى الفريابي حدثني بشر بن الوليد قال سمعت أبا يوسف يقول: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غرائب الحديث كذب ومن طلب المال بالكيمياء أفسس^(٤)، قال البيهقي وروي هذا الكلام عن مالك بن أنس ثم ذكر ابن عساكر^(٥) عن الشافعي أنه قال: لئن يتلى العبد بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من أن يتلى بالكلام ولقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت أن مسلماً يقوله.

(١) أبو القاسم بن عساكر: هو علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم بن عساكر الدمشقي ولد في دمشق سنة ٤٩٩ من كتبه: «تاريخ دمشق الكبير» وله كتاب: «الأشراف في معرفة الأطراف» و: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري» توفي بدمشق سنة ٥٧١.

البداية والنهاية ٣١٢/١٢؛ الأعلام ٢٧٣/٤.

(٢) انظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر، ص ٣٣٣.

(٣) م: ((عن)).

(٤) انظر: تبيين كذب المفتري، ص ٣٣٤، وفيه: «قال أبو بكر البيهقي وروي هذا أيضاً عن مالك بن أنس قال: وإنما يريدون العلم بالكلام كلام أهل البدع فإن في عصرهما إنما كان يعرف بالكلام أهل البدع فأما أهل السنة فقلما كانوا يخوضون في الكلام حتى اضطروا إليه بعد» قال ابن عساكر وناهيك بقائله أبي بكر البيهقي فقد كان من أهل الرواية والدراية.

(٥) تبيين كذب المفتري، ص ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٣؛ صون المنطق والكلام، ص ٦٦، وفي الاعتقاد للبيهقي، ص ٢٣٩، لأن يلقي الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من أن يلقيه بشيء من الهوى».

وقال: ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن أصرم المزني قال:
قال أبو ثور سمعت الشافعي يقول: ما تروى أحد بالكلام
فأفلح^(١) وقال: حدثنا الربيع قال: رأيت الشافعي وهو نازل
من الدرجة وقوم في المجلس يتكلمون بشيء من الكلام
فصاح، فقال: إما أن تجاورونا بخير وإما أن تقوموا عنا^(٢).

وذكر أيضاً عن ابن عبدالحكم قال: سمعت الشافعي
يقول: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما
يفرون من الأسد^(٣).

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة^(٤): سمعت يونس بن
عبدالأعلى يقول: جئت الشافعي بعدما كلم حفصاً
الفرد^(٥). فقال: غبت عنا يا أبا موسى^(٦)، لقد اطلعت من
أهل الكلام على شيء ما توهمته قط، ولأن يبتلى المرء بكل

(١) انظر: تبين كذب المفترى، ص ٣٣٥.

(٢) انظر: تبين كذب المفترى، ص ٣٣٦.

(٣) انظر: تبين كذب المفترى، ص ٣٣٦؛ صون المنطق والكلام، ص ٦٥، ٦٦.

(٤) ابن خزيمة: هو محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي أبو بكر إمام نيسابور ولد بنيسابور
سنة ٢٢٣ وكان فقيهاً عالماً بالحديث من كتبه: «التوحيد وإثبات صفات الرب»
و«صحيح ابن خزيمة»، وغيرها توفي في نيسابور سنة ٣١١.

طبقات السبكي ١٠٩/٣ - ١١٩؛ العلو للذهبي، ص ١٥٢؛ الأعلام، ص ٦ -
٢٩؛ مقدمة صحيح ابن خزيمة.

(٥) حفص الفرد: هو حفص الفرد البصري المصري من أصحاب أبي يوسف ومن أتباع
ضرار بن عمرو وسمع من أبي الهذيل العلاف من كتبه: «الاستطاعة» و«كتاب
التوحيد» و«كتاب الرد على النصارى» وغيرها.

لسان الميزان ٢/٣٣٠، ٣٣١؛ الفهرست لابن النديم، ص ٢٢٥؛ الجواهر المضيئة.

(٦) ظ: (بابا موسى).

ما نهى الله عنه ما خلا الشرك^(١) بالله خير له من أن يبتلى
بالكلام^(٢).

وقال الإمام أحمد: علماء الكلام زنادقة^(٣).

قال شيخنا^(٤): والكلام^(٥) الذي اتفق سلف الأمة
وأئمتها على ذمه وذم أصحابه^(٦) والنهي عنه وتجهيل أربابه^(٧)
وتبديعهم^(٨) وتضليلهم* وهو هذه^(٩) الطرق الباطلة التي
بنوا عليها نفى الصفات والعلو^(١٠) الاستواء على العرش،
وجعلوا بها القرآن مخلوقاً ونفوا بها رؤية الله في الدار الآخرة
وتكلمه بالقرآن وتكليمه لعباده ونزوله كل ليلة إلى سماء
الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده*^(١١)
فإنهم^(١٢) سلكوا فيه^(١٣) طزقاً غير^(١٤) مستقيمة، واستدلوا

(١) ظ: (بالشرك).

(٢) كلام الإمام الشافعي سبق. انظر: ص ١٢٦٤. وانظر: ذكر حفص الفرد في صون
المنطق والكلام للسيوطي، ص ١٣٦؛ وتبين كذب المفتري، ص ٣٣٦، ٣٣٧.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ١/١٦٤.

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٧/١٤٤.

(٥) درء تعارض: من الكلام.

(٦) وذم أصحابه: ليست في درء تعارض العقل والنقل.

(٧) درء تعارض: أصحابه.

(٨) وتبديعهم ليست في درء تعارض.

(٩) ظ، م: (هذا).

(١٠) ظ: (أو).

(١١) ما بين النجمتين (* — *) ليس في درء تعارض العقل والنقل.

(١٢) درء تعارض: حيث.

(١٣) درء تعارض: في الاستدلال. (١٤) درء تعارض: ليست.

بقضايا متضمنة للكذب فلزمهم بها مسائل خالفوا بها
نصوص الكتاب والسنة، وصريح (١) المعقول وكانوا (٢)،
جاهلين كاذبين ظالمين في كثير من مسائلهم ورسائلهم
و(٣) أحكامهم ودلائلهم.

وكلام السلف والأئمة في (٤) ذلك مشهور، وما من أحد
قد شدا (٥) طرفاً من العلم إلا وقد بلغه من ذلك بعضه لكن
كثيراً من الناس لم يحيطوا علماً بكثير من أقوال السلف
والأئمة (٦)، وقد أفرد الناس في ذلك مصنفات (٧) مثل (٨)
أبي عبدالرحمن السلمي، ومثل (٩) شيخ الإسلام
أبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري وسمى كتابه (١٠):
ذم الكلام وأهله (١١) وعن ذكر اتفاق السلف على ذلك

(١) درء تعارض: صرائح. (٢) درء تعارض: فكانوا.

(٣) ظ: (أو).

(٤) درء تعارض: (... والأئمة في ذم ذلك كثير مشهور في عامة كتب الإسلام).

(٥) قال في لسان العرب ٢٢١٨/٤. شدا الشدو: كل شيء قليل من كثير شدا من العلم
والغناء وغيرهما شيئاً شدوا أحسن منه طرفاً قال الأخطل:

فهن يشدون مني بعض معرفة وهن بالوصل لا بخل ولا جود.

(٦) درء تعارض زاد: في ذلك وبمعانيها.

(٧) درء تعارض وقد جمع الناس من كلام السلف والأئمة في ذلك مصنفات مفردة.

(٨) درء تعارض مثل ما جمعه الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي.

(٩) درء تعارض ومثل المصنف الكبير الذي جمعه الشيخ أبو إسماعيل الملقب بشيخ الإسلام.

(١٠) درء تعارض الذي سماه.

(١١) كتاب ذم الكلام وأهله لشيخ الإسلام إسماعيل بن عبدالله بن محمد الأنصاري، ذكر

السيوطي تلخيصاً لمقاصد هذا الكتاب في كتابه صون المنطق والكلام عن علم المنطق

والكلام من ص ٣٣ - ٨٢.

أبو حامد الغزالي في أجل كتبه الذي سماه إحياء علوم الدين^(١) / قال فيه: فإن قلت: فعلم^(٢) الكلام والجدل [١٩٧/١] رأي الغزالي في علم الكلام

مذموم كعلم^(٢) النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه، فاعلم أن الناس في هذا غلوا وإسرافاً في الطرفين^(٣)، فمن قائل^(٤): إنه بدعة وحرام وإن العبد أن يلقي الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل: إنه واجب فرض إما على الكفاية أو على الأعيان وأنه أجل الأعمال وأعلى القربات وأنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله^(٥).

قال: وإلى^(٦) التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي ١/١٦٣ طبع لجنة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة سنة ١٣٥٦.

(٢) الأحياء: تعلم.

(٣) الأحياء: في أطراف.

(٤) ظ، م: (قال) وما أثبتته من الإحياء.

(٥) في هامش م: قال محمد بن مجاهد المالكي:

أيما المعتدي ليطلب علماً كل علم عبد لعلم الكلام
تطلب الفقه كي تصحح حكماً ثم أغفلت منزل الأحكام
ص ٢٥٨، من الديباج. هـ.

قلت: والحق ما جاء في شرح الطحاوية، ص ٧٣، حيث قال الشاعر:

أيما المعتدي ليطلب علماً كل علم عبد لعلم الرسول
تطلب الفرع كي تصحح أصلاً كيف أغفلت علم أصول الأصول
ولأبي الحسن الأشعري «رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام» طبعت الطبعة الثانية في دائرة المعارف النظامية في حيدرآباد، الهند سنة ١٣٤٤.

(٦) ظ: وان.

حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف، ثم ذكر بعض نصوص الشافعي التي تقدمت.

قال: وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظراً في الكلام إلا وفي قلبه دغل^(١) قال: وبالغ فيه حتى [هجر]^(٢) الحارث المحاسبى^(٣) (٤) «قال» وقال الإمام أحمد أيضاً: علماء الكلام زنادقة».

قال وقال مالك: أرأيت إن جاء رجل أجدل من

(١) دغل: الدغل بالتحريك: الفساد مثل الدخل. والدغل: دخل في الأمر مفسد ومنه قول الحسن: اتخذوا كتاب الله دغلاً. لسان العرب ٢/١٣٩٠، مادة دغل.

(٢) (هجر): ليست في ظ، م، وما أثبتته من الإحياء.

(٣) وبقية النص في الإحياء ١٦٤/١ «... مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المتدعة وقال له ويحك الست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم... الخ. وقد رد ابن تيمية قول أبي حامد هذا وبين أن سبب هجر الإمام أحمد له أنه كان على قول ابن كلاب وتبين أن هذا القول هو المعروف عند أصحاب أحمد وقد ذكره الخلال في كتاب السنة وأبو عبد الله الحسين والد أبي القاسم الخرقى في كتاب «في قصص من هجره أحمد» كما ذكره ابن خزيمة، وغيره.

ثم ذكر ابن تيمية أن الحارث قد رجع عن هذا القول. انظر: درء تعارض العقل والنقل ٧/١٤٧، ١٤٨.

(٤) الحارث المحاسبى: هو الحارث بن أسد المحاسبى أبو عبد الله ولد حوالي سنة ١٧٠ في البصرة كان صوفياً وكان واعظاً مؤثراً من كتبه: «رسالة المسترشدين» و«آداب النفوس» و«البعث والنشور»... وغيرها، توفي ببغداد سنة ٢٤٣.

تهذيب التهذيب ٢/١٣٤ - ١٣٦؛ ميزان الاعتدال ١/٤٣٠ - ٤٣١؛ تاريخ التراث العربي ١/١١٣/٤؛ الأعلام ٢/١٥٣.

رجل يدع الرجل دينه كل يوم لدين جديد قال: وقال مالك: لا تجوز شهادة أهل الأهواء والبدع قال بعض أصحابه: أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي (١) مذهب كانوا وهذا الذي حكى (٢) عنه أبو حامد تأويل [قول] (٣) مالك هو محمد بن خويز منداد البصري (٤) المالكي .

قال إن أهل الأهواء عند مالك وأصحابه الذين ترد شهادتهم هم أهل الكلام قال: وكل متكلم هو من أهل الأهواء والبدع عند مالك وأصحابه أشعرياً كان أو غير أشعري هكذا ذكره عنه أبو عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم (٥) ثم ذكر أبو حامد كلام أبي يوسف: «من طلب العلم بالكلام تزندق» قال: «وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا، ولا ينحصر عنهم ما نقل من التشديدات فيه، وقالوا: ما سكت عنه الصحابة رضي الله عنهم مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح في ترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم (٦) بما يتولد عنه (٧) ولذلك قال النبي صلى الله

(١) ظ: (أبي). (٢) ظ، م: (حكاها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) (قول): ليست في ظ، م، والصواب إثباتها.

(٤) هو محمد بن أحمد بن علي بن إسحاق بن خويز منداد أبو عبد الله تفقه على الأبهري المتوفى سنة ٣٩٥ وله كتاب كبير في الخلاف وكتاب في أصول الفقه وكتاب في أحكام القرآن وكان محارباً للكلام وأهله.

الديباج المذهب، ص ٢٦٨؛ شجرة النور الإلهية ١/١٠٣.

(٥) جامع بيان العلم وفضله، ص ٣٦٥، ٣٦٦.

(٦) ظ، م: (بعلمهم)، وما أثبتته من الإحياء.

(٧) الإحياء: بما يتولد منه من الشر.

عليه وسلم: «هلك المتنطعون هلك المتنطعون»^(١) أي المتنطعون في البحث والاستقصاء.

قال: واحتجوا بأن ذلك لو كان من الدين لكان أهم ما يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني على أربابه، فقد علمهم الاستنجاء وندبهم إلى حفظ الفرائض^(٢) ونهاهم عن الكلام في القدر، وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم وهم الأستاذون والقُدوة، ونحن الأتباع والتلامذة...» إلى أن قال: «وأما منفعتة فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف^(٣)، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى، ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قللاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى^(٤) درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخرى^(٥) سوى نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود».

(١) رواه مسلم ٢٠٥٥/٤، من طريق عبدالله بن مسعود في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ح ٢٦٧٠.

ورواه أبو داود (عون المعبود ١٢/٣٦١)، في كتاب السنة، باب لزوم السنة، ح ٤٥٨٤.

(٢) الإحياء: وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم.

(٣) الإحياء زاد: ولعل التخطيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف.

(٤) الإحياء: إلى منتهى درجة.

(٥) الإحياء: آخر.

قال: ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على سبيل الندور^(١)، في أمور جليلة، تكاد تفهم^(٢) قبل التعمق في صناعة الكلام قل بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة^(٣) وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فإن العامي^(٤) يستفزه^(٥) جدل المبتدع، وإن كان فاسداً ومعارضة الفاسد بالفاسد نافعة^(٦) ثم قال وإذا وقعت الإحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون صاحبه كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر، أن لا يضعه إلا في موضعه^(٧) وعلى قدر الحاجة وقال: «إن فيه من المصرة من إثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم^(٨)... وفيه مصرة في تأكيد اعتقاد المبتدعة^(٩)، وتشبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه، ويمكن هذا الإصرار بواسطة التعصب الذي يثور عن الجهل^(١٠)».

فهذا كلام أبي حامد مع معرفته بالكلام والفلسفة

(١) ظ، م: (المدوب)، وما أثبتته من الأحياء.

(٢) ظ، م: (تسال)، وما أثبتته من الأحياء.

(٣) الأحياء زاد التي ترجناها على العوام.

(٤) الأحياء: فإن العامي ضعيف.

(٥) ظ، م: (يستفز)، وما أثبتته من الأحياء.

(٦) الأحياء: تدفعه.

(٧) الأحياء زاد: وذلك وقت الحاجة.

(٨) الأحياء زاد: فذلك مما يحصل في الابتداء.

(٩) الأحياء: المبتدعة للبدعة.

(١٠) انتهى كلام أبي حامد الغزالي. انظر: إحياء علوم الدين ١/١٦٧.

وتعمقه في ذلك يذكر اتفاق سلف أهل السنة على ذم الكلام، ويذكر أنه ليس فيه فائدة إلا الذب عن هذه العقائد الشرعية التي أخبر بها الرسول أمته، وإذا لم يكن فيه فائدة إلا الذب عن هذه العقائد امتنع أن يكون معارضاً لها فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها، فامتنع أن يكون الكلام العقلي المقبول معارضاً للكتاب والسنة، وما كان معارضاً لهما فهو من الكلام الباطل المردود المرذول الذي لا ينزع^(١) في ذمه أحد من أهل الإسلام لا من السلف ولا من أتباعهم من الخلف هذا مع أن السلف والأئمة يذمون / ما كان من العقليات والجدل والكلام مبتدعاً، وإن قصد به نصر السنة فكيف ذمهم لمن عارض السنة بالبدعة والوحي بالرأي وجادل في آيات الله بالباطل ليدحض به الحق؟ وهذا الذم من أبي حامد للكلام وأهله ذم متوسط بحسب ما اطلع عليه من غوائله، وآفاته وبحسب ما بلغه من السلف ولم يكن جزمه بأقوال السلف وحقيقة ما جاء به الرسول كجزمه بما سلكه من طريق الكلام والفلسفة، فلذلك لم يكن في كلامه من هذا الجانب من العلم والخبرة ما فيه من الجانب الذي هو به أخبر من غيره فإن ما ذكره من أن مضرته في إثارة الشبهات في العلم وإثارة التعصب في الإرادة إنما يقال: إذا كان الكلام في نفسه حقاً بأن تكون قضاياه ومقدماته صادقة بل معلوماته. فإذا كان مع ذلك قد يورث النظر فيه شبهاً وعداوة قيل فيه ذلك.

[١٩٨/١]

رأى ابن القيم في
كلام الغزالي

(١) ظ، م: (شارع)، والصواب ما أثبت.

وأما السلف فلم يكن ذمهم للكلام لمجرد ذلك ولا لمجرد^(١) اشتماله على ألفاظ اصطلاحية إذا كانت معانيها صحيحة، ولا حرموا^(٢) معرفة الدليل على الخالق وصفاته وأفعاله بل كانوا أعلم الناس بذلك ولا حرموا نظراً صحيحاً في دليل صحيح يفضي إلى علم نافع ولا مناظرة في ذلك إما لهدى مسترشد وأما لقطع مبطل بل هم أكمل الناس نظراً واستدلالاً واعتباراً وهم نظروا في أصح الأدلة وأقومها فإن القوم كان نظرهم في خير الكلام وأفضله وأصدقه وأدله على الحق وأوصله إلى المقصود بأقرب الطرق وهو كلام الله وكانوا ينظرون في آيات الله تعالى الأفقية والنفسية فيرون منها من الأدلة ما يبين أن القرآن حق فيتطابق عندهم السمع والعقل ويتصادق الوحي والفطرة كما قال تعالى:

﴿سَرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وقال:

﴿وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي^(٣) أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦].

والإنسان له حالتان: إما أن يكون ناظراً وإما أن يكون

(١) ظ، م: (للكلام المجرد ذلك لا لمجرد)، وما أثبتته من درء تعارض العقل والنقل ١٦٦/٧.

(٢) ظ، م: (صرحوا)، والصواب ما أثبت، انظر: درء تعارض العقل والنقل ١٦٦/٧.

(٣) ظ، م: (إن الذي)، وهو غلط.

مناظراً، والمناظر له حالتان: أحدهما يحمد فيها والثانية يذم فيها، والمناظر له حالتان أيضاً:

قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِئًا وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ أَمْ بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

فأشار بقيامهم إثنين إثنين إلى المناظرة وفرادى إلى النظر والتفكير.

وكل منهما ينقسم إلى محمود ومذموم فالنظر المحمود النظر^(١) في الطريق الصحيح ليتوصل به إلى معرفة الحق والنظر المذموم نوعان:

أحدهما: النظر في الطريق الباطل وإن قصد به التوصل إلى الحق، فإن الطريق الباطل لا يفضي إلى الحق.

والثاني: النظر والفكر الذي يقصد به رد قول خصمه مطلقاً حقاً كان أو باطلاً فهو ينظر نظراً يرد به قول من يبغضه ويعاديه بأي وجه كان.

فأما المناظرة فتقسم إلى محمودة ومذمومة والمحمودة نوعان، والمذمومة نوعان وبيان ذلك أن المناظر إما أن يكون عالماً بالحق وإما أن يكون طالباً له وإما أن لا يكون عالماً به ولا طالباً له وهذا الثالث هو المذموم، وأما الأولان فمن كان عالماً بالحق فمناظرته التي تحمد أن يبين لغيره الحجة التي

(١) ظ، م: (بالنظر)، والصواب ما أثبت.

تهديه إن كان مسترشداً طالباً للحق أو تقطعه أو تكسره إن كان معانداً غير طالب للحق، ولا متبع له أو توقفه وتبعته على النظر في أدلة الحق إن كان يظن أنه على الحق وقصده الحق.

قال تعالى :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

مراتب الدعوة

فذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالباً للحق راغباً فيه محباً له مؤثراً له على غيره، إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال، وإما أن يكون معرضاً مشتغلاً بضد الحق ولكن لو عرفه عرفه وآثره واتبعه فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتي هي أحسن فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلال، إن أمكن فلمناظرة المبطل فائدتان :

أحدهما: أن يرد عن باطله ويرجع إلى الحق.

الثانية: أن ينكف شره وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل وهذه الوجوه كلها لا يمكن أن تنال بأحسن من حجج القرآن ومناظرتة للطوائف فإنه كفيلاً بذلك على أتم الوجوه لمن تأمله وتدبره ورزق فهماً فيه وحججه مع أنها في أعلى مراتب الحجج وهي طريقة أخرى غير طريقة المتكلمين وأرباب الجدال والمعقولات فهي أقرب شيء تناولاً وأوضح دلالة وأقوى برهاناً وأبعد من كل شبهة وتشكيك.

وأما طريق المتكلمين وأرباب الجدل فهي كما قال الخبير
بها:

حجج تهافت كالزجاج / تخالها

حقاً وكل كاسر مكسور^(١) [١٩٩/١]

وأخص أوصافها أنها تعطيك مناقضة الخصوم
واضطراب أقوالهم وأما أن تعطيك علماً وهدى:

فإذا بعثت إلى السباح برائد

تبغي الرياض فقد ظلمت الرائد

وإذا كان هذا حالها وهي خير من طريق الفلاسفة وأقرب

إلى الحق فكيف يعارض الوحي بهذه الطرق وهذه ثم تقدم عليه.

الوجه السابع^(٢) والأربعون بعد المائة:

بيان أن العباد
مفطورون على الحق
ومن ذلك علو الله
على خلقه

أن الله سبحانه منح عباده فطرة فطرحهم عليها، لا تقبل

سوى الحق، ولا تؤثر عليه غيره لو تركت^(٣)، وأيدها بعقول

تفرق بين الحق والباطل، وكملها بشرعة تفصل لها^(٤)

ما هو مستقر في الفطرة، وأدركه العقل مجملاً، فالفطرة قابلة

(١) هذا البيت ذكره ابن تيمية في درء تعارض ٣١٤/٧، ولم يذكر القائل وكذا المحقق.

كما ذكره السيوطي في صون المنطق والكلام، ص ٩٩، ١٧٦، ولم يذكر القائل كذلك.

(٢) ظ: (التاسع).

(٣) ظ، م: (تريث)، ولعل الصواب ما أثبت.

ويدل على هذا المعنى نصوص كثيرة منها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». رواه البخاري

(فتح الباري ٢١٩/٣) في كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه.

ولم يقل أو يسلمانه، لأنه يولد على ذلك.

(٤) ظ، م: (يصل لها بها)، ولعل الصواب ما أثبت.

والعقل مزك والشرع مبصر مفصل لما هو مركز في الفطرة مشهود أصله دون تفاصيله^(١) بالعقل، فاتفقت فطرة الله المستقيمة والعقل الصريح والوحي المبصر المكمل على الإقرار بوجود فطر هذا العالم بجميع ما فيه عاليه وسافله وما بينهما، وشهدت الفطر والعقول والشرائع المنزلة كلها بأنه ليس من جنس العالم ولا مماثلاً له. وأنه مباين له غير ممتزج به ولا متحد به ولا حال فيه وأنه فوق جميع العالم عال عليه بجميع أنواع العلو ذاتاً وقهراً وعظمة وأنه موصوف بجميع الكمال المقدس من لوازم ذاته فتوهم رفعه عنه كتوهم عدم ذاته، ومن لم يكن هذا الأصل معلوماً عنده علماً لا يشك فيه ولا يرتاب بل هو لقلبه كالمشاهدات لبصره وإلا اضطرب عليه باب معرفة الله ووحدانيته وتصديق رسله فلا يجوز أن يقدح في مقدمات هذا الأصل التي هي في أعلى مراتب الضروريات بمقدمات يدعي أربابها، أنها نظريات ومن خالفهم فيها يقول: إنها غير صحيحة بل معلومة الفساد، إما بضرورة العقل أو بالنظر الصحيح المفضي إلى الضرورة.

ومن أبين ما^(٢) شهدت به الفطر والعقول والشرائع علوه سبحانه فوق جميع العالم فإن الله فطر على هذا الخليقة حتى الحيوان البهيم، ومن أنكر هذا فهو في جانب، والفطر السليمة والعقول المستقيمة وجميع الكتب السماوية ومن أرسل بها في جانب.

(١) ظ، م: (تفاصيله).

(٢) ظ: (كما).

قال الشيخ عبدالقادر الكيلاني^(١)(٢) المتفق على كراماته وآياته وولايته المقبول عند جميع الفرق: «أن كون الله سبحانه فوق سماواته على عرشه^(٣) في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل» وصدق قدس الله روحه^(٤) فإن الرسل من أولهم إلى آخرهم ليس بينهم اختلاف في أسماء الرب وصفاته وأفعاله، وإن تنوعت شرائعهم العملية بحسب المصلحة فلم يختلف منهم اثنان في باب الأسماء والصفات وإن كان في الكتابين اللذين لم ينزل من السماء كتاب أهدى منهما من ذلك ما ليس في غيرهما، حتى زعمت أئمة المعطلة أنها كتابا تشبيه ومن جاء بها إماما المشبهة، وقال بعض من تتبع النصوص النبوية في ذلك والآثار السلفية: إنه وجدها تزيد على ألف، وقال غيره: إنها تزيد على مائة ألف ولا تنافي بينهما، فإن الأول أراد ما يدل على نصوص العلو والاستواء والثاني أراد ما يدل على المباينة وأن الله سبحانه بائن من خلقه.

وأما تقرير ذلك بالأدلة العقلية الصريحة فمن طرق كثيرة تقرير علو الله على خلقه بالأدلة العقلية جداً منها:
من طرق

-
- (١) عبدالقادر الكيلاني هو: عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست الحسيني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي: ولد في جيلان ٤٧١هـ، له كتب منها «الغنية لطالب طريق الحق» و«الفتح الرباني» توفي ٥٦١هـ. شذرات الذهب ٤/١٩٨؛ الأعلام ٤/٤٧.
- (٢) ذكر ذلك في كتابه «الغنية» كما في العلو للذهبي ١٩٣.
- (٣) العلو للذهبي زاد (فمذكور).
- (٤) ظ، م: (قد بين روحه)، ولعل الصواب ما أثبت أو تكون العبارة (وصدق فقد بين رحمه الله أن الرسل)... الخ.

الطريق الأول وهو
الوجه الثامن
والأربعون بعد
المائة(*)

أنه إذا ثبت بضرورة العقل أنه سبحانه مبائن
للمخلوقات وثبت أن العالم كرى، كما اعترف به النفاة
المعطلة وجعلوه عمدتهم في جحد علوه سبحانه لزم أن يكون
الرب تعالى في العلو ضرورة وذلك لأن العالم إذا كان
مستديراً فله جهتان حقيقتان العلو والسفل فقط فإذا كان
الرب تعالى مبائناً للعالم امتنع أن يكون في السفلى، فوجب
قطعاً أن يكون في العلو، فإذا كان العالم كرياً وقد ثبت
بالضرورة أنه إما مداخل له وإما مبائن له وليس بمداخل
قطعاً ثبت أنه مبائن قطعاً وإذا كان مبائناً فإما أن يكون تحته
أو فوقه قطعاً وليس تحته بالضرورة وجب أن يكون فوقه
بالضرورة ولا جواب عن هذا البتة إلا بنفي النقيضين
وهو أنه لا مبائن ولا مداخل وهذا حقيقة العدم المحض
ونفيهما بطريقي العدم والحدوث عنه وأن يقال ليس بقديم
ولا حادث فإن القدم والحدوث من مقولة «متى» وهي ممتنعة
عليه، كما أن المباينة والمداخلة من مقولة «أين» وهي ممتنعة
عليه، فالشبهه^(١) والأدلة التي تنفي وجود الصانع من جنس
الشبهه^(٢) التي تنفي مباينته للعالم وعلوه عليه لا فرق بينها
البتة.

(*) ذكر ابن القيم رحمه الله ثلاثين طريقاً ثم قال بعد نهاية الطريق الثلاثين، ص ١٣٤٠:
«فهذه ثلاثون طريقاً مضافة إلى الوجه السابع والأربعين بعد المائة في بيان عدم معارضة
العقل للنقل» ثم ذكر بعد ذلك الوجه الثامن والسبعين بعد المائة.
فعلى هذا يكون الطريق الأول هو الوجه الثامن والأربعون بعد المائة.

(١) م: (الشبهه).

(٢) م: (الشبهه).

[٢٠٠/١]

وهو الوجه التاسع والأربعون بعد المائة

الطريق الثاني: أن يقال علوه سبحانه / على العالم وأنه فوق السماوات كلها وأنه فوق عرشه أمر مستقر في فطر العباد معلوم لهم بالضرورة كما اتفق عليه جميع الأمم إقراراً بذلك وتصديقاً من غير تواطؤ منهم على ذلك ولا تشاعر وهم يخبرون عن أنفسهم أنهم يجدون ذلك بالضرورة وجميع الطوائف تنكر قول المعطلة إلا من تلقاه منهم، وأما العامة من جميع الأمم ففطرهم جميعهم مقرة بأن الله فوق العالم، وإذا قيل لهم لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا مباين له ولا محايث ولا يصعد إليه شيء ولا ينزل منه شيء ولا يقرب إليه شيء ولا يقرب هو من شيء ولا يحجب العباد عنه حجاب منفصل ولا ترفع إليه الأيدي ولا تتوجه إليه القلوب نحو العلو أنكرت فطرهم ذلك غاية الإنكار ودفعته غاية الدفع .

قال أبو الحسن الأشعري: في كتبه^(١): «ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السماوات فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو السماء^(٢) كما لا يحطونها إذا دعوا نحو الأرض» هذا لفظه في أجل كتبه وأكبرها وهو الموجز وفي أشهرها، وهو الإبانة التي اعتمد عليها أبصر الناس له وأعظمهم ذباً عنه من أهل الحديث «أبو القاسم ابن عساكر» فإنه اعتمد على هذا الكتاب وجعله

(١) الإبانة عن أصول الديانة ١٠٧/٢ .

(٢) الإبانة: نحو العرش .

من أعظم مناقبه في كتاب «تبيين كذب المفتري» ثم قال: في كتابه^(١): ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً إذا هم رغبوا إلى الله عز وجل في الأمر النازل بهم يقولون: يا ساكن العرش، ويقولون لا والذي احتجب بسبع سماوات.

وقال أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب: في كتاب «الصفات» وقد ذكر مسألة الاستواء وقد تقدم حكاية لفظه^(٢) قال: ولولم يشهد بصحة مذهب الجماعة في هذا إلا ما ذكرنا من هذه الأمور^(٣) لكان فيه ما يكفي، كيف وقد غرس في بنية الفطرة، ومعارف الأدميين من ذلك ما لا شيء أبين منه، ولا أوكد، لأنك لا تسأل أحداً عنه عربياً ولا عجمياً ولا مؤمناً ولا كافراً فتقول: أين ربك إلا قال في السماء إن أفصح أو أوماً بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح، لا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل ولا رأينا أحداً داعياً إلا رافعاً يديه إلى السماء؟

وقال ابن عبدالبر إمام أهل السنة ببلاد المغرب^(٤) في «التمهيد»^(٥) لما تكلم على حديث النزول قال: «هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طرق سوى هذه^(٦) من أخبار

(١) انظر الإبانة ١١٥/٢.

(٢) انظر ص ١٢٣٨، ١٢٣٩.

(٣) ظ: (من هذا الأمور).

(٤) ظ، م: (المغرب)، والصواب ما أثبت.

(٥) انظر التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر ٧/١٢٨، ١٢٩.

(٦) التمهيد: وهو حديث منقول من طرق متواترة ووجوه كثيرة.

العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش فوق^(١) سبع سماوات كما قال الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة^(٢) في قولهم: إن الله بكل^(٣) مكان، قال: والدليل على صحة قول أهل الحق قوله تعالى وذكر عدة آيات إلى أن قال: [*وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم*]^(٤). وهذا قليل من كثير من كلام من ذكر أن مسألة العلو فطرية ضرورية. وأما من نقل إجماع الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فأكثر من أن يذكر ولكن نبيه^(٥) على اليسير منه.

قال الشيخ أبو نصر السجزي^(٦)^(٧) في كتاب الإبانة^(٨) له: وأئمتنا كسفيان الثوري ومالك بن أنس وسفيان بن

(١) التمهيد: من فوق.

(٢) التمهيد: والجهمية.

(٣) التمهيد: في كل.

(٤) ما بين النجمين (* — *) غير موجود بعد ذكر الآيات التي أشار إليها ابن القيم في التمهيد المطبوع.

(٥) ظ، م: م: (نبه)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) ظ، م: م: (السجزي).

(٧) هو عبيدالله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي البكري أبو نصر من حفاظ الحديث واصله من سجستان ونسبته إليها على غير قياس سكن مكة وتوفي بها له كتب منها «الإبانة عن أصول الديانة» في الحديث — توفي سنة ٤٤٤.

العلو للذهبي، ص ١٨٠؛ الأعلام ٣٤٩/٤.

(٨) وذكر ذلك الذهبي في كتاب العلو، ص ١٨٠.

عينه وحامد بن سلمة وحامد بن زيد وعبدالله بن المبارك
 وفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم
 الحنظلي متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وأن
 علمه بكل مكان وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش
 وأنه ينزل إلى سماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما
 شاء فمن خالف شيئاً من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء
 وأبو نصر هذا كان مقيماً بمكة في أثناء المائة الخامسة وقال قبله
 الشيخ أبو عمر الطلمنكي المالكي (١) أحد أئمة وقته
 بالأندلس في كتاب الوصول إلى معرفة الأصول (٢) قال:
 وأجمع المسلمون من أهل السنة على معنى قوله:

﴿وَهُوَ^(٣) مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه وأن الله فوق
 السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء وقال أيضاً:
 قال أهل السنة في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ إن
 الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على
 المجاز».

(١) أبو عمر الطلمنكي: هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الأندلسي
 الطلمنكي أبو عمر - ولد سنة ٣٤٠ أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس كان
 عالماً في التفسير والحديث من كتبه «أصول الديانات» و«الوصول إلى معرفة الأصول»
 و«الدليل إلى معرفة الجليل» و«البيان في إعراب القرآن» أصله من طلمنكة - وتوفي بها
 سنة ٤٢٩.

انظر العلو للذهبي، ص ١٧٨، ١٧٩؛ الأعلام ٢١٢/١، ٢١٣.

(٢) وذكر ذلك الذهبي في كتابه العلو، ص ١٧٨.

(٣) ظ، م: (هو)، والآية وهو.

وقال الشيخ نصر المقدسي الشافعي^(١) الشيخ المشهور في كتابه «الحجة»^(٢) له: إن قال قائل قد ذكرت ما يجب على أهل الإسلام من اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما أجمع عليه / الأئمة والعلماء والأخذ بما عليه أهل السنة والجماعة فاذا ذكر مذاهبهم وما أجمعوا عليه من اعتقادهم وما يلزمنا من المصير إليه من إجماعهم فالجواب أن الذي أدركت عليه أهل العلم ومن لقيتهم وأخذت عنهم ومن بلغني قوله من غيرهم فذكر جل اعتقاد أهل السنة وفيه أن الله مستو على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه:

﴿حَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

وقال: قبله الحافظ أبو نعيم الأصبهاني^(٣) المشهور

(١) نصر المقدسي: هو نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود، النابلسي المقدسي أبو الفتح ولد سنة ٣٧٧ وكان شافعي المذهب يعرف بابن أبي حافظ من كتبه الحجة على تارك المحجة وقد اطلعت على نسخة منه في مكتبة حماد الأنصاري بخط يده قبل مدة. وله أيضاً التهذيب في الفقه والتقريب والفصول توفي بدمشق سنة ٤٩٠. تبين كذب المفتري، ص ٢٨٦؛ شذرات الذهب ٣/٣٩٥، ٣٩٦؛ الأعلام ٨/٢٠.

(٢) وقد ذكر الذهبي في كتابه العلو، ص ١٨٧. من هذا النص قوله: «وإن الله مستو على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه».

(٣) أبو نعيم الأصبهاني: هو أحمد بن عبدالله بن إسحاق أبو نعيم الأصبهاني ولد سنة ٣٣٦ بأصبهان حافظ مؤرخ قال ابن الجوزي: سمع الكثير وصف الكثير وكان يميل إلى مذهب الأشعري ميلاً كثيراً، له كتب منها «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» و«دلائل النبوة»، وكتاب «الشعراء» وغيرها توفي بأصبهان سنة ٤٣٠.

البداية والنهاية ١٢/٤٩، ٥٠؛ ميزان الاعتدال ١/١١١؛ الأعلام ١/١٥٧.

صاحب التصانيف المشهورة كحلية^(١) الأولياء وغيرها في عقيدته المشهورة عنه طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة فما اعتقدوه اعتقدناه فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وأن الله بائن من خلقه والخلق بائون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج^(٢) بهم، وهو مستو على عرشه في سماواته من دون أرضه.

وقال الشيخ أبو أحمد الكرجي^(٣) الإمام المشهور في أثناء المائة الرابعة في العقيدة التي ذكر أنها اعتقاد أهل السنة والجماعة وهي العقيدة التي كتبها للخليفة^(٤) القادر بالله^(٥) وقرأها على الناس وجمع الناس عليها وأقر بها طوائف أهل السنة وكان قد استتاب من خرج عن السنة من المعتزلة

(١) ظ: (كحلة).

(٢) ظ: (لا يمتزج) بحذف واو العطف.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) ظ، م: (الخليفة)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) القادر بالله: هو أحمد بن إسحاق بن المقتدر أبو العباس القادر بالله الخليفة العباسي ولد سنة ٣٣٦ وولي الخلافة سنة ٣٨١ وكان حازماً مهيباً على مذهب أهل السنة في الاعتقاد قال ابن كثير: وصنف قصيدة فيها فضائل الصحابة وغير ذلك فكانت تقرأ في حلق أصحاب الحديث كل جمعة في جامع المهدي وتجمع الناس لسماعها مدة خلافته» قلت ولعل الذي كتبها أبو أحمد الكرجي المذكور آنفاً... توفي القادر بالله سنة ٤٢٢ رحمه الله.

البداية والنهاية ١١/٣٤٥، ٣٤٦؛ الأعلام ١/٩٦.

والرافضة ونحوهم سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وكان حينئذ قد تحرك ولاية الأمور لإظهار السنة لما كان الحاكم المصري وأمثاله من^(١) الملاحدة قد انتشر أمرهم فكان أهل ابن سينا وأمثالهم من أهل دعوتهم وأظهر السلطان محمود بن سبكتكين^(٢) لعنة أهل البدع على المنابر، وأظهر السنة وتناظر عنده ابن الهيثم^(٣) وابن فورك في مسألة العلو، فرأى قوة كلام ابن الهيثم فرجح ذلك^(٤) ويقال إنه قال لابن فورك، فلو أردت، أن تصف المعدوم كيف كنت تصفه بأكثر من هذا؟ وقال فرق^(٥) لي بين هذا الرب الذي تصفه وبين المعدوم؟ وأن ابن فورك كتب إلى أبي إسحاق الإسفراييني يطلب الجواب عن ذلك فلم يكن الجواب إلا أنه لو كان فوق العرش للزم أن يكون جسماً ومن الناس من يقول: إن السلطان لما ظهر له فساد قول ابن فورك سقاه السم حتى قتله وتناظر عنده فقهاء الحديث من أصحاب الشافعي وغيرهم

(١) ظ، م: (وأمثال من ليه الملاحدة)، ولعل ليه زائدة.

(٢) محمود بن سبكتكين: هو محمود بن سبكتكين أبو القاسم يمين الدولة صاحب بلاد غزنة الإمام العادل فاتح بلاد الهند وكان على رأي الكرامية في الاعتقاد توفي سنة ٤٢١. البداية والنهاية ٣٠/١٢ - ٣٣؛ الأعلام ١٧١/٧.

(٣) هو محمد بن الهيثم من رؤوس الكرامية ومن أصحاب عبدالله بن كرام من كتبه جمل الكلام من أقواله أن الله تعالى في جهة فوق العرش لا نهاية لها والبعد بينه وبين العرش أيضاً متناه.

انظر عنه وعن مذهبه لسان الميزان ٣٥٤/٥؛ الملل والنحل ٤٧/١؛ نهاية الإقدام، ص ١٠٥، ١١٤؛ درء تعارض ٤٧/٢؛ تلخيص المحصل، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٤) وقد ذكر هذه القصة ابن كثير في البداية والنهاية ٣٣/١٢.

(٥) ظ، م: (فوق).

وفقهاء الرأي فرأى قوة مذهب أهل الحديث فرجحه، وغزا
المشركين بالهند، وهذه العقيدة مشهورة وفيها: كان ربنا
وحده ولا شيء معه ولا مكان يحويه خلق كل شيء بقدرته
وخلق العرش لا حاجة إليه، فاستوى عليه استواء استقرار
كيف شاء وأراد، لا استواء راحة كما يستريح الخلق وهو يدبر
السموات والأرض ويدبر ما فيها ومن في البر والبحر
لا مدبر^(١) غيره، ولا حافظ سواه يرزقهم ويمرضهم
ويعافهم ويميتهم، والخلق كلهم عاجزون، والملائكة
والنبيون والمرسلون وسائر الخلق أجمعين، والقادر بقدرة
والعالم بعلم أزلي غير مستفاد وهو السميع بسمع، والبصير
ببصر يعرف صفتها من نفسه ولا يبلغ كنهها أحد من خلقه
متكلم بكلام يخرج منه لا بآلة مخلوقة كآلة المخلوقين
لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه صلى الله
عليه وسلم وكل صفة^(٢) وصف بها نفسه أو وصفه بها نبيه
فهي صفة حقيقية لا صفة مجاز.

وقال أبو عمر^(٣) أيضاً: أجمع^(٤) علماء الصحابة
والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا: في تأويل قوله
تعالى^(٥):

(١) م: (يدبر).

(٢) ظ، م: (وصفه)، والصواب ما أثبت.

(٣) انظر التمهيد لابن عبد البر ٧/١٣٨، ١٣٩.

(٤) التمهيد: ... لأن علماء الصحابة.

(٥) التمهيد: في تأويل هذه الآية. ولم يذكر الآية لأنه ذكرها قبل ذلك.

﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧].

هو على العرش، وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.

وقال أيضاً^(١): أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يجدون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئاً على الحقيقة، ويزعم^(٢) أن^(٣) من أقرَّ بها مثبتة^(٤)، وهم عند من أقرَّ بها^(٥) نافون للمعبود (يلاشون أي يقولون لا شيء)^(٦) والحق فيها ما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله وهم أئمة الجماعة.

وقال الشيخ العارف معمر^(٧) بن أحمد الأصفهاني^(٨)

(١) انظر التمهيد لابن عبد البر ١٤٥/٧.

(٢) التمهيد: ويزعمون.

(٣) ظ، م: (أنه)، وما أثبتته من التمهيد.

(٤) التمهيد: مشبه.

(٥) التمهيد: من أثبتها.

(٦) ما بين (القوسين) ليس في التمهيد.

(٧) ظ، م: (بكر)، وما أثبتته من درء تعارض العقل والنقل.

(٨) معمر بن أحمد الأصفهاني: هو أبو منصور معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصفهاني له

«رسالة في التصوف» تشستريتي برقم (٣٦٨٢) توفي سنة ٤١٨.

شذرات الذهب ٢١١/٣؛ سزكين المجلد الأول ١٨٧/١ - ١٨٨.

أحد شيوخ الصوفية في أواخر المائة الرابعة: أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة .

وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر وأهل / المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها: وإن الله مستو على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول وإنه عز وجل مستو على عرشه بائن من خلقه، والخلق منه بائون بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق وإن الله سميع بصير، عليم خبير، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء «فيقول: هل من داع، فاستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر»^(١).

ونزول الرب إلى سماء الدنيا بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال .

وقال عبدالرحمن ابن أبي حاتم^(٢): سألت أبي وأبازرعة عن مذاهب أهل السنة يعني في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً، وعراقاً^(٣)، ومصرأً وشامأً ويمناً وكان من مذاهبهم أن الإيمان قول

(١) سبق تخريجه، ص ٣٨٧ .

(٢) انظر: العلو للذهبي، ص ١٣٨ .

(٣) م: (أوعراقاً) .

وعمل، يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته إلى أن قالوا: إن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف أحاط بكل شيء علماً».

وقال الشيخ الإمام المتفق على إمامته وعلمه وصلاحه وكراماته أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي (١) إن (٢) الله وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك رسوله خاتم الأنبياء وأجمع على ذلك جميع (٣)، العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين وجمع الله عليه قلوب المسلمين وجعله مغروراً في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب (٤) يلحظون السماء بأعينهم ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم (٥) وينظرون (٦) مجيء الفرج من ربهم وينطقون بذلك بألسنتهم، ولا ينكر (٧) ذلك إلا مبتدع غال في بدعته أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته».

(١) انظر: مقدمة، إثبات صفة العلو، لابن قدامة مخطوط في المكتبة السعودية بالرياض ضمن مجموع برقم (٨٦/٥٢٠)، وقد طبع مع مجموعة رسائل. كما طبع في الكويت قريباً.

(٢) إثبات: (فإن).

(٣) ظ، م: (جمع) وما أثبتته من إثبات صفة العلو.

(٤) إثبات زاد: بهم.

(٥) ظ: (وأيديهم).

(٦) إثبات: ويتنظرون.

(٧) إثبات: لا ينكر بحذف واو العطف.

قال^(١): «وأنا ذاك في هذا^(٢) الجزء^(٣)»^(٤) ما بلغني في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والأئمة المقতدين^(٥) بسنته على وجه يحصل القطع واليقين بصحة ذلك عنهم ويعلم تواتر الرواية بوجوده منهم ليزداد من وقف عليه من المؤمنين إيماناً ويثبت من خفي عليه ذلك حتى يصير كالمشاهد له عياناً^(٦).

وقال أبو عبدالله القرطبي^(٧) المالكي في شرح الأسماء الحسنى^(٨)، لما ذكر اختلاف الناس في تفسير الاستواء قال: وأظهر الأقوال في ذلك ما تظاهرت عليه الآي والأخبار وقاله الفضلاء: الاختيار أن الله على عرشه كما أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه بلا كيف بائن من خلقه. هذا مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات.

(١) ما بعد قال متصل بما قبلها.

(٢) (هذا): ليس في إثبات.

(٣) ظ، م: (الخبر).

(٤) إثبات: بعض ما بلغني من الإخبار في ذلك.

(٥) إثبات: المتقدمين.

(٦) انتهى كلام ابن قدامة.

(٧) أبو عبدالله القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي

الأندلسي، أبو عبدالله القرطبي من كبار المفسرين من كتبه «الجامع لأحكام القرآن»

و«الأسنى في شرح الأسماء الحسنى» و«التقريب لكتاب التمهيد» توفي بمصر سنة ٦٧١.

طبقات المفسرين لابن الداودي ٦٥/٢، ٦٦؛ الأعلام ٣٢٢/٥.

(٨) لم أجد هذا النص في الجزء الأول من الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» فلعله

في الجزء الثاني.

والجزء الأول في مكتبة عارف حكمت في المدينة مخطوط برقم (٨٨) أدعية وله مصورة في

جامعة الإمام برقم (٢٢٨).

وقال أيضاً في كتابه في التفسير^(١) لما تكلم على آية الاستواء قال: هذه مسألة الاستواء وللعلماء^(٢) فيها كلام^(٣) وقد بينا أقوال العلماء في شرح الأسماء الحسنى وذكرنا فيها أربعة عشر قولاً وذكر قول النفاة المعطلين، فقال: وإنهم يقولون^(٤) إذا وجب تنزيه الرب عن الجهة^(٥) والحيز فمن ضرورة ذلك ولو احقه^(٦) تنزيه الرب^(٧) عن الجهة فليس بجهة فوق عندهم لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز^(٨)، ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون ويلزم من ذلك التغير والحدوث^(٩) قال: «وكان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم^(١٠) والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه مستو على عرشه حقيقة^(١١) وإنما جهلوا كيفية الاستواء».

-
- (١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٩/٧، دار الكتاب العربي.
(٢) م: (للعلماء)، بحذف واو العطف.
(٣) الجامع: كلام وإجراء.
(٤) (وإنهم يقولون): ليست في الجامع.
(٥) (الجهة): ليست في ظ.
(٦) الجامع زاد: اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين.
(٧) الجامع: تنزيهه تبارك وتعالى.
(٨) ظ: (وحين)؛ م: (وحيز) وما أثبتته من الجامع.
(٩) الجامع: والسكون للمتخيز والتغير والحدوث.
(١٠) ظ: (نطقوهم).
(١١) الجامع زاد: وخص بذلك العرش لأنه أعظم مخلوقاته.

وقال أبو بكر^(١) النقاش: حدثنا أبو العباس السراج قال سمعت قتيبة بن سعيد^(٢) يقول^(٣) هذا قول الأئمة^(٤) في الإسلام والسنة والجماعة، نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وقال الخلال^(٥): في كتاب السنة^(٦) أخبرنا المروزي حدثنا محمد بن الصباح النيسابوري حدثنا سليمان بن داود الخفاف قال: قال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه قال الله تبارك وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فهو فوق سماواته على عرشه ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة وفي

(١) (بكر): إضافة من درء تعارض العقل والنقل ٦/٢٦٠. وانظر: العلو للذهبي، ص ١٢٨.

(٢) هو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبدالله الثقيفي، مولاهم أبورجاء البغلاني وبغلان من قرى بلخ في أفغانستان حالياً ولد سنة ١٥٠. روى عن مالك والليث وحماد بن زيد وغيرهم وروى عنه الجماعة سوى ابن ماجه وأحمد بن حنبل وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم قال ابن معين وأبو حاتم النسائي ثقة توفي سنة ٢٤٤. انظر: تهذيب التهذيب ٨/٣٥٨، ٣٦١؛ العلو للذهبي، ص ١٢٨؛ الأعلام ١٨٩/٥.

(٣) انظر: العلو للذهبي، ص ١٢٨.

(٤) ظ: (الآية)؛ م: (الأمة) والصواب ما أثبت.

(٥) الخلال: هو أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال من كبار الحنابلة مفسر عالم بالحديث واللغة من كتبه «تفسير الغريب»، وكتاب «العلل» و«الجامع لعلوم الإمام أحمد» وكتاب «السنة»، وهو موجود في المتحف البريطاني وعندي منه نسخة مصورة. توفي الخلال سنة ٣١١.

البداية والنهاية ١١/١٦٦؛ تاريخ التراث العربي ١/٣/٢٣٣، ٢٣٤؛ الأعلام ٢٠٦/١.

(٦) انظر: درء تعارض ٦/٢٦٠.

[٢٠٣/١]

قعر البحار وفي رؤوس الأكام ويطون الأودية. وفي كل موضع كما يعلم علم ما في السموات السبع، وما دون العرش أحاط بكل شيء علماً فلا تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات / الأرض ولا رطب، ولا يابس إلا في كتاب، قد عرف ذلك وأحصاه، ولا يعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره.

وفي كتاب السنة^(١) لعبدالله بن الإمام أحمد وكتاب الرد على الجهمية لعبدالرحمن ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبي إمام أهل البصرة علماً وديناً من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد وإسحاق أنه ذكر عنده^(٢) الجهمية فقال: هم شر قولاً من اليهود والنصارى، قد أجمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله فوق العرش وقالوا هم: ليس عليه شيء.

وروي أيضاً في هذين الكتابين^(٣) عن عبدالرحمن بن مهدي الإمام المشهور قال: أصحاب جهم يريدون أن يقولوا: إن الله لم يكلم موسى، ويريدون أن يقولوا ليس في

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ١٥، ١٦.
ورواه ابن أبي حاتم كما في العلو للذهبي، ص ١١٧.
قال محقق خلق أفعال العباد إسناده ضعيف لجهالة الوساطة بين ابن أبي حاتم وسعيد بن عامر.
(٢) ظ، م: (عنه)، والصواب ما أثبت.
(٣) انظر: قول عبدالرحمن بن مهدي في كتاب السنة ١٠/١.
وانظر: خلق أفعال العباد للبخاري، ص ٢٧، ٢٨.

السماء شيء وأن الله ليس على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا».

وروى عبدالله بن أحمد في كتاب السنة^(١) عن عباد بن العوام الواسطي من طبقة عبدالرحمن بن مهدي وذويه قال كلمت بشر المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا ليس في السماء شيء.

وقال علي بن عاصم شيخ البخاري^(٢): ناظرت جهمياً^(٣) فبين من كلامه أنه لا يرى أن في السماء ربا. ذكره عبدالله بن أحمد^(٤) وابن أبي حاتم.

وروى عبدالله بن أحمد^(٥) عن سليمان بن حرب قال سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية، فقال: إنما يجادلون^(٦) أن يقولوا ليس في السماء شيء وروى عن أبيه^(٧)

-
- (١) انظر: كتاب السنة لعبدالله بن أحمد ١/١٣، ٣٢.
وانظر: العلو للذهبي، ص ١١٢.
(٢) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد ١/٣٠.
والعلو للذهبي، ص ١٢٢.
(٣) في كتاب السنة لعبدالله بن أحمد: جهماً وكذا في العلو للذهبي.
(٤) م: (أحمد ابن) بدون واو العطف.
(٥) رواه عبدالله بن أحمد في السنة ١/١٠.
ورواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ١٤.
ورواه ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية كما في العلو للذهبي، ص ١٠٦، ١٠٧.
(٦) في العلو للذهبي: يدورون على أن، ودرء تعارض: يجادلون.
(٧) انظر: كتاب السنة لعبدالله بن أحمد ١/٥، ٣٤.

حدثنا شريح بن النعمان قال سمعت عبد الله بن نافع الصانع قال سمعت مالك بن أنس يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان».

وروى البيهقي^(١) بإسناد صحيح عن الأوزاعي: قال كنا نحن - والتابعون متوافرون^(٢) - نقول: إن الله تعالى فوق عرشه، نؤمن بما وردت به السنة من صفاته فقد ذكر الأوزاعي وهو أحد الأئمة في عصر تابعي التابعين الذين كان فيهم مالك وابن الماجشون وابن أبي ذئب^(٣) ونحوهم من أئمة أهل الحجاز والليث بن سعد ونحوه من أئمة مصر والثوري وابن أبي ليلى وأبو حنيفة ونحوهم من أئمة أهل الكوفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن عيينة ونحوهم من أئمة أهل البصرة، فهؤلاء وأمثالهم أئمة الإسلام شرقاً وغرباً في ذلك الزمان وقد حكى الأوزاعي شهرة القول بأن الله فوق عرشه، في زمن التابعين، وقال أبو حنيفة^(٤): من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقد كفر، لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وعرشه فوق سبع

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي ٥/٥. دار الكتب العلمية ١٤٠٥.

(٢) ظ، م: (متوافرين) والصواب ما أثبت.

انظر: الأسماء والصفات للبيهقي ٥/٥.

(٣) ابن أبي ذئب: هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، ولد سنة ٨٠، تابعي من أهل المدينة من رواة الحديث كان ورعاً تقياً. توفي سنة ١٥٨.

تهذيب التهذيب ٣٠٣/٩، ٣٠٧؛ ميزان الاعتدال ٣/٦٢٠؛ الأعلام ٧/٦١.

(٤) انظر: شرح الفقه الأكبر، ص ١٠٢، ١٠٣.

انظر: العلو للذهبي، ص ١٠١، ١٠٢.

سماوات قال أبو مطيع: قلت: فإن قال «إنه على العرش، وقال لا أدري العرش في السماء أم في الأرض، قال هو كافر لأنه أنكر أن يكون الله في السماء، لأنه تعالى في أعلى عليين وهو يدعي من أعلى لا من أسفل، وفي لفظ آخر قال أبو مطيع: سألت أبا حنيفة عمن قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض؟ قال: قد كفر لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ وعرشه فوق سبع سماوات، قال فإنه يقول على العرش استوى ولكنه لا يدري العرش في الأرض أم في السماء؟ قال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر، ذكره البيهقي وغيره.

وروى عبد الله بن أحمد^(١) وغيره عن عبد الله بن المبارك بأسانيد صحيحة بأنه سئل بماذا نعرف ربنا قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما تقول الجهمية بأنه ها هنا في الأرض. وهكذا، قال الإمام أحمد فيما حكاه الخلال عنه في الجامع^(٢)، قال في رواية ابنه عبد الله: باب ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش، قلنا: لم أنكرتم أن الله على العرش؟ وقد قال جل ثناؤه:

-
- (١) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد ٧/١، ٣٥، ٧٢.
 ورواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ١٥.
 وانظر: العلو للذهبي، ص ١١٠.
 ورواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٤٢٧.
 وقد أشار المصنف إلى صحة أسانيد.
 (٢) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد، ص ١٣٥.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥].

وقال :

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد : ٤].

ثم قال : وقد أخبرنا أنه في السماء فقال :

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك : ١٧].

وقال جل ثناؤه :

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾
[فاطر : ١٠].

وقال :

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران : ٥٥].

وقال :

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء : ١٥٨].

وقال :

﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ [الأنبياء : ١٩].

وقال :

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل : ٥٠].

وقال :

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج : ٣].

وقال :

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام : ١٨].

وقال:

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد أخبر الله أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل
مذموماً يقول جل ثناءه:

﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥].

إلى أن قال: ومعنى قول الله عز وجل:

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٣].

يقول: هو إله من في السموات وإله [من] (١) في
الأرض، وهو الله على العرش، وقد أحاط علمه بما دون
العرش، لا يخلو من علم الله مكان، ونصوص أحمد في ذلك
كثيرة جداً مذكورة في غير هذا الموضع.

وأما الشافعي فقد / صرح في خطبة الرسالة (٢) بأن الله
سبحانه لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وصرح بأن خلافة
الصديق حق قضاها الله فوق سماواته، وجمع عليها قلوب
عباده، وصرح في باب الكفارة في حديث الجارية، وقول
النبي صلى الله عليه وسلم لها. أين الله؟ قال الشافعي

[٢٠٤/١]

(١) (من): إضافة من م.

(٢) انظر: الرسالة للشافعي، ص ٨، وقد سبق ذكره ١٥٣.

فلما وصفت الإيمان قال أعتقها فإنها مؤمنة، فجعل إقرارها بأن الله في السماء إيماناً^(١).

وذكر^(٢) البخاري في كتاب خلق الأفعال^(٣) عن وهب بن جرير أحد أئمة الإسلام قال: الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى، وعن حماد بن زيد^(٤): القرآن كلام الله نزل به جبريل ما يجادلون إلا أنه^(٥) ليس في السماء إله.

وقال ابن المبارك^(٦) لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض ها هنا، بل على العرش استوى، وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال فوق سمواته على عرشه، وقال^(٧) لرجل من الجهمية أتظنك^(٨) خال منه؟ فبهت الآخر.

وذكر البخاري في هذا الكتاب أيضاً قول سعيد بن عامر، وقد تقدم^(٩) وقال^(١٠) عن شيخه علي بن عاصم

(١) انظر: هذا المعنى في كتاب الأم للشافعي ٦٥/٧.

(٢) (وذكر): مكرر في ظ.

(٣) قول وهب في خلق أفعال العباد، ص ١٣.

(٤) انظر: خلق أفعال العباد، ص ١٤.

وفي السنة لعبدالله بن أحمد الشطر الأول من العبارة، ص ٢٥.

(٥) ظ، م: (أن)، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٦) سبق انظر: ص ١٢٩٨.

(٧) انظر: خلق أفعال العباد، ص ١٥.

(٨) ظ، م: (ابطنك)، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٩) انظر: ص ١٢٩٥.

(١٠) انظر: خلق أفعال العباد، ص ١٦.

احذر من المريسي وأصحابه فإن كلامهم أبو جاد^(١) (٢)
الزندقة، وأنا كلمت أستاذهم جهماً، فلم يثبت أن في السماء
إلهاً، وقال يزيد ابن هارون^(٣) من زعم أن الرحمن على
العرش استوى على خلاف ما تقرر في قلوب العامة
فهو جهمي^(٤)، وقال صدفة^(٥)، سمعت سليمان التيمي
يقول: لو سئلت أين الله تعالى؟ لقلت في السماء، فإن قال
فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت على الماء، فإن قال فأين
كان عرشه قبل الماء^(٦)؟ لقلت لا أعلم.

وفي مسائل جرت لأحمد وإسحاق إن الله سبحانه وصف
نفسه في كتابه بصفات استغنى الخلق أن يصفوه بغيرها
[فمما]^(٧) وصف به نفسه من ذلك قوله تعالى:

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ ﴾

[البقرة: ٢١٠].

(١) خلق أفعال العباد: يستجلب.

(٢) لعله يعني بقوله أبو جاد الزندقة: مبادئ الزندقة أخذاً من الحروف الأبجدية وهي
حروف حساب الجمل أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت على ما يستعمله
المنجمون والحساب. ويقال إن «أبو جاد»، هوز حطي، كلمن. سعفص. قرشت.
أسماء ملوك كانوا للعرب العاربة مفاتيح العلوم، ص ١١٤، الفهرست، ص ٦.

(٣) انظر: خلق أفعال العباد، ص ٢٤.

السنة لعبدالله بن أحمد، ص ١١، ١٢، قال بدر البدر إنسانه صحيح.

(٤) في خلق أفعال العباد زاد: ومحمد الشيباني جهمي.

(٥) انظر: خلق أفعال العباد، ص ٢٤، ٢٥، وقال بدر البدر: إنسانه صحيح.

(٦) ظ، م: (على)، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٧) (فمما): ليست في ظ، م وبها تستقيم العبارة.

وقوله:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥].

وآيات مثلها تصف العرش وقد ثبتت الروايات في العرش وأعلى شيء فيه وأثبته قول الله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

وذكر عن خارجة بن مصعب قال: الجهمية كفار لا تنكحوا إليهم ولا تنكحوهم^(١) ولا تعودوا مرضاهم^(٢) ولا تشهدوا جنازتهم وبلغوا نساءهم أنهم طوالق وأنهن لا يبحن لأزواجهن وقرأ (طه) إلى قوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

ثم قال وهل يكون الاستواء إلا الجلوس؟ وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة^(٣): من لم يقل بأن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقى على مزبلة لثلا يتأذى بتتن ريجه أهل القبلة، ولا أهل الذمة، ذكره عنه أبو عبد الله الحاكم في كتاب علوم الحديث له وفي كتاب تاريخ نيسابور، وذكره أبو عثمان النيسابوري في رسالته المشهورة وروى

(١) م: (لا تناكحوا إليهم ولا تناكحوهم).

(٢) انظر: السنة لعبدالله بن أحمد ٥/١، بنحوه.

(٣) انظر: العلو للذهبي، ص ١٥٢.

الخلال بإسناد كلهم ثقات عن سفیان بن عیینة قال: سئل ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فقال: الاستواء معلوم^(١) والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق.

وقد روي هذا الكلام عن الإمام مالك من وجوه متعددة^(٢) وروى ابن أبي حاتم^(٣)، عن هشام بن عبيدالله الرازي أنه حبس رجلاً في التجهم فجيء به إلى هشام ليتمتحنه، فقال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ قال: لا أدري ما بائن من خلقه فقال: ردوه إلى الحبس، فإنه لم يتب.

وروي^(٤) أيضاً عن عبدالله ابن أبي جعفر الرازي أنه جعل يضرب قرابة له بالنعل على رأسه يرى رأي جهم قال: لا حتى يقول الرحمن على العرش استوى بائن من خلقه.

وروي^(٥) أيضاً عن جرير بن عبد الحميد الرازي أنه قال: كلام الجهمية أوله غسل وآخره سم، وإنما يجادلون أن يقولوا ليس في السماء إله.

وقال أبو الوليد بن رشد في كتاب مناهج الأدلة^(٦):

(١) ظ، م: (مجهول)، والصواب ما أثبت.

(٢) سبق تحقيقه ٩٢٣.

(٣) انظر: درء تعارض ٢٦٥/٦.

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٢٦٥/٦.

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل ٢٦٥/٦.

(٦) انظر: مناهج الأدلة لأبي الوليد بن رشد، ص ١٧٦؛ وانظر: ص ٢١٦.

القول في الجهة وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة في (١) أول الأمر يثبتونها لله حتى نفتها المعتزلة وتبعهم على ذلك متأخرو الأشعرية وساق أدلة القرآن عليها إلى أن قال، و (٢) الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء؟ وأن منها تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى قرب من سدرة المنتهى قال: «وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك» ثم قرر ذلك بالدليل العقلي، وبين بطلان شبهة المعطلة، وهذه النقول التي حكيناها قليل من كثير، وقد ذكرنا أضعاف أضعافها في كتاب «اجتماع العساكر الإسلامية على غزو الفرقة الجهمية» وهي تبين كذب من قال إنه لم يقل بذلك إلا الكرامية (٣) والحنبلية (٤) وفريته وجهله والمقصود بأن علو

(١) مناهج الأدلة (من). (٢) مناهج الأدلة (لان).

(٣) الكرامية إحدى فرق المرجئة وسموا بذلك نسبة إلى محمد بن كرام من أهل سجستان وهم يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب وزعموا أن المنافقين الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنين على الحقيقة. وزعموا أن الكفر بالله هو جحوده وإنكاره باللسان. وهم فرق الطريقة، الإسحاقية. العابدية. الهيصمية. وغيرها. وكانوا يثبتون الصفات إلا أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه. انظر: مذاهب الإسلاميين ١/٢٢٣؛ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ١٠١؛ الملل والنحل ١/١٤٤؛ رسالة في الرد على الرافضة، ص ١٦٣، ١٦٥.

(٤) الحنبلية: هم أتباع الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل إمام أهل السنة وهم الذين التزموا مذهب السلف من أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات فأثبتوا لله ما أثبتته لنفسه ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه وقالوا بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن — الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

رسالة في الرد على الرافضة، ص ١٦٢.

الخالق على المخلوقات كلها، وكونه / فوق العالم أمر مستقر في فطر العباد، معلوم^(١)، بالضرورة كما اتفق عليه جميع الأمم من غير تواطوء وتشاعر، بخلاف النفي والتعطيل فإنه يتلقاه بعضهم عن بعض كسائر المقالات الباطلة المخالفة لصريح العقل والنقل.

فصل

ومما ينصرف [إلى]^(٢) ذلك أن العباد كلهم مضطرون إلى دعاء الرب سبحانه وسؤاله وقصده، والافتقار إليه كما قال الله تعالى:

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

[الرحمن: ٢٩].

وهم مضطرون إلى توجيه قلوبهم إلى العلو كما أنهم مضطرون إلى دعائه وقصده وسؤاله كما أنهم يضطرون إلى الإقرار به وأنه ربهم وخالقهم ومليكمهم ولا يجدون فرقاً بين هذا الاضطرار وهذا، فكما لا تتوجه قلوبهم إلى رب غيره ولا إلى إله سواه فكذلك لا يجدون في قلوبهم توجهاً إلى جهة أخرى غير العلو، بل يجدون قلوبهم مضطرة إلى قصد جهة العلو دون سائر الجهات وهذا يتضمن اضطرارهم إلى قصده سبحانه في العلو، وإقرارهم وإيمانهم بذلك.

(١) م: (معلوم لهم).

(٢) (إلى): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

فصل

الطريق الثالث^(١):

إنه قد ثبت بصريح العقل أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص فإن الله سبحانه يوصف بالكمال منهما دون النقص ولهذا لما تقابل الموت والحياة وصف بالحياة دون الموت، ولما تقابل العلم والجهل وصف بالعلم دون الجهل وكذلك العجز والقدرة والكلام (والخرس والبصر والعمى، والسمع والصمم والغنى والفقر ولما تقابلت المباينة للعالم والمداخلة له وصف)^(٢) بالمباينة دون المداخلة، وإذا كانت المباينة تستلزم علوه على العالم أو سفوله عنه، وتقابل العلو والسفول وصف بالعلو دون السفول وإذا كان مبايناً للعالم كان من لوازم مباينته أن يكون فوق العالم ولما كان العلو صفة كمال^(٣) كان ذلك من لوازم ذاته فلا يكون مع وجود العالم إلا عالياً عليه ضرورة، ولا يكون سبحانه إلا فوق المخلوقات كلها ولا تكون المخلوقات محيطة به أصلاً، وإذا قابلت بين هذه المقدمات ومقدمات شبه المعطلة ظهر لك الحق من الباطل.

(١) ظ، م: (الرابع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ما بين القوسين سقط من م.

(٣) ظ، م: (كما)، ولعل الصواب ما أثبت.

فصل

الطريق الرابع^(١):

الوجه الحادي
والخمسون بعد المائة

إنه إذا كان سبحانه مبيناً للعالم فإما أن يكون محيطاً به أو لا يكون محيطاً به فإن كان محيطاً به لزم علوه عليه، قطعاً ضرورة علو المحيط على المحاط به، ولهذا لما كانت السماء محيطة بالأرض كانت عالية عليها، ولما كان الكرسي محيطاً بالسموات كان عالياً عليها، ولما كان العرش محيطاً بالكرسي كان عالياً، فما كان محيطاً بجميع ذلك كان عالياً عليه ضرورة ولا يستلزم ذلك محايثته لشيء مما هو محيط به، ولا مماثلته ومشايمته له، فإذا كانت السماء محيطة بالأرض، وليست مماثلة لها فالتفاوت الذي بين العالم ورب العالم أعظم من التفاوت الذي بين الأرض والسماء، وإن لم يكن محيطاً بالعالم بأن لا يكون العالم كريباً، بل تكون السموات كالسقف المستوي، فهذا وإن كان خلاف الإجماع، وخلاف ما دل عليه العقل والحس، فلو قال به قائل لزم أيضاً أن يكون الرب تعالى عالياً على العالم، لأنه إذا كان مبيناً وقدر أنه غير محيط، فالمباينة تقتضي ضرورة أن يكون في العلو أو في جهة غيره، ومن المعلوم بالضرورة أن العلو أشرف بالذات من سائر الجهات فوجب ضرورة اختصاص الرب بأشرف الأمرين، وأعلاهما، والمعطلة تقول هذه القضية خطابية لا برهانية ولعمر الله إنك لو سألت كل صحيح التمييز والفطرة عن ذلك لوجدت في فطرته أن الرب تعالى

(١) ظ، م: (الخامس)، ولعل الصواب ما أثبت.

أولى وأحق بهذه القضية التي يسميها هؤلاء خطابية، وليس في المعقول أصح من هذه المقدمة وتسميتها خطابية لا تقتضي جحد العقول الصحيحة لها وإنكارها للرب سبحانه.

فصل

الطريق الخامس^(١):

ما احتج به الإمام أحمد نفسه على الجهمية فقال^(٢): الوجه الثاني وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله، فقل له ليس الله كان ولا شيء؟ فيقول نعم، فقل له: فحين خلق الخلق خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال: [لا بد له من] ^(٣) واحد منها إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه، فقد كفر، حين زعم أنه خلق الجن والشياطين في نفسه، وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا أيضاً كفراً حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش قدر رديء، وإن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجح قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة، وبقي ها هنا قسمان، سكت الإمام أحمد عن التعرض لإبطلتهما، لأن بطلانهما معلوم بالضرورة / فإن أحدهما يتضمن إثبات النقيضين والآخر يتضمن رفعهما.

[٢٠٦/١]

فالأول^(٤): يكون خلقهم خارجاً عن نفسه وداخلاً في

نفسه.

(١) ظ، م: (السادس)، ولعل الصواب ما أثبت. (٢) سبق، انظر ص ١٢٤١.

(٣) (لا بد له من) من كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد، ص ١٣٩.

(٤) ظ: (فالأولان)؛ م: (فالأولون)، ولعل الصواب ما أثبت.

والثاني: أن يكون غير خارج عنهم ولا داخل فيهم أو يكونوا غير خارجين عنه، ولا داخلين فيه، فإن نفي هذا كنفي أن يكون قائماً بنفسه، وقائماً بغيره، وأن يكون قديماً ومحدثاً ونحو ذلك مما ينفي فيه النقيضان ولا يغني الجهمي في هذا المقام اعتذاره بأنه غير قابل للدخول والخروج والمباينة والمحايثة لثلاثة أوجه:

أحدهما: أن يقال له، وهكذا قال أخوك معطل الذات سواء: إنه غير قابل للقدم والحدوث فما كان جوابك له فهو جواب أهل الإثبات لك.

الثاني: أن هذا التقسيم يتناول كل موجود ولا يخرج عنه إلا العدم^(١) المحض، فإنه تقسيم حاصر، ولا واسطة بين نفيه وإثباته البتة، بل هذا حكم كل موجودين بالضرورة فإنه إما أن يكون أحدهما مبيناً للآخر أو غير مبائن له كما يقال إما أن يكون أحدهما قائماً بالآخر أو غير قائم به وإن كان هذا مكابرة صريحة للعقل، وكذلك إما أن يكون متقدماً عليه أو مقارناً له، فقولكم إن هذا فيما هو قابل كلام باطل، يتضمن رفع النقيضين والخلو منهما.

الثالث: أن يقال: لا يتصور العقل شيئاً غير قابل لذلك إلا العدم^(٢) المحض والنفي الصرف^(٣)، ودعواكم على العقل أنه يثبت قسماً آخر غير قابل للنقيضين كذب على العقل وفرية.

(١) ظ: (لعدم).

(٢) ظ، م: (لعدم).

(٣) ظ، م: (والصرف)، ولعل الواو زائدة.

فصل

يوضحه الطريق السادس^(١):

أن يقال كل موجودين فيما أن يكون أحدهما قائماً بنفسه أوقائماً بالآخر فإن كان قائماً بالآخر امتنع قيام الآخر به ضرورة وإن كان قائماً بنفسه فحقيقته خارجة عن حقيقة الآخر ضرورة وإلا لزم اتحادهما وإذا كانت حقيقته خارجة عن حقيقة الآخر كان مبيناً له بالضرورة وهذا برهان ضروري لا يقدر فيه إلا ما يقدر في سائر الضروريات.

فصل

الطريق السابع^(٢):

أن يقال الرب سبحانه، إما أن يكون موجوداً خارج الأذهان موجوداً في الأعيان، أو لا يكون له وجود خارجي. فإن قلت: ليس له وجود خارجي. وهو حقيقة قولكم. كان خيالاً ذهنياً لا حقيقة له. وإن قلت بل هو موجود خارج الذهن في الأعيان منفصلاً عن الأذهان مبيناً لها، فقد أقررت بأنه قابل للخروج والانفصال، والمباينة فهلا جعلتم جملة العالم كالذهني وقلتم بأنه خارج عنه منفصل مبيّن له. وكيف صح بل وجب أن يكون خارج الأذهان. مبيناً لها منفصلاً عنها. ولم يلزم من ذلك محال. وامتنع أن يكون خارج العالم مبيناً له، ولزم من ذلك المحال فمنها هنا قيل إنكم فارقتم حكم العقل والسمع. وكان أتباع الرسل أسعد بالمعقول والمنقول منكم.

(١) ظ، م: (السابع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (الثامن)، ولعل الصواب ما أثبت.

فصل

الطريق الثامن^(١):

إذا ثبت له سبحانه وجود^(٢) خارج الأذهان فإما أن يكون هو العالم المشهود أو صفة من صفاته، وعرضاً من أعراضه أو غيره.

الوجه الخامس
والخمسون بعد المائة

فإن قلتم: بالأول فهو حقيقة قول الاتحادية الملاحظة الذين لا يثبتون خالقاً ومخلوقاً. وصانعاً ومصنوعاً، بل حقيقة الرب عندهم هي هذا الوجود بعينه، وإن قلتم هو عرض من أعراض العالم وصفة من صفاته فهو من أمحل المحال لا يقوله أحد من بني آدم. فتعين أن يكون غير هذا العالم وحينئذ يلزم مباينته له ضرورة. إذ الغيران^(٣) اللذان لا يكون أحدهما صفة للآخر، ولا أحدهما قائماً بالآخر. لا بد أن يتباينا. إذ لو لم يتباينا لزم اتحاد أحدهما بالآخر أو حلوله فيه حلول الصفة في الموصوف أو حلول الحال في المحل. ولا ينفعكم قولكم إن هذا إنما يلزم فيما هو قابل لذلك لما تقدم بيانه.

فصل

الطريق التاسع^(٤):

أنا إذا عرضنا على العقل الصريح الذي لم يفسد بتلقي الآراء والمذاهب الباطلة التصديق بوجودين قائمين

الوجه السادس
والخمسون بعد المائة

(١) ظ، م: (التاسع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (موجود).

(٣) م: (العبور). (٤) ظ، م: (العاش)، ولعل الصواب ما أثبت.

بأنفسهما، وأحدهما مبين للآخر مع كونه غير مماثل له، ولا هو من جنسه، وعرضنا عليه التصديق بوجودين قائمين بأنفسهما، ليس أحدهما مبين للآخر، ولا مداخلًا له ولا فوقه ولا تحته، ولا متصلًا به، ولا منفصلًا عنه، ولا محايثًا له ولا مبينًا، علمنا بالضرورة تصديقه بالأول، ودفعه الثاني وإنكاره، وكل شبهة تقدح في هذا فهي قاذحة في الضروريات، وكل شبهة تقام على الثاني، فهي من الشبهة التي تقام على إمكان الممتنعات.

فصل

الطريق العاشر^(١):

أنه عند المعطلة النفاة كون الله سبحانه فوق العالم مستو الوجه السابع والخمسون بعد المائة

على عرشه بمنزلة كونه يأكل ويشرب وينام، بل هو بمنزلة إثبات الزوجة والولد له في كون هذا منافياً^(٢) لإلهيته وربوبيته وقدمه وكون علوه على خلقه واستوائه على عرشه / منافياً لذلك. وهذا من أعظم القدح في العقول والفطر والشرائع والنبوات والكتب المنزلة، فإنها فرقت بين الأمرين تفرقة معلومة بالاضطرار، لكل من له أدنى مسكة^(٣) من عقل فمن سوى بين الأمرين، وجعل تنزيه الرب عنها من لوازم الإقرار به فليكن على عقله وإيمانه.

[٢٠٧/١]

(١) ظ، م: (الحادي عشر)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (تنافياً).

(٣) ظ: (مسئلة).

فصل

الطريق الحادي عشر^(١):

الوجه الثامن
والخمسون بعد المائة

أن يقال للمعطلة تنزيهكم له سبحانه عن كونه مبيناً
لخلقه تنزيه له عن غناه ووجوده. وتنزيهكم له عن استوائه
على عرشه تنزيه له عن كماله، والمثبت لو شبهه بخلقه
بافتراءكم وكذبكم عليه تعالى الله عن ذلك لكان قد أثبت
موجوداً قائماً بنفسه مبيناً لخلقه له الكمال المطلق مع نوع
تشبيهه^(٢). وهذا خير من تنزيهكم وأقرب إلى العقول^(٣)
والفطر، فكيف وهو مع ذلك يثبت أنه لا يماثل خلقه،
ولا يشابههم، وأنه لا يلزم من علوه على خلقه واستوائه على
عرشه أن يكون من جنسهم مماثلاً لهم يوضحه.

الطريق الثاني عشر^(٤):

الوجه التاسع
والخمسون بعد المائة

إن الله سبحانه جعل بعض مخلوقاته عالياً على بعض،
ولم يلزم من ذلك مماثلة العالِي للسافل ومشابته له، فهذا الماء
فوق الأرض، والهواء فوق الماء والنار فوق الهواء والأفلاك
فوق ذلك وليس عاليها مماثلاً لسافلها، والتفاوت الذي بين
الخالق والمخلوق أعظم من التفاوت الذي بين المخلوقات،
فكيف يلزم من علوه تشبيهه بخلقه.

فإن قلت: وإن لم يلزم التشبيه لكن يلزم التجسيم،

(١) ظ، م: (الثاني عشر)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (شبيه).

(٣) م: (المعقول).

(٤) ظ، م: (الثالث عشر)، ولعل الصواب ما أثبت.

قيل: انفصلوا أولاً عن قول معطلة الصفات لكم لو كان له
 سمع أو بصر أو حياة أو علم، أو قدرة أو كلام لزم
 التجسيم، فإذا انفصلتم عنهم وتخلصتم من أسرهم لكم عاد
 عليكم أهل السنة بالرفقة والرحمة وجبروكم وخلصوكم من
 هذا الوثاق^(١) الذي شدكم به الملاحدة المعطلة، فإن أبيتم
 إلا الجواب قيل لكم ما تعنون بالتجسيم أتعون به العلو على
 العالم، والاستواء على العرش، وهذا حاصل قولكم وحينئذ
 فما زدتهم على إبطال ذلك بمجرد الدعوى التي اتحد فيها اللازم
 والمزوم، بتغيير العبارة وكأنكم قلت لو كان فوق العالم
 مستوياً على عرشه لكان فوق العالم، ولكنكم لبستم
 وأوهمتهم، وإن عنيتهم بالجسم المركب من الجواهر الفردة،
 فجمهور العقلاء ينازعونكم في إثبات الجوهر الفرد فضلاً عن
 تركيب الأجسام الحادثة منه، فالملازمة باطلة كاذبة وإن عنيتهم
 به المركب من الهيولى والصورة. فأنتم قد قررتهم بطلان
 تركيب الأجسام من ذلك، فأنتم أبطلتم هذا التركيب الذي
 يدعيه الفلاسفة وهم أبطلوا التركيب الذي تدعونه من
 الجواهر الفردة، وجمهور العقلاء أبطلوا هذا وهذا، فإذا كان
 هذا غير لازم في الأجسام المحسوسة المشاهدة، بل هو باطل
 فكيف يدعى لزومه فيمن ليس كمثله شيء وإن عنيتهم
 بالتجسيم تميز شيء منه عن شيء، قيل لكم: انفصلوا أولاً
 عن قول نفاة الصفات لو كان له سمع وبصر وحياة وقدرة
 لزم [أن]^(٢) يتميز منه شيء عن شيء، وذلك عين

(١) ظ: (الوفاق). (٢) (أن): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

التجسيم . فإذا انفصلتم منهم أجبناكم بما تجيبونهم به فإن
أبيتم إلا الجواب منا، قلنا: إنما قام الدليل على إثبات إله
قديم غني بنفسه عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه
— كل أحد يحتاج إليه، وليس محتاجاً إلى أحد — ووجود كل
شيء مستفاد منه ووجوده ليس مستفاداً من غيره ولم يقم
الدليل على استحالة تكثر أوصاف كماله وتعدد أسمائه الدالة
على صفاته وأفعاله . بل هو إله واحد، ورب واحد، وإن
تكررت صفاته، وتعددت أسماءه فلا إله غيره، ولا رب سواه .

فصل

الطريق الثالث عشر^(١):

الوجه الستون بعد
المائة

أن يقال: أخبر الناس بمقالات الفلاسفة، قد حكى
اتفاق الحكماء على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت على
ذلك الشرائع^(٢). وقرر^(٣) ذلك بطريق عقلي من جنس
تقرير ابن كلاب والحارث المحاسبي وأبي العباس
القلانسي^(٤). وأبي الحسن الأشعري، والقاضي أبي بكر

-
- (١) ظ، م: (الرابع عشر)، ولعل الصواب ما أثبت.
- (٢) الظاهر أنه يشير إلى أبي الوليد ابن رشد وما ذكره في كتابه مناهج الأدلة. انظر
ص ١٣٠٤، ١٣٠٥.
- (٣) ظ، م: (ودرد).
- (٤) أبو العباس القلانسي: هو أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن بن خالد القلانسي الرازي.
قال الأهوازي: هو من تلامذة أبي الحسن الأشعري، وتعقبه ابن عساكر في (تبيين
كذب المفترى) وقال: هو من معاصريه لا من تلامذته وهو من جملة العلماء الكبار
الأثبات واعتقاده موافق لاعتقاده في الإثبات. وعلق على ذلك الكوثري بأنه متقدم على
الأشعري وأعلى طبقة منه. تبين كذب المفترى، ص ٣٩٨.

بن الباقلاني، وأبي الحسن بن الزاغوني^(١) وغيرهم ممن يقول إن الله فوق العرش وليس بجسم. قال هؤلاء: وإثبات صفة العلو والفوقية له سبحانه لا يوجب الجسمية، بل ولا إثبات المكان وبني الفلاسفة ذلك على ما ذكره ابن رشد^(٢)، إن المكان هو السطح الباطن من الجسم الحاوي الملاقي للسطح الظاهر من الجسم المحوي، فكان الإنسان عندهم هو باطن الهواء المحيط به، وكل سطح باطن فهو مكان للسطح الظاهر فيما يلاقيه، ومعلوم أنه ليس وراء الأجسام سطح جسم باطن يحوي شيئاً فلا مكان هناك، إذ لو كان هناك مكان حاو لسطح الجسم، لكان الحاوي جسماً، ولهذا قال: فإذا قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة: فواجب أن يكون غير جسم فالذي يمتنع وجوده هناك هو وجود جسم لا وجود / ما ليس بجسم. وقرر إمكان ذلك كما قرر إثباته بما ذكر من أنه لا بد من نسبة بينه وبين العالم المحسوس فيجب أن يكون في جهة العلو، والذي يمكن منازعوه من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة أن يقولوا لا يمكن أن يوجد هناك شيء لا جسم ولا غير جسم أما الجسم فلما ذكر. وأما غير الجسم فلأن كونه مشاراً إليه بأنه

[٢٠٨/١]

(١) أبو الحسن بن الزاغوني: هو علي بن عبيد الله بن نصر بن السري، أبو الحسن الزاغوني، ولد سنة ٤٥٥، من أعيان الحنابلة من أهل بغداد، فقيه مؤرخ، له كتب منها: «الإيضاح في أصول الدين»، و«غرر البيان في أصول الفقه» و«الاقناع» و«الواضح» و«المفردات» وكلها في الفقه. توفي سنة ٥٢٧.
شذرات الذهب ٤/٨٠، ٨١؛ الاعلام ٥/١٢٤، ١٢٥.
(٢) انظر مناهج الأدلة لابن رشد، ص ١٧٧.

هناك يستلزم أن يكون جسماً وحينئذ فيقول هؤلاء المثبتين لمن نازعهم في ذلك وجود موجود قائم بنفسه ليس وراء أجسام العالم ولا داخلياً في العالم إما أن يكون ممكناً أو لا يكون فإن لم يكن ممكناً بطل قولكم وإن كان ممكناً فوجود موجود وراء أجسام العالم وليس بجسم أولى بالجواز يوضحه :

فصل

الطريق الرابع عشر^(١) :

الوجه الحادي والستون بعد المائة وهو أنا إذا عرضنا على العقل وجود موجود قائم بنفسه لا في العالم، ولا خارجاً عنه ولا يشار إليه وعرضنا عليه وجود موجود يشار إليه فوق العالم ليس بجسم كان إنكار العقل للأول أعظم وامتناعه فيه أظهر من إنكاره للثاني وامتناعه فيه فإن كان حكم العقل في الأول مقبولاً وجب قبول الثاني وإن كان الثاني مردوداً وجب رد الأول ولا يمكن العقل الصريح أن يقبل الأول ويرد الثاني أبداً.

فصل

الطريق الخامس عشر^(٢) :

الوجه الثاني والستون بعد المائة أنه سبحانه لو لم يقبل الإشارة الحسية إليه كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم حساً بإصبعه بمشهد الجمع الأعظم^(٣) وقبل ممن شهد لها بالإيمان الإشارة الحسية

(١) ظ، م: (الخامس عشر)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (السادس عشر)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) يشير بذلك إلى حديث جابر في حجة الوداع وقد سبق تحقيقه ص ١٨١.

إليه^(١) فإما أن يقال إنه يقبل الإشارة المعنوية فقط، أو لا^(٢) يقبلها أيضاً كما لا يقبل الحسية، فإن لم يقبل هذه ولا هذه، فهو عدم محض، بل العدم المقيد المضاف يقبل الإشارة المعنوية وإن قيل يقبل الإشارة المعنوية دون الحسية لزم أن يكون معنى من المعاني لا ذاتاً خارجية وهذا مما لا حيلة في دفعه فمن أنكر جواز الإشارة الحسية إليه فلا بد له من أحد أمرين: إما أن يجعله معدوماً أو معنى من المعاني لا ذاتاً قائمة بنفسها.

فصل

الطريق السادس^(٣) عشر:

إن من أعجب العجب أن هؤلاء الذين فروا من القول بالوجه الثالث وعلو الله فوق المخلوقات واستوائه على عرشه خشية التشبيه والتجسيم قد اعترفوا بأنهم لا يمكنهم إثبات الصانع إلا بنوع من التشبيه والتمثيل. ونحن لا نحيلك على عدم بل نحكي ألفاظهم بعينها معزوة إلى مكانها، قال الأمدى^(٤) في مسألة حدوث الأجسام لما ذكر حجة القائلين بالعدم «الوجه

(١) يشير بذلك إلى حديث الجارية التي سأها النبي صلى الله عليه أين الله؟ وقد سبق تحقيقه ص ٣١٢.

(٢) ظ، م: (ولا)، ولعل الصواب (أو).

(٣) ظ، م: (السابع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) انظر (أبكار الأفكار للأمدى) لوحة رقم ٩٧. مصورة في جامعة الملك سعود برقم ق ٣٤ وأصلها في مكتبة آيا صوفيا، رقم ٢١٦٥، ٢١٦٦.

العاشر، لو كان العالم محدثاً فمحدثه^(١) إما أن يكون مساوياً له من كل وجه أو مخالفاً له من كل وجه أو مماثلاً له من وجه^(٢)، ومخالفاً له من وجه، فإن كان الأول فهو حادث والكلام فيه كالكلام في الأول ويلزم التسلسل الممتنع^(٣)، وإن كان الثاني فالمحدث له^(٤) ليس بوجود وإلا لما كان مخالفاً له من كل وجه وهو خلاف العرض، وإذا لم يكن موجوداً امتنع أن يكون موجداً للموجود^(٥)^(٦) وإن كان الثالث فمن جهة ما هو مماثل للحادث يجب أن يكون حادثاً. والكلام فيه كالأول وهو تسلسل محال، وهذه المحالات إنما نشأت^(٧) من القول بكونه محدثاً للعالم^(٨) قال^(٩): والجواب عن هذه الشبهة أن المختار^(٩) من أقسامها إنما هو القسم الأخير، ولا يلزم من كون القديم (مماثلاً للحادث من وجهة أن يكون)^(١٠) مماثلاً للحادث من جهة كونه حادثاً بل لا مانع من الاختلاف بينهما في صفة القدم والحديث، وإنما تماثلاً بأمر آخر، وهذا

(١) ظ: (جحدته)؛ م: (محدثه)، وما أثبتته من أبكار.

(٢) أبكار: زاد: دون وجه.

(٣) أبكار وهو تسلسل ممتنع.

(٤) له: ليست في أبكار.

(٥) ظ، م: (مفيداً للوجود).

(٦) أبكار: زاد: كما سبق.

(٧) أبكار: (إنما لزمت من القول بحديث العالم).

(٨) انظر أبكار الأفكار لوجه رقم ١٠٣.

(٩) أبكار: (وأما الشبهة العاشرة فالمختار).

(١٠) ما بين القوسين ليس في أبكار.

كالسواد^(١) والبياض يختلفان^(٢) من وجه دون وجه لاستحالة اختلافهما من كل وجه وإلا لما اشتركا في العرضية والكونية والحدوث واستحالة تماثلهما من كل وجه وإلا كان السواد بياضاً ومع ذلك فمالزم من مماثلة السواد للبياض من وجه أن يكون مماثلاً له في صفة البياضية^(٣). فيقال بالله العجب هلا طردتم هذا الجواب وسلكتم هذا الطريق في إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وإثبات صفات كماله كلها وإثبات الصفات الخبرية كلها وأجبتكم بهذا الجواب لمن قال لكم من المعطلة النفاة. لو كان له صفات لزم مماثلته للمخلوقات وهلا تقنعون من أهل السنة المثبتين لصفات كماله ونعوت جلاله وعلوه على مخلوقاته واستوائه على عرشه بمثل هذا الجواب الذي أجبتكم به من أنكر حدوث العالم بل إذا أجابوكم به قلبتم لهم ظهر المجن وصرحتم بتكفيرهم وتبديعهم وإذا أجبتكم أنتم به بعينه كنتم موحدين ناصرين لله ورسوله.

فصل

الطريق السابع^(٤) عشر:

أن يقال هل للرب تعالى ماهية متميزة على سائر السوجه الرابع
 والستون بعد المائة
 الماهيات يختص بها لذاته أم تقولون لا ماهية له فإن قلت
 بالثاني كان هذا إنكاراً له سبحانه وجحوداً وجعله وجوداً

(١) أبكار: (السوان).

(٢) أبكار: (مختلفان).

(٣) انتهى كلام الأمدى انظر أبكار الأفكار لوجه رقم ١٠٣.

(٤) ظ، م: (الثامن)، ولعل الصواب ما أثبت.

مطلقاً لا ماهية له وإن قلتم بل له ذات مخصوصة وماهية متميزة عن سائر الماهيات قيل لكم ماهيته وذاته / سبحانه غير متناهية بل ذاهبة في الأبعاد إلى غير نهاية أم متناهية . فإن قلتم بالأول لزم منه محالات غير واحدة وإن قلتم بالثاني بطل قولكم ولزم إثبات المباينة والجهة وهذا لا محيد عنه وإن قلتم لا نقول له ماهية ولا ليست له ماهية قيل ، لا يليق بالعقول المخالفة لما جاءت به الرسل إلا هذا المحال والباطل ، وإن قلتم بل له ذات مخصوصة وماهية متميزة عن سائر الماهيات ولا نقول إنها متناهية ولا غير متناهية لأنها لا تقبل واحداً من الأمرين ، قلنا: التناهي وعدم التناهي يتقابلان تقابل السلب والإيجاب فلا واسطة بينهما كما لا واسطة بين الوجود والعدم والقدم والحدوث والسبق والمقارنة والقيام بنفس والقيام بالغير وتقدير قسم آخر لا يقبل واحداً من الأمرين تقدير ذهني يفرضه الذهن كما يفرض سائر المحالات ولا يدل ذلك على وجوده في الخارج ولا إمكانه ألا ترى أن قائلاً لو قال التقسيم يقتضي المعلوم إما قديم وإما حادث . وإما قديم^(١) حادث وإما لا قديم ولا حادث وكذلك إما أن يكون متناهياً أو غير متناه أو متناهياً ولا غير متناه أو قائماً بنفسه أو بغيره أو بنفسه وبغيره أو لا بنفسه ولا بغيره أو داخلياً في العالم أو خارجاً عنه أو داخلياً خارجاً أو لا داخلياً ولا خارجاً كان ذلك كله بمنزلة واحدة وكان التقسيم تقسيماً ذهنياً لا خارجياً ، وإن سلب النقيضين في ذلك كله في الإحالة كإثبات النقيضين .

(١) ظ : (قدم).

فصل

الطريق الثامن^(١) عشر:

أن يقال ذاته سبحانه إما أن تكون قابلة للعلو على العالم
أولا تكون قابلة فإن كانت قابلة وجب وجود المقبول لأنه
صفة كمال وإلا لم يقبله، ولأن قبولها لذلك هو من لوازمها
لقبول الذات للعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر فوجود
هذه لازم للذات ضرورة ولأنها إذا قبلته فلو لم تتصف به
لا تصفت^(٢) بضده. وهو نقص يتعالى ويتقدس عنه وإن
لم تكن قابلة للعلو لزم أن يكون قابل العلو^(٣) أكمل منها لأن
ما يقبل^(٤) أن يكون عالياً وإن لم يكن عالياً أكمل ممن
لا يقبل العلو وما قبله وكان عالياً أكمل ممن قبله ولم يكن
عالياً، فالمراتب ثلاث^(٥). أدناها ما لا يقبل العلو وأعلاها
ما قبله، واتصف به، والذي يوضح ذلك أن ما لا يقبل أن
يكون فوق غيره إما^(٦) أن يكون عرضاً من الأعراض لا يقوم
بنفسه ولا يقبل أن يكون عالياً على غيره وإما أن يكون أمراً
عدمياً لا يقبل ذلك وإما إثبات ذات قائمة بنفسها متصفة
بالسمع والبصر والقدرة والحياة والإرادة والعلم والفعل ومع
ذلك لا تقبل أن تكون عالية على غيرها فهذا يطالب بإمكان

(١) ظ، م: (التاسع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (لا تتصف)، وما أثبتته من المختصر.

(٣) ظ، م: (للعلو)، وما أثبتته من المختصر.

(٤) ظ، م: (لا يقبل)، وما أثبتته من المختصر.

(٥) ظ، م: (ثلاثة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦) ظ، م: (وأما)، ولعل الواو زائدة.

تصوره قبل التصديق بوجوده وليس مع من ادعى إمكانه
 إلا الكليات والمجردات^(١) وكلاهما وجوده ذهني لا وجود له
 في الخارج وإلا فما له^(٢) وجود خارجي وهو قائم بنفسه له
 ذات يختص بها عن سائر الذوات^(٣) موصوف بصفات الحي
 الفعال لا يمكن إلحاقه بالكليات والمجردات التي هي خيالات
 ذهنية لا أمور خارجية وقد اعترف المتكلمون بأن وجود
 الكليات والمجردات إنما هو في الأذهان لا في الأعيان.

فصل

الطريق التاسع عشر^(٤):

إن الجهمية المعطلة معترفون^(٥) بوصفه تعالى بعلو القهر
 وعلو^(٦) القدر وإن ذلك كمال لا نقص فإنه من لوازم ذاته،
 فيقال ما أثبتتم به هذين النوعين من العلو والفوقية هو بعينه
 حجة خصومكم عليكم في إثبات علو الذات له سبحانه
 وما نفيتم به علو الذات يلزمكم أن تنفوا به ذينك الوجهين
 من العلو فأحد الأمرين لازم لكم ولا بد إما أن تثبتوا له
 سبحانه العلو المطلق من كل جهة ذاتاً وقهراً وقدرراً وإما أن

الوجه السادس
 والستون بعد المائة

(١) المجردات: المجرد عند الحكماء والمتكلمين هو الممكن الذي لا يكون متحيزاً ولا حالاً في
 المتحيز. ويسمى مفارقاً.

المعجم الفلسفي، ص ٣٤٧، تأليف جميل صليبيبا.

(٢) ظ، م: (والإخالة)، وما أثبتته من المختصر.

(٣) ظ: (الدواب).

(٤) ظ، م: (العشرون)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) م: (مقرون).

(٦) ظ، م: (على)، وما أثبتته من المختصر.

تنفوا ذلك كله فإنكم إذا نفيتم علو ذاته سبحانه بناء على لزوم التجسيم، وهو لازم لكم فيما أثبتموه من وجهي^(١) العلو فإن الذات القاهرة لغيرها التي هي أعلى قدراً من غيرها إن لم يعقل كونها غير جسم لزمكم التجسيم، وإن عقل كونها غير جسم فكيف لا يعقل أن تكون الذات العالية على سائر الذوات غير جسم. وكيف لزم التجسيم من هذا العلو ولم يلزم من ذلك العلو فإن قلتم لأن هذا العلو يستلزم تميز شيء عن شيء منه قيل لكم في العلم^(٢) أو في الخارج فإن قلتم في الخارج كذبتهم وافترتكم وأضحكتكم عليكم المجانين فضلاً عن العقلاء، وإن قلتم في الذهن فهذا لازم لكل من أثبت / للعالم رباً خالقاً ولا خلاص من ذلك إلا بإنكار وجوده رأساً يوضحه.

[٢١٠/١]

فصل

الطريق العشرون^(٣):

إن الفلاسفة لما أوردوا عليكم هذه الحجة بعينها في نفي الصفات أجبتم عنها بأن قلتم واللفظ للرازي في نهايته^(٤) فقال: «قوله يلزم من إثبات الصفات وقوع الكثرة في الحقيقة الإلهية فتكون تلك الحقيقة ممكنة، قلنا إن عنيتم به احتياج تلك الحقيقة إلى سبب خارجي، فلا يلزم لاحتمال استناد

(١) ظ، م: (وجهين)، وما أثبتته من المختصر.

(٢) ظ: (العالم)، وقوله في العلم: أي في الذهن.

(٣) ظ، م: (الحادي والعشرون)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) نهاية العقول للرازي ل ١٠٠، ص ١٩٩.

تلك الصفات إلى الذات الواجبة لذاتها، وإن عنيتم به توقف الصفات في ثبوتها على تلك الذات المخصوصة فذلك مما يلزمه (١) فأين المحال، قال وأيضاً، فعندكم الإضافات صفات وجودية في الخارج فيلزمكم ما ألزمتونا في الصفات (٢)(٣) في الصور المرتسمة في ذاته من المعقولات تلك (٤) ومما (٥) يحقق فساد قول الفلاسفة أنهم قالوا (٦) إن الله عالم بالكلييات وقالوا (٦) إن العلم بالشيء عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم في العالم وقالوا (٦) إن صورة المعلومات موجودة في ذات الله تعالى حتى ابن سينا (٧) قال (٨): إن تلك الصفة إذا كانت غير داخلة في الذات كانت (٩) من لوازم الذات (١٠)، «ومن كان هذا مذهباً

(١) نهاية: (نلتزمه).

(٢) الصفات ليست في نهاية.

(٣) نهاية زاد: (وأيضاً يلزمكم).

(٤) نهاية: (مالزمتونا)، بدل: (تلك).

(٥) نهاية: (ثم الذي).

(٦) نهاية: (واتفقوا).

(٧) انظر هذا المعنى في التعليقات لابن سينا، ص ٦١ بتحقيق عبدالرحمن بدوي.

(٨) نهاية: حتى قال ابن سينا.

(٩) نهاية: (بل كانت).

(١٠) نهاية زاد: (لم يلزم منها محال وإذا كان كذلك كانت ذات الله تعالى مؤثرة في تلك الصورة وقابلة لها).

له كيف، يمكنه أن ينكر الصفات (١) قال وبالجمل (٢) فلا فرق بين الصفاتية (٣) وبين الفلاسفة إلا أن الصفاتية (يقولون إن الصفات قائمة بالذات والفلاسفة) (٤) يقولون هذه الصور العقلية عوارض متقومة بالذات، والذي تسميه الصفاتية صفة يسميه الفيلسوف عارضاً والذي يسميه الصفاتية قياماً يسميه الفيلسوف قواماً ومقوماً فلا فرق إلا بالعبارات (٥) وإلا فلا فرق (٦) في المعنى. هذا لفظه، فيقول له مثبتوا العلوه لا قنعت منا بهذا الجواب بعينه حتى قلت يلزم من علوه أن يتميز منه شيء عن شيء ويلزم وقوع الكثرة في الحقيقة الإلهية وتكون قد وافقت الشرع (٧) ونصوص الأنبياء وكتب الله كلها وأدلة العقول والفطر الصحيحة وإجماع أهل السنة قاطبة.

(١) نهاية: إنكار الصفة.

(٢) ظ: (وفي جملة)؛ م: (وفي الجملة)، وما أثبتته من نهاية.

(٣) الصفاتية: يريد الرازي بهم سلف هذه الأمة الذين يثبتون الصفات لله إجمالاً على ما يليق بجلاله وسموا بذلك لأن المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتونها فسميت المعتزلة: المعطلة والسلف: الصفاتية. وقد تطلق الصفاتية عند مؤلفي أهل السنة على من ينكر بعض الصفات ويؤمن ببعضها. انظر ص ١٣٧٠ كما تطلق على الأشعرية والمشبهة والكرامية.

الملل والنحل للشهرستاني ١/١١٦، ١١٩؛ رسالة في الرد على الرافضة، ص ١٦٠، ١٧١.

(٤) ما بين القوسين سقط من نهاية.

(٥) نهاية: (في العبارة).

(٦) نهاية: (فلا نزاع).

(٧) ظ: (الشرح).

فصل

الطريق الحادي^(١) والعشرون:

إن هذه الحجة العقلية القطعية وهي الاحتجاج بكون الرب قائماً^(٢) بنفسه على كونه مابيناً للعالم، وذلك ملزوم لكونه فوقه عالياً عليه بالذات، لما كانت حجة صحيحة، لا يمكن مدافعتها وكانت مما ناظر بها الكرامية^(٣) لأبي إسحاق الإسفرائيني فر^(٤) أبو إسحاق إلى كون الرب قائماً بنفسه بالمعنى المعقول، وقال: لا نسلم أنه قائم بنفسه إلا بمعنى أنه غني عن المحل، فجعل قيامه بنفسه وصفاً عدمياً لا ثبوتياً. وهذا لازم لسائر المعطلة النفاة لعلوه، ومن المعلوم أن كون الشيء قائماً بنفسه أبلغ من كونه قائماً بغيره، وإذا كان قيام العرض بغيره يمتنع أن يكون عدمياً، فقيام الشيء بنفسه أحق أن لا يكون أمراً عدمياً بل وجودياً، وإذا كان قيام المخلوق بنفسه صفة كمال وهو مفتقر بالذات إلى غيره فقيام الغني بذاته بنفسه أحق وأولى.

الوجه الثامن
والستون بعد المائة

فصل

الطريق الثاني^(٥) والعشرون:

وهو أن القيام بالنفس صفة كمال، فالقائم بنفسه أكمل من لا يقوم بنفسه ومن كان غناه من لوازم ذاته فقيامه بنفسه

الوجه التاسع
والستون بعد المائة

(١) ظ، م: (الثاني)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ: (قلباً).

(٣) الكرامية: سبق الحديث عنها ص ١٣٠٥.

(٤) ظ: (فرا). (٥) ظ، م: (الثالث)، ولعل الصواب ما أثبت.

من لوازم ذاته، وهذه حقيقة قيوميته سبحانه وهو الحي القيوم، فالقيوم: القائم بنفسه المقيم لغيره فمن أنكر قيامه بنفسه بالمعنى المعقول فقد أنكر قيوميته وأثبت له قياماً بنفسه يشاركه فيه العدم المحض بل جعل قيوميته أمراً عديمياً لا وصفاً ثبوتياً وهي عدم الحاجة إلى المحل ومعلوم أن العدم لا يحتاج إلى محل وأيضاً فإنه يقال له ما يعني بعدم الحاجة إلى المحل تعني به الأمر المعقول من قيام الشيء بنفسه الذي يفارق به العرض القائم بغيره أم تعني به أمراً آخر فإن عنيت الأول فهو المعنى المعقول والدليل قائم والإلزام صحيح، وإن عنيت به أمراً آخر فإما أن يكون وجودياً أو عديمياً، فإن كان عديمياً فالعدم لا شيء كاسمه فتعود قيوميته تعالى إلى لا شيء وإن عنيت به أمراً وجودياً غير المعنى المعقول الذي يعقله الخاصة والعامة فلا بد من بيانه لينظر فيه هل يستلزم المباينة أم لا.

فصل

الطريق الثالث^(١) والعشرون:

إن كل من أقر بوجود رب خالق للعالم مدبر له لزمه الإقرار بمباينته لخلقه وعلوه عليهم وكل من أنكر مباينته وعلوه لزمه^(٢) إنكاره وتعطيله فهاتان دعوتان في جانب النفي والإثبات أما الدعوى / الأولى فإنه إذا أقر بالرب، فإما أن

الوجه السبعون بعد المائة

[٢١١/١]

(١) ظ، م: (الرابع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (لزم)، ولعل الصواب ما أثبت.

يقر بأن له ذاتاً وماهية مخصوصة أو لا، فإن لم يقر
 بذلك لم يقر بالرب فإن رباءاً لا ذات له
 ولا ماهية سواء والعدم، وإن أقر بأن له
 ذاتاً مخصوصة وماهية فإما أن يقر بتعيينها أو يقول
 إنها غير معينة، فإن لم يقر بأنها معينة كانت
 خيالاً في الذهن لا موجوداً في الخارج فإنه لا يوجد في الخارج
 إلا معين لا سيما وتعين تلك الذات أولى من تعين كل متعين
 فإنه يستحيل وقوع الشركة فيها وأن يوجد لها نظير^(١) فتعين
 ذاته سبحانه واجب وإذا أقر بأنها معينة لا كلية والعالم
 المشهود معين لا كلي لزم قطعاً مباينة أحد المعينين للآخر
 إذ لو لم يباينه لم يعقل تميزه عنه وتعيينه فإن قيل: هو يتعين
 بكونه لا داخلياً فيه ولا خارجاً عنه قيل هذا والله حقيقة
 قولكم وهو عين المحال وهو تصريح منكم بأنه لا ذات له
 ولا ماهية تخصه فإنه لو كان له ماهية يختص بها لكان تعيينه
 لماهيته وذاته المخصوصة وأنتم إنما جعلتم تعيينه بأمر عدمي
 محض ونفي صرف وهو كونه لا داخل العالم ولا خارجاً عنه،
 وهذا التعيين لا يقتضي وجوده فإنه يصح على العدم
 المحض. وأيضاً فالعدم المحض لا يعين المتعين فإنه لا شيء
 وإما تعيينه ذاته المخصوصة وصفاته فلزم قطعاً من إثبات ذاته
 تعين تلك الذات بعينها ومن تعيينها مباينتها للمخلوقات ومن
 المباينة العلو عليها لما تقدم تقريره وصح مقتضى العقل
 والنقل والفطرة، ولزم من صحة هذه الدعوى صحة

(١) ظ: (نظر).

الدعوى الثابتة وهي أن من أنكر^(١) مباينته للعالم وعلوه عليه
لزمه إنكار ربوبيته وكونه إلهاً للعالم.

فصل

الطريق الرابع^(٢) والعشرون:

أنه قد دل البرهان الضروري والعقل الصريح على
استغناؤه سبحانه بنفسه وأنه الغني بذاته عن كل ما سواه
فغناه من لوازم ذاته ولا يكون غنياً على الإطلاق إلا إذا كان
قائماً بنفسه إذ القيام بالغير يستلزم فقر القائم إلى ما قام به
وعدم القيام بالنفس وبالغير يستلزم عدم فصح ضرورة
وجوب قيامه بنفسه، وهذا حقيقة المباينة، ونفي المباينة
والمداخلة، كفي القيام بالنفس وبالغير، ولا تتصور العقول
قط قائماً بنفسه مع قائم بنفسه، إلا إذا كان مبايناً له
أومحاشياً، والفرق بين هذا الوجه وبين الاستدلال بقيامه
بنفسه، أن ذلك استدلال بالقيام بالنفس وهذا استدلال بغناه
المستلزم للأميرين.

فصل

الطريق الخامس^(٣) والعشرون:

أنه قد ثبت بالعقل إمكان رؤيته سبحانه. وبالشرع
وقوعها في الدار الآخرة. فاتفق العقل والشرع على إمكان

(١) ظ: (افتكر).

(٢) ظ، م: (الخامس)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (السادس)، ولعل الصواب ما أثبت.

الرؤية ووقوعها، وقد ذكرنا في كتاب صفة الجنة^(١) أربعين دليلاً على مسألة الرؤية من الكتاب والسنة، والعقل الصريح شاهد بذلك فإن الرؤية أمر وجودي، لا يتعلق إلا بوجوده وما كان أكمل وجوداً كان أحق بأن يرى. فالباري سبحانه أحق بأن يرى من كل ما سواه، لأن وجوده أكمل من وجود كل ما سواه يوضحه أن تعذر الرؤية إما لحفاء المرئي وإما لآفة وضعف في الرائي، والرب سبحانه أظهر من كل موجود وإنما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر إليه، فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة الباصرة في غاية القوة، لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى. وإذا جاز^(٢) أن يرى سبحانه، فالرؤية المعقولة عند جميع بني آدم عربهم وعجمهم وتركهم وسائر طوائفهم أن يكون المرئي مقابلاً للرائي: مواجهاً له مبايناً عنه. لا تعقل الأمم رؤية غير ذلك، وإذا كانت الرؤية مستلزماً لمواجهة الرائي ومباينته للمرئي لزم ضرورة أن يكون مرئياً له من فوقه أو من تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو خلفه أو أمامه، وقد دل النقل الصريح على أنهم إنما يرونه سبحانه من فوقهم لا من تحتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «بيننا^(٣) أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع^(٤) لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله

(١) الظاهر أنه كتاب ابن القيم عن الجنة والمسمى «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» وقد ذكر جملة من الأدلة على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة من الكتاب والسنة في أكثر من أربعين صفحة من ص ٢٨٥ - ٣٣٠.

(٢) ظ، م: (كان)، وما أثبتته من المختصر.

(٣) ظ: (بينات). (٤) ظ: (سطح).

قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: يا أهل الجنة سلام عليكم ثم قرأ قوله:

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ^(١)﴾ [يس: ٥٨].

ثم يتوارى عنهم وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم .
فلا يجتمع الإقرار بالرؤية وإنكار الفوقية والمباينة لهذا، ولهذا
الجهمية المغل تنكر علوه على خلقه ورؤية المؤمنين له في
الآخرة ومخائبتهم / يقرون بالرؤية وينكرون العلو وقد
ضحك جمهور العقلاء من القائلين بأن الرؤية تحصل من غير
مواجهة للمرئي ومباينة له . وقالوا: هذا رد لما هو مركز في
أوائل العقول: قال المنكرون الإنسان يرى صورته في المرآة
وليست^(٢) صورته في جهة منه . قال العقلاء هذا تلبس فإنه
إنما يرى خيال صورته وهو عرض منطبع في الجسم الصقيل
وهو في جهة منه ولا يرى حقيقة صورته القائمة به . والذين
قالوا: يرى من غير مقابلة ولا مباينة: قالوا: مصحح الرؤية
الوجود، وكل موجود يصح أن يرى فالتزموا جواز رؤية

(١) رواه ابن ماجة ٦٦/١ من طريق جابر بن عبدالله في المقدمة، باب فيما أنكرت
الجهمية، ح ١٨٤ .

ورواه الأجرى في الشريعة، ص ٢٦٧ .

وزاد السيوطي في الدر المنثور ٢٦٦/٥ «أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة» والبزار
وابن أبي حاتم وابن مردويه .

قال السيوطي في مصباح الزجاجية: والذي رأيته أنا في كتاب العقيلي ما نصه عبدالله بن
عبدالله أبو عاصم العباداني . منكر الحديث . وكان الفضل يرى القدر كاد أن يغلب على
حديثه الوهم .

(٢) ظ، م: (وليس)، وما أثبتته من المختصر .

الأصوات والروائح والعلوم والإرادات والمعاني كلها، وجواز أكلها وشربها وشمها ولسها فهذا منتهى عقلهم الذي عارضوا به الكتاب والسنة ثم قدموه عليها وتقرير هذه المسألة له موضع آخر؛

فصل

الطريق السادس^(١) والعشرون:

أنه قد ثبت بالعقل والنقل والفطرة أن الله سبحانه سميع بصير وهو سبحانه يرى كل المرئيات لا يخفى عليه منها شيء ورؤيته لخلقه تستلزم مباينته لهم ضرورة كما تقدم في الوجه الذي قبله، فذاك استدلال بكونه مرئياً وهذا استدلال بكونه رائياً ولا يعقل واحد من الأمرين إلا [مع]^(٢) مباينته لخلقه ولهذا لما علم منكر العلو، والفوقية أن هذا يلزمهم، ولا بد قالوا: لا يرى بالأبصار، وإنما الحاصل في الآخرة مزيد علم ومعرفة به تسمى رؤية، وطرد الجهمية هذا في رؤيته لخلقه فقالوا: بصره ورؤيته هي علمه لا^(٣) أن هناك بصرأ حقيقة ورؤية حقيقة، وأما مخانئهم فتناقضوا. فقالوا: بل يبصر ويرى من غير مباينة للمرئي المبصر، ولا مقابلة^(٤) له، فكانت فحولهم أقرب إلى العقل من هؤلاء وهؤلاء، وإن تناقضوا تناقضاً بيناً فهم أقرب إلى الوحي بما أثبتوه من الرؤية

الوجه الثالث
والسبعون بعد المائة

(١) ظ، م: (السابع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (إلا مباينته)، ولعل الصواب إضافة: مع.

(٣) ظ، م: (إلا)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) ظ، م: (مقابلته).

وأبعد عنه مما نفوه من المباينة والعلو والطائفتان خارجتان عن حكم الوحي والعقل.

فصل

الطريق السابع^(١) والعشرون:

إن كل من أثبت الصفات أو شيئاً منها لزمه إثبات المباينة وإلا^(٢) تناقض غاية التناقض فإن الصفات نوعان. أحدهما: الوجه الرابع والسبعون بعد المائة ما له تعلق بال مخلوق كالقدرة والمشيئة والرحمة والعلم والسمع والبصر، والثاني: ما لا يتعلق به كالصفات اللازمة للحياة والجمال، وإثبات النوعين يستلزم المباينة، أما النوع الأول فلأن تعلق تلك الصفات بمتعلقاتها لا تعقل إلا مع ثبوت المباينة بينها وبين تلك المتعلقات كمباينة العلم للمعلوم والقدرة للمقدور والسمع للمسموع. فلوقيل صفة السمع ليست مباينة للمسموع كان مكابرة ورداً لأوائل العقول وبدائتها، وإذا لزم من تحقق الصفة وإمكان تعلقها بمتعلقها مباينتها له فهذه المباينة تابعة لمباينة الذات، فإن الصفة لا تقوم بنفسها فإذا باين العلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة لمتعلقاتها بمعنى انفصالها عنه فمباينة الذات أولى وهذا لا محيص عنه، ويلزم من ثبوت هذه المباينة ثبوتها بين النوع الآخر وبين المخلوق بطريق الأولى.

(١) ظ، م: (الثامن)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (ولا)، ولعل الصواب ما أثبت.

فصل

الطريق الثامن^(١) والعشرون:

الوجه الخامس
والسبعون بعد المائة

أنهم إذا اعترفوا بقيام الصفات بالذات وأنها زائدة على الذات المجردة، ولم يكن ذلك تجسيمياً ولا تركيبياً يستلزم الحدوث بطلت كل شبهة لهم تمنع^(٢) العلو والاستواء على العرش فإن مدارها على أن ذلك يستلزم التركيب والتجسيم وهو يستلزم الافتقار والحدوث وقد صرحوا هم بالتزام هذا القدر، ولم ينكروه لأجل تسمية المعطلة له تركيبياً وتجسيمياً وقالوا لخصوصهم من نفاة الصفات التركيب خمسة أنواع. أحدها: تركيب الموجود من الوجود والماهية. والثاني: تركيب الحقيقة من الوجود والوجود.

والثالث: تركيب الذات الموصوفة من الذات والصفات، قالوا: وهذه الأقسام الثلاثة لا تنافي وجوب الوجود ولا يتحاشى من إلقائها والدليل لا يدل على بطلانها، لأن الدليل إنما يدل على انتهاء الممكنات إلى واجب بذاته لا علة له، ولم يدل على أنه لا ماهية له ولا صفة له.

والرابع: من التركيب تركيب الجسم من الجواهر الفردة.

والخامس: تركيبه من المادة والصورة عند من يقول بهذا وهذا، ولا ريب أنه يمتنع وجود موجود قائم بنفسه بدون ثبوت

(١) ظ، م: (التاسع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (يُمتنع)، ولعل الصواب ما أثبت.

الأقسام الثلاثة الأولى، وتسميتهم لذلك تركيباً خطأ وكذب على اللغة وإن قالوا نحن اصطلاحنا على تسميته تركيباً، قيل فلا ترتفع بسبب اصطلاحكم - المتضمن للتليس / والإيهام - الحقائق الموجودة والمعاني العقلية ولا تنكر بتشبيهه^(١) علم الرب وحياته وقوته وسمعه وبصره وكلامه وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه فإنه ليس في العقل ما ينفي ذلك، بل العقل الصريح يصدق السمع الدال على إثبات صفات الرب سبحانه، ومباينته لمخلوقاته والعقل أثبت موجوداً واجباً بنفسه غنياً عما سواه وأما كون ذلك الموجود مجرداً عن الصفات الثبوتية لا يوصف إلا بالسلوب والإضافات العدمية فالعقل لا يدل على ذلك، بل يدل على خلافه كما يدل السمع^(٢).

فصل

الطريق التاسع والعشرون^(٣):

أن يقال ما أثبتته هؤلاء المعطلة من المباينة لا يبطل الوجه السادس والسبعون بعد المائة الحلول والاتحاد، فإنهم أثبتوا مباينة في المفهوم كمباينة طعم التفاحة للونها وريحها وشكلها، ومعلوم أن هذه المباينة لا تقتضي انفصال كل من المتباينين من الآخر، بل هي ثابتة مع قيام هذه الصفات كلها بمحل واحد وهذه المباينة معناها أن هذا غير هذا، وهذا القدر الذي أثبتته النفاة من المباينة

(١) م: (تشبيهه).

(٢) ظ، م: (السمع)، والصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (الثلاثون)، ولعل الصواب ما أثبت.

لا ينافي كونه حالاً في غيره، ولا حلول غيره فيه، ولا تقتضي قيامه بنفسه، ولا انفصال ذاته عن ذات خلقه، بل ولا يقتضي تنزيهه عن التشبيه والتمثيل، وأما المباينة التي دل عليها العقل والنقل والفطرة فأعظم من ذلك، فإنها مباينة تستلزم تفرد صفاته كماله ونعوت جلاله وكونه أعظم من كل شيء وفوق كل شيء وعالياً على كل شيء وأن يكون هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء فباين خلقه بذاته وصفاته وأفعاله وأوليته وآخريته ووجوب وجوده وامتناع عدمه وكثرة أوصافه التي ليس كمثله فيها شيء فهو العليم الذي ليس كمثله شيء في علمه، البصير الذي ليس كمثله شيء في بصره القدير الذي ليس كمثله شيء في حياته وقيوميته العلي الذي ليس كمثله [شيء] (١) في علوه بل هو منفرد بذاته وصفاته عن مماثلة مخلوقاته، فله أعظم المباينة وأجلها وأكملها كما له من كل صفة كمال أعظمها وأكملها، فهذه هي المباينة التي لا يليق به غيرها، فأثبت له النفاة المعطلة مباينة لا حقيقة لها، ولا ترجع إلى أمر وجودي بل المباينة التي أثبتوها من جنس مباينة (٢) العدم للوجود، والمباينة التي أثبتها لنفسه مباينة فوق كل مباينة.

(١) (شيء): إضافة من م.

(٢) ظ: (مباينته).

فصل

الطريق الثلاثون^(١):

إنه لو لم يكن مبيناً للعالم، لزم أحد أمور ثلاثة. قد قال بكل منها قائل، أحدها أن يكون هو هذا العالم كما قال أهل وحدة الوجود والذي قادهم إلى هذا القول هو نفي المباينة كأن قلوبهم وفطرهم طلبت معبوداً، فلما اعتقدوا أنه غير مباين للعالم، وتيقنوا أنه موجود قائم بنفسه، قالوا: فهو هذا العالم بعينه. الثاني قول من يقول، بل هو حال في العالم وهو قول الحلولية. الثالث قول من يقول لا هو العالم، ولا هو حال فيه، ولا بائن عنه، ولا متصل به ولا منفصل عنه وهو قول الجهمية. ومعلوم أنه إذا عرض على العقول الصحيحة هذه الأقوال الأربعة^(٢) علمت أن الصواب منها القول بأنه سبحانه بائن من^(٣) خلقه، وإذا كان^(٤) القولان الآخران مخالفين لصريح العقل، فالقول الثالث^(٥) أشد مخالفة لصريح العقل منها، لأنه يتضمن نفي النقيضين، وإن كان ممكناً في العقل، فالقولان أقرب إلى الإمكان منه،

(١) ظ، م: (الحادي والثلاثون)، ولعل الصواب ما أثبت لأن ابن القيم ذكر في نهاية هذا الفصل أنها ثلاثون طريقاً فقط فلعل الناسخ أخطأ فعد طريقاً ما ليس بطريق ولعله الذي وقع فيه الخطأ هو الطريق الثالث حيث ذكره الناسخ الطريق الرابع. والله أعلم.
(٢) القول الرابع هو قول أهل السنة والجماعة وهو أن الله على عرشه مباين لخلقه ولم يذكره المؤلف رحمه الله لأنه معروف.

(٣) م: (عن).

(٤) ظ، م: (كانت)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) ظ، م: (الرابع)، والصواب ما أثبت.

فإما أن يكون واجباً والقولان مخالفان [للعقل] (١) فهذا تحكم باطل.

فهذه ثلاثون طريقاً مضافة إلى الوجه السابع والأربعين بعد المائة في بيان عدم معارضة العقل للنقل، وبيان موافقتها وتطابقها وحينئذ فنقول في:

الوجه الثامن والسبعين بعد المائة:

أن هؤلاء المعارضين للوحي بآرائهم وعقولهم تتضمن معارضتهم الفرية على الوحي والعقل واللغة والفطرة وإفسادها.

بيان أن هذه المعارضة تتضمن الفرية على الوحي والعقل واللغة والفطرة

أما فريتهم على الوحي فإنهم متى اعتقدوا معارضة العقل له لزمهم أحد أمرين باطلين، إما أن يقولوا إن الرسل أرادوا من الناس اعتقاد الباطل وخلاف الصواب أو أنهم أتعبوهم غاية التعب وكلفوهم أعظم الحرج وهو اعتقاد خلاف ما دلت عليه النصوص ومعرفة الحق بعقولهم وفطرتهم والاجتهاد في صرف (٢)، ألفاظ الوحي عن حقائقها وظواهرها المفهومة منها وبيان ذلك أنهم إما (٣) أن يريدوا منهم اعتقاد الظاهر أو يريدوا منهم خلافه فإن أرادوا الأول وهو / باطل عند النفاة، فقد أرادوا منهم اعتقاد الباطل وإن أرادوا الثاني لزم تلك المفاسد العظيمة وعلى التقديرين فلا يكونون قد بينوا الحق، ولا هدوا الخلق.

[٢١٤/١]

(١) (للعقل): ليست في ظ، م، والأولى إثباتها.

(٢) ظ، م: (طرق).

(٣) ظ: (إنما).

وأما فريتهم على العقل فإنهم جاءوا إلى المقدمات
الفطرية التي فطر الله عليها عباده فجعلوها من حكم الوهم
والخيال وجاءوا إلى المقدمات الباطلة فجعلوها من أحكام
العقل فافتروا على العقل في النفي والإثبات.

وأما فريتهم على الفطرة فإن الله فطر عباده على الإقرار
بعلوه كما فطرهم على الإقرار بأنه ربهم وخالقهم فغيروا
الفطرة وأفسدوها بإنكار ذلك.

وأما فريتهم على اللغة فإنهم أزالوا دلالة الألفاظ الدالة
على ذلك دلالة صريحة، لا يحتمل غير معناها عن مواضعها،
وأنشأوا لها معاني أخر حملوها عليها لقطع من له إلف بتلك
اللغة أن المتكلم لم^(١) يرد بتلك الألفاظ ما ذكره من المعاني
كما حملوا قوله:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

على معنى قول القائل الذهب فوق الفضة والمسك فوق
العنبر أي في القيمة والقدر ومعلوم أن هذا التركيب الخاص
لا يحتمل هذا المعنى في لغة أمة من الأمم ولا يجوز أن يراد
باللفظ وكذلك قوله «إنكم ترون ربكم عياناً كما ترون القمر
ليلة البدر ليس دونه سحب». وكما ترون الشمس في الظهيرة
صحواً ليس دونها سحب»^(٢) فمثل هذا اللفظ إذا حمل على

(١) ظ: (لمن).

(٢) سبق تخريجه، انظر: ص ١٩١.

غير معناه الظاهر لكل أحد، كان فرية على اللغة كما هو فرية على المتكلم به وعامة تأويلات النفاة المعطلة من هذا الباب لمن تدبرها ورزق هداية وإنصافاً، وأما الأعمى المتبع هواه فكما قال الله عز وجل:

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

الوجه التاسع والسبعون بعد المائة:

إن المعارضين للوحي بعقولهم في الأصل هم أعداء الرسل المكذبون لهم كما تقدم ودونهم طوائف الجهمية المعطلة وملاحدة الصوفية وزنادقة الباطنية وخونة الولاة وظلمتهم فالجهمي يقول: قال لي عقلي وملاحدة المتصوفة يقول قائلهم: قال لي قلبي وزنادقة الباطنية يقولون لكل شيء تأويل وباطن يعلمه أهل الباطن وينكره أهل الظاهر وخونة الولاة يقولون: لا تستقيم أمور الرعية إلا بهذه السياسة ولو وكلناهم إلى الشريعة لفسدت أمورهم ولقد وقعت على فصل من كلام أبي الوفاء ابن عقيل^(١)^(٢) في ذلك قال: المتكلمون دققوا النظر بأدلة العقول فتفلسفوا والصوفية اهتموا بالمتوهمات على واقعهم فتكهنوا لأن الفلاسفة اعتمدوا على كشف حقائق الأشياء بزعمهم والكهان اعتمدوا على ما يلقي إليهم من الاطلاع وهم جميعاً خوارج على الشرائع هذا يتجاسر أن يتكلم في المسائل التي

إن المعارضين للوحي بعقولهم هم أعداء الرسل

(١) لم أجد هذا النص في كتاب أبي الوفاء بن عقيل «الفنون» وطبع منه جزآن بعناية أحد المستشرقين.

(٢) في هامش م: (مطلب في ذكر كلام لابن عقيل مفيد).

فيها صريح نقل بما يخالف ذلك المنقول بمقتضى ما يزعم أنه حكم العقل وهذا يقول قال لي قلبي عن ربي . فلا على هؤلاء أصبحت ولا على هؤلاء امسيت لا كان مذهب جاء على (غير)^(١) طريق السفراء والرسل ولا نفق فقد طبع على غير السكة النبوية هل يعلم للصوفية عمل في إباحة دم أو فرج أو تحريم معاملة أو فتوى معمول بها في عبادة أو معاقدة أو للمتكلمين بحكم الكلام حاكم ينفذ حكمه في بلد أو رستاق^(٢) أو تصيب للمتوهمة فتاوي وأحكاماً إنما أهل الدولة الإسلامية والشريعة المحمدية المحدثون والفقهاء هؤلاء يروون أحاديث الشرع وينفون الكذب عن النقل ويحمون النقل عن الاختلاف والغلط وهؤلاء ينفون عن الأخبار تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وهؤلاء هم الذين عدلهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله»^(٣) فهم العدول على

(١) (غير): سقط من م .

(٢) قال في لسان العرب ٣/٦٤٠ . الرسداق والرزداق فارسي: بيوت مجتمعة ولا تغل رستاق .

(٣) انظر: شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، ص ١١؛ مشكاة المصابيح ٨٢/١، ٨٣ .

قال الألباني: مرسل وقد روي موصولاً من طريق جماعة من الصحابة وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي في بغية الملتمس، ص ٣، ٤ . انظر: حاشية المشكاة ٨٢/١، ٨٣ .

وقد ذكر الألباني أن البيهقي رواه في المدخل إلى السنن وقد بحث فيه فلم أجده فلعله في الجزء المفقود من المدخل . والله أعلم .

سائر الطوائف فقبل قولهم على الناس . ولا يقبل قول الناس عليهم والخارج عن هؤلاء وإن خفقت بنوده وكثرت جموعه وسعي حتى ضرب له الدرهم والدينار، وخطب باسمه على رؤوس المنابر لا تكون أموره إلا على المغالطة والمجالسة لأنه كالخارج على الملك الذي دانت له الرعايا ونفذ حكمه في البلاد فالخارج^(١) عليه لا يزال خائفاً مستوحشاً يخشى^(٢) من أن يقابله الملك بقتال أو يصفاه بحرب لأن في نفس الخارجي بقية من الحماس الباطل والملك وإن قلت جموعه فعنده صولة الحق وهيبة الملك ولذلك الغريب المداوي للناس بزعمه مع الطبيب المقيم هذا مجتاز يطلب من الأدوية ما يسكن الألم في الحال ويضع على الأمراض الأدوية الحارة العاملة بسرعة فيأخذ الخلعة والعطية لسكون الألم وإزالة / المرض ويصبح على أرض أخرى ومنزل بعيد فطبه مجازفة لأنه يأمن المعاتبة والمواقعة والأطباء المقيمون يلامون على تطويل العلاج وإنما سلكوا الملائفة بالأدوية المركبة دون الحارة لأن الحارة من الأدوية وإن عجلت سكون الآلام فإنها غير مأمونة الغوائل ولا سليمة العواقب لأن ما يعطي الأدوية الحارة من السكون إنما هو لغلبة المرض وحينها غلبت الأمراض أوهشت قوى المحل الذي حلت به فهو كما قيل الدواء للبدن كالصابون^(٣)

[١ / ٢١٥]

(١) ظ: (فالخراج).

(٢) ظ: (ينخشى).

(٣) الصابون: الذي تغسل به الثياب معروف قال ابن دريد ليس من كلام العرب.
لسان العرب ٢٣٩٧/٤، مادة صبن.

للثوب ينقيه وببليه، كذلك كلما أحد^(١) الصابون وجاد
أخلق الثوب فكذلك الفقهاء والمحدثون يقصرون عن
الاستقصاء في إزالة الشبهة لأنهم عن النقل يتكلمون،
وللخوف على قلوب العوام من الشكوك يقصرون القول
ويحققون فهم حال الأجوبة ينظرون في العواقب، والمبتدعة
والمتوهمة يهجمون، فعلمهم فرح ساعة ليس لها ثبات، فإن
اشتبه على قوم ما دله جهال الصوفية عليهم من الأخذ بقوله
صلى الله عليه وسلم «في أمي محدثون وملهمون وعمر
منهم»^(٢)، قيل: لو نطق عمر برأيه ما نطق ولم يصدقه
الوحي لم يلتفت إلى واقعاته وما يحدث به ولا يبني^(٣) الشرع
والأحكام على فراسته ألا ترى إلى قول من هو خير
منه: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب
الله برأبي»^(٤) سبحان الله العظيم يقول الصديق هذا

(١) درء تعارض احتد. انظر: درء التعارض ٦٤/٨ والمعنى كلما أصبح حاداً وجيداً.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٤٢/٧)، من طريق أبي هريرة، في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ح ٣٦٨٩.
ورواه مسلم ٤/١٨٦٤، من طريق عائشة، في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه، ح ٢٣.

(٣) ظ، م: (ولاسسا)، وما أثبتته من درء تعارض ٦٥/٨.

(٤) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده.. قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَفَكَهْمَةٌ وَأَبَآ﴾ فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم قال ابن كثير وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه.
تفسير ابن كثير ٤/٤٧٣، ورواه العكبري في الشرح والإبانة، ص ١٢٠.

وذكره البغوي في شرح ١/٢٤٤، في كتاب العلم، باب تبليغ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه وحكم عليه الحافظ ابن حجر بالانقطاع كما في الفتح

. ٢٧١/١٣

وأسلم اليوم لشيخ رباط يخلو بأمرد على شمعة، ويأكل من الحرام شبعة ويسمع الغناء في مجالس المردان من النساء الأجانب والصبيان تهزه الأشعار الخماريات وتثقل عليه الآيات البينات يرقص على ذكر المليح والمليحة طلباً ورغباً ويتواجد على المواويل والألحان طرباً، قد اتخذ دينه لهواً ولعباً تقرب أولياء الله إليه بالقرآن وتقرب هو باستماع المعازف والألحان مفتون في نفسه فاتن لأشباهه وبني جنسه فإذا لمت أحدهم قال: أنا خير أم الشيخ فلان وذاك لعمرو الله من أولياء الشيطان، قد نصبه شبكة يصطاد به جهلة العوام، ويحتج به على أشباه الأنعام فما أعظم على الناس فتنته وما أشد على الدين محنته يقول أتباعه المفتونون وحزبه المغرورون نسلم إلى الشيخ طريقته وأي طريقة مع الشرع هل أبقت الشريعة لقائل مقالاً أو لمتصرف بعدها مجالاً وهل جاءت إلا بهدم العوائد ونقض الطرائق ما على الشريعة أضر من مبتدعة المتكلمين وجهلة المتصوفين هؤلاء يفسدون العقول بتوهمات وشبهات تشبه المعقول، وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأزمان يجبون^(١) البطالات والاجتماعات على اللذات وسماع أصوات المشوشات^(٢) للمعايش والطاعات أولئك يجرئون الشباب والأحداث على البحث وكثرة^(٣) السؤال والاعتراضات وتتبع الشرع

(١) م: (محبون).

(٢) ظ: (الأصوات الموسسات).

(٣) ظ: (والتنزه).

بالمعارضات والمناقضات، وما عرفنا للسلف الصالح أحوال أولئك البطالين أصحاب الشهوات ولا أحوال^(١)، هؤلاء المتكلمين أرباب الشبهات بل كانوا عبيد إيمان وتسليم عن معرفة تامة وبصيرة نافذة وجد وتشمير في الطاعات، فنصيحتي لإخواني من المؤمنين الموحدين أن لا يقرع^(٢) أبصار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغي مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة المتصوفة والوقوف على النصوص أولى من شبهات المتخيلة المتوهمة وقد خبرت طريق الفريقين غاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح، قال: والمتكلمون عندي خير من المتصوفة لأن المتكلمين مؤداهم مع التحقيق مزيد الشكوك في حق بعض الأشخاص ومؤدي - المتصوفة إلى توهم الإشكال، والتشبيه وهو الغاية في الإبطال بل هو حقيقة المحال.

ما يسقط المشايخ من عيني^(٣)، وإن نبلوا عند الناس أقداراً وأنساباً وعلومياً وأخطاراً إلا قول العاقل منهم إذا خوطب بمقتضى الشرع عادتنا كذا، يشير إلى طريقة قد قننوها لأنفسهم، تخرج عن سمت^(٤)(٥) الشرع، قد اختلقوا طريقة، واستحدثوا رسوماً، وكل مختلف مستحدث فبدعة،

(١) ظ: (والأقوال)؛ م: (وأقوال) وما أثبتته من درء تعارض ٦٥/٨.

(٢) م: (تصرع).

(٣) ظ: (عين).

(٤) ظ: (سمعت)، م: (سمعة)، وما أثبتته من درء تعارض ٦٦/٨.

(٥) السم: الطريق، أي تخرج عن طريق الشرع.

لسان العرب ٢٠٨٧/٣، مادة سمت.

والاستمرار على ترك السنن خذلان قال أحمد «رضي الله عنه»: وقد سئل عن رجل استمر على ترك الوتر، هذا رجل سوء^(١) إياك أن تتبع شيخاً يقتدي بنفسه، ولا يكون له إمام يعزى إليه ما يدعوك إليه، ويتصل ذلك / بشيخ إلى شيخ إلى الرسول «صلى الله عليه وسلم» الله الله، الثقة بالأشخاص ضلال، والركون إلى الآراء ابتداع، اللين والانطباع في الطريقة مع السنة أحب إليّ من الخشونة والانقباض مع البدعة، لا تتقرب إلى الله تعالى بالامتناع مما لم يمنع منه، كما لا تتقرب إليه بعمل ما لم يأذن فيه.

أصحاب الحديث رسل السفير إلينا، والفقهاء تراجم لمعاني كلامه، ولا يتم اتباع إلا بمنقول، ولا فهم منقول إلا بترجمان، وما عدهما تكلف لا يفيد إلا التعب والعناء، وإلى هذين القسمين انقسم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلة وفقهاء، ولا يعرف فيهم ثالث^(٢) إلا أصحاب المعاش والتجارات، لا مشايخ ربط، ولا مناخات^(٣) البطالات، ولا أصحاب زوايا ينتظرون الفتوحات ولا رقاصون على الغناء والأصوات المطربات، ولا متكلمون بالتخييلات، والشبهات، ولا بالشطحات والتوهّمات. ولا بالكلمات الخمس، والمقولات العشر،

(١) انظر: المغني لابن قدامة ١٦١/٢.

(٢) ظ: (ثالثاً).

(٣) المناخ الموضوع الذي تناخ فيه الإبل.

لسان العرب ٤٥٧١/٦، مادة نوح.

والموجهات، والمختلطات، بل كانوا بجبل الوحي
معتصمين، وبكتاب ربهم وسنة نبيهم متمسكين، وهو في
قلوبهم أجل من أن تضرب له الأمثال، أو تتقدم إليه آراء
الرجال.

يا أصحاب المخالطات والمعاملات عليكم بالورع،
ويا أصحاب الزوايا والانقطاع عليكم بحسم مواد الطمع،
ويا أرباب العلم والنظر إياكم واستحسان طرائق أهل العلم
والخدع، ليست السنة بحب معاوية ويزيد، ولا بمجرد حب
أبي بكر وعمر، ولا بإزعاج أعضاءك بالصلاة على
السفر^(١)، ولا بالاحتفال يوم عاشوراء والتوسعة على
العيال، السنة تتبع طريق الرسول، واقتفاء آثاره، والوقوف
عند مراسمه وحدوده من غير تقصير ولا غلو، وأن لا يتقدم
بين يديه، ولا تختار لنفسك قولاً لم يتبين لك أنه جاء به،
فالسنة مقابلة أوامره بالامتثال، ونواهيها بالانكفاف، وأخباره
بالتصديق، ومجانبة الشبه والآراء، وكل ما خالف النقل،
وإن كانت له حلاوة في السمع وقبول في القلب، ليست
القلوب والعقول والآراء، معياراً على الشرع ليس لله طائفة
أجل من قوم حدثوا عنه وعن رسوله، وما أحدثوا، وعولوا
على مارووا، لا على مارأوا، الوقوف مع النقل مقام
الصديقين، وورثة النبيين، والمرسلين، هذه نصيحتي لنفسي
ولإخواني من المؤمنين^(٢)، فهذا كلام من دخل مع

(١) (السفر): كذا في ظ، م، ولم يتبين لي معناها. ولعلها: «الشفر» جمع شفرة وهي السكين.

(٢) انتهى كلام أبي الوفاء ابن عقيل.

المتكلمين إلى غايتهم، ووقف على نهايتهم وخبر الكلام وقلاه، وعرف مداه ومنتهاه، وقد تقدم حكاية^(١) كلام معاصره ومناظره أبي حامد الغزالي في ذم الكلام، وهما من أعلم أهل عصرهما بمذاهب المتكلمين.

الوجه الثمانون بعد المائة :

إنه من المعلوم عند جميع العقلاء أن الرسل «صلوات الله وسلامه عليهم»، هم أعقل الخلق، وعقولهم أكمل العقول؛ ولهذا كان ما جاءوا به فوق عقول البشر، ولهذا حصل على أيديهم من الخير ما لم يحصل على أيدي سواهم، وصلح من أحوال النفوس والقلوب، وعمارتها بالخير، وتزكيتها بالعلم والعمل ما لم يحصل لأحد غيرهم، فعمارة القلوب والدنيا والآخرة على أيديهم، وكل فساد في العالم عاماً وخاصاً فإنما سببه العدول عما جاءوا به، ومخالفتهم فإذا استقرت جميع الشرور التي في العالم جزئياتها وكلياتها وكل فتنة وبلية ورزية رأيت سببها معصيتهم وكل خير ونعمة في الدنيا والآخرة فسببه طاعتهم واستقر هذا من زمن نوح إلى ساعتك التي أنت فيها وما عذبت به الأمم من أنواع العذاب وما جرى على هذه الأمة حتى ما أصيب به المسلمون مع نبهم يوم أحد كان سببه معصية أمره وللعاقل البصير عبرة في نفسه وأحواله خاصة فهذا شأن هذه العقول الزاكية الكاملة وشأن من خلقهم بمعقوله وإذا كان هذا التفاوت بين عقولهم

بيان أن الرسل هم
أعقل الخلق

(١) انظر: كلام الغزالي، ص ٨٧٢، وما بعدها.

وعقول الناس في الأمور المتعلقة^(١) بالإرادات والأعمال والحب والبغض، فما الظن بالتفاوت الذي بين عقولهم وعقول الناس في العلوم والمعارف، فما الظن بما يتعلق بمعرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وشأنه، وبالله العجب كيف يقدم قول من يقول: قال لي عقلي عن ابن سينا والفارابي، وأرسطا طاليس وأشباههم أو عن أبي الهذيل العلاف والشحام والنظام وأضرابهم أو عمن تلقى عن هؤلاء على قول من يقول: قال لي جبريل عن رب العالمين فالرسول يقول: قال لي ربي، وهذا المعارض يقول: قال لي عقلي، أو قال أرسطا طاليس ونحوه!.

الوجه الحادي والثمانون بعد المائة:

[٢١٧/١]

بيان أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لو عارض بما جاء به موسى وعيسى كان ذلك ضلالاً

لو عارض ما جاء به / خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه بموسى وعيسى، كانت هذه المعارضة ضلالاً وانسلاخاً من الدين بالكلية، كما صرح به «صلى الله عليه وسلم»، وقد رأى بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة فقال: أمتهوكون يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم^(٢)، فإذا كان اتباع موسى مع وجود محمد صلوات الله وسلامه عليه ضلالاً. فكيف باتباع أرسطو وابن سينا ورؤوس الجهمية والمعطلة، وفي بعض ألفاظ هذا الحديث: كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتاباً غير

(١) ظ، م: (المعلقة)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) سبق، انظر: ص ٨٢٧.

كتابهم، أنزل على نبي غير نبيهم، فأنزل الله تعالى :

﴿أَوْلَمَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾

[العنكبوت: ٥١]...

فكيف بضلالة قوم اتبعوا كتاباً أوحاه الشيطان إلى رؤوس المشركين وأهل الضلال لم ينزل الله على نبي من أنبيائه، فلا نزل به وحي، ولا نطق به نبي، كما قال تعالى عن هؤلاء المعارضين للوحي :

﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلِيَ آيَاتِهِمْ لِيُجَدِّ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ الْأَعْدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَّضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢، ١١٣]

يوضحه .

الوجه الثاني والثمانون بعد المائة :

وهو أن الله سبحانه أنكر على من لم يكتب بكتابه فقال :

﴿أَوْلَمَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[العنكبوت: ٥١].

ومن المحال أن يكون الكتاب الذي يخالفه صريح

بيان أن من عارض القرآن بعقله فقد زعم أنه غير كاف له عن غيره

العقل كافيًا، وإنما يكون كافيًا لمن قدمه على كل معقول ورأي وقياس وذوق، وحقيقة وسياسة، فهذا الكتاب في حقه كاف له، كما أنه إنما يكون رحمة وذكرى له دون غيره، وأما من أعرض عنه أو عارضه بآراء الرجال فليس بكاف له ولا هوفي حقه هدى ولا رحمة، بل هو من الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله، يوضحه:

الوجه الثالث والثمانون بعد المائة:

أن هؤلاء الذين لم يكتبوا بكتابه حتى سلكوا بزعمهم طريقة العقل وعارضوه به، وقدموه عليه من جنس الذين لم يكتبوا به سبحانه إلهًا حتى جعلوا له أنداداً يعبدونهم كما يعبدون الله بل أولئك لم يقدموا أندادهم على الله فهؤلاء جعلوا لله ندًا يطيعونه ويعظمونه ويعبدونه، كما يعظمون الله ويعبدونه، وهؤلاء جعلوا لكتابه ندًا يتحاكمون إليه ويقبلون حكمه ويقدمونه على حكم كتابه، بل الأمران متلازمان، فمن لم يكتف بكتابه لم يكتف به، فمتى (١) جعل لكتابه ندًا، فقد جعل له ندًا لا يكون غير ذلك البتة.

فلا ترى من عارض الوحي برأيه وجعله ندًا له إلا مشركًا بالله، قد اتخذ من دون الله أندادًا، ولهذا كان مرض التعطيل ومرض الشرك أخوين متصاحبين لا ينفك أحدهما عن صاحبه، فإن المعطل قد جعل آراء الرجال وعقولهم ندًا لكتاب الله، والمشرك قد جعل ما يعبد من الأوثان ندًا له، ومما يبين تلازم التعطيل والشرك أن القلوب

(١) ظ، م: (حتى)، ولعل الصواب ما أثبت.

خلقت متحركة طالبة للتأله والمحبة، فهي لا تسكن إلا للمحبيب تطمئن إليه، وتسكن عنده، يكون هو غاية محبوها ومطلوبها، ولا قرار لها ولا طمأنينة ولا سكون بدون هذا المطلوب والظفر به والوصول إليه ولو ظفرت بما ظفرت به سواء لم يزد لها ذلك إلا فاقة وفقراً وحاجة وقلقاً واضطراباً.

فطلب هذا المراد المطلوب كامنٌ مستقر فيها، وإن أعرضت عنه واشتغلت بغيره، ولم تشعر به، فوجود الشيء لا يستلزم الشعور به، بل وجوده شيءٌ، والشعور به شيء. وهذا الطلب والإرادة هو بحسب الشعور والمعرفة بالمطلوب المراد، وصفات كماله ونعوت جلاله وجماله فكيف إذا انضاف إلى ذلك معرفته بشدة الحاجة إليه والفاقة والضرورة، وأنه لا حياة له في الحقيقة ولا فلاح ولا لذة ولا سرور ولا نعيم إلا بقربه والأنس به، والتنعم بذكره، وأن منزلة ذلك من الروح منزلة الروح من البدن فإذا فقدته الروح كانت كالبدن الفاقد لروحه، بل القلب مضطر إليه فقير إليه أعظم من ضرورة البدن إلى روحه؛ إذ غاية ما يقدر بفوات الروح موت البدن وقد يعقبه راحة العبد. وأما إذا فات الروح والقلب هذا المطلوب المحبوب ماتت^(١) / موتاً يتضمن كل ألم، وهم، وغم، وحزن، وخوف واضطراب فلو أن ما يحصل للقلب من الموت مثل موت البدن لكان في الموت راحة ولكنه موت يتجرع صاحبه كاسات الآلام من الهموم والغموم والحسرات:

[٢١٨/١]

(١) م: (مات).

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾^(١) وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴿ [إبراهيم: ١٧].

وهذا أمر لا يصدق به إلا من باشر قلبه هذا وهذا،
وإذا كانت الروح مفطورة على تأله فاطرها وخالقها، وهي
فقيرة إليه أعظم الافتقار من جهة كونه ربها وخالقها وممسكها
وحافظها ومغذيها وطبييها ومداويها ومن جهة كونه إلهها،
ومحبوبها ومطلوبها وغاية مناها، فهي إلى معرفة هذا المطلوب
ومعرفة كماله وجماله وأوصاف جلاله أشد شيء ضرورة،
وكلما كانت معرفتها^(٢) بذلك أوفر^(٣) كانت محبتها له أقوى
مالم^(٤) يعقها عائق، ويمنعها مانع من مرض يتعطل به،
أو تضعف عن نهوضها بالجد في طلب هذا المحبوب.

وهذا العائق شيئان، إمّا جهل بهذا المطلوب وكونه
لم يقدره حق قدره، ولم تهتد من معرفة كماله وجماله وجلاله
إلى ما يدعوها إلى طلبه، وإيثاره على غيره وإمّا فساد في
إرادتها لما تعلقت بغيره وآثرته عليه ففسدت فطرتها التي
فُطرت عليها فانتقلت بفسادها عنه إلى غيره وهذه مقدمات
فطرية ضرورية لا يُنازع فيها سليم العقل والفطرة، وإذا
عرف هذا فالرسل جاءوا بكمال الأمرين على أتم الوجوه
فإنهم ذكروا من صفات هذا الرب الذي تأله القلوب

(١) ظ، م: (يسيقها).

(٢) ظ: (معرفة).

(٣) ظ، م: (أمر)، وفي هامش م. لعل العبارة وكلما كانت معرفتها بذلك أوفر
كانت... الخ.

(٤) ظ، م: (مالم)، وفي هامش م، لعله مالم.

وتطمئن إليه الأرواح ما يكون داعياً إلى محبته، وأمروا الناس من توحيده وعبادته وحده لا شريك له بما إذا فعلوه أحبهم عليه، فجاءت النفاة المعارضون للوحي بعقولهم وآرائهم فوقفوا في طريق الرسل. وأتوا بما يضاد دعوتهم فنفوا صفاته التي تَعَرَّفَ بها إلى عباده وجعلوا إثباتها تجسيمياً وتشبيهاً ووصفوه من السلوب والنفي بما حَالَ بين القلوب وبين معرفته، وأكدوا ذلك بأنه لا يجب ولا يجب، ولا له وجه يراه العابدون المحبون له يوم القيامة فضلاً عن أن يحصل لهم لذة هناك بالنظر إليه، ولا يكلمهم ولا يخاطبهم ولا يسلم عليهم من فوقهم، فلما استقر هذا النفي في قلوبهم تعلقت بغيره من أصناف المحبوبات فأشركت به في المحبة، ولا بد وكان أعظم الأسباب الحاملة لها على الشرك هو التعطيل، فانظر إلى تلازم الشرك والتعطيل، وتصادقهما وكونهما:

رضيحي لبان ثدي أم تقاسما

بأسحم داج عوض لا تتفرق^(١)

الوجه الرابع والثمانون بعد المائة:

بيان أن مَنْ قدم العقل فهو من الظانين بالله ظن
 إن هؤلاء المعطلة النفاة المعارضين للوحي بآرائهم ومعقولاتهم من الظانين بالله ورسوله ظن السوء، ولم يجيء في القرآن وعيدٌ أعظمُ [من]^(٢) وعيدٍ مَنْ ظن به ظن السوء

ظن السوء، قال تعالى:

(١) سبق، انظر: ص ٣٦١.

(٢) (من): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

﴿يُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(١) وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ^(٢) وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا * وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿ [الفتح : ٥ ، ٦] .

وقال تعالى :

﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
[فصلت : ٢٢ ، ٢٣] .

فهؤلاء ظنوا أنه لا يعلم بعض الجزئيات فكيف بمن ظن أنه لا علم له ولا سمع ولا بصر، ولا تكلم ولا يتكلم، ولا استوى على عرشه، ولا له فعل حقيقة يدبر به الأمر، ولا له حكمة يفعل ما يفعل لأجلها، وأولئك جوزوا عليه أن لا ينصر رسوله، وأن يجعل^(٣) الدائرة عليه وعلى المؤمنين . ومنكرو الحكمة والتعليل يجوزون عليه أن يعذب أنبياءه ورسله قالوا: ولا نعلم تنزيهه عن ذلك بالعقل وإنما نعلم بالخبر، ومن أعظم ظن السوء به وبكتابه أن يظن أن العقل الصريح مخالف له، وأي نقص وعيب أبلغ من نقص كلام مخالف لصريح المعقول، وأي إساءة ظن أعظم من هذه الإساءة، يوضحه .

(١) ظ، م : (فيها أبداً) .

(٢) (ويكفر عنهم سيئاتهم) : سقط من ظ، م .

(٣) ظ، م : (جعل)، والصواب ما أثبت .

الوجه الخامس والثمانون بعد المائة :

بيان أن مخالفة النقل
لصريح العقل تجعله
كذباً في نفسه

إن هذا نسبة له إلى كونه كذباً في نفسه فإنه إذا خالف
صريح العقل لم يكن مطابقاً لمخبره؛ فيكون المتكلم به قد
أخبر بخبر لم يطابق مخبره وهذا حقيقة الكذب، بل هو من
أقبح الكذب، فإن الكذب نوعان أحدهما: كذب يجوز أن
يكون متعلقه واقعاً / كَمَنْ يقول: مات فلان، أو تزوج،
أو وُلِدَ له، ولم يكن ذلك. والثاني: كذب لا يجوز أن يقع
متعلقه، وهو ما يحيله العقل، وهذا أقبح نوعي الكذب.
فكيف يجوز على أصدق الكلام وأهداه وأفضله أن يكون فيه
أقبح نوعي الكذب؟.

[٢١٩/١]

الوجه السادس والثمانون بعد المائة :

بيان أن من ادعى
معارضة العقل
للنقل لم يقدر الله
حق قدره

إن من ادعى معارضة العقل لما جاءت به الرسل من
صفاته وأفعاله وحقائق أسمائه لم يقدره حق قدره، وقد ذم
الله - تعالى - من لم يقدره حق قدره في ثلاثة (١) مواضع من
كتابه أحدها: قوله:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾

[الأنعام: ٩١].

الثاني: قوله:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنَخْلُقُوهُمْ ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِن يَسْلُبْهُمُ

(١) ظ، م: (ثلاث)، والصواب ما أثبت.

الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ *
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿﴾
[الحج: ٧٣، ٧٤].

الثالث : قوله :

﴿وَمَا قَدَرُوا (١) اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرَكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فأخبر أنه لم يقدره حق قدره مَنْ أنكر إرساله للرسَل
وأنزل كتبه عليهم وهذا حقيقة قول مَنْ قال: «إنه
لا يتكلم، ولم ينزل له إلى الأرض كلام، ولا كَلَّمَ موسى
تكليماً ومعلوم أن هذا إنكار لكَمال ربوبيته وحقيقة إلهيته
ولحكمته ولم يقدره حق قدره مَنْ عَبَدَ مِنْ دُونِهِ إلهاً غيره
ولم يقدره حق قدره مَنْ جحد صفات كَماله ونعوت جلاله،
وقد وصف سبحانه نفسه بأنه العلي العظيم. وحقيقة قول
المعطلة النفاة أنه ليس بعلي ولا عظيم، فإنهم يريدون علوه
وعظمته إلى مجرد أمر معنوي كما يقال: الذهبُ أعلى وأعظم
من الفضة، والبرُّ أعلى وأعظم من الشعير. وقد صرحوا
بذلك فقالوا معناه: علي القدر وعظيم القدر، قال شيخنا:
فيقال لهم: أتريدون أنه في نفسه علي (٢) الذات عظيم
القدر، وإن له في نفسه قدراً عظيماً، أم تريدون أن عظمته

(١) ظ: (وما قدر).

(٢) ظ، م: (وعلي)، ولعل الواو زائدة.

وقدره في النفوس فقط؟ فإن أردتمُ الأول فهو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة والعقل، فإذا كان في نفسه عظيم القدر فهو في قلوب^(١) الخلق كذلك، ومع ذلك فلا يحصي أحد^(٢) ثناء عليه، بل هو كما أثني على نفسه ولا يقدر أحد قدره، ولا يعلم عظم قدره إلا هو، وتلك صفة يمتاز بها ويختص بها^(٣) عن خلقه إذ هي^(٤) من لوازم ماهيته وذاته التي اختص بها عن خلقه كما قال الإمام أحمد^(٥) - لما قالت الجهمية: إنه في المخلوقات: «نحن نعلم مخلوقات كثيرة ليس فيها من عظم الرب شيء» وإن أعدتم ذلك إلى مجرد تعظيم القلوب له من غير أن يكون هناك صفات ثبوتية. وقدّر عظيم يختص به فذاك اعتقاد لا حقيقة له، وصاحبه قد عظمه، بأن اعتقد فيه عظمة^(٦) لا حقيقة لها، وذلك يضاهاى اعتقاد المشركين في إلهتهم.

وإن قالوا: بل يزيد معنى ثالثاً لا هذا ولا هذا، وهو أن له في نفسه قدراً يستحقه لكنه قدر معنوي قيل لهم^(٧): أتريدون أن له حقيقة عظيمة يختص بها عن غيره، وصفات عظيمة يتميز بها وذاتاً عظيمة تمتاز عن الذوات وماهية عظيمة

(١) ظ: (القلوب).

(٢) ظ: (أحداً).

(٣) م: (يختص بها ويمتاز بها)، قدم وأخر.

(٤) ظ، م: (هو)، والصواب ما أثبت.

(٥) انظر: الرد على الجهمية والزندقة للإمام أحمد، ص ١٣٥.

(٦) ظ، م: (عظيمة)، والصواب ما أثبت.

(٧) م: (قيل له).

أعظم من كل ماهية، ونحو ذلك من المعاني المعقولة، فذلك أمر وجودي محقق. وإذا أضيف ذلك إلى الرب كان بحسب ما يليق به ولا يشركه فيه المخلوق كما أنه إذا أضيف إلى المخلوق كان بحسب ما يليق به ولا يشركه فيه الخالق، فهو في حق الخالق تعالى قدر يليق بعظمته وجلاله وفي حق المخلوق قدر يناسبه كما قال تعالى:

﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

فما من مخلوق إلا وقد جعل الله له قدراً يخصه، والقدر يكون علمياً ويكون عينياً: فالأول هو التقدير العلمي وهو تقدير الشيء في العلم واللفظ والكتاب^(١) كما يقدر العبد في نفسه ما يريد أن يقوله ويكتبه ويفعله، فيجعل له قدراً ومِنْ هذا تقديرُ الله - سبحانه - لمقادير الخلائق في علمه، وكتابه، قبل تكوينها، ثم كونها على ذلك القدر الذي علمه وكتبه.

فالقدر الإلهي نوعان: أحدهما: في العلم والكتابة، والثاني: خلقها وبرأها وتصويرها بقدرته التي بها يخلق الأشياء، والخلق يتضمن الإبداع والتقدير جميعاً، والمقصود أن كل موجود فله قدر والعباد لا يقدر^(٢) الخالق قدره، والكفار منهم لا يقدر^(٢)ونه حق قدره ولهذا لم يذكر ذلك سبحانه إلا في حقهم قال تعالى:

(١) ظ، م: (وللكتاب)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (لا يقدر)، والصواب ما أثبت.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِن شَيْءٍ﴾

[الأنعام: ٩١].

وهذا إنما وصف به الذين لا يؤمنون بجميع كتبه المنزلة من المشركين / واليهود وغيرهم، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ولم يقل: «وما قدروا الله قدره»، فإن حق قدره هو الحق الذي لقدره، فهو حق عليهم لقدره سبحانه فجحدوا ذلك الحق، وأنكروه، وما قاموا بذلك الحق معرفةً ولا إقراراً ولا عبودية وذلك جحود وإنكار لبعض قدره من صفات كماله وأفعاله لجحودهم أن يتكلم أو يعلم الجزئيات أو يقدر على إحداث فعل فشبّهات منكري الرسالة ترجع إلى ذلك. أما إنكار علمه تعالى أو إنكار قدرته أو إنكار كلامه، فمن أقر بما أرسل به رسله، وأنه عالم به متكلم بكتبه التي أنزلها عليهم قادر على الإرسال، لا يليق بحكمته تركه فقد قدره حق قدره من هذا الوجه إن لم يقدره حق قدره مطلقاً، وكذلك ذكر الآية الأخرى في سياق خطابه للمشركين ولمنكري آياته كقوله:

﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ

ثُمَّ لَا تَنصُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

إلى قوله:

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ

الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٩].

إلى قوله:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

فكان هذا رداً على المشركين والمعطلين الجاحدين لتوحيده ولصفاته كما كان^(١) ذلك رداً على منكري كتبه ورسله وهذان أصلاً للإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهذا الذي وصف به نفسه ها هنا يتضمن من اقتداره على تغيير^(٢) العالم وتبديله ما يبطل قول أعدائه الملاحدة المكذبين بالمبدأ والمعاد أئمة هؤلاء المعارضين للوحي بالعقل والرأي، وقال تعالى في آية الحج:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٥﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٦﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾

[الحج: ٧٣، ٧٥].

فما قدره مَنْ عَبَدَ مِنْ دُونِهِ مَنْ لَا يَخْلُقُ ذُبَابًا وَاحِدًا، وَإِنْ سَلَبَهُ الذُّبَابُ شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهِ مِنْ خَلْقٍ^(٣) وَغَيْرِهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى اسْتِنْقَاذِهِ مِنْهُ، وَلَا يَكُونُ أضعفَ مِنْ هَذَا الإلهِ وَعَابِدِهِ،

(١) م: (قال).

(٢) ظ: (نصير).

(٣) الخلق: طيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة.

لسان العرب ١٢٤٧/٢، مادة خلق.

فكيف يُعَبَّدُ مَنْ دُونَ مَنْ لَهُ الْقُوَّةُ كُلُّهَا، وَالْعِزَّةُ كُلُّهَا،
 وَلَمَّا كَانَ هَذَا مِنْ جَهْلِهِمْ بِاللَّهِ وَتَرَكَ تَعْظِيمَهُ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ،
 قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ: مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ
 عَظَمَتِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَقَالَ
 بَعْضُهُمْ: مَا عَبَدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: مَا وَصَفُوهُ
 حَقَّ صِفَتِهِ، وَلَمَّا كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ قَدْ قَامُوا مِنْ ذَلِكَ
 بِحَسَبِ قُدْرَتِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ الَّتِي أَعَانَهُمْ بِهَا، وَوَفَّقَهُمْ بِهَا لِمَعْرِفَتِهِ
 وَعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ لَمْ يَتَنَاوَلْهُمْ هَذَا الْوَصْفُ، فَإِنَّ التَّعْظِيمَ لَهُ
 سُبْحَانَهُ وَالْمَعْرِفَةَ وَالْعِبَادَةَ، وَوَصَفَهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ قَدْ أَمَرَ
 بِهِ عِبَادَهُ وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهِ وَرَضِيَ مِنْهُمْ بِمَقْدُورِهِمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ
 كَانُوا لَا يَقْدِرُونَ قُدْرَةَ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ^(١) مِنَ الْعِبَادِ قُدْرَةَ، فَإِنَّهُ
 إِذَا كَانَتِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي يَدِهِ كَالْحُرْدَلَةِ فِي يَدِ أَحَدِنَا،
 وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي يَدِهِ الْآخَرَى، كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَقْدِرُهُ حَقَّ
 قُدْرَةَ، مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ يَدَانِ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَقْبِضَ بِهِنَّ
 شَيْئاً؟ فَلَا يَدَ عِنْدَ الْمَعْطَلَةِ، وَلَا قَبْضَ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ
 مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلِلْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْطَلَةِ نَفَاةُ الصِّفَاتِ مِنْ هَذَا
 الذَّمِّ أَوْفَرُ نَصِيبٍ، وَلِلْمُتَفَلْسِفَةِ وَأَفْرَاحِمِ وَأَتْبَاعِهِمْ ذُنُوبٌ مِثْلُ
 ذُنُوبِ^(٢) أَصْحَابِهِمْ وَأَكْثَرُ.

وقد شرع الله - سبحانه - لعباده ذكر هذين الاسمين:

(١) ظ: (أحداً).
 (٢) الذُّنُوبُ: الحِطُّ والنَّصِيبُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ
 أَصْحَابِهِمْ﴾. . . أَي حِطًّا مِنَ الْعَذَابِ كَمَا نَزَلَ بِالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.
 لِسَانُ الْعَرَبِ ٣/١٥٢٠، ١٥٢١.

العلي العظيم في الركوع والسجود كما ثبت في الصحيح^(١) أنه لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، قال: «اجعلوها في سجودكم»، وهو - سبحانه - كثيراً ما يقرن في وصفه بين هذين الاسمين كقوله:

﴿هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله:

﴿هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقوله:

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

يثبت بذلك علوه على المخلوقات وعظمته، فالعلو رفعته، والعظمة عظمة قدره ذاتاً ووصفاً.

وعند الجهمية ليس له علو ولا عظمة إلا ما في النفوس من اعتقاد كونه أفضل من غيره.

(١) رواه أبو داود (عون المعبود ٣/١٢٠، ١٢١)، من طريق عقبة بن عامر، في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، ح ٨٥٥. ورواه ابن ماجه ١/٢٨٧، في أبواب إقامة الصلاة، باب التسيح في الركوع والسجود، ح ٨٨٧. ورواه الدارمي ١/٢٩٩، في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع. ورواه أحمد ٤/١٥٥. قال عبد القادر الأرنؤوط وهو حديث حسن، حاشية جامع الأصول ٤/١٩٥.

(٢) ظ، م: (اسم).

فصل

الوجه السابع والثمانون بعد المائة :

إن هؤلاء المعارضين بين الوحي والعقل من الجهمية المعطلة والفلاسفة الملاحدة، وَمَنْ اتَّبَعَ سَبْلَهُمْ، هم دائماً يدلون بنفي^(١) التشبيه والتمثيل، ويجعلونه جنة لتعطيلهم ونفيهم، فجددوا علوه على خلقه ومباينته لهم. وتكلمه بالقرآن والتوراة والإنجيل وسائر كتبه وتكليمه لموسى، واستوائه على عرشه ورؤية المؤمنين / له بأبصارهم من فوقهم في الجنة، وسلامه عليهم، وَتَجَلَّى لَهُمْ ضاحكاً وغير ذلك مما أخبر به عن نفسه، وأخبر به عنه رسوله، وترسوا بنفي التشبيه واتخذوه جنةً يصدون^(٢) به القلوب عن الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، وكل من نفى شيئاً مما وصف به نفسه جعل نفي التشبيه له كالوقاية^(٣) في الفعل^(٤) حتى آل ذلك ببعضهم إلى أن نفى ذاته وماهيته خشية التشبيه، فقال: هو وجود محض لا ماهية له، ونفى آخرون وجوده بالكلية خشية التشبيه، وقالوا: يلزمننا في الوجود ما لزم بشئ الصفات والكلام والعلو في ذلك، فنحن نسد الباب بالكلية.

بيان أن حجة
المعارضين للوحي
هي نفي التشبيه عنه
سبحانه

[٢٢١/١]

(١) ظ، م: (نفي)، وما أثبتته من المختصر.

(٢) ظ، م: (يصدون)، والصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (كون)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في الفعل كذا في ظ، م ولم يتبين لي معناها.

ولا ريب أن المشبهة المحضنة خير من هؤلاء وأحسن
قولاً في ربهم، وأحسن ثناء عليه منهم.

والطائفة المعطلة بمنزلة مَنْ قدح في ملك الملك وسلطانه
ونفى قدرته وعلمه وتدبيره لمملكته وسائر صفات الملك.

والطائفة الثانية بمنزلة من شبهه بملك غيره، موصوف
بأكمل الصفات وأحسن النعوت، فينبغي أن تعلم في هذا
قاعدة نافعة جداً وهي أن نفي الشبه والمثل والنظير ليس في
نفسه صفة مدح، ولا كمال ولا يحمده به المنفي عنه ذلك
بمجردة، فإنَّ العدم المحض الذي هو أحسن المعلومات
وأنقصها ينفي عنه الشبه والمثل والنظير، ولا يكون ذلك
كمالاً ومدحاً إلا إذا تضمن كون من نفي عنه ذلك قد
اختص من صفات الكمال ونعوت الجلال بأوصاف بآينَ بها
غيره، وخرج بها عن أن يكون له نظير أو شبه، فهو لتفرد
بها عن غيره صح أن ينفي عنه الشبه والمثل والنظير والكفو،
فلا^(١) يقال لمن لا سمع له، ولا بصر^(٢) ولا حياة ولا علم
ولا كلام ولا فعل ليس له شبه ولا مثل ولا نظير^(٣)، اللهم
إلا في باب الذم والعيب أي قد سلب صفات الكمال كلها
بحيث صار لا شبه له في النقص هذا الذي عليه فطرَّ الناس
وعقولهم واستعمالهم في المدح والذم كما قال شاعر القوم:

(١) ظ، م: (أفلا)، ولعل الصواب حذف الهمزة.

(٢) ظ، م: (لا يسمع ولا بصير).

(٣) ظ: (ولا نظر).

ليس كمثل الفتى زهير
خلق يساويه في الفضائل

وقال الآخر:

ما أن كمثلهم في الناس من أحد.

وقال الفرزدق:

فما مثله في الناس إلا مُمَلَّكاً
أبو أمّه حيُّ أبوه يقاربه^(١)
أي ما مثله في الناس حيُّ يُقَارِبُهُ إلا مملك هو خاله^(٢).

وقال الآخر:

فما مثله فيهم ولا هو كائن
وليس يكون الدهر ما دام يذبل
نفى أن يكون له مثل في الحال والماضي والمستقبل.

وقال الآخر:

ولم أقل مثلك أعني به
سواك يا فرداً بلا شبهة
ومنه قولهم: فلان نسيج وحده، شبهه بثوب لم ينسج له
نظير في حسنه وصفاته، فعكس المعطلة المعنى، وقلبوا

(١) سبق انظر: ص ٧١٧.

(٢) ظ، م: (أخوه)، والصواب ما أثبت.

والمعنى هو أي الممدوح خاله، وليس أخاه، أو هو أي المملك ابن أخت الممدوح
وليس.

الحقائق، وأزالوا^(١) دلالة اللفظ عن موضعها وجعلوا:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

جُنَّةً وترساً لنفي علوه - سبحانه - على عرشه وتكليمه لرسله وإثبات صفات كماله، ومما ينبغي أن يُعْلَمَ أن كل سلب^(٢) ونفي لا يتضمن إثباتاً، فإن الله لا يوصف به، لأنه عدم محض، ونفي صرف لا يقتضي مدحاً ولا كمالاً ولا تعظيماً ولهذا كان تسيححه وتقديسه - سبحانه - متضمناً لعظمته، ومستلزماً لصفات كماله، ونعوت جلاله، وإلا فالمدح بالعدم المحض كلا مدح، والعدم في نفسه ليس شيء مدح به، ويحمد عليه، ولا يكسب القلب علماً بالمذكور، ولا محبة وقصداً له، ولهذا كان عدم السنّة والنوم مدحاً وكمالاً في حقه سبحانه لتضمنه^(٣) واستلزامه^(٤) كمال حياته وقيوميته، ونفي اللغوب عنه كمال لاستلزامه كمال قدرته وقوته، ونفي النسيان عنه كمال لتضمنه، كمال علمه، وكذلك نفي عزوب شيء عنه، ونفي الصاحبة والولد كمال لتضمنه كمال غناه وتفردّه بالربوبية وأن مَنْ في السماوات والأرض عبيد له، وكذلك نفي الكفوِّ والسَمِيّ، والمثل عنه كمال: لأنه^(٥) يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال له على أكمل الوجوه واستحالة وجود مشارك له فيها فالذين يصفونه

(١) ظ، م: (وإن الوا)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (شاب)، والصواب ما أثبت وقال في هامش م: لعله إثبات.

(٣) ظ، م: (المتضمنة)، والصواب ما أثبت.

(٤) ظ: (أو استلزامه)؛ م: (استلزامه) بدون حرف العطف.

(٥) م: (لا يستلزم).

بالسُّلوب فقط من الجهمية والفلاسفة لم يعرفوه من الوجه الذي عرفته به الرسل وعرفوه به إلى الخلق وهو الوجه الذي يحمده به ويثني عليه به ويمجد وتعرف به عظمته وجلاله وإنما عرفوه^(١) من الوجه الذي يقودهم إلى تعطيل العلم والمعرفة والإيمان به بعدم اعتقادهم الحق، واعتقادهم خلاف الحق، وحقيقة أمرهم أنهم^(٢) لم يثبتوا لله عظمة إلا ما تحيلوه في نفوسهم من السُّلوب والنفي الذي لا عظمة فيه ولا مدح فضلاً عن أن يكون كمالاً بل ما أثبتوه مستلزم لنفي ذاته رأساً.

وأما الصفاتية^(٣) الذين يؤمنون ببعض ويحذون بعضاً، فإذا أثبتوا علماً وقدرة وإرادة وغيرها تضمن ذلك / إثبات ذاتٍ تقوم بها هذه الصفات. وتتميز بحقيقتها وماهيتها سواء سموه قدراً أو لم يسموه فإن لم يثبتوا (ذاتاً متميزة بحقيقتها وماهيتها كانوا قد أثبتوا صفات بلا ذات، كما أثبت إخوانهم)^(٤) ذاتاً بلا صفات، وأثبتوا أسماء بلا معانٍ ولا حقائق، وذلك كله مخالفة لصريح المعقول، وهم يدعون أنهم أرباب عقليات فلا بُدَّ مِنْ إثباتِ ذاتٍ محققة لها الأسماء الحسنى التي لا تكون حسنى إلا إذا كانت دالة على صفات كمال وإلا فالأسماء فارغة لا معنى لها،

[٢٢٢/١]

(١) ظ، م: (عرفوا)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (أنه)، والصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (للصفاتية).

(٤) ما بين القوسين سقط من م.

لا توصف بحسن، فضلاً عن كونها أحسن من غيرها.
يوضح ذلك.

الوجه الثامن والثمانون بعد المائة :

أنه — سبحانه — فرّق بين هذين الاسمين الدالين على
علوه وعظّمته في آخر آية الكرسي، وفي سورة الشورى، وفي
سورة الرعد، وفي سورة سبأ في قوله:

﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

[سبأ: ٢٣].

ففي آية الكرسي ذكر الحياة التي هي أصل جميع
الصفات، وذكر معها قيوّميته المقتضية لذاته وبقائه وانتفاء
الآفات جميعها^(١) عنه من النوم والسنة والعجز وغيرها، ثم
ذكر كمال ملكه، ثم عقبه بذكر وحدانيته في ملكه، وأنه
لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم ذكر سعة علمه، وإحاطته
ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء إلا
بعد مشيئته لهم^(٢) أن يعلموه، ثم ذكر سعة كرسيه منبهاً به
على سعته سبحانه، وعظّمته وعلوه وذلك توطئة بين يدي
ذكر علوه وعظّمته، ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعالم
العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب. ثم
ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين الدالين على علو ذاته
وعظّمته في نفسه، وقال في سورة طه:

(١) ظ: (جمعها).

(٢) م: (لا).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾

[طه: ١١٠].

وقد اختلف في تفسير الضمير في (به)، فقيل: هو الله - سبحانه، أي ولا يحيطون بالله علماً، وقيل: هو ما بين أيديهم وما خلفهم، فعلى الأول يرجع إلى العالم، وعلى الثاني يرجع إلى المعلوم، وهذا القول يستلزم الأول من غير عكس لأنهم إذا لم يحيطوا ببعض معلوماته المتعلقة بهم، فإن لا يحيطوا علماً به - سبحانه - أولى وكذلك الضمير في قوله:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

يجوز أن يرجع إلى الله، ويجوز أن يرجع إلى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، أي ولا يحيطون بشيء من علم ذلك إلا بما شاء، فعلى الأول يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل، وعلى الثاني يكون مضافاً إلى المفعول، والمقصود أنه لو كان ﴿الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ﴾ إنما يراد به اتصافه بالعلم والقدرة والملك، وتوابع ذلك كان تكريراً بل دون التكرير، فإن ذكر ذلك مفصلاً أبلغ من الدلالة عليه بما لا يفهم إلا بكلفة، وكذلك إذا قيل: إن علوه وعظمته مجرد كونه أعظم من مخلوقاته وأفضل منها فهذا هضم عظيم لهاتين الصفتين العظيمتين، وهذا لا يليق ولا يحسن أن يذكر ويخبر به عنه إلا في معرض الرد لمن سوى بينه وبين غيره في العبادة والتأله كقوله:

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرُ مَا

يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

وقوله يوسف الصديق :

﴿إِنَّا رَبُّكَ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ﴾ (١) **الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ** ﴿

[يوسف: ٣٩].

وقوله — تعالى — عن السحرة: إنهم قالوا لفرعون:

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ

خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣].

فهذا السياق يقال في مثله: إن الله خير مما سواه من الآلهة الباطلة، وأما بعد أن يذكر أنه مالك الكائنات، ويقال مع ذلك: هو أفضل من مخلوقاته، وأعظم من مصنوعاته فهذا ينزهه عنه كلام الله وإنما يليق هذا بهؤلاء الذين يجعلون له مثل السوء في كلامه ويجعلون ظاهره كفرة تارة، وضلالة تارة، وتشبيهاً وتجسيماً تارة. ومخالفاً لصريح العقل تارة، ومحرفونه بالتحريفات الباطلة، ويقولون فيه ما لا يرضى أحدهم أن يقال مثله في كلامه فيجعلون لكلامه مثل السوء كما جعلوا له — سبحانه — مثل السوء بإنكارهم صفات كماله، وحقائق أسمائه الحسنى، ولوتأول أحدٌ كلامهم أو كلام من يعظمونه على ما يتأولون عليه كلام الله ورسوله لقامت قيامة أحدهم، وإذا حقق الأمر عليهم تبين أن ما يتأولون (٢) عليه كلام الله ورسوله من التأويلات الفاسدة، لا يليق حمل كلام (٣) آحاد فضلاء بني آدم عليها، ولهذا

(١) لفظ الجلالة سقط من ظ.

(٢) ظ، م: (يتأولونه).

(٣) ظ، م: (كلامهم).

سقطت حرمة الإيمان والقرآن والرسول من قلوبهم، ولهذا
يصرحون بأن القرآن والسنة لا تفيدان علماً ولا يقيناً في هذا
الباب / ويقولون: إن الطريقة البرهانية ليست في القرآن
وإنها في منطق اليونان، يوضحه:

[٢٢٣/١]

الوجه التاسع والثمانون بعد المائة:

أن العظيم يوصف به الأعيان والكلام والصفات
والمعاني، أما الأعيان فكقوله - تعالى:
﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٦].

إن العظيم توصف
به الأعيان والصفات
والمعاني

وقوله:

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

وأما المعاني فكقوله - تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقوله:

﴿سُبْحٰنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

فيوصف بالذوات وصفاتها وأفعالها، وكل موصوف
فصفته^(١) بحسبه، فعظم الذات شيء، وعظم صفاتها
شيء، وعظم القول شيء، وعظم الفعل شيء، والرب
- تعالى - له العظمة بكل اعتبار وكل وجه بذاته، والمعطلة
تنكر عظمة ذاته، ولا يثبتون إلا عظمة معنوية لا يثبتون
عظمة الذات كما يقولون مثل ذلك في العلو أنه علو

(١) ظ: (فصفه).

معنوي^(١) لا أن ذاته عالية على كل المخلوقات فليس عندهم
 علياً ولا عظيماً إلا باعتبار معنوي فقط، كعلو قيمة الجوهر
 على قيمة الخزف، وأهل السنة أثبتوا له العلو والعظمة بكل
 اعتبار ومثل هذا وصفه سبحانه بأنه الكبير المتعالي فالكبير
 يوصف به الذات وصفاتها القائمة بها فيقال هذا أكبر من
 هذا حساً ومعنى وسناً وكذلك الطول يقال: هو أطول يداً
 منه صورة ومعنى كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -
 لنسائه: «أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا»^(٢) فكلهن يمددن
 أيديهن أيهن أطول وكانت زينب أولهن موتاً، وكانت^(٣)
 أطولهن يداً بالخير والصدقة. وكذلك السعة والبسطة تكون
 في الذوات والمعاني كما قال تعالى:

﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

فكبر قدره في باطنه بالعلم، وفي ظاهره باشتداد الجسم

(١) ظ: (على معنوي)؛ م: سقط لفظ: علو، والصواب ما أثبتته.

(٢) رواه البخاري (٢٨٥/٣، ٣٨٦) من طريق عائشة - رضي الله عنها، في كتاب
 الزكاة - باب منه، ج ١٤٢٠.

ورواه مسلم (١٩٠٧/٤) في كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل زينب
 أم المؤمنين - رضي الله عنها، ح ١٠١.

وجاء في البخاري أن أطولهن يداً هي سودة وقد بين ابن رشيد أن سودة كانت أطولهن
 يداً حقيقة وكانت زينب أطولهن يداً في الخير والصدقة، فلما كانت زينب أولهن لحوفاً به
 علم أنها المقصودة في الحديث وما في البخاري وهم مؤول كما في الفتح
 ٢٨٦/٣ - ٢٨٨.

(٣) ظ: (كان).

فكمل ظاهره وباطنه ومعناه وصورته، وهذا أكمل من أن^(١) يكمل معناه وفكره^(٢) دون ذاته وصورته، وهذا شأنه — سبحانه — فيما يريد تكميله من خلقه، فإنه يكمله ذاتاً ومعنى ظاهراً وباطناً كما قال — تعالى — في أهل الجنة:

﴿وَلَقَدْهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

فكمل ظواهرهم بالنضرة وبواطنهم بالمسرة. وقال — تعالى:

﴿وَحَلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَّوهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

فهذا زينة ظواهرهم وهذا زينة بواطنهم وقال^(٣):

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ — ٢٣].

فكمل ظواهرهم بالنضرة^(٤) وبواطنهم بالنظر إليه، وقال — تعالى:

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمٌ وَرِيْسًا وَلِبَاسِ الثَّقَوِيْ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وأنعم على عباده بزینتين ولباسين، زينة تجمل ظواهرهم وزينة من التقوى تجمل بواطنهم. وقال — تعالى:

(١) (أن): سقط من م.

(٢) ظ، م: (ويكره)، والصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (وقالوا).

(٤) ظ: (بالنضرة).

﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنٌ﴾ [الرحمن: ٧٠].

قال المفسرون: خيرات (١) الأخلاق حسان الوجوه، وقد روى هذا التفسير مسنداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم سلمة وهو في معجم الطبراني وغيره (٢)، وقال - تعالى:

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ (٤) ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٦، ٧].

فجعل المصابيح زينة لظاهرها ولباطنها بالحراسة من الشياطين، فهي زينة الظاهر والباطن، وقال - تعالى:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٥، ٦].

وهو جبريل عليه الصلاة والسلام. والمِرَّةُ: المنظر البهي الجميل، فأعطاه كمال القوة في باطنه، وجمال المنظر في ظاهره، وهذان الكمالان هما اللذان أرتها امرأة العزيز، النسوة اللاتي لُمَّتا في محبة يوسف، فإنها أجلستهن في البيت.

(١) ظ، م: (خراب)، والصواب ما أثبت.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ٩٢/٢٧، وفيه عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله: أخبرني عن قول الله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنٌ﴾، قال: خيرات الأخلاق حسان الوجوه».

وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٠/٦، ١٥١، وقال: أخرجه الطبراني وابن جرير وابن مردويه. وانظر تفسير ابن كثير ٢٨٠/٤.

(٣) ظ، م: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ وفي سورة الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾

(٤) ظ، م: ﴿بِمَصَابِيحَ﴾.

﴿ وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١].

فأخبرتهن أن باطنه أحسن وأجمل.

﴿ قَالَتْ (١) فَذَلِكُنَّ (٢) الَّذِينَ لُمْتُنِي فِيهِ وَلَقَدَرَوْدُنَّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمٌ ﴾ [يوسف: ٣٢].

فأرتهن جماله الظاهر وأخبرتهن بجماله الباطن والمقصود أن أهل السنة يُثبتون لله - سبحانه - العلو الذاتي والمعنوي، والعظمة الذاتية والمعنوية، والجمال والجلال الذاتي والمعنوي، ومن هذا قولُ المسلمين: الله أكبر؛ فإنه أفعال تفضيل يقتضي كونه أكبر من كل شيء بجميع الاعتبارات وبهذا فسره النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه (٣) من حديث عدي بن حاتم في قصة إسلامه، حيث قال له النبي - صلى الله عليه وسلم: يا عدي، ما يضرك،

(١) ظ، م: (فقالت).

(٢) ظ، م: (فذلك).

(٣) رواه أحمد في المسند ٤/٣٧٨ - من طريق عدي بن حاتم.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٨/٢٨٦ - ٢٨٩) في أبواب التفسير - باب من سورة الفاتحة، ح ٤٠٢٩، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب.

موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ص ٥٦٦، ٥٦٧، في كتاب المناقب - باب ما جاء في عدي بن حاتم، ح ٢٢٧٩.

أيضرك أن يقال: لا إله إلا الله فهل تعلم من إله سوى^(١) الله؟ ثم قال: يا عدي، ما يضرك أيضاً أن يقال: الله أكبر، فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ فالله — سبحانه — أكبر من كل شيء ذاتاً وقدرًا ومعنى وعزة وجلالة، فهو أكبر من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله كما هو فوق كل شيء، وعال على كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله / يوضحه.

[٢٢٤/١]

الوجه التسعون بعد المائة:

إن تعطيل ذاته المقدسة عن وصفها بذلك وجعل ذلك مجرد أمر^(٢) معنوي يقتضي سلب ذلك عنه بالكلية ولا سيما عند الجهمية النفاة لصفاته وأفعاله فإنه عندهم لا تقوم به صفة ثبوتية يستحق بها أن يكون أعظم من غيره، وأكبر منه وفوقه وأعلى منه فإنهم لا يجعلون ذلك عائداً إلى ذاته لأنه يلزم منه عندهم التجسيم، فليست ذاته عندهم موصوفة بكبر ولا عظمة ولا علو ولا فوقية، وليس له عندهم صفة ثبوتية تكون عظمته وفوقيته وعلوه لأجلها، فإن إثبات الصفات عندهم تستلزم التركيب، ولا له فعل يقوم به يكون به أعظم وأكبر من غيره، فإن ذلك يستلزم عندهم حلول الحوادث وقيامها به، فلا حقيقة عندهم لكونه أكبر وأعظم وأجل من غيره إلا ما يرجع إلى مجرد السلب والنفي والعدم، مثل كونه لا داخل العالم ولا خارجه ولا تحله الحوادث

(١) ظ: (سواي).

(٢) ظ، م: (أمن)، والصواب ما أثبتته.

ولا يفعل^(١) لحكمة ولا مصلحة، ولا له وجه ولا يدان، ولا ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، ولا هو مستو على عرشه، ولا يأتي يوم القيامة لِفَضْلِ القضاء، ولا يراه المؤمنون في الجنة، ولا يكلمهم ولا كلم موسى في الدنيا ولا أحداً من الخلق، ولا يشار إليه بالأصابع، ولا يرفع إليه الكلم الطيب، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا عرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إليه ولا دنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ونحو ذلك من النفي والسلب الذي يفرون عنه بنفي التشبيه والتجسيم والتركيب فيوهمون السامع أن إثبات ذلك تشبيه وتجسيم ثم ينفونه عنه وحقيقة ذلك نفي ذاته وصفاته وأفعاله فهذا حقيقة كونه أكبر من كل شيء، وأعظم منه وفوقه وعالياً عليه عندهم، وحقيقة ذلك نفي هذا عنه وجعل كل شيء أكبر منه لأن ما لا ذات له ولا صفة، ولا فعل، فكل ذات لها صفة أكبر منه فالقوم كبروه وعظموه ونزهوه في الحقيقة عن وجوده فضلاً عن صفات كماله وأفعاله، يوضحه:

الوجه الحادي والتسعون بعد المائة:

بيان أنه يستحيل وهو أنه قد علم بالاضطرار أن الله — سبحانه — له وجود ذات لا ذات مخصوصة يقال: ذات الله كما قال خبيب^(٢):
صفات لها

(١) ظ، م: (يفعله).

(٢) هذا البيت من قصيدة لخبيب بن عدي — رحمه الله — عندما بلغه أن القوم أجمعوا على صلبه وتقديمه للقتل. مطلعها:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
قال ابن هشام: أكثر أهل العلم ينكرها له.

وذلك في ذات الإله وإن يشأ
 يبارك على أوصال شلو ممزع
 ولفظ ذات في الأصل تأنيث ذو أي^(١) ذات كذا
 وذو كذا والذي يضاف إليه ذو نوعان:
 وصف ومضاف إليه إضافة الموصوف إلى صفته كقوله –
 تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [يونس: ٦٠].

فالفضل وصفه وفعله، وكان النبي – صلى الله عليه
 وسلم – يقول في ركوعه وسجوده: سبحان ذي الجبروت
 والملكوت والكبرياء والعظمة^(٢).

والثاني: إضافته إلى مخلوق منفصل كقوله – تعالى:

= قال: أوصال، والأوصال هي المفاصل ومجتمع العظام.

الشلو: البقية. الممزع: المقطع.

سيرة ابن هشام ١٦٩/٣، ١٧٠؛ لسان العرب ٤٨٥٢/٦، مادة وصل؛ لسان العرب

٢٣١٨/٤، مادة شلا؛ لسان العرب ٤١٩٣/٦، مادة مزع.

(١) ظ، م: (زاي)، والصواب ما أثبت.

(٢) رواه أبو داود (عون المعبود ١٢٥/٣)، من طريق عوف بن مالك الأشجعي في كتاب

الصلاة – باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، ح ٨٥٩.

رواه النسائي (٢٢٣/٢) في كتاب الافتتاح – باب الدعاء في السجود.

ورواه أحمد في المسند (٣٨٨/٥) من طريق حذيفة – رضي الله عنه. قال محقق جامع

الأصول ٧٩/٦: وإسناده حسن.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾

[البروج: ١٤، ١٥].

فإذا أطلقوا لفظ الذات من غير تقييدها^(١) بإضافة معين، دلت على ماهية لها صفات تقوم بها، فكأنهم قالوا: صاحبة الصفات المخصوصة القائمة بتلك الماهية، فدلوا بلفظ الذات على الحقيقة. وصفاتها القائمة بها، ومحال أن يصح وجود ذات لا صفات لها ولا قدر وإن فرضها الذهن فرضاً لا وجود لمتعلقه في الخارج إلا كما يفرض سائر الممتنعات، فالذات هي قابلة للصفات والموصوفة بالصفات القائمة بها. ومنه ذات الصدور أي ما فيها من خير وشر.

وقال ابن الأنباري^(٢): معناه عليم بحقيقة القلوب من المضمرات، فتأنيث ذات لهذا المعنى كما قال:

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾

[الأنفال: ٧].

فأنت لمعنى الطائفة كما يقال: لقيته ذات يوم^(٣)^(٤)، لأن

(١) ظ، م: (تقيدها)، والأولى ما أثبت. (٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٤٨٢/١.

(٣) ظ: (فيويد).

(٤) في هامش م: قوله ذات يوم لعل العبارة ذات مرة كما دل عليه قوله: مقصودهم لقيته مرة في يوم، وفي الصحاح: وأما قولهم ذات مرة وذو صباح فهو من ظروف الزمان التي لا تمكن تقول: لقيته ذات يوم وذات ليلة وذات غداة وذات العشاء وذات مرة وذات الزمين وذات القديم وذات صباح وذات مساء وذات صباح وذات غبوق، فهذه الأربعة بغير تاء وإنما سمع في غيره من الأوقات ولم يقولوا: ذات شهر ولا ذات سنة، وعبارة لسان العرب توافق عبارة المصنف فإن قال ذات الشوكة أتت على معنى الطائفة كما يقال لقيته ذات يوم لأن مقصودهم لقيته مرة في يوم.

مقصدهم لقيته مرة في يوم .

وقال الواحدي : ذات الصدور يحتمل معنيين :

أحدهما : أن يكون نفس الصدور لأن ذات الشيء نفسه وعينه . يقال : فهمت ذات كلامك ، كما يقال : فهمت كلامك .

قال : تطوف بذات البيت والحر طاهر .

وقال : وفيه معنى التأكيد فيكون المعنى : والله عليم بالصدور .

والثاني : أن ذات الصدور الأشياء التي في الصدور وهي الأسرار والضمائر وهي ذات الصدور لأنها فيها تحملها ، وتصاحبها وصاحب الشيء ذوه وصاحبته ذاته ، قلت : أكثر استعمالهم ذات الشيء بمعنى السبيل والطريق الموصلة إليه ، كقول خبيب : وذلك في ذات الإله ، وكذلك الجنب كقوله :

[٢٢٥/١]

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ / بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾

[الزمر: ٥٦].

فليست الذات والجنب هنا هي نفس الحقيقة ، ومنه

قوله :

﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وقول النبي - صلى الله عليه وسلم : «ولقد أوذيت في

الله وما يؤذي أحد»^(١).

(١) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٧/ ١٧٠) من طريق أنس في أبواب صفة القيامة - باب

منه ، ح ٢٥٩٠ .

وما استعملهم ذات الشيء بمعنى عينه ونفسه فلا يكاد يظفر به. وكذلك^(١) قوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ليس المراد به: عليهما بمجرد الصدور فإن هذا ليس فيه^(٢) كبير أمر، وهو بمنزلة أن يقال: عليم بالرؤوس والظهور والأيدي والأرجل، وإنما المراد به: عليم بما تضمه الصدور من خير وشر، أي بالأسرار التي في الصدور وصاحبة الصدور، فأضافها إليها بلفظ يعم جميع ما في الصدور من خير وشر.

وأما استعمال لفظ ذات في حقيقة الشيء الخارجية فأظنه استعمالاً مولداً وهو من العربية المولدة لا العربية العرباء، ولما ولدوا هذا الاستعمال أدخلوا عليها الألف واللام، وهو من العربية المولدة أيضاً. فقالوا: الذات والعرب لا تستعملها^(٣) إلا مضافة وقد تنازع فيها أهل العربية فكثير منهم يغلط أصحاب هذا الاستعمال، ويقول هو خلاف لغة العرب وبعضهم يجعله قياس اللغة وإن لم ينطقوا به، والصواب أنه من العربية المولدة كما قالوا: الكل والبعض والكافة والعرب لا تستعملها إلا مضافة.

وقريب من هذا لفظ الماهية والكمية والكيفية والآنية

= ورواه ابن ماجه (٣٠/١) في المقدمة في فضائل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم، ح ١٣٨، ط. الأعظمي.
ورواه أحمد في المسند (١٢٠/٣).

(١) م: (ولذلك).

(٢) ظ، م: (بمجرد كبير)، ولعل كلمة «بمجرد» زائدة.

(٣) ظ: (لاستعمالها).

ونحوها فإن العرب لم تنطق بها فهي عربية مولدة^(١)، ويشبه هذا قولهم: الدمعزة، والطلبقة، لقولهم: دام عزك، وطال بقاؤك، وهذا لم ينطق به العرب وإن نطقت بنظيره كالبسمة والحوقلة والحيعلة، ولما استعملوا الذات بمعنى النفس قالوا: جاء بذاته، ومنه قول أهل السنة استوى على عرشه بذاته أي ذاته فوق العرش عالية عليه، وقد غلَطَ بعضهم مَنْ قال: جاء بذاته وجاء بنفسه وقال: الصواب جاء زيد ذاته ونفسه ونازعهم في ذلك آخرون، وجوزوا هذا الاستعمال والمقصود أن إثبات الذات ونفي قدرها وصفاتها جمع بين النقيضين، فإنه إثبات للشيء ونفي لما يستلزم نفيه فإنَّ أْبَيْنَ لوازم الذات تمييزها بحقيقتها وماهيتها عن غيرها، ومباينتها له ولو بالتعيين فمن أنكر مباينة الرب لخلقه وصفاته التي وصف بها نفسه فقد جحد ذاته وأنكرها وإن أقرَّ بها لفظاً.

الوجه الثاني والتسعون بعد المائة:

إن كل من عارض الوحي بالرأي والعقل فهو من خصماء الله لأنه قد خصم الله في الوحي الذي أنزله على رسوله، واحتج على بطلانه، ويكفي العبد خذلاناً وجهلاً وعمى أن يكون خصم ربه - تبارك وتعالى -، ولهذا أخبر - تعالى - عن هؤلاء المعارضين للكتاب بعقولهم بذلك قال - تعالى -:

﴿أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

(١) ظ، م: (متولدة)، والصواب ما أثبت.

ثم ذكر - سبحانه - مخاصمته لربه فيما ضربه من المثل
قال:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ
رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

وفي الصحيح^(١) قال: كان المشركون يخاصمون رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - في القدر فزلت:
﴿يَوْمَ يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ * إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ
خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿[القمر: ٤٨ ، ٤٩].

فهؤلاء إنما كانت خصومتهم خصومة معارضة للوحي
بعقولهم وآرائهم كخصومة من خصم في المعاد، وكذلك
مجادلتهم في الله وآياته كذا كانت جدال معارضة للوحي
بالرأي والعقل فهؤلاء خصماء الله حقيقةً، وفي الأثر «يُنَادِي
منادٍ يومَ القيامة: أَلَا لِيُقْمَ خصماء الله، فيذهب بهم إلى
النار»^(٢) فخصماء الله حقيقة هم المعارضون لكتابه وما بعث
به رسله بعقولهم وآرائهم، وإن لم يكن هؤلاء خصماء الله،
فمن هم خصماؤه غيرهم، وقد حكم الله - سبحانه - بين
خصمائه وبين من خصمهم فيه أحسن الحكومة وأعدلها،
وهي حكومة يحمده عليها الفريقان كما يحمده عليها أهل
السموات والأرض، فقال - تعالى -:

(١) رواه مسلم ٤/٢٠٤٦، من طريق أبي هريرة، في كتاب القدر، باب كل شيء بقدر،
ح ١٩.

ورواه أحمد في المسند ٢/٤٧٦.

(٢) الأثر: لم أقف على تخريجه.

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رِيحِهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ
ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ (١) مَا
فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَهُمْ مَقْلَعٌ / مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ
يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

[٢٢٦/١]

[الحج : ١٩ ، ٢٢].

ثم حكم لخصومهم الذين خاصموا به، وله فقال:
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْرَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدًى إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدًى
إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴾ [الحج : ٢٣ ، ٢٤].

ولا يستوي من خاصم بكتاب الله وحاكم إليه وعول فيما
يثبته الله وينفيه عنه (٢) كمن خاصم كتاب الله وحاكم إلى
منطق يونان وكلام أرسطو وابن سينا والجهنم بن صفوان
وشيعتهم وعول فيما يثبته وينفيه على أقوالهم وآرائهم وكان
النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في استفتاح صلاة
الليل: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت و عليك توكلت
وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت» (٣)، فالرسل

(١) (به): سقط من ظ، م. (٢) ظ، م: (عليه)، والصواب ما أثبتته.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٣٧١/١٣) من طريق ابن عباس - رضي الله عنهما - في
كتاب التوحيد، باب قول الله - تعالى -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ ﴾ ح ٧٣٨٥.

ورواه مسلم ٥٣٢/١، ٥٣٣ في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة
الليل وقيامه، ح ١٩٩.

إنما خاصموا قومهم بالوحي وإليه حاكموهم، به كانت لهم عليهم الحجة البالغة وكيف يعارض من يقول: قال لي ربي كذا وكذا بقول من يقول: قال لي عقلي أو قلبي أو قال فلان، فهذا هو المخصوم الداحضة حجته في الدنيا والآخرة الذي لا يمكنه تنفيذ ضلاله وباطله إلا بالعقوبة والتهديد والوعيد أو بالرغبة العاجلة في الدنيا وزخرفها، كما فعل المنافقون بنوعيب^(١) حين أظهروا دعوتهم، فإنهم استولوا على النفوس الصغيرة الجاهلة المبטلة بالرغبة والرهبه العاجلة من نوع شبهه، وإذا انضاف الهوى إلى الشبهه ترحل العقل والإيمان، وتمكن الهوى والشيطان والنفس موكله بحب العاجل بدون شبهه تدعوها إليه، فكيف إذا قويت الشبهه وأظلم ليلها، وغابت شمس^(٢) الهدى والإيمان، وحيل بين القلوب وبين حقائق القرآن بتلك الطواغيت التي عزلوه^(٣) بها عن إفاده الإيقان، يوضحه.

(١) بنو عيب: هم العبيديون ويتسبون إلى عبدالله بن ميمون القداح بن ديسان البوني من الأهواز، وهو من أشهر الدعاة الباطنيين وعندما هلك عبدالله قام بالدعوة بعده ولده أحمد، ثم ولده الحسين، ثم أخوه سعيد بن الحسين الذي استقر بسلمية من أعمال حمص وانتشر أمره فحاول الخليفة المكتفي أن يقبض عليه ففر إلى المغرب وظفر بملك الأغالبه.

وتلقب بعبيدالله المهدي وادعى أنه من آل البيت وانتحل إمامتهم، ثم احتل العبيديون مصر والشام وأقاموا الدولة الفاطمية الباطنية هناك، واستمروا على ذلك حتى جاء صلاح الدين سنة ٥٦٨ فظهر الأرض منهم.

الفرق بين الفرق، ص ٢٦٧. وجاء دور المجوس، ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) م: (شمسها).

(٣) م: (عزلوا).

الوجه الثالث والتسعون بعد المائة :

بيان منهج النفاة مع
أهل الإثبات
وهو الترغيب
أو التهيب

إن هؤلاء النفاة المعطلة إذا غلبوا مع أهل الإثبات، وقامت حجتهم عليهم عدلوا إلى عقوبتهم وإلزامهم بالأخذ بأقوالهم ومذاهبهم بالضرب والحبس والقتل، وتارة يأخذونهم بالرغبة في الدنيا ومناصبها وزينتها، فلا يقبل أقوالهم إلا برغبة أو رهبة والناس إلا القليل منهم عبيد رغبة أو رهبة^(١) وبهذه الطريقة أخذ إمام المعطلة فرعون قومه حين قال للسحرة لما ظهرت حجة موسى عليه وصحت دعوته وصحت نبوته، وألقى السحرة ساجدين إيماناً بالله، وتصديقاً برسوله :

﴿فَلَا قُطِعَ^(٢) أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَأَلْصَقْنَاكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه : ٧١].

ولما تمكن الإيمان من قلوبهم علموا أن عقوبة الدنيا أسهل من عقوبة الآخرة وأقل بقاء، وأن ما يحصل لهم في الآخرة من^(٣) ثواب الإيمان أعظم وأنفع وأكثر بقاءً.

فهذه العقول التي قدموا بها خير الآخرة على خير الدنيا، وعقوبة الدنيا وألمها المنقضي على عقوبة الآخرة وألمها الدائم هي العقول التي أثبتوا بها صانع العالم وصفاته وعلوه على عرشه وتكليمه لموسى وغضبه ورضاه، ومحبته ورحمته، وسمعه وبصره ومجيئه وإتيانه وأفعاله وأما إمام المعطلة النفاة

(١) ظ : (ورهبه)، بدون همزة.

(٢) ظ، م : (لأقطعن).

(٣) م : (عن)، والأولى ما أثبت.

وقومه فإنهم بالعقول التي قدموا بها عاجل الدنيا وزينتها
 وزخرفها على آجل الآخرة، وباعوا بها الذهب الباقي
 بالخزف الفاني، وآثروا بها خسران الدنيا والآخرة على
 العبودية والانقياد لموسى، والإيمان بالله وحده، هي العقول
 التي نفوا بها مباينة الله لخلقه واستوائه على عرشه وتكليمه
 لموسى ونفوا بها صفات كماله من السمع والبصر والقدرة
 والحياة والإرادة، بل نفى بها شيخهم وإمامهم نفس الذات
 فقال:

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨].

فهذه العقول التي دلّتهم في النفي والتعطيل هي تلك
 العقول التي آثروا بها الدنيا على الآخرة ففاتهم الدنيا
 والآخرة، بل آثروا بها العقوبة العاجلة وأسبابها على العافية
 والنعمة، فمن الذي يتخير بعد ذلك تقديم ما حكمت به
 هذه العقول السخيفة. من التعطيل والنفي على ما جاءت به
 الرسل من الإثبات المفصل.

والمقصود أن هؤلاء إنما يأخذون الناس
 بالرغبة. والرغبة لا بالحجة والبيان ولهذا لما علم إمامهم
 فرعون أنه لا يقاوم بها موسى عدل معه إلى الوعيد^(١)
 بالسجن فقال:

﴿ لَيْنٍ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾

[الشعراء: ٢٩].

(١) ظ، م: (التوعيد).

وكذلك فعل أصحاب الأخدود مع المؤمنين وكان ذنبهم عند ربهم أن آمنوا بالله وصفاته ورسله وكتبه ولقائه، وكذلك فعلت الجهمية بأولياء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه في أمته أهل السنة والحديث والنقل من الضرب^(١)، والحبس ما فعلوه بأحمد بن حنبل وأمثاله، وكان دينهم عند ربهم أن أثبتوا لله صفات كماله ونعوت جلاله، ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله من غير تجاوز ولا تقصير ولما لم يقيم لهم عليهم حجة نقلية ولا عقلية - وفي^(٢) المحال أن تقوم حجة صحيحة على نقيض ما أخبرت به الرسل عن الله - عدلوا معهم إلى العقوبة وتوصلوا بالتدليس والتلبيس على أولياء الأمر والجهال، فأوقعوا في نفوسهم أن هؤلاء مشبهة مجسمة:

﴿كَلِمًا أَوْ قَدُورًا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْرِنُ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

[التوبة: ٣٢].

الوجه الرابع والتسعون بعد المائة:

إن هؤلاء المعارضين للوحي بأرائهم وعقولهم في الأصل صنفان، صنف مباينون للرسول محادون لهم، مكذبون لهم في أصل الرسالة كالفلاسفة الصابئين والمجوس وعباد الأوثان والسحرة وأتباعهم وصنف منتسبون إلى الرسل في الأصل غير مكذبين لهم في أصل الرسالة، وهم الجهمية والمعطلة

(١) ظ، م: (من الثقل والضرب)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (أدنى)، والصواب ما أثبت.

ومن سلك سبيلهم ووافقهم على بعض باطلهم وخالفهم في بعضه وقد تقدم أن الصنف الأول يستطيّلون على الصنف الثاني بما وافقوهم فيه من التعطيل ويجرونهم به إلى موافقتهم في القدر الذي خالفهم فيه والجهمية المغل يستطيّلون على الجهمية المخانيث بما وافقوهم فيه من النفي ويجرونهم به إلى موافقتهم في القدر الذي خالفوهم فيه وهؤلاء المخانيث يستطيّلون على أهل السنة والحديث أيضاً^(١) بالقدر الذي وافقوهم فيه ويدعونهم به إلى موافقتهم في الباقي فلم يستطل المبطل على المحق من حيث خالفه، وإنما استطل عليه من حيث وافقه، فما أصيب المحق إلا بطاعته للمبطل في بعض أمره، وأصول هؤلاء يكرهون ما أنزل الله مما هو بخلاف عقولهم وآرائهم وقواعدهم فمن أطاعهم في بعض أمرهم كان من الذين قال الله - عز وجل - فيهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ
الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ
كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥، ٢٦].

ولهذا تجد هؤلاء المبطلين إنما يصولون على من وافقهم في بعض باطلهم فيعلقون له برهاناً يطالبونه وأما أتباع الرسل المصدقون لهم في كل ما جاءوا به المثبتون لحقائقه لست أعني المقرين بمجرد ألفاظه مع اعتقادهم فيها التخييل

(١)، ظ، م: (في أيضاً)، والصواب حذف: في.

والتحريف والتأويل أو التجهيل فليس للمبطلين عليهم سبيل البتة لكن بالافتراء^(١) والتلبيس والكذب والألقاب الذين هم أحق بها وأهلها دونهم وما رتبوا على ذلك من الأذى الذي يبلغونه منهم، وذلك مما يحقق ميراثهم^(٢) من إمامهم ومتبوعهم الذي أُوذِيَ في الله هو وأصحابه، وقال له ورقة بن نوفل لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي^(٣)، فكلُّ مَنْ دعا إلى نفس ما جاء به الرسول فهو من أتباعه فلا بد أن يناله مِنَ الأذى مِنَ أتباع الشيطان بحسب^(٤) حاله وحالهم والله المستعان، والمقصود أن المبطلين لا سبيل لهم على أتباع الرسول البتة، قال - تعالى -:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

[النساء: ١٤١].

قيل: بالحجة والبرهان، فإن حججتهم داحضة عند ربهم، وقيل: هذا في الآخرة وأما في الدنيا^(٥) فقد يتسلطون عليهم بالضرر لهم، والأذى، وقيل: لا يجعل لهم عليهم سبيلاً مستقرة، بل وإن نصرُوا عليهم في وقت فإن الدائرة تكون عليهم، ويستقر النصر لأتباع الرسول وقيل: بل الآية على ظاهرها وعمومها، ولا إشكال فيها بحمد الله، فإن الله

(١) ظ: (الإفراء).

(٢) غير واضحة في م.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٢٣/١) من طريق عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها -، في كتاب، بدء الوحي، باب ٣، ح ٣.

(٤) ظ، م: (بحيث).

(٥) ظ، م: (في الدنيا والآخرة)، والصواب حذف (والآخرة).

— سبحانه — ضمن أن لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً
 فحيث كانت لهم / سبيل ما عليهم فهم الذين جعلوها
 بتسبيهم ترك بعض ما أقروا به أو ارتكاب بعض ما نهوا عنه
 فهم جعلوا لهم السبيل عليهم بخروجهم عن طاعة الله
 ورسوله في ما أوجب تسلط عدوهم عليهم من هذه الثغرة
 التي أدخلوها كما أخلت الصحابة يوم أحد الثغرة التي أمرهم
 رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بلزومها وحفظها فوجد
 العدو منها طريقاً إليهم فدخلوا منها. قال — تعالى —:

﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدَّ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنْىٰ هَذَا قُلْ
 هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[آل عمران: ١٦٥].

فذكر السبب الذي أصيبوا به وذكر القدرة التي هي
 مناط الجزاء فذكر عدله فيهم بما ارتكبه من السبب وقدرته
 عليهم بما نالهم به من المكروه وقال — تعالى —:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا﴾^(١)
 عَنْ كَثِيرٍ ﴿ [الشورى: ٣٠].

وفي الحديث الصحيح^(٢) الإلهي: يا عبادي إنما هي
 أعمالكم أحصيتها لكم، ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً،
 فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

(١) ظ: (يعفوا).

(٢) رواه مسلم ١٩٩٤/٤ من طريق أبي ذر في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم
 الظلم، ح ٥٥.

الوجه الخامس والتسعون بعد المائة :

إنه كيف يكون النفاة المعطلة من الجهمية ومن تبعهم
أولى بالصواب والحق في معرفة الله وأسمائه وصفاته وما يجب
له ويمتنع عليه وشهداء الله في أرضه من جميع أقطار الأرض
يشهدون عليهم بالضلالة والحيرة والكذب على الله ورسوله
وكتابه ویرمونهم بالعظائم ويشهدون عليهم بالكفر والإلحاد
في أسماء الله وصفاته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
أنتم شهداء الله في الأرض فمن أثبتتم عليه بخير وجبت له
الجنة ومن أنثيتم عليه بشر وجبت له النار^(١) فكيف إذا كان
الشهداء على هؤلاء قد شهد لهم بأنهم أولوا العلم وعدّ لهم
من جعله^(٢) الله شهيداً عليهم وهو رسوله - صلوات الله
وسلامه عليه - كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -
معدلاً هؤلاء الشهود: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله
ينفون عنه تحريف الغالين^(٣)، وانتحال المبطلين وتأويل
الجاهلین»^(٤) فاسمع الآن بعض شهادات هؤلاء العدول على
أهل النفي والتعطيل قال إمام أهل السنة والحديث محمد بن
إسماعيل البخاري في كتاب خلق الأفعال^(٥): حدثنا

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٣/٢٢٨، ٢٢٩) من طريق أنس في كتاب الجنائز باب:

ثناء الناس على الميت، ح ١٣٦٧.

ورواه مسلم ٢/٦٥٥ في كتاب الجنائز، باب: فيمن يثني عليه خيراً أو شراً من

الموتى، ح ٦٠.

(٢) ظ، م: (جعل).

(٣) ظ، م: (العالين)، وفي هامش م: (الغالين).

(٤) سبق تحقيقه انظر ص ١٣٤٣.

(٥) خلق أفعال العباد، ص ١١، ١٢ بتحقيق الأستاذ بدر البدر.

أبو نعيم سليمان الفارسي سمعت سفيان الثوري قال: قال لي حماد بن أبي سليمان: أبلغ أبا فلان المشرك أني بريء من دينه، وكان يقول: إن القرآن مخلوق، وذكر عن خالد بن عبدالله القسري^(١) أنه خطبهم بواسط في يوم أضحى، وقال: ارجعوا فضحوا، تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه، أخبرنا محمد بن عبدالله أبو جعفر البغدادي قال سمعت أبا زكريا يحيى بن يوسف، قال: كنت عند عبدالله بن إدريس^(٢) فجاء رجل فقال: يا أبا^(٣) محمد ما تقول في قوم يقولون: القرآن مخلوق؟ قال: أمِنَ اليهود؟ قال: لا، قال: أمِنَ النصارى؟ قال: لا، قال: أمِنَ المجوس؟ قال: لا، قال: فَمِمَّنْ؟ قال: من أهل التوحيد، قال: ليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء الزنادقة، من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق يقول الله - عز وجل - : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فالله لا يكون مخلوقاً، والرحمن لا يكون مخلوقاً والرحيم لا يكون مخلوقاً^(٤) فهذا أصل الزندقة من قال هذا فعليه لعنة الله

(١) سبق انظر، ص ١٠٧١.

(٢) رواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ٨.

وانظر: العلو للذهبي، ص ١١٢ قال محقق خلق أفعال العباد: إسناده صحيح.

وقال الذهبي: وكان - أي عبدالله بن إدريس - عديم النظر في زمانه كبير الشأن.

(٣) ظ: (بابا محمد).

(٤) والرحيم لا يكون مخلوقاً: ليست في خلق أفعال العباد.

لا تجالسوهم ولا تناكحوهم قال البخاري وقال وهب بن جرير الجهمية زنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى^(١)، قال البخاري وحلف يزيد بن هارون بالله الذي لا إله إلا هو من قال القرآن مخلوق زنديق يستتاب فإن تاب وإلا قتل^(٢) قال وقيل لأبي بكر بن عياش: إن قوماً ببغداد يقولون إنه مخلوق فقال ويلك من قال هذا؟ على من قال إن القرآن مخلوق لعنة الله وهو كافر زنديق لا تجالسوهم قال وقال الثوري: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، وقال حماد بن زيد: القرآن كلام الله نزل به جبريل ما يحاولون إلا أن ليس في السماء إله^(٣) قال وقال ابن مقاتل: سمعت ابن المبارك يقول من قال ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ مخلوق فقد كفر ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك^(٤) وقال ابن المبارك:

ولا أقول بقول الجهم إن له
قولاً يضارع أهل الشرك أحياناً

(١) سبق انظر، ص ١٣٠٢.

(٢) رواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ١١.

ورواه البيهقي في الأسماء والصفات بنحوه، ص ٢٥٠.
قال محقق خلق أفعال العباد وإسناده صحيح.

(٣) سبق انظر، ص ١٢٩٦.

(٤) انظر العلو للذهبي، ص ١١ ذكر الجزء الأول منه في قول هشيم بن بشير عالم بغداد وانظر السنة لعبدالله بن أحمد بنحوه.

وقال محقق خلق أفعال العباد: وإسناده صحيح.

ولا أقول تخلى عن بريته^(١)

رب العباد وولي الأمر شيطانا /

[٢٢٩/١]

ما قال فرعون هذا في تجبره

فرعون موسى ولا فرعون هامانا^(٢)

ومن شعره أيضاً فيه ولم يذكره البخاري :

عجبت لشیطان دعى الناس جهرة

إلى النار واشتق اسمه من جهنم^(٣)

قال البخاري: قال ابن المبارك: لا تقول كما

قالت الجهمية أنه في الأرض ها هنا بل على

العرش استوى^(٤)، وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: فوق

سماواته على عرشه^(٥) وقال رجل لرجل منهم أبطنك^(٦) خال

منه^(٧) فبهت الآخر وقال: من قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» مخلوق

فهو كافر، وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن

نحكي كلام الجهمية^(٨) قال: وقال سعيد بن عامر:

(١) ظ، م: (ربقه)، وفي طبقات السبكي (من خليقته) وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ٢٨٧/١.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ٤١١/٨.

(٤) سبق انظر، ص ١٢٩٨.

(٥) سبق انظر: ص ١٢٩٨، ١٣٠١.

(٦) خلق أفعال العباد: (أظنك).

(٧) سبق انظر: ص ١٣٠١.

(٨) وانظر: العلوه، ص ١١١، وفيه الشطر الأول فقط ذكره عن ابن المبارك بعد قول

هشيم بن بشير، أخرج الشطر الثاني عبدالله بن أحمد، ص ٣٥.

قال محقق خلق أفعال العباد: وإسناده صحيح.

لَلْجَهْمِيَّةُ أَشْرُ قَوْلًا^(١) من اليهود والنصارى قد أجمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان أن الله تبارك وتعالى على العرش وقالوا هم^(٢): ليس على العرش^(٣)(٤)، قال وقال ضمرة [عن]^(٥) بن شوذب: ترك جهنم الصلاة أربعين يوماً على وجه الشك خاصمه بعض السمنية^(٦)، فأقام أربعين يوماً لا يصلي. قال ضمرة وقد رآه^(٧) ابن شوذب، قال البخاري وقال عبدالعزيز ابن أبي سلمة الماجشون: كلام جهنم صفة بلا معنى، بناء بلا أساس، ولم يعد قط من أهل العلم قال ولقد سئل جهنم عن رجل طلق امرأته قبل الدخول فقال عليها العدة^(٨) قال: وقال علي بن عاصم: ما الذين قالوا إن لله ولداً بكفر من الذين قالوا: إن الله لا يتكلم وقال^(٩):

(١) ظ، م: (شرقوالا)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (لهم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) سبق انظر: ص ١٢٩٥.

(٤) خلق أفعال العباد ليس على العرش شيء.

(٥) (عن): ليست في ظ، م، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٦) السمنية: نسبة إلى سمنى، وهم من القائلين بقدم العالم وزعموا أن لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس وأنكر أكثرهم المعاد والبعث، وقال بعضهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة وقد علمهم زعيمهم يوداسف بأن قول: «لا» من عمل الشيطان وأن مذهبهم دفع الشيطان.

الفرق بين الفرق، ص ٢٥٣؛ الفهرست، ص ٤٨٤؛ لسان العرب ١٣/٢٢٠.

(٧) ظ، م: (رواه)، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٨) وبقية النص في خلق أفعال العباد، ص ١٦، خالف كتاب الله بجهله، وقال الله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾.

(٩) سبق انظر: ص ١٣٠٢.

احذر من المريسي وأصحابه؛ فإن كلامهم أبو جاد^(١) الزنادقة، وأنا كلمت أستاذهم جهماً فلم يُثبت أن في السماء إلهاً. قال البخاري: وكان إسماعيل ابن أبي أويس يسميهم زنادقة العراق، وقيل له سمعت أحداً يقول: القرآن مخلوق؟ فقال هؤلاء الزنادقة والله لقد فررت إلى اليمن حين تكلم أبو العباس ببغداد بنحو هذا فراراً من هذا الكلام، قال: وقال علي بن الحسن^(٢): سمعت أبا مصعب يقول: كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله، وقال: أبلغوا الجهمية أنهم كفار، وأن نساءهم طوالق. قال: وقال عفان: من قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مخلوق فهو كافر.

قال: وقال علي بن عبد الله: القرآن كلام الله، من قال: إنه مخلوق فهو كافر، لا يُصلى خلفه. قال: وقال وكيع^(٣): من كذب بحديث إسماعيل عن قيس عن جرير عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو جهمي فاحذروه. قلت: يريد حديث الرؤية. قال: وقال أبو الوليد هو الطيالسي: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر ومن لم يعقد قلبه على أن القرآن ليس بمخلوق فهو كافر خارج عن الإسلام، وقال أبو عبيد^(٤): نظرت في كلام اليهود

(١) خلق أفعال العباد: (يستجلب).

(٢) ورواه عبد الله بن أحمد في السنة، ص ١٤.

قال محقق خلق أفعال العباد: وإسناده صحيح.

(٣) ورواه عبد الله بن أحمد في السنة، ص ٣٨، ١٨٣، بنحوه.

وسياتي ذكر حديث إسماعيل بن قيس في الرؤية، ص ١٤١٠.

(٤) خلق أفعال العباد «وقال أبو عبد الله».

والنصارى والمجوس فمارأيت قوماً أضل في كفرهم من
الجهمية، وإني لأستجهل مَنْ لا يكفرهم إلا من لا يعرف
كفرهم. قال: وقال عبدالرحمن بن عفان^(١): سمعت
سفيان بن عيينة يقول، ويحكم القرآن كلام الله قد صحبتُ
الناس وأدركتهم، هذا عمر بن دينار، وهذا ابن المنكدر..
حتى ذكر منصور والأعمش ومسر بن كدام فما يعرف القرآن
إلا كلام الله، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله، ما أشبه
هذا القول بقول النصارى لا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم.

قال البخاري^(٢): وحدثني الحكم بن محمد الطبري
— كتبت عنه بمكة — حدثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت
مشيختنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو بن دينار يقولون:
القرآن كلامُ الله ليس بمخلوق قال وقال الحميدي^(٣): حدثنا
سفيان ثنا حصين عن مسلم بن صبيح عن بشر بن شكل^(٤)
عن عبدالله قال: ما خلق الله من أرض ولا سماء ولا جنة
ولا نار أعظم من:

(١) ورواه أبو نعيم في الحلية ٢٩٦/٧، بنحوه.

قال محقق خلق أفعال العباد: إسناده صحيح.

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٢٤٥.

ورواه أيضاً في الاعتقاد، ص ١٠٥.

وانظر: العلو للذهبي، ص ١١٥.

(٣) ورواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٢٨٨، بألفاظ متقاربة.

قال محقق خلق أفعال العباد: إسناده صحيح.

(٤) خلق أفعال العباد شتير بن شكل؛ م: (بشر بن شكله).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال سفيان تفسيره: أن كل شيء مخلوق والقرآن ليس بمخلوق، وكلامه أعظم من خلقه لأنه إنما يقول للشيء: كن فيكون فلا يكون شيء أعظم مما يكون به الخلق والقرآن كلام الله قال: وقال زهير^(١) السجستاني: سمعت سلام ابن أبي مطيع يقول: الجهمية^(٢) كفارٌ.

وقال جرير ابن عبد الحميد^(٣): جهمٌ كافرٌ بالله العظيم. وقال: وقال وكيع أحدثوا هؤلاء المرجئة الجهمية^(٤)، والجهمية كفار والمريسي جهمي. وعلمهم كيف كفروا، قال يكفيك المعرفة وهذا كفر والمرجئة يقولون: الإيمان قول^(٥) بلا عمل، وهذا بدعة، ومن قال: القرآن مخلوق فهو كافر بما أنزل على محمد، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه / وقال وكيع على المريسي: لعنه الله، يهودي أو نصراني، فقال له رجل كان أبوه أوجده يهودياً أو نصرانياً، قال وكيع: وعلى أصحابه لعنة الله، القرآن كلام الله، وضرب وكيع إحدى يديه على الأخرى فقال^(٦):

[٢٣٠/١]

(١) ورواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ٥، ١٨٣.

قال محقق خلق أفعال العباد: وفي زهير هذا جهالة فالإسناد ضعيف.

(٢) م: (للجهمية).

(٣) وفي خلق أفعال العباد للبخاري، ص ٢٠، قال عبد الحميد.

قال محقق خلق أفعال العباد: وإسناده حسن.

(٤) ظ، م: (هؤلاء المرجئة هؤلاء الجهمية)، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٥) م: (قل بلا عمل).

(٦) خلق أفعال العباد: سيء ببغداد.

«هو ببغداد يقال له المريسي، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه».

قال البخاري: وقال يزيد بن هارون^(١) لقد حرصت أهل بغداد على قتلة جهدي ولقد أخبرت من كلامه بشيء وجدت وجعه في صلبي بعد ثلاث، وقال علي ابن عبدالله: إنما كان غايته أن يدخل الناس في كفره، وقال عبيدالله بن عائشة: لا يُصَلَّى خلف من قال: القرآن مخلوق، ولا كرامة له، وقال سليمان بن داود الهاشمي وسهل بن مزاحم: مَنْ صَلَّى خلف مَنْ يقول: «القرآن مخلوق» أعاد الصلاة. وقال ابن أبي الأسود^(٢): سمعت ابن مهدي يقول ليحيى بن سعيد: لو أن جهميًّا بيني وبينه قرابة ما استحلتت من ميراثه شيئاً، وقال ابن مهدي^(٣): لورأيت رجلاً على الجسر، ويبيدي سيف، يقول: القرآن مخلوقٌ لضربت عنقه، وقال يزيد بن هارون^(٤) المريسي أضمر من سحالي^(٥): قال أبو عبدالله البخاري: ما أبالي أصليت خلف الجهمي

(١) وفي خلق أفعال العباد، ص ٢١، أخبرت من كلامه بشيء مرة.

(٢) ورواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ١١، عن ابن أبي الأسود قال: لو أن... الخ.

(٣) ورواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ١٠، ١١، ٣٣، بنحوه.

وانظر: الأجرى في الشريعة، ص ٨٠٧٩.

قال محقق خلق أفعال العباد: إسناده صحيح.

(٤) رواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٢٢، ولفظه فيه: «المريسي أخير من أتاني،

ولعل المعنى أعلم من حماري أي أنه لا يعلم شيئاً فهي جملة أُريدَ بها التهكم».

(٥) ظ: (سمالي).

أو الرافضي أم صليتُ خلف اليهودي والنصراني ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم. وقال عبدالرحمن بن مهدي: هما ملتان الجهمية والرافضة، قال شيخ الإسلام: وهذا الكلام الذي قاله الإمام عبدالرحمن بن مهدي قد قاله غيره وهو كلام عظيم، فإن هاتين الفرقتين هما أعظم الفرق فساداً في الدين، وأصلهما من الزنادقة المنافقين^(١) ليستا من ابتداع المتأولين مثل قول الخوارج والمرجئة والقدرية فإن هذه الآراء ابتدعتها قوم مسلمون بجهلهم قصدوا بها طاعة الله فوقعوا في معصيته ولم يقصدوا بها مخالفة الرسول ولا مُحَادَّةَهُ بخلاف الرفض والتجهم فإن مبدأهما من قوم منافقين مكذبين لما جاء به الرسول مبغضين له لكن التبس أمر كبيرهم^(٢) على كثير من المسلمين الذين ليسوا بمنافقين ولا زنادقة، فدخلوا في أشياء من الأقوال والأفعال التي ابتدعتها الزنادقة والمنافقون ولبسوا الحق بالباطل وفي المسلمين سماعون للمنافقين كما قال الله - تعالى -

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

أي قابلون مستجيبون لهم، فإذا كان جيل^(٣) القرآن كان بينهم منافقون وفيهم سماعون لهم، فما الظن بمن

(١) ظ، م: (المنافس)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (أمر كبيرهم من ذلك)، ولعل (من ذلك) زائدة.

(٣) ظ، م: (خبر)، والصواب ما أثبت.

بعدهم، فلا يزال المنافقون في الأرض ولا يزال في المؤمنين سماعون لهم لجهلهم بحقيقة أمرهم وعدم معرفتهم بغور كلامهم، وأما الرفض فإن الذي ابتدعه زنديق منافق وهو عبد الله بن سبأ^(١) الذي أظهر الإسلام، وكان يبطن الكفر، وقصده فساد الإسلام، والتجهم مأخوذ في الأصل عن الصابئين والمشركين وهم أعظم من الرفض ولهذا تأخر دخوله في الأمة، فهاتان الملتان يناقضان أصلي الإسلام، وهما شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله. أما التجهم فإنه نقض للتوحيد وإن سُمِّي أصحابه أنفسهم موحدين، ولهذا كان السلف يترجمون الرد على الجهمية «بالتوحيد والرد على الزنادقة والجهمية» كما ترجم البخاري آخر كتاب الجامع بكتاب التوحيد والرد على الجهمية والزنادقة وكذلك ابن خزيمة سمي كتابه «التوحيد» وهو في الرد على الجهمية، وأما الرافضة فقدحهم وطعنهم في الأصل الثاني وهو شهادة أن محمداً رسول الله، وإن كانوا يُظهرون موالاته أهل بيت الرسول ومحبتهم قال طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس وغيره: هؤلاء قوم أرادوا الطعن في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يمكنهم ذلك فطعنوا في الصحابة ليقول القائل رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين، والرافضة

(١) عبد الله بن سبأ: هو عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية وكانت تقول بألوهية عليّ، أصله من اليمن كان يهودياً وأظهر الإسلام لتفريق كلمة المسلمين وكان من غلاة الزنادقة توفي سنة ٤٠ هـ.

لسان الميزان ٢٨٩/٣، ٢٩٠؛ الاعلام ٨٨/٤.

المتقدمون لم يكونوا جهمية معطلة، وأما المتأخرون منهم من حدود أواخر المائة الثالثة فضموا إلى بدعة الرفض التجهم والقدر فتغلظ أمرهم وظهر منهم حينئذ القرامطة والباطنية، واشتهرت الزندقة الغليظة والنفاق الأعظم في أمرائهم وعلمائهم وعامتهم وأخذوا من دين المجوس والصابئة والمشركين ما خلطوه في الإسلام وهم أعظم الطوائف نفوراً عن / سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وحديثه وآثار أصحابه لمضادة^(١) ذلك لبدعتهم كنفور الجهمية عن آيات الصفات وأخبارها قال البخاري: وقيل لأبي عبيد القاسم بن سلام: إن المريسي سئل عن ابتداء خلق الأشياء، وقول الله:

[٢٣١/١]

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ ^(٢) إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

[النحل: ٤٠].

فقال: هذا كلام صلة، أي هو مثل قوله: قالت السماء^(٣)، وقال الجدار^(٤) يعني أن الله لم يتكلم قال أبو عبيد: أما تشبيهه^(٥) قول الله: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ بقالته السماء^(٦) وقال الجدار^(٧) وبيّن

(١) ظ، م: (المضادة).

(٢) ظ، م: (إنما أمرنا).

(٣) خلق أفعال العباد زاد: فأمطرت.

(٤) خلق أفعال العباد زاد: فمال.

(٥) ظ: (شبيهة).

(٦) خلق أفعال العباد زاد: فأمطرت.

(٧) خلق أفعال العباد زاد: فمال.

بطلان^(١) قوله ثم قال: ومن قال هذا فليس شيء من الكفر إلا وهو دونه، ومن قال هذا [فقد]^(٢) قال على الله ما لم يقله اليهودي والنصراني^(٣) ومذهبه التعطيل للخالق، قال البخاري قال علي^(٤): وسمعت بشر بن المفضل وذكر بعض الجهمية بالبصرة، فقال: هو كافر، وسئل وكيع عن مثنى الأنماطي فقال: هو كافر، وقال عبدالله^(٥) بن داود: لو كان لي على مثنى الأنماطي سبيلٌ لنزعتُ لسانه من قفاه، وكان جهمياً، وقال سليمان بن داود الهاشمي: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، قال: وقال الفضيل بن عياض: إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول من مكانه فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء، قال وقال ابن عليه^(٦) ومعاذ بن معاذ، وحجاج بن محمد، ويزيد بن هارون وهاشم بن القاسم،

- (١) وبين بطلان قوله حيث قال أبو عبيد القاسم بن سلام: «أما تشبيه قول «إذا أردناه» بقوله: قالت السماء فأمطرت، وقال الجدار فمال فإنه لا يشبه وهذه أغلوطة أدخلها، لأنك إذا قلت: قالت السماء ثم تسكت لم يدر ما معنى قالت حتى تقول فأمطرت وكذلك إذا قلت: أراد الجدار ثم لم تتبين ما معنى أراد لم يدر ما معناه.
- وإذا قلت: قال الله اكتفيت بقوله: قال و«قال» مكتف لا يحتاج إلى شيء يستدل به قال كما احتجت إذا قال الجدار فمال وإلا لم يك لقال الجدار معنى. ثم قال: ومن قال هذا فليس شيء من الكفر إلا دونه».
- انظر: خلق أفعال العباد، ص ٢٢، ٢٣.
- (٢) (فقد): ليست في ظ، م، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.
- (٣) ظ: (النصارى).
- (٤) ورواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ١٣.
- وفيهما وذكر ابن خلوية بالبصرة. بعد قوله هنا: «ذكر بعض الجهمية».
- (٥) رواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٢٣.
- (٦) رواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٢٥، وفيه وقال محمد بن يوسف.

والربيع بن نافع الحلبي ومحمد بن يوسف وعاصم بن علي
ويحيى بن يحيى وأهل العلم من قال: القرآن مخلوق،
فهو كافر ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر، وقال
محمد بن يوسف^(١): من قال: إن الله ليس على عرشه
فهو كافر قال: وقيل لأحمد بن يونس: أدركت الناس فهل
سمعت أحداً يقول: القرآن مخلوق، فقال: الشيطان تكلم
بهذا.

فمن تكلم بهذا فهو جهمي، والجهمي كافر، وذُكر عن
وكيع^(٢) قال: لا تستخفوا بقولهم: القرآن مخلوق؛ فإنه من
شر قولهم، إنما يذهبون إلى التعطيل، قال: وحدثني
أبو جعفر سمعت الحسن بن يونس الأشيب^(٣) وذكر الجهمية
فقال^(٤) منهم ثم قال: أُدْخِلْ رَأْسَ^(٥) من رؤساء الزنادقة
يقال له شمعة على المهدي فقال: دلني على أصحابك،
فقال: أصحابي أكثر من ذلك، فقال دلني عليهم، فقال:
صنفان ممن ينتحل القبلة: الجهمية والقدرية الجهمي إذا غلا
قال: ليس ثم شيء، وأشار الأشيب إلى السماء. والقدري
إذا غلا قال: هما اثنان، خالق خير وخالق شر، فضرب عنقه

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٢٥)، وفيه: وقال محمد بن يوسف.

(٢) رواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٢٦.

ورواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٢٥٤.

(٣) قال محقق خلق أفعال العباد: إسناده صحيح.

(٤) ظ، م: (فقال)، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٥) م: (ذاتين).

وصلبه، قال وحدثني أبو جعفر^(١)، حدثني يحيى بن أيوب قال: سمعت أبا نعيم شجاعاً البلخي يقول كان رجل من أهل مرو صديقاً لهم، ثم قطعه وجفاه فقيل له: لم جفوتَه؟ قال: جاء منه مالا يَحتمَل، قرأت يوماً آية كذا وكذا - نسيها يحيى^(٢) - فقال: ما كان أظرف محمداً حين قالها، واحتملتها، ثم قرأ سورة طه، فلما بلغ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. قال: أما والله لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها^(٣) من المصحف، فاحتملتها ثم قرأ سورة القصص، فلما انتهى إلى ذكر موسى قال: ما هذا ذكر قصة في موضع فلم يتمها، ثم ذكرها هنا فلم يتمها، ثم رمى المصحف من حجره برجليه فوثبت عليه. حدثني أبو جعفر^(٤) سمعت يحيى بن أيوب قال: كنا ذات يوم عند مروان بن معاوية الفزاري، فسأله رجل عن حديث الرؤية فلم يحدثه، فقال: إن لم تحدثني به فأنت جهمي. فقال مروان: يقول لي جهمي، وجهم مكث أربعين ليلة لا يعرف ربه حدثني أبو جعفر حدثني هارون بن معروف ويحيى بن أيوب قائلًا: قال ابن المبارك^(٥): كل قوم يعرفون من

(١) رواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ٣٠.

وانظر: العلو للذهبي، ص ١١٤.

قال محقق خلق أفعال العباد: إسناده صحيح.

(٢) م: (سبها على).

(٣) ظ: (لحككها).

(٤) قال محقق خلق أفعال العباد: إسناده صحيح.

(٥) قال محقق خلق أفعال العباد: إسناده صحيح.

يعبدون إلا الجهمية. حدثنا أبو جعفر^(١) سمعت يزيد بن هارون حدثنا حديث إسماعيل، عن قيس، عن جرير، عن النبي - صلى الله عليه وسلم: أنكم تَرَوْنَ ربكم، قال يزيد: مَنْ كذب بهذا فقد برىء من الله ورسوله، حدثنا أبو جعفر^(٢) حدثنا أحمد بن خلاد سمعت يزيد بن هارون ذكر أبا بكر الأصبم والمريسي، فقال: هما والله زنديقان كافرين بالرحمن حلالا الدم، وقال عبدالرحمن بن مهدي^(٣): من زعم أن الله لم يكلم موسى فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قُتِل. وقال يزيد بن هارون^(٤): والله الذي لا إله إلا هو ما هم إلا زنادقة أو قال: مشركون، وسئل^(٥) عبدالله بن إدريس عن الصلاة خلف أهل البدع، فقال: لم يزل في الناس إذا كان فيهم مرض أو عدل فَصَلَّ خلفه، قلت: فالجهمية؟ قال: لا هذه من المقاتل، هؤلاء لا يُصَلَّى خلفهم / ولا يُنَاكحون وعليهم التوبة، وسئل حفص بن غياث فقال فيهم ما قال ابن إدريس قيل فالجهمية قال: لا أعرفهم. قيل له: قوم يقولون القرآن مخلوق قال: لا جزاك الله خيراً، أوردت على قلبي ما لم يسمع به قط،

[٢٣٢/١]

(١) ورواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ٣٨.

قال محقق أفعال العباد إسناده صحيح.

والحديث سبق تخريجه، انظر: ص ١٨٩.

(٢) قال محقق خلق أفعال العباد: إسناده صحيح.

(٣) ورواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ١٠.

ورواه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٢٤٩.

(٤) ورواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ١١، بنحوه.

(٥) ظ، م: (قبل)، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

قلت: فإنهم يقولونه. قال: هؤلاء لا يناكحون ولا تجوز شهادتهم. وسئل ابن عيينة. فقال نحو ذلك، قال: فأثبت وكيعاً فوجدته من أعلمهم بهم، فقال: يُكفرون من وجه كذا، ويكفرون من وجه كذا، حتى أكفرهم من كذا وكذا وجهاً. وقال وكيع: الرافضة شر من القدرية، والحرورية شر منهما، والجهمية شر هذه الأصناف، قال الله - تعالى:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

ويقولون: لم يكلمه، ويقولون: الإيمان بالقلب، قال البخاري^(١): يقال: سلم ابن أحوز الذي قتل جهماً.

فصل

قال البخاري^(٢): «حدثنا محمد بن كثير حدثنا إسرائيل ثنا عثمان بن المغيرة عن سالم عن جابر قال: كان النبي

(١) وانظر: السنة لعبدالله بن أحمد، ص ٣٠.

وانظر: قصة مقتله في البداية والنهاية لابن كثير ٣١/١٠.

(٢) انظر خلق أفعال العباد وقد رواه البخاري فيه معلقاً، ص ٢٩، ٦٧.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٥٩/١٣)، من طريق جابر بن عبدالله، في كتاب السنة، باب في القرآن، ح ٤٧٠٨.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٢٤٢/٨، ٢٤٤)، في أبواب فضائل القرآن عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي «صلى الله عليه وسلم»، ح ٣٠٩٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، صحيح غريب.

ورواه ابن ماجه ٧٣/١، في المقدمة، باب فيما انكرت الجهمية، ح ٢٠١.

ورواه البيهقي في الاعتقاد، ص ١٠٠.

ورواه الحاكم في المستدرک ٦١٢/٢، ٦١٣، في كتاب التاريخ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

«صلى الله عليه وسلم» يعرض نفسه بالموقف، فقال:
الأرجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام
ربي».

وقال أنس^(١) بن مالك: «لما أسري بالنبي «صلى الله
عليه وسلم» من مسجد الكعبة، فإذا موسى في السماء
السابعة بتفضيل كلام الله «عز وجل»، وقال أبو ذر^(٢): «قال
النبي «صلى الله عليه وسلم»: قال الله «عز وجل»:
«عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردت شيئاً فإنما أقول له
كُنْ فيكون».

قال: وقال عبدالله بن أنيس^(٣)^(٤): «سمعت

-
- (١) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٤٧٨)، من طريق أنس بن مالك في كتاب التوحيد،
باب ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، ح ٧٥١٧.
ورواه مسلم ١/١٤٨، في كتاب الإيمان، باب الإسرائاء برسول الله «صلى الله عليه
وسلم» إلى السماوات، وفرض الصلوات، ح ٢٦٢.
ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ١٣٩.
ورواه البخاري في خلق أفعال العباد مسنداً، ص ١٧٤، ومعلقاً، ص ٣٠.
(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٧/١٩٨)، من طريق أبي ذر، في أبواب صفة القيامة،
باب منه، ح ٢٦١٣.
رواه ابن ماجه ٢/٤٣٩، في أبواب الزهد، باب ذكر التوبة، ح ٤٣١١،
ط. الأعظمي، وليس فيه (عذابي كلام).
ورواه أحمد في المسند ٥/١٥٤.
ورواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٣٠.
(٣) م: (أنس).

- (٤) رواه البخاري معلقاً في موضعين: الأول في كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم
(فتح الباري ١/١٧٣)، بصيغة الجزم، وذكر فيه ارتحال جابر بن عبدالله إلى عبدالله بن
أنيس فقط؛ والثاني في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ =

رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقول: «إن الله يحشر العباد يوم القيامة، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب، أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة».

وقال أبو هريرة^(١) عن النبي «صلى الله عليه وسلم»: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان:

= إلامن أذن له... الآية (فتح الباري ١٣/٤٥٣)، بصيغة التمريض وذكر فيه طرفاً من متن الحديث.

وقد علل ابن حجر عفا الله عنه وروده بصيغة التمريض، لأن لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبه إلى الرب ويحتاج إلى تأويل. وقد رد عليه فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الحاشية، وأشار إلى أن إطلاق الصوت على كلام الله قد ثبت في غير هذا الحديث. انظر: فتح الباري ١/١٧٤، وقال الحافظ ابن حجر في بعض طرقه: إسناده صحيح.

ورواه البخاري في خلق أفعال العباد مسنداً، ص ١٤٩ - ١٥٠، ومعلقاً، ص ٣٠. ورواه أحمد في المسند ٣/٤٩٥.

ورواه الحاكم في (المستدرک ٢/٤٣٧، ٤٣٨)، في كتاب التفسير، تفسير سورة المؤمن، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال: الذهبي صحيح.

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٨/٥٣٧، ٥٣٨)، من طريق أبي هريرة، في كتاب التفسير، باب ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ ح ٤٨٠٠.

ورواه أيضاً في خلق أفعال العباد معلقاً، ص ٣٠، ٣١، وموصولاً، ص ١٥١.

ورواه الترمذي ٩/٩٠، في أبواب التفسير، سورة سبأ، ح ٣٢٧٦، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». ورواه أبو داود مختصراً (عون المعبود ١١/١٩)، في كتاب الحروف والقراءات، ح ٣٩٧٠، وقد سبق تحقيقه بلفظ إذا تكلم الله بالوحي.

﴿ إِذَا ^(١) فَزَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ ^(٢) وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣].

وقال خباب بن الأرت ^(٣): «تقرب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه».

وقال نيار بن مكرم ^(٤) ^(٥) الأسلمي: «لما نزلت:

﴿ لَمْ يَلْمِ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾

[الروم: ١ - ٣].

خرج أبو بكر يصيح «كلام ربي كلام ربي» ^(٦) وكانت أسماء بنت أبي بكر إذا سمعت القراءة قالت: «كلام ربي» ^(٧).

وقال: أبو عبدالرحمن السلمى ^(٨): «فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الرب على خلقه».

(١) ظ، م: (إذا)، وكذا في البخاري والترمذي.

(٢) ظ: (الحق).

(٣) رواه البيهقي في الاعتقاد، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٤) ظ، م: (بن مسلم أم)، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٥) رواه البيهقي في الاعتقاد، ص ١٠٢، مع اختلاف في الألفاظ.

ورواه عبدالله بن أحمد في السنة، ص ١٨٢، مع اختلاف في الألفاظ.

ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ١٦٦، ١٦٧، بنحوه.

(٦) خلق أفعال العباد لم يكرر (كلام ربي).

(٧) خلق أفعال العباد كرر (كلام ربي).

(٨) رواه البيهقي في الاعتقاد، ص ١٠١.

وقال أبو ذر^(١): «قلت يا رسول الله من أول الأنبياء؟
قال: آدم. قلت: إنه لنبي قال: «نعم مكلم»».

وقال ابن عباس: «لما كلم الله موسى، كان النداء في
السماء، وكان الله في السماء، ثم ذكر حديث عبدالله.

قال ابن مسعود^(٢) أصدق الحديث كلام الله.

قال: وقال أبو بكر^(٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم،
وذكر الشفاعة، قال: يقول نوح^(٤): انطلقوا إلى موسى فإن
الله كلمه تكليماً، وقال أبو هريرة^(٥) وابن عمر عن النبي

(١) رواه أحمد في المسند ١٧٨/٥، ١٧٩.

ورواه الحاكم في المستدرک ٢/٢٦٢، في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، وقال:
«هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه».

(٢) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، ص ٤٢٦، ٤٢٧؛ وابن وضاح في البدع،
ص ٢٤.

(٣) رواه أحمد في المسند ٤/١، ٥.

ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٤٣٨، ٤٣٩.

ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ٣١٠، ٣١١.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٧٤، ٣٧٥. «رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبخاري
ورجالهم ثقات».

(٤) في خلق أفعال العباد «... يقول نوح: انطلقوا إلى إبراهيم فإن الله اتخذ خليلاً،
فيأتون إبراهيم فيقول: انطلقوا إلى موسى فإن الله كلمه تكليماً...».

(٥) رواه البخاري (فتح الباري ١٣/٤٧٧)، من طريق أبي هريرة في كتاب التوحيد،
باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾، ح ٧٥١٥.

ورواه مسلم ٤/٢٠٤٣، في كتاب القدر، باب حجج آدم وموسى عليهما السلام،
ح ١٥.

صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى موسى بكلامه
ورسالته.

وقال عدي بن حاتم^(١): قال رسول^(٢) الله «صلى الله
عليه وسلم»: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه
وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم من عمله،
فينظر^(٣) عن يساره^(٤)، فلا يرى إلا ما قدم من عمله^(٥)،
وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار
ولو بشق ثمرة ولو بكلمة طيبة».

وقال جابر^(٦) بن عبد الله: قال النبي «صلى الله عليه
وسلم»: «ألا أبشرك بما لقي الله به أباك، إن الله كلم أباك
من غير حجاب، فقال له: عبدي سلني. قال: يا رب ردي
إلى الدنيا حتى اقتل فيك. قال: إني قد قضيت عليهم أن
لا يرجعوا^(٧)». قال^(٨): فأبلغهم عنا، فأنزل الله:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

(١) سبق تخريجه، ص ١٩٧.

(٢) (رسول): مكرر في ظ.

(٣) ظ: (فنظرا).

(٤) خلق أفعال العباد، أشأم فيه.

(٥) من عمله ليست في خلق أفعال العباد.

(٦) سبق. انظر: ص ١٢٤٧.

(٧) خلق أفعال العباد: (ألا يرجعوا).

(٨) خلق أفعال العباد: (قال يا رب فأبلغهم).

قال أبو عبدالله^(١): وهو عبدالله بن عمرو بن حرام: «قتل يوم أحد شهيداً». وقال جبير بن مطعم^(٢): عن النبي «صلى الله عليه وسلم»: «إن الله عز وجل [على]^(٣) عرشه فوق سماواته، [وسمواته فوق أراضيه]^(٤) مثل القبة».

وقال ابن مسعود^(٥) في قوله:

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال: «العرش على الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه».

وقال قتادة^(٦) في قوله:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[الزخرف: ٨٤].

(١) أبو عبدالله: هو البخاري. انظر: خلق أفعال العباد، ص ٣٤.

(٢) رواه أبو داود (عون المعبود ١١/١٣ - ١٤)، من طريق جبير بن مطعم، في كتاب السنة، باب في الجهمية، ح ٤٧٠٠. ورواه البغوي في (شرح السنة ١/١٧٥، ١٧٦)، في كتاب الإيمان، باب الرد على الجهمية.

ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ١٠٣ - ١٠٤. وقد انتصر للحديث ابن القيم رحمه الله في حاشيته (عون المعبود ١١/١٣)، تهذيب سنن أبي داود ورد على من طعن في سنده.

(٣) على: (إضافة من خلق أفعال العباد).

(٤) وسمواته فوق أراضيه: (إضافة من خلق أفعال العباد).

(٥) رواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٣٤؛ ورواه ابن خزيمة في التوحيد، ص ١٠٥؛ قال محمد خليل هراس هذا أثر صحيح عن ابن مسعود وافر الطرق.

(٦) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ٢٥/١٠٤.

قال: «يعبد في السماء ويعبد في الأرض».

وقال ابن عباس: في قوله:

﴿يَذُرُّ الْأَمْرِمِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مُقَدَّارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

قال: من أيام السنة^(١)، وقال تعالى:

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ^(٢) مَنْ فِي السَّمَاءِ / أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ
كَيْفَ نَذِيرٌ﴾. [الملك: ١٧]. [٢٣٣/١]

وقال عمران بن حصين^(٣): قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لأبي: «كم تعبد اليوم^(٤)؟ قال سبعة آلهة، ستة في الأرض، وواحد في السماء. قال: فأئهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء. قال: اما إنك لو أسلمت، علمتك كلمتين ينفعانك، فلما أسلم الحصين، قال: يارسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني، قال: قل: اللهم أهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي».

قال البخاري^(٥): وقال بعض أهل العلم: «إن الجهمية هم المشبهة، لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم، والأبكم

(١) ظ، م: (ومن الأيام الستة)، وما أثبتته من خلق أفعال العباد.

(٢) ظ، م: (أأمنتم).

(٣) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٩/٤٥٤، ٤٥٥)، من طريق عمران بن حصين، في أبواب الدعوات، ح ٣٥٥٠. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

ورواه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٣٥.

(٤) خلق أفعال العباد زاد إلهاً.

(٥) انظر: خلق أفعال العباد، ص ٣٥، ٣٦.

الذي لا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم، ولا يخلق، وقالت
الجهمية كذلك لا يتكلم، ولا يبصر^(١)، وقالوا: إن اسم الله
مخلوق.

ولقد اختصم يهودي ومسلم إلى بعض معطلتهم،
فقاضى باليمين على المسلم، (فقال اليهودي حلفه، فقال
المخاصم له: احلف بالله الذي لا إله إلا هو)^(٢) فقال
اليهودي: حلفه بالخالق لا بالمخلوق، فإن هذا من القرآن،
وزعمت أن القرآن مخلوق، فحلفه بالخالق، فبهت الآخر.
وقال: قوما حتى أنظر في أمركما، وخسر هنالك
المبطلون^(٣).

وفي تاريخ الخطيب^(٤)^(٥)، في ترجمة بشر المريسي،
«عن إسحاق بن أحمد بن منيع قال: كان بشر المريسي
يقول: صنف^(٦) من الزنادقة سماهم صنف كذا وكذا
يقولون: ليس بشيء، وذكر فيه «عن علي بن عاصم^(٧)»

(١) خلق أفعال العباد، زاد نفسه.

(٢) ما بين القوسين ليس في خلق أفعال العباد.

(٣) انتهى ما نقله ابن القيم من خلق أفعال العباد، ص ٣٦.

(٤) الخطيب: هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر المعروف بالخطيب، ولد سنة

٣٩٢، في «غزبية» بين الكوفة ومكة. من كتبه: «تاريخ بغداد» و«الكفاية في علم

الرواية» و«المتفق والمفترق» وغيرها، توفي ببغداد سنة ٤٦٣.

سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٨ - ٢٩٧؛ وفيات الأعيان ٩٢/١، ٩٣؛ الأعلام

١٧٢/١.

(٥) تاريخ بغداد ٥٧/٧، ٥٨.

(٦) تاريخ بغداد، (صنوف).

(٧) تاريخ بغداد ٥٨/٧.

قال: كنت عند أبي، فاستأذن عليه بشر المريسي، فقلت: يا أبت يدخل عليك مثل هذا، فقال: يا بني فما قال. قلت: إنه يقول: إن القرآن مخلوق، وإن الله عز وجل معه في الأرض، وإن الجنة والنار لم يخلقا، وإن منكرًا ونكيرًا باطل، وإن الصراط باطل، وإن الميزان باطل، وإن الشفاعة باطلة^(١) مع^(٢) كلام كثير. قال: فأدخله عليّ، قال: فأدخلته عليه، قال: فقال يا بشر ادن^(٣) ويلك يا بشر ادن^(٣) مرتين أو ثلاثاً، فلم يزل يذنيه حتى قرب منه. قال: ويلك يا بشر من تعبد وأين ربك؟ قال: فقال: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: أخبرت عنك أنك تقول: إن القرآن مخلوق، وإن الله معك في الأرض، مع كلام كثير، ولم أر شيئاً أشد على أبي من قول القرآن مخلوق، وإن الله معه في الأرض، فقال: يا أبا الحسن لم أجيء لهذا، وإنما جئت في كتاب خالد، لتقرأه عليّ، فقال له: ولا كرامة حتى أعلم ما أنت عليه. أين ربك. ويلك؟ قال: أوتعفيني. قال: ما كنت لأعفيك. قال: أما إذا أبيت، فإن ربي نور في نور. قال: فجعل يزحف إليه. ويقول: ويحكم اقتلوه، فإنه والله زنديق، وقد كلمت هذا الصنف بخراسان.

وذكر فيه أيضاً، عن أبي يوسف القاضي^(٤) أنه قال،

(١) ظ، م: (باطل)، والصواب ما أثبتته.

(٢) م: (من).

(٣) ظ: (ادنه).

(٤) تاريخ بغداد ٦١/٧.

لبشر المريسي: «طلب العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار رأساً في الكلام قيل: زنديق، أو يرمى بالزندقة، يا بشر بلغني أنك تتكلم في القرآن، إن أقررت أن الله^(١) علماً خصمت، وإن جحدت العلم كفرت».

وذكر عبدالله بن أحمد، وابن أبي حاتم عن عبدالرحمن بن مهدي^(٢) أنه قال: ليس في أصحاب الأهواء أشر من أصحاب جهنم، يريدون^(٣) أن يقولوا: «إن الله لم يكلم موسى، ويريدون^(٣) أن يقولوا: ليس في السماء شيء، وإن الله ليس على العرش، أرى أن يستتابوا، فإن تابوا، وإلا قتلوا».

وذكر أيضاً عن سعيد بن عامر الضبعي^(٤)، أنه ذكر عنده الجهمية، فقال: «هم شر قولاً من اليهود والنصارى، قد أجمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وهم قالوا: ليس عليه شيء».

فهذا وأضعافه قليل من كثير من شهادة شهداء الله في أرضه، الذين استشهدهم على توحيدهم، وقرن شهادتهم^(٥) بشهادته وشهادة ملائكته، وعدلهم رسوله «صلى الله عليه

(١) ظ، م: (الله)، والصواب ما أثبتته.

(٢) سبق بنحوه، ص ١٢٩٥.

(٣) ظ، م: (يدورون)، والصواب ما أثبت.

(٤) سبق، انظر: ص ١٢٩٥.

(٥) ظ: (شهادهم).

وسلم» بقوله: يحمل هذا^(١) العلم من كل خلف عدوله^(٢)، وهؤلاء شهداء الله على الناس يوم القيامة، كما قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فإنهم قاموا بشروط الشهادة، وهي العلم والعدل، فإن الشاهد لا يكون مقبولاً حتى يكون عالماً بما يشهد له، عدلاً في نفسه، ولم يكن الله سبحانه ليجمع شهادة هؤلاء الذين هم ورثة رسوله وأنصار دينه، ولهم لسان الصدق في الأمة على باطل وزور، وتكون شهادة اتباع أهل الفلسفة الصابئين والمشركين، وشهادة الجهمية الجاحدين لصفات رب العالمين وكلامه وعلوه على خلقه، وأوقاح المعتزلة، وأفراخ المجوس، وأمثالهم هي المقبولة عند الله، وهي شهادة الحق، بل هؤلاء هم المشهود عليهم / بين يدي الله، فإنهم خصماؤه وخصماء وحيه ورسوله، حيث نسبوا كلامه وكلام رسوله إلى ما لا يليق به، وظنوا به أسوأ^(٣) الظن واعتقدوا أن ظاهره باطل ومحال وتشبيه وضلال، فكيف يقبل أحكم الحاكمين وأعدل العادلين شهادة هؤلاء المتهوكين المتجبرين على حزبه وأنصاره وأنصار كتابه وسنة رسوله، الذين قدموا كتابه وسنة رسوله على كل ما خالفها، ولم يقدموا ما خالفها عليهما^(٤)،

[٢٣٤/١]

(١) ظ: (وهذا).

(٢) سبق، انظر: ص ١٣٤٣.

(٣) م: (سوء).

(٤) ظ، م: (عليه)، والصواب ما أثبت.

وتركوا الآراء الباطلة والمعقولات السخيفة لهما، ولم يتركوهما^(١) لأجلها وقرروا بالعقل الصريح صحة ما جاء به الرسول، ولم يقرروا بالعقل الفاسد بطلان ما جاء به، وأنه مخالف للعقل الصريح^(٢)، ورأوا أن اليقين كل اليقين مستفاد من كلام الله ورسوله، ولم يقولوا: إنه لا يستفاد منه علم ولا يقين، ورأوا أن ما أخبر به عن^(٣) أسمائه وصفاته وأفعاله حقيقة، ولم يقولوا: إنه مجاز لا حقيقة له، فأبي الفريقين أحق بالعلم، والعدالة وقبول الشهادة عند الله وعند ملائكته وعند جميع^(٤) المؤمنين، وأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون.

الوجه السادس والتسعون بعد المائة:

إن هؤلاء أصلوا أصولاً جعلوها أساساً لبنائهم، وسموها قواطع عقلية، وسموا أدلتها براهين يقينية، فجاءت فروع تلك الأصول ولوازمها، والبناء الذي ارتفع عليها من أبطل الفروع، وأفسد اللوازم وأضعف البناء وأوهاه، وذلك بين لكل ذي عقل سليم، وفطرة صحيحة لم تفسد بالتقليد، ولم تعم بالهوى والتعصب [عن]^(٥) فساد تلك الأصول ومناقضتها للمعقول والمنقول، وهذا موضع يستدعي عدة

(١) ظ: (ولم يتركوهما).

(٢) ظ، م: (الصحيح)، والأولى ما أثبتته.

(٣) م: (من).

(٤) ظ، م: (جمع)، والصواب ما أثبت.

(٥) (عن): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

أسفار، لكن نذكر منه أدنى تنبيه على طريق الاختصار يكون منبهاً على ما وراءه^(١) مثال ذلك أن المتفلسفة لما أصلوا أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، بنى على ذلك من اللوازم الباطلة في المصدر والصادر ما هو متضمن لأعظم أنواع الباطل.

أما المصدر: فإنهم التزموا أن لا يكون فيه معنيان متغايران أصلاً، فنفوا عنه جميع الصفات، إذ لو ثبت له صفة وجودية لم يكن عندهم واحداً، وقد فرضوه واحداً من كل وجه، فنفوا علمه، وقدرته، وحياته، وسمعه، وبصره، وكلامه، واختياره، ومشيتته، وأن يكون فاعلاً باختياره لشيء من العالم، ونفوا علوه على خلقه، ومباينته للعالم، واستواءه على عرشه، ولو ثبت له ذلك، لكان جسماً، والأجسام مركبة، فلم يكن واحداً من كل جهة.

ولزمهم من ذلك نفي ماهيته وذاته، وأن يقولوا: إنه لا ماهية له سوى الوجود المطلق، إما بغير شرط، أو بشرط الإطلاق، ومن المعلوم أن المطلق لا وجود له في الخارج، ولا سيما إذا أخذ بشرط الإطلاق.

فلزمهم من هذا الأصل نفي وجود الخالق سبحانه في الخارج، وأن يكون وجوده ذهنياً لا خارجياً.

ولزمهم عنه لو صح لهم إثباته أنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يميت، ولا يحيي ولا يعلم شيئاً، ولا يرسل رسولاً، ولا يأمر، ولا ينهى، ولا يبعث من في القبور.

(١) ظ، م: (رواه)، والصواب ما أثبت.

ولزمهم منه أن يكون هذا العالم قد وجد من غير خالق،
أو أنه لم يزل موجوداً قديماً أزلياً، ولما كان اللازم الأول أشنع
وأظهر فساداً لكل عاقل التزموا الثاني.

وأما الباطل الذي لزمهم في جانب الصادر فهو: أن
يكون واحداً من كل وجه، ولا يكون فيه كثرة بوجه ما ليس
مصدره واحد كذلك، فالصادر عنه أيضاً يجب أن يكون
كذلك وهلم جرا، والحس يكذبه، ولا ينفعهم الجواب بأن
الصادر له وجوه^(١) واعتبارات لأجلها تعدد الصادر عنه،
فإن تلك الوجوه إن كانت وجودية لزم صدور الكثرة عن
الوحدة وبطل أصلهم، وإن كانت عدمية لم يكن مصدراً
للموجود وهذا قاطع.

فصل

ولما أصلوا هم وأتباعهم من الجهمية أن المختص بصفة
أو حقيقة أو قدر لا بد له من تخصيص منفصل لزمهم من
هذا الأصل إنكار حقيقته وذاته وصفاته إذ لو أثبتوا له ذلك
بزعمهم، لزم أن يكون له مخصص غيره خصصه بتلك
الماهية والصفات والقدر، فلزم أيضاً من هذا الأصل الباطل
ما لزم من الأصل الذي قبله، وهم طردوا هذا الأصل
وجحدوا حقيقة الرب وصفاته، وإخوانهم من الجهمية
لما لم يمكنهم [أن]^(٢) يصرحوا^(٣) به بين أظهر المسلمين،

(١) ظ: (وجود).

(٢) (ان): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٣) ظ، م: (يصرحون).

صرحوا بالأصل، وبما أمكنهم أن يصرحوا به من اللوازم
 كنفى الصفات، ونفى العلو والمباينة والكلام. والوجه
 واليدين والاستواء والنزول، ولما أصلوا ذلك لزمهم / القول
 بأنه^(١) في كل مكان بذاته، وأنه تعالى في الأجواف والأمكنة
 التي يتعالى عنها، فلما صاح عليهم أهل العلم والإيمان من
 كل قطر من أقطار الأرض، قالوا: نقول: إنه لا داخل
 العالم، ولا خارجه، ولا فوق العرش، ولا تحته، فلما رأى
 عبادهم ومتصوفهم^(٥) أن الإرادة والعبادة والطلب لا تُعَلَّقُ
 بمعبود هذا شأنه، وأن القلوب لا تعرفه، والألسنة لا تعرفه
 فروا إلى أن قالوا: فهو عين هذا العالم لا غيره، وكل هذه
 اللوازم أسست^(٣) على ذلك الأصل الفاسد.

ولما أصلوا أن الصفات أعراض، لا تقوم إلا بأجسام
 لزمهم إنكارها رأساً، ومن أثبت منهم صفة ونفى غيرها،
 أضحك أهل العقل والنقل على عقله، ولما أصلوا هذا
 الأصل، لزمهم عنه أن الله لم يتكلم ولا يكلم أحداً من
 خلقه، ولم ينزل له إلى الأرض كلام تكلم به، وإنما خلق
 أصواتاً وحروفاً في الريح سميت كلامه مجازاً لا حقيقة،
 فلما فهم سفهاؤهم هذا، وانه ليس لله في الأرض كلام، وأنه
 ليس في المصحف إلا صفة المخلوقين ومدادهم وما عملت
 أيديهم، صار فيهم من يكتب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

(١) ظ، م: (بان)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (متصوفيههم)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (است).

بما يستحي من ذكره، ومنهم من يلقي المصحف في المكان الذي يرغب عن ذكره، ويقول: «إنما القيت كاغدا»^(١) ومداداً» ومنهم من يجعله كرسيّاً له يضعه تحت رجله، ويرقى عليه ويتناول به حاجته، [و] ^(٢) منهم من يكون له وعاء يضع فيه المصحف ونعله وغيره، ومنهم من يتوسده، إلى غير ذلك من الأنواع التي فيها من الاستخفاف بالمصحف والإهانة له؛ ما يدل على براءة فاعله من الله ورسوله وكتابه ودينه.

وأما إطلاقهم العبارات القبيحة الدالة على الاستهانة، فهم لا يتحاشون منها بل يصرحون بقولهم: أي شيء في المصحف سوى المداد والورق، ويقولون: ليس في المصحف كلام الله، ولم ينزل إلى الأرض الله كلام، وهذا^(٣) الذي يقرأه المسلمون ليس بكلام الله حقيقة، وقد رأينا نحن وغيرنا هؤلاء مشاهدة، وسمعنا بعض أقوالهم التي حكيناها، وهذه الفروع واللوازم فروع ذلك الأصل الباطل.

كما أنهم لما أصلوا تعطيل الرب من صفة العلو، وتعطيل العرش من استواء ربه عليه، لزمهم التكذيب، بما لا يحصى من الآيات والأحاديث – وإن أقرروا بألفاظها – ولزمهم الطعن في خيار الأمة وساداتها وأئمة الإسلام، وأهل

(١) الكاغد: (هو القرطاس)، فارسي أو صيني معرب.

انظر: معجم متن اللغة ٧٩/٥.

(٢) (الواو): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٣) م: (وهو).

السنة والحديث، ولزمهم إنكار نزوله إلى سماء الدنيا كل ليلة، وإنكار مجيئه وإتيانه يوم القيامة، لفصل القضاء بين عباده، وإن أقروا بذلك أقروا به مجازاً لا حقيقة، ولزمهم من ذلك التكذيب بمعراج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ربه، ودنوه منه، حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وتردده^(١) بين موسى وبين ربه مراراً، كل ذلك لا حقيقة له عندهم، كما صرح به أفضل متأخريهم، وملك مناظرهم، في كلامه على المعراج، وجعله خيالاً لا حقيقة له.

المثال الخامس

ولما أصلوا أنه سبحانه لا تقوم به الأفعال الاختيارية، وسموا ذلك حلول الحوادث، لزمهم عنه أنه لا يفعل شيئاً البتة، فإنه لا يتكلم بمشيئته، وأن يكون بمنزلة الجمادات التي لا تفعل شيئاً، فإنهم جعلوا المفعول عين الفعل، ومن المعلوم أن مفعولاً بلا فعل أبلغ في الاستحالة والبطلان من مفعول بلا فاعل، أو هما سواء، فلزمهم من هذا الأصل مخالفة صريح المفقول والمنقول والفطرة والتكذيب بما لا يحصى من النصوص.

المثال السادس

لما أصلت القدرية، أن الله سبحانه لو شاء أفعال عباده وقدر عليها وخلقها، ثم كلفهم بها، وعاقبهم عليها لكان ذلك ظلماً ينافي العدل.

ولزمهم عن هذا الأصل لوازم مخالفة للعقل والشرع منها التكذيب بقدر الله وتكذيب غلاتهم بعلمه السابق، وإنكار كمال قدرته، ونسبته إلى أن يكون في ملكه

(١) ظ، م: (تراده)، والأولى ما أثبت.

ما لا يشاء، ويشاء ما لا يكون، وإخراج أشرف ما في ملكه عن أن يكون قادراً عليه أو خالقاً له، وهو طاعات أنبيائه ورسله وملائكته وأوليائه، وأن تكون أفعالهم حدثت من غير خالق^(١) محدث، أو يكونوا هم الخالقون المحدثون لها، وأن تكون إرادتهم مشيآت حادثة بلا محدث، ولزمهم تكذيبهم بنصوص القدر كله، والطعن في نقلة أخبارها وتحريفها عن مواضعها بالتأويلات التي هي كذب على اللغة وعلى الله وعلى رسوله إلى أضعاف ذلك من اللوازم الباطلة، ولزم هؤلاء كلهم أن الكتاب والسنة جاء بما يخالف العقل الصريح، وأنه إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وأطرح النقل، فهذه الأصول الرديئة الخبيثة تولدت عنها هذه الأولاد المناسبة لها، ومن أشبه أباه فما ظلم، فإذا قابلت / بين أصول أهل الإثبات وما تولد عنها، وبين أصول المعطلة النفاة وما تولد عنها، تبين لك الفرق بين هذه الأصول وفروعها، وهذه الأصول وفروعها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

[٢٣٦/١]

الوجه السابع والتسعون بعد المائة:

إن من تأمل أقوال هؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم وآرائهم، وجدها قد جمعت أمرين كل منهما يدل على بطلانها.

بيان أن أقوال هؤلاء
مصدرها الظن
والتخمين

أحدهما: اختلافها في نفسها، واضطرابها، وتهافتها، وهذا يدل على أنها ليست من عند الله كما قال تعالى:

(١) ظ: (خالي).

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا
كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فيكيفيك من فساد القول اختلافه واضطرابه وتناقضه .

الثاني: أن مصدرها الخرص والظن والتخمين، ليست صادرة عن وحي علمت عصمته، ولا عن فطرة وعقل اشترك العقلاء فيما أثبتته ونفاه .

وقد أخبر سبحانه عن حقيقة أقوال المخالفين لكتابه وسنة رسوله بهذين الأمرين في قوله:

﴿وَالَّذِينَ ذَرَرُوا * فَالْحَمَلَاتِ وَقَرَأ * فَالْجَارِيَتِ يُسْرًا *
فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِق * وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَع * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ
الْحُبْكِ * إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ * قِيلَ الْخَرَّصُونَ *
الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍوسَاهُونَ﴾ [الذاريات: ١ - ١١].

فأقسم سبحانه بمخلوقاته طبقاً بعد طبق، فأقسم أولاً بالرياح الذاريات، ثم بما فوقها، وهي السحاب الحاملات وقراء، ثم بما فوقها: وهي النجوم الجاريات يسراً، ثم بما فوقها، وهي الملائكة المقسمات أمراً، ثم أقسم بالسماء ذات الحبك، وهي الطرائق التي هي كطرائق الماء حين تحركه الرياح، ومنه في وصف الدجال^(١) «شعره حبك»^(٢)

(١) ظ: (الرجال).

(٢) رواه أحمد في المسند ٢٠/٤ بلفظ «رأسه حبك حبك».

أي فيه تجعد وتثن، ومنه قوله: «في السماء موج مكفوف». وهذا يتضمن حسنها وبهجتها، وكمال^(١) خلقها.

فأقسم بذلك على أن الرّادين لما بعث به رسوله المعارضين له بعقولهم في قول مختلف، ولهذا نجدهم دائماً في قول مختلف، لا يثبت لهم قدم على شيء يعولون عليه فتأمل أي مسألة أردت من مسألتهم ودلائلهم، تجدهم مختلفين فيها غاية الاختلاف، يقول هذا قولاً وينقضه الآخر فيجزيء الثالث فيقول قولاً غير ذينك القولين، وينقضهما ويبطل أدلتها ولا تجد لهم مسألة واحدة، إلا وقد اضطربوا^(٢) فيها حكماً ودليلاً، فهم أعظم الناس اختلافاً حتى تجد الواحد منهم يقول القول، ويدعي أنه قطعي، ثم يقول خلافه، ويبطله ويدعي أنه قطعي. ثم اخبر سبحانه ان ذلك القول المختلف يؤفك عنه من أفك، أي يصرف بشبهه عن الحق من صرف، فلمّا كان انصرافه عن الحق بشبهه، صار كأنه منفصل عنه وإفكه صادر عنه، ثم قال تعالى:

﴿قُلْ الْخَرَصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].

وأصل الخرص القول بلا علم، بل بالظن والتخمين والقذف بالكلام من غير برهان على صحته، ومنه سمي الكاذب خارصاً، وصاحب الظن والتخمين خارصاً وهذا الوصف منطبق على هؤلاء أتم انطباق، فليس معهم

(١) ظ، م: (كما)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (اضطروا)، والصواب ما أثبتته.

إلا الخرص واتباع الظن، كما قال تعالى في وصف سلفهم
المعارضين لشرعه بالقدر:

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وهذا بخلاف متبع الوحي فإنه يتبع قولاً يصدق بعضه
بعضاً، ويشهد بعضه لبعض لا اختلاف فيه،
ولا اضطراب، متصلاً برب العالمين قوله ووحيه الذي نزله
على رسوله، فمصدره منه سبحانه، ومظهره على لسان
رسوله، فعليه سبحانه البيان، وعلى رسوله البلاغ وعلينا
التسليم، وقد فعل سبحانه ما عليه، وفعل رسوله ما عليه،
فماذا نشأ بعد^(١) ذلك إلا أن تأتي بما علينا وبالله التوفيق.

الوجه الثامن والتسعون بعد المائة:

إن هؤلاء النفاة المعطلة لا بد لهم من أصل يقررون به
قولهم الذي ابتدعوه وأصل ينفون به ما أخبرت به الرسل،
وهذا حال كل من وضع رأياً، أو نصب مذهباً؛ لا بد له من
أصل يقرر به رأيه، وأصل يبطل به قول مخالفه.

بيان أصولهم في
تقرير مذهبهم
وأصولهم في نفي
المذهب الحق

وعلى هذين الأصلين بنوا مذاهبهم الفاسدة، فكلامهم
كله يدور على هاتين القاعدتين، فإذا تكلموا في توحيدهم
الذي هو غاية الإلحاد والتعطيل والتشبيه بالأصنام التي
لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم، كما قال حافظ الإسلام
محمد بن إسماعيل البخاري في كتاب خلق الأفعال^(٢)،

(١) ظ، م: (يشنا)، الصواب ما أثبت.

(٢) سبق، انظر: ص ١٤١٨.

وهو من أجلّ كتبه الصغار وهذا لفظه «وقال بعض أهل العلم: إن الجهمية / هم المشبهة، لأنهم شبهوا ربهم بالصنم، والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم، ولا يخلق، وقالت الجهمية كذلك: لا يتكلم، لا يبصر نفسه»؛ والمقصود أن توحيدهم غاية التعطيل والتشبيه، فإذا تكلموا فيه قرروه بالأصل الأول، فإذا جاءوا إلى الكتاب والسنة قرروا نفي دلالتها بوجوه^(١)، أحدها: أن النصوص أدلة لفظية، لا تفيد علماً ولا يقيناً.

والثاني: أن الأخبار، أخبار آحاد لا تفيد العلم، وهذه المسائل علمية.

الثالث: أن العقل إذا عارض النقل، وجب تقديم العقل عليه.

الرابع: استعمال التأويلات وأنواع الاستعارات والمجازات في نصوص الصفات، وقد أوصاهم سلفهم بكلمتين يتداولونها عنهم آخر عن أول قالوا: إذا احتج عليكم أهل الحديث بالقرآن، فغالطوهم بالتأويل، وإذا احتجوا بالأخبار، فقابلوها بالتكذيب.

وإذا مهدوا هذين الأصلين، انبنى لهم عليهما أصلان آخران - أدهى منهما وأمرّ - التكذيب بالحق الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وإساءة الظن به، وتسليط التحريف عليه، والتصديق بالباطل الذي يسمونه قواطع

(١) ظ، م: (بوجود)، الصواب ما أثبتته.

عقلية، وصدقوا وكذبوا فهي قواطع ولكن عن الإيمان بالله،
ورسوله، وأسماء الرب، وصفاته، وهي خيالات جهلية
شبهت عليهم، فظنوها قواطع عقلية.

وترتب لهم على هذين الأصلين أصلان آخران:

تلقيب الحق المنزل وأصحابه بالألقاب الشنيعة المنفرة،
كتلقيبه بالتجسيم والتشبيه والتمثيل والتركيب.

وتلقيب الأخذين به بالمشبهة والمجسمة والحشوية،
وتلقيب الكفر والضلال والإلحاد بالألقاب المستحسنة،
كالتوحيد والتنزيه والعدل، وتلقيب أصحابه بالموحدين،
أهل العدل والتوحيد والتنزيه.

فرتب لهم على ذلك أصلان آخران: الإعراض عن
القرآن والسنة جملة، ومعارضتها بآراء الرجال وعقولهم
الفاسدة المتهافئة المتناقضة.

ثم ترتب لهم على ذلك أصلان آخران معادة أهل
الحق، وموالاته أهل الباطل. وبقي أمران آخران،
إنما يظهران إذا بعث ما في القبور، وحصل ما في الصدور،
هنالك تلبو كل نفس ما أسلفت، وردوا إلى الله مولاهم
الحق، وضل عنهم ما كانوا يفترون.

الوجه التاسع والتسعون بعد المائة:

إن هؤلاء المعطلة النفاة من الجهمية، ومن اتبعهم،
لا يمكن على أصولهم التي أصلوها وقواعدهم التي أسسوها،
محبة الله ولا مدحه ولا حمده وتمجيده والثناء عليه،

بيان أنه على أصول
هؤلاء لا يمكن محبة
الله ومدحه ولا الثناء
عليه

ولا الرضى به ولا الابتهاج بقربة ولا الفرح به، ولا اللذة العظمى برؤية وجهه ولا لذة الأذان والأرواح بسماع كلامه، بل ولا الشوق إليه، ولا الأمانة ولا الطمأنينة به وإليه، ولا الأمن من عذابه لهم بغير جرم أصلاً، ومن إبطاله أعمالهم الصالحة بغير سبب، بل أعظم من ذلك، أنهم سدوا على أنفسهم طريق العلم بإثباته وإثبات ربوبيته، إلّا بما ينافي صفاته وأفعاله، فليس لهم طريق إلى إثبات ذاته إلّا بما يستلزم نفي ذاته وصفاته وأفعاله، وسدوا على أنفسهم طريق العلم بصدق رسله بتجويزهم عليه كل^(١) شيء، حتى إنه يجوز عليه تأييد الكاذب المفترى عليه بأعظم المعجزات^(٢)، وليس في العقل ما يحيل ذلك عندهم، وسدوا على أنفسهم طريق العلم بالمعاد؛ لأنهم بنوه على إثبات الجوهر الفرد، ولا حقيقة له، وهذه جملة إنمّا يظهر تفصيلها عند الكلام على مسائلهم ودلائلهم.

أما محبة الرب سبحانه: فإنهم صرحوا بأنه لا يجب ولا يجب، واستدلوا على ذلك بما هو مناقض للفطرة والعقل والشرائع، كما سنذكره إن شاء الله، وأصل الدين هو كونه سبحانه يجب ولا يجب، فإن الشرائع مبناهما على شهادة أن لا إله إلا الله، والإله هو المستحق لكمال الحب بكمال التعظيم والإجلال والذل له والخضوع له، فإنكار المحبة

(١) ظ: (بكل).

(٢) م: (العدر)، والكلمة غير واضحة في الأصل.

إنكار لنفس الإلهية، وأما فروعها فمبناها على كونه سبحانه
يجب أقوالاً وأعمالاً، ويمدح فاعليها، ويثني عليهم ويقربهم
منه، ويبغض أقوالاً وأعمالاً ويذم فاعليها ويبغضهم
ويبعدهم منه. وعنده أنه لا يجب ولا يبغض بل كل ما شاءه
فهو محبوب له، وما لم يشأه فهو مبغوض، فإن محبته عندهم
هي إرادته، ولهذا قالوا لا يحبه أحد، لأن المحبة نوع من
الإرادة، والقديم لا يمكن أن يراد. وأما أنه لا يمدح
ولا يحمد، فلما قرروا أن المدح هو مجرد الإخبار عن
استحقاق المدوح ما يلتذ به، ويفرح به، واللذة والألم عليه
محال، كما سنذكر ألفاظهم / بعد هذا الوجه، والكلام
عليها.

[٢٣٨/١]

وأما الرضا به، والابتهاج والسرور بقربه، فذلك من
توابع المحبة، وعندهم أنه لا يمكن تعلق المحبة به بوجه.
وأما اللذة برؤية وجهه وسماع كلامه، فليس له عندهم
وجه، ولا يرى بحال، ولا يكلم ولا يمكن أن يتكلم،
وأما الإنابة إليه، فأصل الإنابة محبة القلب وخضوعه، وذله
للمحبوب المراد، فمن لا يجب لا يمكن الإنابة إليه، وكذلك
الفرح والسرور بقربه عندهم أنه أمر محال.

وأما الطمأنينة به والأمن من عذابه بغير جرم،
فلا طريق لهم إلى ذلك. لأنهم يجوزون عليه أن يعذب أعظم
أهل طاعته، وينعم أكفر الخلق به، وكلاهما بالنسبة إليه
سواء عندهم، وإنما يعلم ضد ذلك بخبر صادق، والأدلة
اللفظية عندهم لا تفيد اليقين، وكثير منهم يشك في العموم
أو ينكره، والقدرة سالحة، ولا حسن ولا قبح هناك البتة.

وأما طريق العلم بإثباته: فإنهم إنما أثبتوه بطريق
الجواهر والأعراض والحركة، والسكون، وأن ما قامت به
الأعراض والحوادث يجب أن يكون حادثاً، فلزمهم نفى
جميع صفاته وأفعاله، إذ لو أثبتوها بزعمهم، لأفسد عليهم
طريق إثباته والعلم به، ولزمهم إنكار علوه على خلقه،
واستوائه على عرشه، وتكلمه، وأن يكون له كلام يسمع
منه، فضلاً أن ينزل إلى الأرض، ومن استهجن^(١) منهم
هذا، ارتكب التناقض، وأثبت بعضها، ونفى بعضاً،
ولم يوف ما أثبتته حقه، بل نفى حقيقته وأثبت لفظه، أو أثبتته
من وجه ونفاه من غيره، أو أثبت منه ما لا يعقل. فهم
سلكوا في طريق إثبات وجوده أعظم الطرق المنافية لوجوده
فضلاً عن ثبوت صفات كماله وأفعاله.

وأما طريق العلم بالنبوة: فإنهم أصلوا أنه سبحانه يجوز
عليه كل ممكن، وأنه يجوز عليه تأييد الكذابين بأنواع
المعجزات، وأنه لا فرق بالنسبة إليه سبحانه بين ذلك وبين
تأييد الصادقين بها، فإن العقل لا يقبل ذلك، ولا يحسن
هذا، وليس إلا مجرد القدرة والمشئمة، فلما أورد عليهم
العقلاء أن هذا يسد طريق العلم بالنبوة، عدلوا إلى نوع من
المعارضة لخصومهم من المعتزلة، وقالوا هذا يلزمنا
ويلزمكم، فإن وجوب النظر في المعجزة عندكم، وإن وجب
بالعقل، لكن وجوبه نظري؛ فالمكلف يقول: لا أنظر حتى
يجب عليّ، ولا يجب عليّ حتى أنظر، فسددم على أنفسكم

(١) ظ، م: (استهجن)، والصواب ما أثبتته.

طريق إثبات النبوة، فانظر كيف آل أمر الفريقين إلى الاعتراف بأن العلم بإثبات النبوة طريقه مسدودة عليهم، وماذا يفيدكم مشاركة خصومكم لكم في هذا الضلال المبين والكفر المستبين، فأبعد الله أصولاً وقواعداً هذا حاصلها، ورأس مال أصحابها، أفلا يستحي من هذا حاصل معقوله وعلمه!، ومنتهى معرفته؛ أن يذكر أنصار الله ورسوله وحزبه بما لا يليق، أو ينسبهم إلى ما هو أولى به منهم من الجهل ومخالفة المعقول والمنقول، وهذا موضع المثل السائر «رمتني بدائها»^(١) وانسلت»، وقد تقدم^(٢) ما ذكره إمام أهل السنة محمد بن إسماعيل البخاري عن بعض أهل العلم «أن الجهمية هم المشبهة»، لأنهم شبهوا الله سبحانه بالأصنام والموات، وما يوضح الأمر:

الوجه المو في مائتين وجهاً:

وهو أن هؤلاء كما وضعوا قانوناً - أصلوه لنفي كلامه، وسمعه، وبصره، ومبايئته لخلقه، واستوائه على عرشه، ومجيئه لفصل القضاء بين عباده، ورؤية أنبيائه وأوليائه له في دار الكرامة، بأن ذلك يستلزم التجسيم، والتشبيه والتمثيل والتركيب وحلول الحوادث - وضعوا قانوناً آخر يتضمن نفي ما وصف به نفسه من الرأفة والرحمة والمحبة والمودة والحنان والغضب، والرضى والفرح والضحك، والتعجب؛ قالوا:

بيان أن هؤلاء المعطلة نفوا صفاته سبحانه لأنها تستلزم التشبيه أو الشهوة والنفرة

(١) ظ، م: (منتهى بدايتها)، وقال في هامش م، كذا في الأصل، والأظهر رمتني بدائها وانسلت.

(٢) انظر: ص ١٢١٢.

لأن هذه الأمور متضمنة للألم، واللذة، والله سبحانه منزه عن ذلك، قالوا: ولأنها تستلزم الشهوة، والنفرة وهو سبحانه منزه عنها.

فانظر كيف توصلوا إلى نفي ما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته له رسوله من هذه الأمور بهذه الألفاظ المجملة المتشابهة المتضمنة للحق والباطل، فهي ذات وجهين: حق وباطل، فتقبل من الوجه الحق، وترد من الوجه الباطل، فلفظ الشهوة واللذة والألم والنفرة، من (١) الألفاظ التي فيها إجمال وإبهام، فكثير من الناس إنما يطلقها بإزاء شهوة الحيوان من الأكل والشرب والنكاح، والله تعالى قد جعل الباعث على إتيان الذكور الشهوة المجردة لا الحاجة إلى ذلك، فإن الله لم يحرم على عباده ما يحتاج العباد / إليه، ويطلق الشهوة بإزاء ما هو أعم من ذلك كشهوة الجاه، والمال، والعز، والنصر، والعلم، قال الإمام أحمد: «محمد بن إسحاق صاحب حديث يشتهى حديثه». وقد قال تعالى في الجنة:

[٢٣٩/١]

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ^(٢) الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ^{وَبط}﴾

[الزخرف: ٧١].

وهذا يعم كل ما تشتهيه الأنفس من مأكول ومشروب ومسموع ومرئي وغيره.

وتطلق الشهوة^(٣) على الإرادة نفسها، فيقال لمن له إرادة

(١) ظ، م: (من)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (ما تشتهى).

(٣) ظ: (المشهوة)؛ م: (مشهورة)، والصواب ما أثبت.

في الشيء ومحبة له هو يشتهي كما يقال: فلان يشتهي لقاء فلان، ويشتهي قربه، ويشتهي الحج، بل يقال: لمن يريد ما تكره نفسه لمصلحة أنه يشتهي. كما يقال: فلان يشتهي الشهادة في سبيل الله، ويشتهي شرب الدواء.

فنقول: أتعونون بالشهوة التي نفيتموها عن الله الشهوة الحيوانية، أم الشهوة التي هي أعم، أم الإرادة والمحبة؟ فإن أردتم الأول، ففيه حق^(١) ودعواكم لزومه من ما أثبتته لنفسه من الفرح والرضى والضحك ونحوها باطلة تتضمن الكذب والتليس.

وإن أردتم الثالث ففيه باطل، وتوسلكم إلى نفيه بتسميته شهوة تليس وتدليس، ونفي للمعنى الحق الثابت بتسميته بالاسم المستهجن في حق من وصف به.

وإن أردتم الثاني استفضلناكم عن مرادكم، فإن فسرتوه بما يمتنع وصفه به قبلناه، وإن فسرتوه بما وصف به نفسه قابلناه بالإنكار والرد وإن فسرتوه بأمر مجمل محتمل استفضلناه فقبلناه حقه، ورددنا باطله.

وهؤلاء النفاة تجدهم، دائماً يعتمدون هذه الطريقة المتضمنة للتليس والتدليس، وينفون بها حقائق ما أخبر الله به عن نفسه، فيأتون إلى ألفاظ معناها في اللغة العربية أخص من معناها في اصطلاحهم، فينفون معناها العام الذي اصطلحوا عليه، ويوهمون الناس أنهم إنما نفوا معناها

(١) ظ، م: (حتى)، والصواب ما أثبتته.

المعروف في اللغة. والناس أول ما يسمعون تلك الألفاظ إنما يفهمون منها^(١) معناها اللغوي، فيوافقونهم على النفي تعظيماً لله وتنزيهاً له، ومرادهم نفي المعنى العام الذي اصطلاحوا عليه، وقد جمعوا في ذلك تحريف لغة العرب عن مواضعها، وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه، ولبس الحق بالباطل في النفي والإثبات.

فمعرفة^(٢) مراد هؤلاء وكلامهم من تمام مقاصد الدين؛ ليتمكن أهل السنة والحديث من رد باطلهم، وتبيين إفكهم، وقد أمر النبي «صلى الله عليه وسلم»، زيد بن ثابت: «أن يتعلم كتاب اليهود، فكان يكتب له كتبهم، ويقرأ له كتبهم»^(٣)، وسأل رجل عبدالله بن عمر عن

(١) ظ، م: (منها)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (فمعروف)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٤٩٧/٧) من طريق زيد بن ثابت، في أبواب الاستئذان والآداب، باب في تعليم السريانية، ح ٢٨٥٨. وقال هذا حديث حسن صحيح.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٧٨/١٠) في كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، ح ٣٦٢٧.

ورواه البخاري معلقاً (فتح الباري ١٣/١٨٥) في كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد، ح ٧١٩٥. قال الحافظ في الفتح: «وهذا التعليق من الأحاديث التي لم يخرجها البخاري إلا معلقة»، وقد وصله مطولاً في كتاب «التاريخ». وهذا الحديث رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم وقد قال ابن الصلاح وغيره: «أن ما جزم به البخاري يكون على شرط الصحيح».

وقد اعترض عليه بتفرد عبدالرحمن بن أبي الزناد به، وقد تكلم فيه.

وقد بين الحافظ ابن حجر، أن عبدالرحمن بن أبي الزناد مختلف فيه فغاية حديثه أن =

الأنبذة^(١) وقال: أخبرني عنها بلغتكم، وفسرها لي بلغتنا، فإن لكم لغة ولنا لغة، فذكرها ابن عمر باللفظ الذي قاله النبي «صلى الله عليه وسلم» ثم فسرها بلغة السائل.

ف نقول: أنتم في هذا المقام، إنما نظرتم في المعاني العقلية لا في إطلاق الألفاظ، فإن أهل السنة والحديث أعلم بذلك منكم وأولى بمراعاة الألفاظ الشرعية، وهم أبعد عن أن يصفوا الله إلا بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله منكم، فما مقصودكم [من]^(٢) نفي الشهوة والنفرة واللذة والألم عنه؟ إن عنيتم به ما هو من خصائص المخلوقين فلا ريب في انتفائه عنه سبحانه؛ لأن^(٣) كماله المقدس ينفيه فإثباته نقص وعيب، وأنتم قد اعترفتم أنه لم يقم دليل عقلي على تنزيهه عن العيوب والنقائص، وإنما استندتم فيه إلى الإجماع، واعترفتم بأن دلالة ظنية وهذا موجود في إرشادكم^(٤)

= يكون حسناً، ثم بين الحافظ أن عبدالرحمن بن أبي الزناد قد توبع فانتفى الاعتراض من أصله.

انظر فتح الباري ١٣/١٨٦، ١٨٧.

وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث، أن النبي «صلى الله عليه وسلم» أمره أن يتعلم السريانية، والمعروف أن لغة اليهود العبرية. قال الحافظ ابن حجر في ذلك: «يحتمل أن زيدا تعلم اللسانين، لاحتياجه إلى ذلك». فتح الباري ١٣/١٨٧.

(١) رواه مسلم ٣/١٥٨٣ من طريق ابن عمر في كتاب الأشربة، باب النهي عن الانتباذ بالزفت، ح ٥٧، ورواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٥/٦٠٩، ٦١٠) في كتاب الأشربة باب ما جاء في نبذ الجر، ح ١٩٣٠.

(٢) (من): ليست في ظ، م وبها تستقيم العبارة.

(٣) ظ، م: (من)، ولعل الصواب ما أثبتته. (٤) انظر الارشاد للجويني، ص ٧٤، ٧٥.

ونهايتكم وغيرها، ونحن نقرر نفي ذلك بالأدلة القطعية والبراهين اليقينية، فإنه سبحانه لا يجوز أن يماثل خلقه في شيء من صفاتهم وأفعالهم؛ فهو منزّه عن أن يطلب ما يقبح طلبه، أو يريد ما لا يحسن إرادته، أو يطلب ويكره ويحب ما لا يصلح طلبه، وكرهه، ومحبهه إلا للمخلوق، وكل ما ينزهه سبحانه عنه من العيوب والنقائص، فهو داخل فيما نزه نفسه عنه، وفيما يسبح به، ويقدم، ويحمد، ويمجد، وداخل في معاني أسمائه الحسنى؛ وبذلك كانت حسنى؛ أي (١) أحسن من غيرها، فهي أفضل تفضيل معرفة باللام، أي لا أحسن منها بوجه من الوجوه. بل لها الحسن الكامل التام المطلق، وأسمائه الحسنى وآياته البينات متضمنة لذلك ناطقة به صريحة فيه، وإن أُلحِد فيها الملحدون وزاغ عنها الزائغون.

وقد بينا فيما تقدم أن كل ما ينزهه الرب عنه، إن لم يكن متضمناً لإثبات كماله ومستلزماً لأمر ثبوتي يوصف به لم يكن في تنزيهه عنه مدح ولا حمد، ولا تمجيد، ولا تسبيح، إذ العدم المحض كاسمه، لا حمد فيه ولا مدح، وإنما يمدح سبحانه بنفي أمور تستلزم أموراً، هي حق ثابت / موجود يستحق الحمد عليها، وذلك الحق الموجود ينافي ذلك الباطل المنفي، فيستدل برفع أحدهما على ثبوت الآخر، فتارة يستدل بثبوت تلك المحامد والكمالات على نفي النقائص

[٢٤٠/١]

(١) ظ، م: (أي)، والصواب ما أثبتته.

التي تنافيتها، وتارة يستدل بنفي تلك النقائص على ثبوت
الكلمات التي تنافيتها، فهو سبحانه القدوس السلام كما
قال: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لكمال حياته وقيوميته و

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ: ٣].

لكمال علمه

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

لكمال قدرته

﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

لكمال عدله وغناه ورحمته، و

﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

لكمال علمه وحفظه

﴿وَلَا يَتُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لكمال قدرته وقوته

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

و ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

لكمال صمديته

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

لتفرد^(١) بالكمال المطلق، الذي لا يشاركه فيه غيره

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١].

لكمال عزته وسلطانه

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٥].

(١) ظ: (كفرده).

فنفى عن نفسه خوف عاقبة ما فعله، من إهلاك أعدائه بخلاف المخلوق، فإنه إذا انتقم من عدوه يخاف عاقبة ذلك، إما من الله وإما من المنتصرين لعدوه، وذلك على الله^(١) محال، والخوف يتضمن نقصان العلم والقدرة والإرادة، فإن العالم بأن الشيء لا يكون، لا يخافه، والعالم بأنه يكون ولا بد قد يشس من النجاة منه فلا يخاف، وإن خاف فخوفه دون خوف الراجي، وأما نقص القدرة فلأن الخائف من الشيء هو الذي لا يمكنه دفعه عن نفسه، فإذا تيقن أنه قادر على دفعه لم يخفه.

وأما نقص الإرادة، فلأن الخائف يحصل له الخوف بدون مشيئته واختياره، وذلك محال في حق من هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، ومن لا يكون شيء إلا بمشيئته وإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهذا لا ينافي كراهته سبحانه وبغضه، وغضبه، فإن هذه الصفات لا تستلزم نقصاً لا في علمه ولا في قدرته ولا في إرادته بل هي كمال؛ لأن سببها العلم بقبح المكروه المبعوض^(٢) المعضوب عليه، وكلما كان العلم بحاله أهم؛ كانت كراهته وبغضه أقوى، ولهذا يشتد غضبه سبحانه على من قتل نبيه أو قتله نبيه.

فصل

وإن قال / أعني بذلك ما هو أعم من شهوة الحيوان وألمه ولذته ونفرته، قيل له الشهوة والنفرة جنسهما الحب

(١) ظ، م (أنه)، والصواب ما أثبت.

(٢) المبعوض: يقال بغض الشيء بغضاً مقته وكرهه فهو باغض وبغوض وهو مبعوض وبغيض.

المعجم الوسيط ٦٤/١ مادة بغض.

والبغض، فكل مشتة لشيء فهو محب له، وكل نافر عن شيء فهو مبغض له، وإن كان من المحبة والبغض ما لا يسمى في لغة القوم شهوة ونفرة، كمحبتنا لله ورسوله، وإذا كان كذلك، فمعلوم أن الله سبحانه قد وصف نفسه بالمحبة والبغض في غير موضع من كتابه وسنة رسوله، وهو موصوف بالإرادة والكراهة المتضمنة للحب والبغض والشهوة، والنفرة أيضاً تتضمن معنى الإرادة والكراهة، فإن المشتبه فيه نوع إرادة، والنافر فيه نوع كراهة، والإرادة والكراهة من لوازم الحياة، فكل حي يريد كاره، والشهوة والنفرة من لوازم الحيوان^(١)؛ فإنه يشتهي ما يتضمن بقاء ذاته ويلائمه، وينفر من ضد ذلك.

وهذه الأسماء قد تنوع، إما بحسب صفاتها في أنفسها، وإما بحسب متعلقها وهو المحبوب المكروه، لما في لغة العرب من التفريق بين اللفظين لأدنى فرق بين المعنيين، لقوة التمييز في عقولهم وألسنتهم، بخلاف الأمم الذين يضعف فيهم التمييز، فإنهم يغلب عليهم الاقتصار على القدر المشترك في العقل واللسان، وثبتت تلك الفروق اللفظية في المعاني والألفاظ لا يمنع^(٢) ثبوت القدر المشترك بينها والذي تدركه سائر الأمم، فيجب إثبات القدر المشترك والقدر المميز.

وإذا كان بين الشهوة والمحبة والإرادة والرضى والفرح قدر مشترك، وبين النفرة والبغض والكراهة والسخط

(١) ظ: (الخوان)؛ م: (الخدان)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (يُمْتَنَع)، والصواب ما أثبت.

ونحوها قدر مشترك، فمن نفى مسمى أحد هذه الألفاظ، فإن عني به نفى جميع مسماه، لزم نفى القدر المشترك الثابت في البواقي، وإن نفى ما يختص به مما هو من خصائص المخلوقين، فقد أصاب، والله سبحانه منزه في جميع ذلك، إن أثبت^(١) له، وإن نفى عنه شيء من ذلك، مما هو مختص به، لأجل ما يظنه مستلزماً لنقص، فذلك لازم له في جميع ما يوصف به، فإنه سبحانه، إنما يوصف من كل نوع بأكمل^(٢) ذلك النوع، على وجه لا يستلزم نقصاً ولا تمثيلاً.

فصل

يبين ذلك أن الحب والبغض من لوازم الحياة، فلا يكون حي إلا محب مبغض، كما لا يكون حي إلا وله علم وإرادة وفعل، بل حب الله سبحانه لما يحبه، وبغضه لما يبغضه، وإرادته لما يريدُه وكرهته لما يكرهه؛ أكمل الحب والبغض والإرادة والكرهه / كما قال تعالى:

[٢٤١/١]

﴿لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [غافر: ١٠].

وقال تعالى:

﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤].

وهذا تابع لشدة غضبه ومقته، وقال تعالى:

﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾

[فصلت: ١٥].

وكذلك هو أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأعلم العالمين فهو أكبر في كل صفة من صفاته، كما هو أكبر في جميع صفاته وذاته وأفعاله.

(١) ظ، م: (ثبت)، ولعل الصواب ما أثبت. (٢) ظ، م: (بماكمل)، الصواب ما أثبت.

فصل

حجة من زعم أن
اللذة لا تصح على
الله

وقد ذكر أفضل متأخريهم أدلتهم على امتناع هذه الأمور على الله، وأبطلها كلها، فكفانا مؤنتها. ثم اختار لنفسه مسلكاً هو أبطل منها، فقال: «والمعتمد أن نقول: لو صحت اللذة على الله تعالى لكان خلقه للملتذ به، إما أن يكون في الأزل أو لا يكون، والقسمان باطلان، فالقول بصحة اللذة على الله محال، وإنما قلنا: إنه لا يصح خلقه للملتذ به في الأزل؛ لأن الفعل الأزلي محال، وإنما قلنا: يستحيل أن يكون حادثاً؛ لأنه إذا كان حادثاً كان ممكناً قبل كونه، وإلا كان ممتنعاً ثم انقلب إلى الإمكان، وهو محال، وإذا كان ممكناً فالله قادر على إيجادها قبل ذلك، وإلا كان منتقلاً من القدرة إلى العجز، وهو محال وإذا ثبت ذلك.

فنقول: كل من صحت عليه اللذة، إذا كان عالمًا بقدرته على تحصيل الملتذ به، وكان الملتذ به في نفسه ممكناً، فإنه يكون كالموجد إلى إيجاد الملتذ به، وإذا كان كذلك، لزم كونه تعالى فاعلاً للملتذ به قبل فعله^(١) وذلك محال؛ فثبت أن القول بصحة اللذة على الله محال، لأنه يفضي إلى المحال، وما أفضى إلى المحال محال، ومضمون هذه الحجة بعد تطويل مقدماتها؛ أن جواز ذلك عليه مستلزم لكون الملتذ به حادثاً وكونه متقدماً على حدوثه، وكون الشيء

(١) م: (أن فعله).

متقدماً على وجوده محال . وفسادها بين من وجوه :

أحدها :

النقض والمعارضة بالإرادة والمحبة والرحمة والرضى ؛ الوجه الأول
بأن يقال لو صححت على الله الإرادة والمحبة والرضى ، لكان
فعله للمراد المحبوب المرضي ، إما في الأزل وهو محال ، وإما
في ما لم يزل وهو محال ؛ لما ذكره بعينه من مقدمات دليhle .
والماتنان

الوجه الثاني :

أن لفظ اللذة والألم ، من الألفاظ التي فيها إجمال الوجه الثاني والماتنان
واشتباه ، كلفظ الجسم والحيز والتركيب وغيرها ، وليس لها
ذكر في الكتاب والسنة بنفي ولا إثبات ، بل جاء في القرآن
والسنة وصفه بالمحبة والرضى والفرح والضحك ، ووصفه
بأنه يصبر على ما يؤذيه ، وإن كان العباد لا يبلغون نفعه
فينفعونه ولا ضره فيضرونه ، والذي نفاه هؤلاء يدرجون تحته
ما وصف به نفسه ، وهو إبطال لما جاءت به الرسل ، ونزلت
به الكتب ولما خلق الخلق لأجله ، فإن الله سبحانه أرسل
رسله ، وأنزل كتبه ليدعو الخلق إلى ما يحبه ويرضاه ،
وينهوهم عما يبغضه ويسخطه ، وقد أخبر رسوله عنه من محبته
ورضاه وفرحه وضحكه وتسليته لأوليائه^(١) وأحبابه وأهل
طاعته ، وعن غضبه وسخطه وبغضه ومقته وكراهته لأعدائه

(١) ظ ، م : (وتسلسله بأوليائه)، ولعل الصواب ما أثبت .

وأهل مخالفته، مما يضيق هذا المكان عن استقصائه، وعلى هذا الأصل تنشأ مسألة التحسين والتقييح، وقد ذكرناها مستوفاة في كتاب المفتاح^(١)، وذكرنا على صحتها فوق الخمسين دليلاً، وقد قال «صلى الله عليه وسلم»^(٢) فيما يروي عن ربه تعالى: «يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار»، وقال^(٣): «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من اللّٰة، يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيه»، وقال حاكياً عن ربه: «شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، وكذّبي ابن آدم وما ينبغي له ذلك»^(٤)، وقد فرق الله بين أذاه وأذى رسوله وأذى المؤمنين والمؤمنات فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

-
- (١) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ٣٥/٢ - ٦٢؛ وانظر ص ٢٧٢ من هذا الكتاب.
- (٢) رواه البخاري (فتح الباري ٤٦٤/١٣) من طريق أبي هريرة «رضي الله عنه» في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، ح ٧٤٩١. ورواه مسلم ١٧٦٢/٤ في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، ح ٢.
- (٣) رواه البخاري (فتح الباري ٣٦٠/١٣) من طريق أبي موسى الأشعري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾، ح ٧٣٧٨. ورواه مسلم ٢١٦٠/٤ في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب «لا أحد أصبر على أذى من اللّٰة عز وجل»، ح ٤٩.
- (٤) رواه البخاري (فتح الباري ٢٨٧/٦) من طريق أبي هريرة، في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، ح ٣١٩٣.

بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

[الأحزاب: ٥٧، ٥٨].

وليس أذاه سبحانه من جنس الأذى الحاصل للمخلوقين، كما أن سخطه وغضبه وكراهته، ليست من جنس ما للمخلوقين.

الوجه الثالث:

إن ما وصف الله سبحانه به نفسه، من المحبة والرضى والفرح والغضب والبغض والسخط، من أعظم صفات الكمال، إذ في العقول^(١) أنا إذا فرضنا ذاتين: إحداهما لا تحب شيئاً ولا تبغضه ولا ترضاه ولا تفرح به ولا تبغض شيئاً ولا تغضب منه ولا تكرهه و[لا]^(٢) تمقته.

والذات الأخرى تحب كل جميل من الأقوال والأفعال والأخلاق والشيم وتفرح به وترضى به، وتبغض كل قبيح يسمى وتكرهه وتمقته وتمقت أهله وتصبر على الأذى ولا تجزع منه ولا تتضرر به /؛ كانت هذه الذات أكمل من تلك الموصوفة بصفات العدم والموات والجهل الفاقدة للحس، فإن هذه الصفات لا تسلب إلا عن الموات أو عمن فقد حسه أو بلغ في النهاية والضعف والعجز والجهل إلى الغاية التي لم تدع له حباً ولا بغضاً ولا غضباً ولا رضى، بل اليهود الذين وصفوه بالغم والحزن والبكاء والندم، أحسن حالاً من الذين سلبوه هذا الكمال، كما أن المشبهة المحضنة

[٢٤٢/١]

(١) ظ، م: (القول)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) (لا): ليست في ظ، م وبها تستقيم العبارة.

خير من المعطلة النفاة لصفات كماله وحقائق أسمائه
الحسنى . وأهل الحق، أنصار الله ورسوله وكتبه والسنة، براء
من الفريقين .

الوجه الرابع :

أنه لا كمال في مجرد سلب ذلك عنه، كما قدمنا أن
السلب إن لم يتضمن إثباتاً، وإلا لم يكن مدحاً ولا كمالاً،
فليس له من مجرد كونه لا يجب ولا يرضى ولا يفرح
ولا يضحك ولا يغضب، حمد ولا كمال، فإنه نفي صرف
وعدم محض، فلا يحمد به، وهذا بخلاف نفي الغم والهم
والحزن والندم عنه، فإنه يتضمن ثبوتاً وهو كمال قدرته
وعلمه، فإن أسباب هذه الأمور إما عجز مناف للقدرة،
وإما جهل مناف للعلم، وكمال قدرته وعلمه يناقض وصفه
بذلك، وهذا وغيره مما تبين أن النفاة والمعطلة أقل الناس
تحميداً وتمجيداً وتسبيحاً وثناء على الله، وأن أهل الإثبات
أعظم تسبيحاً وتمجيداً وثناء على الله كما سنقره فيما بعد إن
شاء الله .

الوجه الرابع
والماتان

الوجه الخامس :

أن يقال : ما المانع من أن يكون رضاه ومحبته وفرحه من
كماله في نفسه وما هو عليه من الجلال (١) والجمال،
ولا يحتاج في ذلك إلى شيء مخلوق، بل يكفي في حصول
جماله وجلاله، وحينئذ فيقال : قولك لو صح الرضى والفرح

الوجه الخامس
والماتان

(١) (ظ) : (الحال) ؛ (م) : (الجال)، ولعل الصواب ما أثبتته .

الذي تسميه أنت لذة عليه، لكان خلق المفروح المرضى به، إما في الأزل أو بعده، إنما يجب ذلك، إذا امتنع أن تكون محبته لنفسه ورضاه بنفسه وفرحه بنفسه سبحانه، وحيثئذ فلا ينتفي المعنى الذي سميته لذة إلا إذا امتنع هذا، وأنت لم تقم دليلاً على امتناعه، بل أنت في نفي هذا أضعف حجة ممن نفى التذاذ أوليائه بالنظر إلى وجهه، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين كلهم وأهل السنة كلهم، متفقون على إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، ولكن زعم بعض أهل الكلام، أنه لا يحصل لهم بذلك لذة كما زعم أبو المعالي الجويني في رسالته النظامية^(١)، أن نفس النظر إليه سبحانه لا لذة فيه إذ اللذة إنما تكون بالمناسب، ولا مناسبة بين القديم والمحدث، وزعم أن هذا من أسرار التوحيد، وكذلك أبو الوفاء بن عقيل سمع قائلاً يقول: «أسألك لذة النظر إلى وجهك» فقال: يا هذا هب أن له وجهاً أفتلتد بالنظر إليه»^(٢)، وهذه نزعة اعتزالية، وإلا فأهل المعرفة بالله وخاصة أولياء الله ليس عندهم شيء الذ من النظر إلى وجهه الكريم، وليس بين هذه اللذة ولذة الأكل والشرب والنعيم المنفصل نسبة أصلاً، كما لا نسبة بين

(١) قال الجويني في العقيدة النظامية (٦١): «والرؤية غاية آمال أهل السنة وأنا أقول فيها: إن الله تبارك وتعالى يقرب بها فناً من الروح لا يوازيه روح، وهو مناط الآمال، وإلا فالرؤية في عينها لا يجوز أن تكون مأمولة. وكان يجوز في قدرته، أن يقرب بها منتهى عقوبة الكفار، حتى يجردها المؤمنون كما يرحونها الآن... الخ. فلعل هذا المعنى هو الذي قصده ابن القيم رحمه الله.

(٢) انتهى كلام أبو الوفاء بن عقيل.

الرب جل جلاله وبين شيء من مخلوقاته، فالنسبة بين اللذتين لا تدرك أصلاً. قال شيخنا: وعلى ذلك جميع أهل السنة وسلف الأمة وأئمة الإسلام، قال الحسن البصري^(١)، شيخ الإسلام في زمن التابعين: «لوعلم العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت نفوسهم في الدنيا شوقاً إليه».

وقال الشافعي^(٢) رحمه الله: «لوعلم محمد بن إدريس أنه لا يرى ربه في الآخرة لما عبده في الدنيا» وقال^(٣): أنا أخالف ابن عليه^(٤) في كل شيء حتى في قول لا إله إلا الله، فإني أقول: لا إله إلا الله الذي يرى في الآخرة. وهو يقول: لا إله إلا الله الذي لا يرى في الآخرة» وكذلك جاءت السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى مسلم^(٥) في صحيحه عن صهيب عن النبي «صلى الله عليه وسلم»

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم، ص ٣٣٣.

(٢) انظر: حادي الأرواح لابن القيم، ص ٣٣٧.

(٣) انظر: لسان الميزان لابن حجر ٣٥/١، وفيه: «... فإني أقول: لا إله إلا الله الذي كلم موسى وهو يقول لا إله إلا الله الذي خلق كلاماً أسمعه موسى».

(٤) ابن عليه: هو إبراهيم بن إسماعيل بن عليه. قال ابن حجر: جهمي هالك كان يناظر ويقول بخلق القرآن. وقال ابن معين: ليس بشيء، مات سنة ٢١٨، وعمره ٦٧ سنة.

لسان الميزان ٣٤/١، ٣٥.

(٥) انظر: صحيح مسلم ١٦٣/١، في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، ح ٢٩٧.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٢٦٧/٧)، في أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، ح ٢٦٧٥.

قال: «إذا أدخل أهل الجنة الجنة نادى منادياً يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة وينجيننا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة» فأخبر الصادق المصدق أن نظرهم إليه أحب إليهم من كل ما أعطاهموه، وكذلك ما رواه الإمام أحمد^(١) وأهل السنن وابن حبان في صحيحه من حديث عمار بن ياسر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي، اللهم إني أسألك خشيتك [في]^(٢) الغيب، والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، وأسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين / لا تنقطع، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زيننا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين» يوضحه:

[٢٤٣/١]

الوجه السادس:

وهو أن اللذة والفرح تابعة للمحبة في الكمال والقوة، والمحبة تابعة لمعرفة المحب بصفات المحبوب وجماله، فكلمها كان العلم به أكمل كانت محبته أقوى، وكلمها كانت المحبة

(١) سبق تحريجه، انظر: ص ٣٢٢.

(٢) (في): ليست في ظ، م، وما أثبتته من الحديث. انظر: مسند الإمام أحمد ٤/٢٦٤.

أقوى كانت اللذة والفرح به أكمل وأتم، وإذا ثبت هذا فإذا كان العباد يحصل لهم بمعرفته وذكره ورؤيته واستماع كلامه منه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو سبحانه أعلم بنفسه من غيره وكذلك كان حمده لنفسه وثناؤه على نفسه أعظم من حمد الحامدين له وثناء المثين عليه فإن الحمد والثناء تابع للمعرفة والعلم بصفات المحمود ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس حمداً لربه وثناء عليه لما كان أعلم الخلق به فثناء الرب سبحانه على نفسه وحمده لنفسه وتمجيده لنفسه ومحبته لنفسه ورضاه عن نفسه فوق ما يخطر ببال الخلق أو يدور في قلوبهم أو تجري به ألسنتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك^(١)، يوضحه.

الوجه السابع:

أنه سبحانه إذا كان يجب بعض ما خلقه ويرضى عنه ويفرح به لما أعطاه من صفات الكمال فمحبته لنفسه ورضاه عن نفسه أولى وأحرى وأعظم من محبته لمخلوقه وأنه إذا أحب أهل العلم وأهل الرحمة وأحب^(٢) المحسنين وأحب^(٢) الصابرين وأحب^(٢) الشاكرين وأثنى^(٣) عليهم، وهو الذي أعطاهم هذه الصفات وأحبهم لأجلها، فما الظن بمحبته لنفسه وثنائه عليها. ومن المعلوم أن محبته لهم وثنائه عليهم تبع لمحبهته لنفسه وثنائه على نفسه.

الوجه السابع
والثان

(١) انظر: ص ٩٨٣.

(٢) ظ، م: (ويحب)، بالياء والأولى ما أثبت.

(٣) ظ، م: (ويثنى)، بالياء والأولى ما أثبت.

الوجه الثامن :

إن الجهمي أبطل هذا بقوله: إن اللذة إدراك الملائم
فيلزم أن يقال: ذات الله ملائمة لذاته وذلك غير معقول لأن
الملائمة لا تتقرر إلا بين شيئين وهذا الذي قرره باطل من
وجوه:

أحدها: أن اللذة ليست نفس إدراك الملائم كما زعم بل
هي حالة تنشأ عن الإدراك فالإدراك سببها لأنفسها فها هنا
ثلاثة أشياء: ملائم، وإدراكه، وما ينشأ عن الإدراك من
الالتذاذ والفرح والسرور، وكذلك الألم ليس هو نفس إدراك
المنافي بل حالة تنشأ عن إدراكه، وعلى هذا فإدراك الذات
ملائم، والفرح والرضى الذي سميته لذة مترتب على إدراك
الذات وهذا أمر معقول لكل عاقل؛ فإن المخلوق يدرك من
ذاته كما لا يلتذ بإدراكه ويسر ويفرح به مع كون ذلك الكمال
ناقصاً بين عديمين وهو من غيره ليس منه، فكيف بمن له
الكمال المطلق الواجب السرمد وهو لم يستنفده من غيره
وهو أعلم بكماله وكل ما سواه؟

الثاني: قولك: الملائمة لا تتقرر إلا بين إثنين جواب أن
مثل هذا يكون في الذات الواحدة باعتبارين كما قال تعالى:

﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

وقال:

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥١].

وقال آدم:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣].

فالنفس واحدة وهي الناهية المنهية، والأمانة المأمورة،
والظالمة المظلومة، كما تكون هي العاقلة المعقولة، والإنسان
يجب نفسه فيكون المحب المحبوب فإذا كان هذا أمراً معقولاً
في المخلوق غير ممتنع فكيف يمتنع في حق الخالق؟

الثالث: أنه سبحانه يجب صفاته كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنك عفو تحب العفو»^(١)
وقال: «إن الله جميل يحب الجمال»^(٢)، «وإن الله نظيف
يحب النظافة»^(٣)، «وإن الله وتر يحب الوتر»^(٤)، «وإن الله

-
- (١) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٩/٤٩٥)، من طريق عائشة في، أبواب الدعوات، باب
منه، ح ٣٥٨٠، وقال هذا حديث حسن صحيح .
ورواه الحاكم في المستدرک ١/٥٣٠، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين
ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .
- (٢) رواه مسلم ١/٩٣، من طريق عبدالله بن مسعود في كتاب الإيمان، باب في تحريم
الكبر وبيانه، ح ١٤٧ .
ورواه أحمد في المسند ٤/١٣٣، من طريق أبي رجانة رضي الله عنه .
- (٣) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٨/٨٢، ٨٣)، من طريق سعيد بن المسيب في أبواب
الأدب، باب ما جاء في النظافة، ح ٢٩٥١، وأوله: «... سمعت سعيد بن المسيب
يقول: إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة... الحديث، وقال الترمذي:
هذا حديث غريب، وخالد بن الياس يضعف ويقال: ابن إياس، وقد ذكر ابن القيم
هذا الحديث في الوابل الصيب، ص ٧٨، ٧٩، واعتذر الشيخ إسماعيل الأنصاري
محقق الكتاب عن إيراد ابن القيم لهذا الحديث رغم تضعيف الترمذي له بأنه من
أحاديث فضائل الأعمال والدعوات التي يتساهل بعض السلف في روايتها .
- (٤) رواه البخاري (فتح الباري ١١/٢١٤)، من طريق أبي هريرة في كتاب الدعوات،
باب لله مائة اسم غير واحد، ح ٦٤١٠ .
ورواه مسلم ٤/٢٠٦٢، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أساء
الله تعالى وفضل من أحصاها، ح ٢٦٧٧، واللفظ له .

طيب لا يقبل إلا طيباً»^(١)، وروي: «إني عليم أحب كل عليم»^(٢). وإذا كان يجب صفاته وهي قائمة بذاته فكيف بمحبته لذاته؟

الوجه التاسع:

أن المانع أن يقال: ما يجب ويرضى ويفرح ويضحك الوجه التاسع بما يكون من الأمور الحادثة الموافقة لمحبته ورضاه، كما في الأحاديث المستفيضة المتواترة مثلما في صحيح البخاري وغيره، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال، قال الله تعالى:

«أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني»^(٣) «والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في الفلاة»^(٤)،

-
- (١) رواه مسلم ٧٠٣/٢، من طريق أبي هريرة في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح ٦٥.
- ورواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٣٣٣/٨، ٣٣٥)، في أبواب التفسير. تفسير سورة البقرة، ح ٤٠٧٤، وقال: هذا حديث حسن غريب.
- (٢) هذا الحديث، لم أقف له على تخريجه.
- (٣) رواه البخاري (فتح الباري ٣٨٤/١٣)، من طريق أبي هريرة في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، ح ٧٤٠٥.
- ورواه مسلم ٢٠٦١/٤، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله، ح ٢.
- (٤) رواه ابن ماجه ١٤١٩/٢، من طريق أبي سعيد الخدري، في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ح ٤٢٤٩.
- قال في الزوائد: في إسناده عطية العوفي وسفيان بن وكيع وهما ضعيفان، وأصل الحديث أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود وأنس.
- ورواه أحمد في المسند ٨٣/٣، ولفظه: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لله أفرح =

«ومن تَقَرَّبَ إليَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إليه ذراعاً، ومن تَقَرَّبَ إليَّ ذراعاً تَقَرَّبْتُ منه باعاً، وإذا أَقْبَلَ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إليه أَهْرُولاً»^(١)،
 وفي الصحيح^(٢): عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تقول بفرح عبد إذا انفلتت منه راحلته تجر زمامها بأرض قفر ليس فيها طعام ولا شراب وعليها له طعام وشراب فطلبها حتى شق عليه ثم مرت بجذل^(٣) شجرة فتعلق زمامها فوجدتها متعلقة به؟ قلنا: شديد يا رسول الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله، لَلَّهُ أَشَدُّ فَرِحاً بتوبة عبده من الرجل براحلته. وفي الصحيح^(٤)، عن أنس أن

= توبة عبده من رجل أضل راحلته بفلاة من الأرض فالتمسها، حتى إذا أعْي تسجى بثوبه، فيبينا هو كذلك إذا سمع وجبة الراحلة حيث فقدها فكشف الثوب عن وجهه، فإذا هو براحلته». وقد سبق تحقيقه بلفظ آخر. انظر: ص ٢٠٣.

(١) هذا جزء من الحديث السابق ذكره آنفاً: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني وبقية الحديث... فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إليَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إليه ذراعاً وإن تقرب إليَّ ذراعاً تَقَرَّبْتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». انظر: الصفحة السابقة.

(٢) رواه مسلم بهذا اللفظ ٤/٢١٠٤، من طريق البراء بن عازب، في كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ح ٦. وقد سبق تحقيقه بلفظ آخر ص

(٣) الجذل: بالكسر والفتح أصل الشجرة يقطع وقد يجعل العود جذلاً. النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٢٥١.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ١١/١٠٢)، من طريق أنس، في كتاب الدعوات، باب التوبة، ح ٦٣٠٩، بهذا اللفظ وفيه إذا سقط على بعيره.

ورواه مسلم ٤/٢١٠٥، في كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، ح ٨ وفيه إذا استيقظ على بعيره.

وقد سبق تحقيقه بلفظ آخر ٢٠٣.

رسول الله / صلى الله عليه وسلم قال: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط على بعيره قد أضله بأرض فلاة»، وفي كتاب العلل^(١) للدارقطني: «الله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد والمضل الواجد والظمان الوارد» - هذا أو نحوه - ولو كان في المفروح به أعلى من هذا المثال لذكره، فتأمل سائراً وحده بأرض مفازة معطشة لا ماء بها ولا زاد، ضلت راحلته فيها فاشتد جوعه وظمأه فأيس من الحياة فاضطجع في أصل شجرة ينتظر الموت ثم استيقظ فإذا الراحلة قائمة على رأسه وعليها طعامه وشرابه كما جاء ذلك مصرحاً به في بعض طرق هذا الحديث فهل في الفرع قط أعظم من هذا ولهذا الفرع بتوبة العبد سر أكثر الخلق محجوبون عنه لا تبلغه عقولهم وبه يعرف سر تقدير ما يثاب منه على العبد؛ لأنه يترتب عليه ما هو أحب إلى الرب سبحانه من عدمه فلو لم يكن في تقدير الذنب من الحكم

(١) لم أجده في الأجزاء الثلاثة المطبوعة من كتاب العلل للدارقطني، والكتاب طبع مبتوراً كما أشار المحقق ١/١٣٩، فلعله في الجزء الذي لم يطبع من الكتاب.

وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وزياداته وعزاه إلى ابن عساكر في أماليه. من طريق أبي هريرة وقد ضعفه الألباني بناء على تضعيف السيوطي له حيث بين في مقدمة جمع الجوامع أن كل ما عزي إلى ابن عساكر في تاريخه في هذا الكتاب فهو ضعيف. انظر: ضعيف الجامع الصغير ١/٢١، ٢٢، ٤/٥.

كما عزاه إلى «كتاب التائبين» لأبي العباس بن تركمان الهمداني عن أبي الجون مرسلأ بلفظ مقارب للفظ هذا الحديث مع تقديم وتأخير، وقال الألباني ضعيف. ضعيف الجامع الصغير وزياداته ٤/٥.

وقد سبق تحقيق هذا الحديث بلفظ آخر، انظر: ٢٠٣.

إلا هذه وحدها لكانت كافية فكيف وفيه من الحكم
ما لا يحصيه إلا الله مما ليس هذا موضعه؟.

الوجه العاشر:

إن الجهمي احتج على امتناع ذلك عليه بأن هذا انفعال
وتأثير عن العبد والمخلوق لا يؤثر في الخالق فلو أغضبه
أو فعل ما يفرح به لكان المحدث قد أثر في القديم تلك
الكيفيات وهذا محال وهذه الشبهة من جنس شبههم التي
تدهش السامع أول ما تطرق وتأخذ منه وتروعه كالسحر
الذي يدهش الناظر أول ما يراه ويأخذ ببصره وكصولة
المبطل الجبان الذي يحمل أول أمره على خصمه وهكذا شبه
القوم كلها، هي كجبال السحرة وعصيمهم التي خيل إلى
موسى أنها تسعى:

الوجه العاشر
والماتان

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْأَعْلَى * وَالْقَافِي يَمِينِكَ نَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحَرٌ وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٧ - ٦٩].

فهكذا الحجة الحق تبطل جميع الشبه الباطلة التي هي
للعقول كجبال السحرة وعصيمهم للأبصار وجواب هذه
الشبهة من وجوه:

أحدها: أن الله سبحانه خالق كل شيء وربّه
ومليكه^(١)، وكل ما في الكون من أعيان وأفعال وحوادث
فهو بمشيئته وتكوينه فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن،

(١) ظ، م: (وملائكته)، وفي هامش م: (لعله ومليكه).

قضيتان لا تخصيص فيهما بوجه من الوجوه وكل ما يشاؤه، فإنما يشاؤه بحكمة اقتضاها حمده ومجده فحكمته البالغة أوجبت كل ما في الكون من الأسباب والمشئآت، فهو سبحانه خالق الأسباب التي ترضيه وتغضبه وتسخره ويفرح بها والأشياء التي يحبها ويكرهها، هو سبحانه خالق ذلك كله، فالمخلوق أعجز وأضعف أن يؤثر فيه سبحانه، بل هو الذي خلق ذلك كله على علمه بأنه يجب هذا ويرضى به ويبغض هذا ويسخره ويفرح بهذا فما أثر غيره فيه بوجه.

الثاني: أن التأثير لفظ فيه اشتباه وإجمال أتريد أن غيره لا يعطيه كمالاً لم يكن له ولا وجد فيه صفة كان فاقدها؟ فهذا معلوم بالضرورة: أنه يريد به أن غيره لا يسخره ولا يبغضه ولا يفعل ما يفرح به أو يحبه أو يكرهه أو نحو ذلك فهذا غير ممتنع، وهو أول المسألة وليس معك في نفيه إلا نفس الدعوى بتسميته ذلك تأثيراً في الخالق وليس الشأن في الأسماء إنما الشأن في المعاني والحقائق وقد قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ [محمد: ٢٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في أهل الصُّفَّة: «إن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»^(١)، فما الدليل العقلي أو النقل على استحالة هذا؟

(١) رواه مسلم ١٩٤٧/٤، من طريق عائذ بن عمرو في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم، ح ١٧٠. ورواه أحمد في المسند ٦٥/٦٤/٥.

الثالث: أن هذا يبطل محبته لطاعات المؤمنين وبغضه لمعاصي المخالفين وكراهته لظلم الظالمين إذا فعلوا ذلك وهذا معلوم البطلان بالضرورة والعقل والفطرة الإنسانية^(١) واتفق أهل الأديان كلهم وإطباق الرسل، بل هذا حقيقة دعوة الرسل بعد التوحيد.

الرابع: أن هذا ينتقض بإجابة دعواتهم وإغاثة لهفاتهم وسماع أصواتهم ورؤية حركاتهم وأفعالهم، فإن هذه كلها أمور متعلقة بأفعالهم، فما كان جوابك عنها في محل الإلزام فهو جواب منازعك لك في هذا المقام.

فصل

الوجه الحادي عشر:

أن قولك يستحيل أن يخلق الملتذ به في الأزل وأن لا يخلقه في الأزل إلى آخره. مبني الحجة على مقدمتين: إحداهما: إنكار وجود الملتذ به قبل وجوده؛ والثانية: وجوب حصوله إذا كان كذلك ونحن نتكلم عن المقدمتين، فنقول: لا نسلم وجوب وجود الملتذ به والحالة هذه ولا أنه يكون كالملجأ إليه فإن قلت: داعية اللذة إذا تحققت خالية عن الموانع وكان الملتذ به ممكن الحصول فالعلم الضروري حاصل بوجوب حصوله، فالجواب أن الداعي / الجازم مع القدرة التامة توجب وجود المقدور بلا ريب والداعي هو إما الإرادة الحادثة أو العلم المقتضي للإرادة أو مجموعهما، وإما مجرد كون الشيء سبباً للذة فهذا لا يوجب الإرادة

الوجه الحادي عشر
والماتان

[٢٤٥/١]

(١) م: (الإنشائية).

الحادثة، بل العلم الضروري الحاصل بضد ذلك فقد يحصل للإنسان نوع ما من أنواع الالتذاذ بالشيء مع قدرته عليه ولا يفعله وذلك أن اللذة تتبع المحبة وقد لا تتم محبة الملتذ به وإرادته فلا يوجد لضعف المحبة والإرادة المتعلقة به أولاً يستلزمه فوات ما هو أحب إليه منه أو لحصول ما هو أكره إليه والمعهود في بني آدم أن الإرادة الجارية لا يجب حصولها منهم إلا للذة التي يوجب فقدها ألماً، فمتى استلزم عدم اللذة وجود الألم قصدوا دفع الألم بالذات وحصول اللذة بالعرض، وقد يتعلق القصد الذاتي بالأمرين، وقد يغيب بشعوره بأحدهما عن الآخر لاستيلاء سلطانه على^(١) الآخر، أما إذا لم يكن أحدهم متألماً بعدم اللذة ولكن في وجود الملتذ به زيادة لذة فقط وليس في فقده ألم^(٢)، فهذا ليس الواقع وجوب تعلق الإرادة به بل قد يريد ذلك وقد لا يريده استغناء بما عنده من اللذة عن تلك الزيادة فلا يجب فيه حصول الداعي التام وهذا أمر محسوس.

الوجه الثاني عشر:

إننا لو فرضنا في حقنا أنه يجب تحصيل المفروح به مع القدرة عليه فلم قلت: إنه في حق الرب تعالى كذلك؟ والوجه الثاني عشر
والماتان

وليس معك إلا مجرد القياس التمثيلي الذي يتضمن تمثيل الله بخلقه والقضية الكلية التي ادعيتها ممنوعة، والعلم الضروري إذا سلم فإنما هو في حق المخلوق فأما في حق

(١) ظ، م: (عن)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (المر)، ولعل الصواب ما أثبت.

الخالق فليس هناك إلا مجرد القياس وهو منتقض بسائر الأمور الفارقة بين الله وبين خلقه ومن جملتها الإرادة والمحبة والرضى، فإن الإنسان إذا أراد الفعل وهو قادر عليه وجب وجوده منه والله تعالى مرید لجميع الكائنات وهو قادر عليها ومع هذا فلا توجد إلا في موافقتها لا توجد قبل ذلك والعبد يقع مراده حين^(١) قدرته عليه، والله تعالى متأخر مراده مع دوام قدرته عليه.

الوجه الثالث عشر:

أن العبد إنما يجب مع قدرته وداعية^(٢) حصول مراده ولذته، لأنه يتضرر بعدم^(٣) حصوله فإن كماله وصلاحه بحصول ما يحبه ويريده ويلتذ به، وبعدمه^(٤) يكون متضرراً ناقصاً والله سبحانه لا يلحقه الضرر بوجه ما.

الوجه الثالث عشر
والماتان

الوجه الرابع عشر:

لم قلت بأن كل ما يحبه الرب سبحانه ويرضاه ويفرح به يمكن وجوده في وقت واحد؟ فإن ذلك قد يستلزم الجمع بين النقيضين، فإن الحوادث المتعاقبة يستحيل اجتماعها في آن واحد، فإذا كان يجب ما يمتنع حصوله كله في آن واحد كانت محبته ورضاه وفرحه به متعلقاً به وقت وجوده،

الوجه الرابع عشر
والماتان

(١) ظ، م: (مهسن)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (وداعيته)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ، م: (بعده)، والصواب ما أثبت.

(٤) ظ، م: (بعده)، والصواب ما أثبت.

وحصوله ووجوده قبل ذلك محال والمحال لا تتعلق به المحبة والفرح، يوضحه.

الوجه الخامس عشر:

الوجه الخامس عشر
والمائتان

أنه سبحانه إذا كان يجب أموراً وتلك الأمور المحبوبة لها لوازم يمتنع وجودها بدونها، كان وجود تلك الأمور مستلزماً للتوبة، وهذه المحبوبات تستلزم وجود ما يعفو عنه ويغفره ويتوب إليه العبد منه، ووجود الملزوم بدون لازمه محال، فلا يمكن حصول محبوباته سبحانه من التوبة والمغفرة والعفو بدون الذي يتاب منه ويغفره ويعفو عن صاحبه، ولهذا قال^(١) النبي «صلى الله عليه» وسلم في الحديث الصحيح^(٢): «لولم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم». وهذا هو الذي وردت الأحاديث الصحيحة بالفرح به، وهذا المفروح به يمتنع وجوده قبل الذنب فضلاً عن أن يكون قديماً، فهذا المفروح به يجب تأخره قطعاً ومثل هذا ما روي^(٣): «أن آدم لما رأى

(١) رواه مسلم ٢١٠٦/٤، من طريق أبي هريرة في كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار، توبة.

ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٢٢٦/٧)، في أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ويعلمها، ح ٢٦٤٦ بألفاظ متقاربة.

(٢) الصحيح سقط من م.

(٣) رواه أحمد في المسند ١٣٥/٥، من طريق أبي بن كعب.

وقال السيوطي في الدر المنثور ١٤٣/٣؛ وأخرج ابن أبي الدنيا في الشكر وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب عن الحسن بنحوه.

بنيه ورأى تفاوتهم قال: يا رب هلا سويت بين عبادك، قال: اني أحببت أن أشكر»، ومعلوم أن محبته للشكر على ما فضل به بعضهم على بعض يوجب تفضيل بعضهم على بعض ولا يحصل ذلك مع التسوية بينهم؛ فإن الجمع بين التسوية والتفضيل جمع بين النقيضين وذلك محال.

الوجه السادس عشر:

أن يقال: اللذة التي هي الفرح والرضي والسرور ونحوها يجب وجودها من القادر إذا كان مستغنياً عنها بلذة أخرى أكمل منها أم مطلقاً؟ إن قلتم بالثاني فهو ممنوع، وإن قلتم بالأول قيل: فإن الله سبحانه مستغن عن أن يحدث كل ما يقدر / عليه من هذه الأمور في وقت واحد بل إذا كان العبد مستغنياً عن فعل ما هو من جنس اللذات^(١) مع قدرته على ذلك فالله أجل وأعظم، فإن قال: إذا كان غنياً عنها لم تكن لذة قيل: إن صح هذا فهو حجة عليكم ومبطل لحجتكم.

الوجه السادس عشر
والماتان

[٢٤٦/١]

الوجه السابع عشر:

أن يقال: هو لا يحدثها إلا إذا أحبها ورضيها وتضمنت فرحها، وحيث لا يكون ذلك لا تكون محبوبة ولا مرضية له ولا مفروحاً بها، فالأمور التي يحبها الله ويرضاها ويفرح بها لها صفات ومقادير تقتضي أن تكون محبوبة مرضية مفروحاً بها في وقت دون وقت كما تقتضي أن يكون مراده في وقت دون وقت ما، فإن قلت: هذا يقتضي حلول الحوادث

الوجه السابع عشر
والماتان

(١) ظ، م: (الذات)، والصواب ما أثبت.

به، قيل: هذا لا يمتنع على أصول الطائفتين فمن قال بهذه المسألة من المتكلمين والصوفية والفقهاء وجمهور أهل الحديث وأكثر الفلاسفة لم يرد هذا عليه، ومن منع ذلك فإنه يقول فيه ما يقوله في محبته ورضاه، أنه قديم أزلي لم يزل محباً راضياً موالياً لمن أحبه ورضيه ووالاه ولم يزل غضباناً مبغضاً لمن غضب عليه وأبغضه وعاداه ويقول: إن المتجدد هو التعلق فقط وهذا قول ابن كلاب والأشعري ومن وافقه من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين.

الوجه الثامن عشر:

أن يقال: لو صح ما ذكرته كان مستلزماً أن لا يخلق الرب تعالى شيئاً أو يخلق كل شيء قبل خلقه إياه وهو من جنس شبه الدهرية الفلاسفة في قدم العالم قالوا: المقتضي لوجود العالم إن كان تاماً في الأزل وجب وجوده، وإن لم يكن تاماً لزم أن لا يوجد وهذا منقوض بما يوجد^(١) من الحوادث اليومية ووجه الإلزام أن يقال: لو صح عليه الخلق والإبداع والإرادة لكان إما خالقاً لمراده في الأزل وهو محال، وإما أن لا يخلقه في الأزل وهو محال؛ لأنه ممكن مقدور وكل من صحت عليه الإرادة والخلق والإبداع إذا كان عالماً بقدرته على تحصيل مراده وهو ممكن مقدور فإنه يكون كالمالجبأ إلى إيجاد مراده، فإن قلت: الإرادة من شأنها أن تخصص وتميز^(٢) والله سبحانه أراد وجود كل شيء في وقته على صفة

(١) ظ، م: (ما يوجد)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (ان تخصيص ومميز)، والصواب ما أثبت.

ومقدار وجعل لكل شيء قدراً، قلت: هذا حق في نفسه ولكن هو حجة عليك لا لك، فإنه سبحانه كما أراد وجود كل شيء في وقته على صفة ومقدار يختص به فهكذا محبته ورضاه لما يرضى به وفرحه بما يفرح به سواء.

الوجه التاسع عشر:

الوجه التاسع عشر
والماتان

إنما متى رجعنا إلى الموجود فمتى علمنا أن أحدنا إذا كانت إرادته جازمة وقدرته تامة وجب وجود الفعل منه مقترناً بإرادته وقدرته ولا يتأخر الفعل إلا لعدم كمال القدرة أو لعدم كمال الإرادة وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه وهذا النافي لا ينازع في ذلك ويقر به ويقره، فإذا كان هذا حالنا فيما نريده ونقدر عليه، فإذا كان الله عندك قادراً مريداً إرادة جازمة وجب وجود جميع مراده في الأزل وذلك محال، ووجب أن لا يكون في الأزل، لأنه متعاقب وهو محال لوجود القدرة التامة والإرادة الجازمة، وما أفضى إلى المحال فهو محال فيلزم انتفاء القدرة والإرادة كما ذكرت في انتفاء المحبة والفرح والرضى الذي أدخلته في قسم اللذة سواء بسواء، ومهما أجيب به عن هذا فهو بعينه جوابنا لك، إن قلت: إن إرادة الله لا تقاس بإرادة خلقه قيل لك: وفرحه ورضاه لا يقاس بفرحهم ورضاهم؟

وإن قلت: إرادة الله تخصيص الأشياء بخواصها، قيل لك: هذا بعينه موجود في محبته ورضاه، فإنه مستلزم للإرادة أو نوع منها وذلك مستلزم لما نفيت من لوازمه وهو للفلاسفة

ألزم، فإن كل كائن له [ما^(١)] يختص به صفة وقدرًا وللحوادث أوقات يختص بها، فذاته سبحانه إن كانت مقتضية لوجود كل موجود وجب وجود كل ممكن مقارنًا لوجوده، وإن لم تكن مقتضية للوجود لزم أن لا يوجد عنه شيء فإذا قالوا: لا يمكن للأمر إلا كذا كان هذا جوابنا بعينه في هذا المقام.

الوجه العشرون:

أنهم فسروا في مسألة التحسين والتقيح الحمد والذم بما يستلزم اللذة والألم كما فعل ابن الخطيب وغيره لما ناظروا القائلين بالتحسين والتقيح العقلين، قال بعد مطالبته لهم بحقيقة المدح والذم: فإن قيل: فما حقيقة المدح والذم عندكم؟ قلنا: المدح هو الإخبار عن كون الممدوح مستحقًا لأن يفعل به ما يفرح به أو يلتذ به، والذم: هو الإخبار عن كونه مستحقًا / لأن يفعل به ما يحزن به، قال: ولكن إذا فسرنا المدح والذم بذلك استحالة تصويره في حق الله لاستحالة الفرح والغم عليه، قال: وقد حكينا أن توجه هذا السؤال ابتداء على سبيل المطالبة من غير التزام لتقسيم خاص فنقول:

معنى الاتضاع^(٢) والارتفاع الأمر الذي يسوءه ويحزن به

(١) (ما): ليست في ظ، م، ولعل الصواب إثباتها.

(٢) الاتضاع: الوضع ضد الرفع - فالاتضاع ضد الارتفاع، يقال وضعته فاتضع.

ويقال اتضع بعيره: إذا أخذ برأسه وخفضه إذا كان قائمًا ليضع قدمه على عنقه فيركبه.

لسان العرب ٦/٤٨٥٧ - ٤٨٦٠.

والذي يسره ويفرح به أو أمر آخر وراء ذلك، فإن كان الأول لم يتقرر معناه في حق الله تعالى لاستحالة الفرح والحزن عليه، وإن كان الثاني فبينوه فإننا بعد الإنصاف جربنا أنفسنا فلم نجد للمدح والذم حاصلًا وراء الفعل المؤدي إلى الفرح والحزن، فليتدبر العاقل هذا الكلام حق التدبير وما يلزم منه، فإنه إذا كان حقيقة المدح هو الخبر الذي يتضمن فرح المدوح ولذته، والذم خبر يتضمن ألم المذموم فلا يتصور مدح ولا ذم عنده إلا مع اللذة والألم، وقد علم بالإضرار من دين المسلمين كلهم، بل ومن دين جميع الرسل أن الله سبحانه يحمد ويمدح ويثنى عليه وأنه يجب ذلك ويرضاه ويأمر به، بل حمده والثناء عليه من أعظم الطاعات وأجل القربات.

وفي المسند^(١) من حديث الأسود بن سريع قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إني قد حمدت ربي تبارك وتعالى بمحامد ومدح وإياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إن ربك تعالى يجب المدح، هات ما امتدحت به ربك فقال فجعلت أنشده».

وفي الصحيحين^(٢) من حديث عبدالله بن مسعود قال:

(١) رواه أحمد في المسند ٤٣٥/٣، من طريق الأسود بن سريع. وفي المسند ٢٤/٤.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ٣٨٣/١٣)، من طريق عبدالله بن مسعود، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، ح ٧٤٠٣. ورواه مسلم ٢١١٣/٤، في كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، ح ٣٢.

قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «لا أحد أغير من الله» ولذلك^(١) حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك^(٢) مدح نفسه «ومسلم»^(٣)، وليس أحد أحب إليه العذر من الله، ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، ومن محبته سبحانه الثناء عليه صدق المثني عليه بأوصاف كماله كما في النسائي والترمذي وابن ماجه^(٤) من حديث الأغرّ أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنها شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال العبد: «لا إله إلا الله والله أكبر» قال: يقول تبارك وتعالى: «لا إله إلا أنا وأنا الله أكبر» وإذا قال: «لا إله إلا الله وحده» قال: «صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي» وإذا قال: «لا إله إلا الله (وحده)^(٤) لا شريك له»، قال: «صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لي»، وإذا قال:

(١) ظ، م: (وكذلك)، والصواب ما أثبت.

(٢) صحيح مسلم ٢١١٤/٤، من طريق ابن مسعود، في كتاب التوبة، باب غيره الله تعالى وتحريم الفواحش، ح ٣٥.

ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل.

(٣) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٣٨٨/٩، ٣٨٩)، من طريق أبي سعيد وأبي هريرة في كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول العبد إذا مرض، ح ٣٤٩٠، وقال هذا حديث حسن.

ورواه ابن ماجه ٣٣٢/٢، في أبواب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، ح ٣٨٣٩، ط. الأعظمي.

(٤) (وحده): سقط من م.

«لا إله إلا الله له الملك وله الحمد» قال: «صدق»^(١) عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي»، فمن محبته للثناء عليه صدق المثني عليه ووافقه في ثنائه عليه.

ونظير هذا ما في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه «صلى الله عليه وسلم» يقول الله عز وجل: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل»^(٢)، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله: «حمدني عبدي». فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله: «أثنى عليّ عبدي»، فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله: «مجدني عبدي»، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال: «هذه بيني وبين عبدي» فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: «هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»^(٣).

ولما كان حمده والثناء عليه وتمجيده هو مقصود الصلاة التي هي عماد الإسلام ورأس الطاعات شرع في أولها ووسطها وآخرها وجميع أركانها، ففي دعاء الاستفتاح يحمد

(١) ظ: (صدقا).

(٢) ظ، م: (ما يسأل).

(٣) سبق تحقيقه، ص ٩٣٩.

ويثنى عليه ويمجد، وفي ركن القراءة يحمد ويثنى عليه ويمجد، وفي الركوع يثنى عليه بالتسبيح والتعظيم، وبعد رفع الرأس منه يحمد ويثنى عليه ويمجد، كما كان النبي «صلى الله عليه وسلم»^(١) يقول: «ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت [من شيء بعد]»^(٢) أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدم منك الجد»، وفي السجود يُثنى عليه بالتسبيح المتضمن لكماله المقدس، والعلو المتضمن لمبايئته لخلقه، وفي التشهد يثنى عليه بأطيب الثناء من التحيات ويختتم ذلك بذكر حمده ومجده.

فصل

ومن محبته للثناء عليه شرعه للداعي قبل سؤاله ودعائه ليكون وسيلة له بين يدي حاجته كالمقرب إلى المسؤول بما يحبه ويسأله بين يدي مطلوبه كما في السنن والمسند^(٣) من

(١) رواه مسلم ٣٤٧/١، من طريق أبي سعيد الخدري، في كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، ح ٢٠٥.

ورواه النسائي ١٩٩/٢، في كتاب الافتتاح، ما يقول في قيامه من الركوع. رواه أحمد في المسند ٨٧/٣.

(٢) ما بين المعكوفتين إضافة من صحيح مسلم ٣٤٧/١.

(٣) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٤٤٩/٩) من طريق فضالة بن عبيد في أبواب الدعوات باب منه، ح ٣٥٤٤، وقال: هذا حديث حسن.

ورواه النسائي ٤٤/٣ في كتاب السهو، باب التمجيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٢٥٤/٤) في كتاب الصلاة، باب الدعاء ح ١٤٦٨. ورواه أحمد في المسند ١٨/٦.

حديث فضالة بن عبيد قال جاء رجل فصلى فقال: «اللهم اغفر لي وارحمني» فقال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» عجلت أيها المصلي إذا صليت ففرغت^(١) فاحمد الله / ما هو أهله ثم صل على النبي ثم ادعه «قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أيها المصلي ادع تجب»، وفي السنن^(٢) عن ابن مسعود قال: كنت أصلي فلما جلست بدأت بالثناء على الله ثم الصلاة على النبي «صلى الله عليه وسلم» ثم دعوت لنفسي فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «سل تعطه سل تعطه».

[٢٤٨/١]

وهكذا في أحاديث الشفاعة الثابتة في الصحاح^(٣): لما أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشفع لهم فقال: «فأقول: أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي فيلهمني محامد فأحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيقول: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع»، وفي لفظ «فأثني على ربي بثناء وتمجيد يعلمني». فمن محبته سبحانه للثناء عليه ألهم رسوله منه في ذلك المقام ما يكون وسيلة بين يدي شفاعته.

(١) ظ، م: (فقدعت) وما أثبتته من الحديث.

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٢٠٥/٣) في الجمعة، باب ما ذكر في الثناء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء، ح ٥٩٠. قال الترمذي: حديث عبدالله حديث حسن صحيح.

وروى أحمد بن حنبل عن يحيى بن آدم هذا الحديث مختصراً.

((٣)) سبق، انظر ٢٧٠.

وفي الصحيح^(١): عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في سجوده «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

وفي الصحيحين^(٢): عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: ما أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك وعد الجنة، وقد تقدم^(٣) ذلك من حديث ابن مسعود، وفي الدعاء المأثور^(٤): اللهم لك الحمد حمداً يشرق له وجهك، وفي الأثر الآخر^(٥) «اللهم لك الحمد حتى ترضى» وفي الحديث^(٦) الآخر «سبحان الله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» أي تسيح يبلغ رضى نفسه.

(١) سبق، انظر ص ٩٨٣.

(٢) رواه البخاري ٣٩٩/١٣ من طريق المغيرة بن شعبة، في كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شخص أغير من الله، ح ٧٤١٦.

ورواه مسلم ١١٣٦/٢ في كتاب اللعان، ح ١٧.

(٣) انظر ص ١٤٧٢ - ١٤٧٣.

(٤) الأثر: لم أقف على تحريجه.

(٥) الأثر لم أقف على تحريجه بهذا اللفظ وقد ورد بغير هذا اللفظ في حديث دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأهل قباء وفيه: «... ولك الحمد حتى ترضى...».

وقد رواه الطبراني في الكبير في الدعاء. ورواه الديلمي وفيه نافع أبو هرير مترك.

انظر كنز العمال ٦٩٢/٢، طبع مكتبة التراث الإسلامي ١٣٨٩.

(٦) رواه مسلم ٢٠٩٠/٤ من طريق جويرية أم المؤمنين، في كتاب الذكر والدعاء، باب التسيح أول النهار وعند النوم، ح ٧٩.

ورواه أبو داود (عون المعبود ٣٦٩/٤) في كتاب الصلاة، باب التسيح بالحصى،

ح ١٤٨٩. ورواه النسائي ٧٧/٣ في السهو، باب نوع آخر من عدد التسيح.

فصل

ومن محبته لحمده والثناء عليه أنه جعل حمده مفتاح كل كلام ذي بال وخاتمة كل أمر، وافتتح كتابه بحمده وختم آخره بحمده، وافتتح خلقه بحمده وجعل حمده خاتمة الفصل بينهم، فقال تعالى:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ١].

وقال:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١].

وقال:

﴿ وَقَضَىٰ (١) بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الزمر: ٧٥].

فافتتح خلقه، وأمره بحمده، وختمها بحمده.

وفي المسند والسنن عن أبي هريرة عن النبي «صلى الله عليه وسلم» أنه قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم»^(٢)؛ ولهذا كانت سنة المسلمين في

(١) ظ، م: (قضى) بدون واو.

(٢) رواه أبو داود (عون المعبود ١٣/١٨٤) من طريق أبي هريرة في كتاب الأدب، باب

الهدى في الكلام، ح ٤٨١٩. قال أبو داود: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن

عبدالعزیز عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم رسلاً.

ورواه ابن ماجه ١/٦١٠ في أبواب النكاح باب خطبة النكاح، ح ١٨٩٤ (بنحوه).

ورواه الدارقطني في سنة ٨٥.

قال السندي الحديث قد حسنه ابن الصلاح والنوي وأخرجه ابن حبان في صحيحه =

صلاتهم وخطبهم كلها افتتاحها بالحمد حتى خطبة الحاجة، ولقد كان أول من يدعى إلى الجنة الحامدون، والنبي «صلى الله عليه وسلم» يوم القيامة «بيده لواء الحمد»^(١) وآدم ومن دونه تحت ذلك اللواء، فخص اللواء بالحمد؛ لأنه أحب شيء إلى الله واشتق لأحب خلقه إليه وألزمهم عليه من الحمد اسمين يتضمنان كثرة حمده وفضله، وهما محمد وأحمد، وسمى أمته الحامدين^(٢)، وأخبر النبي «صلى الله عليه وسلم» أن أفضل الدعاء الحمد^(٣).

= والحاكم في المستدرک.

قال الألباني: «وجملة القول: إن الحديث ضعيف لاضطراب الرواة فيه على الزهري وكل من رواه عنه موصولاً ضعيف أو السند إليه ضعيف والصحيح عنه مرسلاً كما تقدم عن الدارقطني وغيره» والله أعلم.

انظر إرواء الغليل للألباني ٣٢/١.

(١) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٧٩/١٠) من طريق أنس بن مالك في أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ح ٣٦٨٩ وقال: هذا حديث حسن غريب.

ورواه ابن ماجه ٤٥٠/٢ من طريق أبي سعيد، في أبواب الزهد باب، ذكر الشفاعة، ح ٤٣٦٣.

ورواه أحمد في المسند ٢٨١/١ من طريق ابن عباس.

(٢) ظ، م: (الحامدون).

(٣) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٣٢٤/٩، ٣٢٥) من طريق جابر بن عبدالله في أبواب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، ح ٣٤٤٣ وقال: هذا حديث حسن غريب.

ورواه ابن ماجه ٣٣٥/٢ في أبواب الآداب، باب فضل الحامدين، ح ٣٨٤٥، ط. الأعظمي.

ورواه الحاكم في (المستدرک ٤٩٨/١) في كتاب الدعاء. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح.

فصل

ومن محبته للثناء عليه بأوصاف كماله ونعوت جلاله،
أنه أمر من ذكره بما لم يأمر به في غيره^(١) فقال تعالى:
﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

فعلق الفلاح بكثرة ذكره، وقال:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

[آل عمران: ١٩١].

فعم بذكره أحوال العباد كلها لأن العبد إما أن يكون
قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً، فأراد منه ذكره في هذه الأحوال
كلها، وأخبر أنه من ألهاه ماله وولده عن ذكره فهو خاسر فقال:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِأَنَّهُمْ كُرِّمُوا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ وَلَا بَنُونَ
ذَكَرَ اللَّهُ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾

[المنافقون: ٩].

وأمر بذكره في أعظم المواطن التي يذهل الإنسان فيها
عن نفسه، وهي حاله عند ملاقة عدوه فقال تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَاقَتِمْ فِئَكَةً فَاتَّبَتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥].

وفي الترمذي^(٢) وغيره: عن النبي «صلى الله عليه

(١) ظ، م: (غير)، والصواب ما أثبت.

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٤٠/١٠) من طريق عمارة بن زعكرة في أبواب الدعوات، باب في أحاديث شتى من أبواب الدعوات، ح ٣٦٥١، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي. قال في التحفة: «لضعف عفير بن معدان». وفي كنز العمال ٤١٦/١ عزاه للترمذي فقط.

وسلم: «أنه قال: «إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاقِ قِرْنَه»^(١).

وجعل سبحانه ذكره سبباً لصلاته على عبده وذكره له،
فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَآصِيلاً * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾
[الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وجعل ترك^(٢)، ذكره والثناء عليه سبباً لنسيانه لعبده
وإنسائه نفسه فلا يلهمه مصالحه ولا يوفقه لإرادتها وطلبها
فقال تعالى:

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].
فلما نسوا ذكره والثناء عليه وتحميده وتمجيده نسيهم من
رحمته وأنساهم مصالح نفوسهم فلم يعرفوها ولم يطلبوها بل
تركوها مهملة معطلة مع نقصها وعيوبها.

(١) قِرْنَه: بكسر القاف وسكون الراء: عدوه المقارن المكافئ له في الشجاعة والحرب.
والمعنى أنه لا يغفل عن ذكر ربه حتى في حالة الحرب. لسان العرب ٣٦١٠/٥ مادة
قرن. تحفة الأحوذني ٤٠/١٠.

(٢) ظ، م: (يرها)، ولعل الصواب ما أثبت.

فصل

ومن محبته للثناء عليه وتحميده وتمجيده أنه وعد عليه بما لم يعد به على غيره كما في الصحيح^(١) من حديث أبي هريرة عن النبي «صلى الله عليه وسلم» أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياہ وإن كانت / مثل زبد البحر» وأخبر النبي «صلى الله عليه وسلم» أن مجالس الذكر رياض الجنة؛ كما في السنن والمسند^(٢) من حديث جابر قال: خرج علينا النبي «صلى الله عليه وسلم» فقال: «يا أيها الناس إن الله سرايا من الملائكة تحمل وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروه أنفسكم من كان يجب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه».

[٢٤٩/١]

(١) رواه البخاري (فتح الباري ١١/٢٠٦) من طريق أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، ح ٦٤٠٥.

ورواه مسلم ٤/٢٠٧١ في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ح ٢٨.
رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٩/٤٣٧، ٤٣٨) في أبواب الدعوات باب منه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الحاكم في (المستدرک ١/٤٩٤، ٤٩٥) من طريق جابر في كتاب الدعاء وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وفي سننه عمر بن عبد الله مولى عفرة قال الذهبي: عمر ضعيف. وفي كتر العمال ١/٤٣٤، ٤٣٥ وعزاه لعبد بن حميد والحكيم وابن شاهين في الترغيب في الذكر عن جابر.

وفي الترمذي وصحيح الحاكم^(١)، عن عبدالله بن بسر أن أعرابياً قال لرسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأنبئني»^(٢) بشيء أتشبث به فقال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله».

وفي السنن وصحيح الحاكم^(٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «سبق المفردون»، قالوا يا رسول الله وما المفردون؟ قال: «الذين يهزمون»^(٤) في ذكر الله»، وفي لفظ: «وضع الذكر عنهم أثقالهم، فوردوا القيامة خفافاً».

(١) رواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٣١٤/٩، ٣١٥) من طريق عبدالله بن يسر في أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، ح ٣٤٣٥ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

ورواه الحاكم في (المستدرک ٤٩٥/١) في كتاب الدعاء وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح. ورواه ابن ماجه ٣٣٢/٢ في أبواب الأدب، باب فضل الذكر، ح ٣٨٣٨، ط. الأعظمي.

(٢) كما في صحيح الحاكم. وفي الترمذي فأخبرني.

(٣) رواه مسلم ٢٠٦٢/٤ من طريق أبي هريرة في كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله، ح ٤ (بنحوه).

ورواه الترمذي (تحفة الأحوزي ٥٤/١٠) في أبواب الدعوات، باب منه، ح ٣٦٦٦ وقال: هذا حديث حسن غريب.

ورواه الحاكم في المستدرک ٤٩٥/١ في كتاب الدعاء، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) يهزمون: الهمز: هو الغيبة والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم. والمعنى أنهم يعابون لكثرة ذكرهم لربهم.

لسان العرب ٤٦٩٩/٦ مادة: همز.

وفيهما^(١) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقول: «أنا مع عبدي إذا هو ذكركي وتحركت بي شفتاه»، وفيهما^(٢) عنه أيضاً «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها من درجاتكم وخيراً لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله»، وقال معاذ بن جبل^(٣): «ما عمل آدمي عملاً^(٤) أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»، وفيهما^(٥) أيضاً من

(١) (انظر المستدرک ٤٩٦/١) من طريق أبي الدرداء في كتاب الدعاء. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح.

ورواه البخاري في صحيحه معلقاً (فتح الباري ٤٩٩/١٣) من طريق أبي هريرة في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾.

وقال الحافظ ابن حجر: «وهذا من الأحاديث التي علقها البخاري ولم يصلها في موضع آخر من كتابه». (فتح الباري ٥٠٠/١٣).

ورواه ابن ماجه ١٢٤٦/٢ من طريق أبي هريرة في أبواب الآداب باب فضل الذكر ح ٣٧٩٢. قال في الزوائد: في إسناده محمد بن مصعب القرقيساني قال فيه صالح بن محمد: ضعيف لكنه رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أيوب بن سويد عن الأوزاعي أيضاً وأيوب بن سويد ضعيف.

(٢) رواه الترمذي ٣١٧/٩ من طريق أبي الدرداء، في أبواب الدعوات، باب منه، ح ٣٤٣٧.

رواه الحاكم في (المستدرک ٤٩٦/١)، في كتاب الدعاء وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح.

(٣) حلية الأولياء: ٢٣٤/١، ٢٣٥. (٤) ظ، م: (عمل)، والصواب ما أثبت.

(٥) رواه ابن ماجه ١٢٥٢/٢ في كتاب الأدب، باب فضل التسبيح، ح ٣٨٠٩ قال في الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات وأخوه عون اسمه عبيدالله بن عتبة.

رواه الحاكم في (المستدرک ٥٠٣/١) في كتاب الدعاء وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بموسى القاريء وهو ابن عيسى هذا. ووافقه الذهبي.

حديث النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: الذين يذكرون من جلال الله التحميد^(١) والتسبيح والتكبير والتهليل ينعطفن^(٢)^(٣) حول عرش الرحمن لهن دوي كدوي النحل يذكرن^(٤) بصاحبهن أفلا يجب^(٥) أحدكم أن يكون له عند الرحمن شيء يذكر به، وفي صحيح الحاكم^(٦) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدرکه أحد كان بعده إلا من عمل عملاً أفضل من عمله»^(٧).

-
- (١) م: (التحميد التسبيح) بدون عطف.
(٢) ظ، م: (يتعاطفن) ح وفي المستدرک وإنهن ليتعطفن.
(٣) قال في اللسان: يقال: عطفت رأس الخشبة، فانعطف أي حنيتها فانحنى. فالانعطاف هنا هو الانحناء والدوران.
لسان العرب ٢٥٠/٩ مادة عطف - دار صادر.
(٤) ظ، م: (يذكرون)، ولعل الصواب ما أثبتته.
(٥) ظ، م: (إنه لا يجب) وما أثبتته من الحديث كما في المستدرک للحاكم.
(٦) رواه الحاكم في المستدرک ١/٥٠٠) عن عمرو بن الشعيب عن أبيه عن جده، في كتاب الدعاء. وروى الحاكم بسنده: إلى إسحاق بن إبراهيم أنه قال: إذا كان الراوي عن عمر بن شعيب عن ثقة فهو كأيوب عن نافع عن ابن عمر.
وقال الحاكم: لم أخرج من أول كتاب الدعاء إلى هذا الموضع حديثاً لعمرو بن شعيب وقد ذكرت في أول كتاب الدعاء والتسبيح مذهب الإمام أبي سعيد عبدالرحمن بن مهدي في المسامحة في أسانيد فضائل الأعمال. قلت: كأنه يضعف رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.
(٧) ظ: (عمل).

وفيه^(١) أيضاً عن خالد أن النبي «صلى الله عليه وسلم» قال: «من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة» وفي الترمذي وصحيح^(٢) الحاكم أيضاً، عن عبدالله بن عمر وقال، قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه ذنوبه، وإن كانت أكثر من زبد البحر». وفي صحيح الحاكم^(٣) أيضاً: عن أنس قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قال الله: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا

(١) رواه الحاكم (المستدرک ١/٥٠١، ٥٠٢) من طريق جابر رضي الله عنه في كتاب الدعاء وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ورواه الترمذي (تحفة الأحوذی ٩/٤٣٣) في أبواب الدعوات، باب منه، ح ٣٥٣١ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير عن جابر.

(٢) رواه الترمذي (تحفة الأحوذی ٩/٤٢٧، ٤٢٨) عن عبدالله بن عمرو في أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسييح والتكبير والتهليل والتحميد، ح ٣٥٢٥، وقال: هذا حديث حسن غريب.

رواه الحاكم في المستدرک (١/٥٠٣) في كتاب الدعاء وقال الحاكم: رواه شعبة عن أبي أبلج يحيى بن أبي سليم فأوقفه: قال الذهبي وحاتم ثقة وزيادته مقبولة. قلت: حاتم هو الذي روى عن أبي أبلج كما في سند الحديث عند الحاكم.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک ١/٤٩٧ من طريق أنس بن مالك في كتاب الدعاء بلفظ «عبدی أنا عند ظنك بي، وأنا معك إذا ذكرتني» وقال الحاكم: ذكر الظن مخرج في الصحيح وذكر الدعاء غريب صحيح فإن محمد بن القاسم ثقة وفي هذا الإسناد يقول صالح جزرة.

قال الذهبي: صحيح وأوله في الصحيح.

انظر تحريجه في الصحيحين، ١٤٥٩.

معك^(١) إذا ذكرتني» وفي صحيح الحاكم^(٢) وابن حبان، عن أنس قال: كنا مع النبي «صلى الله عليه وسلم» في حلقة ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»، وفيها أيضاً عن بريدة أن النبي «صلى الله عليه وسلم» سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال النبي «صلى الله عليه وسلم»^(٣): لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب». فأخبر أن هذا هو الاسم الأعظم لما تضمنه من الحمد والثناء والمجد والتوحيد، ولمحبة الرب تعالى لذلك أجاب من دعا به، وهذا باب يطول تتبعه جداً.

والمقصود أنه إذا كان لا معنى للمدح إلا الإخبار المتضمن فرح الممدوح وليس أحد أحب إليه المدح من الله وحمده والثناء عليه وذلك عنده بالمنزلة التي لا يمكن وصفها ولا يحيط بها البشر كان المنكر لفرحه وما يستلزمه فرحه منكر لحقيقة حمده ومدحه والثناء عليه وتمجيده وحينئذ فنقول في:

(١) وأنا معك مكرر في ظ.

(٢) سبق تحقيقه، ص ٩١٢.

(٣) سبق تحريجه، ص ٩١٢ - ٩١٣.

الوجه الحادي والعشرين :

إن هؤلاء الجهمية يقرون بظاهر من القول وينكرون حقيقته ويصدون عن سبيل الله ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وينفرون من أحب الأشياء إلى الله وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهو ذكره بأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه ومدحه بها وحمده عليها بل يكفرون من يثني عليه بها وينسبونه إلى التشبيه والتجسيم ويستحلون منه ما لا يستحله المحاربون من أعدائهم وذلك / عين العداوة لله ولرسوله، كما قال الإمام أحمد^(١): حدثنا إبراهيم بن إسحاق أنا ابن المبارك، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: «ما عادى عبد ربه أشد عليه من أن يكره ذكره وذكر من يذكره»، ومن المعلوم أن ذكره سبحانه إنما يتم بإثبات حقائق أسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله لا بألفاظ مجردة لا حقيقة لها.

الوجه الحادي
والعشرون والمائتان

[٢٥٠/١]

فهؤلاء المعطلة النفاة أبعد شيء عن حقيقة ذكر الله كما هم أبعد شيء عن محبته كما أقروا بذلك على أنفسهم من أنه لا يحبه أحد ولا يحب أحداً فهم لا يحبونه ولا يذكرونه، وإن ذكروه فإنما يذكرونه بالسلب والعدم الذي هو أنقص النقص، وإن أحبوه فإنما يحبون ثوابه المنفصل لآذاته ولا صفاته ولا يثبتون ألد ما في الجنة، وأطيب ما فيها، وأعظم نعيمها، وهو النظر إلى وجهه وسماع كلامه فهم

(١) الأثر لم أقف على تخرجه.

عمدوا إلى لب الدين وقلبه فنبذوه^(١) وأبطلوه ووقفوا في طريق الرسل وعارضوهم في دعوتهم، وبيانه:

بالوجه الثاني والعشرين:

وهو أن دعوة الرسل تدور على ثلاثة أمور: تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

الوجه الثاني والعشرون والمائتان

الأصل الثاني: معرفة الطريق الموصلة إليه وهي ذكره وشكره وعبادته التي تجمع كمال حبه وكمال الذل له.

الأصل الثالث: تعريفهم ما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الذي أفضله وأجله رضاه عنهم وتجليه لهم ورؤيتهم وجهه الأعلى وسلامه عليهم وتكليمه إياهم ومحاضرتهم في مجالسهم.

فيثبت الأصل الأول بذكر أوصاف الرب تعالى ونعوت جلاله على التفصيل وإثبات حقائق أسمائه على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما يتضمن هذا الإثبات ويستلزمه كالنسيان واللغوب والظلم والسنة والنوم والمثل والكفوء^(٢) والند والصاحبة والولد والسمي، والجهمية عكسوا الأمر فسلبوا صفاته على التفصيل وأثبتوا له ما يتضمن نفي ذاته وصفاته.

وأما الأصل الثاني: فإن الرسل أمرت الأمم بإدامة ذكره وشكره وحسن عبادته، فصدت النفاة القلوب والألسنة عن

(١) ظ، م: (ما نبذوه)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (والكفر).

ذكره بإنكار صفاته وهم في الحقيقة لا يشكرونه، لأن الشكر إنما يكون على الأفعال وعندهم لا يقوم به فعل؛ لأنه يستلزم حلول الحوادث به، فلا يشكر على فعل يقوم به، وإن شكروه فإنما يشكرونه على مفعولاته وهي منفصلة عنه، فلم يشكر على أمر يقوم به عندهم.

وأيضاً فإن رأس الشكر الثناء والحمد وقد اعترفوا بأنه لا حقيقة له إلا ما يقتضي فرح المحمود المثني عليه وذلك في حقه محال عندهم كما تقدم حكاية لفظهم^(١).

وكذلك هم منكرون لحقيقة عبادته، وإن قاموا بصورها وظواهرها، فإن حقيقة العبودية كمال محبته وكمال الذل له، وهم قد أقرروا بأنه لا يحبه أحد ولا يمكن أن يحب، واحتجوا على ذلك بأن المحبة تستلزم المناسبة بين^(٢) المحب والمحجوب ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق، وهذا إنكار لحقيقة «لا إله إلا الله» فإن الإله هو المألوه المستحق لغاية الحب بغاية التعظيم، فنفوا^(٣) هذا المعنى بتسميته مناسبة، كما نفوا محبته ورضاه وفرحه وغضبه وسخطه وكرامته ورأفته ورحمته وضحكه وتعجبه بتسميتها كفيات محسوسة، ونفوا حياته وسمعه وبصره وقدرته وكلامه وعلمه بتسميتها أعراضاً، ونفوا أفعاله بتسميتها حوادث، ونفوا علوه على خلقه

(١) انظر: ص ١٤٤٨.

(٢) ظ، م: (من)، والصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (فنقول).

واستوائه على عرشه والمعراج برسوله إليه بتسمية ذلك تجسيماً
وتركيباً.

وأما الأصل الثالث: وهو تعريف الأمم حالهم بعد
الوصول إليه، فإنهم أنكروا أجل ما فيه وأشرفه وأفضله
وهو رؤية^(١) وجهه وسماع كلامه، وإنما أثبتوا أموراً منفصلة
يتنعم بها من الأكل والشرب والنكاح ونحوها ومما يوضح
ذلك:

الوجه الثالث والعشرون:

وهو ما ثبت في صحيح مسلم^(٢) من حديث أبي ذر^(٣) الوجه الثالث
والعشرون والمائتان قال: قيل: «يا رسول الله، أرأيت الرجل يعمل العمل من
الخير ويحمده الناس عليه، قال: تلك عاجل بشرى المؤمن»
فأخبر صلى الله عليه وسلم أن حمد الناس للمؤمن بشارة
معجلة في الدنيا كالرؤية الصالحة، كما في الصحيح^(٤) عن

(١) ظ: (رواية).

(٢) انظر: ٢٠٣٤/٤، من طريق أبي ذر في كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أثنى
على الصالح فهي بشرى ولا تضره، ح ١٦٦.
ورواه ابن ماجه ١٤١٢/٢، في كتاب الزهد، باب الثناء والحسن، ح ٤٢٢٥.
ورواه أحمد في المسند ١٥٧/٥.

(٣) ظ: (أبي ذر).

(٤) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٥٥٤/٦)، في أبواب الرؤيا باب ذهب النبوة وبقيت
المبشرات، ح ٢٣٧٥، ٢٣٧٧، وقال: هذا حديث حسن.
رواه الإمام أحمد في المسند ٣١٥/٥.
ورواه أبو داود الطيالسي (منحة المعبود ١٩/٢).

ورواه ابن جرير في التفسير ١٢٥/١٥، ١٢٦، بتحقيق أحمد شاكر. وقد رواه من طرق
منها: طريق أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وقد قيل: إنه لم يسمع من عبادة بن =

عبادة بن الصامت أنه سأل النبي «صلى الله عليه وسلم»
عن قوله تعالى:

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^٤

[يونس: ٦٤].

قال: هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، فجعل حمد الناس له في اليقظة والرؤيا الصالحة في المنام بشارة له في الدنيا، والبشارة نوع من الخبر^(١) / وهو الخبر بما يسر فالحمد هو الخبر بما يسر المحمود ويفرحه، فإنكار فرحه ولو ازم فرحه إنكار للحمد في الحقيقة.

[٢٥١/١]

وفي الصحيحين^(٢) عن أبي موسى، عن النبي «صلى الله عليه وسلم» لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن قال لهما: «بَشْرًا وَلَا تُنْفَرًا، وَيَسْرًا وَلَا تُعَسِّرًا» وعند مسلم^(٣): «كان

= الصامت ولذا أعل بالانقطاع انظر: تحقيق أحمد شاكر لطرق هذا الحديث في تفسير الطبري.

ورواه الدارمي ١٢٣/٢، في كتاب الرؤيا، باب في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

ورواه الحاكم في المستدرک ٣٤٠/٢، في كتاب التفسير وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. والحديث حسن بشواهد.

(١) ظ، م: (المخبر)، والصواب ما أثبت.

(٢) رواه البخاري (فتح الباري ١٦٢/٦)، من طريق أبي بردة، عن أبيه، عن جده، في كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، ح ٣٠٣٨.

ورواه مسلم ١٣٥٩/٣، في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك النفي، ح ٧.

(٣) انظر: ١٣٥٨/٣، من طريق أبي موسى في كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك النفي، ح ٦.

إذا بعث أحداً من الصحابة قال: بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا» وذلك أن الكلام نوعان، إنشاء وإخبار، فأمرهم في الإخبار أن يبشروا ولا ينفروا، وفي الإنشاء أن يبشروا ولا يعسروا، فمن جعل المحمود والممدوح يحمد ويمدح بما لا يحبه ولا يفرح به، فقد عطل حقيقة حمده ومدحه التي تعطيلها تعطيل حقيقة الدين ومما يوضح ذلك:

الوجه الرابع والعشرون:

وهو أن الحسن والقبح سواء عرف بالشرع أو بالعقل إنما يعود إلى الملائم والمنافي.

الوجه الرابع
والعشرون والمائتان

والملائم يعود إلى الفرح ولوازمه، والمنافي يعود إلى الغضب ولوازمه، والمثبتون للحسن والقبح العقليين رأوا ما يعلمه العبد بضرورته وفطرته من حسن بعض الأعمال وقبح بعضها وأن ذلك من لوازم الفطرة فأثبتوه ولكن أخطأوا في موضعين:

أحدهما: قياس الخالق على المخلوق في ذلك، وأن ما حسن وقبح منهم حسن وقبح منه، وكذلك كانوا مشبهة الأفعال معطلة الصفات.

الموضع الأول

الموضع الثاني: نفهم لوازم ذلك من الفرح والرضى والمحبة وتسميتهم ذلك لذة وألماً وكيفيات نفسانية.

وأما النفاة: فأصابوا في الفرق بين الله وبين الخلق وأن لا يقاس بخلقه ولا يلزم أن ما حسن^(١) وقبح منهم يقبح

(١) ظ: (أحسن).

ويحسن منه، وأصاب أيضاً في رد ذلك إلى الملائمة والمنافرة،
وأخطأت في موضعين:

أحدهما: سلب الأفعال صفاتها التي باعتبارها كانت
حسنة وقبيحة وجعلهم ذلك مجرد نسب وإضافات عدمية.

والموضع الثاني: نفهم لوازم ذلك عن الرب تعالى
من محبته ورضاه وفرحه وغضبه وسخطه وكراهته ومقته
بتسميتها ذلك لذة وألماً، والفريقان جميعاً لم يهتدوا في تحقيق
المسألة إلى أن كل حسن وقبح ثبت بشرع أو عقل أو عرف
أو فطرة فإنما يعود إلى الملائمة والمنافرة، ولم يهتدوا أيضاً إلى
ثبوت الحسن في أفعال الله بمعنى محبته ورضاه وفرحه، وأنه
لا يفعل إلا ما يمدح على فعله ويحمد عليه، وحمده ومدحه
خبر بما يرضى به ويفرح به ويحبه، وأنه منزّه عن أن يفعل
ما يذم عليه، والذم هو الخبر المتضمن لما يؤذي المذموم ويؤله
وإن كان أعداؤه من المشركين يؤذونه ويشتمونه، كما في
الحديث الصحيح^(١): «لا أحد أصبر على أذى من الله،
يجعلون له ولداً وشريكاً وهو يعافيه ويرزقهم»، وفي
الصحيح^(٢) أيضاً يقول الله: «شتمني عبدي ابن آدم
وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فأما
شتمه إياي فزعم أني اتخذت ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد، وأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني
كما بدأتي، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته»، ومن
ذلك قول أعدائه: إنه فقير وإن يده مغلولة وإنه اتخذ صاحبة

(١) سبق تحقيقه. انظر: ص ١٤٥٠.

(٢) سبق تحقيقه. انظر: ص ١٤٥٠.

وولداً تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وحينئذ فنقول
في:

الوجه الخامس والعشرين:

إنه سبحانه كما يبغض هذا الإفك والباطل الذي قاله الوجه الخامس والعشرون والمائتان فيه أعداؤه، ويشتد غضبه منه ويؤذيه ذلك إذ لا ينقصه، كما أخبر به عن نفسه بقوله^(١): «يؤذيني ابن آدم» فهو سبحانه يفرح بثناء المثني عليه بأوصاف كماله ونعوت جلاله أعظم فرح ويرضى به ويحبه، وإذا كان يفرح بتوبة التائب أعظم فرح يقدر فكيف فرحه سبحانه بالثناء عليه وحمده ومدحه وتمجيده بما يصفه به أعداؤه مما لا يليق بكماله مما يتضمن فرحه ومحبه ورضاه أعظم من ذلك، فإن محبه تغلب غضبه، وفضله أوسع من عدله، وهو سبحانه كما أنه موصوف بكل كمال فهو منزّه عن كل نقص وعيب، فكما أنه موصوف في أفعاله بكل حمد وحكمة وغاية محمودة فهو منزّه فيها عن كل عيب وظلم وقبيح، وبهذا استحق أن يكون محموداً على كل حال وأن يكون محموداً على المكاره، كما هو محمود على المحاب، كما في صحيح الحاكم^(٢)، وغيره من حديث عائشة قالت: «كان النبي «صلى الله عليه وسلم» إذا أتاه الأمر يسره قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: «الحمد لله على كل حال». واللفظ العام إذا ورد على سبب وجب دخول السبب فيه

(١) ظ، م: (فقوله)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٤٩٩/١، من طريق عائشة رضي الله عنها، في كتاب الدعاء وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه... وسكت عنه الذهبي.

فيوجب هذا الحمد أنه محمود على هذا الأمر / المكروه، لأنه حسن منه وحكمة وصواب فيستحق أن يحمد عليه ومما يوضح ذلك:

الوجه السادس والعشرون:

وهو أن النبي «صلى الله عليه وسلم» جمع بين محبة الرب سبحانه للمدح ومحبة للعذر كما في حديث المغيرة^(١) بن شعبة: «لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، من أجل ذلك وعد الجنة»، وكذلك جمع بينهما في حديث ابن مسعود^(٢) فهو سبحانه شديد المحبة لأن يحمد وأن يعذر، ومن محبته للعذر إرسال رسله وإنزال كتبه، ومن محبته للحمد ثناؤه على نفسه فهو يحب أن يعذر على عقاب المجرمين المخالفين لكتبه ورساله، ولا يلام على ذلك ولا يذم عليه ولا ينسب فيه إلى جور ولا ظلم، كما يجب أن يحمد على إحسانه وإنعامه وأياديه عند أوليائه وأهل كرامته، وحمده متضمن هذا وهذا، فهو محمود على عدله في أعدائه وإحسانه إلى أوليائه كما قال تعالى:

﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الزمر: ٧٥].

فأخبر عن حمد الكون أجمعه له عقيب قضائه بالحق بين الخلائق، وإدخال هؤلاء إلى جنته وهؤلاء إلى ناره، وحذف

(١) سبق، انظر: ص ١٤٧٧.

(٢) انظر: ص ١٤٧٢.

فاعل الحمد إرادة لعمومه وإطلاقه حتى لا يسمع إلا حامد له من أوليائه وأعدائه: كما قال الحسن البصري: «لقد دخلوا النار وإن حمده لفي قلوبهم، ما وجدوا عليه حجة ولا سبيلاً» وهو سبحانه قد أعذر إلى عباده وأقام عليهم الحجة، وجمع «صلى الله عليه وسلم» في الحديث^(١) بين ما يحبه ويبغضه، فإنه قال فيه: «لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وما أحد أحب إليه المدح من الله [من]^(٢) أجل ذلك مدح نفسه»، فإن الغيرة تتضمن البغض والكراهة^(٣) فأخبر أنه لا أحد أغير منه، وأن من غيرته حرم الفواحش، ولا أحد أحب إليه المدحة منه. والغيرة عند المعطلة النفاة من الكيفيات النفسية كالحياة والفرح والغضب والسخط والمقت والكراهية، فيستحيل وصفه عندهم بذلك، ومعلوم أن هذه الصفات من صفات الكمال المحمودة عقلاً وشرعاً وعرفاً وفطرة، وأضدادها مذمومة عقلاً وشرعاً وعرفاً وفطرة، فإن الذي لا يغار بل تستوي عنده الفاحشة وتركها مذموم غاية الذم مستحق (للذم)^(٤) القبيح، وهؤلاء المعطلة النفاة لحقيقة محبته ورضاه وغضبه عندهم الأمران سواء بالنسبة إليه، وأن ما وجد من ذلك فهو يحبه ويرضاه، وما لم يوجد من طاعته وامتناله أوامره فهو يبغضه ويسخطه بناء على أصلهم الفاسد، أن

(١) سبق تحريجه. انظر: ص ١٤٧٢.

(٢) (من): ليست في ظ، م، وما أثبتته من الحديث.

(٣) ظ، م: (الكرامة)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) (للذم): سقط من م.

المحبة هي عين الإرادة والمشئثة، فكل ما شاءه فقد أحبه ورضيه، وإذا جاء هؤلاء إلى النصوص الدالة على أنه لا يرضى بها، ولا يحبها، ولا يريدتها، أولوها بمعنى أنه لا يشرعها، ولا يأمر بها، ولا يحبها، ولا يرضها ديناً، وهو التأويل الأول^(١). بتغيير العبارة^(٢)، وحينئذ فنقول في:

الوجه السابع والعشرين:

إنه سبحانه عما يقول الجاهلون به إذا كان لا يفرح، ولا يرضى بمدحه وحمده والثناء عليه، ولا يغضب ولا يسخط ويبغض شتمه، وما قال فيه أعداؤه، بل نسبة الأمرين إلى ذاته وصفاته بنسبة واحدة، إذ لو حصل فيه سبحانه فرح ورضى ومحبة من ذلك، وغضب وسخط وكراهة من هذا للحقته الكيفيات النفسية، كان لا فرق عنده بين الحسن والقبيح والمدح والذم، وهذا غاية النقص والعيب، شرعاً وعقلاً وفطرة وعادة، ومن كلام الشافعي^(٣): «من استرضى ولم يرض فهو جبار، ومن استغضب ولم يغضب فهو حمار»، وهذا يدل على موت القلب، وبطلان الحس، وفقد الحياة، ولهذا كان أكمل الناس حياة أشدهم حياءً، وكان^(٤)

الوجه السابع
والعشرون والمائتان

(١) (الأول): مكرر في ظ، م.

(٢) ظ، م: (العبادة)، الصواب ما أثبتته.

(٣) انظر: حلية الأولياء ١٤٣/٩.

(٤) رواه البخاري (فتح الباري ٥٢١/١٠)، من طريق عبدالله بن أبي عتبة، سمعت

أبا سعيد يقول: فذكره في كتاب الأدب، باب الحياء، ح ٦١١٩.

ورواه مسلم ١٨٠٩/٤، في كتاب الفضائل، باب كثرة حياته صلى الله عليه وسلم، ح ٦٧.

رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أشد حياء من العذراء في خدرها، لكمال حياة قلبه، والله سبحانه، الحي القيوم، وقد وصف نفسه بالحياء، ووصفه رسوله، فهو الحيي الكريم، كما قال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً^(١)»، وقالت أم سليم: يا رسول الله: «إن الله لا يستحي من الحق»^(٢) وأقرها على ذلك، وقال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن»^(٣).

- (١) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٥٤٤/٩)، من طريق سلمان الفارسي، في أبواب الدعوات، وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم، ولم يرفعه، ح ٣٦٢٧. ورواه أبوداود (عون المعبود ٣٥٩/٤)، في أبواب الوتر، باب الدعاء، ح ١٤٧٤. ورواه الحاكم في المستدرک ٤٩٧/١، في كتاب الدعاء، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. وسكت عنه الذهبي.
- (٢) رواه البخاري (فتح الباري ٢٢٨/١)، من طريق زينب ابنة أم سلمة في كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ح ١٣٠. ورواه مسلم ٢٥١/١، في كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، ح ٣٢.
- (٣) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٣٢٧/٤)، من طريق علي بن طلق، في أبواب الرضاع، باب ماجاء في كراهية إتيان النساء في أدبارهن، ح ١١٧٤، وقال: حديث علي بن طلق حديث حسن. ورواه ابن ماجه ٦١٩/١، من طريق خزيمه بن ثابت في كتاب النكاح، باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، ح ١٩٢٤. قال في الزوائد، في إسناده حجاج بن أرطاة، وهو مدلس، والحديث منكر، لا يصح من وجه كما ذكره غير واحد. ورواه الدارمي ١٤٥/٢، في كتاب النكاح، باب النهي عن إتيان النساء في أعجازهن. ورواه أحمد في المسند ٨٦/١.

والحياء عند هؤلاء من الكيفيات النفسانية، فلا يجوز عندهم وصف القديم بها، والمقصود أنه كلما [كانت] (١) صفات الكمال في الحي، كان فرحه ومحبه ورضاه وغضبه ومقته أكمل، ولهذا كان النبي «صلى الله عليه وسلم» إذا غضب لم يغم له، / شيء (٢)، وفي الأثر (٣): «إن موسى كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته» «وكان أشد بني إسرائيل حياء حتى أنه لا يغتسل إلا وحده من شدة حياؤه».

[٢٥٣/١]

وإذا كانت هذه صفات كمال، فلا يجوز سلبها عن من هو أحق بالكمال المطلق من كل أحد بمجرد تسميتها كيفيات نفسية، وأعراضاً، وانفعالات، ونحو ذلك فإن هذا من اللبس والتلبس، وتسمية المعاني الصحيحة الثابتة بالأسماء القبيحة (٤) المنفرة، وتلك طريقة للنفاة مألوفة وسجية معروفة، وإذا عرف هذا تبين أن هؤلاء المعطلة للنفاة أضاعوا

(١) (كانت): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٢) ورد في الحلية ٢٢٧/٩، عن أم سلمة:

ولفظه «قالت: كان رسول الله «صلى الله عليه وسلم» إذا غضب لم يجترىء عليه أحد إلا علي كرم الله وجهه».

(٣) هذا الأثر لم أقف على تخريجه وكذا الذي بعده لم أقف على تخريجه بهذا اللفظ وقد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء إلا استحيا منه... الحديث».

انظر: (فتح الباري ٤٣٦/٦)، كتاب الأنبياء.

ورواه البخاري أيضاً في كتاب التفسير، باب لا تكونوا كالذين آذوا موسى... (فتح الباري ٥٣٤/٨).

(٤) ظ: (والقبيحة).

حق الله الذي يستحقه لنفسه، والذي بعث به رسله وأنزل به كتبه، والذي هو أصل دينه، ومنتهى عبادته بما هم متناقضون فيه .

وقد سبق لك أنهم معترفون بما فطر الله عليه خلقه، أن المدح يتضمن فرح المدوح ولوازمه، ولهذا ألزمهم القول بخلاف ما يعلم بالضرورة من دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، إن الله لا يفرح بمدحه، وحمده، وتمجيده، والثناء عليه، ولا يرضى نفسه بذلك، ولا يكون محبوباً له على الحقيقة، وهذا هم معترفون به، لا يتحاشون منه، ولا يستكنفون من إطلاقه، وإنما العجب تصریحهم بأنه لا يمدح بمدح، والمدح هو أصل الثناء والحمد.

وقد صرحوا باستحالة ذلك في حقه، كما قالوا: المدح هو الإخبار عن^(١) كونه مستحقاً لأن يفعل^(٢) به ما يفرح به ويلتذ به، والذم: هو الإخبار عن كونه مستحقاً لأن يفعل به ما يحزن به، ويتألم به، قالوا: وإذا فسرنا المدح والذم بذلك استحال^(٣) تصورهما في حق الله تعالى لاستحالة الفرح والغم عليه، وقد أبطل فاضلهم طرق الناس، وعول على هذه الطريقة كما تقدم حكاية لفظه^(٤)، وهذا اعتراف منه

(١) ظ، م: (هو)، الصواب ما أثبت.

(٢) ظ: (ينقل).

(٣) ظ: (استحالة).

(٤) انظر: ص ١٤٧١.

بأنه ليس للمدح والذم حاصل إلا ما لا يتصور في حق الله ،
فلا يتصور عنده أن يكون الله محموداً ومدوحاً بحال ، ومعلوم
أن فساد هذا في دين الرسل كلهم ، وجميع فطر بني آدم من
أوضح الواضحات ، وحينئذ فنقول في :

الوجه الثامن والعشرين :

قولكم : إن المدح يستحيل تصوره في حق الله من
أوضح الكفر ، وأقبح المعادة لله ، والمناقضة لكتبه ورسوله ،
واستدلالكم على ذلك بأن الفرح يستحيل عليه أبطل
وأبطل ، بل قد علم بالاضطرار عقلاً وفطرة وشرعاً أن
المستحق لغاية المدح الكامل المطلق هو الرب سبحانه ، فهذا
أحق الحق ولازمه حق ، فإنه لا يلزم من الأحق إلا حق ، فإن
كان الفرح لازماً لهذا المدح فهو حق ، وقد أثبت له سبحانه
أعلم خلقه وأعرفهم به وبصفاته ، وما يجب له ، ويمتنع
عليه ، وقرب فرحه سبحانه إلى الأذهان ، بما هو أعظم من
أنواع الفرح ، وهو فرحه بتوبة التائب إليه ، فكيف
بما هو أعظم من ذلك من حمد الحامدين له ، ومدحهم له ،
وثنائهم عليه ، فإذا كان المدح مستلزماً للفرح ، وقد علم أنه
يستحق المدح أجمع علم أنه يفرح بمدحه ، وإثبات الملزوم
ونفي لازمه محال ، ولهذا لما تفتن هؤلاء لذلك علموا أنه
لا يمكن إثبات الملزوم ، ونفي لازمه صرحوا بنفي اللازم
والملزوم ، وقالوا : يستحيل ثبوت المدح والفرح في حقه ،
فنقول في :

الوجه الثامن
والعشرون والمائتان

الوجه التاسع والعشرين :

الوجه التاسع والعشرون والمائتان

إنه من المعلوم أن كونه سبحانه يستحق المدح والمحامد أبين في الشرع والعقل والفطرة من كونه لا يفرح، والواجب أن يستدل بالمعلوم على المجهول، وبالواضح على الخفي، أما أن يستدل بانتفاء^(١) الفرح على انتفاء كونه مستحقاً للمدح، فهذا من أبطل الباطل، وهو خروج عن مقتضى السمع والعقل، وهو من فعل أهل التلبيس والتدليس، وإذا تبين ذلك عرف أن هؤلاء الجهمية المعطلة الذين يذكرون ما وصف الله به نفسه من الرضى والفرح يلزم لزوماً بيناً أن يحدوا حمده سبحانه ومدحه والثناء عليه، واستحقاقه لذلك بموجب هذه القضية الكاذبة الباطلة التي قرروها، وهذا شأن جميع قضاياهم الكاذبة التي تتضمن تعطيل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، فإنها تستلزم إثبات الباطل وإبطال الحق، ويأبى الله إلا أن يقيم لدينه من يذب^(٢) عنه، والحمد لله رب العالمين.

الوجه الثلاثون :

الوجه الثلاثون بعد المائتين

أن يقال: قولكم: إن المدح والذم لا معنى لهما إلا بمجرد الخبر عن استحقاق ما يفرح ويؤلم ليس كذلك، والتحقيق أن فيها معنى زائداً على الخبر المجرد سواء دل اللفظ على ذلك المعنى الزائد / بالتضمن أو باللزوم، فإن الحامد المادح يقترن بحمده ومدحه محبة المحمود والرضى عنه وتعظيمه، وكذلك

[٢٥٤/١]

(١) ظ، م: (نفياً)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (عدت)، والصواب ما أثبت.

الذام يقترون بذمه بغض المذموم وتنقصه وقلاده، ولهذا فسر كثير من الناس الحمد بالرضى واختاره الأمدى في أبكاره^(١) وغيره؛ فالأمدى فسره بالرضى، وهو من باب الإرادات، والرازي: فسره بالخبر، وهو من باب الاعتقادات، والتحقيق أن الحمد والذم يتضمن الأمرين جميعاً، فالمادح يعتقد أن في المدوح والمحمود ما يحبه، ويرضى به، ويفرح به، ويكون مع هذا الاعتقاد والخبر في قلبه من محبته والرضا به والفرح ما استحق به أن يكون حامداً له ومادحاً، وهذا أمر يجده الحامد المادح من نفسه إذا كان مادحاً بحق وصدق، بخلاف المدح بالباطل فإنه كذب لا يستلزم شيئاً من ذلك، فالمدح والحمد أصلهما الخبر ويتبعه الحب والرضا، والذم أصله الخبر، ويتبعه البغض والسخط، والصلاة على من يصلى عليه أصلها الطلب والإرادة ويتبعها الخبر، ولعنة من يلعن أصلها طلب إهانته وإقصائه، ويتبعها الخبر، وهذان النوعان من الخبر وهما الإخبار عن الشيء بالخبر السيء، وطلب السوء له، والإخبار عنه بالخبر الحسن وطلب الخير له، الأول أصل اللعن، والثاني أصل الصلاة، وهو سبحانه يلعن أعداءه ومن يفعل ما يبغضه ويسخطه، ويصلي على أوليائه وأهل طاعته وذكره، وفي صحيح مسلم^(٢)

(١) ظ، م: (وأماظره)، وقال في حاشية م لعله في أبكاره.

(٢) ٢٠٠٦/٤، من طريق أبي الدرداء في، كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن

لعن الدواب وغيرها، ح ٨٥، دون ذكر «الطعانون».

ورواه أبوداود (عون المعبود ٢٥٣/١٣)، في كتاب الأدب، باب في اللعن،

ص ٤٨٨٦. ورواه أحمد ٤٤٨/٦.

عنه صلى الله عليه وسلم: «لا يكون الطعانون واللعانون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة»، فإن الشهادة من باب الخبر، والشفاعة من باب الطلب، ومن يكون كثير الطعن على الناس، وهو الشهادة عليهم بالسوء، وكثير اللعن لهم، وهو طلب السوء لهم لا يكون شهيداً عليهم ولا شفيعاً لهم، لأن الشهادة مبنها على الصدق، وذلك لا يكون فيمن يكثر الطعن فيهم، ولا سيما فيمن هو أولى بالله ورسوله منه، والشفاعة مبنها على الرحمة وطلب الخير، وذلك لا يكون ممن يكثر اللعن لهم، ويترك الصلاة عليهم، ومن أعظم أسباب سعادة العبد أن يكون موافقاً لربه سبحانه في صلاته على من صلى عليه، ولعنته لمن لعنه كما في مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم^(١) من حديث زيد بن ثابت أن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» علمه وأمره أن يتعاهد أهله في كل صباح لبيك اللهم لبيك، وسعديك، والخير في يديك ومنك وإليك، اللهم فما قلت من قول أو حلفت من حلف أو نذرت من نذر فمشيئتك بين يدي ذلك كله ما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير، اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين، اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة

(١) رواه أحمد في المسند ١٩١/٥ من طريق زيد بن ثابت.

انظر: المستدرک ٥١٦/١/٥١٧، في كتاب الدعاء، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. قال الذهبي: «قلت: أبو بكر ضعيف فأين الصحة؟».

النظر إلى وجهك وشوقاً إلى لقاءك^(١)، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم، أو أعتدي، أو يعتدي علي، أو أكسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا، وأشهدك وكفى بك شهيداً أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها، وأنت تبعث من في القبور، وأنت إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاغفر لي ذنوبي كلها إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم». فهذه ثلاثون وجهاً مضافة إلى المائتين فصارت مائتان وثلاثون وجهاً، تبطل معارضتهم للنصوص بالتوهّمات والظنون الكاذبة التي يسمونها عقليات.

الوجه الحادي والثلاثون بعد المائتين:

أن نقول إذا عارضتم بين المعقول والمنقول، فإما أن تكذبوا المنقول وإما أن تصدقوه، فإن كذبتموه ألحقتم بأعداء الرسل المكذبين لهم، وانسلختم من العقل والدين كانسلاخ الشعرة من العجين، وإن صدقتم المنقول فإما أن تعتقدوا أن له معنى أو تقولوا لا معنى له، ولا يمكنكم أن تقولوا بالثاني، إذ استحيل المعارضة على هذا التقدير، وتبطل المسألة التي

في إلزام المعارضين
للمنقول بتكذيبه
أو تصديقه

(١) ظ: (إلى القائل).

أصلتموها من أصلها، وإن قلمت بل للمنقول معان / قصدها المتكلم، وأراد من العباد اعتقادها والإقرار بها، فإما أن يدل اللفظ عليها أو لا يدل فإن لم يدل اللفظ عليها كان ذلك متضمناً للمحال والعبث والقدح في الرب تعالى ورسله وكلامه من وجوه متعددة، فكيف يحسن به وبرحمته وحكمته وعنايته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم أن يخاطبهم بكلام يريد منهم أن يفهموا منه ما لا يدل عليه بوجه ما، وهو سبحانه قد أكذب هذا الظن الكاذب الجائر بقوله:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾

[إبراهيم: ٤].

وقوله:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَتَعْجَبِي﴾

وَعَرَبِيًّا ﴿ [فصلت: ٤٤].

فخطابهم بذلك من جنس خطاب كل أمة بلغة لا تفهمها البتة، بل أبعد منه لأنها يمكنها التوصل إلى معرفة المراد بهذا الخطاب بالترجمة، كما يترجم التراجم بين الرسل والملوك، وأما الخطاب بما لا يدل على المعنى المراد بوجه في لغة من اللغات، وإرادة اعتقاد ذلك المعنى منه، فلا يفعله عاقل، ويصان عنه عقلاء البشر فضلاً عن أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وأعدل العادلين، وهذا لو كان المراد منه معان لا يناقضها الكلام، ولا يدل عليها بنفي ولا إثبات، فكيف إذا كان الكلام المخاطب به له معان تناقض تلك المعاني التي أراد منهم فهمها ومخالفتها، فهذا أبلغ في

الإحالة، وإن قلتم: بل له معان ظاهرة مفهومة أراد من العباد اعتقادها والإقرار بها، فإما أن تقولوا: هي في نفسها حق مطابق للواقع، أو تقولوا ليس لها وجود، بل هي منتفية في نفس الأمر، فإن قلتم: بالأول صدقتم، ورجعتم إلى موجب العقل والنقل، وإن قلتم بالثاني لزمكم أن يكون الله ورسوله أراد من العباد اعتقاد الباطل والظلال والتشبيه والتجسيم، وهذا غاية المشقة والقدح في الحكمة والرحمة، وإن قلتم له معان ظاهرة مفهومة أراد من العباد نفيها وإنكارها وعدم اعتقادها، وهذا هو حقيقة قولكم لزمكم نسبة الله ورسوله إلى ما لا يليق بأحد العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء، وخاتم الرسل وسيد الأنبياء، فإنه يكون قد خاطبهم بإثبات ما أراد منهم نفيه، وتحقيق ما أراد منهم إبطاله، وعرضهم لأنواع الكفر والضلال والتشبيه، وكان بمنزلة من أراد أن يصف لعليل دواء يستشفي به، فوصف له دواء قاتلاً، وأخبره أن فيه الشفاء والعافية، وأراد منه أن يأخذ من ألفاظ ذلك الدواء ما لا يدل عليه، بل على خلافه، فهل يكون هذا المداوي إلا من أجهل الناس وأعظمهم تلبساً وتدليساً، فلا بد لكم من أحد هذه الأقسام المذكورة، فإن كان ها هنا قسم آخر، فبينوه، وبينوا صحته يوضحه.

الوجه الثاني والثلاثون بعد المائتين:

وهو أن الأدلة العقلية التي زعمتم أنها تعارض النقل، وتنفي موجهه هي بعينها تنفي المعاني التي تأولتم النقل عليها، وحرفتم معناه إليها فإنكم لا يمكنكم تعطيل دلالة

بيان أن الأدلة
العقلية تنفي المعاني
التي تأولتم النقل
عليها

النصوص بالكلية، وجعلها بمنزلة الكلام المهمل الذي لم يستعمله العقلاء، بل لا بد لكم من حملها على معاني آخر غير حقائقها التي دلت عليها وحينئذ فالأدلة العقلية التي نفيتم بها حقائق النصوص تنفي تلك المعاني التي تأولتموها عليها بعينها، مثاله أنكم تأولتم الرحمة والرأفة بالإرادة، وزعمتم أن الدليل العقلي يقتضي نفي الرحمة والرأفة حقيقة، وهو إما دليل الإعراض، وإما دليل التركيب، وإما الدليل الذي ينفي التجسيم والتشبيه، وإما دليل التوحيد الذي ينفي ثبوت شيء من الصفات، وإما دليل امتناع الكيفيات النفسانية عليه، وإما دليل امتناع الاختصاص بغير مخصص أو غير ذلك، فجميع هذه الشبه الباطلة تنفي كل معنى حملتم عليه النصوص، ويلزمكم فيما أثبتموه نظير ما لزمكم فيما نفيتموه، وإذا كان الإلزام ثابتاً على التقديرين لم تستفيدوا^(١) بتأويل النصوص، وحملها على خلاف حقائقها إلا تحريف الكلم عن مواضعه، والقول على الله بلا علم والجنابة على الكتاب والسنة، فلو أنكم تخلصتم بالتحريف مما فررتم منه من التشبيه والتجسيم كنتم قد صنعتُم شيئاً، ولكن أصابكم في ذلك ما أصاب القائل.

وأفقرني فيمن أحب وما استغنى.

فهذان وجهان يعمان كل ما ينفون من الصفات الإلهية ويتأولونه على غير تأويله من النصوص النبوية، ويعتمدون عليه من الأقيسة العقلية.

(١) ظ: (لم تستفيدوا).

الوجه الثالث والثلاثون بعد المائتين :

الرد على زعمهم أن
أسماء الله تعالى تطلق
عليه مجاز

إن لازم هذا القول، بل حقيقته^(١) أن أسماء الرب
تعالى إنما تطلق عليه مجازاً لا حقيقة، فإنه إذا قام الدليل
العقلي على انتفاء حقائقها صار إطلاقها بطريق المجاز
والاستعارة لا بطريق / الحقيقة، فيكون إطلاقها على
المخلوق بطريق الحقيقة إذ لا يمكن أن يكون مجازاً في الشاهد
والغائب، وقد نفيتم أن يكون حقيقة في حق الرب سبحانه،
فتكون حقيقة في المخلوق مجازاً في الخالق، فيكون المخلوق
أحسن حالاً فيها من الخالق، وتكون حسنى في حقه دون
حق الرب تعالى؛ لأنها إنما كانت حسنى باعتبار معانيها
وحقائقها لا بمجرد ألفاظها، فمن له حقائقها^(٢)، فهي في
حقه حسنى دون من انتفت عنه حقائقها، وكفى بهذا خروجاً
عن العقل والسمع وإلحاداً في أسمائه سبحانه، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فإن قلت: حقائقها بالنسبة إليه ما يليق به،
وهو ما تأولناها عليه، وحينئذ فتكون حسنى بذلك الاعتبار،
وتكون حقيقة لا مجازاً قيل: فهلا حملتموها على حقائقها
المفهومة منها على وجه يليق به، ولا يماثله في خلقه كما فعلتم
بحملها على تلك المعاني التي صرفتموها إليها، فإن قلت:
حملها على ذلك يستلزم محذوراً من تلك المحاذير، قيل:

(١) ظ، م: (حقيقته)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) ظ: (بحقايقها).

فكيف لم يستلزمه فيما أثبتموه من تلك المعاني، واستلزمه فيما نفيتموه، وإذا كنتم قد أثبتتم تلك على وجه يختص به، ولا يماثل خلقه فيه فأثبتوا له حقائقها على هذا الوجه وتكونون للعقل والنقل موافقين وللكتاب والسنة مصدقين، وللسلف الأمة وأعلمها بالله وصفاته وأسمائه موافقين، وعن سبيل أهل الإلحاد والتعطيل عادلين.

الوجه الرابع والثلاثون بعد المائتين:

إن الناس في هذه الأسماء التي تقال على الرب وعلى العبد مختلفون على أقوال: فقالت غلاة المعطلة من الجهمية: إنها مجاز في حق الخالق، حقيقة في حق المخلوق، وإنها استعيرت^(١) له من أسمائهم، وهذا كما قيل «خر عليهم السقف من تحتهم» لا عقل ولا قرآن، فكيف يستعار للقديم الخالق سبحانه أسماء من المحدث المخلوق، وكيف يستقرض للغني الواجد من الفقير المعدم، أترى لم يكن في الممكن أن يكون للرب سبحانه من الأسماء إلا ما استعير له من أسماء خلقه، ولما رأته^(٢) طائفة من العقلاء شناعة هذا المذهب وبطلانه، قابلوا قائله، وقالوا: بل هي حقيقة في الرب، مجاز في العبد، وهذا قول أبي العباس الهاشمي وقد وافقه عليه طائفة، ويلزم أصحاب هذا القول صحة نفيها عن المخلوق كما يلزم أصحاب القول الأول صحة نفيها عن الخالق، والقولان باطلان مع أن أصحاب هذا القول، وإن

(١) ظ، م: (استعرت)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (رأيت)، والصواب ما أثبت.

كانوا خيراً من أولئك، فهم متناقضون فإنهم إن أثبتوا للرب تعالى حقائقها المفهومة منها، فجعلها مجازاً في المخلوق ممتنع، فإن المعنى الذي كانت به حقيقة في الغائب موجود في الشاهد، وإن كان غير مماثل، بل للرب منه ما يختص به، ولا يماثله فيه المخلوق، وللمخلوق منه ما يختص به ولا يماثله فيه الخالق، وهذا لا يوجب أن تكون مجازاً في حق المخلوق كالوجود والشيء والذات، وإن أثبتوها على غير حقائقها المفهومة منها، بل جعلوا معناها ما تأولوها عليه، فقبلوا الحقائق، وعكسوا اللغة، وأفسدوها، وجعلوا المجاز حقيقة، والحقيقة مجازاً، هذا وهم أعذر من أولئك وأقل خطأ، فإنهم جعلوها مجازاً في حق من هو أولى بها من خلقه.

وأولى من^(١) تثبت له على أتم الوجوه، وأكملها أزلاً وأبداً، ووجوباً وبراءة^(٢) عن كل ما ينافي ذلك، وجعلوها حقيقة في حق من استعيرت له على وجه الحدوث والضعف والنقص فهؤلاء أعظم قلباً للحقائق، ومخالفة للمعقول من أولئك، وقالت طائفة ثالثة: بل هي حقيقة في الغائب والشاهد كالوجود، والشيء والذات وإن لم تماثل الحقيقة الحقيقية، ثم اختلف هؤلاء، فقالت طائفة: هي مقولة عليها بالاشتراك اللفظي لتباين الحقيقتين من كل وجه، وهذا من أفسد الأقوال، فإن كل عاقل يفرق بين لفظي العين ولفظ المشتري، ولفظ العين ونحوها، وبين لفظ السميع والبصير

(١) ظ، م: (ومن)، ولعل الصواب حذف الواو.

(٢) ظ، م: (وبراه)، والصواب ما أثبت.

والحي والعليم والقدير، ويفهم المعنى من هذه الألفاظ عند إطلاقها دون تلك، فلو كانت مشتركة لم يفهم منها شيء عند الإطلاق.

وقالت طائفة أخرى: بل يقال على القديم والحادث بطريق التواطىء، وهي موضوعة للقدر المشترك، والخصائص لا تدخل في مسمى اللفظ قالوا: ولهذا يصح تقسيم معانيها إلى واجب وممكن وقديم ومحدث، ومورد التقسيم مشترك بين الأقسام.

وقالت طائفة: بل يقال على الرب والعبد بطريق التشكيك لأنها / في الرب أولى^(١) وأتم وأكمل، ولا ريب أن المتواطىء^(٢) يعم ما تساوت أفراده فيه وما تفاوتت، فالمشكك نوع من المتواطىء^(٢) وإذا عرف هذا، فمن نفى حقائقها عن الرب سبحانه جعلها مجازاً في حقه حقيقة في المخلوق يوضحه.

[٢٥٧/١]

الوجه الخامس والثلاثون بعد المائتين:

إنه قد علم أن المعنى المستعار يكون في المستعار منه أكمل منه في المستعار، وأن المعنى الذي دل عليه اللفظ بطريق الحقيقة أكمل من المعنى الذي دل عليه بطريق المجاز، وإنما يستعار لتكميل معنى المجاز مثل الأسد فإن شجاعته لما كانت أكمل من شجاعة ابن آدم، والبحر لما كان أوسع من

بيان أن المعنى الذي دل عليه اللفظ بطريق الحقيقة أكمل من المعنى الذي دل عليه بطريق المجاز

(١) (أولى): مكرر في ظ، م.

(٢) ظ، م: (التواطىء)، ولعل الصواب ما أثبت.

ابن آدم، والشمس والقمر لما كانا أبهى وأحسن استعيرت
 أسماءها لما دونها، فإذا قيل: إن هذه الأسماء مجاز في حق
 الرب، حقيقة في حق العبد كانت في العبد أكمل وأتم منها
 في الرب، وكانت تسميته الرب سبحانه بها تقريباً^(١) وتمثيلاً
 لما هو حقيقة في العبد، وهل في الباطل والضلال والكفر
 والمحال فوق هذا، والظاهر والله أعلم أن أكثر هؤلاء النفاة
 المعطلة جهال لا يتصورون حقيقة أقوالهم ولوازمها،
 وإلا فمن آمن بالله، وكان له في قلبه جلالة وعظمة ووقار
 لا يرضى بذلك، ولا يعتقده، وإن كان كثير من الناس
 لا يتحاشى من ذلك، ولا يأنف منه لقلّة وقار الله في قلبه،
 وبعده عن معرفته وإساءة ظنه بأهل الإثبات وإحسان ظنه
 بطائفته، وأهل نحلته وضلال بني آدم لا يحيط به إلا من
 هو بكل شيء محيط.

الوجه السادس والثلاثون بعد المائتين:

بيان أن أعقل الخلق هم الرسل وأتباعهم بعدهم
 إن أعقل الخلق على الإطلاق الرسل، وأتباعهم بعدهم
 أعقل الأمم، وأهل الكتاب والشرائع الكبار أعقلهم،
 وأعقل هؤلاء المسلمون، وأعقل المسلمين أصحاب
 رسول الله «صلى الله عليه وسلم» والتابعون لهم بإحسان،
 وأهل السنة والحديث أعقل الأمة بعدهم على الإطلاق،
 والبرهان القاطع على هذا أنه قد ظهر على أيدي الرسل من
 العلم النافع والعمل الصالح ومصالح الدنيا والآخرة

(١) ظ، م: (سبحانه أنه بها تقريباً).

ما لم يظهر مثله ولا قريب منه ولا ماله^(١) البتة نسبة بوجه من الوجوه على أيدي غيرهم من العقلاء، ومن تدبر سيرتهم في أنفسهم، وفي خاصتهم، وفي العامة، وصبرهم وزهدهم في الدنيا، ورغبتهم في الله وما عنده، واشتغالهم من الأخلاق على أزكاها، ومن الشيم على أرضاها، وأنهم أصدق الخلق، وأبرهم قلوباً، وأزكاهم نفوساً، وأعظمهم أمانة، وأكرمهم عشرة، وأعفهم ضمائر، وأطهرهم سريرة، لم يشك أنهم أعقل خلق الله على الإطلاق، ولا ريب أن كل من كان إليهم أقرب، كان حظه من العقل أوفر والعلوم والأعمال والسيرة والدلائل على ذلك، وأما أعدائهم وخصومهم فقد ظهر من نقصان عقولهم ما كان الحيوان البهيم أحسن به حالاً منهم، فإنه لا يقدم على هلاكه، وخصماء الرسل وخصماء أتباعهم متهافتون في أسباب هلاكهم^(٢) تهافت الفراش في النار، وظهر نقصان هذه العقول في علومهم ومعارفهم مثل ظهوره في أعمالهم أو أعظم، فإن كل من له نور وبصيرة إذا عرض على العقل الصحيح والفتوة السليمة ما جاءت به الرسل، وما قالته النفاة المعطلة في الله جل جلاله، تبين له الذي بينها من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق^(٣)، ومن أعظم المحال أن يكون أعقل الخلق

(١) ظ: (مثاله).

(٢) ظ: (هالازم).

(٣) ظ، م: (الفوق)، والصواب ما أثبت.

ومعنى الفرق: الفرق بين الأمرين المميز أحدهما من الآخر. ومن الرأس الفاصل بين صفتين من الشعر والجمع فروق. المعجم الوسيط ٦٩٢/٢ مادة فرق.

وأعقل الأمم مطيعين على الانقياد لكتاب قد خالفه صريح العقل، ويكون ذلك الكتاب متضمناً لخلاف^(١) الصواب في أعظم مطالب الدعوة الإلهية، وظاهره ظلال ومحال، ويطبق عليه أعقل بني آدم، ويتلقونه بالقبول، وتشهد عقولهم وفطرهم أنه الحق والصواب، وأن ما خالفه فهو الباطل والإفك والمحال، وتصح به قلوبهم وتطمئن به وتسكن إليه، وتزكوا به النفوس أعظم زكا، وهذا من المحال أن يحصل بما يخالف صريح العقل، ويكون الصواب في خلاف ما دل عليه، فإن القلوب الصحيحة، والفطر السليمة، والعقول المستقيمة لا تطمئن بباطل أبداً بل يكون أهله كما قال الله سبحانه:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥].
وقال تعالى:

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ❖ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ﴾

[الذاريات: ٨، ٩].

وقال:

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾

[الإسراء: ٤٨].

ووصف سبحانه المصدقين به الذي لا يقدمون عليه غيره بطمأنينتهم به، وجعل ذلك من أعظم آيات صدقه في أنه لو كان باطلاً مخالفاً / للعقول لم تطمئن به القلوب بل كانت ترتاب به أعظم ريب، فإن الكذب في الأمور الجزئية

[٢٥٨/١]

(١) ظ: (الخلاف).

ربية، فكيف بالكذب في باب أسماء الرب وصفاته وشأنه، والصدق في الأمور الجزئية طمأنينة فكيف بالصدق في هذا الباب؟! قال تعالى:

﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

[البقرة: ١، ٢].

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

وقال تعالى:

﴿الْم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[السجدة: ١، ٢].

فجعل سبحانه من أعظم أدلة صدقه نفي الريب عنه في مثل هذه المطالب التي هي أصل مطالب بني آدم، وأجل معارفهم وعلومهم على الإطلاق، فلو كان فيه ما يخالف صريح العقل لكان فيه أعظم الريب، ولما اطمأنت به القلوب، ولا ثلجت به الصدور، وقد قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وذكره ها هنا هو كناية وهو الذكر الحكيم، فكيف يجوز على عقل الأمم وأفضلها أن تطمئن قلوبهم بما يخالف العقل الصريح، وهل هذا إلا قدح في عقولهم كما هو قدح في نبيهم وفي كتابهم، ومن تكلم به، وجعله هدى وشفاء ورحمة وعصمة ونوراً وروحاً، والله ورسوله وملائكته وأولو العلم

يعلمون أن كلام هؤلاء المعطلة النفاة المعارضين للوحي
 بعقولهم وآرائهم فيه أعظم الريب، وأبعد شيء عن طمأنينة
 القلوب به، وسكونها إليه وأشد شيء مخالفة للمعقول
 الصريح، وهذه سنة الله في خلقه أن أنقص الناس عقولاً
 وأعظمهم سفهاً، يرمون أعقل الخلق وأفضلهم بنقصان
 العقول، ولا تنسى قول أعداء الرسل في الرسل؛ أنهم
 مجانين لا عقول لهم، فهكذا ورثتهم يرمون ورثة الرسل
 بدائهم إلى يوم القيامة يوضحه:

الوجه السابع والثلاثون بعد المائتين:

إنه لو كان ظاهر الكتاب مخالفاً لصريح المعقول لكان في
 الصدور أعظم حرج منه وضيق، وهذا خلاف المشهود
 بالباطن لكل ذي عقل سليم فإنه كلما كان الرجل أتم عقلاً
 كان الحرج بالكتاب أبعد منه، قال تعالى: لرسوله:

بيان أن القرآن
 لو خالف المعقول
 لكان في الصدور منه
 أعظم الحرج

﴿الْمَصَّ ۖ كَتَبْنَا نُزْلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾

[الأعراف: ١، ٢].

والله تعالى رفع الحرج عن الصدور بكتابه، وكانت قبل
 إنزال الكتاب في أعظم الحرج والضيق، فلما أنزل كتابه
 ارتفع به عنها ذلك الحرج، وبقي الحرج والضيق على من
 لم يؤمن به كما قال تعالى:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ
 يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ومن آمن به من وجه دون وجه ارتفع عنه الحرج
 والضيق من الوجه الذي آمن به دون ذلك الوجه، فمن أقر

أنه منزل من عند الله أنزله على رسوله، ولم يقر بأنه كلامه الذي تكلم به، بل جعله مخلوقاً من جملة مخلوقاته، كان في صدره من الضيق والحرج ما يناسب ذلك، ومن أقر بأنه تكلم بشطره وهو المعاني دون شطره الآخر وهو حروفه كان^(١) في صدره من الحرج منه ما يناسب ذلك ومن [زعم]^(٢) أنه غير كاف في معرفة الحق، وأن العباد يحتاجون معه إلى معقولات وآراء ومقاييس وقواعد منطقية ومباحث عقلية ففي صدره منه أعظم حرج، وأعظم حرجاً منه من اعتقد أن فيه ما يناقض العقل الصريح، ويشهد العقل بخلافه، وكذلك من زعم أن آياته لا يستفاد منها علم ولا يقين ففي صدره منه من الحرج ما الله به عليم، ومن زعم أن الخطاب به خطاب جمهوري يخيل للعامة ما ينتفعون به مما ليس له حقيقة في نفس الأمر، ففي صدره منه أعظم حرج، ومن زعم أن أجل ما فيه وأشرفه وأفضله، وهو قسم التوحيد المتضمن للأسماء والصفات، مجازات واستعارات وتشبيهات لا حقائق، ففي صدره منه أعظم حرج، فكل هذه الطوائف في صدورهم^(٣) منه حرج وريب، وليس في حقهم هدى، ولا شفاء، ولا رحمة، ولا هو كاف لهم بشهادتهم على أنفسهم، وشهادة الله وملائكته والشهداء من عباده عليهم وبالله التوفيق.

(١) ظ، م: (لكان)، والصواب ما أثبتته.

(٢) زعم ليست في ظ ولا م وبها تستقيم العبارة.

(٣) ظ، م: (صدرهم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

وقد أقسم سبحانه بنفسه المقدسة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم، ولا يكفي ذلك في حصول الإيمان حتى يزول الحرج من نفوسهم بما حكم به في ذلك أيضاً حتى يحصل منهم الرضا والتسليم فقال تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
[النساء: ٦٥].

فأكد ذلك بضروب من التأكيد:

أحدها: تصدير / الجملة المقسم عليها بحرف النفي المتضمن لتأكيد النفي المقسم عليه، وهو في ذلك كتصدير الجملة المثبتة بإن. [٢٥٩/١]

الثاني: القسم بنفسه سبحانه.

الثالث: أنه أتى بالمقسم عليه بصيغة الفعل الدالة على الحدوث، أي لا يقع منهم إيمان ما حتى يحكموك.

الرابع: أنه [أتى] ^(١) في الغاية بحتى دون إلا ^(٢)، المشعرة بأنه لا يوجد الإيمان إلا بعد حصول التحكيم؛ لأن ما بعد حتى يدخل فيما قبلها.

الخامس: أنه أتى المحكم فيه بصيغة الموصول الدالة على العموم، وهو قوله ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي في جميع ما تنازعوا فيه من الدقيقة والجليلة.

(١) (أتى): ليست في ظ، م ولعل الصواب إثباتها.

(٢) ظ، م: (إلى)، ولعل الصواب ما أثبت.

السادس: أنه ضم إلى ذلك انتفاء الحرج، وهو الضيق من حكمه.

السابع: أنه أتى به نكرة في سياق النفي؛ أي لا يجدون نوعاً من أنواع الحرج البتة.

الثامن: أنه أتى بذكر ما قضى به بصيغة العموم، فإنها إما مصدرية؛ أي من قضائك، أو موصولة؛ أي من الذي قضيته، وهذا يتناول كل فرد من أفراد قضائه.

التاسع: أنه لم يكتف منهم بذلك حتى يضيفوا إليه التسليم، وهو قدر زائد على التحكيم وانتفاء الحرج، فما كل من حكم انتفى عنه الحرج، ولا كل من انتفى عنه الحرج يكون مسلماً منقاداً، فإن التسليم يتضمن الرضا بحكمه والانقياد له.

العاشر: أنه أكد فعل التسليم بالمصدر المؤكد، ونحن نناشد^(١) هؤلاء الجهمية بالله الذي لا إله إلا هو هل يجدون في أنفسهم هذا التسليم والانقياد والتحكيم للنصوص؟ وهل هم مع الرسول وما جاء به بهذه المنزلة؟ فوالله إن قلوبهم وألسنتهم وكتبهم لتشهد عليهم بضد ذلك، كما يشهد به عليهم المؤمنون والملائكة وأولو العلم والله سبحانه، وكفى بالله شهيداً.

(١) ظ، م: (نشهد)، وقال في حاشية م، كذا في الأصل والأظهر أن يكون نناشد.

الوجه الثامن والثلاثون بعد المائتين:

إن جماع ما يرد به المبطلون ما ثبت عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» في الأمور العلمية الخبرية، والأمور العملية الطلبية نوعان:

أحدهما: منع دلالة ما جاء به على تلك المسألة.

بيان أن ردهم ما ثبت عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» يقوم على أصلين هما المنع والمعارضة

والثاني: معارضة الدلالة بما يمنع اتباعها، فردهم نوعان منع ومعارضة فوضعوا لهذين النوعين قانونين، فوضعوا المنع الدلالة قانون التحريف والتأويل الفاسد، ووضعوا للمعارضة قانون تعارض العقل والسمع وتقديم العقل، فيتضمن هذان القانونان أن لا يستفاد من القرآن والسنة في باب الأسماء والصفات علم ولا يقين.

وأما الطلبيات: فإما أن يكون في المسألة إجماع أولاً، فإن كان فيها إجماع استغنى به عن النظر في الكتاب والسنة، وإن لم يكن^(١) فيها إجماع، ففرضه التقليد لبعض الأئمة؛ لأن النصوص فيها الناسخ والمنسوخ، وفيها ما قد ترك العمل به، وفيها الخاص والعام وغير ذلك، وقد كفانا^(٢) الأئمة مؤنة النظر والاستدلال وكلفة الاجتهاد، فيتعين المصير إلى أقوالهم، وليس لنا أن نستدرك عليهم، ولا نخالفهم، فهم قد كفونا مؤنة الفروع، وشيوخنا المتكلمون قد كفونا مؤنة الأصول، فلا يفيدنا النظر في الكتاب والسنة إلا التعب

(١) ظ، م: (يكون).

(٢) ظ، م: (وقد كفينا)، والصواب ما أثبت.

والعناء، وغايتنا أن نصل إلى ما وصلوا إليه إن أصبنا، وإن خالفناهم كنا نحن المخطئين وهم المصيبون، فالأولى بنا أن نتلقى الأصول عن المتكلمين، والفروع عن مشايخنا الذين هذبوا لنا مذاهب الأئمة، وضبطوا قواعدها وأصولها، فيقال: هذا إخبار^(١) منكم بحالكم، وما يليق بكم وما أنتم أهله.

وأما من رفع له علم الكتاب والسنة، فشمّر إليه وآنس من مشكاتها^(٢) نور^(٣) الهداية فطلبه، وحرص عليه، وكان كتاب الله وسنة رسوله أجل في صدره، وأعظم في نفسه، وأوقر في قلبه من أن يجعل لهما عياراً يعيرهما به، وميزاناً يزنهما به، ونداً يحاكم إليه ويخاصم به دونهما، فهذا كتاب الله بين أظهرنا، كما أنزل محضاً لم يشب، وهذه سنة رسوله هل يسوغ لنا الإعراض عنها إلى ما ذكرتم؟! وهل يوجد فيهما دليل واحد على هذه الطريق التي سلكتم؟! وهل تجدون فيهما الحوالة على غيرهما بوجه من الوجوه؟! وهل تجدون فيهما ما يتضمن ذلك أو يدل عليه أو يشير إليه أو يسوغه، وكأنكم تتمسكون بقوله:

﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾

[الأعراف: ٣].

وبقوله:

(١) ظ، م: (خبار)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) م: (مشكاتها).

(٣) ظ، م: (نون).

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾

. الآية [النساء: ٦٥].

وبقوله:

﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾

. [الشورى: ١٠].

وبقوله:

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

. [الأنعام: ١٥٥].

وبقوله:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وبقوله: /

[٢٦٠/١]

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾

. [الشورى: ٢١].

وبقوله^(١):

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

(١) ظ، م: (وبقول)، ولعل الصواب ما أثبتته.

وبقوله:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وبقوله:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ (١) قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [المائدة: ١٠٤].

وبقوله:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا (٢) يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾

[التوبة: ١٦].

أي وليجة (٣) ممن اتخذ رجلاً بعينه عياراً على كلام الله ورسوله وكلام سائر علماء الأمة، يزن القرآن والسنة وكلام سائر العلماء على قوله، فما خالفه رده، وما وافقه قبله.
وبقوله:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾

[الزمر: ١٧، ١٨].

والقول ها هنا ما قاله الله ورسوله، واتباع أحسنه هو الاقتداء به، فهذا أحسن من قول كل قائل عداه،
وبقوله:

(١) ظ، م: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله).

(٢) ظ، م: (ولم).

(٣) وليجه: وليجة الرجل: بطانته، وخاصته الذي يدخلون عليه كثيراً، مأخوذ من ولج يلج ولوجاً إذا دخل.

لسان العرب ٤٩١٣/٦ مادة ولج.

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

[آل عمران: ٣١].

وبقوله:

﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ (١)

فَنفَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وبقوله:

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

وذكره هو كتابه الذي أنزله، فمن أعرض عنه مكتفياً

بقول واحد من بني آدم عنه فقد أتى بحقيقة الإعراض

وبقوله:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ

مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠].

فقسم الناس إلى مستجيبين للرسول، ومتبع هواه،

فمن ترك استجابته إذا ظهرت له سنة، وعدل عنها إلى (٢)

خلافها فقد اتبع هواه، وهذا أكثر من أن يذكر، والمقصود أن

الواجب على الخلق بعد وفاته هو الواجب عليهم في حياته

سواء، ففرض من سمع كلامه أن يأخذ به، ومن خفي عليه

قوله سأل من (٣) يعرفه، فإذا سمعه ففرض عليه أن يأخذ به

(١) ظ: (الرسل).

(٢) ظ، م: (لك)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ: (عن).

فإن خفي عليه، فغاية قول غيره أن يسوغ له الأخذ به؛
فيكون سائغ الاتباع بعد خفاء السنة لا واجب الاتباع،
ولا سيما مع ظهور السنة وبالله التوفيق.

بيان درجات المنع
والمعارضة.
أولاً درجات المنع

الوجه التاسع والثلاثون بعد المائتين:

إن كل واحد من هذين الأمرين أعني المنع والمعارضة
ينقسم إلى درجات متعددة، فأما المنع فهو على ثلاث
درجات: أحدها: منع كون الرسول جاء بذلك أوقاله،
الدرجة^(١) الثانية: منع دلالته على ذلك المعنى، وهذه
الدرجة بعد التنزل إلى الاعتراف بكونه قاله. الدرجة
الثالثة: منع كون قوله حجة في هذه المسائل.

والدرجات الثلاث قد استعملها المعطلة النفاة، فأما
الأولى فاستعملوها في الأحاديث المخالفة لأقوالهم
وقواعدهم، ونسبوا روايتها إلى الكذب والغلط والخطأ في
السمع، واعتقاد أن كثيراً منها من كلام الكفار والمشركين،
كان النبي «صلى الله عليه وسلم» يحكيه عنهم فربما
أدركه الواحد في أثناء كلامه بعد تصديره بالحكاية فيسمع
المحكي فيعتقد^(٢) قائلاً له لا حاكياً، فيقول قال رسول
الله «صلى الله عليه وسلم» كما قاله بعضهم - في
حديث^(٣) قتادة بن النعمان في الاستلقاء - قال: يحتمل أن
يكون النبي «صلى الله عليه وسلم» حدث به عن بعض أهل
الكتاب على طريق الإنكار عليهم، فلم يفهم عنه قتادة بن

(١) ظ، م: (بالدرجة). (٢) ظ، م: (فيعقده)، والصواب ما أثبتته.

(٣) هذا الحديث والذي بعده لم أقف على تحريجه.

النعمان إنكاره، فقال قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، وعضد هذا الاحتمال بما رواه من حديث ابن أبي أويس حدثني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عبد الله بن عروة بن الزبير أن الزبير بن العوام سمع رجلاً يحدث: حدثنا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فاستمع الزبير له حتى إذا قضى الرجل حديثه، قال له الزبير: أنت سمعت هذا من رسول الله «صلى الله عليه وسلم» فقال له الرجل: نعم، قال: هذا وأشباهه^(١) مما يمنعنا أن نتحدث عن النبي «صلى الله عليه وسلم» قد لعمرى سمعت هذا من رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأنا يومئذ حاضر، ولكن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ابتدأ هذا الحديث، فحدثنا عن رجل من أهل الكتاب حدثه إياه، فجئت أنت، يومئذ بعد أن قضى صدر الحديث، وذكر الرجل الذي من أهل الكتاب، فظننت أنه من حديث رسول الله «صلى الله عليه وسلم» قالوا: فلهذا الاحتمال تركنا الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفات الله عز وجل فتأمل ما في هذا الوجه من الأمر العظيم، أن يشتهه على أعلم الناس بالله وصفاته وكلامه وكلام رسوله - كلام الرسول الحق الذي قاله مدحاً وثناءً على الله بكلام الكفار المشركين الذي هو تنقص وعيب، فلا تميز بين هذا وهذا، ويقول: قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم» لما

(١) ظ: (وأشباههم)؛ م: (وأشباههم)، والصواب ما أثبت.

يكون من كلام ذلك المشرك الكافر، فأى نسبة جهل واستجهاً لأصحاب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» / فوق هذا، أنه لا يميز أحدهم بين كلام رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وكلام الكفار والمشركين، ويميز بينهما أفرار الجهمية والمعتلة، وكيف يستجيز مَنْ للصحابة^(١) في قلبه وقار وحرمة أن ينسب إليهم مثل ذلك، ويا الله العجب، هل بلغ بهم الجهل المفرط إلى أن لا يفرقوا بين الكلام الذي يقوله رسول الله «صلى الله عليه وسلم» حاكياً عن المشركين والكفار، والذي يقوله حاكياً له عن جبريل عن رب العالمين، ولا بين الوصف بما هو مدح وثناء وتمجيد لله، ووصفه بما هو ضد ذلك، فتأمل جناية هذه المعرفة على النصوص، ومن تأمل أحاديث الصفات وطرقها، وتعدد مخارجها، ومن رواها^(٢) من الصحابة علم بالضرورة بطلان هذا الاحتمال، وأنه من أبين الكذب والمحال، فوالله لو قاله صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» من عند نفسه لكان أولى بقبوله واعتقاده من قول الجهمي المعطل النافي، فكيف إذا نسبه إلى رسول الله «صلى الله عليه وسلم»، والمقصود أن هذه الدرجات الثلاث قد وضعت الجهمية أرجلهم فيها، فهذه درجة منع كون الرسول قاله: وأكدوا^(٣) أمر هذه الدرجة بأن أخبار الأحاد يتطرق إليها الكذب

(١) ظ، م: (الصحابة)، والصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (ورائها)، والصواب ما أثبتته.

(٣) ظ، م: (الحدوا)، ولعل الصواب ما أثبت.

والخطأ والغلط، فلا يجوز أن يحتج بها في باب معرفة الله، وما يجب له، ويمتنع عليه، وسيمر بك^(١) إن شاء الله تعالى ما يقلع هذه الدرجة من أصلها.

الدرجة الثانية: منع^(٢) الدلالة، وهذه الدرجة المسماة بأن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، وقد تقدم فسادها من خمسة وسبعين وجهاً فيما مضى^(٣)، وبيننا أن هذا القول لا يجامع دين الإسلام بل مناقضته للدين معلومة بالضرورة بعد التأمل لحقيقته ولازمه.

الدرجة الثالثة: تسليم دلالته على ذلك، ولكن يمنع كون قول الرسول حجة في ذلك، وهذه الدرجة ينزلها طائفتان أحدهما: من يجوز على الرسول أن يخاطب الأمة بخلاف ما هو في نفس الأمر لمصلحتهم.

الطائفة الثانية: من يعتقد أن لكلامه باطناً يخالف ظاهره وتأويلاً يخالف حقيقته، فالطريقة الأولى للمتفلسفة ومن يتلمذ لهم والطريقة الثانية للجهمية ومن اقتفى آثارهم، وكثير من المتأخرين يجمع بين الطريقتين، فيتفلسف تارة، ويتجهم تارة، ويجمع بين الإدامين^(٤) تارة، فهذه درجات المنع، وأما درجات المعارضة فثلاثة أيضاً:

(١) انظر الجزء الثاني من المختصر ٣٣٢/٢ إلى نهاية الكتاب.

(٢) ظ، م: (مع)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) انظر ص ٦٤٢ - ٧٩٤ وقد ذكر ثلاثة وسبعين وجهاً.

(٤) (الادامين): كذا في الأصل ولعل الصواب الأمرين.

إحداها: أن يعارض المنقول بمثله، ويسقط دلالتها ثانياً درجات
المعارضة أويرجح دلالة المعارض كما عارض الجهمي قوله:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

بقوله:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

وزعم أنه لو كان على العرش لم يكن أحداً، وعارضه

بقوله:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وزعم أنه لو كان على عرشه لم يكن معنا، وعارضه

بقوله:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧].

وهذه معارضة الزمخشري^(١) في كشافه^(٢) قال: «وفيها التنبيه على أن الأمر لو كان كما يقوله المجسمة كان حملة العرش، ومن حوله مشاهدين معانين، ولما وصفوا بالإيمان، لأنه إنما يوصف بالإيمان الغائب، ولما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن إيمانهم وإيمان من في الأرض،

(١) الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، أبو القاسم ولد في زمخشر، من قرى خوارزم سنة ٤٦٧. من كتبه: «الكشاف» في تفسير القرآن و«أساس البلاغة» و«الفائق في غريب الحديث» قال ابن حجر في لسان الميزان: «صالح لكنه داعية إلى الاعتزال أجازنا الله فكن حذراً من كشافه». توفي سنة ٥٣٨.
لسان الميزان ٤/٦؛ الأعلام ١٧٨/٧.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ٤١٦/٣.

وكل من غاب عن ذلك المقام سواء، في إيمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير، وأنه لا طريق إلى معرفته إلا هذا، وأنه منزّه عن صفات الأجرام»؛ فلو كان (١) الجسم بزعمك جسماً حقيقة لما رضي لنفسه، ولمن يخاطبه بمثل هذا الكلام الذي هو من أقبح الكلام وأبطله، وَلَشَحَّ على زمانه وأوراقه أن يضيّعه بمثله، ولمنعه وقار القرآن وعظّمته في صدره أن يفسره بمثل هذا الكلام الذي هو كما قيل: «مثل حجارة الكنيف» ترجع وتنجس، فقد صرح قائله بأن إيمان محمد بن عبد الله وإبراهيم الخليل وموسى الكليم وجميع الأنبياء والمرسلين إنما هو عن نظر واستدلال، وهم بسعادتهم قد سدوا جميع طرق الإيمان والمعرفة إلا طريق الجواهر والأعراض، والاجتماع والافتراق، وإبطال حوادث لا أول لها، وزعموا أن من لم يعرف ربه من تلك الطريق مات، ولم يعرف له رباً، ولم يقر بأن له إلهاً وخالقاً، وزادوا في الافتراء والكذب والبهت، فزعموا أن إيمان جبريل وميكائيل والملائكة المقربين وجميع المرسلين مبني على هذه الطريقة، وأن إيمانهم كلهم سواء، وأنهم لا طريق لهم إلى معرفته إلا هذا النظر والاستدلال الذي وضعه لهم شيوخ الجهمية، ومبتدعة المتكلمين، وضلال أهل الاعتزال، فهذا هنا يسجد الجسم بزعمكم شكراً لله إذ عافاه الله من مثل هذا البلاء العظيم، وهذا القول أقل وأحق من أن يتكلف للوجوه التي تدل على بطلانه بأكثر من حكايته، ومن هذا

(١) ظ، م: (فيكون)، ولعل الصواب ما أثبت.

معارضة / غيره لنصوص الاستواء والعلو بقوله: «لا تفضلوني على يونس بن متى»^(١) قال قائل^(٢) هذا دليل على أن الله ليس فوق العالم ولا مستوي على العرش. قال: لأن يونس نزل إلى قرار البحر، ومحمد «صلى الله عليه وسلم» رفع إلى فوق السموات، فكانا في القرب من الله على حد سواء لا يفضل أحدهما على الآخر في القرب منه سبحانه، فلو أن الجسم نزل إلى الأرض السابعة لم يرض لنفسه ولمعرفته ولفهمه عن نبيه بمثل هذا، ومن هذا معارضة نصوص الاستواء والعلو بقوله:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فلبسوا على الجهال بإيhamهم أن من أثبت كونه سبحانه فوق سمواته على عرشه، فقد جعل له مثلاً، ومن هذا معارضة بعضهم الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تكلم فيها^(٣) النبي «صلى الله عليه وسلم» بأين الله، وسمع السؤال بأين الله، وأقر السائل عليه، ولم ينكره كما كَفَرَهُ هؤلاء فعارضوها كلها بحديث مكذوب موضوع في إسناده من لا يدري من أي الدواب هو كشيخه الذي لا ذكر له في شيء من كتب الحديث، ولعل بعض الوضاعين نسبه إلى هذا^(٤) الشيخ، والحديث أن رسول الله «صلى الله عليه

(١) سبق تخريجه. انظر: ص ٣١١.

(٢) ظ: (قال قال).

(٣) ظ، م: (إلى النبي)، ولعل الصواب حذف إلى.

(٤) ظ، م: (واحد)، ولعل الصواب ما أثبت.

وسلم» قال: وقد سئل أين الله؟ فقال: لا يقال أين لمن أين الآين»^(١) فعارض هذا الأحاديث الصحيحة المستفيضة التي نطق فيها رسول الله «صلى الله عليه وسلم» بالآين وأقرَّ على إطلاقها بهذا الحديث الوثيل^(٢) الذي يستحي من التكلم به آحاد الناس، فضلاً عن سيد ولد آدم، وأقبح من هذا معارضة الأحاديث المتواترة التي تزيد على مائتي طريق، وأصلها نحو الثلاثين في رؤية الرب تعالى في الآخرة بقوله تعالى:

﴿لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فيا للعقول نحن إنما تلقينا هذه الأحاديث عن أنزلت عليه الآية، فهو الذي جاء بهذا وهذا، فكيف يستجيز مسلم أن يعارض كلامه بما فهمه من ظاهر القرآن فهماً فاسداً، ولو فهمه كما ينبغي لعلم أن القرآن موافق للسنة لا مناقض لها كما تقدم تقريره.

فصل

الدرجة الثانية: من المعارضة معارضة النص بالرأي، وهذه المعارضة في الأصل هي من فعل المشركين أعداء الرسل، وتلقاها ورثتهم من بعدهم كما تقدم بيانه.

(١) هذا الحديث لم أقف على تحريجه في كتب الموضوعات.

(٢) ظ: (الوكيل).

والوثيل: الضعيف.

لسان العرب ٦/٤٧٦٤، مادة وثل.

الدرجة الثالثة: المعارضة بالتقليد واتباع الآباء والمشائخ والمعظمين في النفوس، وإذا تأملت الغالب على بني آدم، وجدته من هذا النوع، واعلم أنه لا يستقر للعبد، قدم^(١) في الإسلام حتى يبرأ من هذه الممانعة والمعارضة، فحينئذ يدخل في دائرة الإسلام، ولا يمكن تحكيم الرسول، وانتفاء الحرج، ووقوع التسليم حتى تنتفي هذه الممانعة والمعارضة من كل وجه وبالله التوفيق يوضحه.

الوجه الأربعون بعد المائتين:

وهو أنه مع التصديق الجازم يمتنع وقوع المعارضة والممانعة، وحيث وجد ذلك فهو ملزوم لانتفاء التصديق، ووجود الملزوم بدون لازمة محال، فها هنا أمران: تصديق جازم يلزمه انتفاء المنع والمعارضة، ومنع ومعارضة يلزمه انتفاء التصديق الجازم، فيستدل بوجود الملزوم منهما على وجود لازمة، وبانتفاء اللازم على^(٢) انتفاء ملزومه، وهذا أمر قطعي لكنه موقوف على صحة اللزوم، فنقول: متى حصل الإقرار بأن المتكلم عالم بما أخبر به، صادق في خبره يستحيل عليه الجهل والكذب عمداً أو خطأ امتنع والحالة هذه أن يقوم بقلب من اعتقد ذلك منع لخبره أو معارضة له.

ووجود المنع والمعارضة وهذا الإقرار والتصديق لا يجتمعان، وإذا ثبت اللزوم المذكور لزم من وجود الملزوم وجود لازمه، ومن انتفاء اللازم انتفاء ملزومه، والعجب أن

(١) ظ، م: (تم)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ: (علمياً).

هؤلاء من شدة تمسكهم بالعقليات، واعتنائهم بها، حين عارضوا بينها وبين الوحي يجمعون بين النقيضين، ويثبتون الشيء وينفون لازمه، وينفون اللازم ويثبتون ملزومه، وذلك مخالفة لصريح العقل، فإنهم يدعون الإيمان بما جاء به الرسول، وينفون لازمه، وإذا نفوا اللازم انتفى الملزوم، ولكن من حكمة أحكم الحاكمين أن يسلب هؤلاء خاصة عقولهم، وحال بينهم وبينها وكشف لأهل العقل والسمع أنهم من أبعد الناس عن العقل والسمع، وهذا كما ظهر لأتباع الرسل في الدنيا، فإنه سيظهر لأولئك حين يقول المعارضون للرسل بعقولهم:

﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

الوجه الحادي والأربعون بعد المائتين:

بيان كمال هذا الدين إن الله سبحانه أنزل على عبده، ورسوله صلوات الله وسلامه عليه في أفضل الأيام، وأفضل الشهور، وأفضل الأماكن. ومعه أفضل الخلق:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد ثبت في صحيح البخاري^(١)، وغيره، من حديث

(١) انظر: (فتح الباري ١/١٠٥)، من طريق طارق بن شهاب في كتاب «الإيمان»، باب: «زيادة الإيمان ونقصانه»، ح ٤٥.

ورواه مسلم ٢٣١٢/٤، في كتاب التفسير، المقدمة، ح ٤/٣. ورواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٨/٤٠٧، ٤٠٨)، في التفسير، باب ومن سورة المائدة، ح ٥٠٣٤، وقال هذا حديث حسن صحيح.

طارق بن شهاب قال: «جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين آية تقرؤونها في كتابكم لوعلينا / معشر اليهود نزلت فعلم اليوم الذي نزلت فيه لاتخذناه عيداً فقال عمر آية آية هي؟ قال:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فقال عمر: «إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية الجمعة ونحن معه بعرفة»، وفي مسند علي للحافظ مطين^(١) حدثنا يحيى الحماني، حدثنا قيس، عن إسماعيل بن سليمان، عن أبي عمر البزار، عن ابن الحنفية عن علي قال^(٢): «نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم» وهو واقف عشية عرفة»:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(١) مطين: هو محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الحافظ، مطين محدث الكوفة، قال الحافظ ابن حجر، وثقه الناس. وسئل عنه الدارقطني، فقال: «ثقة جبل» صنف المسند والتاريخ، عاش خمساً وتسعين سنة، توفي سنة ٢٩٧.

ميزان الاعتدال ٦٠٧/٣؛ لسان الميزان ٢٣٣/٥، ٢٣٤؛ سير أعلام النبلاء ٤١/١٤، ٤٢؛ شذرات الذهب ٢٢٦/٢.

(٢) قال في الدر المنثور ٢٥٨/٢، أخرجه ابن مردويه، وابن جرير عن علي، ولم أجده في ابن جرير عند تفسير الآية.

وقال عبد بن حميد^(١) أخبرنا يزيد بن هارون ثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار قال قرأ ابن عباس: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وعنده يهودي فقال: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً. فقال ابن عباس: نزلت في يوم عيدين يوم جمعة ويوم عرفة.

وقال وحدثنا أبو نعيم عن إسرائيل عن جابر عن عامر قال: نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة^(٢)(٣): «...».

[*... قال كما نقل عنه: إني سلمت أن الباري إلهي وإله الخلق عالم قادر، ولا يسأل عن قدرته ومشئته، وإذا أراد شيئاً قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وهو حكيم إلا أنه يتوجه على مساق حكمته أسئلة سبعة:

أولها: قد علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل فلم خلقي أولاً؟ وما الحكمة في خلقه إياي؟

(١) رواه الترمذي (تحفة الأحوذى ٤٠٨/٨، ٤٠٩)، في التفسير / باب ومن سورة المائدة، ح ٥٠٣٥، وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس. ورواه أبو داود الطيالسي (منحة المعبود ١٧/٢، ١٨)، في كتاب فضائل القرآن وتفسيره، باب «ما جاء في سورة المائدة»، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٥٣/٦، وفي الطبعة المحققة ٥٢٥/٩، ٥٢٦. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٥٨/٢، وعزاه لعبد بن حميد، والطبراني، والبيهقي في الدلائل.

(٢) ظ، م: الكلمة غير واضحة في الأصل والصواب ما أثبت. وهنا سقط لأن الكلام غير متصل. وفي هامش ظ، م كذا في الأصل.

(٣) رواه ابن جرير عن داود قلت لعامر انظر: تفسير الطبري ٥٢/٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٥٨/٢.

الثاني : إذ خلقتني على مقتضى إرادته ومشئته، فلم كلفني بمعرفته وطاعته، وما الحكمة في التكليف بعد ألا يتنفع بطاعته، ولا يتضرر بمعصيته؟

الثالث : إذ خلقتني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت وأطعت، فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له، وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك في طاعتي ومعرفتي؟

والرابع : إذ خلقتني وكلفني على الإطلاق، وكلفني هذا التكليف على الخصوص، فإذا لم أسجد لعني وأخرجني من الجنة ما الحكمة في ذلك بعد إذ لم أرتكب قبيحاً إلا قولي لا أسجد إلا لك؟

الخامس : إذ خلقتني وكلفني مطلقاً وخصوصاً، ولم أطمع فلعني وطردي*^(١)، فلم طرقتني^(٢) إلى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً، وغررته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجه من الجنة معي؟ وما الحكمة في ذلك بعد أن لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم، وبقي خالداً في الجنة.

والسادس : إذ خلقتني^(٣) وكلفني عموماً وخصوصاً،

(١) ما بين النجمتين من مختصر الصواعق المرسله ٢٩٣/١، وأصله في الملل والنحل للشهرستاني، ص ١٢، بتحقيق محمد بن فتح الله بدران وبه يكمل بعض النقص.
(٢) طرقتني : أي لم جعل لي طريقاً إليه.
(٣) ظ، م (أدخلني)، وما أثبتته من المختصر.

ولعني، ثم طرقتني إلى الجنة، وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني، وتوثر فيهم وسوستي، ولا يؤثر في حولهم، وقوتهم، وقدرتهم واستطاعتهم، وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة دون من يجتاهم عنها، فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى وأليق بالحكمة.

والسابع: سلمت هذا كله، خلقتني وكلفني مطلقاً ومقيداً، وحيث لم أطلع لعني وطردي ومكنني من دخول الجنة وطرقتني، وإذا عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم إذ استمهله أمهله فقلت:

﴿فَأَنْظِرْنِي^(١) إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩].

فقال:

﴿فَإِنَّكَ^(٢) مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿

[ص: ٨٠، ٨١].

وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال^(٣) استراح^(٤) الخلق مني، وما بقي شر في العالم. أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر. قال: فهذه حجتي على ما ادعيت^(٥) [في] كل مسألة.

(١) ظ، م: (انظرنني)، بدون الفاء.

(٢) ظ، م: (إنك)، بدون الفاء.

(٣) ظ: (الحالة). (٤) الملل والنحل (آدم والخلق).

(٥) (في): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

قال شارح الإنجيل: فأوحى الله إلى الملائكة، قولوا له: فإنك في مسألتك^(١) الأولى - أني إلهك وإله الخلق - غير صادق، ولا مخلص، إذ لو صدقت أني رب العالمين ما احتكمت^(٢) عليّ بلم^(٣)، فأنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل، والخلق مسؤولون»، قال^(٤): «هذا مذكور في التوراة ومسطور في الإنجيل على الوجه الذي ذكرته، وكنت برهة من الزمان أتفكر وأقول: من المعلوم الذي لا مرية فيه أن كل شبهة وقعت لبني آدم فإنما وقعت من إضلال الشيطان ووساوسه نشأت من شبهاته، وإذا كانت الشبهات محصورة في سبع عادت كبار البدع والضلال إلى سبع ولا يجوز أن تعدو^(٥) شبهات فرق أهل الزيغ والكفر هذه الشبهات، وإن اختلفت العبارات وتباينت الطرق، فإنها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذر^(٦)، وترجع جملتها^(٧) إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق^(٨) وإلى الجنوح إلى الهوى والرأي في مقابلة النص، والذين جادلوا نوحاً وهوداً، وصالحاً، وإبراهيم، ولوطاً، وشعياً،

(١) الملل والنحل (تسليمك).

(٢) ظ، م: (حكمت)، وقال الناسخ: احتكمت.

(٣) ظ: (بكم).

(٤) قال: أي الشهرستاني في الملل والنحل.

(٥) ظ: (تعدوها).

(٦) ظ: (كالبدو).

(٧) ظ: (يرجع حملها).

(٨) ظ، م: (الخلق)، وقد صححها الناسخ: (الحق).

وموسى، وعيسى، ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم
كلهم نسجوا على منوال اللعين الأول في إظهار شبهاته».

وحاصلها يرجع إلى دفع التكليف عن أنفسهم، وجحد
أصحاب التكاليف والشرائع بأسرهم إذ(١) لا فرق بين
قولهم:

﴿أَبشِرْ هُدُونَا﴾ [التغابن: ٦].

وبين قوله:

﴿ءَأَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحز(٢) الإشكال(٣)
والافتراق كما هو(٤) في قوله:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ
بَشَرًا سُوًلًا﴾ [الإسراء: ٩٤].

فبين أن المانع من الإيمان هو هذا المعنى كما قال للمتقدم
الأول:

﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا^(٥) تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾

[الأعراف: ١٢].

(١) ظ، م: (أن)، وما أثبتته من الملل والنحل.

(٢) ظ، م: (ومجرد)، وما أثبتته من الملل والنحل.

(٣) (الإشكال)، ليست في الملل والنحل.

(٤) ظ: (ما هو).

(٥) ظ، م: (أن تسجد).

وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم :

﴿ أَمَّا أَخِيرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مِهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾

[الزخرف: ٥٢].

وكذلك لو تعقبنا أحوال المتقدمين^(١) منهم وجدناها

مطابقة لأقوال المتأخرين :

﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ

قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة: ١١٨].

﴿ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [يونس: ٧٤].

فاللعين الأول لما حكم العقل على من لا يحكم^(٢) عليه

العقل أجرى^(٣) حكم الخالق في الخلق، و^(٤) حكم الخلق في

الخالق^(٥)، والأول غلو والثاني تقصير، فثار من الشبهة

الأولى مذاهب الحلولية^(٦)، والتناسخية^(٧)، والمشبهة^(٨)،

(١) ظ: (التأخرين). (٢) ظ، م: (يحتكم).

(٣) الملل والنحل: (لزمه أن يجري).

(٤) الملل والنحل، (أو).

(٥) ظ، م: (الخلق)، وما أثبتته من الملل والنحل.

(٦) الحلولية: هم قوم يزعمون أنه قد حصل لهم الحلول، وهو حلول الله بذاته في الأجسام

أو المخلوقات، وأول من أظهر ذلك في الإسلام الروافض فإنهم ادعوا الحلول في حق

أئمتهم، كما أن الصوفية منهم من يزعم ذلك، وأشهر القائلين بالحلول الحلاج.

اعتقادات فريق المسلمين والمشركين، ص ١١٦.

(٧) التناسخية: هم القائلون بتناسخ الأرواح في الأجساد، والانتقال من شخص إلى

شخص، الملل والنحل ٩١/٢.

(٨) المشبهة: هم الذين شبهوا الله سبحانه وتعالى بخلقه، فقالوا: له يد كيد المخلوق،

ورجل كرجل المخلوق، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والغلاة من الرافضة، حيث غلوا في حق شخص من الأشخاص حتى وصفوه / بأوصاف الإله^(١)، وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة^(٢) حيث قصروا في وصفه تعالى^(٣) بصفات المخلوقين، والمعتزلة مشبهة الأفعال، والمشبهة مشبهة^(٤) الصفات وكل منها أعور^(٥)، فإن من قال: يحسن منه ما يحسن منا، ويقبح منه ما يقبح منا، فقد شبه الخالق بالخلق، ومن قال: يوصف الباري بما يوصف به الخلق، أو يوصف الخلق بما يوصف به الخالق فقد اعتزل عن الحق، وسنخ^(٦) القدرية طلب العلة في كل شيء، وذلك من سنخ اللعين الأول إذ طلب العلة في الخلق أولاً، والحكمة في التكليف ثانياً، والفائدة^(٧) في تكليف السجود لآدم ثالثاً ثم ذكر الخوارج والمعتزلة

[٢٦٤/١]

= وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض، كما أن اليهود أكثرهم مشبهة: وهم صنفان:

صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره، ومنهم اليهود، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره منهم المعتزلة البصرية والكرامية.

الملل والنحل ١/١٣٩؛ رسالة في الرد على الرافضة، ص ١٦٥.

(١) ظ، م: (الحلال)، وما أثبتته من الملل والنحل.

(٢) انظر: المشبهة.

(٣) الملل والنحل: (حتى وصفوه بصفات).

(٤) الملل والنحل: (حلولية الصفات).

(٥) الملل والنحل: (أعور بأي عينيه شاء).

(٦) سنخ: والسُنخ: الأصل من كل شيء. وسنخ الكلمة أصل بنائها.

لسان العرب ٣/٢١١٤، مادة سنخ.

(٧) م: (والمعائدة).

والروافض، وقال: «رأيت بدء شبهاتهم كلها» نشأت من شبهات اللعين الأول، وتلك في الأول مصدرها، وهذه في الآخر^(١) مظهرها، وإليه أشار التنزيل بقوله:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

[البقرة: ٦٨].

وقد قال «صلى الله عليه وسلم»: «لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»^(٢)^(٣) فهذه^(٤) القصة والمناظرة هي من نقل^(٥) أهل الكتاب ونحن لا نصدقها ولا نكذبها، وكأنها والله أعلم مناظرة وضعت على لسان إبليس، وعلى كل حال فلا بد من الجواب عنها سواء صدرت منه أو قيلت على لسانه فلا ريب أنها من كيده، وقد أخبر الله سبحانه:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

فهذه الأسئلة والشبهات من أضعف الأسئلة عند أهل العلم والإيمان، وإن صعب موقعها عند من أصل أصولاً

(١) ظ، م: (الآخرة).

(٢) انتهى كلام الشهرستاني في الملل والنحل، ص ١٦.

(٣) رواه البخاري (فتح الباري ٣٠٠/١٣)، من طريق أبي سعيد الخدري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي «صلى الله عليه وسلم»: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ح ٧٣١٩ (بنحوه).

ورواه مسلم ٢٠٥٤/٤، من طريق أبي سعيد الخدري في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ح ٦ (بنحوه).

(٤) ظ: (بهذه).

(٥) م: (من فعل).

فاسدة كانت سداً^(١) بينه وبين ردها، وأما من لم يؤصل غير كتاب الله وسنة رسوله، فهذه الأسئلة عنده من جنس أسئلة تلامذته وأصحابه التي يوردونها على الرسل، وما جاؤا به، وهي أسئلة فاسدة مبنية على أصول فاسدة، وقد افتقرت طرق الناس في الأجوبة عنها أشد افتراق، وسلكوا في إبطالها كل طريق يخطر بالبال، ونحن نذكر طرقهم.

فقال^(٢) المنجمون وزنادقة الطبيعيين والفلاسفة:

لا حقيقة لآدم ولا لإبليس ولا لشيء من ذلك بل لم يزل الوجود هكذا، ولا يزال نسلًا بعد نسل وأمة بعد أمة، وإنما ذلك أمثال مضروبة لانفعال القوى النفسانية الصالحة لهذا البشر، وهذه القوى هي المسماة في الشرائع بالملائكة واستعصاء القوى^(٣) الغضبية والشهوانية عليه هي^(٤) المسماة بالشياطين، فعبر عن خضوع القوى الفاضلة بالسجود، وعبر عن إباء القوى الشريرة الفاسدة بالإباء والاستكبار وترك السجود. قالوا: والحكمة الإلهية اقتضت تركيب الإنسان على هذا الوجه، وإسكان هذه القوى فيه، وانقياد بعضها له، وإباء بعضها، فهذا شأن الإنسان، ولو كان على غير هذا التركيب لم يكن إنساناً، قالوا: وبهذا تندفع الأسئلة كلها، ويظهر بطلانها، وأنها بمنزلة أن يقال لم أحوج الإنسان

(١) ظ: (شدا)، م: (شسدا)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ: (فقلت).

(٣) ظ، م: (استقصا بالقوى)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) ظ، م: (وهي)، ولعل الصواب حذف الواو.

إلى الأكل والشرب واللباس، ولما أحوجه إليه، فلم جعله يبول ويتغوط ويتمخط، ولم جعله يمرض ويهرم ويموت، فإن هذه الأمور من لوازم النشأة الإنسانية التي لو قدر ارتفاعها لارتفعت هذه النشأة، فهذه الطائفة رفعت القواعد من أصلها، وأبطلت آدم وإبليس والملائكة، وردت الأمر إلى مجرد قوى نفسانية وأمور معنوية.

وقالت الجبرية ومنكروا الحكم والتعليل هذه الأسئلة وإنما ترد على من يفعل لعله أولغرض أو لغاية، فأما من لا علة لفعله، ولا غاية، ولا غرض بل يفعل ما يفعله بلا سبب ولا غاية، وإنما مصدر مفعولاته^(١) محض مشيئة وغايتها مطابقتها لعلمه وإرادته، فجاء فعله على وفق إرادته وعلمه، وعلى هذا فهذه الأسئلة فاسدة كلها، إذ مبناها على أصل واحد؛ وهو تعليل أفعال من لا تعلق أفعاله، ولا يوصف بحسن ولا قبح عقليين بل الحسن ما فعله، وما فعله فكله حسن لا يسأل عما يفعل وهم يسألون: قالوا: والقبح والظلم هو تصرف الإنسان في ملك غيره بغير إذنه، فأما تصرف المالك الحق في ملكه من غير أن يكون تحت حجر حاجر أو أمر آمر أو نهي ناه، فإنه لا يكون ظلماً ولا قبيحاً، فرفع هؤلاء الأسئلة من أصلها، وسدوا على أنفسهم طريق استماعها والجواب عنها، والتزموا لوازم هذا الأصل من إبطال^(٢) الحكم والتعليل والأسباب والتحسين

(١) ظ، م: (مفعولات)، والصواب ما أثبتته.

(٢) م: (أبطل).

والتقبيح، ووجوب شكر المنعم عقلاً، ومنعت لأجله أن
يجب على الله شيء أو يحرم عليه شيء أو يقبح منه ممكن، بل
كل ممكن فهو جائز عليه لا يقبح منه.

وقالت القدرية: هذا لا يرد على أصولنا، وإنما يرد على
أصول الجبرية القائلين بأن الله خالق أفعال
العباد / طاعاتهم، ومعاصيهم، وإيمانهم، وكفرهم، وأنه
قدر ذلك عليهم قبل أن يخلقهم، وعلمه منهم، وخلقهم
له، فخلق أهل الكفر للكفر، وأهل الفسوق للفسوق، وقدر
ذلك عليهم وشاءه منهم وخلقهم فيهم، فهذه الأسئلة واردة
عليهم.

[٢٦٥/١]

وأما نحن فعندنا أن الله سبحانه عرضهم للطاعة
والإيمان وأقدرهم عليه ومكنهم منه، ورضيه لهم، وأحبه،
ولكن هم اختاروا لأنفسهم الكفر والعصيان وآثروه على
الإيمان، والطاعة، والله سبحانه لم يكرههم على ذلك،
ولم يلجئهم إليه، ولا شاءه منهم، ولا كتبه عليهم،
ولا قدره، ولا خلقهم له، ولا خلقه فيهم، ولكنها أعمال
هم لها عاملون، وشروهم لها فاعلون، وإنما خلق إبليس
لطاغته وعبادته، ولم يخلق لمعصيته والكفر به، وصرح قدماء
هذه الفرقة بأنه سبحانه لم يكن يعلم من إبليس حين خلقه
أن يصدر منه ما صدر، ولو علم ذلك لم يخلق، وأبى
متأخروهم ذلك، وقالوا: بل كان سبحانه عالماً به وبشأنه
وبخلقهم امتحاناً لعباده؛ ليظهر المطيع له من العاصي،
والمؤمن من الكافر، وليثيب عباده على معاداته، ومحاربتة،

ومعصيته أفضل الثواب قالوا: هذه الحكمة اقتضت بقاءه حتى تنقضي الدنيا وأهلها، قالوا وأمره بالسجود ليطيع؛ فيثبه ويقربه ويكرمه، فاختر لنفسه المعصية والكفر من غير إكراه للرب تعالى ولا أجهأ إلى ذلك، ولا حال بينه وبين السجود ولا منعه ولا سلطه على آدم وذريته قهراً وإكراهاً لهم، وقد اعترف عدو الله بذلك، حيث يقول:

﴿وَمَا كَانَ لِي (١) عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ﴾ [سبا: ٢١].

قالوا: فاندفعت تلك الأسئلة وبطلت وظهر أنها ترد على أصول الجبرية لا على أصولنا.

وقالت الفرقة الناجية: حزب الرسول وأنصاره، وبنك (٢) الإسلام، وعصاة الإيمان، الذين لم يتحيزوا إلى فئة غير رسول الله «صلى الله عليه وسلم» ولم يذهبوا إلى مقالة غير ما دلت عليه سنته، ولم ينتسبوا إلى غيره بوجه من الوجوه، كيف يطمع في الرد على عدو الله وإبطال قوله من قد شاركه في أصله أو في بعض شعبه؟ فإن عدو الله أصل معارضة النص بالرأي فترتب على تأصيله هذه الأسئلة وأمثالها، فمن عارض العقل بالنقل في أمر من الأمور

(١) ظ، م: (عليهم).

(٢) البنك: الأصل، أصل الشيء، وقيل: خالصه. قال الأزهرى: البنك بالفارسية: الأصل.

لسان العرب ٤٠٣/١٠، مادة بنك، دار صادر.

فهو شريكه، من هذا الوجه، فلا يتمكن من الرد التام عليه، ولهذا لما شاركه زنادقة الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين في هذا الأصل أنكروا وجوده ووجود آدم والملائكة فضلاً عن قصة أمره بالسجود وإبائه، وما ترتب عليها.

ولما أنكرت الجبرية الحكمة والتعليل والأسباب، وأبطلت هذا الأصل بعقولها وآرائها عجزوا عن جواب أسئلته، وسدوا على نفوسهم باب استماعها والجواب عنها، وفتحوا باب مكابرة العقول الصريحة، وإنكار تحسين العقل وتقييحه، وإنكار الأسباب والقوى والطبائع والحكم والغايات المحمودة التي لأجلها يفعل الرب ما يفعله، ويأمر^(١) بما يأمر به، وجوزوا عليه أن يفعل كل شيء، وأن يأمر بجميع ما نهى عنه، وينهى عن كل ما أمر به، ولا فرق عنده البتة بين المأمور والمحذور، والكل سواء في نفس الأمر، ولكن هذا صار حسناً بأمره لا أنه في نفسه وذاته^(٢) حسن، وهذا صار قبيحاً بنهيه لا أنه في نفسه وذاته قبيح.

ولما أصلت القدرية إنكار عموم قدرة الله سبحانه ومشئته لجميع الكائنات، وأخرجت أفعال عباده خيرها وشرها عن قدرته ومشئته وخلقه، وأثبتت لله سبحانه شريعة بعقولهم حكمت عليه بها، واستحسننت منه ما استحسنته من أنفسها، واستقبحت منه ما استقبحته^(٣) من نفوسها،

(١) ظ: (وبأمرهما).

(٢) م: (وذاته أنه حسن).

(٣) ظ: (ما استقبحه).

وعارضت بين الأدلة السمعية الدالة على خلاف ما أصلوه وبين العقل، ثم راموا الرد على عدو الله فعجزوا^(١) عن الرد التام عليه، وأجابت كل فرقة من هذه الفرق من الرد عليه بحسب ما وافقت فيه السمع والعقل.

وإنما يتمكن من الرد عليه كل الرد من تلقى أصوله عن مشكاة الوحي ونور النبوة، ولم يؤصل أصلاً برأيه وعقله، وآراء الرجال وعقولهم، ولم يخرج من مشكاة الوحي، ولم يظهر من معدنه، بل تلقى أصوله كلها عن قول من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

رد ابن القيم على الشبه التي أثارها عدو الله إبليس من وجوه

فأول ذلك أنه علم أن هذه الأسئلة ليست من كلام الله الذي أنزله على موسى وعيسى، مخبراً بها عن عدوه كما أخبر عنه في القرآن، بكثير من أقواله وأفعاله، وإدخال بعض أهل الكتاب لها في تفسير التوراة والإنجيل هو كما تجد في المسلمين — وما بالعهد من قدم — من يدخل في تفسير / القرآن كثيراً من الأحاديث والأخبار التي لا أصل لها، والقصص المعلوم كذبها، وإذا كان هذا في هذه الأمة التي هي أكمل الأمم علوماً ومعارف وعقولاً فما الظن بأهل الكتاب؟!

[٢٦٦/١]

فصل

الوجه الثاني:

أن نقول لعدو الله قد ناقضت في أسئلتك ما اعترفت به وسلمته غاية المناقضة، وجعلت ما أسلفته من التسليم

(١) ظ، م: (فوراً)، والصواب ما أثبت.

والاعتراف مبطلاً لجميع أسئلتك متضمناً للجواب عنها قبل ذكرها، وذلك أنك قلت:

﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر: ٣٩].

وقلت: ﴿ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢].
وقلت:

﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴾
[ص: ٨٢، ٨٣].

فاعترفت بأنه ربك وخالقك ومالكك، وأنت مخلوق له، مربوب تحت أوامره ونواهيه، إنما شأنك أن تتصرف في نفسك تصرف العبد المأمور المنهي المستعد لأوامر سيده ونواهيه، وهذه هي الغاية التي خلقت لها، وهي غاية الخلق، وكمال سعادتهم وصلاحهم، وهذا الاعتراف منك بربوبيته وقدرته وعزته، يتضمن إقرارك بكمال علمه وحكمته وغناه، وأنه في كل ما أمر به عليك حكيم لم يأمر عبده بحاجة منه إلى أمره به، ولم ينهه بخلا عليه بما نهاه عنه، بل أمره رحمة منه به وإحساناً إليه بما فيه صلاحه في معاشه ومعهده وما لا صلاح له إلا به ونهاه عما في ارتكابه فساده في معاشه ومعهده فكانت نعمته عليه بأمره ونهيه أعظم من نعمته عليه، بما كله ومشربه ولباسه وصحة بدنه بما لا نسبة بينهما، كما قال سبحانه في آخر قصتك مع الأبوين:

﴿ يٰٓبَنِيَّ ۖ آدَمُ قَدْ أَنْزَلْنَا^(١) عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمُورٍ دِيَّشًا وَلِبَاسًا

(١) ظ، م: (أنزلت).

الْتَقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾

[الأعراف: ٢٦].

فأخبر سبحانه أن لباس التقوى وزينتها خير من المال والرياش والجمال الظاهر فالله سبحانه خلق عباده، وجمل ظواهرهم بأحسن تقويم، وجمل بواطنهم بهدأيته إلى الصراط المستقيم.

ولهذا كانت صورتك قبل معصية ربك وإيثارك معاداته على طاعته ومولاته من أحسن الصور، وأنت مع الملائكة الأكرمين، فلما وقع ما وقع جعل قبح صورتك، وبشاعة منظرِكَ مثلاً يضرب لكل قبيح، كما قال تعالى:

﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّهٗ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصفات: ٦٥].

فهذه أول فقرة تعجلتها من معصيته، ولا ريب أنك تعلم أنه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، وأغنى الأغنياء، وأرحم الراحمين، وأنه لم يأمر العباد إلا بما فعله خير لهم، وأصلح، وأنفع، وأحسن تأويلاً، وأعظم عائدة من تركه، كما أنه لم يرزقهم إلا ما تناوله أنفع لهم من تركه فأمره لهم بما أمرهم به كرزقه لهم ما رزقهم إياه، فالسعداء استعملوا أمره وشرعه لحفظ صحة قلوبهم، وكمالها وصلاحها بمنزلة استعمالهم رزقه لحفظ صحة أجسامهم وصلاحها، وتيقنوا أنه كما لا بقاء للبدن ولا صحة ولا صلاح إلا بتناول غذائه الذي جعل له، فلذلك لا صلاح للقلب والروح ولا فلاح ولا نعيم إلا بتناول غذائه الذي جعل له هذا، وإن ألقيت إلى طائفة من الناس أنه لا مصلحة

للمكلفين فيما أمروا به، ونهوا عنه، ولا منفعة لهم فيه، ولا خير ولا فرق في نفس الأمر بين فعله هذا وترك هذا، ولكن أمروا ونهوا لمجرد الامتحان، والاختبار، ولا فرق في نفس الأمر بين ما أمروا به، ونهوا عنه، فلم يؤمروا بحسن، ولم ينهوا عن قبيح، بل ليس في نفس الأمر لا حسن ولا قبيح.

ومن عجيب أمرك وأمرهم أنك أوحيت إليهم هذا فردوا به عليك، وجعلوه عصمتهم في جواب أسئلتك، فدفعوها كلها، وقالوا: إنما تتوجه هذه الأسئلة في حق من يفعل لغرض أو لعلة، وأما من فعله بريئاً^(١)، من العلل والأغراض فلا يتوجه عليه سؤال واحد من هذه الأسئلة، فإن كانت هذه القاعدة حقاً فقد اندفعت أسئلتك كلها، وإن كانت باطلاً والحق في خلافها فقد بطلت أسئلتك أيضاً لما تقدم، فقد بطلت أسئلتك على التقديرين يوضحه.

الوجه الثالث:

أن نقول لعدو الله: إما أن تسلم حكمة الله في خلقه وأمره، وإما أن تجحدها وتنكرها، فإن سلمتها، وأنه سبحانه حكيم في خلقك حكيم في أمرك بالسجود بطلت الأسئلة، وكنت معترفاً بأنك أوردتها على من تميز حكمته العقول ولم تجعل أحداً من خلقه شريكاً له في ما فعل^(٢) بحكمته، فإنه لا يشرك في حكمه أحداً، كما لم يشركهم في علمه

(١) ظ، م: (برىء).

(٢) ظ، م: (جعل حكمته).

وقدرته وملكه وربوبيته، وحينئذ فتسليمك هذه الحكمة التي
لا سبيل للمخلوقين لمشاركة^(١) الخالق فيها البتة قد عادت
[على]^(٢) أسئلتك الفاسدة / بالنقض والإبطال.

[٢٦٧/١]

وإن رجعت عن الإقرار له - سبحانه - بالحكمة،
وقلت: إنه لا يفعل لحكمة البتة بل لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون. فما وجه إيراد هذه الأسئلة على من لم يفعل بحكمة،
ولا يسأل عما يفعل فقد أوردت الأسئلة على من لا يسأل عما
يفعل، وطعنت في حكمة من كل أفعاله حكمة ومصلحة
وعدل وخير بمعقولك الفاسد، وعقلك الصغير الذي آثرت
به داعي الكبر والكفر على داعي العبودية والإيمان يوضحه.

الوجه الرابع:

وهو أنك قد كشفت للخلائق عن محصول علمك
ومعرفتك وقدر عقلك الذي صرت به ضحكة لهم وسخرية
على ألسنتهم، فإنك انتصرت لنفسك ورياستك، وذلك
عقلك على أن عزك في معصيتك، ورياستك في إباءك من
السجود، وكان هذا أعظم أسباب ذلك وخيبتك ويأسك من
روح الله وبعذك من رحمته وطرده من جنته ومبائتك بلعنته،
فأضعت عزك وأخملت شرفك، ووضعت قدرك من حيث
زعمت أنك تحفظه، فكنت كآكل السم الذي فيه تلافه؛
ليحفظ به قوته وصحته، ثم رضيت لنفسك أن صرت
خادماً، وقواداً لكل فاسق وفاجر وخبيث، فمن هذا قدر

(١) ظ، م: (لما يشاركه)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) (على): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

عقله، ونهاية معرفته وعلمه ألا يستحي من إيراد هذه الأسئلة اللائقة به على من ملأت حكمته الوجود وبهرت العقول حتى صارت للبصائر أظهر من نور الشمس للأبصار يوضحه.

الوجه الخامس:

إن غاية معقولك وحاصل عقلك هو القياس الذي عارضت به النص، وقدمته عليه، وقد بان فساده للعقلاء من أكثر من ثلاثين وجهاً قد تقدم ذكرها^(١)، فلا حاجة إلى إعادتها فإذا كان هذا شأن أقوى أسئلتك التي أوردتها على ربك وسائر أسئلتك مبنية عليه، ومردودة إليه، فما الظن بفروع هذا أصلها، فمن نادى على مقدار عقله، ومحصول معرفته على رؤوس الملأ من الملائكة بقوله:

﴿أَتَأْخِرُ مِنْهُ خَلْقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

واستجاز معارضة الأمر المتضمن لغاية الحكمة والمصلحة بهذا الرأي الفاسد والسفه البارد كيف يتوجه له سؤال على الحكيم العليم.

الوجه السادس:

أن هذه الأسئلة يرجع حاصلها كلها إلى القدح والظعن في علم الرب سبحانه أو حكمته أو قدرته أو اثنين منها أو كلها، إذ حاصلها أنه سبحانه إما أن يكون عالماً بما يحصل مني وما يكون من أمري، أو لا يكون عالماً، فإن لم يكن عالماً لزم القدح في علمه، وإن كان عالماً فإما أن يكون قادراً على

(١) انظر ص ١٠٠٢ وما بعدها.

منعي^(١) من هذا الفساد والضرر الواقع ببني آدم مني،
 أو لا يكون قادراً، فإن لم يكن قادراً لزم القدح في قدرته،
 وإن كان قادراً، ولم يمنعني بل مكنتي^(٢) وأبقاني وسلطني لزم
 القدح في حكمته، فهذا غاية ما عند تلامذة عدو الله
 وأصحابه، وهو الذي أوحاه إليهم، وألقاه على ألسنتهم،
 وجعله دائراً بينهم، وحينئذ فيقال له هذا إنكار منك لما علم
 بالضرورة التي هي فوق كل ضرورة من وجود رب العالمين
 وإله من في السماء والأرض الذي هو بكل شيء عليم، وعلى
 كل شيء قدير، وهو أحكم الحاكمين، فإنكار علمه
 وحكمته وقدرته جحود وإنكار^(٣) له، ونفي أن يكون لك^(٤)
 أول للعالمين رب عليم مدبر حكيم، فإن الجاهل العاجز
 السفیه لا يكون رباً ولا إلهاً فلا تتم لك هذه الأسئلة
 إلا بقول أخيك وشقيقك فرعون

﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

وقوله:

﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرِي﴾

[القصص: ٣٨].

فإن عدو الله علم أنه إن أقر بوجود فاطر السموات
 والأرض، وبصفاته، وعلوه فوق العالم، وتكليمه لموسى

(١) ظ، م: (على منع)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (ملتنى)، وفي حاشية: م قال لعله (ملكني). قلت ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (جحدوا إنكاراً)، م: (حجوداً وإنكاراً)، والصواب ما أثبت.

(٤) ظ: (ذلك).

أوجب عليه هذا: الإقرار والانقياد والعبودية والإيمان بموسى فلم يجد بداً من إنكار الرب وعدم الإقرار به، وهكذا هذه الأسئلة لا تتوجه^(١) إلا مع إنكاره سبحانه وجحوده وإلا فمع الإقرار بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه أحكم الحاكمين فلا تتوجه البتة، وهذا حقيقة الرب وحينئذ فنقول في:

الوجه السابع:

إن مثل هذا النمط من الاعتراضات والأسئلة فاسد عند جميع أهل الأرض، فإنه يتضمن اعتراض^(٢) الجاهل على أحذق الناس بضاعة قد أحكم آلاتها وأسبابها، وقدرها على أكمل الوجوه^(٣) وأحسنها وأوفقها لما يقصد منها، فجاء رجل جاهل لا مناسبة بينه وبين ذلك الحاذق بوجه ما فأخذ يعترض عليه في أجزاء تلك الصناعة وآلاتها وأشكالها ومقاديرها، ويقول / هلا كان هذا أكبر مما هو أو أصغر أو على شكل آخر أو كان كذا في موضع كذا أو عمل هذا في وقت كذا، ونحو هذا مما يسخر منه العقلاء، ويعدون صاحبه في زمرة السفهاء، مع أنه يمكن المعارض مشاركة ذلك الأستاذ الحاذق في صناعته ومساواته فيها وتقديمه عليه فيها، فإذا كان اعتراضه عليه مدفوعاً عند كل عاقل، فما الظن بالاعتراض على من لا شريك له في حكمته ولا شبهة له فيها، والتفاوت

[٢٦٨/١]

(١) ظ: (لا تتوجه).

(٢) ظ: (إعراض).

(٣) ظ: (الوجود).

الذي بينه وبين المعترض في حكمته كالتفاوت الذي بينه وبينه في العلم والقدرة والغنى وسائر الصفات أفلا يستحي من يرى الاعتراض على مخلوق مثله قد فاقه في صناعة وعلم قبيحاً لا يجد عليه إلا تعريضه نفسه للذم ومبادلته عليها بالجهل من إيراد مثل هذه الأسئلة على الحكيم العليم.

الوجه الثامن :

أن يقال: «لعدو الله»: إيرادك هذه الأسئلة، إما أن تكون على وجه الظن في الرب تعالى، وأنه فعل ما لا ينبغي له فعله، أو على وجه الاسترشاد وطلب الهداية، فإن كان على وجه الطعن والقذح فكيف تجامع اعترافك بربوبيته وملكه وخلقه وإقرارك بعزته وحكمته، ثم تقذح فيه، وإن كان على وجه الاسترشاد، وطلب الحكمة، فذلك فرع عن^(١) التسليم لأمره والإذعان لعبوديته، والانقياد لحكمته، فلا يجتمع مع تصريحك بالعداوة والكفر والاستكبار عن طاعته، فإن معصيتك له وقد أمرك منه إليك بلا واسطة أعظم من استكبار من استكبر عن طاعته التي أمر بها على السنة رسله، فإذا آثرت الكفر والاستكبار والعداوة فكيف سألت^(٢)، مسائل المسترشد المهتدي، فالسؤال نوعان: إما سؤال جاهل بالحكمة في طلب معرفتها، وإما سؤال قاذح في الحكمة بما يبطلها وينقضها وحينئذ فنقول في:

(١) ظ، م: (على)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (سال).

الوجه التاسع :

لا تتوجه هذه الأسئلة على واحدة بين الطريقتين :

إما على الطريقة الأولى؛ فلأن الاستعداد والقبول لمعرفة تفاصيل الحكمة يكون شرطاً في قبول الأسئلة والجواب عنها، والقوى البشرية ليست مستعدة للعلم بتفاصيل حكمة الله في خلقه وأمره، وحينئذ فيكون بيان تفاصيل الحكم عبثاً ضائعاً، وهو مناف للحكمة، وإما على الطريقة الثانية، فلأن أسئلته – تتضمن قدح العبد في الرب، والمخلوق في الخالق، والجاهل في العالم، والسفيه في الحكيم – [فهى] (١) من أبطل الأسئلة، ولا يحتاج في بيان بطلانها إلى أكثر من ذلك يوضحه.

الوجه العاشر :

إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع؛ ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت نبيها، وأمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به، ونهاها عنه، وبلغها عن ربها، ولو بلغت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت، وسلمت، وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وإيمانها واستسلامها على معرفته، ولا فعلت طلبه من شأنها، وكان رسولها أعظم في صدورها من سؤالها عن

(١) (فهى): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

ذلك كما في الإنجيل: «يا بني إسرائيل لا تقولوا: لم أمر ربنا، ولكن قولوا: بم أمر ربنا»؛ ولهذا كانت هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلوماً لا تسأل نبيها لم أمر الله بذلك؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم، وذلك يوجب تعظيم الرب تعالى وأمره ونهيه، فلا يتم الإيمان إلا بتعظيمه، ولا يتم تعظيمه إلا بتعظيم أمره ونهيه، فعلى قدر تعظيم العبد لله سبحانه يكون تعظيمه لأمره ونهيه، وتعظيم الأمر دليل على تعظيم الأمر، وأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به [رغم] (١) القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأموراً به، بحيث يتوقف الإنسان على معرفة حكمته، فإن ظهرت له فعله وإلا عطله، فهذا من عدم عظمته في صدره، بل يسلم لأمر الله وحكمته، ممثلاً ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر، أوفقها العقل، كانت زيادة في البصيرة والداعية (٢) في الامتثال، وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده، ولم يقدح في امتثاله، فالمعظم لأمر الله يجري / الأوامر والنواهي على [ما] (٣)

[٢٦٩/١]

(١) (رغم): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

(٢) ظ، م: (الداعية)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٣) (ما): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

جاءت، لا يعللها بعلل توهنها، وتخدش في وجه حسنها، فضلاً عن أن يعارضها بعلل تقتضي خلافها، فهذا حال ورثة إبليس، والتسليم والانقياد والقبول حال ورثة الأنبياء.

الوجه الحادي عشر:

إن المعترضين على الرب سبحانه قسمان: قسم اعترضوا عليه في أمره ونهيه، وقسم اعترضوا عليه في قضائه وقدره، وربما اجتمع النوعان في حق المعترض، وقد ينفرد أحدهما، وإبليس ممن جمع النوعين، فاعترض أولاً عليه في أمره له بالسجود لآدم، وزعم أنه مخالف للحكمة، وأن الحكمة إنما تقتضي خضوع المفضول للفاضل لا ضد ذلك، وزعم أنه أفضل وخير من آدم، ثم اعترض بعد ذلك على القضاء والقدر بهذه الأسولة، فجمع بين الاعتراض على أمره وقدره، وبث هذين النوعين في أصحابه وتلامذته، وأخرجها لهم في كل قالب وصورة يقبلونها فيها وآخر ذلك أوحى إليهم أن يعترضوا على خبره^(١) عن نفسه، وخبر رسله عنه بالعقل، فعارض عدو الله أمره بأنه خلاف الحكمة، وقدره بأنه خلاف العدل، وخبره بأنه خلاف العقل، وسرت هذه المعارضات الثلاث في أتباعه، فهم خلفاؤه ونوابه، فهم^(٢) على قدر أنصابتهم منها، ومعلوم أن هذه الأنواع الثلاثة مضادة له، ومجاهرة بالعداوة، ومن التلبيس إخراج المعترض لها في صورة العلم والحب والمعرفة

(١) ظ: (جزو)؛ م: (جزوء)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ظ، م: (فهما)، ولعل الصواب ما أثبتته.

بألفاظ مزخرفة، تغر السامع، وتصغي إليها أفئدة أشباه الأنعام. وتنفعل عنها قلوبهم بالرضى بها وألستهم بالتكلم بها وجوارحهم بالعمل بمقتضاها.

الوجه الثاني عشر:

إن أعداءه المشركين اعترضوا على أمره وشرعه بقضائه وقدره، فجعلهم سبحانه بذلك كاذبين جاهلين مشركين، وهذه الأسولة الإبليسية تتضمن الاعتراض على قضائه وقدره بحكمته، وأن الحكمة تعارض ما قضاه وقدره، كما أن اعتراض المشركين يتضمن أن القضاء والقدر يعارض ما شرعه وأمر به، وهذه المعارضات كلها من مشكاة واحدة، فإذا كان الاعتراض على دينه وشرعه بقضائه وقدره باطلاً، فكذلك الاعتراض على قضائه وقدره بحكمته يوضحه.

الوجه الثالث عشر:

إن الأمر والقدر تفصيل للحكمة ومظهرها، فإنها خفية فلا بد لظهورها من شرع يأمر به، وقدر يقضيه ويكونه^(١)، فتظهر حكمته سبحانه في هذا وهذا، فكيف يكون تفصيل الشيء، وما يظهره مناقضاً له منافياً، بل يمتنع أن يكون إلا مصدقاً موافقاً، فإن التفصيل متى ناقض الأصل وضاده كان دليلاً على بطلانه يوضحه.

الوجه الرابع عشر:

وهو أن الرب سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى، وأسمائه متضمنة لصفات كماله وأفعاله ناشئة عن صفاته،

(١) ظ، م: (وتكوينه)، والصواب ما أثبتته.

فإنه سبحانه لم يستفد كمالاً بأفعاله، بل له الكمال التام المطلق، وفعله عن كماله، والمخلوق كماله عن فعله فإنه فعل فعمل بفعله، وأسمائه الحسنى تقتضي آثارها، وتستلزمها استلزام المقتضى الموجب لموجبه ومقتضاه، فلا بد من ظهور آثارها في الوجود فإن من أسمائه الخلاق المقتضى لوجود الخلق، ومن أسمائه الرزاق المقتضى لوجود الرزق والمرزوق، وكذلك الغفار والتواب والحكيم والعفو، وكذلك الرحمن الرحيم، وكذلك الحكم العدل إلى سائر الأسماء، ومنها الحكيم المستلزم لظهور حكمته في الوجود، والوجود متضمن لخلقه وأمره:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

[الأعراف: ٥٤].

فخلقه وأمره صدرا عن حكمته وعلمه، وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره، فمصدر الخلق والأمر عن هذين المتضمنين لهاتين الصفتين؛ ولهذا يقرن^(١) سبحانه بينهما [عند]^(٢) ذكر إنزال كتابه، وعند ذكر ملكه وربوبيته إذ هما مصدر الخلق والأمر، ولما كان سبحانه كاملاً في جميع أوصافه، ومن أجلها كلمته كانت عامة التعلق بكل مقدور كما أن علمه عام التعلق بكل معلوم، ومشيئته عامة التعلق بكل موجود، وسمعه وبصره عام التعلق بكل مسموع ومرئي، فهذا من لوازم صفاته فلا بد أن تكون حكمته عامة

(١) ظ، م: (يفرق).

(٢) (عند): ليست في ظ، م، وبها تستقيم العبارة.

التعلق بكل ما خلقه وقدره وأمر به ونهى عنه، وهذا أمر ذاتي للصفة يمتنع تخلفه وانفكاكه عنها كما يمتنع تخلف الصفة نفسها وانفكاكها عنه، وهذا وحده برهان كاف شاف في إبطال تلك الأسولة كلها، وأنه^(١) يكفي في إبطالها إثبات عموم / تعلق صفاته، وذلك يستلزم إثبات الصفات، وهي تستلزم إثبات الذات، فإثبات ذات الرب تعالى كاف في بطلان الأسولة الإبلسية.

[٢٧٠/١]

نعم الجهمي المعطل وأصحابه يعجزون عن الجواب عنها على هذه الطريق، وإن أجابوا عنها على غيرها لم يشفوا عليلاً ولم يرووا غليلاً إذ هي أجوبة مبنية على أصول باطلة، والمبنية على الباطل لا تكون صحيحة من كل وجه، وقد قدمنا مجامع طرق الناس في الأجوبة، وبيان أن الأصول الفاسدة خذلتهم عن الجواب الصحيح الشافي.

الوجه الخامس عشر:

إن الله سبحانه وتعالى فطر عباده حتى الحيوان البهيم على استحسان وضع الشيء في موضعه، والإتيان به في وقته، وحصوله على الوجه المطلوب منه، وعلى استقباح ضد ذلك وخلافه، وأن الأول دال على كمال فاعله وعلمه وقدرته وخبرته، وضده دال على نقصه وعلى نقص علمه وقدرته وخبرته، وهذه فطرة لا يمكنهم الخروج عن موجبها، ومعلوم أن الذي فطرهم على ذلك، وجعله فيهم أولى به منهم،

(١) ظ، م: (وأنها)، ولعل الصواب ما أثبت.

فهو سبحانه يضع الأشياء في مواضعها التي لا يليق بها سواها، ويخصها من الصفات والأشكال والهيئات والمقادير بما هو أعلم^(١) بها من غيره ويبرزها^(٢) في أوقاتها وأزمنتها المناسبة لها التي لا يليق بها سواها، ومن له نظر صحيح، وفكر مستقيم، وأعطى التأمل حقه شهد بذلك فيما رآه وعلمه واستدل بما شاهده على ما خفي عنه، فإن الكل صنع الحكيم العليم، ويكفي في هذا ما يعلمه من حكمة خلق الحيوان وأعضائه وصفاته وهيئاته ومنافعه واشتماله^(٣) على الحكمة المطلوبة منه أتم اشتمال، وقد ندب سبحانه عباده إلى ذلك فقال:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وقال:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

إلى آخرها، وكذلك جميع ما يشاهد من مخلوقاته عاليها وسافلها وما بين ذلك إذا تأملها صحيح التأمل والنظر وجدها مؤسسة على غاية الحكمة مغشاة^(٤) بالحكمة فقراً سطور الحكمة على صفحاتها وينادي^(٥) عليها: هذا صنع

(١) ظ، م: (نسر)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) م: (ويبرزهما).

(٣) ظ، م: (استعماله).

(٤) مغشاة: غشيت الشيء تغشية إذا غطيته، فقوله: مغشاة بالحكمة أي مغطاة.

لسان العرب ٣٢٦١/٥ مادة غشا.

(٥) م: (وحينادي).

العليم الحكيم وتقدير العزيز العليم، فإن وجدت العقول أوفق من هذا فلتقترحه أورأت أحسن منه فلتبده وتوضحه ذلك صنع :

﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : ٣ ، ٤] .

ومن نظر في هذا العالم وتأمل أمره حق التأمل علم قطعاً أن خالقه أتقنه وأحكمه غاية الإتقان والإحكام، فإنه إذا تأمله^(١) وجده كالبيت المبني المعد فيه جميع عتاده فالسمااء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والمنافع مخزونة كالذخائر كل شيء منها لأمر يصلح له، والإنسان كالمالك المخول فيه وضروب النبات مهياةً لآربه، وصنوف الحيوان مصرفة في مصالحه، فمنها ما هو للدر والنسل والغذاء فقط، ومنها ما هو للركوب والحمولة فقط، ومنها ما هو للجمال والزينة، ومنها ما يجمع ذلك كله كالإبل وجعل أجوافها خزائن لما هو شراب وغذاء ودواء وشفاء ففيها عبرة للناظرين وآيات للمتوسمين، وفي الطير واختلاف أنواعها وأشكالها وألوانها ومقاديرها ومنافعها وأصواتها صفات وقابضات وغاديات ورائحات ومقيمات وظاعنات أعظم عبرة وأبين دلالة على حكمة الخلاق العليم وكل ما أوجده الناس وأولوه^(٢) بالأفكار الطويلة

(١) ظ، م : (تأمل)، ولعل الصواب ما أثبتته .

(٢) ظ : (وأدلة) .

والتجارب المتعددة من أصناف الآلات والمصانع وغيرها إذا فكر فيها المتفكر وجدها مشتقة من الخلقة مستنبطة من الصنع الإلهي، مثال ذلك القبان^(١) مستنبطة من خلقة البعير^(٢)، كأنهم لما رأوه ينهض بحمله وينوء به^(٣) يمد عنقه ويوازن حمله برأسه استنبطوا القبان من ذلك وجعلوا طول حديدته في مقابلة طول العنق ورمانة القبان في مقابلة رأس البعير فتم لهم ما استنبطوه، وكذلك استنبطوا بناء^(٤) الأقباء^(٥) من ظهره فإنهم وجدوه يحمل ما لا يحمله غيره فتأملوا ظهره فإذا هو كالقبو فعلموا أن القبو يحمل^(٦) ما لا يحمله السطح، وكذلك ما استنبطه الخذاق لمن كلَّ / بصره أن يديم النظر إلى إجانة^(٧) مملوءة خضر ماء استنباطاً من حكمة الخلاق العليم في لون السماء فإن لونها أشد الألوان موافقة للبصر وتقويته فجعل أديمها بهذا اللون

[٢٧١/١]

(١) القبان: الميزان الذي يوزن به، قال الجوهري: القبان القسطاس معرب.

لسان العرب ٣٥٢٣/٥ مادة قبن.

(٢) (من خلقة البعير): مكرر في ظ.

(٣) ظ، م: (وبينوا)، والصواب ما أثبت.

(٤) ظ: (ماء الأقباء)، وفي هامش م لعله بناء الأقباء.

(٥) والأقباء: جمع قبو، وهو الطاق المعقود بعضه إلى بعض.

لسان العرب ٣٥٢٣/٥ مادة قبا.

(٦) بحمله.

(٧) إجانة: الإجانة والإنجانة والأجانة: المكن، وأفصحها إجانة: والمركن: تور (إننا) من

أدم تغسل فيه الثياب.

لسان العرب ٨/١٣ مادة أجن.

لسان العرب ١٨٦/١٣ مادة ركن.

لتمسك الأبصار ولا تنكأ^(١) فيها بطول مباشرتها لها، ومن هذا استنبط الأطباء لمن أصابه سوء في بصره إدمان النظر إلى الخضرة، وإذا فكرت في طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتي الليل والنهار ولولا طلوعها لبطل أمر هذا العالم، فكم في طلوعها من الحكم والمصالح؟ وكيف كان حال الحيوان لو أمسكت عنهم؟، وجعل الليل عليهم سرمداً والدنيا مظلمة عليهم فبأي نور كانوا^(٢) يتصرفون وينقلون؟ وكيف كانت تنضج ثمارهم وتكمل أقواتهم وتعتدل صورهم وأبدانهم فالحكم في طلوعها أعظم من أن تخفى أو تحصى، ولكن تأمل الحكمة في غروبها فلولا غروبها لم يكن للحيوان هدوء ولا قرار مع شدة حاجتهم إلى الهدوء لراحة^(٣) أبدانهم وإجمام^(٤) حواسهم^(٥)، وأيضاً لودامت على الأرض لاشتد^(٦) حوها بدوام طلوعها عليها فأحرق كل ما عليها من حيوان ونبات، فاقتضت حكمة الخلاق العليم والعزيز الحكيم أن جعلها تطلع عليهم في وقت وتغيب في وقت بمنزلة سراج يرفع لأهل الدار ملياً ليقضوا مآربهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليقروا ويهدوا وصار ضياء النهار وحرارته وظلام الليل وبرده على تضادهما وما فيها متظاهرين متعاونين على

(١) ولا تنكأ: أي لا تتألم. يقولون هنتت ولا تنكأ أي هناك الله بما نلت ولا أصابك بوجع. اللسان ٤٥٣٤/٦.

(٢) ظ: (هانوا). (٣) ظ: (الراحة)؛ م: (والراحة)، ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) إجمام، الجمام بالفتح الراحة، يقال: أجم نفسك يوماً أو يومين أي أرحها.

لسان العرب ١٠٥/١٢، ١٠٦ مادة جم، دار صادر.

(٥) م: (حدسهم). (٦) ظ: (الأشد).

ما فيه صلاح العالم وقوامه ومنافع أهله ثم اقتضت حكمته أن جعل للشمس ارتفاعاً وانحطاطاً لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيها من قيام الحيوان والنبات ففي زمن الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيها مواد الثمار ويغلظ الهواء بسبب البرد فتصير مادة للسحاب فيرسل العزيز الحكيم الريح المثيرة فيثيره فزعاً ثم يرسل عليه الريح المؤلفة فتؤلف بينه حتى يصير طبقاً واحداً ثم يرسل عليه الريح اللاقحة التي فيها مادة الماء فيلقحه كما يلقح الذكر الأنثى فيحمل الماء من وقته فإذا كان بروز الحمل وانفصاله أرسل عليه الريح الذارية فتدروه وتفرقه في الهواء لثلا يقع صبة واحدة فيهلك ما أصابه ويقل الانتفاع به فإذا سقى ما أمر بسقيه وفرغت حاجتهم منها أرسل عليه الرياح السائقة فتسوقه وتزيجه إلى قوم آخرين وأرض أخرى محتاجة إليه، فإذا جاء الربيع تحركت الطبائع وظهرت المواد الكامنة في الشتاء فخرج النبات وأخذت الأرض زخرفها وأزَّيَّنت وأنبتت من كل زوج بهيج، فإذا جاء الصيف سخن الهواء فنضجت الثمار ويست الحبوب فصلحت للحفظ والحزن، وتحللت فضلات الأبدان فإذا جاء الخريف كسر ذلك السموم والحرور وشفاء الهواء واعتدل وأخذت الأرض والشجر في الراحة والجموم^(١) والاستعداد^(٢) للحمل الآخر، واقتضت حكمته سبحانه أن أنزل الشمس والقمر في

(١) انظر ص ١٥٦٩ .

(٢) ظ، م: (والاستداد)، والصواب ما أثبت .

البروج وقدر لهما المنازل ليعلم العباد عدد السنين والحساب من الشهور والأعوام، قسم بذلك مصالحهم ويعلم آجال معاملاتهم ومواقيت حجهم وعباداتهم ومدد^(١) أعمارهم وغير ذلك من مصالح حسابهم فالزمان مقدار الحركة. ألا ترى أن السنة الشمسية مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل؟، واليوم مقدار مسيرها من الشرق إلى الغرب وبحركة الشمس والقمر كان^(٢) الزمان من حين خلقا إلى أن يجمع الله بينهما ويعزلها عن سلطانها ويرى عابديها أنهم عبدوا الباطل من دونه، وأن سلطان معبودهم قد بطل واضمحل وأن سلطان الحق والملك الحق لله الواحد القهار قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

وقال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ حَفِظَ الْأَيَّاتِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَ فَضْلِنَا تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

ففي القمر وتقدير منازلها آيات وحكم لا تخفى على الناظرين، واقتضت حكمته سبحانه في تدبيره^(٣) أن فاوت

(١) ظ، م: (ومداد)، والصواب ما أثبت.

(٢) ظ، م: (لكان)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) ظ: (تدبير).

بين مقادير الليل والنهار فلم يجعلها دائماً على حد سواء ولا أطول / مما هما عليه ولا أقصر بل جاء استواءهما وأخذ أحدهما من الآخر على وفق الحكمة حتى إن المكان الذي يقصر أحدهما فيه جداً لا يكون فيه حيوان ونبات كالمكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولا تغرب عنه فلو كان النهار مقدار مائة ساعة أو أكثر أو كان الليل كذلك لتعطلت المصالح التي نظمها الله بهذا المقدار من الليل والنهار ثم تأمل الحكمة في إنارة القمر والكواكب في ظلمة الليل، فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهدوء الحيوان وبرد الهواء لم تقتض المصلحة أن يكون الليل ظلمة واحدة داجية^(١) (٢) لا ضياء فيها، فلا يمكن فيه شيء من العمل، وربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار ولإفراط الحرّ فيه، فاحتاجوا إلى العمل في الليل في نور القمر من حرث الأرض، وقطع الزرع وغير ذلك، فجعل ضوء القمر في الليل معونة للناس على هذه الأعمال، وجعل في الكواكب جزءاً يسيراً من النور؛ لتسد مسد القمر إذا لم يكن، وجعلت زينة السماء، ومعالم يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ودلالات واضحات على الخلاق العليم، وغير ذلك من الحكم التي بها انتظام هذا العالم، وجعلت الشمس على حالة واحدة لا تقبل الزيادة والنقصان؛ لئلا تتعطل

(١) ظ، م: (راجية).

(٢) داجية: دجا الليل بمعنى هدأ وسكن، ويقال: دجا الليل إذا أظلم، ومعنى أن يكون

الليل ظلمة واحدة داجية، أي يكون ظلمة واحدة ساكنة.

انظر لسان العرب ١٣٣٢/٢ مادة دجه.

الحكمة المقصودة منها، وجعل القمر على حالة (١) تقبل الزيادة والنقصان لئلا تتعطل الحكمة المقصودة من جعله كذلك، وكان في نوره من التبريد والتصليب ما يقابل ما في ضوء الشمس من التسخين والتحليل، فتتنظم المصلحة، وتتم الحكمة من هذا التسخين والتبريد، وتأمل اللفظ والحكمة الإلهية في جعل الكواكب السيارة ومنازلها تظهر في بعض السنين، وتحتجب في بعضها؛ لأنها لو ظهرت دائماً أو احتجبت دائماً لذابت الحكمة المطلوبة منها، وكما اقتضت الحكمة أن يظهر بعضها، ويحتجب بعضها، فلا تظهر كلها دفعة واحدة، ولا تحتجب دفعة واحدة، بل ينوب ظاهرها عن خفيها في الدلالة، وجعل بعضها ظاهراً لا يحتجب أصلاً بمنزلة الأعلام المنصوبة التي يهتدي بها الناس في الطرق المجهولة في البر والبحر، فهم ينظرون إليها متى أرادوا، ويهتدون بها حيث شاءوا فجاء الأمران على وفق الحكمة، ثم تأمل حال النجوم واختلاف مسيرها، ففرقة منها لا تريم (٢) مراكزها من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة كالجيش الواحد، وفرقة منها مطلقة تنتقل في البروج، وتفترق في مسيرها، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين، أحدهما عام مع الفلك نحو الغرب، والآخر خاص لنفسه نحو الشرق، فله حركتان مختلفتان على وفق الحكمة، وذلك من أعظم الدلالة على

(١) ظ، م: (حال).

(٢) لا تريم: قال ابن السكيت: وَرِيمَ فلان بالمكان تريباً أقام به، فمعنى قوله: لا تريم

مراكزها أي لا تتجاوز أماكنها.

لسان العرب ١٧٩٦/٣ مادة ريم.

الفاعل المختار العليم الحكيم، وعلى كمال علمه وقدرته وحكمته، وتأمل كيف صار هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه، يدور على هذا العالم هذا الدوران العظيم السريع المستمر، بتقدير محكم لا يزيد ولا ينقص ولا يختل عن نظامه، بل هو تقدير العزيز العليم،^(١) كما أشار تعالى إلى أن ذلك التقدير^(٢) صادر^(٣) عن كمال عزته وعلمه، فقال تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ بَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾
[يس: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيِّنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾. إلى قوله: ﴿فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ - ١٢].

وقال تعالى:

﴿فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ (٤) اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

- (١) ظ، م: (قال تعالى)، وب حذفها تستقيم العبارة.
 (٢) ظ، م: (القدرين)، والصواب ما أثبتته.
 (٣) ظ، م: (صار)، ولعل الصواب ما أثبت.
 (٤) ظ، م: (جاعل)، وهي قراءة فقد قرأ الكوفيون «وجعل الليل» بفتح العين واللام من غير ألف، وينصب اللام من الليل.
 وقرأ الباقون وجاعل الليل كما في ظ، م وذلك بالألف، وكسر العين، ورفع اللام، وخفض الليل.
 النشر في القراءات العشر ٢/٢٦٠، التبصرة، ص ٣٣٠؛ الغاية في القراءات، ص ١٤٧.

فذكر سبحانه أن هذا التقدير لمسير الشمس والقمر،
والليل والنهار، وحركات النجوم في مطالعها ومغارها تقدير
ناشئ عن عزته وعلمه، وذلك متضمن وقوعه على وجه
الحكمة الغائية^(١)، ولتسخير^(٢) الشمس والقمر والكواكب،
وتذليلها لعزته، وجار على وفق حكمته، فجاءت على وفق
ما قدرها له، فهل يخفى على ذي لب أن ذلك تقدير مقدر
قادر عزيز حكيم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أنها كاتبه يوم ١٧ من ذي القعدة ١١١٠ على
ما وجدناه في الأصل ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان^(٣).

(١) م: (الطائفة).

(٢) م: (تسخير).

(٣) وفي حاشية م بعد هذه العبارة قال:

تم بأقلام مختلفة في حلب الشهباء على نسخة في خزانة المدرسة العثمانية وفي جمادى
الأخرة سنة ١٣٤١هـ.

* وفي حاشية ط، جملته كراس «١٤» إلا ٣ أوراق.

الفهارس

- (١) فهرس الآيات القرآنية .
- (٢) فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
- (٣) فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية .
- (٤) فهرس الفرق .
- (٥) فهرس المصطلحات .
- (٦) فهرس الألفاظ الغريبة .
- (٧) فهرس الأبيات الشعرية .
- (٨) فهرس الكتب التي ذكرها المصنف .
- (٩) فهرس المراجع .
- (١٠) فهرس الموضوعات .

(١)
فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
الحمد لله رب العالمين	٢	٩٣٦
الرحمن الرحيم	٣	٩٣٦
مالك يوم الدين	٤	٩٣٦
اهدنا الصراط المستقيم	٦-٧	١٠٨٩
صراط الذين أنعمت عليهم	٧	٧٤٥ (ح) (*)
سورة البقرة		
آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين	٢،١	١٥١٧، ٨٥٠
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم		
المفلحون	٥،١	١١٢٩، ٨٥٠
وبالآخرة هم يوقنون	٤	٧٣٩
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر		
وما هم بمؤمنين	٨	٧٠٤
وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما		
نحن مصلحون	١١-١٥	١١٤٤
يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم		
والذين من قبلكم لعلكم تتقون	٢٢، ٢١	٧٠٨، ٧٠٠، ٦٨٦، ١٢٠٠

(*) ح: يعني أن الآية وردت في الحاشية.

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٦٧	٢٣	وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين
٤١٢، ٢٨٧	٢٦	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم
١٢٠٠	٢٨	وعلم آدم الأسماء كلها
٦٤١	٣١	فتكونا من الظالمين
٣٧٣	٣٥	قلنا اهبطوا منها جميعاً
٨٤٥	٣٨	ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون
١٢١٤، ٩٢٦	٤٢	إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائين
١٠٩٦	٦٥	ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين
١٥٤٥	٦٨	فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
٤٢٥	٧٣	ويريكم آياته لعلكم تعقلون
١٠٤٩	٧٩-٧٥	أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون
٧٩٢، ١٦٣	٧٨	ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون
٦٩٢، ٦٨٧ ح	١٠٤	يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرننا فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير
٦٨٦	١٠٩	ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله
١٠٢٢ ح	١١٥	إن الله واسع عليم
١٠٣٤	١١٦	بل له من في السموات والأرض كل له قانتون
١٥٤٣	١١٨	وكذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الأعراف
٤٢٢	١	المص
١٥١٨	٢،١	المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه
١٥٢٣ ، ٨٢٨	٣	اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء
١٥٥٢، ١٥٤٢، ٣٧١	١٢	ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال: أنا خير منه
١٥٥٦		
٣٧١	١٢	خلقتني من نار وخلقته من طين
٣٧٣	٢٠	ما نهاك ربك
١٢٢٦ ، ٣٨٧	٢٢	وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكم الشجرة
١٤٥٧	٢٣	ربنا ظلمنا أنفسنا
		يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري
١٥٥٢ ، ١٣٧٦	٢٦	سواتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير
٧٢٠	٢٨	أتقولون على الله ما لا تعلمون
٦٩٨	٣١	خذوا زينتكم عند كل مسجد
		قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
١٥٢٤، ١١٣٥	٣٣	وما بطن... الآية
٣٩٠	٤٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات
١٢٢٣	٤٣	الحمد لله الذي هدانا لهذا
		هل ينظرون ألا تأويله يوم يأتي
٩٢٢ ، ١٧٦	٥٣	تأويله... الآية
		إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض
٣٨٦، ٢٩١، ١٩١	٥٤	في ستة أيام ثم استوى على العرش
١٤١٦، ١٢٢٦، ١٢٠٤		
١٢٠٤	٥٤	ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين
١٢٠٤	٥٧	وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١١٤٨	٦٢	وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون
ح٣٠٦	٦٥	وإلى عاد آخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله
١١٤٨	٦٨	وأنا لكم ناصح أمين
٧١٥	٨٢	وما كان جواب قومه إلا أن قالوا قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد
٤٨٨	٨٩	إذ نجانا الله منها يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم
١١٤٨	٩٣	فأرسلنا عليهم الطوفان
ح٨٨٣	١٣٣	وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم
٦٧٠	١٤٢	ميقات ربه أربعين ليلة
١٠٣٧، ١٢٢٦، ٢١٨	١٤٣	ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه
١٠٦٤		
٣٢١	١٤٤	إني اصطفتيك على الناس برسالاتي وبكلامي
٩١٤	١٤٨	واتخذ قوم موسى إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا
١١٣٥	١٥٢	فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون
١١٢٣، ٨٥٢، ٦٩٧	١٥٧	قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض
١٥٢٤	١٥٨	ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها
١٢١٢	١٦٩	فبأي حديث بعده يؤمنون
١٥١٠، ح١٢١٨، ٩١١	١٨٠	ألهم أرجل يمشوا بها واعرض عن الجاهلين
٣١٨	١٨٥	
٩١٥	١٩٥	
٥٢٤	١٩٩	
٢٠٩	٢٠٤	وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم	٧	١٣٨٢
ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال	١٦	
وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى	١٧	ح ٨٨٥
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم	٤٢	١٢١٥، ١١٩٩، ٩٩٨
يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا	٤٥	١٤٨٠
الله كثيراً	٦٤	٧٥٠
يا أيها النبي		
سورة التوبة		
أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم . . . الآية	١٦	١٥٢٥
ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون	٣٢	١٣٩١
وفيكم سماعون لهم	٤٧	١٤٠٤، ٣٠٥
نسوا الله فأنسيهم	٦٧	١٤٨١
كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً	٦٩	١٢١٠، ٥١١
سنعذبهم مرتين	١٠١	٥٦٩
خذ من أموالهم صدقة	١٠٣	٣٧٧
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون	١٠٥	٢٦٢
وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن	١١١	٣٩٥
ومن أوفى بعهده من الله	١١١	٣٩٥
وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً	١٢٢، ١٢٥	١١٦٨
وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد	١٢٧	١١٦٨

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة يونس		
١٥٧١	٥	هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً
٤٧٠	١٦	قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون
١٢٠١	٣٢، ٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار
١٥١٧	٣٧	وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله
٤٦٦	٣٨	أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله
٧٩٢	٤٢	ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم
٧١٩	٥٩	آله أذن لكم
١٣٨١	٦٠	إن الله لذو فضل على الناس وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض
١٠٢١	٦١	ولا في السماء
١٤٩٢	٦٤	لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة
٤٥٦	٦٧	إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون
١٥٤٣	٧٤	فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل
٦٩٥	٩٢	فاليوم ننحيك ببدنك
٥١٣	٩٣	ولقد بوأنا بني إسرائيل مبعأ صدق ورزقناهم من الطيبات
١١٢٤	٩٤	لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
٧٢٠	٩٩	أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
سورة هود		
	١	كتاب أحكمت آياته
		أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله
٤٦٨	١٣	مفتريات
٨٧٧	١٤	فإلم يستجيبوا لكم

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١١٤٢	١٩، ١٨	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً
٧٩٣	٢٤	مثل الفريقين كالأعمى والأصم
٧٢١	٢٨	أنلزمكموها وأنتم لها كارهون
٢٥٤	٣٧	واصنع الفلك بأعيننا
٤٨٧	٥٤	إن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء

سورة يوسف

٧٥١	٣	وإن كنت من قبله لمن الغافلين
٩٢٢	٦	ويعلمك من تأويل الأحاديث
٧١٦	٢٤	ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه
١٣٧٩	٣١	وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه
		قالت: فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن
١٣٧٩	٣٢	نفسه فاستعصم
٩٢٣	٣٧	لا يأتیکما طعام ترزقانه
١٣٧٣	٣٩	أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار
٩٢٣	٤٥	وقال الذي نجا منها
١٤٥٧	٥١	إن النفس لأمارة بالسوء
٧١٣	٦٣، ٦٢	وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم
		واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا
٧٥٢ ح	٨٢	فيها وأنا لصادقون
٩٢٢	١٠٠	يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل
		قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا
لم تُخَرِّج	١٠٨	ومن اتبعني

سورة الرعد

١٢٠١	٢	الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش
------	---	---

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً... الآية
١٢٠١	٤،٣	
١٣٦٥	٩	عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال
٦٨٨	١٦	الله خالق كل شيء
		قل من رب السموات والأرض... الواحد القهار
٤٦٥	١٦	
		أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى
١١٦٩،٧٩٢،١٥٥	١٩	
١١٦٩	٣٦	والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك
٧٤١	٢٨،٢٧	ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب
١٥١٧،١١٢٥	٢٨	
١٠٨١	٣١	بل لله الأمر جميعاً
سورة إبراهيم		
١٠٦٩	١	آل كتاب أنزلناه إليك
		آل كتاب أنزلناه إليك لنخرج الناس من الظلمات إلى النور
١١٤٢،٧٧٥	٣-١	
ح ١١٤١	٣	ويصدون عن سبيل الله ويغونها عوجاً
١٥٠٧،٣٢٥	٤	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم
١٢٢١،١٢٠٠	١٠	أفي الله شك فاطر السموات والأرض ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بيميت
١٣٥٥	١٧	
١٥٤٩	٢٢	وما كان لي عليكم من سلطان وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء
١٠٢١	٣٨	

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة الحجر		
٥٦١	٩	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
٦٩٥	١٥	إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون
١٥٥٢	٣٩	رب بما أغويتني
٧٠٩	٩٤	فاصدع بما تؤمر
سورة النحل		
		ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء
ح ١٥٢	٢	من عباده
	١٧	أفمن يخلق كمن لا يخلق
٢٤٦	١٨	وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
		إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن
١٤٠٦	٤٠	فيكون
٧٣٣،٥٦١،٣١٧	٤٤	وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم
١٢٥٠،٣٣٣،٢٠٠	٥٠	يخافون ربهم من فوقهم
١٣٤١،١٢٩٩		
		للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل
١٠٣٠،٤٢٨	٦٠	الأعلى وهو العزيز الحكيم
٤٨٤	٦٢	ويجعلون الله ما يكرهون
		وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي
٣١٧	٦٤	اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
١٠٣٥	٧٥	ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً
١٠٣٥	٧٦	وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم
		والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون
٩٥٧	٧٨	شيئاً
١٢٠٥	٨٣	فإن تولوا، فإنما عليك البلاغ
٣١٧	٨٩	ونزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء
٣٣٤	١٠٢	قل نزله روح القدس من ربك بالحق

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٢٧٦	١٢٥	أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن
سورة الإسراء		
١٥٧١	١٢	وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل . . .
٧٣٦	١٥	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً
١٢٢٦	١٦	وإذا أردنا أن نهلك قرية
٣٧٤	٣٢	ولا تقربوا الزنا
١٥٢٥	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم
٧١٩	٤٠	أفأصفاكم ربكم بالبنين
٤٦٢	٤٢	قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لا بتغوا إلى ذى العرش سبيلاً
١٥١٦	٤٨	انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً
٤٧٨	٥٢، ٤٩	أإذا كنا عظاماً ورفاتاً إنا لمبعوثون خلقاً جديداً
٤٦٢	٥٧	أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
١٥٤٢	٦١	أسجد لمن خلقت طيناً
٢٨٦	٨٢	ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً
١١٤٠، ٤٦٩	٨٨	قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
٧٥٨ ح	٩٢	أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً
١٥٤٢	٩٤	وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً
٦٩٤	١٠١	إني لأظنك يا موسى مسحوراً

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٩٣٨	١١٠	قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى
	١١١	ولم يكن له ولي من الذل
سورة الكهف		
١٢٢٣ ، ١١٢٦	١	الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً
٤٣٤	١٧	وعرضوا على ربك صفاً ولا يظلم ربك أحداً
١٢٤٨	٤٨	سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً
١٠٢١ ، ١٤٤٤	٤٩	
١٧٧	٧٨	
١٧٧	٨٢	
سورة مريم		
٤٢٢	١	كهيعص
٢٤٢	٢٨	يا أخت هارون ما كان أبوك أمراً سوء وناديناها
١٢٢٦ ، ٣٨٧	٥٢	وما ننزل إلا بأمر ربك رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً
	٦٥ ، ٦٤	
١٠٢٧	٦٥	وإن منكم إلا واردها ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً
١٠٥٤	٧١	
١٠٥٤	٧٢	ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً
٣٥٣	٨٣	
٧٣٥	٩٠ ، ٨٩	لقد جتتم شيئاً إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة طه
٢٦١، ٢١٨، ١٩٠	٥	الرحمن على العرش استوى
٤٢٣، ٤٠٥، ٣٣٣		
٦٦٦، ٤٥٠، ٤٤٠		
١٢٤٣، ١٠٣٧، ٧١٣		
١٢٦٢، ١٢٥٣، ١٢٤٥		
١٢٩٧، ١٢٩٤، ١٢٨٤		
١٣٠٤، ١٣٠٣، ١٢٩٩		
١٥٣١، ١٤٠٩		
١٣٩٧، ٩٧٤، ٧٤٥	١٤	إنني أنا الله لا إله إلا أنا
٢٥٩ ح، ٢٤٧، ٢٥٥	٣٩	لتصنع على عيني
٣٣٤		
٩٧٦	٤٠	فنجيناك من الغم وفتناك فتونا
١٢٢٧، ٣٢٣	٤٦	إنني معكما أسمع وأرى
		فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل
٧٧٥	٥٠، ٤٩	شيء خلقه ثم هدى
٦٤٤	٥٠	ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى
١٤٤٤	٥٢	لا يضل ربي ولا ينسى
		ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم
١٢١٢	٦٢	بعذاب وقد خاب من افترى
		فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف
١٤٦٢	٦٩، ٦٧	إنك أنت الأعلى . . .
		فلا تقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف
١٣٨٩	٧١	ولأصلبكم في جذوع النخل
		إنا آمنة بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه
١٣٧٣	٧٣	من السحر والله خير وأبقى
		إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت
٦٩٠	٧٥، ٧٤	فيها ولا يحيى

الآية	رقمها	رقم الصفحة
أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم خيراً ولا نفعاً ولا يحيطون به علماً	٨٩	٩١٥
ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى... علماً قلنا اهبطوا منها جميعاً... ولا يشقى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً	١١٠	١٣٧٢، ١٢٦٣، ٦٦٦
	١١٤	٨٧٧
	١٢٣	٨٤٥
	١٢٤، ١٢٣	١١٢٩، ١١٢٨، ٨٤٥
	١٢٥	١٥٢٦

سورة الأنبياء

لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين	١٧	٤٨١
بل نقذف بالحق على الباطل فندمغه وله من في السموات والأرض ومن عنده فأتوا به على أعين الناس	١٨	٤٨١
أأنت فعلت هذا بأهلنا يا إبراهيم بل فعله كبيرهم هذا وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون	١٩	١٢٩٩
	٦١	٢٥٦
	٦٢	٧١٩
	٦٣	٧١٩
	٧٣	١١٣٢
	٨٧	٧٤٥
	٩٨	٢٢٥
	١٠٥	٦٩٨

سورة الحج

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد	٤، ٣	١٠٨٩، ١٠٨٦
وأن الله يبعث من في القبور	٧	٧١٢

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
ح ١٠٨٦	٨	ولا هدى ولا كتاب منير
٢٧٠	١٠	بما قدمت يداك
		من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا
٦٩٥	١٥	والآخرة
١٣٨	١٩-٢٢	هذان خصمان اختصموا في ربهم
		إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
١٣٨٧	٢٤، ٢٣	جنت تجري من تحتها الأنهار
٢١٢	٢٩	وليطوفوا بالبيت العتيق
١١٣٤	٣١، ٣٠	واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به
٧١٥	٣٧	لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
٦٨٧	٣٩	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
٣٦٥	٦٢	وهو العلي الكبير
١٠٣٦، ١٠٣٥، ٤٦٦	٧٤-٧٣	يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له
١٣٦٣		
١٣٦٣، ٨٧٤	٧٥	الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس

سورة المؤمنون

١٣٧٤	٦	رب العرش العظيم
		أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم
٤٦٩، ٤٥٨	٦٧-٧٠	الأولين
٢٥٣	٧٥	ولو رحناهم وكشفنا ما بهم من ضر
٤٦٣	٩١	ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله

سورة النور

٥٧٢	٣	الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة
٥٦٩	٦	فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله
١٣٧٤	١٦	سبحانك هذا بهتان عظيم

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٥٧٤	٣٢	وأنكحوا الأيامى منكم
١٠٣٣، ٨٥١	٣٥	الله نور السموات والأرض مثل نوره
٧٧٤، ٦٧٧، ٣٣٦	٣٩-٤٠	يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً
١١٥٩، ٨٥٣		
١٣٤٢، ١١٥٩، ١٠٨٠	٤٠	ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور
٧٣٢	٥٤	وما على الرسول إلا البلاغ المبين
		يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت
٥٦٩	٥٨	أيمانكم

سورة الفرقان

		تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
٧٣٥	١	للعالمين نذيراً
٨٩٧	٨، ٧	ما لهذا الرسول يأكل الطعام
٦٩٤	٨	إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً
٦٨٩	١٩	ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً
		ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن
٣٣٠، ٢١٥	٣٣	تفسيراً
١٢٥١	٥٩	ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً
٦٩٠	٦٨	والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر

سورة الشعراء

٧١٥	٨	إن في ذلك لآية
١٢٢٧	١٥	إنا معكم مستمعون
١٥٥٧	٢٣	وما رب العالمين
١٣٩٠	٢٩	لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين
٧١٣	٦٣	أن أضرب بعصاك البحر فانفلق

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة النمل		
		يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ليعظمنكم
٧٧٧	١٨	سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
١٣٧٤	٢٣	ولها عرش عظيم
١٩٤	٢٥	فانظر بم يرجع المرسلون
		قال إذهب بكتابي هذا فالقه إليهم ثم تول
٧١٦	٢٨	عنهم فانظر ماذا يرجعون
١٣٩٦	٣٠	وإنه بسم الله الرحمن الرحيم
		قل: الحمد لله وسلام على عباده الذين
١٣٧٢، ١٢٠٣، ١١١٨	٥٩	اصطفى
٨٩٠	٨٢	وإذا وقع القول
سورة القصص		
١٢٢٧	٦٠٥	ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض
١٩٦، ١٩٥	١٤	ولما بلغ أشده واستوى
١٥٥٧، ١٣٩٠	٣٨	يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري
		وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة
١١٣٣، ٤٠٤	٤١	لا ينصرون
٣٨٧	٤٦	وما كنت بجانب الطور إذ نادينا
١٥٢٦، ١٠٥٢، ١٠٤٧	٥٠	فإن لم يستجيبوا لك
		ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم
١٢٢٦، ١١٣٥، ٣٨٧	٧٥-٧٤	تزعمون
سورة العنكبوت		
١٣٨٣	١٠	فإذا أودى في الله
٦٧٢، ٧٥٥	١٤	فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً
		وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا
٥٥٧	٤٦	وإلهكم واحد

رقمها	رقم الصفحة	الآية
٥١	١٣٥٢، ٨٢٧، ٨٢٦	أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون
٥٢	١٢١٤	
٦٨	١٢١٥	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً
سورة الروم		
٣-١	١٤١٤	آلم، غلبت الروم في أدنى الأرض
٧-٦	٤٤٧	وعد الله لا يخلف الله الميعاد ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون
٢٥-٢٠	١٢٠٢	
٢٧	١٥٩، ٤٢٩، ٩٧٥ ح،	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه
	١٠٣٠	
٤١	٢٥٦	بما كسبت أيدي الناس
٤٧	٧١٥	وكان حقاً علينا نصر المؤمنين
٥٦	٨٧٦	وقال الذين أتوا العلم
سورة لقمان		
٦	٧٠٣	ومن الناس من يشتري لهو الحديث وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها
٧	١٠٩٠	
١١	٤٦٥	هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه
١٢	١٠٥٧ ح	ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله
١٤	٧٥٥	وفصاله في عامين
١٣	١٠٥٧	إن الشرك لظلم عظيم
٢٧	٤٣١	ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة السجدة		
١٥١٧	٢،١	آلم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
١٢٥١	٤	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون
١٤١٨، ١٢٤٤، ٤٠٦	٥	ولو ترى إذا المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم
١٢٤٨	١٢	وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون
١١٣٢، ١٠٧٣، ٤٠٤	٢٤	
سورة الأحزاب		
١٢٢٦، ٣١٧	٤	والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
٢٩٩	٢٢	
٣٩٣	٣٢	يا نساء النبي لستن كأحد من النساء فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها
٦٩٤، ٦٨٧ ح	٣٧	
١٤٨١	٤٣-٤١	يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
١٣٩٩ ح	٤٩	
٦٨٧	٥٠	وإمراًة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
١٤٥٠، ٩٥٢	٥٨/٥٧	
سورة سبأ		
١٤٤٤	٣	لا يعزب عنه مثقال ذرة ويرى الذين أتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق
٨٥٠، ٧٩٢، ١٥٥	٦	
١٢٧٤، ١١٦٩		

الآية	رقمها	رقم الصفحة
وما كان له عليهم من سلطان	٢١	١٥٤٩
قل ادعوا الذين زعمتم	٢٢-٢٣	٤٦١
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له	٢٣	١٤١٤، ح١١٥١
نحن صددناكم عن الهدى	٣٢	٧١٩
قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى		
وفرادى	٤٦	١٢٧٥، ٤٧٢
قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن		
اهتديت فيها يوحى إلي ربي	٥٠	٧٣٤

سورة فاطر

الحمد لله فاطر السماوات والأرض	١	١٤٧٨، ١٢٢٣
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح		
يرفعه	١٠	٦٩٨، ٦٨٦، ٦٦٦
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن	١٠	١٢٩٩، ٦٩٩

سورة يس

يس والقرآن الحكيم	٢٠، ٢١	٢١٣
يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم		
أجراً وهم مهتدون	٢٠، ٢١	٤٩٤
وما لي لا أعبد الذي فطرني	٢٢	٤٩٥
وإليه ترجعون	٢٢	٤٩٦
ألتخذ من دونه آلهة أن يردن الرحمن بضر	٢٣	٤٩٦
إني إذأ لفي ضلال مبين	٢٤	٤٩٧
وآية لهم الأرض الميتة أحييناها	٣٣-٤٤	١٢٠٤
والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز		
العليم	٣٨	١٥٧٤
سلام قولاً من رب رحيم	٥٨	١٣٣٣

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٥٦، ٢٥٤، ٢٤٣	٧١	أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً
٢٧٢، ٢٦٨		
١٣٨٥	٧٧	أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم
١٣٨٦، ٨٩٦، ٤٧٩	٧٨	وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها
٤٧٣	٧٩، ٧٨	أول مرة
٤٧٣	٧٩	قل يحييها الذي أنشأها أول مرة
٤٧٤	٧٩	وهو بكل خلق عليم
٤٧٥	٨٠	الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر
٤٧٦	٨١	على أن يخلق مثلهم
١٢٢٥	٨٢	إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
٤٧٧	٨٣	وإليه ترجعون

سورة الصافات

١٣٧٧	٧، ٦	إننا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
١٥٥٣	٦٥	طلعتها كأنه رؤوس الشياطين
٧١٩	١٥٣	اصطفى البنات على البنين
ح٨٣١	١٥٨	وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً
١٥٣	١٦٠، ١٥٩	سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين
		سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
١٥٣	١٨٢-١٨٠	على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ص

٦٩٨	٢٠	وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
٤٢٥	٢٩	ليدبروا آياته

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٦١ ، ٢٧٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٣١١ ، ٣٣٤ ، ٤٢٢	٧٥	ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
١٥٤٠	٧٩	فانظري إلى يوم يبعثون
١٥٤٠	٨١ ، ٨٠	فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم
٣٢١	٨٢	قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين
١٥٥٢	٨٣ ، ٨٢	فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين
سورة الزمر		
٤٨٢	٤	لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لأصطفى مما يخلق فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
١٥٢٥	١٨ ، ١٧	الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً
٢١٢	٢٣	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل إنك ميت وانهم ميتون
١١٢٧	٢٨	فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون
٥٦٠ ، ٥٢٥	٣٠	والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون
١٢١٥	٣٢	والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين
٦٩٧	٣٤ ، ٣٣	يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم وانبأوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون
٦٨٧	٥٣	أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
١٣٦٢	٥٤	ما فرطت في جنب
١٣٨٣ ، ٢٥٠ ، ٢٤٤	٥٦	
١١٠٠	٥٦	

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٤٩، ٢٤٤	٥٦-٥٩	أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين
١٣٦٢	٥٩	بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها
٤٢٢، ٢٨٤، ٢٨٢	٦٧	وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته
١٣٦٣، ١٣٥٩		
٧٣٦	٧١	وسبق الذين كفروا إلى جهنم زمراً
١٣٠٣	٧٥	وترى الملائكة حافين من حول العرش وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
١٤٩٦، ١٤٧٨	٧٥	
		سورة غافر
٩٠٢، ٧٧٢، ٦٠٥	٥	وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
١١٣٦		
١٥٣١، ٣٣٢	٧	الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
١٤٤٧	١٠	لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده
٣٣٢، ١٥٢	١٥	إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد
٧٦١	٢٦	ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد
٧٦١	٢٩	
١٠٢١	٣١	وما الله يريد ظلماً للعباد
٩٠٢	٣٥، ٣٤	كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب
١١٣٠	٣٥	الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
١٢٤٤	٣٧، ٣٦	يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب
٩٠٢، ٣٧٢	٥٦	إن الذين يجادلون في آيات الله

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١١٣٠، ٣٧٢	٥٦	إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه
٤٧٦، ٤٠٩	٥٧	لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس
١١٣٠	٧٦-٦٩	ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم
٩٠١، ٤٤٧	٨٣	من العلم

سورة فصلت

٧٦٨	٥	وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين
١٥٧٤	١٢-٩	ثم استوى إلى السماء وهي دخان أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة
١٢٥٠	١١	ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعلمون
١٤٤٧	١٥	تنزيل من حكيم حميد
١٣٥٧	٢٣، ٢٢	ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته
٣٣٤	٤٢	قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وما ربك بظلام للعبيد
١٥٠٧	٤٤	سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم
٧٦٧، ٢٨٧	٤٤	
١٠٢١	٤٦	
١٢٨٤، ٧٦٣	٥٣	

سورة الشورى

٤٢٢	٢، ١	حم عسق
١٠٢٨	٦-١	حم عسق كذلك يوحي إليك
١٠٤٢، ٨٢٨، ٥١٥	١٠	وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله
١٥٢٤		
١٠٢٨، ٤٢٩، ٣١١	١١	ليس كمثله شيء
١٥٣٣، ١٣٦٩، ١٠٣٢		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم
٥١٢	١٤	
١٠٤٧	١٥	فلذلك فادع واستقم كما أمرت
		أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله
١٥٢٤	٢١	
٢٧٠	٣٠	فيها كسبت أيديكم
سورة الشورى		
١٣٩٤، ٢٧٠، ١٠٥٦	٣٠	ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم
١٢٤٦	٥١	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً
٨٥٢، ٧٣٤، ١٥٢	٥٢	وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا
١١٢٣، ١٠٦٩		
سورة الزخرف		
١٢٠٣، ١٢٠٢	١٤-٩	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
		وإذ بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم
٤٨٣	١٧-١٨	أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين
٤٨٤	١٨	
١٠٨٢	٢٣	إنا وجدنا آباءنا على أمة
		لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
٨٩٧	٣١	
٧٢١	٤٠	أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي
٧١٩	٤٥	أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
٢٥٣	٥٠	فلما كشفنا عنهم العذاب
		أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين
١٥٤٣	٥٢	
١٤٣٩	٧١	وفيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين
١٤١٧	٨٤	وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله

الآية	رقمها	رقم الصفحة
سورة الدخان		
إن شجرة الزقوم طعام الأثيم	٤٤، ٤٣	٧٠٣
سورة الجاثية		
إن في السماوات والأرض لآيات للموقنين	٦-٣	١٢٠٢
فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون	٦	٧٩٤، ٣١٨
ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة		
ورزقناهم من الطيبات	١٧، ١٦	٥١٢
أفرايت من اتخذ إلهه هواه	٢٣	٨٤٦
وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا	٢٤	٩٧٣، ٨٧٨
إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين	٣٢	٧٣٩
سورة الأحقاف		
قل أرأيتم ما تدعون من دون الله	٤	٤٦٥
ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة	١٢	١١٢٦
ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه كرهاً	١٥	٧٠٧
وحمله وفصاله ثلاثون شهراً	١٥	٧٥، ٥٢٣
ولقد مكناهم في ما إن مكناكم فيه	٢٦	٤٥٧
أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض		
ولم يعي بخلقهن	٣٣	٤٧٦
سورة محمد		
ومنهم من يستمع إليك	١٦	٧٩١
فاعلم أنه لا إله إلا الله	١٩	٧٤٠
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤	٤٥٨
إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين		
لهم الهدى	٢٦، ٢٥	١٣٩٢
ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله	٢٨	١٤٦٣

رقم الصفحة	رقمها	الآية
------------	-------	-------

سورة الفتح

		ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار
١٣٥٧	٦،٥	يد الله فوق أيديهم
١١٠٠	١٠	يريدون أن يبدلوا كلام الله
ح١٤٥٠	١٥	لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين
٥٠٧،١٨٣	٢٧	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار
٧٠٧،٦٩٩	٢٩	

سورة الحجرات

	٢-١	يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
١٠٠٣	١٣	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
		قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
١١٨٦	١٤	أسلمنا
١١٨٦،١١٦٩	١٥	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة ق

١٥١٦	٥	بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج
		إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
٤٥٩	٣٧	السمع وهو شهيد
١٤٤٤،١٠٢١	٣٨	وما مسنا من لغوب
٢٦٥	٤٣	إننا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير

سورة الذاريات

		والذاريات ذروا فالخاملات وقرا فالجاريات
١٤٣٠	١١-١	يسرا فالمقسمات أمرا
١٥١٦	٩،٨	إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك
١٤٣١	١٠	قتل الخراصون
٨٧٨	١١، ١٠	قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون

الآية	رقمها	رقم الصفحة
وفي أنفسكم أفلا تبصرون	٢١	١٥٦٦
فورب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون	٢٣	٧٧٥
فتول عنهم فما أنت بملوم	٥٤	٧٣٣
إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين	٥٨	ح ١٤٥٢، ١٣٨١، ٣٢١
فإن للذين ظلموا ذنوباً	٥٩	ح ١٣٦٤

سورة الطور

والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان	٢١	٣٩٢، ٣٩١
أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين	٣٤، ٣٣	٤٦٨
أم خلقوا من غير شيء، أم هم الخالقون	٣٦، ٣٥	٤٩٤، ٤٩٣
واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا	٤٨	٢٥٤

سورة النجم

والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى	٢، ١	١٢١١
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى	٤، ٣	١٠٥٤
علمه شديد القوى ذو مرة	٦، ٥	١٣٧٧
ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى	١٢-٨	١٢٥١
قسمة ضيزى		٧٤٩
أن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس	٢٣	٨٤٦، ٨٤٤، ٧٣٩
		١٢١٠، ١٠٨٩
وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً	٢٨	٨٧٨، ٨٤٤، ٧٣٩
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا	٢٩	٨٤٤

سورة القمر

تجري بأعيننا	١٤	٢٥٥، ٢٥٤، ٢٤٣
		٢٦٢، ٢٦٠

الآية	رقمها	رقم الصفحة
أبشرا منا واحداً نتبعه	٢٤	٧٢١
إن المجرمين في ضلال وسعر	٤٧	١١٢٩
يوم يسحبون في النار على وجوههم	٤٩، ٤٨	١٣٨٦

سورة الرحمن

الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان	رقمها	رقم الصفحة
الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان	٤-١	٧٧٦، ٦٤١، ٣٤٣
مرج البحرين يلتقيان	١٩	٦٩٦
بينهما برزخ لا يبغيان	٢٠	٦٩٦
يخرج منها اللؤلؤ والمرجان	٢٢	٦٩٦
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام	٢٧	٢٦١
يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن	٢٩	١٣٠٦، ١٢٢٧
فيهن خيرات حسان	٧٠	١٣٧٧

سورة الحديد

وهو معكم أينما كنتم خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش	رقمها	رقم الصفحة
وهو معكم أينما كنتم خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش	٤	١٥٣١، ١٢٨٤
انظرونا نقتبس من نوركم	١٣	١٢٩٩
والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون	١٩	٩٤
أعجب الكفار	٢٠	٧٠٦
		٦٩٥

سورة المجادلة

قد سمع الله قول التي تجادلك فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم	رقمها	رقم الصفحة
قد سمع الله قول التي تجادلك فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم	١	٩١٠، ٣٩٠، ٣١١
		١٢٢٧
	٤	٦٧١
	٧	١٢٨٩، ح١٢٤

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الحشر
١٤١١	١٩	ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم
		سورة الجمعة
٨٧٩	٢	هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم
١٤٨٠	١٠	واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون
		سورة المنافقون
		وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا
٧٠٢، ٦٧٢	٤	تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة
٥٠١	٧	ولكن المنافقين لا يفقهون
١٤٨٠	٩	يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم
		سورة التغابن
١٥٤٢	٦	أبشر يهودنا
		سورة الطلاق
٦٣٠	١	يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن
٧٥٦	٢	فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف
١٣٦١	٣	قد جعل الله لكل شيء قدراً
٧٥٦	٦	اسكنوهن من حيث سكتن من وجدكم
١٢٨٥	١٢	أحاط بكل شيء علماً
		سورة التحريم
٢٦٦	٤	فقد صغت قلوبكما
٢٤٦	١٢	وصدقت بكلمات ربها وكتابه

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الملك
٢٦٨،٢٥٥،٢٤٦	١	بيده الملك الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . . .
١٥٦٧	٤،٣	ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير
ح١٣٧٧	٦	لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير
٧٣٦	٩،٨	لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير
١٥٣٦،١١٣٩،٤٩٨	١٠	وأسرو قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور
٧٣٦	١١،١٠	ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير أم أمتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض أم أمتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً
٤٩١	١٣	
٩١٤،٤٩١	١٤	
١٢٤٤،٤٠٦،٣٣٤	١٦	
١٢٥٣		
١٤١٨،١٢٩٩	١٧	
		سورة القلم
١٣٧٤	٤	وإنك لعلى خلق عظيم ولا تطع كل حلاف مهين همام مشاء بنميم يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود
٧٠٣	١١،١٠	
٢٥٢،٢٤٤	٤٢	
		سورة الحاقة
٤٠٦	١٧	ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية

الآية	رقمها	رقم الصفحة
يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية	١٨	١٠٥٣
فسبح باسم ربك العظيم	٥٢	١٣٦٥
سورة المعارج		
ذي المعارج	٣	١٢٩٩
تعرج الملائكة والروح إليه	٤	١٢٥٠، ٤٠٦، ٣٣٣
سورة نوح		
وجعل القمر فيهن نوراً	١٦	١٢٤٤
سورة الجن		
إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد	١-٢	٨٤٩
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد	٢٦، ٢٧	٨٧٤
وأحصى كل شيء عدداً	٢٨	١٢٨٥
سورة المدثر		
كلا والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر	٣٢-٣٤	٧٥٦
كلا إنه تذكرة	٥٤-٥٦	٣٩٤
سورة القيامة		
أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه	٣	٧٢٠
وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة	٢٢-٢٣	١٨٩ ح، ١٩٣، ١٩٧ ح
إلى ربها ناظره	٢٣	١٣٧٦، ٣٣٤
فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى	٣١، ٣٢	٣٨٦
أيحسب الإنسان أن يترك سدى	٣٦-٤٠	٧٠٣
		٤٨٠

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة الإنسان		
٧٠٦	٨-٥	إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً
١٣٧٦	١١	ولقاهم نضرة وسروراً
١٣٧٦	٢١	وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً
٣٩٤	٣٠	إن الله كان عليماً حكيماً
سورة المرسلات		
٣٢٣	٢٣	فقدرنا فنعم القادرون
ح١٠٠٤	٢٦، ٢٥	ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً
سورة النبأ		
١٢٠٥	١٦-٦	ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً
سورة النازعات		
٣٨٧	١٦	إذ ناداه ربه بالوادي المقدس
١٤٥٧	٤٠	ونهى النفس عن الهوى
سورة عبس		
١٢٠٥	٣١-٢٤	فلينظر الإنسان إلى طعامه
سورة التكويد		
٧٤٩	١٧	والليل إذا عسعس
٧٥٦	١٧-١٨	والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس
ح٣٩٤، ٣٩٣	٢٨	لمن شاء منكم أن يستقيم
٣٩٤	٢٩	وما تشاءون إلا أن يشاء الله

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٩٤٤،٦٧٦	٨	سورة الانفطار في أي صورة ما شاء ربك
٧٠٣	٢٩	سورة المطففين إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون
١٠٥٣	٨٠٧	سورة الانشقاق فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب
١٣٨٢	١٥،١٤	سورة البروج وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد
١٢٢٦	١٦	فعال لما يريد
١٢٠٥	٧-٥	سورة الطارق فلينظر الإنسان من خلق
٣٠٨ ح	٩	يوم تبلى السرائر
٨٦١	١٦-١٥	إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً
١٣٦٥،٣٣٣	١	سورة الأعلى سبح اسم ربك الأعلى
٦٤٤،٥٠٣،٤٠١	٣-١	سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى
٧٧٥		
١٥٦٦	١٧	سورة الغاشية أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت

الآية	رقمها	رقم الصفحة
وجاء ربك والملك صفاً صفاً	سورة الفجر ٢٢	١٢٥١، ١٢٢٦، ٧١١
ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين	سورة البلد ١٠-٨	٩١٥، ٧٧٦، ٣٤٣
ولا يخاف عقباها	سورة الشمس ١٥	١٤٤٤
وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى	سورة الليل ٢٠-١٩	٩٧٥ ح
ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى	سورة الضحى ٧، ٦	٧٣٤
اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم	سورة العلق ٥-٣	٧٧٦
علم الإنسان ما لم يعلم	٥	٦٤١
وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة	سورة البينة ٤	٥١٣
ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره	سورة الزلزلة ٨، ٧	٦٩٠

الآية	رقمها	رقم الصفحة
	سورة العاديات	
إذا بعث ما في القبور وحصل ما في الصدور	٩-١٠	١١٣٩
	سورة التكاثر	
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم	٨	٦٩٩
	سورة الماعون	
ويعنون الماعون	٧	٦٩٩
	سورة الكوثر	
فصل لربك وانحر	٢	٦٩٥
	سورة الكافرون	
قل يا أيها الكافرون	١	٤٠٢
	سورة النصر	
إذا جاء نصر الله والفتح	١	٥٠٩
فسبح بحمد ربك واستغفره	٣	١٨٦
	سورة المسد	
تبت يدا أبي لهب . . إلى آخرها	١-٥	٧٤٦
	سورة الإخلاص	
قل هو الله أحد	١	٤٠٢، ٣٣٢، ٣١١، ١٤٢٦، ١٤٠٠، ٧٤٦
		١٥٣١
لم يلد ولم يولد	٣	١٤٤٤
ولم يكن له كفواً أحد	٤	١٤٤٤

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سورة الناس
٧٤٥	٣-١	قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس
٧٤٥	٤	الوسواس الخناس
٧٤٥	٥	صدور الناس

* * *

(٢)

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

رقم الصفحة

(أ)

١٥٣٧	آية تقرأونها في كتابكم لو علينا أنزلت معشر اليهود
١٠٥٨	أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم
٦٠٥	أتريدون أن تكوني مثل هاروت وماروت؟
١٣٦٥	اجعلوها في ركوعكم
١٣٠٢	احذر من المريسي وأصحابه فإن كلامهم أبو جاد الزندقة
٥٣٨	احلتها آية وحرمتها آية
١٤٤٢	اخبرني عنها بلغتكم وفسرها لي بلغتنا
٢١٨	إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات كجر السلسلة
٥٠٩	إذا جاء نصر الله والفتح «انها إعلام لرسول الله»
١٠٤٩	إذا أخفيت السنة ظهرت الأهواء
١٤٥٥	إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادياً يا أهل الجنة
٢٦٥	إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه
٥٥٩	إذا صح الحديث، فأعلمني
٦٢١	إذا قال أنت طالق ثلاثاً بفهم واحد فهي واحدة
١٤٧٣	إذا قال العبد: «لا إله إلا الله والله أكبر»
١٤١٣	إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها
٦٣١	أرأيت إن عجز أو استحتمق
١١٥١	استماعه وأذنه لحسن الصوت إذا تلا كلامه
٩٢٣	الاستواء معلوم والكيف مجهول

١٣٠٤	الاستواء معلوم والكيف غير معقول
١٣٧٥	أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يدا
٣٢٢	أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق
١٤١٥	أصدق الحديث كلام الله
٢٧١	اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده
٩٨٥ ، ٩٤٢	أعوذ برضاك من سخطك
١٠٦٣	أفرسول الله ﷺ أحق أن تتبعوا أم عمر
١٤٧٩	أفضل الدعاء الحمد
٥٩٢	أقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية
٨٣٤	اقض بما في كتاب الله
٥٢٧	الهاني الصفق بالأسواق
١٤٧٢	أما أن ربك تعالى يحب المدح
٥٠٨	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
٥٤٦	أمر الذي شك في صلته
٥٢٣	أمر رضي الله عنه برجم امرأة ولدت لسته أشهر
٥٩٢ ، ٥٩١	الأمر المجمع عليه أن يبدأ المدعون بالإيمان في القسامة
١٤٤١	أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود
٥٥٠	امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله
١٤١٢	الأرجل يحملني إلى قومه
٦٢٠	ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ
٥٤١	اكتب إليّ بما سمعته من رسول الله
٥٧١	ألا أخبركم ما التيس المستعار
١٤٨٤	ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها
٦٥١	أنا أفصح العرب بيد أي من قریش
٥٢٧ ، ٣٠٠	إن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق
٢٥١	أنا العاقب الذي يحشر الناس على قدمي
١٤٨٦	أنا عند ظن عبدي بي
١٤٥٩	أنا عند ظن عبدي بي

٢٨٣	أنا الله أنا الرحمن
١٣٩٨	أنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية
١٤٨٤	أنا مع عبدي إذا هو ذكري
٨٨٦	أن بطنه شق من ثغرة نحره إلى أسفله
٨٨٧	أن بقرة تكلمت
٤٤٥	أنتم أعلمم بدنياكم
١٣٩٥	أنتم شهداء الله في الأرض
٥٨٥	أنت ومالك لأبيك
٨٨٧	إن ذيباً تكلم
٨٨٦	أن جذعاً حن حنين الناقة العشار إلى ولدها إليه
٨٨٥	أن جماعة كبيرة شبت من بردة بقدر جسم القطاة
١٤٠	أن الجهمية هم المشبهة
٨٨٦	أن الحصى يسبح في كفه وكف بعض أصحابه تسيحاً يسمعه الحاضرون
٩٧٦	أن حجراً مربعاً يحمل مع قوم يضرب بعضا
١٠٦٠	إن الحياء خير كله
٢٥٨	إن ربكم ليس بأعور
٩٨٦	إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله
٥٥١	أن رسول الله ﷺ أفتاها حين وضعت حملها
١٨٧	أن رسول الله ﷺ إنما رخص للمهاجر بعد قضاء نسكه ثلاثاً
٣٠١	إن روح القدس معك ما دمت تنافع عن رسول الله
٤٣١	أن السموات السبع في الكرسي كحلقة ملقاة بأرض فلاة
١٤٨٣	إن شرائع الإسلام قد كثرت علي
٨٨٧	أن شجرتين دعاها فأقبلتا
٨٩٠ - ٨٨٩	أن الشمس تطلع من مغربها
١٤١٥	انطلقوا إلى موسى فإن الله كلمه تكليماً
٥٠٨	إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده
١٤٨١	إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه
٥٦٠	أن علياً ذكّر الزبير يوم الجمل شيئاً

- ٥٠٤ إن في المعارض لمدوحة عن الكذب
 ١٥١ إنك ستأتي قوماً أهل كتاب
 ١٨٩ إنكم ترون ربكم عياناً
 ٥٠٢ إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة
 ٢٧٨ إن الله أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم
 ١٤١٦ إن الله اصطفى موسى بكلامه وبرسالته
 ١٤١٧ إن الله تعالى فوق عرشه
 ١٤٥٨ إن الله جميل يحب الجمال
 ١٤١٩ إن الله حيي كريم
 ٢٧٩ إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض
 ٢٧٤ إن الله خلق ثلاثة أشياء بيده
 ٢٨٠ إن الله خمر طينة آدم أربعين ليلة
 ١٣٠٢ إن الله سبحانه وصف نفسه في كتابه بصفات استغنى الخلق أن يصفوه بغيرها
 ١٤٥٨ إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً
 ١٤١٧ إن الله عز وجل عرشه فوق سمواته مثل القبة
 ١٩٢ إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .
 ١٢٤٧ إن الله ما كلم أحداً إلا من وراء حجاب وأنه أحيا أباك وكلمه كفاحاً
 ٨٣٠ إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق خيلاً فأجراها
 ٢٧٠ إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً
 ١٤٩٩ إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن
 ١٤٩٩ إن الله لا يستحي من الحق
 ١٠٨٢ أن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام
 ١٤٥٨ إن الله نظيف يحب النظافة
 ١٤٥٨ إن الله وتر يحب الوتر
 ١٠٠٣ إن الله وضع عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء
 ٢٨١ إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمي أربعمئة ألف
 ٢٧٥ إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
 ١٤١٣ إن الله يحشر العباد يوم القيامة فيناديهم بصوت

٩٣٧	إن المشركين قالوا . . . يدعون آلهة متعددة
٢٦٩	إن الملائكة قالوا يا رب خلقت بني آدم يأكلون ويشربون
١١٢	إن من البيان لسحراً
١٥٠٠	أن موسى كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته
١٠٦٩	إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه
٨٤٧	إنها ستكون فتنة
١٠٤١	إنهم أعداء السنن
ح٢٤٢	إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم
٨٨٥	أنه وضع يده في ماء لأوارها
٤٣٢	أنه يضع السموات على اصبع
ح٢١٠	أن وسادك إذا لعريض
١٤٥٩	إني عليم أحب كل عليم
٥٥٠	أهدي له مرة صيد كان قد صيد لأجله، وهو محرم
٣٠١	أهجم أو هاجم وجبريل معك
٩٠٣	أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل
٢٨٢	أول شيء خلقه الله القلم
٢٧٣	أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي
٦٧٣	إياكم والحدث في الإسلام
ح٢١١	أيؤذيك هوامك
٢٧٥	الأيدي ثلاثة فيد الله العليا
١٣٤٥	أي سماء تظلني
١٩٨	أيما امرأة أنكحت نفسها
٦٢٨	أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم
٣١٢	أين الله قالت في السماء؟
١٠٧١	أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم

(ب)

٢٨٥	بسم الله هذا كتاب الله بيده لعبده موسى
١٤٩٢	بشرا ولا تنفرا
١٤٩٣	بشروا ولا تنفروا
٨٨٩	بشر ينزل من السماء بين ملكين واضعا يديه على مناكبها
٧٦٧	بعيد من قلوبهم فهم مما يتلى عليهم
١٠٤٠	بلغوا عني ولو آية
١٢٨	بماذا نعرف ربنا
١٤٧٩	بيده لواء الحمد
١٣٣٢	بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور

(ت)

٥١١	تبيض وجوه أهل السنة والاتلاف
١٥٨	تركتم على البيضاء ليلها كنهارها
٧٧٩	تسبيح الطعام مع رسول الله
٧٧٨	تسليم الحجر عليه ﷺ
١٢٤٨	تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله
١٨٤	تقتلك الفئة الباغية
١٤١٤	تقرب إلى الله ما استطعت
	تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في
٨٤٥	الدنيا ولا يشقى في الآخرة
٢٧٤	تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة
١٤٩١	تلك عاجل بشرى المؤمن
٣٨٦	تنظرون إلى ربكم
٥٤٤	تورث المرأة من دية زوجها

(ح)

٣٦٢	حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم
-----	---

١٨٧	حتى يضع رب العزة عليها رجله
٣٢٢	حجابه النور
١٥٢٧	حديث قتادة بن النعمان في الاستسقاء
٥٣٣	حكم إجلاء أهل الذمة من بلاد العرب
٥٤٥	حكم الطاعون
٩٣٦	همدني عبدي
١٤٩٥	الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
٣٢٣	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات

(خ)

١٤١٤	خرج أبو بكر يصيح كلام ربي
١٢٩٩	خلاقة الصديق حق قضائها الله فوق سماواته
٢٧٧	خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه
٢٧٤	خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده
١٣٧٧	خيرات الأخلاق حسان الوجوه
٥٦٦	الخيط الأبيض، والأسود الخيطين المعروفين

(د)

٨٩٠	دابة تشق عنها الأرض
٥٤٣	دخلت أنا وأبو بكر وعمر
١٨٢	دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء
٥٤٧	دية الأصابع أنها مختلفة بحسب منافعها

(ذ)

١٠٥٧	ذلك الشرك
------	-----------

(ر)

١٤٧٥	ربنا ولك الحمد ملء السموات، وملء الأرض
ح٥٤٧	الرياح من روح الله

(س)

- ٥٦٨ سئل أبو بكر عن الكلاله
٢٨١ سألت ابن أبي مليكة عن يد الله
٨٩٥ سبب نزول قوله تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم...﴾ الآية
١٣٨١ سبحان ذي الجبروت والملكوت
١٧٧ سبحانك اللهم ربنا وبحمدك
١٤٧٧ سبحان الله عدد خلقه
١٤٨٣ سبق المفردون
٤١٦ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة
١٤٧٦ سل تعطه سل تعطه
٢٠٦ السنة تأويل الأمر والنهي
٥٤٥ سنوهم سنة أهل الكتاب
٨٨٥ سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية
٩١٢ سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن

(ش)

- ١٤٥٠ شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك
١٤٣٠ شعره حبك

(ص)

- ٢٥٠ صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً
١٠٢٥ الصمد السيد الذي كمل سؤده

(ض)

- ح ١٠٤٥ ضحك تعجباً وتصديقاً له

(ط)

- ٦٢٩ طلق ابن عمر امرأته وهي حائض

٦٢٥ طلق ركانة بن عبد يزيد أخو المطلب امرأته ثلاثاً
٥٤٨ طيبت رسول الله ﷺ لحرمة قبل أن يحرم

(ع)

٣١٣ عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر على شطر ما يخرج منها
١١٣٥ عدلت شهادة الزور الإشراف بالله مرتين أو ثلاثاً
١٤١٧ العرش على الماء والله فوق العرش
٩٢٤ عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته
١٤١٢ عطائي كلام وعذابي كلام
١٢٦٦ علماء الكلام زنادقة
١٢١١ عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي

(ف)

١٤١٤ فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه
١٠٦١ الفضة بالفضة إلا هاء وهاء
٥٩٣ فقضى بالدية على السعديين
٥٦٩ فلما أقر أربع مرات رحمه رسول الله ﷺ
١٥٩ فلم يدع شيئاً كان ولا يكون من خلق آدم إلى قيام الساعة
٦٩٠ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره سماها النبي ﷺ (جامعة فاذة)
١٢٩٤ فهو فوق سماواته على عرشه
١٣٤٥ في أمتي محدثون وملهمون وعمر منهم
٢٥٢ فيكشف الرب عن ساقه

(ق)

٢٥٦ قام بين عيني الرحمن
١٥٩ قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، فذكر بدء الخلق
٨٨٦ قبض قبضة من تراب
٥٤٠ قد رحل أبو أيوب من المدينة إلى مصر

٣٠٦	قصة الخوارج
٥٦٧	القطع من الكوع من آية السرقة
١٠٣٩	قل من نظر في الكلام إلا وفي قلبه غل على الإسلام

(ك)

٦٦١	كان أبو بكر أعلمنا به
٩١١	كان اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين، آية الكرسي وفاتحة آل عمران
٥٣١	كان توريث بنت الابن مع البنت عند ابن مسعود
	كان حكم الإذن للحائض في أن تنفر قبل أن تطوف عند
٥٣٢	ابن عباس وأم سليم
٥٣٢	كان حكم الصرف عند عمر وأبي سعيد وغيرهما
٥٣٢	كان حكم المتعة والحمر الأهلية عند علي وغيره
٥٣٠	كان حكم المسح على الخفين عند علي وحذيفة
١٤٩٩	كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها
١١٠٩	كان رسول الله ﷺ يتحدث مع أبي بكر وكنت كالزنجي بينهما
١٣٨٦	كان المشركون يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر
١٥٠٠	كان النبي ﷺ إذا غضب لم يقم لغضبه
٤٠١	كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر
٥٤٩	كان يأمر لابس الخف أن يمسخ عليه إلى أن يخلعه
٤٠٢	كان يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الطواف
٤٠١	كان يقرأ بهاتين السورتين في سنة المغرب
١٤١٤	كانت أسماء بنت أبي بكر إذا سمعت القرآن قالت كلام ربي كلام ربي
١٠٠٤	كان يمر بنا الشهر والشهران ما يوقد في بيوتنا نار
٦٥٦	كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يتجاوزوها
٢٤٨	الكذب مجانب للإيمان
٨٢٧	كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتاباً غير كتابهم
٥٢٢	كل أحد أعلم منك حتى النساء
١٤٧٨	كل أمر ذي بال

١٣٠٤	كلام الجهمية أوله غسل وآخره سم
٦٢٧	كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد
١٤١٨	كم تعبد اليوم
٥٠٥	كفى الله سبحانه عن الجماع بالدخول وبالمس واللمس والإفشاء
١٤٦٠	كيف تقول بفرح عبد إذا انفلتت منه راحلته
(ل)	
١٤٥٠	لا أحد أصبر على أذى من الله
١٤٧٣	لا أحد أغير من الله
٩٨٣	لا أحصي ثناء عليك
٥٨٣	لا أعلم أحداً أجاز شهادة العبد
١٤٦٣	لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك
١٢٦٤	لئن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من أن يبتلى بالكلام
١٢٧٠	لا يجوز شهادة أهل الأهواء والبدع
٣١٣	لا تحرم المصة والمضتان
٣١١	لا تفضلوني على يونس بن متى
١٠٦٠	لا تمنعوا إماء الله مساجد الله
١٣٠٣	لا تنكحوا إليهم ولا تنكحوهم
٥٧٦	لا صلاة لفذ خلف الصف
٥٧٥	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
٥٧٥	لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل
٥٦٣	لا طلاق، ولا عتاق، في إغلاق
١٠٠٤، ١٠٠٣	لا فضل لعربي على عجمي
٥٠٧	لا، والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبداً
٥٣٠	لا يتيمم الجنب ولو لم يجد الماء شهرين
٢٤٩، ٢٤٨	لا يجوز من الكذب جد ولا هزل
١٠٥٣	لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة
١٠٦٢	لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم

- ١٠٤١ لا يسأل أحدكم عن نفسه غير القرآن
 ١٥٣٤ لا يقال أين لم أين الأين
 ٦٧٤ لا يقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ
 ١٥٠٥ لا يكون الطعانون واللعانون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة
 ١٥٠٥ لبيك اللهم لبيك وسعديك
 ٢٧٥ لبيك وسعديك والخير كله في يديك
 ١٥٤٥ لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القذة بالقذة
 ٣٣٥ لحم جهل غث على رأس جبل وعر
 ١٤٨٥ الذين يذكرون من جلال الله التحميد والتسبيح
 ٦٧٣ لعن الله من أحدث حدثاً وأوى محدثاً
 ١٥٩ لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقبل جناحيه
 ١٤٦٠ الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط على بعيره
 ٢٠٣ الله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم أضل راحلته
 ١٤٦١ لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد
 ١٢٩٧ الله في السماء وعلمه في كل مكان
 ٢٥٩ اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام
 ١٤٧٦ اللهم اغفر لي وارحمني
 ١٤٥٨ اللهم إنك عفوتحب العفو
 ٣٧٦ اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
 ٩١٢ اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت المنان
 ٩١٣، ٩١٢ اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد
 ٣٢٢ اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك
 ٣٠١ اللهم أيده بروح القدس
 ٥١٦ اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل
 ١٣٨٧ اللهم لك أسلمت وبك آمنت
 ١٤٧٧ اللهم لك الحمد حتى ترضى
 ١٠٨٢، ١٠٨١ اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وببيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله
 ١٤٧٧ اللهم لك الحمد حمداً يشرق له وجهك

١٤١٢	لما أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة
٢٧٩	لما خلق الله آدم نفضه نفض المزود
٢٧٧	لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس
٩٧٥	لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش
١٤١٥	لما كلم الله موسى كان النداء في السماء وكان الله في السماء
ح/٢٤١	لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون
١٣٩٣	لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي
١٤٥٤	لو علم محمد بن إدريس أنه لا يرى ربه في الآخرة، لما عبده في الدنيا
١٢٦٥	لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء
١٩٣	لولا يدللك عندي لم أجرك بها
١٤٦٩	لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
١٥٣٨	لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً
١٠٤٠	ليبلغ الشاهد الغائب
٤٢٨	ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء
١٣٩٦	ليس هؤلاء من أهل التوحيد

(م)

٩٢٥	ما ابتدع قوم بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها
١٤٧٧	ما أحد أحب إليه المدح
٩١٣	ما أصاب عبد قط هم ولا حزن
٧٢٢	ما أنا بزبان ولا أمني بزانية
٩٢٥، ٩٢٤	ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم ما أراد بها
١٨٥	ما بال عائشة تتم قال تأولت كما تأول عثمان
١٥٨	ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم
٢٨٠	ما تصدق أحد بصدقة من طيب
٢٨٢	ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيها في كف الرحمن
١٤٨٨	ما عادى عبده أشد عليه من أن يكره ذكره وذكر من يذكره
١٤٨٦	ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر

- ١٤٨٤ ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله
 ٩٢٤ ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيما نزلت
 ١٤١٦، ١٩٧ ما منكم إلا من سيكلمه ربه
 ٥٣٨ مال ابن عمر إلى تحريم نساء أهل الكتاب جملة
 ٩٢٥ ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء إلا وعلمه في القرآن
 ١٠٢٢ مثل السوء العذاب والنار
 ٩٥١، ٩٥٠ مثل النبي ﷺ لابن آدم أمله وأجله
 ٥٦٦ المسح إلى الكوع
 ٥٦٧ مسح الجميع
 ٢٨٤ مطوية يمينه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة
 ٥٨٤ المعتق بعضه لا يرث
 ٥٥٢ المفوضة، إذا مات عنها زوجها، فلا مهر لها
 ٥٩١ المقتول بخبير لم يدع على أحد
 ٢٧٦ المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور
 ١٤٩٨ من استرضى فلم يرضى فهو جبار
 ١٤١٨ من أيام السنة
 ١٤٦٠ من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً
 ١٤١٠ من زعم أن الله لم يكلم موسى فإنه يستتاب
 ١٢٦٤ من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب غرائب الحديث كذب
 ١٣٩٧ من قال إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدي مخلوق فقد كفر
 ١٤٨٥ من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله
 ١٤٨٦ من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة
 ١٤٨٢ من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة
 ١٣٩٧ من قال القرآن مخلوق زندق
 ١٢٩٧ من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر
 ٢٤٩ من كان كاذباً فهو منافق
 ١١١٨ من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات
 ١٤١٠ من كذب بهذا فقد برىء من الله ورسوله

٧٣٧	من الله البيان، وعلى الرسول البلاغ
٥٠٤	ممن أنتم؟ فقال: «نحن من ماء»
١٠٥٣	من نوقش الحساب عذب
٥٠٤	من هذا معك؟ فقال: «هاد يهديني»
٥٠١	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
٥٤٤	ميراث الجدة

(ن)

١٥٣٧	نزلت على النبي ﷺ وهو بعرفات
١٥٣٧	نزلت هذه الآية على رسول الله وهو واقف عشية عرفة
٨٣١، ٨٣٠	نزوله عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان
١٥٠	نظر الجبار جل جلاله إليهم فمقتهم عربهم وعجمهم
١٠٤٢	نصر الله امرأً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه
١٤١٥	نعم مكلم

(هـ)

١٣٤٨	هذا رجل سوء
١٥٢٨	هذا وأشباهه مما يمنعنا أن نتحدث عن النبي ﷺ
٥٠٤	هذه اختي
٥٠٨	أقال لك انك تأتيه العام
١٠٥٥	هل قلت لك انك تدخله العام
١٢٧١	هلك المنتظعون، هلك المنتظعون
١٢٩٥	هم شر قولاً من اليهود والنصارى
١٠٣٢	هو الإخلاص والتوحيد
١٤٩٢	هي الرؤيا الصالحة

(و)

٥٢٥، ٥٢٤	وأعرض عن الجاهلين «فأمسك عمر»
١٨١	ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ينزل عليه القرآن

١٠٥٤	ورود المتقين غير ورود الظالمين
٣٩٦	وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه
١٠٦٤	وضع إصبعه على طرف خنصره فساخ الجبل
٣٠٢	والذي نفسي بيده هو أشد فيهم من النبل
١٠٣٨	ولشأنى كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحى يتلى
١٣٨٣	ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد
١٤٦١	ولله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في الفلاة
٥٢٥	والله ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت
١٤٧٣	وليس أحد أحب إليه العذر من الله

(ي)

٢٧٠	يا آدم أنت أبو البشر
١٠٥٦ ، ١٠٥٥	يا أبا بكر ألسنت تنصب؟
١٤٨٢	يا أيها الناس إن الله سرايا من الملائكة
٢٨٤	ياخذ الله سماواته وأرضيه بيده فيقول أنا الله
١٤٦٨	يا رب هلا ساويت بين عبادك
١٣٩٤	يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم
١٣٧٩ ، ١٣٧٨	يا عدي ما يضرّك أن تقول لا إله إلا الله
١٣٤٣	يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله
١٤١٨	يعبد في السماء ويعبد في الأرض
٣١٢ ، ٢٧٢	يقبض الله السماوات بيده اليمنى
٢٨٢	يقبض الله عليها فيرى طرفها في يده
٤٠٢	يقراً بالآيتين في سنة الفجر
٢٧٣ ، ٢٧٢	يمين الله ملأى لا يفيضها نفقة
١٣٨٦	ينادي مناد يوم القيامة إلا ليقم خصماء الله فيذهب بهم في النار
٣٨٧	ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول
١٤٥٠	يؤذيني ابن آدم يسب الدهر
١٠٦٣	يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء

* * *

(٣)

فهرس الأعلام المترجم لهم في الحاشية

رقم الصفحة

(أ)

٢٥٩	إبراهيم بن أدهم
٥٨٨	إبراهيم بن خالد (أبو ثور)
١٤٥٤	إبراهيم بن إسماعيل بن عليّة
٧٨٦	إبراهيم بن سيار بن هاني (النظام)
٥٩٦	إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (أبو إسحاق الإسفراييني)
٢٥٧	إبراهيم بن يزيد الخوزي
٥٥٨	إبراهيم بن يزيد بن قيس (النخعي)
٧٠١	أبي بن خلف
٦١٢	أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن (القرافي)
١٢٨٦	أحمد بن إسحاق بن المقتدر (القادر بالله)
٥٨١	أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر (البيهقي)
١١٢١	أحمد بن أبي دواد القاضي
١٣١٦	أحمد بن عبدالرحمن (القلانسي)
١٢٨٥	أحمد بن عبدالله بن إسحاق (أبو نعيم الأصبهاني)
١٤١٩	أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (الخطيب)
١١٢٠	أحمد بن علي بن قيس بن المختار (ابن وخشية)
١١٩٦	أحمد بن محمد بن إبراهيم (الخطابي)
٦١١	أحمد بن محمد بن أحمد (القدوري)
٥٩٧	أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي

١٢٨٤	أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى (الظلمنكي)
٦٢١	أحمد بن محمد بن مغيث الصدي
١٢٩٤	أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال
٣٧٩	أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي
٦١٠	أحمد بن يحيى بن عبدالعزيز البغدادي
٦٤٨	الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي
٧٨٣	أرسطو طاليس
٢٨٣	أسامة بن زيد
٥٩٥	إسحاق بن إبراهيم (ابن راهويه)
٢٥٧	إسحاق بن سليمان الرازي
٦١٧	إسحاق بن منصور بن بهرام (بالكوسج)
٧٨٥	الإسكندر بن فيلبس
٦٢٦	إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم (ابن عليّة)
٥٩٨	إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني
٦٠٤	أشعث بن عبد الملك الحمراي
٦١٤	أشهب بن عبدالعزيز بن داود
٥٤٤	أشيم الضبابي
٧٨٤	أفلاطون
٧٨٤	أنباد قليس
٦٢٦	أيوب بن أبي تيممة كيسان السخيتاني
١٠٠٠	بشار بن برد العقيلي
٧٨٦	بشر بن غياث (المريسي)
٥٥٢	بروع بنت واشق الرواسية
٨١٧	بطليموس
٨٩١	بقراط
٦٠٤	بكر بن عبدالله بن عمرو المزني
٣٥٩	بولس
١١٢٠	تينكلوش البابلي

٧٨٥	تامسطيوس
٧٨٨	ثمامة بن أشرس
١٠٧١	الجعدي بن درهم
٧٨٨	جعفر بن حرب
٧٨٨	جعفر بن مبشر
٦١٦	جعفر بن محمد (الباقر)
٧٨٦	جهم بن صفوان
١٢٦٩	الحارث المحاسبي
٥٩٨	الحسن بن حامد بن علي بن مروان
٦٠٦	الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
٥٩٥	الحسن بن الحسين، أبو علي بن أبي هريرة
٧٨٢	الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي
٧٨٨	أبو الحسين الصالح
٧٦٤	الحسين بن عبدالله بن سينا
٧٨٧	الحسين بن محمد النجار الرازي
٥٢٤	الحر بن قيس
١٢٦٥	حفص الفرد
١١١٨	حماد بن زيد بن درهم
٥٩٧	حماد بن أبي سليمان
١٠٧١	خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسعد القسري
٦٢١	خلاص بن عمرو
٢٥٩	خلف بن تميم
٥٩٥	داود بن علي بن خلف الأصبهاني
٥٩٧	زفر بن الهذيل بن قيس العنبري
٥٠٢	زياد بن لييد بن ثعلبة
٢٨٥	زيد بن أسلم
٦٠٦	زينب بنت أبي سلمة
٥٩٤	سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب

٥٥١	سبيعة بنت الحارث الأسلمية
٥٩٤	سعيد بن جبير بن هشام الأسدي
٥٣٤	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري
٢٠٦	سفيان بن أبي عمران ميمون الهلالي (ابن عيينة)
٧٨٥	سقراط
٦٠٢	سلمان بن ربيعة
٦٠٦	سليمان بن طرخان التيمي
٦٠٩	سنيد بن داود المصيصي
٥٣٦	سوار بن عبدالله بن قدامة
٥٨٣	شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي (القاضي)
٦٠١	صالح بن الإمام أحمد بن حنبل
٥٩٣	طاوس بن كيسان اليماني
٧٠٥	العاص بن وائل
٢٤٩	عامر بن شراحيل بن عبدالشعبي
٧٨٩	عباد بن سليمان البصري المعتزلي
١٠٩٥	عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمداني
٢٥٩	عبدالجبار بن كثير بن سنان الحنظلي
٦٦٧	عبدالحמיד بن هبة الله بن محمد (بن أبي الحديد)
١١٥٦	عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين
٥٣٦	عبدالرحمن بن عمرو بن محمد (الأوزاعي)
٣٧٧	عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي
٣٧٨	عبدالرحمن بن مسلم الخراساني
٧٨٧	عبدالرحيم بن محمد بن عثمان، أبو الحسين الخياط
٦٠٩	عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري (الصنعاني)
١١٨٤	عبدالسلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي أبو هاشم
٦١٥	عبدالعزيز بن إبراهيم بن أحمد (بن بزيمة)
٦٠٠	عبدالعزيز بن جعفر بن أحمد (غلام الخلال)
١٨٠، ٢٥	عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي

١٢٧٩	عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي (الكيلائي)
٧٠١	عبدالله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي (ابن سلول)
١٨٠	عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة
٧٨٨	عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي
٢٧٤	عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب
٦٥٦	عبدالله بن حبيب بن ربيعة (أبو عبدالرحمن السلمي)
١٤٠٥	عبدالله بن سبأ
١٢٣٨	عبدالله بن سعيد بن محمد بن كلاب
٧٠٢	عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي
٣٢٠	عبدالله بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية
٢٨١	عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة
٣٨٠	عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي
٨٧٣	عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
٢٨٣	عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي
٥٣٥	عبدالمملك بن عبدالعزيز بن جريج
٥٣٥	عبدالمملك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون
٤٠٥	عبدالمملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني أبو المعالي
٦٤٨	عبدالمملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي (الأصمعي)
٦١٣	عبدالواحد بن إسماعيل بن أحمد (الرويان)
١٢٤٩	عبدالوهاب بن عبدالحكم بن نافع (الوراق)
٦٠٢	عبيد بن عمير بن قتادة (قاضي أهل مكة)
٦٢٢	عبيدالله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري
١٢٨٣	عبيدالله بن سعيد بن حاتم السجزي (أبو نصر)
١١١٩	عبيدالله بن عبدالكريم أبو زرعة الرازي الحافظ
٢٤٧	عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني
٥٣٥	عثمان بن مسلم أبو عمر البصري (البتّي)
١٨٥	عروة بن الزبير بن العوام
١٩٣	عروة بن مسعود بن معتب الثقفي

- ٢٥٨ عطاء بن أبي رباح
- ٥٥٨ علقمة بن قيس بن عبدالله (النخعي)
- ١٠٣٣ علي بن أحمد بن محمد (الواحدي)
- ٢٦٠ علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن (الأشعري)
- ١٢٦٤ علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي
- ٦٤٨ علي بن حمزة بن عبدالله (الكسائي)
- ١١١٩ علي بن عبدالله بن جعفر السعدي (المديني)
- ١٣١٧ علي بن عبيدالله بن نصر بن السري أبو الحسن الزعفراني
- ٦٢٤ علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد، أبو الوفاء
- ٧٦٤ علي بن أبي علي بن محمد بن سالم (الأمدي)
- ٥٩٩ علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي
- ١٧٩ علي بن محمد بن مهدي الطبري
- ١٠٣٧ أبو عمر بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي
- ١٠٨٥ عمر بن علي بن مرشد بن علي (ابن الفارض)
- ٧١٨ عمرو بن عثمان بن قنبر (سيويه)
- ٧٠١ عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (أبو جهل)
- ٥٢٤ عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري
- ٥٤٩ الفريعة بنت مالك بن سنان
- ٧٨٤ فيثاغورس
- ٥٨٩ القاسم بن سلام الهروي (أبو عبيد)
- ٥٩٤ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
- ١٢٩٤ قتبة بن سعيد بن جميل بن طريف
- ٣٦٣ قسطنطين (الكبير) بن قسطنش الأول
- ٥٣٦ الليث بن سعد بن عبدالرحمن
- ٥٩٤ مجاهد بن جبر المكي
- ٥٨٩ محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني، أبو الخطاب
- ٥٩٤ محمد بن إبراهيم بن المنذر
- ١٢٤٩ محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني (العسال)

١٠٣٣	محمد بن أحمد بن إبراهيم (ابن كيسان)
١٢٩٢	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري
٦٩٠	محمد بن أحمد بن سهل (السرخسي)
٦١٤	محمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد
٤٠٢	محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (الحفيد)
١٢٧٠	محمد بن أحمد بن علي بن إسحاق بن خوزيمنداد
١١١٩	محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي
١٢٦٥	محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي
٦٢٢	محمد بن إسحاق بن يسار
١١١٩	محمد بن أسلم بن سالم (الطوسي)
٣٨٠	محمد بن إسماعيل البخاري
٢٥٧	محمد بن إسماعيل بن سالم الصائب
١٧٩	محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني
١٧٩	محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء (القاضي أبو يعلى)
٦٩٦	محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي
٢٩٢	محمد بن زياد أبو عبدالله المعروف بابن الأعرابي
٨٤٢	محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم بن واصل الحموي
٨٣٩	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر (الباقلاني)
٥٣٤	محمد بن عبدالرحمن ابن أبي ليلى
١٢٩٧	محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة (ابن أبي ذئب)
٨٣٩	محمد بن عبدالكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني
٧٨٧	محمد بن عبدالله الإسكافي
١٥٣٧	محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي الحافظ، (مطين)
٦٠٤	محمد بن عبدالله بن المثنى بن عبدالله بن أنس بن مالك الأنصاري
٦٢٦	محمد بن عبدالواحد بن أحمد (المقدسي)
٧٨٦	محمد بن عبدالوهاب الجبائي البصري
٦١٢	محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي
٥٨٤	محمد بن علي زين العابدين (الباقر)

٧٨٩	محمد بن علي بن الطيب البصري
١٠٧٩	محمد بن علي بن محمد بن عربي
٦٤٠	محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (الرازي)
٥٢٠	محمد بن فتوح بن عبدالله (الحميدي)
٧٩٠	محمد بن محمد بن الحسن (نصيرالدين الطوسي)
٧٨٥	محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي
٤١٧	محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد
١٠٧٨	محمد بن محمد بن محمد العميدي
١٨٤	محمد بن مسلم بن عبيدالله ابن شهاب الزهري
٦٢٣	محمد بن مقاتل الرازي
٨٤٠	محمد بن ناماور بن عبدالمملك الخونجي
٧٨٦	محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول (العلاف)
١٢٨٧	محمد بن الهيثم
٦٢١	محمد بن وضاح بن بزيع
١٠٧٦	محمود بن زكي بن أفسنقر (الملك العادل)
١٢٨٧	محمود بن سبكتكين
١٥٣١	محمود بن عمر بن محمد (الزنجشيري)
٣٠٧	مسيلمة بن ثمامة (المتنبىء الكذاب)
١١٨٣	مروان بن محمد بن مروان بن الحكم
٧٨٩	أبو معاد التومني
١٢٨٩	معمر بن أحمد بن محمد بن زياد الأصفهاني
٧٨٩	معمر بن عباد السلمي
٦٤٨	معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي
٦٠٢	مغيرة بن مقسم الضبي
٥٥٧	منصور بن المعتمر بن عبدالله بن ربيعة السلمي
٢٨١	نافع بن عمر بن عبدالله بن جميل
٢٨٣	نافع مولى ابن عمر الفقيه المدني
٣٤٥	نبا بن محمد بن محفوظ القرشي (ابن الحوراني)

١٢٨٥	نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم (المقدسي)
٧٠٤	النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة
٣٧٩	نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي
٦٠٥	نفيح بن رافع الصائغ
٧٦٢	نمرود بن كنعان
٢٧٨	هشام بن حكيم بن حزام (القرشي)
٧٨٩	هشام بن عمرو الفوطي
٧٠١	الوليد بن المغيرة
٦٤٩	يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي
٦٠٥	يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي
٧٢٥	يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا (النصراني)
١١١٩	يحيى بن معين بن عون بن زياد
١٠٧٦	يوسف بن أيوب بن شادي (صلاح الدين الأيوبي)
٧٨٧	يوسف بن عبدالله، أبو يعقوب الشحام
٥٥٣	يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري (القرطبي)

(٤)

فهرس الفرق

رقم الصفحة	الفرقة	رقم الصفحة	الفرقة
١٣٠٥	الحنبلية	ح٣٧٨	الأبوسلمية
٣٠٦	الخوارج	٣٠٣	الاتحادية
١١٢١	الدرزية	٤٤٢	الإسماعيلية
٦٤٦	الزنادقة	٤٠٥	الأشعرية
٢١٦	الرافضة	٤١٨	أصحاب التأويل
٢٢٦	السبعية	٤٢٢	أصحاب التجهيل
٦٤٦	الفسطائية	٤١٨	أصحاب التخييل
١٣٩٩	السمنية	٤٢٥	أصحاب التشبيه والتمثيل
٨٩٩	السيناوية	٢٩٤	أصحاب وحدة الوجود
١٦٢	الصابئين	٢٦٧	الأنباط
١٣٢٧	الصفائية	٣٠٣	الباطنية
١١٨٩، ٤١٧	الصوفية	١١٢١	البخشية
١١٢١	الطرقية	١٣٨٨	بنوعبيد
٢٦٧	الطماطم	١٥٤٣	التناسخية
٨٩٩	الطوسية	٣٤٩	الثانوية
١٠٩٨	العبرانيون	٢٣٢	الجبرية
١٠٩٧	العرب العاربة	٧٥	الجهمية
١١٢١	العرباء	١٠٩٤	جهمية المتكلمين
٣٧٨	العلويون	٨٣٧	الحسينية
٨٩٩	الفارابية	١٥٤٣	الحلولية

رقم الصفحة	الفرقة	رقم الصفحة	الفرقة
٨٣٧	المشايخية	١٩١	الفلاسفة
١٥٤٣	المشهية	٢١٩	القدرية
م/٤٧	المعتزلة	٢٩٩	القرامطة
م/٨	المغول	١٣٠٥	الكرامية
٣٠٠	الملاحدة	٢٣٢	الكلاية
٣٦٠	الملكية	٦٤٧	اللا أدريّة
٣٦٠	النسطورية	٣٤٩	المانوية
٤٤٢	النصيرية	٩٩٧	المباحية
٤٥٤	الوعيدية	١٥٤٤	المجسمة
١١٥٧	الهراصة	٣٤٩	المجوسية
٣٥٩	اليعقوبية	٢٣٢	المرجئة
١١٨٤	الهاشمية	٨٣٨	المشائون

* * *

(٥)

فهرس المصطلحات

رقم الصفحة		رقم الصفحة	
٥١٨	البتة البتة	٩٣٥	الأبعاض
٥١٨	البرية	٨٧٥	الأبوال
٥٦٢	بيع الحصاة	١٣٠٢	أبوجاد
٥٦٢	بيع الغرر	٩٨٥	الاجتماع
٨١٢	التثليث	٣٣٩	الأحوال
٢١٥	التحريف	٦٩٢	الأخص
٨١٢	التربيع	٨١٢	الاستقصات
٨١٢	التسديس	٣٣٢	الاشتقاق
٧٥١	التنازع	٦٩٢	الأعم
١٢٥٩	التواطؤ	٩٨٥	الافتراق
٩٨٠	الجزئي	١٩٠	الأفول
١٠٧٨	جست	٣٦٣	الألقاب الكهنوتية في المسيحية
٣٣٩	الجواهر المفردة	٣٦٣	(بابا
٨١٤	الجوهر	٣٦٣	قسيس
٩٨٥	الحركة	٣٦٣	بطريك
٥١٨	الخلية	٣٦٣	أسقف
١٢٥٦، ٨٦٢	الخواطىء	٣٦٣	مطران
٦٤٦	الزندقة	٣٦٣	(شماس)
٦٤٦	السفسطة	٤٤٦	ايرن
٩٨٥	السكون	٨٩٢	الأيس

رقم الصفحة

٨١٣	الكليات الخمس
٨١٣	١ - الجنس
٨١٣	٢ - النوع
٨١٣	٣ - الفصل
٨١٣	٤ - الخاصة
٨١٣	٥ - العرض العام
٣٣٩	الكسب
٨٩٣	الليس
٧٢٨	التولدات
١٣٢٤،٩٩٤	المجردات
٨١٥	المختلطات
١٠٧٦	المحاق
٥٦١	المحاكلة
٥٦٢	المخابرة
٥٦١	المزبنة
٥٧٧	المعارضة في الدليل
٥٧٧	المعارضة في المقدمة
١٣٢٤،٩٩٤	المفارقات
٢٤٥	مفهوم النقب
٨١٢	المقارنة
٨١٣	المقولات العشر
٨١٣	الجوهر
٨١٣	(الكم
٨١٣	الكيف
٨١٣	الأيين
٨١٤	المتى
٨١٤	الوضع
٨١٤	الإضافة

رقم الصفحة

٨٩٢	الصورة
٢٩٥	الصندان
٨٩٢	الطبيعة
١٠٨٥	الطفرة
٦٩٢	العام
١٢٣٠	العدم
١٢٣٠	العدمى
٤٧٤	العلل الأربع
٤٧٤	١ - الفاعلة
٤٧٤	٢ - المادية
٤٧٤	٣ - الصورية
٤٧٤	٤ - الغائبة
٤٤٦	علم الارتماطيقى
٨٩٣	عكس النقيض
٨٩٣	العكس المستوي
٦٥٠	عموم النفي
٨٧٥	علم القارورة
٤٤٧	علم الفنيطة
٨٧٥	علم النبض
١٩١	فلسفة
٤٩٥	قاعدة (الحسن والقبح)
٧٥٣	القرينة الحالية
٧٥٣	القرينة المقالية
٩٧٧	القضايا المسورة
٩٧٧	الفضية المهملة
٩٧٨	القياس الحملى
٩٧٨	القياس الشرطى
٩٨٠	الكلي

رقم الصفحة

٨٧٥	النبض
٧٢٧	النبوات
٢٩٥	التقيضان
٦٥٠	نفي العموم
٨٩٢	الهيولى
١١٥٧	الهرامس
٩٨٧	الوصف الذاتي
٩٨٧	الوصف الفعلي
٩٨٧	الوصف المعنوي

رقم الصفحة

٨١٤	الملك
٨١٤	الفعل
٨١٤	(الانفعال)
٥٦٢	اللامسة
١٢٣٠	الملكة
٥٦٢	المنابذة
٨٧٥	الكم المتصل والمنفصل
٩٧٧	المهملات
٨١٥	الموجهات
٤٤٧	الموسيقى

* * *

(٦)

فهرس الألفاظ الغربية

رقم الصفحة	الكلمة	رقم الصفحة	الكلمة
٩٦١	بزر الخشخاش	٧٤٩	أبسلو
١٥٤	بزل	١٤٧١	الإنضاع
٣٠٨	بليت	١٥٦٨	إجانة
١٥٤٩	البنك	١٥٦٩	إجمام
٣٥٣	تؤزهم	٧٦٠	الإدراج
٤٣٥	تقاضاه	٩١١	أجوبة
٨١٣	التحذلق	٩٠٤	الإرادة
١٥٧٣	تريم	٨٨٧	استدفر
١١٤٥	تسفسط	٤٦٦	اسجل
١١٤٥	تقرمط	٤٨٠	اسره
١١٩٧	تقلها	٤٣٧	الاغمار
٩٠٨	تكاذيهم	١٩٩	الافتيات
٢٧٥	تكفأ	٨٨٤	افلت
٨٨٧	التور	١٥٦٨	الأقباء
١٢٣٨	توهو	٩٩٨	أقعد
٣٢٦	الجاه	١٤٨٥	الإنعطاف
٩٠٦	جعلية	١١٨٥	أنفوا
٩٤٤	جنسي	٣٨١	الأهوية
١٤٦٠	الجدل	٣٥٩	أورثت
٢٠٩	الحائل	٨٨٦	برمة

رقم الصفحة	الكلمة	رقم الصفحة	الكلمة
١٩٢	الطراز	٣٥٤	حجز
٢٥٤	طرق	٣٣٩	حضروا
١١٢٢	العابر	١٥٠	حنس
١١٥٢	عبس	١١٤٠	حياها
١٠٠٣	العبيّة	١٣٦٣	الخلق
٨٤٣	العذار	١٢٥٦	الخواطي
٧٤٩	عسعس	١٥٧٢	داجية
٢٣٩	العضه	٨٥١	الديبر
٢٣٠	العيار	١١٤٦	درك
٧٠٨	الغابرين	١٢٦٩	دغل
٨٩٣	الغرز	٦٣٨	دهليز
٥٦٣	الغلاق	٢٠٣	الدو
١٠٢١	فات	١٣٦٢	الذنوب
١٥١٥	الفرق	١٣٤٣	رستاق
٤٥٠	الفسطاط	٦٤٤	الركيك
١٠١٥	الفسر	٤٤٠	زغل
٧٣٥	الفراش	١٠٨٢	سبحات وجهه
١٥٤	فرق	١٩٢	سخنة عين
٨١٩	فلقلوا	١٠١٣	سروسه
٤٣٣	الفوم	١٣٤٧	السمت
١٥٦٨	القبان	١٥٤٤	سنخ
٨٥١	القبيل	١٢٦٧	شدا
٢٦٧	القذف	١٦٢	الصابيء
٧٥٤	القرء	١٣٤٤	الصابون
١٤٨١	قرنة	١١٠٢	الصدوف
٦٧٨	قشرها	٤٣٧	الصفو
٤٣٥	قضى	٧٤٩	ضيزي
٦٥٧	القلفة	٢٩١	طبق

رقم الصفحة	الكلمة	رقم الصفحة	الكلمة
١٣٤٨	المناخ	١١٧١	القلة
٤٣٦	ملفق	٨٦١	كادها
٣٣٦	الممرور	١٤٢٧	الكاغد
١٠٣٩	منجنيق	٨٨٤	الكبّ
٩٠٨	المهاترة	١٠٣٧	الكشط
٨٨٩	مهرودين	١٠٠٥	الكفات
٢٦٧	المهممة	٨١٠	الكع
٧٢٩	مؤوف	١٠٣٩	كلف
٦٩٣	النحل	١٠٥٦	الألأواء
٥٩٢	نزي	٧١٢	اللسي
١٢٢	نسيج وحده	٩٥٤	اللقلقة
١٠١١	النصب	١٤٤٥	المبعوض
١٤٩	نفق	٣٥٦	المثلة
١٠٧٦	وبل	٩٦٠	مجة
١٥٣٤	الوثيل	٨٣٠	محات العقول
١١٦٠	وحالة	٥٠١	محز
٣٢٦	الوطاة	٩٢٧	مخبطة
١٥٢٥	وليجة	٢٦٧	المرت
٩٠٩	الوكس	١١٤١	مرنجا
٩٠٨	الهتر	٣٣٥	المروذ
٨٤٣	الهوش	١٦٥	مسكة
٨٩٣	يتمعقل	٨٠٦	معود
١٤٨٣	يهمزون	١٥٦٦	مغشاة

(٧)

فهرس الأبيات الشعرية

رقم الصفحة	القافية	الشطر الأول
٨٦٥	... الأمراء	وإذا نظرت إلى أميري زادني
١٧٥	... فاصحبا	على أنها كانت تأول جها
٦٤٦	... تكذب	وكم لظلال الليل عندك من يد
٩٤١	... ناصبي	فإن كان نصباً ولاء الصحاب
٩٤١	... الذنب	فإن كان ذنبي حبكم وولاءكم
٩٤١	... أتوب	وعيرني الواشون أي أجهها
١٠٨٥	... هبت	نعم بالصبا قلبي صبا لأحبيتي
٥٣٥	... مشقى	من يكن ذا بت فهذا بتي
م/٩٩	... أعوج	متى يستقيم الظل
١٢٧٧	... الرائد	فإذا بعثت إلى السباح برائد
١٣٦٨	... أحد	ما أن كمثلهم في الناس من أحد
٤٨٠	... القند	ساهم الوجه شديد أسره
١٢٤٧	... يسعد	أعاذل من تكتب له النار يلقها
١٠٢٥	... الصمد	الا بكر الناعي بخير بني أسد
١٢٦٧	... جود	فهن يشدون مني بعض معرفة
م/٣٧	... شهود	ويقضي الأمر حين تغيب تيم
م/٩٤	... النار	والمستجير بعمره عند كربته
١٠٠٠	... النار	الأرض مظلمة سوداء معتمة
١٠٠٠	... النار	إبليس من نار وآدم طينة
٣٠٨	... يصبر	بليت وفقدان الجيب بلية

٧٥٤	قطر ...	إذا ما السماء لم تغم ثم أخلفت
١٣٨٣	...	تطوف بذات البيت طاهر
١٢٧٧	مكسور ...	حجج تهافت كالزجاج تخالها
٦٦٨	عمري ...	فيك يا أغلوطة الفكر
٩٤٤	الزنابير ...	تقول هذا جني النحل تمدحه
١٠٣٩	يطير ...	لقد تركتني منجنيق اين بحدل
٩٤١	الناهض ...	يا ركبا قف بالمحصيت من مني
١٣٨١	مزع ...	وذلك في ذات الإله وأن يشاء
١٢٠٠	مطلع ...	وقل للعيون العمي للشمس أعين
٨٠٤	جميعاً ...	فغدا العقل سالماً من منافي
٦٧٤	مهراق ...	قد استوى بشر على العراق
١٠٧٦	يحق ...	يزاد حتى إذا ما تم أعقبه
٣٦١	لا يتفرق ...	رضيعا لبان ثدي أم تقاسما
١٣٦٨	الفضائل ...	ليس كمثل الفتى زهير
١٦٧	ضلال ...	نهاية اقدام العقول عقال
١٣٦٨	يذبل ...	فما مثله فيهم ولا هو كائن
٨٢٠	ابتلوا ...	رضوا بالدعاوي وابتلوا بخيالهم
٥٠٦	خردل ...	قبيلة لا يغدرون بذمة
٧٣٥	المصطي ...	أزرى بحلمكم الغياش فأنتم
١١٧١	...	عجائب تبدي الشيب في قلة الطفل
١١٤٠	ينقل ...	خالي الذي اغتصب الملوك نفوسهم
١٢٦٨	الرسول ...	أيها المعتدي ليطلب علماً
٩٧٨	المنقولا ...	فعلى عقولكم العضاء فإنكم
١٢٢١	دليل ...	وليس يصح في الأذهان شيء
٣٤٥	دليلا ...	إن البيان لفي الفؤاد وإنما
٣٤١، ١٥٠	تصادم ...	ونظيري في العلم مثلي أعمى
٨٤٤	الآثام ...	خلع العذار وراح في
١٢٦٨	الكلام ...	أيها المعتدي ليطلب علماً

رقم الصفحة	القافية	الشرط الأول
٣٤٠	... الإِفْهَام	ما يقال ولا حقيقة تحته
١٦٦	... المَعَالِم	لعمري لقد طفت المهاد كلها
١٢٦٣، ١٦٦	... نَادِم	فما حار من يهدي محمد
؟	... يَهْدِي	وما بالعهد من قدم
٩٤٩	... نَدَمَا	ونحن وإياهم نموت ولا
٩٤٠	... المَجْسَم	فإن كان تجسماً ثبوت استوائه
١٠٠٨	... التَخَاصُم	مضوا ومضى ثم التقوا عند ربهم
١٠١٧	... مَظْلَم	خفافيش أعشاها النهار بضوئه
١٣٩٨	... جَهَنِم	عجبت لشيطان دعى الناس جهرة
٢٨٨	... يَدَانِ	وعليك في ذا وظائف أربع
٥٠٥	... هَانَا	لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد
١٣٩٧	... أَحْيَاناً	ولا أقول بقول الجهم أن له
١٥٤	... سَنِي	ما تنكر الحرب العوان مني
١٥٠٩	...	وافقرني فيمن أحب وما استغنى
٢٦٧	... التَّرْسِين	ومهمين قذفين مرتين
٦٦٧	... أَحْبَه	وحقك لو أدخلتني النار قلت
١٣٦٨، ٧١٧	... يِقَارِبُه	فما مثله في الناس إلا مملكاً
١٣٦٨	... شَبِه	لم أقل مثلك المنى به
٦٦٧	... خَطْبُه	علمنا بهذا القول أنك آخذ
١٦	... مَعَايِه	ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
٤٤٩	... اسْتِنْقَاذُه	تا الله ما أسر الهوى من وامق
٦٧٦	... وَطَارِقُه	آيا جارتني بيني فلإنك طالقة
١٨٢	... رَسُولُه	خلو بني الكفار عن سبيله
١٢١٠	... بَلْبَانِهَا	وإلا يكنها أو تكن فإنه
٤٠	... وَرَهْبَانِهَا	وهل أفسد الدين إلا الملوك
٨٥٧	... مَكَائِهَا	دع الخمر يشربها الغواة فلإنني
٢٠٣	... الدَاوِي	قد لفها الليل بعصبلي
٤٣٥	... التَّقَاضِيَا	إذا ما تقاضي المريوم وليلة

(٨)

فهرس الكتب التي ذكرها المؤلف

رقم الصفحة	
٧٨٢	الآراء والديانات، للنويختي
١٢٥٢	الإبانة، للباقلاني
١٢٨٣	الإبانة، لأبي نصر السجزي
١٢٤٨	الإبانة، لأبي الحسن الأشعري
١٥٠٤	أبكار الأفكار، للأمدي
	اجتماع العساكر الإسلامية على غزو المعطلة
١٣٠٥، ١٢٥٤	والجهمية، لابن القيم
١٢٦٨	إحياء علوم الدين، للغزالي
٦٢٢	اختلاف العلماء، لإسحاق بن راهويه
١٤٤٢	الإرشاد، للجويني
٦٠١	الاستذكار، لابن عبد البر
١٠٧٧، ١٠٧٥	الإشارات، لابن سينا
٦٦٥	أقسام اللذات، للرازي
٨٥٩	الإنجيل
١١٥٧	بدء العارف
١٤١٩	تاريخ الخطيب
١٣٠٣	تاريخ نيسابور للحاكم
١٢٨٢	تبين كذب المفترى، لابن عساكر
٣٧٤	تفسير ابن الخطيب (الرازي)
٦٠٩	تفسير سنيد

١٢٩٣	تفسير القرطبي
١٢٥٢	التمهيد للباقلاني
١٢٨٢	التمهيد، لابن عبد البر
٨٤١	تهافت التهافت، لابن رشد
١٤٠٥	التوحيد، لابن خزيمة
٨٥٩، ٢١٦	التوراة
٩٢٨	الحوادث والبدع، لابن وضاح
١٢٩٨، ١٢٤١	الجامع، للخلال
٦٠٩	الجامع، لعبدالرزاق الصنعاني
١٣٠١	خلق أفعال العباد، للبخاري
١٢٨٥	الحجة، للشيخ نصر المقدسي
٦٩٦	حقائق التفسير، للسلمي
١٢٨٦	حلية الأولياء لأبي نعيم
٨٣٩	الدقائق، للباقلاني
٦٠٢	الذخيرة، للقرافي
١٢٦٧	ذم الكلام وأهله، للأنصاري
١٢٤١	الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد
١٢٩٥	الرد على الجهمية، لعبدالرحمن بن أبي حاتم
١٠٧٥	رسائل إخوان الصفا
١٣٠٠، ١٥٣	كتاب الشافعي (الرسالة)
١٣٠٣	رسالة أبي عثمان النيسابوري
١٠٩٧	الرسالة الأضحوية، لابن سينا
١٤٥٣	الرسالة النظامية، للجبوني
١٤٨٠، ١٤٧٣	سنن الترمذي
١٤٧٣	سنن ابن ماجه
١٤٧٣	سنن النسائي
١٢٩٤	السنة للخلال
١٢٩٥	السنة، لعبدالله بن الإمام أحمد

٦١٢، ٦١١	شرح القدوري
١٢٩٢	شرح الأسماء الحسنی، لأبي عبدالله القرطبي
١٥٤١	شرح الإنجيل
٦٢٢	شرح التفریح للتلمساني
٦١٣	شرح التنبيه
١٠٧٥	الشفاء، لابن سينا
١٥٣٦، ١٤٥٩	صحيح البخاري
١٥٠٥	صحيح الحاكم
١٤٥٥	صحيح ابن حبان
١٥٠٤	صحيح مسلم
١٢٨٢	الصفات، لابن كلاب
١٣٣٢	صفة الجنة، لابن القيم
٦٠٣	الطهور، لإبراهيم بن مسلم الخوارزمي
١٢٨٦	العقيدة، لأبي أحمد الكرجي
١٤٦١	العلل، للدارقطني
١٣٠٣	علوم الحديث، للحاكم
٥٨٩	العمدة، لأبي محمد المقدسي
٦١٣	فتاوى الفصالح
١٠٨٦	الفتوحات المكية لابن عربي
١١٥٧، ١١٥٦	فصوص الحكم، لابن عربي
١٢٧٠	فضل العلم (جامع بيان العلم وفضله)، لابن عبدالبر
٥٩٠	القضاء، لأبي عبيد
١٥٣١	الكشاف، للزمخشري
١٣٠٤	الكشف عن مناهج الأدلة
٨٣٩	المجسطي، لبطليموس
٦٢٦	المختارة، لمحمد بن عبدالواحي المقدسي
٥٩٣	مختصر المزني
٥٨١	المدخل للسنن الكبرى، للبيهقي

٨٢٧	المراسيل، لأبي داود
١٥٠٥، ١٤٧٢، ٦٢٥	مسند الإمام أحمد
١٥٣٧	مسند علي، للحافظ مطين
٥٦٤	مشارك الأنوار، للقاضي عياض
٦١٥	مصالح الافهام، لابن بزيمة
٨٤١	المضنون به على غير أهله
٥٦٤	مطالع الأنوار، لابن قرقول
١٣٧٧	معجم الطبراني
١٢٤٩	المعرفة، لأبي أحمد العال
١٤٥٠	مفتاح دار السعادة
٨٣٩	مقالات غير الإسلاميين، للأشعري
٧٨٢	المقالات الكبير، للأشعري
٧٨٣، ٧٨٢	مقالات المطين، للأشعري
٦١٤	مقدمات ابن رشد
١٢٤٣	الموجز، لأبي الحسن الأشعري
٥٩٠	الموطأ، للإمام مالك
٧٦٧	النظم (لم يذكر المؤلف)
١١٥٦	نظم السلوك (قصيدة ابن سبعين)
١٤٤٣	نهاية العقول ودراية الأصول، للرازي
٦٢١	الوثائق، لابن مغيث
١٢٨٤	الوصول إلى معرفة الأصول، لأبي عمر الطلمنكي

(٩)

فهرس المراجع

- ١ - الإبانة، لأبي الحسن الأشعري
تحقيق فوقية حسن، توزيع دار الأنصار بعابدين - القاهرة، الطبعة الأولى،
١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٢ - أبكار الأفكار في أصول الدين، لسيف الدين الأمدي
(مكتبة آيا صوفيا برقم ٢١٦٥ و ٢١٦٦)، مصورة في جامعة الملك سعود برقم
ف ٣٤، وفي معهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ١، ٢ توحيد.
- ٣ - الابتهاج في شرح المنهاج، للسبكي
تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠١هـ.
- ٤ - ابن القيم من آثاره العلمية، أحمد ماهر البقري
الناشر مؤسسة شباب الجامعة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٥ - ابن قيم الجوزية، عبدالعظيم شرف الدين
مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- ٦ - ابن قيم الجوزية، محمد مسلم الغنيمي
المكتب الإسلامي بيروت، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٧ - ابن قيم الجوزية، د. بكر أبو زيد
مطابع دار الهلال للأوفست بالرياض، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٨ - إثبات صفة العلو، لابن قدامة
مخطوط بالمكتبة السعودية بالرياض برقم $\frac{٨٦}{٥٣}$ وقد طبع مع مجموعة رسائل.
كما طبع أخيراً في الكويت.
- ٩ - الإجماع، لابن المنذر
تقديم أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض ١٤٠٢هـ.

- ١٠ - أحكام القرآن، للجصاص
دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ١١ - الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، مطبعة الامتياز
تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز مكتبة عاطف بجوار الأزهر، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
النسخة الثانية: إشراف أحمد شاكر، الناشر زكريا علي يوسف، مطبعة العاصمة
بالقاهرة.
- ١٢ - الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي
مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٨٧.
- ١٣ - إحياء علوم الدين، للغزالي
طبع لجنة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٣٥٦هـ.
- ١٤ - أخبار الحكماء، لابن القفطي
دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ١٥ - الأدب المفرد، للإمام البخاري
عناية التحقيق مكتبة الأدب، القاهرة، المطبعة النموذجية بالحلمية بمصر، الناشر
مكتبة الأدب.
- ١٦ - الأربعين في أصول الدين، للرازي
الطبعة الأولى، مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٣.
- ١٧ - الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام الجويني
تحقيق د. محمد يوسف موسى وعلي عبدالمنعم، مطبعة السعادة بمصر، الناشر مكتبة
الخانجي بمصر ومكتبة المثني ببغداد ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
- ١٨ - إرواء الغليل، للألباني
المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ١٩ - الاستذكار، لابن عبدالبر، تحقيق علي النجدي ناصف.
لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- ٢٠ - الاستيعاب، لابن عبدالبر
مطبوع بهامش الإصابة، مطبعة مصطفى محمد بمصر، المكتبة التجارية الكبرى
١٣٥٨.

- ٢١ - أسد الغابة، لابن الأثير الجزري .
كتاب الشعب.
- ٢٢ - أسرار البلاغة، للإمام عبدالقاهر الجرجاني
تحقيق هـ . ريتز، استانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤م .
- ٢٣ - الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة
تحقيق محمد الصباغ، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩١هـ .
- ٢٤ - الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي
الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠م .
- ٢٥ - أسماء مؤلفات ابن تيمية، لابن القيم
تحقيق د . صلاح الدين المنجد، دار الكتاب العربي الجديد بيروت، لبنان .
- ٢٦ - الأسماء والصفات، للبيهقي
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .
- ٢٧ - الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، للقرطبي
(مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية برقم ٨٨ أدعية) مصورة في المكتبة المركزية
بجامعة الإمام برقم ٢٢٨ .
- ٢٨ - الإشارات والتنبيهات، لابن سينا
مطبعة بريل بليدن سنة ١٨٩٢م .
- ٢٩ - الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني
١ - دار الكتاب العربي بيروت، وبحاشيته الاستيعاب .
٢ - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٣هـ .
- ٣٠ - أصول الدين، عبدالقاهر البغدادي
مطبعة الدولة، استانبول، مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية الطبعة الأولى،
١٣٤٦ .
- ٣١ - أضواء البيان، للشنقيطي
طبعة سمو الأمير أحمد بن عبدالعزيز ١٤٠٣هـ .
- ٣٢ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازي
شركة الطباعة الفنية المتحدة بالعباسية، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ .

- ٣٣ - الاعتقاد، للبيهقي الشافعي
تعليق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ -
١٩٨١م.
- ٣٤ - الأعلام، للزركلي
دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م، والسادسة ١٩٨٤م.
- ٣٥ - الأعلام العلية، عمر بن علي البزار
تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
- ٣٦ - أعلام الموقعين، لابن القيم
تقديم طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨.
- ٣٧ - إغائة اللهفان، لابن القيم
تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧.
- ٣٨ - الأم، للإمام الشافعي
دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
- ٣٩ - الإمتاع والمؤانسة، لابن حيان
الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
- ٤٠ - الأموال، لأبي عبيد
طبع محمد حامد الفقي، المكتبة التجارية الكبرى.
- ٤١ - إنباء الغمر بأنباء أبناء العمر
تحقيق د. حسن حبشي، القاهرة، الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة
١٣٨٩.
- ٤٢ - الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبي بكر بن الطيب الباقلائي
تقديم محمد زاهد الكوثري تصحيح ونشر السيد عزت العطار الحسيني ١٣٦٩.
- ٤٣ - إيقاظ هم أولي الأبصار، صالح بن محمد العمري الشهير بالفلائي مطبعة نفيس،
لاهور، الناشر دار نشر الكتب الإسلامية باكستان الطبعة الأولى ربيع الأول ١٣٩٥.
- ٤٤ - بدء العارف، لابن سبعين
تحقيق جورج كتورة، ط بيروت ١٩٧٨م.
- ٤٥ - بدائع الزهور
مطابع الشعب ١٩٦٠م.

- ٤٦ - بدائع الفوائد، لابن القيم
الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- ٤٧ - البداية والنهاية، لابن كثير
مكتبة التبيين، مطبعة السعادة
- ٤٨ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني
مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨ هـ.
- ٤٩ - البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح القرطبي
تحقيق محمد أحمد دحمان، دار البصائر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.
- ٥٠ - البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس بن منصور السكسكي الحنبلي.
تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج، دار التراث العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.
- ٥١ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد يحيى الضبي طبع في مدينة
مجريط بمطبع روخس سنة ١٨٨٤ م.
- ٥٢ - البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ.
الطبعة الرابعة بدون تاريخ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- ٥٣ - تاج العروس، للزبيدي
١ - منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
٢ - مطابع دار صادر - بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، الناشر دار ليبيا للنشر
والتوزيع، بني غازي.
- ٥٤ - التاج المكلل، لصديق حسن خان
المطبعة الهندية العربية، الطبعة الثانية، عام ١٣٨٢ هـ.
- ٥٥ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي
١ - الناشر دار الكتاب العربي، بيروت.
٢ - مكتبة الخانجي بالقاهرة، المكتبة العربية بغداد. مطبعة السعادة ١٣٤٩.
- ٥٦ - تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين
نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية بالرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- ٥٧ - التاريخ الصغير، للإمام البخاري
إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٣٩٧.
- ٥٨ - تاريخ الفلسفة الغربية، بيراترند رسل
ترجمة د. زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة،
١٩٥٤ م.
- ٥٩ - تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم
دار القلم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٧ م.
- ٦٠ - التاريخ الكبير، للبخاري
حيدر آباد الدكن
- ٦١ - التبصرة في القراءات السبع، للقيسي
الدار السلفية - الهند، عني بنشره والتعليق، الحافظ القاري محمد غوث الندوي.
- ٦٢ - التبصير في الدين، أبي المظفر الإسفراييني
تعليق محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، الطبعة الأولى ١٣٥٩ هـ.
- ٦٣ - التبيان، للإمام الشافعي
جمعه وحققه وعلق عليه زهدي يكن، دار الثقافة بيروت، ١٩٦١ م.
دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت.
- ٦٤ - تبين كذب المفتري، لابن عساكر
عني بنشره القدسي ١٣٩٩، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٦٥ - تجريد أسماء الصحابة
الناشر شرف الدين الكتبي وأولاده ١٣٨٩ هـ.
- ٦٦ - تحصيل عين الذهب، للشتمري
مطبوع بهامش كتاب سيويه ليوسف ابن سليمان الشتمري، الطبعة الثانية،
١٣٧٨ هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٦٧ - تحفة الأحوزي، شرح الترمذي، للمباركفوري
تصحیح عبدالرحمن محمد عثمان، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،
الطبعة الثالثة، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
- ٦٨ - التحفة المهدية، فالح بن مهدي آل مهدي، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ.

- ٦٩ - تذكرة الحفاظ، للذهبي
دار إحياء التراث العربي .
- ٧٠ - تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن علي الهندي
الناشر أمين دمج، بيروت .
- ٧١ - ترتيب المدارك، للقاضي عياض
دار مكتبة الحياة .
- ٧٢ - الترغيب والترهيب، للمنذري
تعليق مصطفى عمارة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية
١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
- ٧٣ - الترغيب والترهيب، للمنذري
مكتبة شباب الأزهر الشريف - الدعوة الإسلامية .
- ٧٤ - التصريح فيما تواتر في نزول المسيح، للكشميري
تحقيق أبو غده مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ودار القرآن الكريم ببيروت
١٤٠١هـ .
- ٧٥ - التعريفات، للجرجاني
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر ١٣٥٧هـ .
مكتبة الشيخ علي جمعة في القاهرة .
- ٧٦ - التعليقات، لابن سينا
بتحقيق عبدالرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب المكتبة العربية ١٣٩٢هـ .
- ٧٧ - تفسير، ابن جرير
دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- ٧٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي .
المؤسسة السعيدية بالرياض، تحقيق محمد زهري النجار .
- ٧٩ - التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي
مؤسسة المطبوعات الإسلامية، مكتبة مطبعة عبدالرحمن محمد لنشر القرآن والكتب
الإسلامية، القاهرة
نسخة ثانية، المطبعة البهية بمصر .

- ٨٠ - تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير
صححها نخبة من العلماء بدار الكتب المصرية، الناشر، دار الفكر.
- ٨١ - تفسير القرطبي
دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٣٨٧هـ.
- ٨٢ - تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي
تحقيق عبدالرحمن الطاهر السورقي، المنشورات العلمية، بيروت.
- ٨٣ - تقريب التهذيب، لابن حجر
تعليق عبدالوهاب عبداللطيف، محمد سلطان النمنكاني، المكتبة العلمية بالمدينة النبوية.
- ٨٤ - التقريب لحد المنطق، لابن حزم
تحقيق الدكتور إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، مطابع دار العباد، بيروت.
- ٨٥ - تلبيس إبليس، لابن الجوزي
إدارة الطباعة المنيرية بالأزهر، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ.
- ٨٦ - التلخيص الحبير، لابن حجر
تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، مطبعة الفجالة الجديدة بمصر الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، توزع دار الفكر بالقاهرة.
- ٨٧ - تلخيص المحصل، نصيرالدين الطوسي
مطبوع بحاشية كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للفخر الرازي، تقديم طه عبدالرؤوف سعد، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية.
- ٨٨ - التمهيد في الرد على الملاحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تأليف أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي.
- ١ - علق عليه محمود محمد الحضيرى ومحمد عبدالهادي أبوريده، دار الفكر العربي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ٢ - تحقيق ريتشارد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٧م.
- ٨٩ - التمهيد، لابن عبدالبر (المقدمة)
تحقيق مصطفى أحمد العلوي ومحمد عبدالكبير البكري، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

- ٩٠ - التنبهات السنية على العقيدة الواسطية، عبدالعزيز بن ناصر الرشيد
مطبعة الإمام بالمالية بمصر، بدون تاريخ.
- ٩١ - التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.
تحقيق محمد ناصرالدين الألباني، طبع ونشر الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض، الطبعة
الثانية ١٤٠٣هـ.
- ٩٢ - تنزيه الشريعة المرفوعة، علي بن محمد الكناني
تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف وعبدالله محمد الصديق، دار الكتب العلمية،
بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
- ٩٣ - تهافت الفلاسفة، لأبي حامد الغزالي
تحقيق سليمان دنيا، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر ١٣٨٥هـ.
- ٩٤ - تهافت التهافت، للقاضي أبو الوليد ابن رشد
تحقيق الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م، القاهرة.
- ٩٥ - تهذيب الآثار، للطبري
بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد وعبدالقيم عبدرب النبي.
- ٩٦ - تهذيب ابن عساكر
هذبه عبدالقادر بدران، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
- ٩٧ - تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ.
- ٩٨ - التوحيد، لابن خزيمة
طبع دار الكتب العلمية، بيروت، راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس،
١٣٩٨هـ.
- ٩٩ - توضيح المقاصد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لابن عيسى
الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ.
- ١٠٠ - الجامع لأحكام الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي
تحقيق د. محمود الطحان، الناشر مكتبة المعارف - الرياض ١٤٠٣هـ.
- ١٠١ - جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري
تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، مطبعة الملاح، نشر وتوزيع مكتبة الحلواني ومكتبة دار
البيان ١٣٨٩هـ، توزيع الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض.

- ١٠٢ - جامع بيان العلم وفضله
 قدم له عبدالكريم الخطيب، دار الكتاب الحديث، القاهرة، راجعه عبدالرحمن
 حسن محمود.
- ١٠٣ - الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية،
 د. حامد غنيم أبو سعيد مكتبة الشباب، القاهرة - الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٢ م.
- ١٠٤ - الجرح والتعديل، لأبي حاتم الرازي
 مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
- ١٠٥ - جلاء الأفهام، لابن القيم
 مطبعة المدني بالقاهرة، بدون تاريخ.
- ١٠٦ - جهد القرمجة في تجريد النصيحة، للسيوطي
 مطبوع مع صون المنطق للسيوطي أيضاً تعليق على سامي النشار، دار الكتب
 العلمية، بيروت.
- ١٠٧ - الجواهر المضيئة
 الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند - حيدر آباد الدكن،
 سنة ١٣٣٢ هـ.
- ١٠٨ - جواهر المعاني، علي بن العربي براد المغربي الفاسي
 دار الفكر بيروت لبنان.
- ١٠٩ - حادي الأرواح، لابن القيم
 أشرف على طبعه وقدم له علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، العباسية -
 القاهرة.
- ١١٠ - حاشية رسائل الكندي
 إخراج وتحقيق أبو ريده، مطبعة الاعتماد بمصر، دار الفكر العربي ١٣٦٩ هـ.
- ١١١ - حاشية الروض المربع، لعبدالرحمن بن محمد بن قاسم
 المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ.
- ١١٢ - حاشية العطار على شرح التهذيب
 المطبعة الأزهرية، الطبعة الأولى، سنة ١٣١٨ هـ.
- ١١٣ - حاشية كتاب، بين الإسلام والمسيحية، لأبي عبيدة الخزرجي المتوفي سنة
 ٥٨٢ هـ، حققه الدكتور محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، مطبعة المدني.

- ١١٤ - الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن، عدنان زر زور
مؤسسة الرسالة.
- ١١٥ - حسن المحاضرة، للسيوطي
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨هـ.
- ١١٦ - حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني
دار الكتاب العربي، بيروت - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.
- ١١٧ - الحماسة، لأبي تمام
تحقيق د. عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، مطابع دار الهلال للأوفست، أشرفت
على طباعته ونشره جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠١هـ.
- ١١٨ - خزانة الأدب، عبدالقادر بن عمر البغدادي
الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت.
- ١١٩ - الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني
تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤هـ.
- ١٢٠ - خطط الشام، للمقرئزي
طبع في المطبعة الحديثة بدمشق ١٣٤٣هـ.
- ١٢١ - خلق أفعال العباد، للإمام البخاري
تعليق بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٢٢ - خلاصة تهذيب الكمال، لابن الجزري
مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، بيروت، الطبعة الثانية عام ١٣٩٢هـ.
- ١٢٣ - دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية، محمد ثابت الغندي، وأحمد
الشتتناوي، وإبراهيم خورشيد، وعبدالحميد يونس ١٣٥٢هـ.
- ١٢٤ - درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية
تحقيق محمد رشاد سالم مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،
الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ١٢٥ - الدرر الكامنة، لابن حجر
مطبعة المدني، مصر، تحقيق محمد سيد جادالحق، الناشر، دار الكتب الحديثة.
- ١٢٦ - الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي
الناشر محمد أمين دمج، بيروت.

- ١٢٧ - دستور العلماء، عبدالنبي عبدالرسول الأحمد نكري منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
- ١٢٨ - دلائل النبوة، لأبي نعيم مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.
- ١٢٩ - الديقاج المذهب، لابن فرحون اليعمري المالكي ملتزم الطبع عباس بن شقرون بالفحامين بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥١هـ.
- ١٣٠ - ديوان أبي الأسود الدؤلي تحقيق عبدالكريم الرحيلي، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد.
- ١٣١ - ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس بتحقيق محمد محمد حسين المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ١٣٢ - ديوان الإمام الشافعي، للشافعي جمع وتحقيق زهدي يكن، دار الريحاني للطباعة والنشر.
- ١٣٣ - ديوان بشار، لشار بن برد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، شرح الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ١٣٧٦هـ.
- ١٣٤ - ديوان الصنعاني، للإمام الصنعاني الطبعة الأولى، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٨٤هـ، قدم له علي السيد صبح المدني.
- ١٣٥ - ديوان عبدالله بن رواحة جمع وتحقيق ودراسة حسن محمد باجودة، دار التراث - القاهرة مطبعة السنة المحمدية.
- ١٣٦ - ديوان ابن الفارض مؤسسة المطبوعات الإسلامية، مكتبة عبدالرحمن محمد ومطبعتها البهية المصرية، مصر سنة ١٣٥٣هـ.
- ١٣٧ - ديوان النابغة الذبياني دار صادر، تحقيق كرم البستاني، بيروت.
- ١٣٨ - الذخيرة، للقرافي الجامعة الأزهرية ١٣٨١هـ، مطبعة كلية الشريعة.

- ١٣٩ - ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب
دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ.
- ١٤٠ - الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي
تحقيق نورالدين عتر، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
- ١٤١ - رد الدارمي على بشر المريسي
بتحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى في سنة ١٣٥٨هـ، مطبعة أنصار السنة
المحمدية، مصر.
- ١٤٢ - الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي الشافعي
المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٨١هـ.
- ١٤٣ - الرد على الجهمية، للإمام أحمد بن حنبل
تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض ١٣٩٧هـ.
- ١٤٤ - الرسالة، للإمام الشافعي
بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ، ١٩٤٠م، شركة مكتبة
ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ١٤٥ - الرسالة الأضحوية في أمر المعاد، لابن سينا
تحقيق سليمان دنيا، طبع دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٦٨هـ. مطبعة الاعتماد بمصر.
- ١٤٦ - رسالة أبي الحسن الأشعري إلى أهل الثغر بباب الأبواب، مخطوط نشره قوام
الدين في مجموعات كلية الإلهيات باستانبول.
- ١٤٧ - رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري
تحقيق د. عائشة عبدالرحمن، الطبعة السادسة، دار المعارف ١٣٩٧هـ.
- ١٤٨ - الرسالة التدمرية، لابن تيمية
المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.
- ١٤٩ - الرسالة المستطرفة، للكتاني، الطبعة الثالثة، دار الفكر.
- ١٥٠ - رسالة في الرد على الرافضة، أبو حامد المقدسي
تحقيق عبدالوهاب خليل الرحمن، الدار السلفية بالهند، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ١٥١ - الرسالة العذراء، لإبراهيم بن المدير
شرح الدكتور زكي مبارك، الطبعة الثانية، وطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة،
١٣٥٠هـ.

- ١٥٢ - رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام، لأبي الحسن الأشعري
الطبعة الثانية، دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٤٤هـ.
- ١٥٣ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية
مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.
- ١٥٤ - روضة المحبين لابن القيم. تقديم أحمد عبيد.
مطبعة السعادة بمصر، الناشر المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٧٥هـ.
- ١٥٥ - الروض النضير، للسيياغي
مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ.
- ١٥٦ - زاد المعاد، ابن القيم
المطبعة المصرية، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٤٧هـ.
- ١٥٧ - زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن
محمد بن الجوزي القرشي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى
١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
- ١٥٨ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني
المكتبة الإسلامية، عمان، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ١٥٩ - السلوك، للمقرئزي
مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٤م.
- ١٦٠ - سمط اللآلئ
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤هـ، تصحيح عبدالعزيز الميني.
- ١٦١ - السنة، عبدالله بن أحمد
المطبعة السلفية ومكبتها، مكة المكرمة، ١٣٤٩هـ.
- ١٦٢ - السنة، لابن أبي عاصم الشيباني
المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١٦٣ - سنن الترمذي
١ - طبعة الدعاس.
٢ - طبعة دار الفكر، محمد محي الدين عبدالحميد
٣ - الطبعة الأولى، مطبعة الصاوي.

- ١٦٤ - سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني
شركة الطباعة الفنية المتحدة، الناشر عبدالله هاشم اليماني ١٣٨٦هـ.
- ١٦٥ - سنن ابن ماجه
١ - طبعة شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، طبعة الأعظمي.
٢ - ط. محمد فؤاد عبدالباقي، ح ١٣٥٧.
- ١٦٦ - سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي
الناشر المكتبة العلمية، بيروت، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.
- ١٦٧ - سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي
شركة الطباعة الفنية المتحدة بمصر، الناشر عبده هاشم اليماني ١٣٨٦هـ.
- ١٦٨ - السنن الكبرى، للبيهقي
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.
- ١٦٩ - السيرة النبوية لابن هشام
١ - بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده
١٣٩١هـ. دار الاتحاد العربي للطباعة.
٢ - بتعليق طه عبدالرؤف سعد، مراجعة محمد محي الدين عبدالحميد من
توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- ١٧٠ - السيرة لابن كثير
تحقيق مصطفى عبدالواحد، القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م. مطبعة عيسى البابي
الحلبي وشركاه.
- ١٧١ - سير أعلام النبلاء، للذهبي
مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- ١٧٢ - الشافي في شرح أصول الكافي، عبدالحسين المظفر
مطبعة الغربي الحديثة - النجف.
- ١٧٣ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد محمد مخلوف - القاهرة - المطبعة
السلفية.
- ١٧٤ - شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي
دار المسيرة ١٣٩٩هـ.

- ١٧٥ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي
تحقيق أحمد سعد حمدان، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض.
- ١٧٦ - شرح حديث النزول، لابن تيمية
مطبعة الإمام، مصر ١٣٦٦هـ.
- ١٧٧ - شرح ديوان الفرزدق
جمعه وعلق عليه عبدالله سليمان الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة
الصاوي، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.
- ١٧٨ - شرح السنة، للبعوي
تحقيق شعيب الأرنؤوط المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.
- ١٧٩ - شرح الرسالة الشمسية، عمر بن علي الكاتي
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ.
- ١٨٠ - شرح الشواهد الكبرى، للإمام العيني
على هامش خزانة الأدب البغدادي، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى.
- ١٨١ - شرح شذور الذهب، لابن هشام
بحاشية محمد محي الدين عبدالحميد
- ١٨٢ - شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي
الطبعة الرابعة بتخريج الألباني
- ١٨٣ - شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير، تأليف محمد بن أحمد الفتوح الحنبلي
المعروف بابن النجار.
تحقيق د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد، جامعة أم القرى.
- ١٨٤ - شرح الفقه الأكبر، ملا علي قاري
الطبعة الأولى مطبعة التقدم سنة ١٣٢٣هـ.
- ١٨٥ - شرح المفصل، ليعيش بن علي بن يعيش
إدارة الطباعة المنيرية بمصر.
- ١٨٦ - شرح المواهب اللدنية، للزرقاني
دار الطباعة المنيرية المصرية.
- ١٨٧ - شرح النووي على مسلم
تقديم محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤هـ.

- ١٨٨ - الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لابن بطة العكبري تحقيق د. رضا معطي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٨٩ - شرف أصحاب الحديث تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي، نشر دار إحياء السنة النبوية.
- ١٩٠ - الشريعة، محمد بن الحسين الآجري تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ.
- ١٩١ - الشعر والشعراء تحقيق وشرح أحمد شاكر، القاهرة سنة ١٣٦٤هـ. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ١٩٢ - الصحاح، للجوهري تحقيق وتقديم أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين.
- ١٩٣ - صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١٩٤ - صون المنطق والكلام، للسيوطي تعليق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٩٥ - الضعفاء الصغير تحقيق محمود إبراهيم زائد، دار الوعي، دار التراث، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.
- ١٩٦ - الضعفاء الكبير، للعقيلي تحقيق د. عبدالعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ١٩٧ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته، للألباني المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- ١٩٨ - ضوابط المعرفة، عبدالرحمن حبنكة الميداني دار القلم، دمشق، بيروت ١٣٩٥هـ، الطبعة الأولى.
- ١٩٩ - الضوء اللامع، للسخاوي منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

- ٢٠٠ - ضياء السالك، محمد عبدالعزيز النجار
مطبعة الفجالة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.
- ٢٠١ - طبقات الحفاظ، للسيوطي
تحقيق على محمد عمر الطبعة الأولى، الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة ١٣٩٣هـ.
- ٢٠٢ - طبقات الحنابلة، لابن رجب
مطبعة السنة المحمدية، محمد حامد الفقي ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ٢٠٣ - طبقات الشافعية، للسبكي
تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى عيسى البابي
الحلي وشركاه.
- ٢٠٤ - الطبقات الكبرى، لابن سعد
دار صادر - بيروت ١٣٧٧هـ.
- ٢٠٥ - طبقات المعتزلة، لابن المرتضي
تحقيق وتعليق علي سامي النشار وزميله عصام الدين محمد، ١٩٧٢م.
دار المطبوعات الجامعية.
- ٢٠٦ - طبقات المفسرين، للداودي
مطبعة الاستقلال الكبرى
تحقيق علي محمد عمر بمرکز تحقيق التراث بدار الكتب، الناشر مكتبة وهبة، الطبعة
الأولى ١٣٩٢هـ.
- ٢٠٧ - طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي الأندلسي
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة.
- ٢٠٨ - العبر في خبر من غير، للذهبي
مطبعة حكومة الكويت، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، سنة ١٣٨٦هـ.
- ٢٠٩ - العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، جوزيف نسيم
الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٧م.
- ٢١٠ - العز بن عبدالسلام، حياته وآثاره ومنهجه في التفسير، د. عبدالله الوهبي،
المطبعة السلفية ومكبتها، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
- ٢١١ - العصر المالكي، د. سعيد عبدالفتاح عاشور
دار النهضة العربية - القاهرة - الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.

٢١٢ - عقائد السلف، مجموع

تحقيق علي سامي النشار وعمار جمعي الطالببي، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧١م.

٢١٣ - العقود الدرية، لابن عبدالمهدي

بتحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي .

٢١٤ - العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، عبدالملك الجويني

١ - تقديم وتحقيق د. أحمد حجازي السقا، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية،

الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، مطبعة دار الشباب بالعباسية .

٢ - نشر بالقاهرة عام ١٩٤٨م، بعناية الكوثري .

نسخة ثانية .

٢١٥ - علم العدد، نظرية القياس الأرضية، تأليف بان لوكاشيفتش ترجمة د. عبدالحמיד

صبرة، الناشر منشأة المعارف - الإسكندرية ١٩٦١م.

٢١٦ - علوم الحديث، لابن الصلاح

تحقيق نورالدين عتر، المكتبة العلمية بالمدينة النبوية، ١٣٨٦هـ، مطبعة الأصيل،

حلب .

٢١٧ - العلل المنتاهية، لابن الجوزي

تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار نشر الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

٢١٨ - العلل الواردة في الأحاديث النبوية، للدارقطني

تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله السلفي .

٢١٩ - العلو للعلي الغفار، للإمام الذهبي

تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة

الثانية، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٢٢٠ - العمدة في الأحكام، لأبي محمد المقدسي

تحقيق أحمد شاکر دار المعارف بمصر ١٣٧٣هـ .

٢٢١ - عمل اليوم واللييلة، لابن السني

تحقيق وتعليق عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الكليات الأزهرية طبع ١٣٨٩هـ . دار

الطباعة المحمدية بالأزهر .

- ٢٢٢ - عون المعبود، للعظيم آبادي مع شرح الحافظ ابن القيم تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة النبوية، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٢٢٣ - عيون الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، أحمد بن يحيى المرتضى الطبعة الأولى - دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٥م.
- ٢٢٤ - الغاية في القراءات العشر، أحمد بن الحسين مهران تحقيق محمد غياث الجنباز، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ. مطابع شركة العبيكان - الرياض.
- ٢٢٥ - غاية المرام في علم الكلام، للآمدي تحقيق حسن محمود عبداللطيف، القاهرة، ١٣٩١هـ. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- ٢٢٦ - غرائب القرآن، للحسن بن محمد النيسابوري تحقيق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
- ٢٢٧ - غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام تقديم محمد عظيم الدين، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ١٣٨٤هـ.
- ٢٢٨ - غريب الحديث، للخطابي تحقيق عبدالكريم إبراهيم العزباوي، مطابع دار الفكر بدمشق ١٤٠٢هـ.
- ٢٢٩ - فتاوى القفال، لأبي بكر الشاشي القفال (دار الكتب المصرية برقم ١١٤١) رقم المخطوط في مصورات جامعة الإمام ٨٨٨٢.
- ٢٣٠ - فتح الباري، لابن حجر ١ - المطبعة السلفية طبعة بولاق، الطبعة الأولى تحقيق أحمد شاكر. ٢ - تصحيح وتحقيق الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
- ٢٣١ - الفتح الرباني، للساعاتي دار الشهاب بالقاهرة

- ٢٣٢ - فتح القدير، للشوكاني
دار المعرفة، توزيع مكتبة المعارف بالرياض
- ٢٣٣ - الفتوحات الربانية، لابن علان.
- ٢٣٣/أ - الفتوى الحموية، لابن تيمية
- ١ - تصحيح محمد عبدالرزاق حمزة، المطبعة السلفية، مكة المكرمة ١٣٥١هـ.
- ٢ - طبعة بيروت بتحقيق، ريتشارد مكارثي.
- ٢٣٤ - الفخري في الآداب السلطانية، لابن طباطبا
دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ٢٣٥ - الفرق بين الفرق، عبدالقاهر البغدادي
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.
- ٢٣٦ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.
- ٢٣٧ - فصوص الحكم، لابن عربي
والتعليقات عليه بقلم أبو العلا عفيفي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٥هـ.
- ٢٣٨ - فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي
تحقيق عبدالرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت.
- ٢٣٩ - فضائل القرآن، لابن كثير في آخر التفسير، صححها نخبة من العلماء، دار الكتب
المصرية، الناشر دار الفكر.
- ٢٤٠ - فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، لأبي القاسم البلخي والقاضي عبدالجبار
والحاكم الجشمي، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس ١٣٩٣هـ.
- ٢٤١ - الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، د. محمد عاطف العراقي دار المعارف بمصر، سنة
١٩٦٩م.
- ٢٤٢ - الفنون، لأبي الوفاء ابن عقيل
طبع بعناية أحد المستشرقين.
- ٢٤٣ - الفهرست، لابن النديم
المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٤٨هـ. المطبعة الرحمانية بمصر.
- ٢٤٤ - الفوائد، لابن القيم
الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض

- ٢٤٥ - الفوائد البهية، للكنوي
 مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٢٤هـ.
- ٢٤٦ - الفوائد المجموعة، للشوكاني
 تحقيق المعلمي .
- ٢٤٧ - فوات الوفيات، محمد شاعر الكتبي
 مطبعة بولاق ١٢٩٩هـ .
- ٢٤٨ - الكاشف، للذهبي
 تحقيق عزت علي عطية، دار الكتب الحديثة بمصر، مطبعة دار التأليف والنشر.
- ٢٤٩ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (المعروف بالقصيدة النونية) لابن القيم،
 إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.
- ٢٥٠ - الكامل، لابن الأثير
 طبع في مصر سنة ١٣٠٣هـ .
- ٢٥١ - كتاب سيويه
 ١ - الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان.
 ٢ - الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق - مصر المحمية سنة ١٣١٦هـ .
 ٣ - بتحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب -
 الطبعة الثانية.
- ٢٥٢ - الكتاب المقدس، دار الثقافة المسيحية، القاهرة.
- ٢٥٣ - الكشاف، للزنجشري
 ١ - انتشارات آفات طهران
 ٢ - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى سامي الحلبي بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٨٥هـ .
- ٢٥٤ - كشف الأستار عن زوائد البزار، علي بن أبي بكر الهيثمي
 تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى
 ١٣٩٩هـ .
- ٢٥٥ - كشف الظنون، حاجي خليفة
 ١ - الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية بطهران ١٣٧٨هـ .
 ٢ - ط . استانبول .
 ٣ - الناشر دار العلوم الحديثة بيروت .

- ٢٥٦ - كشف المحجوب، لعلي بن عثمان بن أبي علي الهجويري
ترجمة د. إسعاد عبدالهادي قنديل مراجعة أمين عبدالمجيد بدوي، الناشر المجلس
الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر ١٣٩٤هـ.
- ٢٥٧ - كشف الخفاء، للعجلوني
مكتبة القدس ١٣٥١هـ.
- ٢٥٨ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين الهندي مؤسسة
الرسالة، بيروت، منشورات دار اللواء، الرياض ١٣٩٩هـ.
- ٢٥٩ - اللآلئ المصنوعة، للسيوطي
الطبعة الأولى، المكتبة الحسينية المصرية بالأزهر، أمين دمج بيروت.
- ٢٦٠ - لسان العرب، لابن منظور
١ - دار صادر بيروت
٢ - دار المعارف.
- ٢٦١ - لسان الميزان، لابن حجر
منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، مطبعة مجلس دائرة المعارف
النظامية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٣١هـ.
- ٢٦٢ - مؤلفات الغزالي، لعبدالرحمن بدوي
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر.
- ٢٦٣ - المجامع النصرانية وأثرها على اعتقاد النصارى
رسالة ماجستير علي محمد الكباشي. مقدمة لقسم العقيدة بجامعة الإمام.
- ٢٦٤ - المجروحين من المحدثين، أبو حاتم البستي، المطبعة العزيزية حيدر أباد، الهند،
الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.
- ٢٦٥ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي
الناشر دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٧م.
- ٢٦٦ - المجموع شرح المهذب، للإمام النووي
تحقيق محمد نجيب المطيعي، توزيع المكتبة العالمية بالفجالة بمصر.
- ٢٦٧ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم النجدي وابنه
محمد، تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ. توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية.

- ٢٦٨ - محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة
دار الفكر العربي - دار الاتحاد العربي للطباعة.
- ٢٦٩ - محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للفخر الرازي
مقدم له طه عبدالرؤوف سعد، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
- ٢٧٠ - المحصول، للرازي
بتحقيق د. طه جابر فياض العلواني
طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٢٧١ - المحلى، لابن حزم
دار الاتحاد العربي للطباعة بمصر، الناشر مكتبة الجمهورية العربية ١٣٨٧هـ.
- ٢٧٢ - محيط المحيط، بطرس البستاني
مكتبة لبنان، بيروت، ساحة رياض الصلح ١٩٧٧م، مطابع مؤسسة جواد
للطباعة، لبنان.
- ٢٧٣ - مختصر الصواعق المرسله، للموصلي
١ - تصحيح زكريا علي يوسف مطبعة الإمام - مصر.
٢ - الناشر مكتبة الرياض الحديثة.
- ٢٧٤ - مختصر طبقات الحنابلة، جميل أفندي الشطي
مطبعة الترقى، دمشق سنة ١٣٣٩هـ.
- ٢٧٥ - مختصر العلو، للذهبي اختصار الألباني
تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- ٢٧٦ - مختصر المزني
أشرف على طبعه محمد زهري النجار، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت -
لبنان - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
- ٢٧٧ - المخصص، لابن سيده
طبعة بولاق سنة ١٣١٦هـ.
- ٢٧٨ - المدخل الكبير إلى السنن الكبرى، للإمام البيهقي
تحقيق د. محمد الأعظمي، الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
- ٢٧٩ - مدخل إلى علم المنطق، د. مهدي فضل الله
دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

- ٢٨٠ - مذاهب الإسلاميين، د. عبدالرحمن بدوي
دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
- ٢٨١ - مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة، الطبعة الثانية.
- ٢٨٢ - المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مطبوع بهامش (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) انظر رقم ٣٢.
- ٢٨٣ - مروج الذهب، للمسعودي
فهرسة يوسف أسعد داغر، الناشر دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
- ٢٨٤ - المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري
دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٢٨٥ - المستفاد، أحمد عبدالرحيم العراقي
تعليق حماد محمد الأنصاري، مطابع الرياض.
- ٢٨٦ - مسند الإمام أحمد
١ - تعليق وتحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، الطبعة الرابعة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
٢ - المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٢٨٧ - المسيحية، نشأتها وتطورها، تأليف شارل جنير
المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ترجمة د. عبدالحليم محمود شيخ الأزهر.
- ٢٨٨ - المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية
تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، بدون تاريخ.
- ٢٨٩ - مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي
تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
- ٢٩٠ - مشارق الأنوار على صحاح الأخبار، للقاضي عياض اليعقوبي
مطابع دار الجيل للطباعة بمصر، ونشر المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة.

- ٢٩١ - المصباح المنير، لأحمد محمد المغربي
 ١ - المطبعة الأميرية بالقاهرة الطبعة الثانية ١٩٠٩ م.
 ٢ - المطبعة الأميرية بالقاهرة الطبعة السادسة ١٩٢٦ م.
 ٣ - دار الكتب العلمية.
- ٢٩٢ - مصنف ابن أبي شيبة
 تحقيق عبدالحق الأفغاني. الطبعة الثانية، الدار السلفية بالهند.
- ٢٩٣ - مصنف عبدالرزاق الصنعاني، من منشورات المجلس العلمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ.
- ٢٩٤ - معارج القبول، حافظ بن أحمد الحكمي
 من مطبوعات الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض.
- ٢٩٥ - المتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر
 تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الطبعة الأولى، دار الأرقم، الكويت
 ١٤٠٤ هـ.
- ٢٩٦ - معجم البلدان، لياقوت الحموي
 مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٤ هـ.
 دار صادر، بيروت.
- ٢٩٧ - معجم المؤلفين، رضا كحالة
 مطبعة الترقى، دمشق ١٣٨٠ هـ.
- ٢٩٨ - المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا
 دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧١ م.
- ٢٩٩ - المعجم الفلسفي
 مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٩ هـ -
 ١٩٧٩ م. عالم الكتب، بيروت.
- ٣٠٠ - معجم متن اللغة، أحمد رضا
 دار مكتبة الحياة، بيروت ١٣٧٧ هـ.
- ٣٠١ - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس
 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية،
 ١٣٨٩ هـ.

- ٣٠٢ - المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وزملائه، طبعة مجمع اللغة العربية.
- ٣٠٣ - معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري
تعليق معظم حسين، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة النبوية الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ.
- ٣٠٤ - المغازي، للواقدي
تحقيق د. مارسدن جونسى، عالم الكتب، بيروت.
- ٣٠٥ - المغني، لابن قدامة
مطبعة عاطف وسيد طه وشركاهم بمصر، الناشر مكتبة الجمهورية العربية
بالقاهرة.
- ٣٠٦ - المغول في التاريخ، فؤاد عبدالمعطي الصياد
دار النهضة العربية - بيروت.
- ٣٠٧ - مفاتيح العلوم، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الخوارزمي
مطبعة الشرق، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى ١٣٤٢ هـ.
- ٣٠٨ - مفتاح دار السعادة، لابن القيم
مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
- ٣٠٩ - مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني
تقديم الأستاذ أحمد صقر.
- ٣١٠ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري
بتحقيق محمد محي الدين عبدالحמיד، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية
١٣٨٩ هـ.
- ٣١١ - المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية
والتحصيلات المحكمات الشرعية لأمهاة مسائل المشكلات، لابن رشد،
مطبعة السعادة، طبع بمطبعة بولاق ١٢٩٤ هـ. وأعيد بالأوفست بمكتبة المثنى ببغداد
١٩٧٠ م.
- ٣١٢ - المقرئ وكتابه نفح الطيب، د. محمد عبدالكريم
دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٣١٣ - الملل والنحل، للشهرستاني
١ - تحقيق محمدفتح الله بدران
٢ - مطبوع بهامش الفصل. (انظر الفصل).

- ٣١٤ - منادمة الأطلال، لعبد القادر بن بدران.
منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بدمشق.
- ٣١٥ - المنار المنيف، لابن القيم
تحقيق عبدالفتاح أبوغدة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب مطابع دار القلم،
بيروت، لبنان.
- ٣١٦ - مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي
منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
- ٣١٧ - مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد
تحقيق د. محمود قاسم، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٣١٨ - منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبو داود، أحمد عبدالرحمن البنا الشهرير
بالساعاتي
المطبعة المنيرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ.
- ٣١٩ - المنطق، محمد رضا المظفري
مطبعة النعمان بالنجف، الطبعة الرابعة ١٣٩٢هـ.
- ٣٢٠ - منطق أرسطو
حققه وقدم له، عبدالرحمن بدوي، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨م.
- ٣٢١ - المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، د. علي سامي النشار، الطبعة
الثانية، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٣م.
- ٣٢٢ - منهاج السنة النبوية، لابن تيمية
تحقيق د. محمد رشاد سالم، مكتبة خياط، شارع بلس، بيروت - لبنان، مطبعة
المدني ١٣٨٢هـ.
- ٣٢٣ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي، حققه
ونشره محمد حمزة عبدالرزاق، المطبعة السلفية ومكبتها، شارع فتح بالروضة.
- ٣٢٤ - موارد ابن القيم في كتبه، د. بكر أبوزيد
المكتب الإسلامي بيروت، مكتبة الرشد، بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ -
١٩٨٣م.
- ٣٢٥ - المواقف، عبدالرحمن بن أحمد الأبيحي
عالم الكتب، بيروت، دار الباز، مكة المكرمة

- ٣٢٦ - الموسوعة العربية الميسرة
 بإشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.
- ٣٢٧ - الموشى (أو الظرف والظرفاء)، لأبي محمد بن إسحاق الوشاء دار صادر -
 بيروت، دار بيروت ١٣٨٥هـ.
- ٣٢٨ - الموطأ، للإمام مالك
 تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي
 ١٣٧٠هـ.
- ٣٢٩ - ميزان الاعتدال، للذهبي
 دار المعرفة، بيروت، لبنان، توزيع الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض.
- ٣٣٠ - النبوات، لابن تيمية
 يطلب من مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
- ٣٣١ - النجوم الزاهرة، جمال الدين بن تغري بردي الأتابكي
 طبعة مصورة عن دار الكتب، مطابع كوستاتسوماس وشركاه.
- ٣٣٢ - النشر في القراءات العشر، علي محمد الضباع.
 المكتبة التجارية، مطبعة مصطفى محمد بمصر.
- ٣٣٣ - نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، للزيلعي
 الطبعة الثانية، تصحيح المجلس العلمي، جنوب أفريقيا.
- ٣٣٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير
 تحقيق محمد محمد الطناجي، طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربية،
 عيسى البابي الحلبي، وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ٣٣٥ - نهاية الإقدام في علم الكلام، عبدالكريم الشهرستاني
 تصحيح الفردجيوم.
- ٣٣٦ - نهاية العقول في دراسة الأصول، للفخر الرازي
 مخطوط في دار الكتب الوطنية بمصر رقم ٧٤٨ توحيد ورقم ٥٦٥ (طلعت علم
 كلام).
- ٣٣٧ - هدية العارفين، للبغدادي
 طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م.

٣٣٨ - الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، لابن القيم
تحقيق اسماعيل الأنصاري نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.

٣٣٩ - الوافي بالوفيات، للصفدي

١ - باعثناء هلموت ريتز، دار النشر فرانزستاينز، بقيسباون ١٣٨١هـ.

٢ - باعثناء س. ديدرنيغ، دار النشر فرانزستاينز، بقيسباون ١٣٩٤هـ -
١٩٧٤م.

٣ - مطبعة وزارة المعارف، استانبول ١٩٤٩م.

٣٤٠ - وجاء دور المجوس، عبدالله بن محمد الغريب

دار الجيل للطباعة بمصر، ١٩٨١م.

٣٤١ - وفيات الأعيان، لابن خلكان

١ - مطبعة السعادة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ.

٢ - تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت - لبنان، مطبعة الغريب،
بيروت، دار صادر.

* * *

(١٠)
فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الباحث	٥
القسم الأول: الدراسة (التعريف بالمؤلف، والكتاب، والمخطوطة)	
الباب الأول: التعريف بالمؤلف	٢١
الفصل الأول: عصر ابن القيم أولاً - الحالة السياسية (أ) السياسة الخارجية	٢٣
١ - الحروب الصليبية	٢٥
٢ - أسباب الحروب الصليبية	٢٥
٣ - حركة المد والجزر بين المسلمين والصليبيين	٢٦
* المرحلة الأولى	٢٨
* المرحلة الثانية	٣٠
* المرحلة الثالثة	٣٠
٢ - المغول	٣١
١ - الشيعة وسقوط الخلافة	٣٢
٢ - حملة هولاكو على الشام	٣٣
٣ - آثار هذه الحملات على العالم الإسلامي	٣٥

٣٦	(ب) السياسة الداخلية (حكم الماليك)
٣٧	– الماليك البحرية
٣٧	– الماليك البرجية
٣٧	– سيادة الماليك على الشام
٣٩	ثانياً – الحالة الاجتماعية
٤٣	ثالثاً – الحالة العلمية
٤٣	١ – كثرة المساجد والمدارس ودور العلم
٤٧	٢ – كثرة العلماء والمؤلفات الموسوعية
٤٩	الفصل الثاني: ترجمة الإمام ابن القيم
٥١	اسمه
٥٢	أسرته
٥٣	حياته ونشأته
٥٥	شيوخه
٥٨	تلامذته
٦٠	ثناء العلماء عليه
٦٢	مؤلفاته:
٦٤	كتبه في السنة
٦٨	وفاته
٦٩	أهم ما كتب عنه استقلالاً
	الباب الثاني
٧١	التعريف بالكتاب والمخطوطة
٧٣	الفصل الأول: الكتاب
٧٥	عنوانه
٧٨	توثيق نسبة الكتاب لابن القيم
٨٢	عدد مجلداته
٨٢	تاريخ تأليف الكتاب

٨٤	سبب تأليفه
٨٤	مصادر الكتاب
٩٢	موضوع الكتاب
٩٣	عرض موجز لأهم الموضوعات الرئيسية في الجزء الأول
٩٤	التأويل
٩٥	الطاغوت الأول
٩٧	الطاغوت الثاني
١٠١	منهج الإمام ابن القيم في هذا الكتاب
١٠١	١ - الاعتماد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ
١٠١	٢ - طول النفس
١٠٢	٣ - السعة والشمول
١٠٣	٤ - المناقشة والتحليل
١٠٦	٥ - الأمانة والدقة في النقل
١٠٧	٦ - الموضوعية وإنصاف الخصوم
١١٠	٧ - الاستطراد
١١١	٨ - التكرار
١١٢	٩ - الأسلوب الأدبي
١١٥	تقويم الكتاب
١١٧	المقارنة بالمختصر
١٢٧	الفصل الثاني: المخطوطة
١٢٩	١ - عدد النسخ
١٢٩	٢ - التعريف بالنسخ
١٣٢	٣ - سقط النسخ
١٣٣	٤ - أسباب اختيار نسخة الأصل
١٣٥	٥ - نماذج مصورة من النسخ

١٤٥	القسم الثاني: (الكتاب المحقق)
١٤٧	(مقدمة المصنف وتشمل ما يلي)
١٤٧	(بيان حال الأمم قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)
١٥٠	(بيان أن أساس دعوة الرسول معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله)
١٥٧	(بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف الأمة بالله وأسمائه وصفاته أتم تعريف) (الرد على من زعم أن الخلف أعلم من السلف في باب الإيمان بالله وتوحيده)
١٦١	(التأويل)
١٧٠	فصل (فهرس إجمالي لمباحث التأويل)
١٧٠	الفصل الأول: في معرفة حقيقة التأويل ومسماه لغة واصطلاحاً
١٧٥	(التأويل في اللغة)
١٧٧	(التأويل في الاصطلاح)
١٧٧	(التأويل في كلام الله ورسوله)
١٧٨	(التأويل عند أهل التفسير)
١٧٨	(التأويل عند المتكلمين)
١٨١	الفصل الثاني: انقسام التأويل إلى صحيح وباطل
١٨١	(التأويل الصحيح)
١٨٧	(التأويل الباطل)
١٨٧	(أنواع التأويل الباطل)
١٨٧	أحدها
١٨٨	الثاني
١٨٨	الثالث
١٨٩	الرابع
١٩٢	الخامس
١٩٦	السادس

١٩٧	السابع
١٩٩	الثامن
١٩٩	التاسع
٢٠١	العاشر
٢٠١	(الفرق بين التأويل الصحيح والتأويل الباطل)
٢٠٢	الفصل الثالث: في أن التأويل إخبار عن مراد المتكلم لا إنشاء
٢٠٥	(أنواع الخطاب)
٢٠٥	(الأول)
٢٠٥	(الثاني)
٢٠٦	الفصل الرابع: في الفرق بين تأويل الخبر وتأويل الطلب.
	وقوع الخلاف بين الصحابة في تأويل الطلب (آيات الأحكام) دون
٢٠٨	تأويل الخبر (آيات الصفات)
٢١٢	(آيات الأحكام بعضها مجمل يحتاج إلى بيان بخلاف آيات الصفات)
٢١٢	(التشابه والأحكام)
	الفصل الخامس: في الفرق بين تأويل التحريف وتأويل التفسير وأن الأول
٢١٥	ممتنع وقوعه في الخبر والطلب والثاني يقع فيها
٢١٥	(التحريف وأنواعه)
٢١٥	(الأول)
٢١٥	(الثاني)
٢١٧	(أمثلة لتأويل التحريف)
٢١٧	(المثال الأول)
٢١٨	(المثال الثاني)
٢١٨	(المثال الثالث)
٢١٩	(المثال الرابع)
	الفصل السادس: في تعجيز المتأولين عن تحقيق الفرق بين ما يسوغ تأويله من
٢٢٠	آيات الصفات وأحاديثها وما لا يسوغ
٢٢١	(الرد على نفاة الصفات)
٢٣٠	(بيان أن ضابط التأويل عند كل فرقة المذهب الذي ذهب إليه)

٢٣٤	الفصل السابع: في إلزامهم بالمعنى الذي جعلوه تأويلاً نظير ما فروا منه
٢٢٨	الفصل الثامن: في بيان خطئهم في فهمهم من النصوص المعاني الباطلة التي تأولوها لأجلها فجمعوا بين التشبيه والتعطيل
٢٣٨	مثال: (من شبه الجهمية أن ظاهر القرآن يقتضي التشبيه)
٢٣٩	(مقدمة في الرد على هذه الشبهة)
٢٤٣	(الرد على هذه الشبهة من وجوه)
٢٤٣	أحدها
٢٤٤	الثاني
٢٤٤	الثالث
٢٤٥	الرابع
٢٤٦	الخامس
٢٤٧	السادس
٢٥٠	السابع
٢٥٢	الثامن
٢٥٤	التاسع
٢٦٥	العاشر
٢٦٨	الوجه الحادي عشر
٢٨٨	الفصل التاسع: في الوظائف الواجبة على المتأول الذي لا يقبل منه تأويله إلا بها
٢٨٩	الأمر الأول:
٢٩١	(من أمثلة الأمر الأول):
٢٩١	(المثال الأول)
٢٩٢	(المثال الثاني)
٢٩٢	(الأمر الثاني)
٢٩٢	(الأمر الثالث)
٢٩٣	(الأمر الرابع)

- الفصل العاشر: في أن التأويل شر من التعطيل فإنه يتضمن التشبيه والتعطيل
 ٢٩٦ والتلاعب بالنصوص
 ٢٩٦ (بيان أن المؤولة جمعوا بين أربعة محاذير)
 ٢٩٦ (المحذور الأول)
 ٢٩٦ (المحذور الثاني)
 ٢٩٦ (المحذور الثالث)
 ٢٩٧ (المحذور الرابع)
 ٣٠١ حكم الرد على المؤولة
 الفصل الحادي عشر: في أن قصد المتكلم من المخاطب حمل كلامه على خلاف
 ٣١٠ ظاهره وحقيقته يتنافي قصد البيان والإرشاد والهدى
 ٣١٠ (بيان أن مراد المتكلم يحصل بأمرين)
 ٣١٠ (الأول)
 ٣١٠ (الثاني)
 (كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ما يلزم من لوازم باطله لو كان
 ما يقوله النفاة هو الحق منها)
 ٣١٤ (الأول)
 ٣١٤ (الثاني)
 ٣١٤ (الثالث)
 ٣١٥ (الرابع)
 ٣١٥ (الخامس)
 ٣١٦ (السادس)
 ٣١٦ (السابع)
 ٣١٧ (بيان أن القرآن موصوف بأوضح البيان)
 الفصل الثاني عشر: في بيان أنه مع كمال علم المتكلم وفصاحته وبيانه
 ونصحه يمتنع عليه أن يريد بكلامه خلاف ظاهره
 وحقيقته وعدم البيان في أهم الأمور وما تشتد الحاجة
 ٣٢٠ إلى بيانه
 ٣٢٠ (مناظرة الشيخ عبدالله بن تيمية لبعض الجهمية)

- ٣٢٧ (مناظرة ابن القيم لبعض علماء أهل الكتاب)
- ٣٢٩ (تشابه الجهمية والنصارى)
- ٣٣٠ الفصل الثالث عشر: في بيان أن تيسير القرآن للذكر ينافي حمله على التأويل
- ٣٣٠ المخالف لحقيقته وظاهره
- ٣٣٠ (معنى التفسير الأحسن)
- ٣٣١ (أنواع تيسير القرآن)
- ٣٣١ أحدها
- ٣٣١ الثاني
- ٣٣١ الثالث
- ٣٣٦ (طريقة المتكلمين ضد طريقة القرآن فهي تدل على معاني باطلة بأعقد عبارة وأطولها)
- ٣٤٢ الفصل الرابع عشر: في أن التأويل يعود على المقصود من وضع اللغات بالإبطال
- ٣٤٨ الفصل الخامس عشر: في جنائيات التأويل على أديان الرسل وأن خراب العالم وفساد الدنيا والدين بسبب فتح باب التأويل
- ٣٤٨ (مقدمة)
- ٣٥٦ (التأويل سبب ضلال اليهود)
- ٣٥٨ (التأويل سبب ضلال النصارى)
- ٣٦٥ (التأويل سبب هدم أصول الإيمان والإسلام)
- ٣٧٠ (التأويل سبب لطرده إبليس ولعنه)
- ٣٧٢ (التأويل سبب لخروج آدم من الجنة)
- ٣٧٦ «فصل» (التأويل سبب لكثير من الحوادث التي وقعت بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا)
- ٣٨٢ الفصل السادس عشر: في بيان ما يقبل التأويل من الكلام وما لا يقبله
- ٣٨٢ (أقسام كلام المتكلم)
- ٣٨٢ (فصل القسم الأول) ما هو نص في مراد المتكلم لا يحتمل غيره
- ٣٨٤ (فصل القسم الثاني) ما هو ظاهر في مراد المتكلم وإن احتمل أن يريد غيره
- ٣٨٩ (فصل القسم الثالث) الخطاب المجمل.

٣٨٩	ذكر بعض الأمثلة على ذلك من القرآن
٣٨٩	المثال الأول
٣٩٠	المثال الثاني
٣٩٠	المثال الثالث
٣٩٢	المثال الرابع
٣٩٢	المثال الخامس
٣٩٣	المثال السادس
٣٩٣	المثال السابع
٣٩٣	المثال الثامن
٣٩٥	المثال التاسع
٣٩٥	المثال العاشر

ذكر بعض الأمثلة على ذلك من السنة

٣٩٥	المثال الأول
٣٩٦	المثال الثاني
٣٩٦	المثال الثالث
٣٩٧	المثال الرابع
٣٩٧	المثال الخامس

الفصل السابع عشر: في أن التأويل يفسد العلوم كلها إن سلط عليها ويرفع

٣٩٨	الثقة بالكلام ولا يمكن لأمة من الأمم أن تعيش عليه
	فصل: في بيان أنه إن سلط على آيات التوحيد القولي العلمي وأخباره
	لزم تسليطه على آيات التوحيد العملي وأخباره وفسد التوحيد معرفة
٤٠٠	وقصداً

(في بيان التلازم بين الشرك والتعطيل)

(إقرار الفلاسفة بأن تأويل آيات الصفات يجعل الشرع كله مؤولاً)

٤٠٥	الفصل الثامن عشر: في انقسام الناس في نصوص الوحي إلى أصحاب تأويل
	وأصحاب تخييل وأصحاب تجهيل وأصحاب تمثيل

وأصحاب سواء السبيل

الصنف الأول: أصحاب التأويل

٤١٨

٤١٨

٤١٨	الصف الثاني: أصحاب التخييل
٤٢٢	الصف الثالث: أصحاب التجهيل
٤٢٣	(أصول مذهبهم)
٤٢٣	(الأول)
٤٢٣	(الثاني)
٤٢٥	الصف الرابع: وهم أصحاب التشبيه والتمثيل
٤٢٥	(الصف الخامس أصحاب سواء السبيل)
٤٢٨	(بيان المثل الأعلى)
	الفصل التاسع عشر: في الأسباب التي تسهل على النفوس الجاهلة قبول
	التأويل مع مخالفته للبيان الذي علمه الله الإنسان
٤٣٥	وفطره على قبوله
٤٣٦	(فصل) السبب الأول
٤٣٨	(فصل) السبب الثاني
٤٤١	(فصل) السبب الثالث
٤٤٤	(فصل) السبب الرابع
٤٤٨	(فصل) السبب الخامس
٤٥٠	(فصل) السبب السادس
	الفصل العشرون: في بيان أن أهل التأويل لا يمكنهم إقامة الدليل السمعي
٤٥٢	على مبطل أبداً
٤٥٣	(ذكر بعض الأمثلة على ذلك)
٤٥٣	(المثال الأول)
٤٥٣	(المثال الثاني)
٤٥٤	(المثال الثالث)
٤٥٤	(المثال الرابع)
٤٥٥	(المثال الخامس)
٤٥٥	(المثال السادس)
٤٥٦	(المثال السابع)
٤٥٦	(المثال الثامن)

- ٤٥٧ (بيان أن أهل التأويل لا يمكنهم إقامة الدليل العقلي على مبطل أبداً)
- ٤٥٩ (بيان الأسباب التي أوجبت لهم ظن التعارض بين السمع والعقل)
- ٤٥٩ الأول
- ٤٥٩ الثاني
- ٤٥٩ الثالث
- ٤٥٩ الرابع
- ٤٦٠ (بيان أن القرآن جمع بين الدليل السمعي والدليل العقلي)
- ٤٦٠ (ذكر بعض الأمثلة على ذلك)
- ٤٦٠ (المثال الأول: في التوحيد)
- ٤٦٢ (المثال الثاني: في التوحيد)
- ٤٦٣ (المثال الثالث: في التوحيد)
- ٤٦٥ (المثال الرابع: في التوحيد)
- ٤٦٥ (المثال الخامس: في التوحيد)
- ٤٦٥ (المثال السادس: في التوحيد)
- ٤٦٦ (المثال السابع: في التوحيد)
- ٤٦٧ (المثال الثامن: في النبوة والقرآن)
- ٤٦٩ (المثال التاسع: في النبوة)
- ٤٧٠ (المثال العاشر: في النبوة)
- ٤٧٢ (المثال الحادي عشر: في النبوة)
- ٤٧٣ (المثال الثاني عشر: في البعث)
- ٤٧٨ (المثال الثالث عشر: في البعث)
- ٤٨٠ (المثال الرابع عشر: في البعث)
- ٤٨١ (المثال الخامس عشر: في إبطال ألوهية عيسى عليه السلام)
- ٤٨٢ (المثال السادس عشر: في إبطال ألوهية عيسى عليه السلام)
- ٤٨٣ (المثال السابع عشر: في إبطال زعمهم أن الملائكة بنات الله)
- ٤٨٥ (المثال الثامن عشر: في التوحيد)
- ٤٩٠ (المثال التاسع عشر: في التوحيد)
- ٤٩١ (المثال العشرون: في إثبات علم الله بالجزئيات)

- ٤٩٣ (المثال الحادي والعشرون: في التوحيد)
- ٤٩٤ (المثال الثاني والعشرون: في التوحيد)
- الفصل الحادي والعشرون: في الأسباب الجالبة للتأويل (هي أربعة أسباب):
- ٥٠٠ اثنان من المتكلم واثنان من السامع
- ٥٠١ (السببان اللذان من المتكلم وهما)
- ٥٠١ (الأول نقصان بيانه)
- ٥٠١ (الثاني سوء قصده)
- ٥٠٧ فصل: (السببان اللذان من السامع وهما):
- ٥٠٧ (الأول سوء فهمه)
- ٥٠٧ (الثاني سوء قصده)
- الفصل الثاني والعشرون: في أنواع الاختلاف الناشئة عن التأويل وانقسام
- الاختلاف إلى محمود ومذموم
- ٥١٤ (أنواع الاختلاف في كتاب الله)
- ٥١٤ (النوع الأول)
- ٥١٤ (النوع الثاني)
- فصل: وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت
- إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم
- ٥١٩ الفصل الثالث والعشرون: في أسباب الخلاف الواقع بين الأئمة بعد اتفاقهم
- على أصل واحد وتحاكمهم إليه وهو كتاب الله
- ٥٢٠ وستة رسوله
- ٥٢٠ (رأي ابن حزم في أسباب الخلاف الواقع بين الأئمة)
- (رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في أسباب الخلاف الواقع بين الأئمة)
- (فصل): السبب الأول
- (فصل): السبب الثاني
- ٥٥٦ (فصل): السبب الثالث
- ٥٥٩ (فصل): السبب الرابع
- ٥٦٠ (فصل): السبب الخامس
- ٥٦١ (فصل): السبب السادس

- ٥٦٥ (فصل): (في الألفاظ المجملة والمشاركة)
- ٥٧٣ (فصل): السبب السابع
- ٥٧٤ (فصل): السبب الثامن
- ٥٧٦ (فصل): السبب التاسع
- ٦٠٤ مسألة الخالف بالطلاق إذا حنث في يمينه وفيها وجوه:
- ٦٠٤ الوجه الأول
- ٦٠٨ الوجه الثاني
- ٦٠٩ الوجه الثالث
- ٦١٠ الوجه الرابع
- ٦١١ الوجه الخامس
- ٦١٢ الوجه السادس
- ٦١٤ الوجه السابع
- ٦١٥ الوجه الثامن
- ٦١٦ الوجه التاسع
- ٦١٧ الوجه العاشر
- ٦١٨ الوجه الحادي عشر
- ٦١٩ (فصل): الطلاق الثلاث بلفظ واحد وفيها أوجه:
- ٦١٩ الوجه الأول
- ٦٢١ الوجه الثاني
- ٦٢١ الوجه الثالث
- ٦٢١ الوجه الرابع
- ٦٢١ الوجه الخامس
- ٦٢٢ الوجه السادس
- ٦٢٢ الوجه السابع
- ٦٢٣ الوجه الثامن
- ٦٢٤ الوجه التاسع
- ٦٢٥ الوجه العاشر
- ٦٢٨ (فصل): عدم وقوع الطلاق في الحيض

الفصل الرابع والعشرون: في ذكر الطواغيت الأربع التي هدم بها أصحاب

٦٣٢

التأويل الباطل معاقل الدين

٦٣٢

الأول: قولهم أن كلام الله ورسوله أدلة لفظية لا تفيد علماً ولا يقيناً.

٦٣٢

الثاني: قولهم أن آيات الصفات مجازات لا حقيقة لها

الثالث: أن أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة لا تفيد العلم

٦٣٢

وغايتها أن تفيد الظن

٦٣٢

الرابع: قولهم إذا تعارض العقل ونصوص الوحي أخذنا بالعقل

(فصل): الطاغوت الأول: قولهم نصوص الوحي أدلة لفظية وهي لا تفيد

٦٣٣

اليقين

(هذا الأصل مردود من وجوه)

٦٣٤

(فصل الطريق الأول): وهو أننا لا نسلم أنه موقوف على هذه المقدمات العشر

(فصل الطريق الثاني): أن الأدلة اللفظية لا تختص بالقرآن والسنة بل هي

٦٤١

وسيلة بني آدم للتفاهم وهذا الطريق يستدل بها من وجوه:

(الوجه الأول): بيان أنه لو لم تفد الأدلة اللفظية العلم بمراد المتكلم لم يعيش بنو

٦٤٢

آدم

٦٤٢

(الوجه الثاني): بيان أن عدم إفادتها اليقين قدح في العلوم الضرورية

(الوجه الثالث): بيان أن معرفة الناس بمراد المتكلم أعظم من معرفتهم

٦٤٢

بالقوانين العقلية

٦٤٢

(الوجه الرابع): بيان أن الطفل أول ما يميز يعرف مراد مربيه بلفظه

٦٤٣

(الوجه الخامس): بيان أن كل إنسان يدل غيره على مراده بالأدلة اللفظية

(الوجه السادس): بيان أن التعريف بالأدلة اللفظية أصل للتعريف بالأدلة

٦٤٣

العقلية

(الوجه السابع): بيان أن الإنسان في فهمه وإفهامه للدليل العقلي محتاج إلى

٦٤٣

معرفة مراد المخبر به لمن يخاطبه

٦٤٣

(الوجه الثامن): بيان أن تعليم الأدلة اللفظية يحسنه كل أحد

٦٤٤

(الوجه التاسع): بيان أن البهائم والطير تعرف مراد بعضها بعضاً بأصواتها

(الوجه العاشر): بيان أن أبلد الناس يعلم مراد من يخاطبه بالكلام الركيك

٦٤٤

العادم للبلاغة

- ٦٤٥ (الوجه الحادي عشر): بيان أن هذا يستلزم الطعن في فصاحة المتكلم أو في فهم السامع أو فيها معاً
- ٦٤٥ (الوجه الثاني عشر): بيان أنه إذا كان التفاهم حاصلًا للحيوانات فما الظن بالإنسان فما الظن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم
- ٦٤٦ (الوجه الثالث عشر): بيان أننا نعلم بالضرورة أن شيوخنا كانوا يعرفونا مرادهم بألفاظهم
- ٦٤٧ (الوجه الرابع عشر): بيان أن دلالة الأدلة اللفظية على مراد المتكلم أقوى من دلالة الأدلة العقلية على الحقائق الثابتة
- ٦٤٧ (الوجه الخامس عشر): بيان أن دلالة قول الرسول على مراده أقوى من دلالة شبهات هؤلاء العقلية على معارضته
- ٦٤٨ (الوجه السادس عشر): بيان أن عقلياتهم التي زعموا أنها تفيد اليقين مخالفة لصريح المعقول
- ٦٤٩ (الوجه السابع عشر): بيان أن هذا شر أنواع السفسطة
- ٦٥٠ (الوجه الثامن عشر): بيان أن القائل بهذا إما أن يريد نفي العموم أو عموم النفي
- ٦٥١ (الوجه التاسع عشر): بيان أن مصنفي العلوم علموا الناس مرادهم من ألفاظهم
- ٦٥٣ (الوجه العشرون): بيان أن القدر فيما جاء به الرسول كالقدح في مخبر الأخبار المتواترة
- ٦٥٤ (الوجه الحادي والعشرون): بيان أن العلماء حصل لهم اليقين بمراد الرسول في الفروع فكيف لا يحصل لهم ذلك في الأصول
- ٦٥٦ (الوجه الثاني والعشرون): بيان أن المخاطبين بالقرآن والسنة أولاً لم يتوقف حصول اليقين لهم بمراده على تلك المقدمات العشر
- ٦٥٧ (الوجه الثالث والعشرون): بيان أن هذه المقدمات العشر ترجع إلى احتمال اللفظ لمعنى آخر غير ما يظهر من الكلام
- ٦٥٩ (الوجه الرابع والعشرون): بيان أن قولهم الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند أمور عشرة نفي عام

- (الوجه الخامس والعشرون): بيان أن الذين لم يحصل لهم اليقين بالأدلة العقلية
 ٦٦٣ أضعاف الذين حصل لهم اليقين بالأدلة السمعية
- (الوجه السادس والعشرون): أقسام ألفاظ القرآن والسنة
 ٦٧٠ (الوجه السابع والعشرون): بيان تأثير المصطلحات الكلامية في عدم قبول
 ٦٧٢ الحق
- (الوجه الثامن والعشرون): بيان أن كلام الله ورسوله في باب الصفات في
 ٦٧٧ إفادة اليقين ككلامهما في باب الميعاد والأمر والنهي
- (الوجه التاسع والعشرون): أقسام ما جاء به الشرع عند المعطلة
 ٦٧٩ (الوجه الثلاثون): بيان أن كل دليل لا يتوقف على هذه المقدمات العشر إجمالاً
 ٦٨٠ (الوجه الحادي والثلاثون): بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على معرفة
 ٦٨٠ الإعراب و التصريف
- (الوجه الثاني والثلاثون): بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على العلم بعدم
 ٦٨١ التخصص والإضمار
- (الوجه الثالث والثلاثون): بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على احتمال
 ٦٨٣ الخصوص والمجاز والنقل والاشتراك
- (الوجه الرابع والثلاثون): بيان أن كثيراً من المفسرين رد ألفاظ القرآن من
 ٦٩٣ العموم إلى الخصوص كما عند كثير من المؤولة
- (الوجه الخامس والثلاثون): بيان فوائد العموم
 ٧٠٨ (الوجه السادس والثلاثون): بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على عدم الإضمار
 ٧١٠ (الوجه السابع والثلاثون): بيان أن الإضمار هو الإخفاء
 ٧١٤ (الوجه الثامن والثلاثون): بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على عدم التقديم
 ٧١٤ والتأخير
- أنواع التقديم والتأخير
 ٧١٧ (الوجه التاسع والثلاثون): بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على نفي المعارض
 ٧٢٠ العقلي
- (الوجه الأربعون): بيان أن دلالة الأدلة على صدق الرسول آيين وأظهر من
 ٧٢٩ تلك الشبه العقلية

- (الوجه الحادي والأربعون): بيان أن المعارضة واقعة بين ما فهمه النفاة من
النصوص وبين العقل الصريح
٧٣٠
- (الوجه الثاني والأربعون): بيان أن العلم بانتفاء المعارض مطلقاً لا سبيل إليه
(الوجه الثالث والأربعون): بيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ
البلاغ الميين
٧٣٢
- (الوجه الرابع والأربعون): بيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عقل
الخلق قبل الوحي لم يكن يدري الإيمان ولا الكتاب
٧٣٤
- (الوجه الخامس والأربعون): بيان أن الله قد أقام الحجة على عباده بالكتاب
والسنة وهي أدلة لفظية
٧٣٥
- (الوجه السادس والأربعون): بيان أن الله بين لعباده غاية البيان
(الوجه السابع والأربعون): هل الأدلة اللفظية لا تفيد علماً ولا ظناً أو تفيد
ظناً؟
٧٣٩
- (الوجه الثامن والأربعون): بيان أن قلوب المؤمنين مطمئنة بذكره وهو كتابه
(الوجه التاسع والأربعون): بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على نقل اللغة
(الوجه الخمسون): بيان أن إفادة كلام الله لليقين فوق استفادة ذلك من كلام
كل متكلم
٧٤٤
- (الوجه الحادي والخمسون): بيان أن مراد المتكلم يعرف من أسلوبه وتركيبه
(الوجه الثاني والخمسون): بيان أن عامة ألفاظ القرآن نصوصاً صريحة
٧٤٥
- (الوجه الثالث والخمسون): بيان أن دلالة الدليل لا تتوقف على نقل الوحي
والتصريف
٧٤٦
- (الوجه الرابع والخمسون): بيان أن عامة ألفاظ القرآن منقولة بالتواتر
(الوجه الخامس والخمسون): من أمثلة إيهام المتكلمين
٧٤٩
- (الوجه السادس والخمسون): بيان أن هذه المقدمات العشر مدارها على
احتمال اللفظ أكثر من معنى
٧٥١
- (الوجه السابع والخمسون): بيان أن في القرآن ألفاظ استعملت في معان
لم تكن تعرفها العرب
٧٥٣
- (الوجه الثامن والخمسون): بيان أن حصول اليقين بمداول الأدلة السمعية
أظهر من حصوله بمداول الأدلة العقلية
٧٥٧

- ٧٥٩ (الوجه التاسع والخمسون): بيان أن النبوة خطاب سمعي
(الوجه الستون): بيان أن دلالة الأدلة السمعية على مدلولها من جنس دلالة
- ٧٦١ الآيات المعينة على مدلولها
(الوجه الحادي والستون): بيان أن من أعظم المحال أن يكون المصنفون قد
- ٧٦٦ بينوا مرادهم ويكون الله ورسوله لم يبينوا مرادهم
٧٦٨ (الوجه الثاني والستون): بيان المراد بقولهم لا تفيد اليقين
٧٦٩ (الوجه الثالث والستون): بيان أن مضمون هذا القانون جحد الرسالة
٧٧١ (الوجه الرابع والستون): بيان اختلاف أصحاب هذا القانون
(الوجه الخامس والستون): بيان أن أصحاب هذا القانون جعلوا الأصل
- ٧٧٢ المحكم ما يدعونه من العقليات
(الوجه السادس والستون): بيان أن هذا القول يؤدي إلى أن لا سبيل لأحد
- ٧٧٣ أن يعرف أن شيئاً من القرآن محكم
(الوجه السابع والستون): بيان أن أصحاب هذا القانون لا يمكنهم إنكار أن
- ٧٧٣ الأدلة اللفظية تفيد ظناً غالباً
(الوجه الثامن والستون): بيان أن هذا يتضمن القدرح في أعظم آيات الرب
- ٧٧٤ الدالة على ربوبيته
(الوجه التاسع والستون): بيان أن هذا القول لم يعرف قبل هؤلاء
- ٧٧٩ (الوجه السبعون): بيان أن حاصل مرادهم يدور على ثلاث مقدمات:
٧٧٩ الأولى
٧٧٩ الثانية
٧٧٩ الثالثة
- ٧٨١ (الوجه الحادي والسبعون): بيان أن هؤلاء مضطربون في العقل
٧٩١ (الوجه الثاني والسبعون): بيان أن هؤلاء في عمى عن الحق
٧٩٣ (الوجه الثالث والسبعون): بيان أن أدلة القرآن والسنة نوعان سمعية، وعقلية
فصل: الطاغوت الثاني: وهو قولهم إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم
- ٧٩٦ العقل
الرد عليه من وجوه
- ٧٩٧ (الوجه الأول): بيان أن هذا التقسيم باطل من أصله

- ٧٩٨ (الوجه الثاني): بيان أن تقديم الدليل العقلي مطلقاً خطأ
- ٧٩٨ (الوجه الثالث): بيان أن لا نسلم انحصار القسمة في الأربعة المذكورة
- ٧٩٩ (الوجه الرابع): بيان بطلان قولهم العقل أصل النقل
- ٨٠٢ (الوجه الخامس): بيان أن من علم صدق الرسول استحال أن يكون عنده دليل يعارض ما أخبر به
- ٨٠٣ (الوجه السادس): بيان أن المنهبي عنه من قبول خبر الرسول وتصديقه فيه هو عين المحذور
- ٨٠٣ (الوجه السابع): بيان أن من نتاج هذا القول ألا يستفاد من الرسول شيء في الأمور الخبرية
- ٨٠٣ أنواع خبر الرسول عند المتكلمين
- ٨٠٣ (الوجه الثامن): بيان بطلان قولهم أن الدليل السمعي ليس بدليل في نفس الأمر
- ٨٠٦ (الوجه التاسع): بيان أنه لو قدر تعارض الشرع والعقل لوجب تقديم الشرع
- ٨٠٧ (الوجه العاشر): بيان أن العقل مع الوحي كالعامي مع المفتي
- ٨٠٨ (الوجه الحادي عشر): بيان أن الدليل الدال على صحة الشيء لا يجب أن يكون أصلاً له
- ٨٠٩ (الوجه الثاني عشر): بيان أن تقديم العقل على الشرع يتضمن القدرح في العقل والشرع
- ٨١٠ (الوجه الثالث عشر): بيان أن الشرع وحي من عند الله لا مجال للعقل فيه
- ٨١٠ (الوجه الرابع عشر): بيان أنه رغم ما وقع في الأمة من اختلاف فلم يقل أحد منهم بتقديم العقل على الشرع
- ٨٢٠ (الوجه الخامس عشر): بيان أن الفرق بين هؤلاء وبين الرسل أعظم بكثير من الفرق بين أجهل الناس وبين هؤلاء
- ٨٢٢ (الوجه السادس عشر): بيان أن تقديم العقل على النقل ممتنع متناقض
- ٨٢٣ (الوجه السابع عشر): بيان أن الله قد أتم هذا الدين بنبيه ولم يحوج الأمة بعده إلى عقل ولا نقل سواه
- ٨٢٦ (الوجه الثامن عشر): بيان أن العقل الصريح لا يعارض الشرع البتة
- ٨٢٩

- ٨٣٠ (الوجه التاسع عشر): بيان أن ما ورد في الشرع مما يخالف العقل الصريح فهو مكذوب
- ٨٣٣ (الوجه العشرون): بيان أنه ليس هناك نص صحيح اجتمعت الأمة على خلافه
- ٨٣٤ (الوجه الحادي والعشرون): بيان أن كل معقول خالف الإجماع فهو فاسد فكيف بالكتاب والسنة
- ٨٣٥ (الوجه الثاني والعشرون): بيان أن الواجب هو رد العقل إلى الكتاب لأنه معصوم
- ٨٣٥ (الوجه الثالث والعشرون): بيان أن هؤلاء مقلدين لأنتمهم فكيف لا يقلدون النبي المعصوم
- ٨٣٧ (الوجه الرابع والعشرون): بيان أن كل من كان قوله عن السمع أبعد كان قوله أفسد واختلاف طائفته أشد
- ٨٤٥ (الوجه الخامس والعشرون): بيان ضلال من أعرض عن ذكر الله فكيف بمن عارضه بعقله
- ٨٤٦ (الوجه السادس والعشرون): بيان كيف يكون عقل من أضله الله مقدماً على كتاب الله
- ٨٤٨ (الوجه السابع والعشرون): بيان أن هؤلاء قد شهدوا على أنفسهم بالحيرة والشك
- ٨٥٠ (الوجه الثامن والعشرون): بيان أن أهل الإيمان هم أولو العقول والألباب
- ٨٥٣ (الوجه التاسع والعشرون): أن يقال إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل
- ٨٥٥ (الوجه الثلاثون): بيان أن معارضة العقل لما دل العقل على أنه حق دليل على تناقض دلالاته
- ٨٥٥ (الوجه الحادي والثلاثون): بيان أن السمع والعقل الصحيح قد شهدا ببطان العقل المخالف للسمع
- ٨٥٦ (الوجه الثاني والثلاثون): بيان أنه لا فرق بين الشبه المعارضة لأصل النبوة والشبه المعارضة لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم

- ٨٥٩ (الوجه الثالث والثلاثون): بيان أن الذين أنكروا أصل النبوة قد استطالوا على
النفاة بتلك الشبه
- ٨٦١ (الوجه الرابع والثلاثون): بيان أن الله تعالى لعدله وحكمته يفسد على العبد
عقله إذا خالف به رسله
- ٨٦٦ (الوجه الخامس والثلاثون): بيان أن تقديم العقل على النقل يقتضي ألا ينتفع
أحد بخبر الأنبياء في باب الصفات والأفعال
- ٨٦٦ (الوجه السادس والثلاثون): بيان أن الكلام مع من قدم العقل على النقل في
مقامات
- ٨٦٧ أحدها (المقام الأول)
- ٨٦٧ (المقام الثاني)
- ٨٦٧ (المقام الثالث)
- ٨٦٨ (المقام الرابع)
- ٨٦٨ (المقام الخامس)
- ٨٦٨ (المقام السادس)
- ٨٦٩ (الوجه السابع والثلاثون): بيان أن الإيمان الجازم لا يستقر في قلب من عارض
الشرع بالعقل
- ٨٧٠ (الوجه الثامن والثلاثون): بيان أننا لو التفتنا إلى كل شبهة يعارض بها السمع
لم يبق لنا وثوق بشيء نعلمه بحس أو عقل أو بها
- ٨٧٣ (الوجه التاسع والثلاثون): بيان أن المعلومات الغائبة أضعاف أضعاف
المعلومات المحسوسة والمعقولة ولا سبيل إلى العلم بها إلا بخبر
الصادق
- ٨٨٠ (الوجه الأربعون): بيان أن ما جاء به الأنبياء من الوحي لا يدرك ولا يكتسب
إلا بالعقل
- ٨٨٢ (الوجه الحادي والأربعون): بيان أن الشبه التي أثبتت ضد آيات الأنبياء أقوى
من الشبه التي أثبتت ضد ما أخبر به الرسول صلى الله عليه
وسلم
- ٨٩٠ (الوجه الثاني والأربعون): بيان أن هؤلاء عكسوا شرعة الله وحكمته فجعلوا
العقل إماماً والوحي مؤتمماً به

- ٨٩٤ (الوجه الثالث والأربعون): بيان أن من عارض أمر الرسل بعقله لم يؤمن بهم وكذا من عارض خبرهم
- ٨٩٨ (الوجه الرابع والأربعون): بيان أن المشركين أعرف بالله من الجهمية لأنهم لم يعترضوا على صفاته سبحانه
- ٩٠٠ (الوجه الخامس والأربعون): بيان أنه لا يتم الإيمان مع وجود ما يناقض خبر الرسول صلى الله عليه وسلم
- ٩٠١ (الوجه السادس والأربعون): بيان أن هذه المعارضة نشأت من الكبر واتباع الهوى
- ٩٠٤ (الوجه السابع والأربعون): بيان أن دلالة السمع على مدلوله متفق عليها بين العقلاء بخلاف دلالة العقل
- ٩٠٥ (الوجه الخمسون): بيان أن كل ما عارض السمع من العقليات ففساده معلوم بالعقل
- ٩٠٦ (الوجه الحادي والخمسون): بيان أن ما علم بالاضطرار - ومنها صفات الله امتنع أن يقوم على بطلانه دليل
- ٩٠٧ (الوجه الثاني والخمسون): بيان أن العقل شاهد لخبر الرسول بأنه صدق وحق
- ٩٠٨ (الوجه الثالث والخمسون): بيان أن الأدلة السمعية نوعان
- ٩٠٨ النوع الأول
- ٩٠٨ النوع الثاني
- ٩٠٩ (الوجه الرابع والخمسون): ذكر الأدلة العقلية على صفات الله تعالى
- ٩١٧ (الوجه الخامس والخمسون): بيان الغاية التي ينتهي إليها من عارض الوحي بالعقل وهي لا تخرج عن أربعة مقامات:
- ٩١٨ المقام الأول
- ٩١٨ المقام الثاني
- ٩١٨ فرق أهل التخيل
- ٩١٨ الأولى
- ٩١٩ الثانية
- ٩١٩ الثالثة
- ٩١٩ المقام الثالث

- المقام الرابع
 ٩٢٠ (الوجه السادس والخمسون): بيان أن منشأ البدع هي الألفاظ المجملة التي
 ٩٢٥ تحتل عدة معان
 ٩٢٩ المثال الأول: لفظ «التوحيد»
 ٩٢٩ أنواع التوحيد
 ٩٢٩ التوحيد الأول
 ٩٣١ التوحيد الثاني
 ٩٣١ التوحيد الثالث
 ٩٣١ التوحيد الرابع
 ٩٣٣ التوحيد الخامس
 ٩٣٧ التوحيد السادس
 ٩٤٤ المثال الثاني: لفظ «التركيب»
 معاني التركيب
 ٩٤٥ المعنى الأول
 ٩٤٦ المعنى الثاني
 ٩٤٦ المعنى الثالث
 ٩٤٦ المعنى الرابع
 ٩٤٦ المعنى الخامس
 ٩٤٩ المثال الثالث: لفظ «العدل»
 (الوجه السابع والخمسون): بيان أن من عارض الوحي بالعقل لم يؤمن بنبوة
 ٩٥٥ محمد صلى الله عليه وسلم
 (الوجه الثامن والخمسون): بيان أن ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم من
 ٩٥٧ الوحي لا يمكن أن يأتي به العقل
 (الوجه التاسع والخمسون): بيان أن معارضة العقل للأمور المشاهدة
 ٩٥٩ المحسوسة - لو أمكن ذلك - أقوى من معارضته للوحي
 (الوجه الستون): بيان أن المعارضة بين العقل والوحي تستلزم إنكار الصانع
 - طريقة زنادقة الفلاسفة في إثبات الصانع
 ٩٦٢ - كلام أبي حامد في الرد عليهم

- (الوجه الحادي والستون): بيان أن الطريقة التي سلكها الفلاسفة والمتكلمون
 ٩٨١ في إثبات الصانع تنفي وجوده
 ٩٨١ طريقة الفلاسفة
 ٩٨٤ فصل طريقة المتكلمين
 ٩٨٧ طريقة المتكلمين في إثبات النبوة
 ٩٨٧ طريقة المتكلمين في إثبات المبدأ أو المعاد
- (الوجه الثاني والستون): بيان أن المعارضين للوحي بعقولهم ارتكبوا أربع
 ٩٨٨ عظام
 ٩٨٨ الأولى
 ٩٨٨ الثانية
 ٩٨٨ الثالثة
 ٩٨٩ الرابعة
- (الوجه الثالث والستون): بيان أن من عارض بين العقل والوحي فقد قال
 ٩٨٩ بتكافؤ الأدلة
- (الوجه الرابع والستون): بيان أن هؤلاء قلبوا الحقائق فجعلوا كلامهم المحكم
 ٩٩٠ وكلام الله هو المتشابه
 ٩٩٢ القواعد التي بنى عليها أهل السنة أصولهم
 ٩٩٢ الأولى
 ٩٩٢ الثانية
 ٩٩٢ الثالثة
 ٩٩٢ الرابعة
- (الوجه الخامس والستون): بيان أن المعارضين للوحي بعقولهم قد فارقوا العقل
 ٩٩٢ والنقل
- (الوجه السادس والستون): بيان منهجهم في التضميل
 ٩٩٥
 (الوجه السابع والستون): بيان أن هذا تقديم بين يدي الله ورسوله
 ٩٩٦
 (الوجه الثامن والستون): بيان أن إبليس أول من قدم العقل على الوحي
 ٩٩٨
 بيان الأعذار التي ذكرها أتباع إبليس في تقديمه العقل على الوحي
 ٩٩٩ الأول

٩٩٩	الثاني
٩٩٩	الثالث
١٠٠٠	الرابع
١٠٠٠	الخامس
١٠٠٠	السادس
	(الوجه التاسع والستون): بيان فساد الدليل العقلي الذي عارض به إبليس أمر ربه وذلك من وجوه:
١٠٠٢	الأول
١٠٠٢	الثاني
١٠٠٤	الثالث
	بيان أن التراب أفضل من النار من وجوه:
١٠٠٤	الأول
١٠٠٤	الثاني
١٠٠٤	الثالث
١٠٠٤	الرابع
١٠٠٥	الخامس
١٠٠٥	السادس
١٠٠٥	السابع
١٠٠٦	الثامن
١٠٠٦	التاسع
١٠٠٦	العاشر
١٠٠٦	الحادي عشر
	(الوجه السبعون): بيان أن هؤلاء عكسوا طريقة الرسل فجاءوا بالنفي المفصل في باب الأسماء والصفات
١٠٠٩	الرد عليهم
١٠١٩	(الوجه الحادي والسبعون): بيان أن الله سبحانه ليس كمثله شيء.
	(الوجه الثاني والسبعون): بيان أن كل ما نفاه الله عن نفسه فهو لإثبات كمال ضده
١٠٢٣	

- ١٠٣٠ (الوجه التاسع والسبعون): بيان المثل الأعلى
- ١٠٣٤ تحليل ابن القيم لعبارات السلف في المثل الأعلى
- ١٠٣٦ (الوجه الثمانون): بيان أن من قدم العقل على النقل فلا بد أن يعادي النصوص المخالفة لعقله
- ١٠٤١ (الوجه الحادي والثمانون): بيان أن من أبغض شيئاً من النصوص ففيه عداوة لله ورسوله بحسب ذلك
- ١٠٤٢ (الوجه الثاني والثمانون): بيان أن من قدم العقل على النقل فقد زعم أن القرآن مجمل
- ١٠٤٦ (الوجه الثالث والثمانون): بيان أن كل حكم خالف حكم الله فهو من أحكام الهوى لا من أحكام العقل
- ١٠٤٨ (الوجه الرابع والثمانون): بيان أن من عارض الوحي بالعقل فقد لزمه لازم من خمسة لوازم
- ١٠٥١ (الوجه الخامس والثمانون): بيان أنواع المعارضين للوحي بآرائهم
- ١٠٥١ الجهمية والمعتزلة
- ١٠٥١ أهل الرأي من الفقهاء
- ١٠٥١ الصوفية
- ١٠٥١ أصحاب السياسة
- ١٠٥١ الباطنية
- ١٠٥٢ (الوجه السادس والثمانون): بيان أن الصحابة لم يعارضوا الوحي بعقولهم وإنما كان ذلك فعل الكفار
- ١٠٦٥ (الوجه السابع والثمانون): بيان أن تقديم العقل يؤدي إلى عدم الاحتجاج بالقرآن والسنة
- ١٠٦٧ (الوجه الثامن والثمانون): بيان أن المعقولات ليس لها ضابط يحددها
- ١٠٦٨ تاريخ نشأة الفرق
- ١٠٨٠ (الوجه التاسع والثمانون): بيان ثبوت صفات الكمال لله بالعقل والنقل
- ١٠٨٦ (الوجه التسعون): بيان أن المعارضين للوحي بعقولهم ليس عندهم علم ولا هدى ولا كتاب منير

- ١٠٩١ (الوجه الحادي والتسعون): بيان أن الشرع والعقل متلازمان ويمتنع تعارض المتلازمين
- ١٠٩٤ (الوجه الثاني والتسعون): بيان أن المعارضين للوحي بعقولهم فرقتان هما الفلاسفة وجهمية المتكلمين وكل من الفريقين ينقض حجج الآخر
- ١٠٩٦ (الوجه الثالث والتسعون): بيان أن الطريق التي سلكها نفاة الصفات في معارضة النصوص هي الطريق التي سلكها الملاحدة في نصوص المعاد
- ١٠٩٧ كلام ابن سينا في الاحتجاج على نفي المعاد بنفي المتكلمين للصفات
- ١١٠٥ الفرق بين الملاحدة والمعطلة في باب الصفات
- ١١٠٧ (الوجه الرابع والتسعون): إما أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم ما دل عليه العقل - بزعمكم - من نفي الصفات أولاً
- ١١٠٨ (الوجه الخامس والتسعون): بيان أن الكتب الإلهية حاكمة بين الناس فكيف لا يحتج بها في مثل هذه الأبواب
- ١١١٠ (الوجه السادس والتسعون): في مناقشة ابن القيم لكلام ابن سينا
- ١١١١ (الوجه السابع والتسعون): بيان أن التوحيد الذي دعى إليه الملاحدة هو من أعظم الإلحاد
- ١١١٢ (الوجه الثامن والتسعون): بيان أنه لو كان الحق فيما يقوله هؤلاء لقبته الفطر ولم تقبل الآيات
- ١١١٤ (الوجه التاسع والتسعون): في عرض أقوال هؤلاء وهؤلاء على العقل والفطرة الصحيحة لترى ماذا تختار
- ١١١٧ (الوجه المائة): بيان أن أئمة المثبتة الأنبياء والصالحون وأئمة النفاة فرعون وتمرود وأضرابها وسير الفريقين وأعمالها دليل قاطع
- ١١٢٢ (الوجه الحادي والمائة): بيان أن معارضة العقل للوحي توجب وصف الوحي بضد ما وصفه الله به
- ١١٢٨ (الوجه الثاني والمائة): بيان أن الله ضمن الهدى لمن اتبع القرآن والضلال لمن أعرض عنه

- ١١٣٠ (الوجه الثالث والمائة): بيان أن تقديم العقل على النقل من المجادلة بالباطل
(الوجه الرابع والمائة): بيان منشأ ضلال المعارضين للوحي بالعقل
- ١١٣١ طريقة السلف وطريقة المتكلمين
(الوجه الخامس والمائة): بيان أن طريقة المتكلمين مشتقة من طريقة المخالفين
- ١١٣٦ للرسول
١١٣٧ الرد عليهم
١١٣٧ الأول
١١٣٧ الثاني
١١٣٧ الثالث
- (الوجه السادس والمائة): بيان أن معقول تشهد له النصوص أولى بالقبول من
١١٣٧ معقول تدفعه النصوص
- ١١٣٩ (الوجه السابع والمائة): في رد زعمهم بأن القرآن أريد منه خلاف ظاهره
(الوجه الثامن والمائة): بيان أن قولهم إن القرآن أريد به خلاف ظاهره يتضمن
١١٤٢ الصد عنه
- (الوجه التاسع والمائة): بيان أن الرسل تكلموا في هذا الباب بالإثبات المناقض
١١٤٤ لقول هؤلاء
- (الوجه العاشر والمائة): في رد زعمهم أن الرسل أرادوا خلاف ما أظهروه
١١٤٦ للناس
- (الوجه الحادي عشر بعد المائة): بيان أن قولهم (إن الرسل أرادوا خلاف ما
١١٥٠ أظهروه للناس يستلزم الكفر والإلحاد
- (الوجه الثاني عشر بعد المائة): بيان أن الرسول إذا لم يبين للناس أصول الإيمان
١١٥٤ كانت رسالته قاصرة
- (الوجه الثالث عشر بعد المائة): بيان تناقض أقوال هؤلاء
١١٥٨ (الوجه الرابع عشر بعد المائة): بيان أن هؤلاء متناقضين في دعواهم تقديم
١١٥٩ العقل على النقل
- (الوجه الخامس عشر بعد المائة): بيان أن المعارضة بين العقل والنقل معارضة
١١٦١ بين الحق والباطل

- ١١٦٢ (الوجه السادس عشر بعد المائة): بيان أن تجويز المعارضة بين العقل والنقل
تضاد الإيمان
- ١١٦٢ (الوجه السابع عشر بعد المائة): بيان أن هذا يؤدي إلى عزل الرسول عن
موجب رسالته
- ١١٦٥ (الوجه الثامن عشر بعد المائة): بيان أن من أعرض عن طريق السمع فليس
له إلا طريق النظر أو طريق الكشف
- ١١٦٦ (الوجه التاسع عشر بعد المائة): الرد على من جوز مجيء الرسول صلى الله
عليه وسلم بما يخالف صريح العقل
- ١١٦٧ (الوجه العشرون بعد المائة): بيان أن من لم يقر بما جاء به الرسول إلا بعد
أن يقوم عنده دليل على صحته لا يكون مؤمناً به
- ١١٦٧ (الوجه الحادي والعشرون بعد المائة): بيان أن حال هؤلاء ضد حال أهل
الإيمان من كل وجه
- ١١٧٠ (الوجه الثاني والعشرون بعد المائة): بيان أن هؤلاء جعلوا كلام الله من طرق
الاستدلال الضعيفة
- ١١٧٩ (الوجه الثالث والعشرون بعد المائة): الرد على قولهم إن ما يجب لله ويمتنع
عليه لا يمكن استفادته من الرسول
- ١١٨٠ (الوجه الرابع والعشرون بعد المائة): بيان أن هؤلاء مقلدون للمشركين والملاحدة
من أسباب ضلالهم
- ١١٨٢ (الوجه الخامس والعشرون بعد المائة): بيان أن هؤلاء لم يؤمنوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم حق الإيمان
- ١١٨٧ (الوجه السادس والعشرون بعد المائة): بيان أن السمع والعقل حجة لله على خلقه
بيان طريقة المتكلمين في إثبات حدوث العالم ونفي كون الله جسماً
وإمكان المعاد
- ١١٩٠ رأي أبي الحسن الأشعري في هذه الطريقة
- ١١٩١ حقيقة هذه الطريقة
- ١١٩١ لوازم هذه الطريقة
- ١١٩٦ رأي الخطابي في هذه الطريقة
- ١١٩٦ طريقة أهل السنة في الاستدلال في هذا الباب

- ١١٩٧ رأي ابن القيم في هذه الطريقة
(الوجه السابع والعشرون بعد المائة): بيان أن المعارضة بين العقل والنقل
- ١٢٠٧ نتيجة جهل بالوحي و جهل بالعقل
(الوجه الثامن والعشرون بعد المائة): بيان أصل معارضة الملاحدة والمعطلة
- ١٢٠٨ للوحي
(الوجه التاسع والعشرون بعد المائة): بيان أن الكلام في الدين نوعان أمر
- ١٢١٠ وخبر
- ١٢١٣ (الوجه الثلاثون بعد المائة): بيان أن هذه المعارضة لا تتم إلا بأربعة أمور:
- ١٢١٣ الأمر الأول
- ١٢١٤ الأمر الثاني
- ١٢١٤ الأمر الثالث
- ١٢١٤ الأمر الرابع
(الوجه الحادي والثلاثون بعد المائة): بيان أن الحق والباطل بينهما اشتراك من
- ١٢١٦ وجه واقتراق من وجوه
- ١٢١٨ بيان أن نفاة الصفات أخطأوا من أربعة أوجه
- ١٢١٨ (الوجه الثاني والثلاثون بعد المائة): في بيان حكم لوازم الصفة
- ١٢٢٠ (الوجه الثالث والثلاثون): من أسباب ضلالهم الفرار من تعدد صفات الواحد
- ١٢٢٢ دلالة الفاتحة، على قيام الأمور المتجددة به
- ١٢٢٢ الأول
- ١٢٢٣ الثاني
- ١٢٢٣ الثالث
- ١٢٢٣ الرابع
- ١٢٢٤ الخامس
- ١٢٢٤ السادس
- ١٢٢٤ السابع
- ١٢٢٥ دلالة قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون
(الوجه الرابع والثلاثون بعد المائة): بيان أن بعض أئمة هؤلاء يقولون إنه ليس
- ١٢٢٨ في العقل ما يوجب تنزيه الرب سبحانه

- ١٢٢٩ (الوجه الخامس والثلاثون بعد المائة): بيان أنه لا يمكنهم على أصولهم تنزيه الرب سبحانه عن النقائص
- ١٢٣٢ (الوجه السادس والثلاثون بعد المائة): بيان أن الله سبحانه عاب أهله المشركين بنفس ما وصفتم به الإله الحق
- ١٢٣٢ (الوجه السابع والثلاثون بعد المائة): بيان أن مقالة المعطلة شر مقالات أهل الأرض
- ١٢٣٤ (الوجه الثامن والثلاثون بعد المائة): بيان أن اللوازم التي تلزم المعطلة شر من اللوازم التي تلزم المشبهة
- ١٢٣٦ (الوجه التاسع والثلاثون بعد المائة): بيان أن تقديمهم العقل قدح وإساءة للعقل
- ١٢٣٦ (الوجه الأربعون بعد المائة): بيان كذب العقل المعارض لما جاءت به الرسل
- ١٢٣٧ (الوجه الحادي والأربعون بعد المائة): بيان أن هؤلاء ردوا حكم العقل الصريح
- ١٢٤٣ (الوجه الثاني والأربعون بعد المائة): بيان أن أئمة أهل الكلام قد شهدوا أن طريقة النفاة مخالفة للسمع والعقل
- ١٢٤٣ قول أبي الحسن الأشعري
- ١٢٥٤ (الوجه الثالث والأربعون بعد المائة): بيان أن هؤلاء فتحوا باباً لأعداء الإسلام لمحاربة القرآن والسنة
- ١٢٥٦ (الوجه الرابع والأربعون بعد المائة): هل المعارضة بين العقل والنقل في جميع النقل أو بعضها
- ١٢٥٩ (الوجه الخامس والأربعون بعد المائة): بيان أن نهاية المعارضين للوحي بعقولهم الشك والحيرة
- ١٢٦٣ (الوجه السادس والأربعون بعد المائة): ذم أهل السنة لطرق المتكلمين
- ١٢٦٨ رأي الغزالي في علم الكلام
- ١٢٧٣ رأي ابن القيم في كلام الغزالي
- ١٢٧٦ مراتب الدعوة
- ١٢٧٧ (الوجه السابع والأربعون بعد المائة): بيان أن العباد مفسطرون على الحق ومن ذلك علو الله على خلقه
- ١٢٧٩ تقرير علو الله على خلقه بالأدلة العقلية من طرق

- ١٢٨٠ (الوجه الثامن والأربعون بعد المائة): وهو الطريق الأول
- ١٢٨١ (الوجه التاسع والأربعون بعد المائة): وهو الطريق الثاني
- ١٣٠٧ (الوجه الخمسون بعد المائة): وهو الطريق الثالث
- ١٣٠٨ (الوجه الحادي والخمسون بعد المائة): وهو الطريق الرابع
- ١٣٠٩ (الوجه الثاني والخمسون بعد المائة): وهو الطريق الخامس
- ١٣١١ (الوجه الثالث والخمسون بعد المائة): وهو الطريق السادس
- ١٣١١ (الوجه الرابع والخمسون بعد المائة): وهو الطريق السابع
- ١٣١٢ (الوجه الخامس والخمسون بعد المائة): وهو الطريق الثامن
- ١٣١٢ (الوجه السادس والخمسون بعد المائة): وهو الطريق التاسع
- ١٣١٣ (الوجه السابع والخمسون بعد المائة): وهو الطريق العاشر
- ١٣١٤ (الوجه الثامن والخمسون بعد المائة): وهو الطريق الحادي عشر
- ١٣١٤ (الوجه التاسع والخمسون بعد المائة): وهو الطريق الثاني عشر
- ١٣١٦ (الوجه الستون بعد المائة): وهو الطريق الثالث عشر
- ١٣١٨ (الوجه الحادي والستون بعد المائة): وهو الطريق الرابع عشر
- ١٣١٨ (الوجه الثاني والستون بعد المائة): وهو الطريق الخامس عشر
- ١٣١٩ (الوجه الثالث والستون بعد المائة): وهو الطريق السادس عشر
- ١٣٢١ (الوجه الرابع والستون بعد المائة): وهو الطريق السابع عشر
- ١٣٢٣ (الوجه الخامس والستون بعد المائة): وهو الطريق الثامن عشر
- ١٣٢٤ (الوجه السادس والستون بعد المائة): وهو الطريق التاسع عشر
- ١٣٢٥ (الوجه السابع والستون بعد المائة): وهو الطريق العشرون
- ١٣٢٨ (الوجه الثامن والستون بعد المائة): وهو الطريق الحادي والعشرون
- ١٣٢٨ (الوجه التاسع والستون بعد المائة): وهو الطريق الثاني والعشرون
- ١٣٢٩ (الوجه السبعون بعد المائة): وهو الطريق الثالث والعشرون
- ١٣٣١ (الوجه الحادي والسبعون بعد المائة): وهو الطريق الرابع والعشرون
- ١٣٣١ (الوجه الثاني والسبعون بعد المائة): وهو الطريق الخامس والعشرون
- ١٣٣٤ (الوجه الثالث والسبعون بعد المائة): وهو الطريق السادس والعشرون
- ١٣٣٥ (الوجه الرابع والسبعون بعد المائة): وهو الطريق السابع والعشرون
- ١٣٣٦ (الوجه الخامس والسبعون بعد المائة): وهو الطريق الثامن والعشرون

- ١٣٣٧ (الوجه السادس والسبعون بعد المائة): وهو الطريق التاسع والعشرون
- ١٣٣٩ (الوجه السابع والسبعون بعد المائة): وهو الطريق الثلاثون
- ١٣٤٠ (الوجه الثامن والسبعون بعد المائة): بيان أن هذه المعارضة تتضمن الفرية على الوحي والعقل واللغة والفترة
- ١٣٤٢ (الوجه التاسع والسبعون بعد المائة): إن المعارضين للوحي يعقولهم هم أعداء الرسل
- ١٣٥٠ (الوجه الثمانون بعد المائة): بيان أن الرسل هم أعقل الخلق
- ١٣٥١ (الوجه الحادي والثمانون بعد المائة): بيان أن ما جاء به محمد لوعورض بما جاء به الأنبياء قبله كان ذلك ضلالاً
- ١٣٥٢ (الوجه الثاني والثمانون بعد المائة): بيان أن من عارض القرآن بعقله فقد زعم أنه غير كاف له عن غيره
- ١٣٥٣ (الوجه الثالث والثمانون بعد المائة): بيان أن تقديم العقل يؤدي إلى الشرك بالله
- ١٣٥٦ (الوجه الرابع والثمانون بعد المائة): بيان أن من قدم العقل فهو من الظانين بالله ظن السوء
- ١٣٥٨ (الوجه الخامس والثمانون بعد المائة): بيان أن مخالفة النقل لصريح العقل تجعله كذباً في نفسه
- ١٣٥٨ (الوجه السادس والثمانون بعد المائة): بيان أن من ادعى معارضة العقل للنقل لم يقدر الله حق قدره
- ١٣٦٦ (الوجه السابع والثمانون بعد المائة): بيان أن حجة المعارضين للوحي هي نفي التشبيه عنه سبحانه
- ١٣٧١ (الوجه الثامن والثمانون بعد المائة): بيان الفرق بين هذين الاسمين العلي، العظيم
- ١٣٧٤ (الوجه التاسع والثمانون بعد المائة): بيان أن العظيم توصف به الأعيان والصفات والمعاني
- ١٣٧٩ (الوجه التسعون بعد المائة): الرد على من نفى صفة العلو
- ١٣٨٠ (الوجه الحادي والتسعون بعد المائة): بيان أنه يستحيل وجود ذات لا صفات لها

- ١٣٨٥ (الوجه الثاني والتسعون بعد المائة): بيان أن من عارض الوحي فهو خصم لله تعالى
- ١٣٨٩ (الوجه الثالث والتسعون بعد المائة): بيان منهج النفاة مع أهل الإثبات وهو الترغيب أو الترهيب
- ١٣٩١ (الوجه الرابع والتسعون بعد المائة): بيان أن المعارضين للوحي صنفان هما الفلاسفة والجهمية
- ١٣٩٥ (الوجه الخامس والتسعون بعد المائة): بيان كيف يكون هؤلاء أولى بالحق وقد شهد عليهم بالحيرة والشك
- ١٤٢٣ (الوجه السادس والتسعون بعد المائة): بيان أن هؤلاء أصلوا أصولاً فاسدة فجاءت فروعها أفسد منها
- ١٤٢٤ المثال الأول
- ١٤٢٥ المثال الثاني
- ١٤٢٦ المثال الثالث
- ١٤٢٧ المثال الرابع
- ١٤٢٨ المثال الخامس
- ١٤٢٨ المثال السادس
- ١٤٢٩ (الوجه السابع والتسعون بعد المائة): بيان أن أقوال هؤلاء مصدرها الظن والتخمين
- ١٤٣٢ (الوجه الثامن والتسعون بعد المائة): بيان أصولهم في تقرير مذهبهم وأصولهم في نفي المذهب الحق
- ١٤٣٤ (الوجه التاسع والتسعون بعد المائة): بيان أنه على أصول هؤلاء لا يمكن محبة الله ولا مدحه ولا الثناء عليه
- ١٤٣٨ (الوجه الموفى مائتين وجهاً): بيان أن هؤلاء نفوا صفاته لأنها تستلزم التشبيه أو الشهوة والنفرة
- ١٤٤٧ بيان أن الحب والبغض من لوازم الحياة
- ١٤٤٨ حجة من زعم أن اللذة لا تصح على الله رد ابن القيم لهذه الحجة من وجوه:
- ١٤٤٩ (الوجه الحادي والمائتين): وهو الوجه الأول

- ١٤٤٩ (الوجه الثاني والمائتين): وهو الوجه الثاني
- ١٤٥١ (الوجه الثالث والمائتين): وهو الوجه الثالث
- ١٤٥٢ (الوجه الرابع والمائتين): وهو الوجه الرابع
- ١٤٥٢ (الوجه الخامس والمائتين): وهو الوجه الخامس
- ١٤٥٥ (الوجه السادس والمائتين): وهو الوجه السادس
- ١٤٥٦ (الوجه السابع والمائتين): وهو الوجه السابع
- ١٤٥٧ (الوجه الثامن والمائتين): وهو الوجه الثامن
- ١٤٥٩ (الوجه التاسع والمائتين): وهو الوجه التاسع
- ١٤٦٢ (الوجه العاشر والمائتين): وهو الوجه العاشر
- ١٤٦٤ (الوجه الحادي عشر والمائتين): وهو الوجه الحادي عشر
- ١٤٦٥ (الوجه الثاني عشر والمائتين): وهو الوجه الثاني عشر
- ١٤٦٦ (الوجه الثالث عشر والمائتين): وهو الوجه الثالث عشر
- ١٤٦٦ (الوجه الرابع عشر والمائتين): وهو الوجه الرابع عشر
- ١٤٦٧ (الوجه الخامس عشر والمائتين): وهو الوجه الخامس عشر
- ١٤٦٨ (الوجه السادس عشر والمائتين): وهو الوجه السادس عشر
- ١٤٦٨ (الوجه السابع عشر والمائتين): وهو الوجه السابع عشر
- ١٤٦٩ (الوجه الثامن عشر والمائتين): وهو الوجه الثامن عشر
- ١٤٧٠ (الوجه التاسع عشر والمائتين): وهو الوجه التاسع عشر
- ١٤٧١ (الوجه العشرون والمائتين): وهو الوجه العشرون
- ١٤٨٨ (الوجه الحادي والعشرون والمائتين): وهو الوجه الحادي والعشرون
- ١٤٨٩ (الوجه الثاني والعشرون والمائتين): وهو الوجه الثاني والعشرون
- ١٤٩١ (الوجه الثالث والعشرون والمائتين): وهو الوجه الثالث والعشرون
- ١٤٩٣ (الوجه الرابع والعشرون والمائتين): وهو الوجه الرابع والعشرون
- ١٤٩٥ (الوجه الخامس والعشرون والمائتين): وهو الوجه الخامس والعشرون
- ١٤٩٦ (الوجه السادس والعشرون والمائتين): وهو الوجه السادس والعشرون
- ١٤٩٨ (الوجه السابع والعشرون والمائتين): وهو الوجه السابع والعشرون
- ١٥٠٢ (الوجه الثامن والعشرون والمائتين): وهو الوجه الثامن والعشرون
- ١٥٠٣ (الوجه التاسع والعشرون والمائتين): وهو الوجه التاسع والعشرون

- ١٥٠٣ (الوجه الثلاثون بعد المائتين): وهو الوجه الثلاثون
 (الوجه الحادي والثلاثون بعد المائتين): في إلزام المعارضين للمنقول بتكذيبه
- ١٥٠٦ أو تصديقه
- ١٥٠٨ (الوجه الثاني والثلاثون بعد المائتين): بيان أن الأدلة العقلية تنفي المعاني التي
 تأولتم النقل عليها
- ١٥١٠ (الوجه الثالث والثلاثون بعد المائة): الرد على زعمهم أن أساء الله تعالى تطلق
 عليه مجازاً
- ١٥١١ (الوجه الرابع والثلاثون بعد المائتين): بيان اختلاف الناس في الأسماء المشتركة
 (الوجه الخامس والثلاثون بعد المائتين): بيان أن المعنى الذي دل عليه اللفظ
- ١٥١٣ بطريق الحقيقة أكمل من المعنى الذي دل عليه بطريق المجاز
- ١٥١٤ (الوجه السادس والثلاثون بعد المائتين): بيان أن أعقل الخلق هم الرسل
 وأتباعهم
- ١٥١٨ (الوجه السابع والثلاثون بعد المائتين): بيان أن القرآن لو خالف العقول لكان
 في الصدور منه أعظم الحرج
- ١٥٢٢ (الوجه الثامن والثلاثون بعد المائتين): بيان أن ردهم ما ثبت عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقوم على أصلين هما المنع والمعارضة
- ١٥٢٧ (الوجه التاسع والثلاثون بعد المائتين): بيان درجات المنع والمعارضة
- ١٥٢٧ أولاً - درجات المنع
- ١٥٢٧ الدرجة الأولى
- ١٥٢٧ الدرجة الثانية
- ١٥٢٧ الدرجة الثالثة
- ١٥٣١ ثانياً - درجات المعارضة
- ١٥٣١ الدرجة الأولى
- ١٥٣٤ الدرجة الثانية
- ١٥٣٥ الدرجة الثالثة
- ١٥٣٥ (الوجه الأربعون بعد المائتين): بيان أن التصديق الجازم يمنع المعارضة والممانعة
- ١٥٣٦ (الوجه الحادي والأربعون بعد المائتين): بيان كمال هذا الدين
- ١٥٣٩ مناظرة بين إبليس والملائكة

١٥٥١	رد ابن القيم على الشبه التي أثارها عدو الله إبليس من وجوه:
١٥٥١	الوجه الأول
١٥٥١	الوجه الثاني
١٥٥٤	الوجه الثالث
١٥٥٥	الوجه الرابع
١٥٥٦	الوجه الخامس
١٥٥٦	الوجه السادس
١٥٥٨	الوجه السابع
١٥٥٩	الوجه الثامن
١٥٦٠	الوجه التاسع
١٥٦٠	الوجه العاشر
١٥٦٢	الوجه الحادي عشر
١٥٦٣	الوجه الثاني عشر
١٥٦٣	الوجه الثالث عشر
١٥٦٣	الوجه الرابع عشر
١٥٦٥	الوجه الخامس عشر

الفهارس:

١٥٧٧	(١) فهرس الآيات القرآنية
١٥٧٩	(٢) فهرس الأحاديث النبوية والآثار
١٦١٥	(٣) فهرس الاعلام المترجم لهم في الحاشية
١٦٣١	(٤) فهرس الفرق
١٦٤٠	(٥) فهرس المصطلحات
١٦٤٢	(٦) فهرس الألفاظ الغريبة
١٦٤٥	(٧) فهرس الأبيات الشعرية
١٦٤٨	(٨) فهرس الكتب التي ذكرها المصنف.
١٦٥١	(٩) فهرس المراجع
١٦٥٥	(١٠) فهرس الموضوعات
١٦٨٥	